



الإمام
السيوطي
وَجُهِودُهُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ

نال المؤلف بهذا الكتاب
درجة الدكتوراه الدولة
في العلوم الإسلامية
بإختصاص علوم القرآن
بتقدير « مشرف جداً » من
جامعة الزيتونة في تونس.

الإمام
السِّيوطي
وَجْهُودُهُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ

الدَّكْتُور
مُحَمَّدُ يُونُسُ الشُّرَيْبِي

دَارُ الْمَكْتَبَةِ

الطبعة الأولى
1421هـ - 2001م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

الرموز والإشارات

- ت : توفي .
- ج : جزء .
- د . ت : دون تاريخ .
- د . م : دون مكان .
- ص : صفحة .
- ط : طبعة .
- ع : عدد (الدوريات) .
- ق : إن كانت للمخطوط فهي (ورقة) . وإن كانت للمطبوع فهي (قسم) .
- م : إن كانت للكتاب فهي (مجلد) . وإن كانت للتاريخ فهي (ميلادي) .
- ص . ن : الصفحة نفسها .
- ط . ن : الطبعة نفسها .
- م . ن : المصدر أو المرجع نفسه .
- .. : للدلالة على اختصار الكلام .
- .. / .. : خط مائل للفصل بين رقم الجزء والصفحة أو بين التاريخ الهجري والميلادي .

* * *

المقدمة

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ﴾^(١) [النمل : ٥٩] .

وبعد :

فإذا كان العلم يشرف بشرف موضوعه ، فإنَّ علوم القرآن أشرف العلوم لأن موضوعها كلام الله تعالى ، الذي هو ينبوع كل حكمة ، ومعدن كل فضيلة ، « فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبِيرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ، لَا يَخْلُقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِئِهِ »^(٢) .

ولقد كان من مآثر هذه الأمة الوسطى أن قيض الله تعالى لها من ينافع عن دينها ويحافظ على كتابها المجيد ، الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] . لتبقى رسالة الإسلام خالدة وراية القرآن مرفوعة عالية ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

[الحجر : ٩] .

١ - ولما كان السيوطي أحد هؤلاء العلماء الأفاضل ، الذين منَّ الله تعالى عليهم بالنظر في القرآن الكريم ونجومه ، وفتح له أبواب التَّطَرُّقِ إلى استخراج

(١) بهذه الآية الكريمة كان السيوطي يفتح الكثير من مؤلفاته .

(٢) هو جزء من حديث طويل ، أخرجه الترمذي في ثواب القرآن ، باب : في فضل القرآن ، رقم (٢٩٠٨) والدارمي في فضائل القرآن ، باب : فضل من قرأ القرآن ٤٣٥/٢ ، وفي إسناده مقال ، انظر ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط (ط . مطبعة الملاح دمشق : ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) ٤٦٢/٨ .

ما أودع فيه من علومه ، فبقر عن معادن معانيه وأبرزها ، وأوقد عليها نار القريحة وميّزها ، وألف التآليف الكثيرة جامعاً ومفرداً ومطنباً ومقصداً وكأن الله تعالى قد خلقه لهذا ، ومن خلق لشيء فاز ببسره ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره .

٢ - وكانت كتبه بتنوعها وكثرتها ، محط أنظار العلماء ورحال الفضلاء وأصبح (الإتقان في علوم القرآن) خصوصاً مرجع الطالبين وعمدة الدارسين ، وموئل العلماء المحققين ولا يستغني عنه باحث ، فضلاً عن طالب علم .

٣ - وكذلك ما أشيع حوله في الآونة الأخيرة من مقالات وانتقادات ، تمسّ شخصيته وكتبه ، وهي بعيدة كل البعد عن حقيقته وجوهره .

٤ - وأيضاً ما وجدته من إقرار المحققين لكتب السيوطي - من الكتاب المعاصرين - وإجماعهم على كثير من الأخطاء الواردة في بعض كتب تراجمه .

لكل هذا رأيت أنّ من واجبي - وأنا في طريقي لإعداد أطروحة لنيل درجة دكتوراه الدولة في علوم القرآن - أن يكون موضوع بحثي :

الإمام السيوطي وجهوده في علوم القرآن

وذلك للتعريف بشخصيته وكتبه ، وإزالة ما ألحق به بعض الكتاب المعاصرين من أخطاء ، ولأميظ اللثام ، وأكشف الغشاوة عما يعتوره من نقد وطعن ، ولأبين منهجه في كتبه مبرزاً جهوده في علوم القرآن ، ليتيسر للباحثين والقراء الاستفادة منها .

ثم نهضت لهذا الأمر نهضاً ، وسبكت فيه سبكاً محضاً ، وجعلته في مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة :

أما المقدمة : فقد تكلّمت فيها باختصار عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره والهدف منه ، ومنهجي في البحث .

وأما الباب الأول : فخصصته للحديث عن عصر الإمام السيوطي وحياته وقد قسمته إلى فصلين :

* الفصل الأول : تحدثت فيه عن عصر السيوطي من النواحي الثلاث : السياسية والاجتماعية والعلمية ، وبيّنت أثر العصر في شخصيته .

* الفصل الثاني : تحدثت فيه عن حياة السيوطي ، وقد قدّمت لذلك بتمهيد عن مدينة أسيوط ، ثم تكلمت عن سيرته الذاتية ، فبيّنت اسمه ونسبه وتاريخ مولده وأسرته وأصله ، وعرّفت بأبيه وأمه ، وحقّقت في أولاده وذريته ، وهل له عقب أو لا ؟ ثم عن وفاته ومكانها وراثته ، وأخيراً تحدثت عن أخلاقه ومناقبه ، ثم أتبعته بالحديث عن حياته العلمية . فبيّنت بداية طلبه للعلم ونبوغه المبكر ، ثم تبحره في العلوم ، ثم عرّفت بأهم شيوخه وأساتذته ، وحقّقت في رحلاته العلمية ، وبيّنت ما وقع فيه كثير من المحقّقين لكتب السيوطي من رحلات مزعومة نسبت للسيوطي خطأ .

أما الباب الثاني : جعلته في حياته العلمية وآثاره ، وقسمته إلى فصلين اثنين :

* الفصل الأول : حياته العلمية ، وتحدثت فيه :

أولاً - عن مناصبه التي تقلدها ، وبيّنت أنّ السيوطي تبوّأ مكانة مرموقة في مجتمعه .

ثانياً - خصوماته العلمية ، وبيّنت أسبابها ونتائجها ، وذكرت عدداً من المسائل التي وقع الخلاف حولها وأهمّها مسألة الاجتهاد والتجديد ، وأفضت القول في ذلك .

* الفصل الثاني : آثاره : وتحدثت فيه :

أولاً - عن تلاميذه واقتصرت في التعريف على أشهرهم ومن كانت له صلة وثيقة به وملازمة .

ثانياً - عن مؤلفاته (عددها ، أسباب كثرتها ، طريقته في التأليف ، والتعريف بأهم مؤلفاته) .

أما الباب الثالث : فهو في جهود الإمام السيوطي في علوم القرآن .

وقد قسمته إلى ثلاثة فصول :

* الفصل الأول : مؤلفات السيوطي في التفسير وعلوم القرآن ، وقد راعيت في ترتيبها رغبة السيوطي في تقسيم مؤلفاته إلى سبعة أقسام ، في كتابه (التحدّث بنعمة الله) فذكرتها وفق هذه الرغبة .

* الفصل الثاني : التعريف بأهمّ مؤلفاته في التفسير ، وقد بدأته بتمهيد بينت فيه سبب اقتصاري على التعريف ببعض مؤلفاته في التفسير وهي :

١ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

٢ - وتكملة تفسير جلال الدين المحلي المعروف بتفسير (الجلالين) .

٣ - نواهد الأبحار وشوارد الأفكار وهي (حاشية على تفسير البضاوي) .
وقد عرّفت بكل كتاب من هذه الكتب الثلاثة ، وبيّنت منهج السيوطي فيها ، وأثرها .

* الفصل الثالث : وكان في التعريف بأهمّ مؤلفاته في علوم القرآن وهي :

١ - لباب النقول في أسباب النزول .

٢ - مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن .

٣ - تناسق الدرر في تناسب السور .

٤ - مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع .

٥ - معترك الأقران في مشترك القرآن .

٦ - المهدّب فيما وقع في القرآن من المعرّب .

٧ - الإكليل في استنباط التنزيل .

٨ - أسرار التنزيل المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) .

وقد عرّفت بكل منها بشيء من التفصيل ، مبيّناً تعريف كل فنّ منها ، والمؤلفات في هذه الكتب ، ثم عرّفت بطريقة السيوطي فيها ، موضحاً منهجه ذاكرة مصادره وأخيراً طبعات الكتاب .

وأما الباب الرابع : فخصصته لكتاب (الإِتقان في علوم القرآن) :

قد جعلته في تمهيد وأربعة فصول :

عرّفت في التمهيد علوم القرآن بوصفها مصطلحاً علمياً ، ثم تحدثت عن تاريخ هذا الفن - بهذا المفهوم - حتى عصر السيوطي .

* الفصل الأول : وكان في منهج السيوطي في كتابه (الإِتقان) ، وتناولت فيه التعريف بهذا الكتاب ، ومنهجه فيه ، ثم تحدثت عن أهمّ اختيارات السيوطي فيه وناقشتها .

* الفصل الثاني : تناولت فيه مصادره ، وقد رتبتها ضمن مواضيع حسب تقسيم السيوطي لها ، مراعيّاً تاريخ وفيات مؤلفيها .

* الفصل الثالث : وجعلته للمقارنة بين (إِتقان) السيوطي و (برهان) الزركشي من حيث الشكل والترتيب والمضمون ، وقد قمت بعمل جداول تبين أنواع علوم القرآن عند كل من الزركشي والسيوطي والأنواع المشتركة بينهما وما أفرده الزركشي بنوع وأدمجه السيوطي ضمن نوع آخر ، وما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي .

* الفصل الرابع : وكان في أثر (الإِتقان) فيمن أتى بعده .

وقد قدّمت له :

أولاً : بتمهيد في أهميّة (الإِتقان) وأثره في المؤلفات بعده وأنّ كل من كتب في علوم القرآن بعده فهو عالة عليه .

وثانياً : في عناية العلماء بالإِتقان وأنه لم يقتصر أثره على النقل منه فحسب ، بل عمد بعضهم إلى اختصاره وتلخيصه ، وانتقى بعضهم أنواعاً منه أفردوها بالتأليف ، ونظمه أحدهم .

وثالثاً : ذكرت نماذج من أثر الإِتقان في المؤلفات بعده ، عرضت فيه لأهم من تأثر (بالإِتقان) في تركية وهو طاش كبري زاده في كتابه (مفتاح

السعادة . .) والشقاني التونسي الذي أدرج (الإتيقان) في كتابه (الشهب الثواقب . .) وأبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الذي تعقب السيوطي في بعض ما جاء في (الإتيقان) في كتابه (الإحسان في تعقب الإتيقان) .

ورابعاً : جعلته لأثر (الإتيقان) في الدراسات المعاصرة ، وأبرزت أهميته في اختياره - من قبل كثير من الباحثين - أنموذجاً لقراءة النص الديني في الوقت الحاضر ، واخترت منها كتابين أحدهما للأستاذ عبد المجيد الشرفي في بحثه المنشور في (سلسلة موافقات) بعنوان « في قراءة التراث الديني » والآخر للأستاذ محمد أركون في كتابه (الفكر الإسلامي - قراءة علمية) واختياره (الإتيقان) كحساب ختامي للدراسات القرآنية وآفاقها . وقد بينت في هذا المبحث ما يلاحظه القارئ في هذه الكتابات من انتقادات هدامة توجه للسيوطي ولكتابه (الإتيقان) فأزلت الشبه عنه ، وبيّنت وجه الحق في ذلك .

وأما الخاتمة : فتلخصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ، وضمنتها بعض الاقتراحات والتوصيات التي من شأنها أن تنهض بعلوم القرآن في وقتنا الحاضر .

المصادر وتحليلها :

تنوعت المصادر التي اعتمدتها في هذا البحث بتنوع موضوعاته وتعدد فنونه ، وقد رجعت إلى مصادر ومراجع كثيرة اقتضتها طبيعة الدراسة ، ويمكنني تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

١ - كتب أصلية ، وهي مؤلفات السيوطي وغيره في علوم القرآن التي هي موضوعات هذا البحث .

٢ - كتب التاريخ والتراجم المتمثلة في دراسة عصر السيوطي وحياته .

٣ - كتب من علوم مختلفة .

أما القسم الأول : وهو المصادر المتعلقة بعلوم القرآن ، فقد كان اعتمادي

بالدرجة الأولى على كتب الإمام السيوطي نفسه - التي هي موضوع بحثي - وأهمها (الإتقان) لاحتوائه على الكثير من المؤلفات المفردة بالتأليف ، وكذلك إلى الكتب الجامعة الأخرى كـ (معترك الأقران في إعجاز القرآن) و (أسرار التنزيل) المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) وقد احتوى هذا الكتاب على الكثير من رسائل السيوطي البلاغية ، وما يتعلق بأسرار فواتح الآيات والسور ومناسباتها ، وكذلك إلى كتبه الأخرى كـ (لباب النقول في أسباب النزول) و (مفحمت الأقران في مبهمات القرآن) و (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) وغيرها ، ويلى ذلك بالأهمية كتاب الزركشي (ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م) (البرهان في علوم القرآن) الذي رجع إليه السيوطي وأفاد منه كثيراً ، وكذلك إلى كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ، (فنون الأفنان) ، وأبي شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) ، (المرشد الوجيز) ، والكافيجي (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م) في كتابه (التيسير في قواعد علم التفسير) ، وأما كتاب الزرقاني (مناهل العرفان في علوم القرآن) فهو من أحسن ما كتب في علوم القرآن في الوقت الحاضر وقد أفاد من السيوطي كثيراً . أما التفسير فقد اعتمدت على كتابه الموسوعي (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) الذي ضمّنه الكثير من العلوم والفنون بالإضافة إلى التفسير ، وعلى كتابه المكمل لتفسير شيخه المحلي المسمى بـ (الجلالين) ، وحاشيته على البيضاوي المسماة (نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار) .

وبعض هذه الكتب كما ترى مخطوطة كـ (أسرار التنزيل) ، و (نواهد الأبيكار) و (مراصد المطالع) ، وقد واجهتني صعاب كثيرة في الحصول عليها أولاً ، وفي قراءتها وفك رموزها ثانياً ، إذ لم يكن بين يديّ إلا نسخة يتيمة أحياناً .

وقد رجعت كذلك إلى كتب التفسير المختلفة التي كان السيوطي يكثر النقل عنها والأخذ منها : كتفسير الطبري (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) والزمخشري (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) في (الكشف) وابن عطية (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م)

في (المحرّر الوجيز) والرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) في التفسير المسمى (مفاتيح الغيب) وأبي حيان (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) في (البحر المحيط) وغيرها مما هو موجود في قائمة المصادر والمراجع آخر الرسالة .

أما القسم الثاني : فهو كتب التاريخ والتراجم المعينة على دراسة العصر ، ويأتي بالدرجة الأولى فيها كتب السيوطي نفسه كـ (تاريخ الخلفاء) و (حسن المحاضرة) و (نظم العقيان في أعيان الأعيان) ومعجم شيوخه المسمى (المنجم في المعجم) ، ثم يلي هذا بالأهمية ما كتبه تلميذ السيوطي ابن إياس الحنفى (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) شاهد عيان عصره في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) . وقد عاصر زوال دولة المماليك التي عاش فيها السيوطي . وكذلك كتاب المقرئ (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٤١ م) (المواعظ والاعتبار) المعروف بـ (الخطط المقرئية) . وأفدت كذلك من كتاب ابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة) ومما كتبه الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) في (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) . والسخاوي عصري السيوطي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) في كتابه (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) ، والنجم الغزي (ت ١٠٦١ هـ / ١٦٥٠ م) في كتابه (الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة) . والشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) في (البدر الطالع) . هذا وقد استعنت على دراسة العصر وتوضيح معالمه ببعض الدراسات الحديثة وأهمها كتب الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور كـ (العصر المماليكي في مصر والشام) و (مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك) وغيرها ، والدكتور عبد المنعم ماجد في كتابه (نُظُم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر) ، وللاستاذ محمود رزق سليم موسوعة قيّمة بعنوان (عصر سلاطين المماليك ونتائجهم العلمي والأدبي) في ستة أجزاء ، أفدت منها كثيراً في أثر العصر في شخصية السيوطي وكان لي انتقادات عليه ، وقد اقتبس منها كثيراً الأستاذ عبد الوهاب حمّوده في كتابه (صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي) . وغيرها من المراجع التي تجدها في حواشي هذا البحث .

أما مصادر ترجمة الجلال السيوطي ، فنظراً لكون السيوطي من الأعلام الأفاضل المشهورين فقد كثرت تراجمه وتعددت مصادره ، ولكن يأتي في مقدمتها ما كتبه السيوطي بنفسه ، فقد ترجم السيوطي لنفسه في كتابين رئيسيين كبيرين ، ولمح إلى بعض معالم شخصيته وعلمه وخلقه في متفرقات من كتبه كـ (المقامات) ^(١) و (الحاوي) ، وأول ما يرجع إليه الباحثون والمحققون للتعريف بالإمام السيوطي ما كتبه عن نفسه في (حسن المحاضرة) وهذا الكتاب انتهى السيوطي من تأليفه سنة (٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م) ^(٢) ، ويتم هذا الكتاب كتابه الآخر (التحدث بنعمة الله) الذي يغطي قسماً كبيراً من حياته إلى أوائل القرن العاشر الهجري قبيل وفاته ببضع سنين ، وقد ظل هذا الكتاب مفقوداً إلى أمد غير بعيد حتى حققته الزاوية ماري ساريتين ، ونالت به درجة الدكتوراه من جامعة كامبردج بانكلترا سنة ١٩٦٨ م ، وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٢ م ، وهذا الكتاب هو الأصل في التعريف بالسيوطي وبيان سيرته الذاتية بالإضافة إلى الوقائع التي جرت مع أهل عصره ، وقد ضمن الشيخ عبد القادر الشاذلي - تلميذ السيوطي - (ت ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م) الكثير من فصوله في كتابه (بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي) ^(٣) ، مع الإشارة

(١) مما يجدر التنبيه عليه أن محقق المقامات السيوطية غير في العنوان وطبع الكتاب بعنوان « شرح مقامات جلال الدين السيوطي » وقد اعتمدت على هذه التسمية عند التوثيق متابعة للطبعة .

(٢) عبد المنعم خفاجي ، حسن المحاضرة للإمام السيوطي (بحث نشر في مجلة المنهل ، العدد (٤٥٦) ص ١٨٨ وانظر أيضاً : إبراهيم الأبياري ، حسن المحاضرة للسيوطي ، بحث نشر ضمن كتاب (تراث الإنسانية) ط . دار الفكر ، بيروت) ٦٤٣/٢ .

(٣) أود أن أنوه هنا اعترافاً بالفضل لأهل الفضل ، ووفاء بحق شيخي الجليل فضيلة الأستاذ العلامة محمد الشاذلي النيفر بتكريمه بإهدائي نسخة من هذه المخطوطة المحفوظة بمكتبته العامة ، فجزاه الله تعالى عني خيراً . « ومن الجدير بالذكر أنه قد بلغني وفاة الشيخ محمد الشاذلي النيفر رحمه الله تعالى في أثناء طباعة الرسالة =

إلى ذلك ، مما يجعلني أطمئن إلى ما ورد في هذا الكتاب على خلاف ما هو وارد في حسن المحاضرة ، فإن ترجمة السيوطي فيه احتوت على أخطاء كثيرة فاحشة جعلت الكثير من الباحثين يتورطون في ذكر وقائع تاريخية أو أحداث مهمة على غير حقيقتها وذلك اعتماداً على هذه النسخة ، وقد تبين لي ذلك بمقارنة هذه الترجمة على نسخ خطية موزعة في تونس ومصر والشام .

وتتمثل أهمية كتاب (التحدث بنعمة الله) في ضمّ المحققة له نصوصاً مكملّة لترجمة السيوطي بخط تلاميذه الذين أخذوا عنه ونسخوا كتبه أمثال الداودي (ت ٩٤٥ هـ / ١٥٣٨ م) فله كتاب (ترجمة جلال الدين السيوطي) ولا يزال مخطوطاً والشاذلي الذي سبقت الإشارة إليه .

ثم يلي ذلك من حيث الأهمية ما كتبه السخاوي عن السيوطي في أثناء ترجمته في (الضوء اللامع) وهي مجحفة وظالمة بحق السيوطي . ثم يأتي تلميذه عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ / ١٥٦٥ م) ، وقد ترجم لشيخه السيوطي ترجمة حافلة ركّز فيها على الجانب الصوفي عند السيوطي وعدّد كراماته ومناقبه في كتابه (الطبقات الصغرى) ، وقد ترجم للسيوطي أيضاً تلميذه ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٣ م) عند حديثه عن وفيات سنة (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) وذكر بعض أحواله ووقائع في مواطن أخرى من الكتاب .

أما القسم الثالث : فقد رجعت فيه إلى كتب كثيرة مختلفة بحكم طبيعة البحث ، كالكتب الستة وغيرها لتخريج الأحاديث الواردة ، وكذلك إلى كتب الرجال والطبقات والتراجم المختلفة للتعريف بالأعلام ، وقد أفدت كثيراً من

= في ٤ شعبان/ ١٤١٨ هـ الموافق ١٢/٤/ ١٩٩٧ م « وقد حصلت على نسخة أخرى من مخطوطة الكتاب مصورة عن مكتبة تشسترتي محفوظة بمعهد المخطوطات العربية في الكويت ، وأرجو من الله تعالى أن يوفّقني لتحقيقه ليستفيد منه الباحثون والمهتمون بتراث السيوطي .

كتب السيوطي ك (بغية الوعاة) و (طبقات المفسرين) و (طبقات الحفاظ) ،
ورجعت كذلك إلى (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ /
١٠٧٢ م) و (سير أعلام النبلاء) للذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٧٤ م) و (فهرس
الفهارس) للكتاني (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م) .

وقد رجعت كذلك إلى كتاب (الأعلام) للزركلي (ت ١٣٨٦ هـ /
١٩٧٦ م) ، لضبط الوفيات المختلف فيها ، لدقته في ذلك . وكذلك إلى كتب
المعاجم اللغوية ك (معجم مقاييس اللغة) و (مجمل اللغة) لابن فارس
(ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) و (الصحاح) للجوهري (ت ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م)
و (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) و (القاموس المحيط)
للفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) و (تاج العروس) للزبيدي
(ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) وغيرها .

وقد رجعت كذلك إلى كتب الفقه الإسلامي وأصوله المختلفة ، وأشهرها
كتاب (الرسالة) ، للإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨٢٠ م) ، الذي أفدت منه
في عربية ألفاظ القرآن الكريم . ولا يفوتني كذلك أن أذكر من جملة مصادري
فهارس الكتب وموضوعاتها كفهرسة ابن النديم (ت ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م) وابن
خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م) ، وطاش كبري زاده (ت ٩٦٨ هـ /
١٥٦١ م) في (مفتاح السعادة) ، وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ / ١٧٧٠ م)
في (كشف الظنون) وذيله للبغدادي (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) وكذلك
(هدية العارفين) له أيضاً وذلك للتعريف بالكتب التي ذكرها السيوطي في
بداية كل نوع .

وأما الدوريات فقد رجعت إلى عدد كبير منها مما له صلة بموضوع بحثي ،
وأهمها الملف الخاص بجلال الدين السيوطي الذي صدر عن مجلة التراث
العربي بدمشق مؤخراً (العدد / ٥١ / شوال ١٤١٣ هـ / نيسان « أبريل »
١٩٩٣ م) وضم بحوثاً قيّمة لعدد من الأساتذة الجامعيين والباحثين المحققين
أفدت من بحوثهم جميعاً .

ولقد حاولت من خلال النظر في هذه المصادر والمراجع - قدر الإمكان - أن أثبت رأياً صريحاً وبرهاناً صحيحاً ، يزيل الإبهام ويحلّ الإشكال .
ونظراً لكتابة هذه الرسالة في أكثر من موطن فقد تتعدد طبعات المصدر الواحد أحياناً وقد أشرت إلى ذلك في الحاشية .

وأخيراً :

فإن الفضل لا يأتي إلّا بالفضل ، ومن لا يشكر الناس لم يشكر الله ، أتقدّم بخالص الشكر وجزيل الامتنان ، إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة وسيلة بلعيد ابن حمده - مديرة قسم القرآن والحديث - لتفضّلها بالموافقة على متابعة الإشراف على هذا البحث الذي كان له شرف الولادة على يد الأستاذ الدكتور أحمد باكير - رحمه الله تعالى - وقد كان لملاحظاتها الدقيقة وتوجيهاتها السديدة أكبر الفضل وأعظم الأثر في بلوغ الرسالة أشدها ، وإيتائها أكلها ، فلها مني جزيل الشكر ، ومن الله تعالى عظيم الثواب والأجر .

وأتقدم بالشكر كل الشكر إلى جامعة دمشق الموقرة وإلى جامعة الزيتونة العريقة لإتاحتهما الفرصة لي بشرف الانتساب إلى ذلك الصرح العريق .

وأشكر كذلك لجنة المناقشة لتجشّمها العناء في قراءة هذه الرسالة وسيكون لملاحظاتهم القيمة كبير الأثر في ثراء هذه الرسالة العلمية ، وهذا جهدي أضعه بين أيديهم ، ويعلم الله أنني لم أضنّ على هذه الرسالة بجهد ، وقد استفرغت الهمم والتمست كل ملتمس ، فإن قصّرت فضعف ساقه العجز إليّ ، وإن سدّدت وقاربت فذلك من فضل الله عليّ ، ومع ذلك فلا أدّعي الاستيعاب ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] ولا الإصابة في جميع ما أوردته ، فإن من رام ذلك لم يجد إليه سبيلاً ، كيف والإنسان محلّ الغفلة والنسيان ومعدن كلال الأذهان . . ؟

ولا يفوتني كذلك أن أتقدّم بمزيد من الشكر والامتنان ، لكل من أسدى إليّ

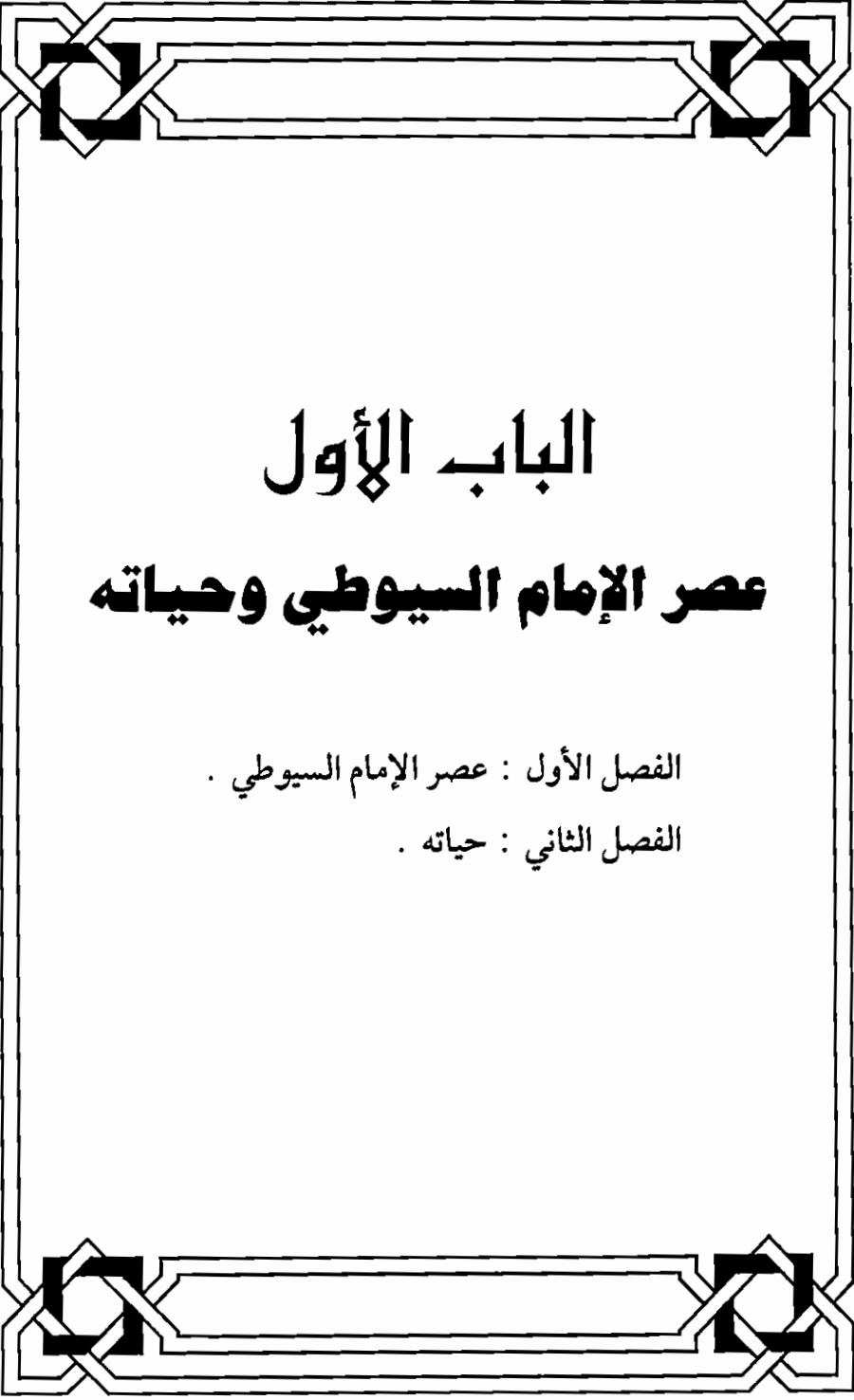
معوونة أو معروفاً أو مساعدة في إنجاز هذه الرسالة منذ أن كانت وليدة إلى أن أصبحت يافعة .

وبالجملة ، فالمؤمل بذلك واسع الكرم ، مفيض النعم ، جدير بالإنابة ، حقيق بالاستجابة ، لا يخيب لديه طارق أمل ، ولا يضيع عنده اليسير من العمل ، أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله حجة لي لا علي ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ ﴿لَا مَنْ أَقَى اللَّهَ يَنْفَعُ سَلِيمٌ﴾ [الشعراء : ٨٩-٨٨] .

والحمد لله رب العالمين

وكتب

د . محمد يوسف الشريجي



الباب الأول

عصر الإمام السيوطي وحياته

الفصل الأول : عصر الإمام السيوطي .

الفصل الثاني : حياته .

الفصل الأول

عصر الإمام السيوطي

من النواحي

السياسية والاجتماعية والعلمية

الناحية السياسية

عاش الإمام السيوطي في مصر ما بين منتصف القرن التاسع الهجري ، وأوائل القرن العاشر الهجري ، إذ ولد (٨٤٩هـ / ١٤٤٥م) وتوفي (٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، أي في أواخر العصر الذي اصطلاح المؤرخون على تسميته بـ : « عصر المماليك » ، إذ كانت مقاليد الأمور بيد ممالك مشتراة ، أو ما يسمى « جلباً » أو « أجلاباً » وهما لفظتان تعنيان جلبهم رقيقاً من بلاد أخرى ، أو شراءهم ، حيث يتربون في « الطُّبق » وهي مدرسة الحربية التي يتعلمون فيها الكتابة وطرق الحرب والفروسية فكانت إلى آخر حكم هذه الدولة هناك وظيفة « تاجر المماليك »^(١) .

فإذا انتهت الدراسة في الطباقي أعتق المملوك ، ويقام احتفال خاص بذلك يحضره السلطان والأمراء يسلم فيها المعتق شهادة العتق ، ويصبح المعتق أستاذاً له ، ثم بعد ذلك يبدأ بالتدرج في الوظائف العسكرية إلى أن يصل إلى رتبة الأمراء^(٢) .

ومع أن غالبية المماليك كانوا من جنس الترك ، إلا أنه قد انخرط معهم

(١) عبد المنعم ماجد ، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر : (نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤م) ص ١٣ ، محمود رزق سليم عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ، (نشر مكتبة الآداب ، مصر ١٩٤٧) ٨١/١ .

(٢) عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ، نظم دولة سلاطين المماليك . ص ١٧-١٨ ، وانظر على سبيل المثال السخاوي ، الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (نشر مكتبة الحياة ، بيروت) ٢٨٥/٣ ، ٢٨٨ ، وابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى (ط القاهرة : ١٩٦٠م) ١٥١/١ .

جنسيات أخرى كالأروام ولكن سرعان ما كانوا يذوبون جميعاً في شكل طبقة متماسكة ، أقامت لنفسها وظائف ثابتة ومحددة على رأسها السلطان الذي هو واحد منهم ، يعدّ الأول بين أقرانه ، ويتولى غالباً بالقهر والغلبة ، وهذه الوظائف مكنتهم من السيطرة على الحكم .

وبما أن المماليك ليسوا من العرب وقد ألقت عليهم العبودية شيئاً من ظلالها بمعنى أنهم كان ينقصهم نبل الأصل ، لذلك حرصوا منذ قيام دولتهم على إصباغ الشرعية على حكمهم ، عن طريق نقل الخلافة إلى مصر وقد ساعدتهم الظروف السياسية آنذاك على ذلك ، فلم تمض مدة زمنية قصيرة حتى قضى التتار على « المستعصم » ؛ آخر خليفة عباسي في بغداد^(١) ، فلجأ إلى مصر عمّ له ، هو « المستنصر بالله » ، فأسرع السلطان الملك الظاهر بيبرس بإعلان خلافة المستنصر هذا في عام (٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م)^(٢) ، فبقيت الخلافة العباسية في مصر إلى وقت مجيء العثمانيين .

ولكن نظام الخلافة العباسي هذا نشأ ضعيفاً ، يدرك ذلك من خلال وصف السيوطي للخليفة بأنه أمير في حاشية السلطان ، وللسلطان حجب الخليفة وعزله^(٣) .

أما المقرئ فيقول : حسبته أن يقال له : أمير المؤمنين^(٤) .

فكان عملهم الأول والأخير إصباغ الشرعية على حكم السلاطين والأمراء التابعين لهم ، أو حتى ملوك الإسلام من أصدقاء دولتهم^(٥) .

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ط ١ ، مطبعة السعادة ، مصر : ١٩٥٢) ص ٤٦٤ .

(٢) المقرئ ، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تصحيح محمد مصطفى زيادة (ط . دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ م) ج ١ - ق ٢ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .

(٣) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٨٠ ، ٤٨٦ ، ٥٠٤ .

(٤) المقرئ ، الخطط : ٢ / ٢٤٢ (ط . دار صادر ، بيروت : د . ت .) .

(٥) محمد ماهر حمادة ، الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي ، (نشر مؤسسة =

وقد عاصر السيوطي من حكم دولة المماليك في مصر دولة « الجراكسة » أو « الشراكسة » (٧٨٤هـ - ١٣٨٢م / ٩٢٣هـ - ١٥١٧م) . وهي كلمة تبدو من أصل روسي ، تعني موطنهم الذي كانوا يجلبون منه في القوقاز بجوار بحر قزوين ، وإن عرفوا أيضاً بالمماليك البرجية ، لأنهم كانوا يسكنون أبراج القلعة^(١) ، حينما قاموا بانقلاب عسكري على دولة المماليك السابقة لدولتهم التي كان غالبية ممالكها من عنصر التركمان المجاورين لموطنهم وكانوا يسكنون في جزيرة السروضة ، فعرفوا بالمماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م) .

ومع ذلك فإن المماليك الجراكسة هم امتداد للمماليك البحرية ، وقد استمرت دولتهم إلى وقت مجيء العثمانيين سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)^(٢) .

وقد عاصر السيوطي من السلاطين الجراكسة ثلاث عشر سلطاناً هم :

١- الظاهر سيف الدين جقمق العلائي (٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م) .

٢- المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق (٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) .

٣- الأشرف سيف الدين إينال (٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٥٣-١٤٦١م) .

= الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٠م) ص ١٧ ، ونظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ص ٣٢-٤١ :

(١) المقرئزي ، الخطط ، ٢/ ٢٤١ ، إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار ، (المطبعة الأميرية ، مصر : ١٣١٠هـ) ٢/ ١٧٨ ، أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (نشر مكتبة النهضة الإسلامية القاهرة : ١٩٧٨م) ٥/ ٢٢٦ ، وعلي مبارك باشا ، الخطط التوفيقية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) (القاهرة : ١٩٨٠م) ١/ ١١١ .

(٢) زامبور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة ركي حسن ، وحسن محمود (ط . دار الرائد العربي ، بيروت : ١٩٨٠م) ص ١٦٣-١٦ ، وستانلي لين بول ، الدول الإسلامية : ١/ ١٧٥-١٧٦ ، وانظر موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية : ٥/ ٢٠٢-٢٠٤ .

- ٤- المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال (٨٦٥هـ / ١٤٦١م) .
 - ٥- الظاهر سيف الدين خشقدم الناصري (٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦١-١٤٦٧م) .
 - ٦- الظاهر سيف الدين بلباي (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) .
 - ٧- الظاهر أبو سعيد تمرغا الناصري (٨٧٢هـ / ١٤٦٧-١٤٦٨م) .
 - ٨- الأشرف سيف الدين قايتباي (٨٧٣-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦) .
 - ٩- الناصر ، ناصر الدين محمد بن قايتباي (٩٠١-٩٠٤هـ / ١٤٩٦-١٤٩٨م) .
 - ١٠- الظاهر قانصوه بن قانصوه (٩٠٤-٩٠٥هـ / ١٤٩٨-١٥٠٠م) .
 - ١١- الأشرف جانبلاط (٩٠٥-٩٠٦هـ / ١٥٠٠-١٥٠١م) .
 - ١٢- العادل سيف الدين طومانباي (٩٠٦هـ / ١٥٠١م) .
 - ١٣- الأشرف قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ / ١٥٠١-١٥١٦م)^(١) .
- وكان في مصر إلى جانب سلاطين المماليك خلفاء عباسيون ، تعقد لهم البيعة ويكتب لهم عهد بالخلافة ، ومذهب الخلافة هذا مذهب صوري ، إذ ليس للخلفاء أي سلطة فعلية ، إلا أنهم يحضرون تولية كل سلطان جديد ويعقدون له البيعة ، ويفوضون إليه إدارة البلاد . وقد يتولون ترشيح القضاة ، ويحضرون المجالس التي يعقدها السلطان لبحث الشؤون الطارئة التي تقتضي اتخاذ تدابير معينة قد لا يستطيع السلطان أن يتحمل مسؤوليتها وحده .

(١) انظر تاريخ . هؤلاء السلاطين وأحوالهم في حسن المحاضرة ، للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ١ ، عيسى البابي الحلبي ، مصر : ١٩٦٧م) ١٢٢/٢ وما بعدها . تاريخ الخلفاء : ٥١٣-٥١٦ ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ، للسيوطي ، تحقيق د . فليب حتي (ط المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك ١٩٢٧م) ص ٤٠ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، وعصر سلاطين المماليك . محمود رزق سليم : ٧٨-٤٩/١ .

وقد ذكر ابن إياس حادثة لو هن الخليفة في حوادث سنة ٩٠٢ هـ ، حصلت مع السيوطي نفسه ، وهي أن الخليفة المتوكل أراد أن يسند إلى السيوطي رتبة الولاية العامة على جميع القضاة ، فنارت ثائرة القضاة جميعاً ضده واستخفوا عقل الخليفة ، وكان فيما قالوه للخليفة : « ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ، ولا ولاية ولا عزل » ، واشتدوا عليه حتى رجع عما عزم عليه ^(١) .

وقد عاصر السيوطي من هؤلاء الخلفاء خمسة هم :

١- المستكفي (سليمان بن المتوكل) ٨٤٥-٨٥٤ هـ .

٢- القائم (حمزة بن المتوكل) ٨٥٤-٨٥٩ هـ .

٣- المستنجد (يوسف بن المتوكل) ٨٨٤-٨٥٩ هـ .

٤- المتوكل (عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل) ٨٨٤-٩٠٣ هـ .

٥- المستمسك (يعقوب بن عبد العزيز المتوكل) ٩٠٣ هـ / ٩١٥ هـ ^(٢) .

هذا وقد انتهت الخلافة العباسية في مصر بانتهاء دولة المماليك الجراكسة .

مما تقدّم يتبين أن وضع البلاد لم يكن مستقراً . وأن معظم سلاطين المماليك تولوا نتيجة القهر والغلبة ، فمنهم من لم يستمر في السلطة إلا ثمانية وخمسين يوماً (تمرغا) أو شهرين (بلباي) أو ثلاثة أشهر (طومانباي العادل) وغير هؤلاء مثل : الملك العزيز وجانبلاط وقانصوه خمسمئة ، وقد

(١) بدائع الزهور : ٣/ ٣٣٩ ، وانظر عصر سلاطين المماليك م ٤١/٢ .

(٢) انظر في أحوال هؤلاء الخلفاء : السيوطي ، تاريخ الخلفاء ص ٥١١-٥١٤ وسليم ، عصر سلاطين المماليك ٢/ ٤٥٣٧ . والضوء اللامع (ط مكتبة القدسي ، القاهرة) ٣/ ١٦٦ ، والسيوطي ، نظم العقيان ص ١٠٨ ، وانظر ما جرى مع الخليفة المتوكل عند ابن إياس ، في بدائع الزهور حوادث سنة ٩٢٢ هـ ، والضوء اللامع ٤/ ٢٣٦-٢٣٧ ، ليدل دلالة قوية على ضعف سلطة الخليفة .

نال الخلع ثمانية من هؤلاء السلاطين ، وقد قتل بعضهم خنقاً^(١) .
وليس صعباً على المرء أن يلحظ بذور الضعف السياسي في دولة المماليك
لأسباب كثيرة منها :

- ١- أن أصلهم ونشأتهم بقيا واضحين في الأذهان .
- ٢- وأن منهم من تقلد الحكم وهو غير أهل لذلك^(٢) إلا أنه برز في دولة
المماليك الجراكسة عدة ملوك استطاعوا أن يُسهموا في تعمير البلاد وتحسين
أحوالها والدفاع عنها ، فقد استطاع برقوق - مؤسس دولة الجراكسة - أن
يحافظ على مكانة مصر بين الممالك المجاورة ، وعمل على توسيع رقعة البلاد
المصرية وخطب باسمه في أماكن لم يخطب فيها لأحد من ملوك مصر قبله
كالموصل^(٣) ، وماردين^(٤) ، وسنجار^(٥) ، وفي دُوركي^(٦) ، وأرزَنكان^(٧) ،
من بلاد الشرق ، وضربت للسكة النقود باسمه في هذه الأماكن^(٨) .

-
- (١) ابن إياس ، بدائع الزهور ٣٤٩/٢ ، ٣٥١ ، ٣٩٥-٣٩٦ .
 - (٢) سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، (ط دار النهضة العربية
بيروت : ١٩٧٢م) ص ٢٢٩ .
 - (٣) بالفتح وكسر الصاد ، مدينة عظيمة مشهورة ، هي باب العراق ومفتاح خراسان ،
ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، (ط . دار صادر ، بيروت : ١٩٨٤م) ٢٢٣/٥ .
 - (٤) بكسر الراء والدال ، قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، وليس في الأرض أحسن
من قلعتها . معجم البلدان : ٣٩/٥ .
 - (٥) بكسر أوله ، وسكون ثانيه ، ثم جيم وآخره راء ، مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ،
قرية من الموصل ، معجم البلدان : ٢٦٢/٣ .
 - (٦) بضم الدال المهملة ، وسكون الواو ، وكسر الراء والكاف ، بعدها ياء النسبة من بلاد
الروم . صفى الدين البغدادي ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق
علي محمد البجاوي (نشر دار المعرفة ، بيروت : ١٩٥٤م) ٥٤٠/٢ .
 - (٧) أرزنكان أو أرزنجان ، بالفتح ثم السكون ، وفتح الزاي وسكون النون وجيم وألف
ونون ، وأهلها يقولون « أرزنكان » بالكاف ، وهي بلدة طيبة من بلاد أرمينية بين بلاد
الروم وخلاط . معجم البلدان : ١٥٠/١ .
 - (٨) بدائع الزهور : ج ١ ، ق ٢ ، ص ٥٣٤ ، وانظر : حكيم أمين عبد السيد ، قيام دولة =

ولما دخل تيمورلنك بغداد ، وواصل زحفه إلى البلاد الشامية ، خرج السلطان متوجهاً إلى البلاد الشامية لقتال تيمورلنك ، ولما بلغ السلطان أن تيمورلنك رجع إلى بلاده وتحقق من ذلك رجع السلطان إلى الديار المصرية ، ولم يقع بينهما قتال^(١) ، ويقال : إنَّ تيمورلنك لما بلغه موت الظاهر برقوق سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) فرح فرحاً شديداً وأعطى من بشره بذلك خمسة عشر ألف دينار^(٢) .

وتعدُّ أيام السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق من أهدأ سنوات حكم المماليك . وكانت مدة حكمه قرابة خمس عشرة سنة ، فقد تسلطن في يوم الأربعاء (تاسع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثمانمئة للهجرة / ١٤٣٨م) . وقد فاق ملوك عصره بالعلم والدين والعفة والجود^(٣) . وفي أيامه ولد الإمام جلال الدين السيوطي .

ويعدُّ السلطان الأشرف قايتباي من أفضل سلاطين الجراكسة ديناً وخلقاً وعلماً وتقى ورغبة في الإصلاح ، فقد كان وافر العقل ، شديد الرأي ، عارفاً بأحوال المملكة ، يضع الأشياء في محلها ، وعاش عمره كله وهو في عز وشهامة من حين توليه السلطنة يوم الإثنين (سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمئة للهجرة / ١٤٦٧م) إلى أن توفي يوم الأحد (سابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعمئة للهجرة / ١٤٩٥م) ، وتعدُّ الفترة التي حكم فيها قايتباي أطول

= المماليك الثانية (نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة : ١٩٦٧م) ص : ١٢٨ .

(١) بدائع الزهور : ج ١ ، ق ٢ ، ص ٤٦٩ ، وانظر علي مبارك باشا ، الخطط التوفيقية ١١٢ / ١ .

(٢) الشوكاني ، البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ، (مطبعة السعادة ، القاهرة : ١٣٤٨هـ) ١ / ١٧٤ . وانظر قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢٩ .

(٣) السخاوي ، الضوء اللامع : ٣ / ٧١-٧٤ ، وانظر السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ص ١٠٣ ، وحسن المحاضرة : ٢ / ١٢١ .

فترة حكم سلطان مملوكي ، فقد كانت مدة سلطته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين عاماً وأربعة أشهر وواحدًا وعشرين يوماً . وهذه المدة لم تتفق لأحد من ملوك الترك قبله^(١) .

وهو أول السلاطين الذين عاصرهم السيوطي وقد أثنى عليه عندما ترجم له في تاريخ الخلفاء وغيره وذكر أنه سار في المملكة بشهامة وصرامة ما سار بها قبله ملك من عهد الناصر ابن قلاوون^(٢) .

وكان السلطان قانصوه الغوري آخر السلاطين الذين عاصرهم السيوطي ، وقد تولى الحكم بعد انتشار الفتن والاضطراب وتوالي السلاطين ، وكثر الخلع والقتل فبعد خلع الملك العادل « طومانباي » سنة (٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م) وهروبه لم يقدم أحد على السلطنة ، فاجتمع الأمراء وأرباب الدولة وتداولوا فيمن يليق للمنصب فاتفقوا على أن يولّوه قانصوه الغوري ، لأنهم وجدوه لئيم العريكة سهل الإزالة ، فعرضوا عليه الأمر فقال : لا أقبل إلا بشرط ألا تقتلونني ، ومتى أردتم خلعي فأخبروني ، وأنا أوافقكم وأنزل لكم عن الملك ، فعاهدوه على ذلك^(٣) وتسلمن في (يوم الإثنين مستهل شوال سنة ست وتسعمئة للهجرة / ١٥٠٠ م) بعد رفضه وامتناعه وبكائه^(٤) ، ولكن سرعان ما ثبت

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور : ٣ / ٣٢٤-٣٢٥ ، وانظر الضوء اللامع : ٦ / ٢٠١ ، وابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار من ذهب . (نشر المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت) ٨ / ٩ ، وحسن المحاضرة ، ٢ / ١٢٢ ، وتاريخ الخلفاء ، ص ٥١٤ .

(٢) تاريخ الخلفاء : ٥١٤ ، نظم العقيان : ١٠٤ .

(٣) عبد الله الشرقاوي ، تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين ، على هامش الواقدي ، فتوح الشام ، (المطبعة الأزهرية ، القاهرة : ١٣٠٢ هـ) ١ / ١٦٤ ، وانظر إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار : ٢ / ١٨٨ .

(٤) بدائع الزهور : ٤ / ٥ ، والغزي ، الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة ، تحقيق جبرائيل جبور (نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ١ / ٢٩٥ .

قدميه ، وكبح من تسلط الأمراء ، وقويت هيئته^(١) .

واستمر الغوري في الحكم إلى سنة (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) ، وحاول أن يحافظ على سلطنة المماليك وهيئتهم ، فجهز جيشاً كبيراً لصد الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم خان الأول ، فالتقى الجيشان في موقعة مرج دابق شمالي حلب وكانت الكسرة في النهاية على عسكر مصر ، فلما رأى السلطان ذلك أراد أن يرجع إلى حلب فسقط من أعلى ظهر فرسه وتوفي في تلك الساعة وهو ملقى على الأرض وكان آخر العهد به ، ولم يوقف له على أثر .

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً . يقول ابن إياس : فكانت هذه المدة على الناس كل يوم منها كآلف سنة مما تعدون^(٢) .

ولكن لا يخلو الرجل من بعض المحاسن إلا أن مساوئه أكثر من محاسنه ، ولولا ظلمه وكثرة مصادراته للرعية وحبه لجمع الأموال لكان خيار ملوك الجراكسة ، وقد عد من مساوئه أنه كان يضع يده على أموال التركات الأهلية ويأخذ مال الأيتام ظلماً ، ولو كان للميت أولاد ذكور وإناث فيمنعهم من ميراثهم ، ويخالف أمر الشرع الشريف^(٣) .

ولكن لما توفي الإمام السيوطي وبلغ السلطان قانصوه الغوري موته قرأ الفاتحة لأجله^(٤) وقال : « لم يقبل الشيخ منا شيئاً في حياته ، فنحن لا نتعرض

(١) شذرات الذهب : ١١٣/٨ ، البدر الطالع : ٥٥/٢ ، وانظر بدائع الزهور : ٨٦/٥ .
ومحمود رزق سليم ، الأشرف قانصوه الغوري : ط الدار المصرية للتأليف
والترجمة ، سلسلة أعلام العرب ، ص : ٣٥ .

(٢) بدائع الزهور : ٨٧/٥ ، وانظر البدر الطالع : ٥٥/٢ ، وعبد القادر العيد روسي ،
النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٥م)
ص : ١٠٧ ، شذرات الذهب : ١١٣/٨ ، والخطط التوفيقية : ١٣٠/١ .

(٣) بدائع الزهور : ٩٠-٨٨/٥ .

(٤) عبد الوهاب عزام ، مجالس السلطان الغوري ، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، =

لتركته بعد وفاته»^(١) . وقد عد هذا من كرامات السيوطي ، لأن الزمان الذي توفي فيه السيوطي قد كان زمن جور وأخذ أموال الأحياء فضلاً عن الأموات^(٢) .

وبعد أن تمّ الأمر للسلطان سليم في البلاد الشامية ، توجه إلى مصر ، فدخل القاهرة بعد مناوشات عنيفة بينه وبين المماليك بقيادة الأشرف طومان باي الذي اختاره أمراء المماليك ملكاً للبلاد بعد أن تأكدوا من هلاك الغوري . وبعد القبض على الأشرف طومانباي أمر به السلطان سليم فشنق على باب زويلة ، وأقام ثلاثة أيام وهو معلق على الباب^(٣) ، وبذلك انتهت دولة الجراكسة ، وأصبحت مصر ولاية تابعة للسلطنة العثمانية^(٤) وإنّ أبرز ما يميز عصر المماليك الجراكسة هو الاضطراب السياسي الداخلي الذي كان سبباً مهماً في تحطيمها والقضاء عليها ، إضافة إلى انعدام النظام وكثرة المنازعات والفتن والمنافسات بين طوائف المماليك الذي كان سبباً مهماً في انهيار دولتهم .

والناظر في تاريخ تلك الفترة يرى معظم سلاطين المماليك قد خلعوا من الحكم خلعاً ، بل إن الملك برقوفاً نفسه - وهو مؤسس دولة الجراكسة - قد خلع من السلطنة في جمادى الثانية سنة إحدى وتسعين ، وسجن بالكرك ثم أعيد إلى السلطنة مرة أخرى بعد أن خلع الملك المنصور حاجي بن الأشرف شعبان^(٥) .

= القاهرة : ١٩٤١م) ص ٧٥ من الكتاب الأول .

(١) عبد القادر الشاذلي ، بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين السيوطي ، نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة تشسترتي رقم (٤٤٣٦) عن نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية في الكويت رقم (١٦٧٠) ق : ٤٤ / أ .

(٢) م . ن . ق : ٤٤ / أ .

(٣) بدائع الزهور : ١٧٦/٥ - ١٧٧ . شذرات الذهب : ١١٥ / ٨ .

(٤) شذرات الذهب : ١١٥ / ٨ ، وانظر الشرقاوي ، تحفة الناظرين : (ط . مصر : ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) ١ / ١٦٧ .

(٥) حسن المحاضرة : ١٢٠ / ٢ ، وانظر تاريخ الخلفاء : ص ٥٠٤ والصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسن حبشي : ١ / ٢١٦ - ٢١٧ .

بل إن أحد سلاطين المماليك ظل سلطاناً مدى ليلة واحدة ، فسمع أن
خاير بك الدوادار اعتلى العرش سنة (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) بعد عزل تمرغا ،
وكان اعتلاؤه العرش في المساء وعزله في الصباح التالي ، وتسلم قايىباي^(١)
ومنهم من تسلمن وهو طفل رضيع لم يبلغ السنتين ، وخلع عن السلطنة ولم
يعها ، فيذكر ابن إياس أنّ الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن الملك المؤيد
ببيع بالسلطنة يوم موت أبيه بعهد منه يوم الإثنين تاسع المحرم سنة
(٨٢٤هـ / ١٤٢١م) وكان له من العمر لما تسلمن سنة وثمانية أشهر وسبعة
أيام ، ولم يقع لأحد من أبناء الملوك بمصر أن تسلمن وهو في هذه السن .

وفي سنة (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) خلع الملك المظفر وتسلمن ططر ، وكانت
مدة سلطته سبعة أشهر وواحد عشر يوماً ، يقول ابن إياس ، « فما كان
أغناه عن هذه السلطنة ، فما استفاد منها إلا الحول في عينيه - لما دقت الطبول
احتفالاً بسلطته - ثم سجن ومات وله من العمر إحدى عشرة سنة ولم يع أيام
سلطته »^(٢) .

أما تمرغا فكانت مدى إقامته في السلطنة ثمانية وخمسين يوماً ، ولم يعلم
من ملوك الترك من خلع في هذه المدة اليسيرة ، سوى الظاهر بلباي^(٣) إلا أن
أعنف التقلبات السياسة شهدتها دولة المماليك الجراكسة في أواخر حياة الإمام
السيوطي ، والتي تعد أواخر دولة المماليك ، ففي سنوات قليلة تولى السلطة
خمسة سلاطين ، ففي يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة
(٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) قتل السلطان الناصر أبو السعادات محمد بن الأشرف

(١) بدائع الزهور : ٤٧٤-٤٧٥ .

(٢) بدائع الزهور : ٦٣-٧٠ / ١٢٩ ، وانظر تاريخ الخلفاء ص : ٥٠٩ وخطط
المقريزي : ٢٤٣ / ٢ .

(٣) بدائع الزهور : ٤٧٦ / ٢ . وكانت مدة سلطته بالديار المصرية شهرين إلا أربعة أيام ،
انظر بدائع الزهور : ٤٦٥-٤٦٦ ، وتاريخ الخلفاء : ص ٥١٤ .

قايتباي ، وتولى السلطنة بعده خاله قانصوه ، وتلقب بالملك الظاهر أبي سعيد وذلك في يوم الجمعة سابع عشر ربيع الأول من سنة أربع وتسعمئة^(١) ثم تآمر عليه المقدّمون من أمراء المماليك فخلعوه وأسندوا السلطة إلى جانبلاط يوم الإثنين ثاني ذي الحجة سنة (٩٠٥هـ/١٤٩٩م)^(٢) ، ولم يمض على تولية السلطنة سوى نصف سنة وستة عشر يوماً حتى ثار عليه مساعدته الأيمن طومانباي فخلعه ، وتولى مكانه الحكم يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الآخرة^(٣) ، ولقب نفسه بالملك العادل ومكث في السلطة مدة يسيرة وهي مائة يوم ، وكانت مدة سلطنته كلها شروراً وفتناً مع قصرها ، يقول ابن إياس واصفاً عهده : « ولو دام في السلطنة لوقع منه أمور شتى وكان يقتل غالب الأمراء »^(٤) .

وفي عهده اختفى الإمام السيوطي خشية الفتك به من السلطان لما كان بينهما من حظ نفس وأمور ، وقد كان السيوطي شيخ الخانقاه البيبرسية^(٥) وقتئذ^(٦) . ولم يطل اختفاء شيخنا السيوطي كثيراً ، إذ خلع السلطان طومانباي وأسندت السلطنة إلى قانصوه الغوري في مستهل شوال سنة (٩٠٦هـ/١٥٠٠م) ، وفي هذا اليوم ظهر الشيخ جلال الدين السيوطي ، بعد أن كفاه الله

(١) بدائع الزهور : ٤٠٣/٣ ، شذرات الذهب : ٢٣/٨ .

(٢) بدائع الزهور : ٤٣٩/٣ ، شذرات الذهب : ٢٨/٨ .

(٣) بدائع الزهور : ٤٦٢/٣ .

(٤) بدائع الزهور : ٤٧٧/٣ .

(٥) من أجل الخوانق في القاهرة بنياناً وأوسعها مقداراً وأتقنها صنعة ، بناها الأمير بيبرس الجاشنكير عام (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) وقد ضمت من الصوفية عدداً كبيراً ناف عن الأربعمئة وكان لها أوقاف عديدة من الشام ومصر ، وكان يدرس فيها الحديث وغيره ، انظر المقرئزي ، الخطط ٤٢٥/٢ ، وحسن المحاضرة : ٢٧٦/٢ وسيمر فيما بعد تعريف الخونق وأنها بيت العبادة .

(٦) بدائع الزهور : ٤٧١/٣ .

مؤنته^(١) وكان من الطبيعي أن يصاحب هذه التقلبات السياسية والتغيرات المفاجئة في السلطنة توتر عام يسود البلاد ، تتخلله الفتن والاضطرابات فتنتهك الحرمات ، وتسلب الأموال ، ويعتدى على الأعراض ، وتدهام البيوت ، وقد يضطر الناس إلى ملازمة البيوت أياماً كثيرة خوفاً على أنفسهم بسبب الاضطرابات وانتشار القلاقل وكثرة المناوشات بين الفرقاء المتخاصمين ، وهذا ما فعله السيوطي فقد اعتزل الناس ولزم بيته وألف مقامته (اللؤلؤية) التي يصور فيها عصره فيقول : « . . أليس هذا زمان الصبر الصابر فيه كقابض على الجمر ، رأينا فيه ما أنذر به الرسول ﷺ . . وقد مرجت الأمانات والعهود ، وكثر القائلون بالزور والشهود ، وجم الاختلاف وقلّ الائتلاف ، وكذب الصادق ، وصدق الكاذب . . »^(٢) .

ويبدو أن السيوطي كان متأثراً كثيراً من حال زمانه لذلك نجده يكرر هذا المعنى في أكثر من وضع ، ففي آخر كتابه (الإيتقان) قال : وإيم الله ، إنَّ هذا لهو الزمان الذي يلزم فيه السكوت ، والمصير حُلُساً من أحلاس البيوت^(٣) . ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الفساد الداخلي ، بل كانت هناك اضطرابات خارجية أنهكت قوى الممالك كثورات أمراء سورية والحجاز وغارات البدو المتكررة^(٤) وغزوات المغول والهجمات الصليبية^(٥) وظهور البرتغال على

(١) بدائع الزهور : ٦٥/٤ .

(٢) السيوطي ، المقامة اللؤلؤية ، مطبوعة ضمن شرح مقامات السيوطي ، تحقيق سمير الدروبي (طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٩ م) ، ٨٥٠/٢ .

(٣) السيوطي ، الإيتقان في علوم القرآن ، قدم له وعلق عليه د . مصطفى البغا (طبع دار ابن كثير ، بيروت : ١٩٨٧ م) ١٢٩١/٢ وحلّس البيت ما ييسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، والجمع أحلاس ، ابن منظور ، لسان العرب : (ط الدار المصرية للتأليف والترجمة) ٣٥٥/٧ حلّس .

(٤) انظر على سبيل المثال : بدائع الزهور : ٤٥١/٢ ، ٨٢-٨١/٥ ، والخطط التوفيقية : ١٠٩/١ .

(٥) ابن حجر العسقلاني ، إنباء الغمر بأبناء العمر ، (نشر دار الكتب العلمية ، بيروت) =

الساحة السياسية ، إضافة إلى ازدياد قوة آل عثمان وقضائهم على دولة المماليك الجراكسة^(١) .

وسط هذه العواصف والاضطرابات السياسية ظهر الشيخ جلال الدين السيوطي فاستطاع أن يشق طريقه على الرغم من تلك الفوضى العارمة ، والفتن المتعاقبة التي زعزعت الدولة مما يصعب على الإنسان العادي أن يشق طريقه بأمان لأن كل ما حوله يدعو إلى الركود والكسل ، فالأمن غير مستتب ، والكوارث الطبيعية التي لا يمر عام إلا ويعمّ البلاد بلاؤها ، وظلم الحكام وكثرة مصادرتهم للأموال كل ذلك يحول دون الإبداع والتطور بل على العكس يدعو إلى الاختفاء والعزلة وهذا ما فعله شيخنا كما مر .

إن نبوغ السيوطي وأضرابه وسط هذه الظروف ليدل دلالة قوية على عبقرية أولئك النفر الذين كانوا نجوماً متألّثة خلال ذلك الظلام الدامس . ومما لا شك فيه أن الابتعاد عن الفتن والانعزال كان له كبير الأثر في ذلك الإنتاج الهائل من المؤلفات .



= ١٩٩/١ ، والخطط التوفيقية : ١١٢/١ ، سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص ١٨٠ .
(١) بدائع الزهور : ١٧٧-١٧٦/٥ .

الناحية الاجتماعية

اتصفت الحياة الاجتماعية في مصر عصر سلاطين المماليك بالفوضى والتفكك وانتشار الأمراض والأوجاع والأوبئة والطواعين ، بالإضافة إلى الفقر والفاقة ، وقد وصف المقرئ هذه الحالة خير وصف فقال : « .. الفقر والفاقة ، وقلة المال ، وخراب الضياع والقرى ، وتداعي الدور للسقوط ، وشمول الخراب .. وغلاء سائر الأسعار » ثم يقول : « .. تقلص ظل العدل ، وسفرت أوجه الفجور ، وكثر الجور عن أنيابه ، وقلت المبالاة ، وذهب الحياء والحشمة من الناس حتى فعل من شاء ما شاء .. »^(١) .

هذه باختصار خلاصة الحياة الاجتماعية في مصر ، يصورها لنا مؤرخ ناقد عاش تلك المحن ، وقاسى تلك الفتن التي كانت إيذاناً بنهاية دولة المماليك . ويمكنني تقسيم المجتمع أيام السيوطي إلى الطبقات التالية :

١- طبقة السلاطين والأمراء :

وكلها من المماليك ، وقد عاشت هذه الطبقة حياة أرستقراطية ، استأثرت بالحكم وتمتعت بخيرات البلاد ، وقد بقيت هذه الطبقة بعيدة عن أهل البلاد متميزة من غيرها . وقد تمتع المماليك بحظ كبير من الثراء يشهد بذلك الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في ذلك العصر^(٢) . ولقد اعتمد هؤلاء السلاطين على الإقطاع ، فقسمت الأراضي الزراعية ، ولم يبق لأفراد الشعب غير

(١) الخطط المقرئية : ١/٣٧٣ و ٢/٢٢١ .

(٢) سعيد عاشور مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٢٧ ، وانظر : محمد ماهر حمادة الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي ، ص : ١٥ .

زراعتها وتسليم محصولها للحكام^(١) . وكان من الطبيعي في ظل هذا النظام الإقطاعي أن يكون المجتمع في ذاك العصر مجتمعاً طبقياً في علاقاته واتجاهاته ، وهو الأمر الذي انعكس بوضوح على مظاهر الحياة كافة في مصر آنذاك .

٢- المُعَمَّمون من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتّاب :

وقد تمتع العلماء باحترام السلاطين لهم وإجلالهم وقد عاشوا في سعة وبسطة من الحياة نتيجة لما أغدقته الدولة عليهم من رواتب إضافة إلى المناصب العليا التي تقلّدوها ، مثل القضاء والحسبة والوزارة وغيرها . ومنشأ هذه السعة والبسطة ، أن المماليك أحسّوا دائماً بأنهم أغراب عن البلاد وأهلها وبأنهم في حاجة إلى دعامة يستندون إليها في حكمهم ، ويستعينون بها على إرضاء الشعب ، وطبيعي أنهم وجدوا هذه الدعامة في فئة العلماء بحكم ما للدين ورجاله من قوة وسطوة في النفوس .

وهذا الاحترام الذي حظي به العلماء في عصر المماليك جعلهم يعتدّون بأنفسهم ومكانتهم ويقفون في وجه الأمراء والسلاطين^(٢) .

٣- طبقة التجار :

من المعروف أن مصر قامت بنشاط كبير في التجارة بين الشرق والغرب في ذلك العصر مما أدى إلى إثراء التجار ، وجعلهم طبقة ممتازة إلى حد بعيد ، وقد أدرك سلاطين المماليك هذه الحقيقة ، وأحسّوا أن طبقة التجار دون غيرها هي المصدر الأساسي الذي يمدّ الدولة بالمال ولا سيما في ساعات الحرج والشدة ، ولذلك عمد سلاطين المماليك إلى تقريبهم ، وهكذا تمتع التجار باحترام كبير ومكانة بارزة في مختلف المدن في ذلك العصر ، ولكن مع ذلك

(١) قاسم عبده قاسم ، دراسات تاريخ مصر الاجتماعي عصر سلاطين المماليك (طبع دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ : ١٩٨٣م) ص : ١٩ .

(٢) سعيد عاشور ، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، (دار النهضة العربية ، القاهرة : ١٩٨٧م) ص : ٢٨ .

لم يخل الأمر من ظلم بعض الملوك والأمراء لهم ، وذلك بفرض الضرائب والسطو على خزائنتهم ومتاجرهم ، وهذا ما يؤكد ابن إياس ، ففي سنة (٩٠٧هـ/ ١٥٠١م) احتاج السلطان قانصوه الغوري بعض الأموال لمواجهة مطالب المماليك ، فبدأ يفرض مغارم جديدة على الناس ، وكانت النتيجة أن تعطلت حركة البيع والشراء في الأسواق وأغلقت أغلب حوانيت القاهرة^(١) .

وقد زاد الأمر سوءاً اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٨م) وانتقلت التجارة من الشرق إلى الغرب إلى هذا الطريق الجديد ، ولم تعد مصر المركز الرئيسي للتجارة ، مما أثر في سير الحياة الاقتصادية^(٢) .

٤- طبقة الفلاحين والعوام من أرباب الحرف والصناعات والسوق والباعة :

ولقد عاشت هذه الطبقة وأنواعها في ضنك وعسر بالقياس إلى غيرهم ممن سبقهم من علماء وتجار ، وكان حظهم من حكوماتهم الإهمال والاحتقار ، ولا أدل على ذلك من أن كلمة فلاح كانت تعني شخصاً ضعيفاً مغلوباً على أمره . ومما قاله ابن خلدون عن الفلاحة وأهلها : « إنها معاش المستضعفين ويختص أهلها بالمذلة »^(٣) . وهذا الحكم الذي أصدره يعبر عن نظرة معاصريه إليهم^(٤) .

وقد غلب على هذه الطبقة عدم تفاعلها مع الأحداث التي تجري من حولها ، فكانت سادرة ساكنة تستقبل عسف الحكام ، جامدة ، وتشهد أهواء

(١) بدائع الزهور : ١٦/٤ .

(٢) إبراهيم طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة ، (ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٦٠م) ص ٢٩١ ، وانظر أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي ، ٥/ ٢٦١ ، وأحمد حسين ، موسوعة تاريخ مصر ، ٢/ ٧٩٦ .

(٣) مقدمة ابن خلدون (ط دار الكتاب اللبناني ، بيروت) ص ٧٠٢ .

(٤) سعيد عاشور ، المجتمع المصري ، ص : ٥٠ .

السلاطين ، طروبة تهتف لكل باردة ، مما أدى إلى التساهل في الواجبات والمسؤوليات^(١) .

هذه - باختصار - هي أهم الفئات في المجتمع عصر سلاطين المماليك ، إنه مجتمع طبقي في اتجاهاته وعلاقاته ، إنما هو سلطان ورعية كما قال ابن خلدون^(٢) أي إن هناك طبقة حاكمة مسيطرة تمثل السادة من المماليك ، وطبقة من المحكومين المغلوبين على أمرهم يمثلون فئات أهل مصر جميعاً .

ومما زاد الأمر سوءاً أيضاً انتشار الرشوة في المجتمع ، بحيث أصبح لا يصل أحد إلى وظيفة أو عمل إلا بالأموال^(٣) ، حتى إن السيوطي عد من محاسن قايتباي أنه لم يول قاضياً ولا شيخاً بمال قط^(٤) .

هكذا كان حال المجتمع في ذلك العصر ، عصر اضطراب بالإضافة إلى ما حملته لهم الأيام من شدة وآلام ، وحدوث مجاعات في أحيان كثيرة ، مردّها إلى انخفاض منسوب المياه في نهر النيل ، مما أدى إلى تلف الحرث وجفاف الضرع وشح الأقوات ، وذبوح أويثة وطواعين ، وكثيراً ما يصف ابن إياس نهاية كل سنة بأنها خرجت عن فتن وشرو وضيّق ونكد ، وارتفاع أسعار وكثرة أمراض ، والقتل والظلم ، والأمر إلى الله^(٥) .

(١) محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المقرزية ، (نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٩٦٩م) ص ١٨٩-١٩٠ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة (ط ، مكتبة المثنى ببغداد) ص ١٦٦ .

(٣) الصيرفي ، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، ص ٢١٣ ، وانظر الضوء اللامع ١٢/٣ ، والمقرزي ، السلوك ٦١٨/٣ .

(٤) تاريخ الخلفاء : ص ٥١٤ . وقد نقل الدكتور أحمد عبد الرزاق أحمد في كتابه « البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك » (طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب) ص ٣٦ إجماع المصادر في ذلك العصر على اتهام الأشراف قايتباي بتعاطي الرشوة والانغماس فيها وما نقله ليس صحيحاً بدليل ما ذكره السيوطي سابقاً من ثنائه عليه .

(٥) انظر على سبيل المثال بدائع الزهور : ٢/٢٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣٢ ، ٤٥٠ ، ١٨/٣ ، ٣٧ ، ٧٢ ، ٢٠٥ ، ٢٨٥ ، ٣٧٥ ، ٤٢٤ ، ٤٧٤ ، ١٤/٤ ، ٣٠ ، ٧٩ .

الناحية العلمية

إذا كان هذا هو حال العصر من الناحية السياسية - فساد واضطراب - ومن الناحية الاجتماعية - تفكك وضياح - فإن الناحية العلمية فيه جاءت على غير ذلك - تقدم وازدهار - فقد ازدهرت الحركة العلمية في مصر عصر سلاطين المماليك ازدهاراً كبيراً ، فغدت البلاد محوراً لنشاط علمي متعدد الأطراف ، في حين تضاءلت أهمية المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي ، ويرجع السبب في ذلك إلى ما أصاب أنحاء العالم الإسلامي في العراق على أيدي المغول ، وفي الأندلس على أيدي الصليبيين ، زيادة على ما أصاب بلاد الشام من أضرار على أيدي الصليبيين والمغول جميعاً .

في وسط تلك الغمة التي أَلَمَّتْ بالوطن العربي منذ القرن السابع الهجري لم يجد علماء المشرق والمغرب بلداً عربياً آمناً تطيب لهم فيه الحياة سوى مصر التي غدت مركزاً للخلافة العباسية : « وصارت محل سكن العلماء ومحط رحال الفضلاء »^(١) فتمت في القاهرة مراكز العلم ، ودور المعرفة وانتشرت فيها المكتبات ، وازدهرت حركة العلم ، وأصبحت مصر ملاذ العلماء ومأوى طلبة العلم ، يتوافدون إليها من أطراف البلاد الإسلامية وانتقل عدد من العلماء إليها ، وظهرت في بلاد الشام ومصر مراكز ثقافية جديدة فكان لها دور مهم في الحركة الثقافية .

(١) السيوطي ، حسن المحاضرة ، ٩٤/٢ ، ولعل هذا الكلام من السيوطي يوافق الصواب إذا كان المقصود بالخلافة هو هذا المنصب الديني الرفيع ، والذي ينظر إليه نظر احترام وتقديس ، وقد عبّر عنه أحد المؤرخين بـ « الرمز الروحي الجليل » . انظر محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ٢٠/٢ .

ولم يمنع الاضطراب السياسي الداخلي الذي ساد مصر أيام المماليك من نشوء نهضة علمية ، كان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة الإسلامية وتطورها ، ولعل أغرب ما يروى في تاريخ الشرق هو ذلك التناقض الحاصل في دولة المماليك فقد امتزج الفساد والقسوة والوحشية بالرقى في الحضارة المادية والتقدم المعماري والفني والعلمي^(١) .

لقد أسهم سلاطين المماليك إسهاماً فعالاً في تنشيط حركة العلم والمعرفة فبنوا المساجد والمدارس والخوانق^(٢) ، وأنشؤوا خزانات الكتب ، وعيّنوا من يشرف على ذلك من العلماء والموظفين ، وأجروا عليهم المرتبات ، ومنحوا طلبية العلم المكافآت حتى غدت مصر في أيام المماليك ميداناً واسعاً لنشاط علمي كبير يدل عليه ذلك التراث الضخم من الموسوعات في شتى العلوم والفنون^(٣) . مما أدى إلى نشاط الحركة الثقافية تشجيع المماليك لها ، فلقد برز من بينهم سلاطين كان لهم اهتمام بالعلوم ولولع ببناء المدارس ومؤسسات التعليم ، وكان كثير من هؤلاء السلاطين ذوي ثقافة عالية ، شغوفين بالمجتمع المثقف والدراسات الأدبية والعلمية ، فالملك الظاهر حُشقدَم ، كان فصيح اللسان بالعربية ، يقرأ القرآن ، وله بعض اشتغال بالعلم مع أنه رومي الجنس من الأرناؤوط^(٤) . وكذلك الملك الظاهر تمرغا قال عنه ابن إياس « . . وكان

(١) انظر على سبيل المثال حسن الباشا وآخرين كتاب (القاهرة فنونها ، آثارها) لتري مدة عظمة الحضارة المعمارية في ذلك الوقت .

(٢) الخوانق : جمع خانقاه ، وهي كلمة فارسية معناها البيت ، والاسم مركب من كلمتين خوان وكاه ، فالخوان : مائدة الطعام ، وكاه : المكان ، فيكون الخانقاه مكان مائدة الطعام أو محل إطعام الطعام ، وقد أصبح خاصاً بالمتصوفين ، لأنهم يقيمون بين جدرانهم لا يفارقونه . المقرئ الخطط : ٤١٤/٢ ، وانظر تعليق الدكتور محمد مصطفى زيادة في حاشيته على السلوك ١٨٢/١ .

(٣) العصر المماليكي في مصر والشام ص ٢٣٠ .

(٤) بدائع الزهور : ٤٥٦/٣ ، وانظر الضوء اللامع : ٧٦-١٧٥/٣ .

عارفاً بصناعة الحساب القبطي والديواني فصيحا بقراءة القرآن ، وله اشتغال بالعلم^(١) .

أما الملك المؤيد فقد كان محباً للعلماء ، يقوم لهم إذا دخلوا عليه ، وكان منقاداً إلى الشرع ومشاركاً للفقهاء في مسائل الفقه والبحث معهم في ذلك ، متقناً لفن الموسيقى ، وكان ينظم الشعر ويقرب أرباب الفن^(٢) .

وكذلك الملك قايتباي ، فقد كان له اشتغال بالعلم ، كثير المطالعات في الكتب ، يعظم العلماء . وقال عنه ابن إياس « كان علامة في كل فن »^(٣) .

أما الغوري فقد كان ذا ذوق فني ومعرفة بالموسيقا ، أدبياً يفهم الشعر ، وله نظم باللغة التركية ، مغرمًا بقراءة التواريخ والسير ، ودواوين الأشعار^(٤) . وكان شديد الحرص على عقد المجالس العلمية والدينية بالقلعة وحضورها والمشاركة فيها^(٥) .

وقد أدرك سلاطين المماليك أنه لا شيء يقربهم ويوطد سلطانهم بين الناس إلا أن يعظموا الدين وأهله ، ويرفعوا من قدر العلم والعلماء فأسسوا المدارس ، وأرصدوا لها العلماء ، فهرع إليها الألوف من الطلاب ينهلون العلم من أصفى موارده ، ويدرسون الفقه على مختلف مذاهبه ، فكانت المدرسة الصالحية والصلاحية ، والظاهرية والناصرية والكاملية والبيبرسية والشيخونية والمؤيدية وغيرها .

(١) بدائع الزهور : ٤٧٦/٣ ، وانظر الضوء اللامع : ٤١/٣ .

(٢) بدائع الزهور : ٦١/٢ .

(٣) بدائع الزهور : ٣٢٦/٣ ، و ٣٢٥/٥ .

(٤) بدائع الزهور : ٨٩/٥ ، وانظر عبد الوهاب عزّام ، مجالس السلطان الغوري ، ص : ٣٩٣٨ . وجرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية . (ط . دار الهلال ، القاهرة) ١٣٨/٣ .

(٥) مجالس السلطان الغوري ، ص ٤٩ وانظر . سعيد عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص : ٢٧٤ .

وترغيباً في العلم وحذباً على أهله أقاموا الخوانق والرباطات وحبسوا عليها المال والضيايع ، من ذلك خانقاه شيخو ، وقوصون ، وسعيد السعدا ، والبيرسية وغير ذلك مما أورده السيوطي في « حسن المحاضرة »^(١) . والمقريري في « المواعظ والاعتبار »^(٢) . وغصت المدارس بخزائن الكتب ، وكان يعين لكل خزانة قيماً أو خازناً وكان يُختار لهذه المهمة رجل عالم أو فقيه^(٣) ، فابن حجر مثلاً كان خازناً للمكتبة المحمودية التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستاذار^(٤) ، سنة (٧٩٧هـ / ١٣٩٤م) ووقف عليها كتب ابن جماعة قال عنها المقريري : « ولا يعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها ، وبهذه الخزانة كتب الإسلام عن كل فن ، وهذه المدرسة من أحسن مدارس مصر »^(٥) . وبقي الإمام ابن حجر خازناً للمكتبة إلى أن توفي سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)^(٦) .

(١) انظر على سبيل المثال ٢/ ٢٦٠ ، ٢٦٥-٢٦٧ .

(٢) انظر الخطط المقريرية : ٢/ ٤١٥-٤١٦ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ .

(٣) سعيد عاشور ، المجتمع المصري . ص ١٤٦ .

(٤) هو محمود بن علي بن أصغر عينه السوداني ، جمال الدين الأستاذار في أيام الملك الظاهر برقوق ، جاء إلى حلب قبل أن يلي الأستاذارية ثم سافر إلى مصر ، وبنى بالقاهرة مدرسة خارج باب زويلة ، ووقف عليها كتب ابن جماعة التي اشتراها بعد موته وهي كثيرة جداً ، وكان فصيحاً بالعربية والتركية والفارسية ، مات سنة (٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق (ط مطبعة المدني ، القاهرة : ١٩٦٧م) ٥/ ٩٧ . وانظر حسن المحاضرة ١/ ٤٧٢ ، وشذرات الذهب : ٦/ ٣٦٢ .

(٥) الخطط : ٢/ ٣٩٧-٣٩٥ .

(٦) الضوء اللامع : ٢/ ٣٩ ، وللسيوطي رسالة سَمّاها « بذل المجهود في خزانة محمود » نشرها المرحوم فؤاد سيد في مجلة معهد المخطوطات العربية في مصر ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٨م ، ص : ١٢٨ ، وانظر أيضاً شاعر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته وموارده في كتاب الإصابة ، (ط دار الرسالة ، بغداد : ١٩٧٦م) ١/ ٢٥٠-٢٥١ .

وكان العلامة شمس الدين محمد بن سعد أحد شيوخ السيوطي مقيماً بالخانقاه الشيخونية وهو خازن كتبها ، قال عنه في نظم العقيان : « كان عالماً بالفنون مشهوراً بالصلاح ، متصدياً لنفع الطلبة »^(١) .

وخير ما يدل على ازدهار الحياة العلمية في عصر المماليك هو عظم الثروة العلمية التي وصلتنا من ذلك العصر بالذات ، وما زالت دور الكتب في بعض أنحاء العالم مشحونة بمئات المخطوطات التي ترجع إلى عصر سلاطين المماليك بمصر والتي تناولت معظم ألوان المعرفة : الأدب والتاريخ والجغرافية والعلوم الدينية والطب والفلاحة والمعارف العامة وغيرها ، مما يدل على أن هذا العصر شهد نشاطاً علمياً فائقاً لم يشهد مثله في عصر آخر^(٢) .

وإنَّ المتتبع للنشاط العلمي في هذا العصر يجد نفسه أمام ثروة علمية واسعة تتمثل في تلك الجماهرة الكبيرة من أساطين العلم والمعرفة الذين برزوا في هذه الحقبة .

وإن الباحث ليستطيع أن يقرر أنَّ عصر المماليك كان العصر الذهبي لبلاد الشام ومصر في جميع النواحي العلمية والفنية والعمرانية والسياسية بغض النظر عن تلك الاضطرابات التي سادت عصورهم ، بل أستطيع أن أقول : إنَّ هذا العصر من حيث النشاط العلمي لا يقل أهمية عن العصور الإسلامية الزاهية أيام الدولة العباسية .

هذا ومما يدعو إلى الاستغراب أن بعض الباحثين^(٣) عدَّ عصر المماليك « عصر جمع وشرح وتفسير ، لا عصر إبداع واستنباط وإنه عصر جمود عقلي وسياسي ، واشتغل المتأدبون فيه بتوافه الأمور »^(٤) .

(١) نظم العقيان ص ١٤٩ .

(٢) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٢٧٥ .

(٣) فيليب حتي ، مقدمة نظم العقيان ، ص : خ ، ط .

(٤) فيليب حتي ، م . ن السابق .

ولا أدري كيف حكم هذا الباحث على ذلك العصر بهذا الحكم ،
والمؤلفات والمصنفات التي أنتجت في ذلك العصر شهادة على عكس ذلك ،
حتى أنه عُدَّ ذلك العصر عصر إحياء التراث العربي وتجديده^(١) ، وخير دليل
على ذلك مؤلفات السيوطي نفسه ، وإن مجرد حفظ التراث السابق هو دليل
صحة في الحركة الفكرية ولا شك أن الإبداع ضروري وأساسي في الحكم على
الحركة الثقافية .

وذهب بعض الباحثين أيضاً إلى القول بأن مصنفات هذا العصر يبدو عليها
قلة الغناء لأن الناس فيه يبهرهم دائماً الابتكار ، ولو كان تافهاً لا غناء فيه^(٢) .
ولكننا لو دققنا النظر في مؤلفات ذلك العصر لوجدنا فيه مؤلفات تعد من أعظم
ما ألف في العربية في عصورها كافة « كمقدمة ابن خلدون » المتوفى سنة
(٨٠٨هـ/١٤٠٥م) التي تعد ابتكاراً تأليفاً جديداً ، ضمَّنه مؤلفه الأسس
العامة لعلم الاجتماع^(٣) . وكتاب « حياة الحيوان » للعلامة محمد موسى
الدميري المتوفى سنة (٨٠٨هـ/١٤٠٥م) . و« القاموس المحيط » لمجد
الدين الفيروز آبادي (ت ٨١٦هـ/١٤١٣م) وكتاب « الخطط المقرئية »
لأحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) الذي يضرب به المثل في
كتب الخطط والآثار التي جمع فيها مؤلفها بين الجغرافيا والتاريخ والآثار ،

(١) انظر شوقي ضيف ، عصر إحياء التراث العربي وتجديده ، بحث قيم ، نشر في مجلة
« المجلة » عدد رقم ١٢٢ ، شباط سنة ١٩٦٧م ، ص : ٨ .

(٢) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، بتصرف يسير . (٢م ، ٢ق ، ٣ج ،
ص ١٢٠) وانظر أيضاً محمد العروسي المطوي ، جلال الدين السيوطي (نشر جمعية
الاتحاد الثقافي لعمل قابس) ص : ٨ . وقد ذكر الأستاذ شحاتة عيسى إبراهيم في
كتابه « القاهرة ، تاريخها نشأتها . » ص ١٧١ أن الحركة العلمية في عهد المماليك لم
تتميز بالابتكار ، والكشف والاختراع ، وأن المؤلفين سلخوا أيسر السبل ولم يتكلفوا
العناء والجهد .

(٣) عصر إحياء التراث العربي ، ص ١٣ .

« فكلامها عبارة عن جغرافية تاريخية »^(١) .

وثمة ظاهرة امتازت بها الحياة الفكرية في عصر سلاطين المماليك هي الإقبال الشديد على تأليف الموسوعات الضخمة التي تحوي على معلومات متباينة ، فبالإضافة إلى كتاب « صبح الأعشى » لأبي العباس أحمد بن علي الفلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) الذي يعد من أعظم الموسوعات الأدبية ، هناك كتاب « نهاية الأرب في فنون الأدب » للنويري (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ، وهو موسوعة كبيرة تقع في ثلاثين مجلداً وتنف ، أما فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) فقد كتب موسوعته الشهيرة « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » وتقع في بضعة وعشرين مجلداً ، إلى غير ذلك من الكتب التي لا مجال لذكرها هنا ، وسيرى القارئ عند الحديث عن مؤلفات السيوطي أثر هذه النزعة الموسوعية في مؤلفاته^(٢) . بل إن الإمام السيوطي نفسه كان يمثل موسوعة حية ناطقة جمعت علوم عصرها واستوعبتها ، فكان صورة لكل مظهر من مظاهر الحياة العقلية والأدبية والثقافية في عصره .

وهناك من يرى أن هذه الموسوعات كانت بسبب انصراف أصحاب القرائح عن الاشتغال في الفلسفة والفلك والرياضيات إلى البحوث الدينية بسبب ما توالى على الناس من المحن فالتجؤوا إلى الدين وعلومه وصارت العلوم في خدمة الدين^(٣) .

ولكن هذا الرأي غير صحيح ، لأن هناك بحثاً في الهندسة والنجوم

(١) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ٣ / ١٢٠ وانظر عصر إحياء التراث العربي ص ١٢ / ١٤ .

(٢) انظر مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٢٩٧ . حتى إن بعضهم أطلق على هذا العصر « عصر الموسوعات أو المجاميع » جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ١٢٥ .

(٣) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ٣ / ١٢٥ .

والفلك على يد شهاب الدين طيغنا القاهري (ت ٨٠٥هـ / ١٤٠٢ م) وبحوثاً في الزراعة والفلاحة على يد طيغنا الجركسي وهو من أهل القرن الثامن الهجري^(١) ، وسبق ذكر كتاب (حياة الحيوان) للدميري ، ومقدمة ابن خلدون . على أن الباحث في موسوعات عصر المماليك يجد أنها اتسمت بالصفات التالية :

١- حفظها للتراث الفكري ، واعتمادها على كتب تعد مفقودة في الوقت الحاضر .

٢- الشمول والاتساع ، ومراعاة التقسيم الموضوعي .

٣- الاجتهاد في العلوم الدينية لمواجهة ما طرأ على الحياة من امتزاج الثقافات وتبدل الأوضاع ومعالجتها لمشكلات حياتية مستجدة .

٤- تصحيح هفوات المصنفين القدامى ، وبروز النقد والتحليل والمقارنة كسمة من سمات تلك الموسوعات بشكل منظم منسق موثق بأيسر سبيل وأوضح طريق ولا شك أن اعتماد الباحثين عليها في الوقت الحاضر دليل أهميتها^(٢) .

وقد زخر العصر بطائفة من العلماء الذين أغنوا التراث الحضاري بمصنفاتهم وكان منهم مجتهدون اضافوا إلى الثقة الإسلامية شيئاً جديداً .

وحسبنا من مؤلفات هذا العصر ما تركه لنا جهابذة علمائه أمثال : صلاح الدين الصفدي ، والذهبي وابن تغري بردي والعيني والسخاوي وابن عربشاه وابن حجر والقسطلاني وابن إياس والسيوطي وغيرهم^(٣) . ويرى الدكتور

(١) مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٢٧٩ .

(٢) عمر موسى باشا، الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني ، (طبع جامعة دمشق) ١ / ٣٥-٣٩ .

(٣) انظر : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ٢٧٣-٢٧٩ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ٣ / ١٢٥ ، وما بعدها ، محمد مصطفى زيادة ، والمؤرخون في مصر الإسلامية =

شوقي ضيف أن عناية علماء ذلك العصر بالتراث العلمي والأدبي اتخذت
وسيلتين كبيرتين هما :

١- وسيلة إحياء التراث بعرضه عرضاً دقيقاً وشرحه وتفسيره .

٢- ووسيلة تجديده بما يضاف إليه من زاد علمي ومتاع أدبي ، حتى ليصبح
الوصف الدقيق لهذا العصر : إنه « عصر إحياء التراث العربي وتجديده »^(١) .



= في القرن الخامس عشر الميلادي ، (ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة : ١٩٥٤ م) ص ١٠٧-١١١ .

(١) شوقي ضيف ، عصر إحياء التراث العربي وتجديده ، عدد ١٢٢ ، شباط ، ١٩٦٧ م
ص ٩٨ .

الفصل الثاني

حياته

- ١- تمهيد في التعريف بأسويط .
- ٢- سيرته الذاتية .
- ٣- حياته العلمية .

حياة السيوطي

أسيوط

تمهيد :

أسيوط أو سُيُوط مدينة جليلة كبيرة تقع غربي النيل في صعيد مصر ، وهي أكبر مدن الصعيد وأهمها من الناحية التجارية ، وتقع على خط عرض ٢٧-١١ شمالاً^(١) . واختلفوا في ضبطها فضبطها السمعاني (ت٥٦٢هـ/١١٦٧م) « بضم الألف وسكون السين المهملة وضم الياء المنقوطة بنقطتين من تحت وفي آخرها طاء مهملة بعد الواو . ومنهم من يسقط الألف فيقول سيوط »^(٢) .

أما ياقوت (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) فقد ذكر أسيوط في موضعين أحدهما في حرف الهمزة فقال : « أَسْيُوط بالفتح ثم السكون ، وياء مضمومة وواو ساكنة ، وطاء مهملة ، مدينة في غربي النيل من نواحي صعيد مصر جليلة كبيرة »^(٣) .

والآخر في حرف السين فقال : « سَيُوط بفتح أوله ، وآخره طاء . كورة

(١) أحمد الشتاوي وآخران ، دائرة المعارف الإسلامية ، (ط . دار المعرفة ، بيروت) ٢٠١/٢ . ومحمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، (ط . القاهرة : ١٩٦٥م) ص ١٦٤ ومعجم البلدان : ١/١٩٣ ، مرصد الاطلاع : ١/٧٩ .

(٢) السمعاني ، الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن اليماني (ط ٢ ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت : ١٩٨٠م) ١/٢٦٢ . وانظر ابن الأثير ، اللباب في تهذيب الأنساب (ط . القاهرة : ١٣٥٧هـ) ١/٤٩ ، وأبو الفداء ، تقويم البلدان ، تحقيق رينود والبارون ماك كوكي ديسلان . (دار الطباعة السلطانية ، باريس : ١٨٥٠م) ص ١١٢ .

(٣) معجم البلدان : ١/١٩٣ ، وانظر السيوطي ، التحدث بنعمة الله ، تحقيق اليزابيث ماري سارتين (ط . المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة : ١٩٧٢م) ص : ١٣ .

جليلة من صعيد مصر . خراجها ستة وثلاثون ألف دينار أو زيادة»^(١) .

وذكر السيوطي «أسيوط وسيوط» في كتابه (لب الألباب) فقال :
«الأسيوطي بضم أوله والتحتية . وسكون السين إلى أسيوط ، ويقال :
«سيوط» بلد بصعيد مصر ثم قال : «فيها خمسة أوجه ضم الهمزة وكسرها
وإسقاطها وتثليث السين المهملة»^(٢) .

أما في المعاجم اللغوية فقد ذكر العلماء أسيوط وسيوط .

قال الصغاني في تكملة الصحاح في حرف السين : «وسَيوط بالفتح قرية
جليلة من صعيد مصر ، ويقال : أسيوط»^(٣) .

أما صاحب القاموس فقال : «سُيوط أو أسيوط» بضمها . قرية بصعيد
مصر»^(٤) .

قال الزبيدي : «أما المشهور على السنة العامة من أهلها ، «سَيوط»
كصبور وهو الذي أنكره شيخنا ، وعلى السنة الخاصة «أسيوط» بالفتح»^(٥) .
وجاء في دائرة المعارف الإسلامية «أسيوط» بفتح الهمزة هو الاسم الدارج
للأسم العربي «أسيوط» بضم الهمزة . وكلاهما تعريب للكلمة القبطية

-
- (١) معجم البلدان : ٣/٣٠١ . وانظر التحدث بنعمة الله ، ص ١٣ .
 - (٢) السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب . تحقيق بطرس جوهانز فبت
(ط ١٨٥٠م) ص ١٥ . وانظر ابن العماد ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (ط
دار الفكر ، بيروت) وفيات سنة إحدى وستين وثلاثمئة ، م ٢ ، ص ٣٩ . والفاسي ،
المنح البادية ، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٩٥١) ق ٣/أ .
 - (٣) الصغاني ، التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : عبد
العليم الطحاوي (ط دار الكتب ، القاهرة : ١٩٧٤م) ٤/١٤٠ «سيوط» .
 - (٤) الفيروز آبادي القاموس المحيط (ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٦م)
ص ٨٦٨ مادة «سيوط» وانظر : التحدث بنعمة الله ص ١٢ .
 - (٥) محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق عبد العليم
الطحاوي (ط مطبعة حكومة الكويت : ١٩٨٠م) ١٩/٣٩٥ «سيوط» .

« سيوت » ، وكان يطلق عليها في خطط القرون الوسطى « سُيوط » و« سَيوط » ولكن من عهد القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أصبح النطق الشائع « أسيوط » بفتح الهمزة^(١) .

وقد وردت اللفظتان (سيوط وأسيوط) في نسب الشيخ جلال الدين ، فتارة يسمى بـ « السيوطي » وتارة أخرى بـ « الأسيوطي » ، ولقد استعمل هو نفسه اللفظتين فذكر لفظ « الأسيوطي » عندما ترجم لنفسه في حسن المحاضرة ولفظ السيوطي عندما ترجم لوالده^(٢) .

وذكر في كتابه « التحدث بنعمة الله » « أن الوالد كان يكتب في نسبة السيوطي وغيره يكتب الأسيوطي ، وينكر كتابة الوالد » ويرد على ذلك السيوطي بقوله : « ولا إنكار بل كلا الأمرين صحيح »^(٣) .

وكانت مدينة « أسيوط » أو « سيوط » أو « ليكوبولس » - كما يقول اليونان - مدينة مهمة منذ القدم بسبب وقوعها على رأس عدة طرق للقوافل التجارية وبفضل وقوعها في أضييق بقاع وادي النيل الأكثر خصوبة^(٤) .

وقد اشتهرت هذه المدينة منذ القدم بحاصلاتها الزراعية وصناعاتها وتجاريتها ونقل السيوطي في كتابه (التحدث بنعمة الله) عن « أسيوط » فيها من صنوف التجارة وبساتين وكروم يسيرة ونخيل كثيرة . ولها سفرجل رطب طيب الطعم وقال : « وليس بأعمال مصر سفرجل إلا بها ، وكثرته تزيد على

(١) دائرة المعارف الإسلامية : ٢٠٢/٢ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٣٥/١ و ٤٤١/١ ، وانظر الضوء اللامع : ٦٥/٤ و ٧٢/١١ أما في كتابيه التحدث بنعمة الله ص ٥ ونظم العقيان في أعيان الأعيان ، ص ٩٥ ذكر الأسيوطي في ترجمة والده .

(٣) التحدث بنعمة الله ص ١٢ . وانظر بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين ، ق ٨/ ب .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية : ٢٠١/٢ .

كل بلد...^(١) . واختصت أسبوط بالشُّكْر والمنسوجات الكتانية المعروفة بالديقي المثلث ، والمنسوجات الصوفية الناعمة والسجاد ، وكانت أهم الصناعات فيها غزل الصوف والقطن والكتان وصناعة الفخار ، وكانت التجارة في هذه الصناعات ناشطة في مصر وخارجها^(٢) وجاء في معجم البلدان : « أن الدنيا صورت للخليفة هارون الرشيد فلم يستحسن منها إلا كورة أسبوط ، وبها ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض لو وقعت فيها قطرة ماء لانتشرت في جميعها لا يظماً فيها شبر »^(٣) .

ولجودة مناخها وجمال طبيعتها اتخذها أبو الجيش خُمارويه بن أحمد بن طولون^(٤) إحدى متزهاته^(٥) .

قال السيوطي : وأنشدت عن الجمال عبد الله بن الحافظ مغلطاي ، عن أبي الفتح الخيمي عن الحافظ أبي علي البكري قال : أنشدنا الفاضل بهاء الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالساعاتي^(٦) في ثاني شهر رمضان سنة

(١) التحدث بنعمة الله ص : ١٣ ، وانظر معجم البلدان : ١٩٣/١ . وتاج العروس : ٣٩٦/١٩ .

(٢) انظر معجم البلدان : ١٩٣/١ ، تاج العروس : ٣٩٦/١٩ ، دائرة المعارف الإسلامية : ٢٠٢/٢ .

(٣) معجم البلدان : ١٩٤/١ ، وانظر التحدث بنعمة الله ص ١٣-١٤ ، وتاج العروس ٣٩٦/١٩ ، والخطط المقرزية : ١٨٩/١ ، ونقل ذلك العيدروسي عن القزويني ، انظر النور السافر ص ٥٤ .

(٤) هو خُمارَوْه بن أحمد بن طولون التركي ، أبو الجيش ، صاحب مصر والشام ، ولي بعد أبيه وله عشرون سنة ، وكان بطلاً شجاعاً جواداً ، مبذراً ، مسرفاً على نفسه قتله مماليكه سنة (٢٨٢هـ/٨٩٥م) : النجوم الزاهرة : ٦٥-٤٩/٣ وسير أعلام النبلاء : ٤٤٨-٤٤٦/١٣ .

(٥) معجم البلدان : ١٩٤/١ وانظر التحدث بنعمة الله ص ١٤ ، وتاج العروس ٣٩٧/١٩ .

(٦) هو أحمد بن الوليد بن عبس ، أو بشر الأسبوطي ، يروي عن أبي الزنباغ ، توفي بسبوط (سنة خمس وثلاثين أو أول سنة ست وثلاثين وستمئة هـ/١٢٣٧م) . =

ثلاث وستمئة : (الكامل)

لله يَوْمٌ فِي سَيَّوْطٍ وَلَيْلَةٌ صَزَفُ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا لَا يَغْلَطُ
يَتَنَّا بِهَا وَاللَّيْلُ فِي غُلَّوَائِهِ وَلَهُ بُنُورُ الْبَدْرِ فَرَعٌ أَشْمَطُ
الطَّلُّ فِي تِلْكَ الْغُصُونِ كُلُّوْلُ رَطْبٌ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالطَّيْرُ تَقْرَأُ وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ وَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْغَمَامُ يُنْقَطُ^(١)

والذين عرفوا بالسيوطي أو الأسيوطي - غير صاحبنا - كثيرون ، فمن رواة الحديث أبو بشر أحمد بن الوليد الأسيوطي ، وأبو علي الحسن بن الخضر الأسيوطي . صاحب النسائي وراوي « سننه الكبرى »^(٢) . ومن الذين نسبوا إليها أيضاً الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق الأسيوطي ثم القاهري الشافعي المنهاجي ، ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وثمانمئة بأسيوط ونشأ بها^(٣) ، له كتاب « إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى »^(٤) .

= السمعاني في الأنساب : ٢٦٣/١ وانظر التحدث بنعمة الله ص : ١٥ .

(١) السيوطي، المقامة الأسيوطية (ضمن شرح مقامات السيوطي) تحقيق سمير الدروبي (ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٩م) ٢٣٥-٢٣٦ التحدث بنعمة الله ص ١٤ وانظر معجم البلدان ٣/٣٠١ ، وتقويم البلدان ص ١١٣ . وانظر : الخوانساري ، روضات الجنات : ٤٣٦ .

(٢) ذكره السيوطي في التحدث بنعمة الله ص ١٥ ، وحسن المحاضرة ١/٣٧٠ ، وقال : روى عن النسائي والمنجنيقي ومات في ربيع الأول سنة (٣٦١هـ / ٩٧١م) وانظر ترجمته في الذهبي ، العبر في خبر من غير ، تحقيق محمد السعيد زغلول (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - ١٩٨٥م) ١١١/٢ وشذرات الذهب ٢/٣٩ ، والأنساب ٢٦٣/١ ومعجم البلدان : ١/١٩٣ وفيه أبو علي الحسن بن علي بن الخضر بن عبد الله الأسيوطي (ت ٣٧٢هـ / ٩٨٢م) .

(٣) الضوء اللامع : ١٣/٧ .

(٤) وقد طبعت ترجمة لقسم من هذا الكتاب باللغة الإنكليزية ونسبت خطأً لجلال الدين السيوطي ، انظر معجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف إليان سركيس (نشر مكتبة الثقافة الدينية ، بمصر) ١/١٠٨٦ ، والزركلي ، الأعلام (ط ، دار العلم =

ومنهم كذلك قاضي القضاة ولي الدين أحمد بن أحمد بن عبد الخالق الأسيوطي أبو الفضل ولد سنة ثلاث عشرة وثمانمئة وتوفي سنة إحدى وتسعين وثمانمئة ولي قضاء القضاة بالديار المصرية وأقام فيه ما يزيد على ست عشرة سنة ، والناس عنه راضية^(١) . ونسب إليها من الأدباء والنحاة والشعراء أسعد بن المذهب^(٢) وعبد الحميد بن عبد المحسن^(٣) الأسيوطيان من شعراء الخريدة ، وغيرهما^(٤) .

وولي قضاها أئمة ، منهم الإمام نجم الدين أحمد بن محمد القمُولي^(٥) صاحب الجواهر والبحر المحيط في شرح الوسيط ، والإمام نور الدين بن

= للملايين ، بيروت : ٣٣٤/٥ .

(١) بدائع الزهور : ٢٢٥/٣ ، الضوء اللامع : ٢١٠/١ ونظم العقيان : ٣٥ .

(٢) هو القاضي الأسعد ، أبو المكارم ، أسعد بن الخطير ، أبي سعيد مذهب بن مينا بن زكريا بن قدامة بن أبي مليح مَناتي المصري ، الكاتب الشاعر كان أحد شعراء الدولة الصلاحية ، له أدب بارع ، وخاطر وقاد مسارع (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، (دار إحياء التراث العربي د. ت. ١٠٠/٦ ، القفطي ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط دار الكتب المصرية ، القاهرة - ١٩٥٠م) ٢٣١/١ ، حسن المحاضرة : ٥٦٥/١ ، شذرات الذهب : ٢٠/٥ .

(٣) هو أبو القاسم عبد الحميد بن عبد المحسن بن محمد السكتامي المقيم بأسيوط الصعيد من أدباء أسيوط ، وهو بالعلم مغتبط مغبوط ، العماد الأصفهاني ، خريدة القصر وجريدة العصر ، (نشر أحمد أمين ، شوقي ضيف ، وإحسان عباس ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة : ١٠٥٢م) ١٩٦/٢ .

(٤) انظر التحدث بنعمة الله : ص ١٦ .

(٥) هو الشيخ نجم الدين أبو العباس ، أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي بن ياسين القمُولي كان من الفقهاء المشهورين ، والصلحاء المتورعين ، تفقه وتمهّر وناب في الحكم بمصر وولي الحسبة ودرس بالفخرية وكان قبل ذلك قد ولي قضاء قوص : (مدينة كبيرة واسعة قصبة صعيد مصر ، معجم البلدان : ٤١٣/٤) ثم أخميم : (بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد معجم البلدان : ١٢٣/١-١٢٤) . ثم أسيوط =

إبراهيم بن هبة الله الأسنائي ، صاحب مصنفات في الفقه والأصول والنحو^(١) ، ونجم الدين الفتح بن موسى القصري ، صاحب نظم «المفصل»^(٢) وغيره ، وأئمة آخرون^(٣) .

= وغيرها ، مولده سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) ومات يوم الأحد ثامن رجب سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٦م) وسبع وعشرين وسبعمة . وهو من أبناء الثمانين . وقمّولا : بفتح القاف وضم الميم وإسكان الواو بلدة في البر الغربي من عمل قوص ، انظر ترجمته في ابن حجر ، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (ط دار الجيل بيروت) ٣٠٤/١ السبكي ، طبقات الشافعية ، تحقيق محمود الطناني وعبد الفتاح الحلو (ط١ عيسى البابي الحلبي ، مصر: ١٩٧٤م) ٩/٣٠ الأسنوي ، طبقات الشافعية تحقيق كمال يوسف الحوت (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت: ١٩٨٧م) ٢/١٦٩ . ابن كثير البداية والنهاية ، تحقيق د . أحمد أبو ملحم وآخرين (ط٣ دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٧م ، ٧م ، ج١٤ ، ص١٣٦ . الطالع السعيد ، الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد ، للأدفوي (ط المطبعة الجمالية ، مصر ١٩١٤م) ص٦٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (نشر وزارة الثقافة بمصر ، سلسلة تراثنا) ٨/٢٧٩ ، السيوطي ، بغية الوعاة : ١/٣٨٣ ، وشذرات الذهب : ٦/٧٥ .

(١) هو نور الدين ، إبراهيم بن هبة الله بن علي بن الصنيعة ، الحميري الأسنائي الفقيه الشافعي ، ولد بأسنا من بلاد الصعيد وولي القضاء بأخميم وأسيوط وقوص وغيرها ، وكان حسن السيوعة جميل الطريقة ، صحيح العقيدة ، صنف مختصر الوسيط ومختصر الوجيز ، وشرح المنتخب ، والألفية ، مات في أوائل سنة (٧٢١هـ/١٣٢١م) وقد قارب السبعين ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة ١/٧٤ طبقات الأسنوي : ١/٨٢ ، السبكي ، طبقات الشافعية : ٩/٤٠٠ الطالع السعيد : ص٣٢ بغية الوعاة : ١/٤٣٣ ، شذرات الذهب : ٦/٥٤ .

(٢) هو نجم الدين أبو نصر الفتح بن موسى بن حمّاد بن عبد الله بن علي بن يوسف الأموي الجزيري القصري ولد بالجزيرة الخضراء في رجب سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م) وكان عالماً فاضلاً في فنون كثيرة ، صنف نظم المفصل للزمخشري ، نظم سيرة ابن هشام ، نظم الإشارات لابن سينا ، دخل مصر ودرس بالفائزية ، بأسيوط ، وولي قضاء أسيوط وبها توفي في جمادى الأولى سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٤م) انظر السبكي طبقات الشافعية : ٨/٤٣٨ بغية الوعاة : ٢/٢٤٢ ، حسن المحاضرة : ١/٤١٥ .

(٣) انظر التحدث بنعمة الله ص : ١٦ .

وجلال الدين السيوطي لم ير مدينة آبائه وأجداده « أسبوط » ولم يسافر إليها ولم يرها فقد ولد ومات في القاهرة ، وإنما أفردا بالتأليف اقتداء بمن أفرد لبلده تاريخاً . فعل ذلك لكونها بلد والده وأجداده^(١) وقد عنون هذا التاريخ باسم « المضبوط في أخبار أسبوط »^(٢) وهو مشهور بـ « تاريخ أسبوط » . وله مقامة في الأحاجي النحوية سماها : « المقامة الأسبوتية »^(٣) .



-
- (١) التحدث بنعمة الله : ١٦ وذكره الشاذلي في بهجة العابدين : ق : ٨/أ .
- (٢) فهرست مؤلفات السيوطي ق ٣٩/ب مخطوطة محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية رقم ٢٨٩٦ ، وفهرست مؤلفات السيوطي نقلها الشيخ الشاذلي ضمن بهجة العابدين عن نسخة عليها خط المؤلف ق ٤٢/ب إذ جاء فيها في فن التاريخ « جزء في أخبار أسبوط يسمى المضبوط » وقد طبعت هذه النسخة في لاهور وهي نسخة قديمة . وانظر أيضاً كتاب جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ، د . مصطفى الشكعة ص ١٣٦ فقد شك في الأمر فقال : « تاريخ أسبوط » ولعله الرسالة المعروفة بـ « المضبوط في أخبار أسبوط » وقد وهم بعضهم فعد كلا منهما كتاباً مستقلاً انظر السيوطي النحوي د . عدنان محمد سلمان ص ٦١ وقارن بمكتبة الجلال السيوطي لأحمد الشرقاوي إقبال (ط دار المغرب ، الرباط : ١٩٧٧) ص ٣٢١ .
- (٣) حسن المحاضرة : ١/ ٣٤٤ ، والتحدث بنعمة الله ص ١١٤ ، وانظر أحمد الشرقاوي إقبال ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣٣٨ ، وقد طبعت ضمن كتاب شرح مقامات السيوطي : ١/ ٢٤٨-٢٣٤ .

سيرته الذاتية

١- اسمه ونسبه :

هو الإمام فخر المتأخرين ، عَلم أعلام الدين ، خاتمة الحفاظ^(١) : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الكمال بن ناصر الدين^(٢) محمد بن سابق الدين أبي بكر بن فخر الدين عثمان^(٣) بن ناصر الدين محمد^(٤) بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضير^(٥) ، الأسيوطي (الأصل ، الطولوني^(٦) ،

-
- (١) عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، باعتناء إحسان عباس (ط. دار الغرب الإسلامي) ١٠١٠/٢ .
- (٢) ورد في حسن المحاضرة ناظر الدين ، وتبعه البغدادي في هدية العارفين (ط دار الفكر ، دمشق ١٩٨٢م) ٥٣٤/٥ .
- (٣) ورد اسمه في البدر الطالع للشوكاني ٣٢٨/١ (عمر بن خليل) وتبعه في ذلك أيضاً محمد طاهر في كتابه نيل السائرین في طبقات المفسرين (ط . دار القرآن ، باكستان) ص ٢٥٨ .
- (٤) ذكر السخاوي هنا (محمد بن خليل بن نصر بن خضر) انظر الضوء اللامع ٦٥/٤ و ٧٢/١١ وقد تابعه في ذلك كل من الشوكاني والشيخ محمد طاهر .
- (٥) يقول السيوطي في حسن المحاضرة ٣٣٦/١ وأما نسبتنا بالخضير فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية محلة ببغداد . وانظر لب اللباب : ص ١٢١ ، ومعجم البلدان : ٣٧٧/٢ وفي مراصد الاطلاع : ٤٧٢/١ ، وكأنها المحلة التي يسمونها الآن « الخضيرية » مجاور مشهد الإمام أبي حنيفة ، ويعرف بسوق خضير .
- (٦) هكذا ورد في الضوء اللامع ٦٥/٤ ، والبدر الطالع ٣٢٨/١ ، وكذا في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (ط مطبعة الترقی بدمشق : ١٩٥٨م) ١٢٨/٥ ، وهذه النسبة إما لكونه كان يسكن في جامع طولون كما ورد في الطبقات الصغرى ، لتلميذه =

الشافعي^(١) هكذا ذكر نسبه عندما ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة^(٢) ولأبيه في كتابه (التحدث بنعمة الله)^(٣) ونقله عنه تلميذه عبد القادر الشاذلي في كتابه بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين^(٤) ، وكل من ترجم له اعتمد على هذا النسب^(٥) ، وهو أدرى بنسبه ، وصاحب الدار أدرى بما فيها .

وقد سماه والده ، عبد الرحمن ، ولقبه بجلال الدين^(٦) ، أما الكنية فيقول السيوطي عنها « لا أدري هل كناني والذي أم لا ؟ » ، ولكن لما عرضت على صديق والذي وحيبه ، شيخنا قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني الحنبلي^(٧) ، كناني « أبا الفضل » فإنه سألني : ما كنيته ؟ فقلت : لا كنية

= عبد الوهاب الشعراني ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (نشر مكتبة القاهرة : ١٩٧٠م) ص ٣١ ، أو لكونه كان يملئ الحديث بالجامع الطولوني كما ورد في التحدث بنعمة الله للسيوطي ، ص ٨٨ ، وقد كان والده يخطب بالجامع نفسه . التحدث بنعمة الله ص ٨ .

(١) بل هو من أعيان الشافعية كما يذكر عنه تلميذه ابن إياس في بدائع الزهور ٦٣/٣ ، والسيوطي وإن ادعى الاجتهاد المطلق لكنه لم يخرج في الإفتاء عن مذهب الإمام الشافعي ، انظر التحدث بنعمة الله : ٩٠ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٣٥/١ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٥ .

(٤) مخطوط مصور عن نسخة تشتربتني رقم ٤٤٣٦ .

(٥) من الغريب أن نجد الشيخ عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده ينقل عن خط والده عند ذكره لكتاب الإتيان قال : « للجلال السيوطي ، وهو محمد بن أبي بكر بن علي السيوطي الشافعي » انظر عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده ، أسماء الكتب ، تحقيق محمد ألتونجي (ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق : ١٩٨٣م) ص ١٧ .

(٦) التحدث بنعمة الله ص : ٣٢ ونقله عنه الشاذلي في بهجة العابدين ق ٩/أ .

(٧) هو أحمد بن إبراهيم نصر عز الدين أبو البركات بن البرهان بن ناصر الدين الكناني ، العسقلاني الأصل ، القاهري ، الصالحي ، الحنبلي القادري ، قاضي القضاة ، ولد سنة ثمانمئة ، بالقاهرة ، ونشأ بها ، وتوفي سنة ست وسبعين وثمانمئة ، الضوء اللامع : ٢٠٧/١ .

لي ، فقال : أبو الفضل « وكتبه بخطه »^(١) وأما نسبته (الخضير) فلم يتحقق السيوطي نفسه ما تكون إليه هذه النسبة إلا أنه وجد في كتب البلدان والأنساب أنها محلة ببغداد^(٢) . وإليها نسب جد السيوطي سيف الدين^(٣) .

٢- مولده :

أجمعت المصادر على أن ولادة الإمام السيوطي كانت ليلة الأحد بعد المغرب مستهل رجب من سنة تسع وأربعين وثمانمئة (١ / من رجب / ٨٤٩ هـ) الموافق لـ (٣ / ١٠ / ١٤٤٥ م)^(٤) ، إلا أنه وقع شيء من الاختلاف في الشهر عند ابن إياس^(٥) فيذكر أن مولده كان في جمادى الآخرة ، ويمكن التوفيق بكون الولادة وقعت في آخر شهر جمادى الآخرة وفي ليلة أول رجب كما ذكروا والله أعلم . أما مكانها فيذكر السيوطي أنها في القاهرة^(٦) وليست في أسوط كما ادعت دائرة المعارف الإسلامية وغيرها^(٧) . هذا وقد

(١) التحدث بنعمة الله ص ٢٣٥ ، ونقله في بهجة العابدين ق ٩ / أ . وانظر شذرات الذهب : ٥١ / ٨ ، والكواكب السائرة : ٢٢٦ / ١ .

(٢) التحدث بنعمة الله ص ٦٥ ، حسن المحاضرة : ٣٣٦ / ١ . بهجة العابدين : ق ٨ / أ وانظر معجم البلدان : ٣٧٧ / ٢ .

(٣) الزبيدي ، تاج العروس (طبع حكومة الكويت : ١٩٧٢ م) ١٨٩ / ١١ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ص ٣٢ ، بهجة العابدين ق ٩ / أ ، حسن المحاضرة : ٣٣٦ / ١

الضوء اللامع ٦٥ / ٤٠ ، شذرات الذهب ٥١ / ٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ٢٧ / ١٣ وعمر فروخ ، تاريخ الأدب العربي (ط دار العلم للملايين ، بيروت . ١٩٧٢ م) ٨٩٩ / ٣ والأعلام : ٣٠١ / ٣ .

(٥) بدائع الزهور : ٨٣ / ٤ .

(٦) وهو ما عبر عنه بمدينة مصر ، فقد ذكر في كتابه التحدث بنعمة الله ص : ١٦ ، في أثناء حديثه عن « أسوط » أنه لم يرها ولم يسافر إليها ، قال : « إنما ولدت بمدينة مصر » ونص العيدروسي في النور السافر (ص : ٥٤) على أنها القاهرة .

(٧) جاء في دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ٢٠٣ عند الكلام عن « أسوط » أنها مسقط رأس جلال الدين الأسوطي وتبعهم في ذلك الموسوعة العربية الميسرة ص : ١٦٤ ، =

اكتنفت ولادته حادثة طريفة وذلك أن والده - وكان من أهل العلم - احتاج إلى كتاب ، فأمر زوجته أن تأتية بالكتاب من مكتبته ، فذهبت لتأتية به فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعت ، فأطلق عليه ابن الكتب^(١) .

فكان كما قيل ، فقد ولد وعاش مع الكتب ، وأفنى عمره في تأليفها وتحريها .

٣- أسرته :

ينتمي جلال الدين السيوطي إلى أسرة كانت مليئة بأسباب الجاه والعز والدين فمن أجداده من كان من أهل الوجاهة والرياسة ، ومنهم من تولى القضاء والحسبة ومنهم من كان ذا غنى ومال ، وقد اتخذت في أسمائها ألقاباً يقوم التشرف فيها على الدين^(٢) .

وقد حدثنا السيوطي عن بعض أعيان أسرته فقال : « وأما جدي الأعلى همام الدين فكان من أهل الحقيقة ومن مشايخ الطريق .. وأما من دون جدي المذكور من أجدادي فقد كانوا من أهل الوجاهة والرياسة ، منهم من ولي القضاء بأسبوط ، ومنهم من ولي الحسبة بها ، ومنهم من كان في صحبة الأمير شيخو^(٣) ،

= يبدو أنه خطأ غير مقصود لأنهم عندما ترجموا للسيوطي في مادة « سيوط » ذكروا أنه ولد في القاهرة ، انظر دائرة المعارف الإسلامية : ٢٧/١٣ ، والموسوعة العربية الميسرة : ١٠٥٩ ، وقد وقع في هذا الخطأ عبد الحفيظ فرغلي القرني في كتابه « الحافظ جلال الدين السيوطي » (طبع الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة : ١٩٩٠ م) سلسلة أعلام العرب : ١٣٧ ، ص : ٢٤ .

(١) المنح البادية في الأسانيد العالية مخطوط محفوظ بمكتبة الأسد الوطنية رقم ٥٩٥١ ، ق ٣ ، وانظر النور السافر ص ٥١ ، والأعلام : ٣٠١/٣ .

(٢) انظر سلسلة النسب سابقاً .

(٣) هو سيف الدين شيخو العمري الناصري ، من ممالك الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهو أول من لقب « أميراً كبيراً » من أمراء المماليك ، وقد اشتهر بالفضل =

وبنى مدرسة بأسسوط ، ووقف عليها أوقافاً . . ومنهم من كان تاجراً متمولاً ، ولا أعلم فيهم من خدم العلم حق الخدمة إلا والذي «^(١)» .

مما تقدّم يتبيّن أنّ الإمام السيوطي سليل أسرة كريمة ذات مناصب ومراكز اجتماعية مختلفة وهو يذكرها ذكر المفتخر بأجداده ، المعتز بأصوله .

٤- أصله :

ذهب بعض الباحثين إلى أن السيوطي انحدر من أصل فارسي^(٢) ، مستندين في ذلك إلى ما ذكره السخاوي عند الحديث عن والده فقال « الكمال أبو المناقب بن ناصر الدين بن سابق الدين الفارسي »^(٣) .

ولكن السيوطي عندما تحدث عن نسبه وأنه خضيري لم يقطع في حقيقة هذه النسبة فقال : « وأما نسبتنا إلى الخضيري فلا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا الخضيرية محلة ببغداد ، وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق ، فالظاهر أن النسبة إلى

= والكرم ، وحبه العلم ، وكان من رؤوس أهل المشورة . وهو باني خانقاه شيخو بالقاهرة (ت ٧٥٨هـ / ١٣٥٦م) وترك من الأموال ما لا يحصى . حسن المحاضرة : ٢٦٦/٢ . وانظر شذرات الذهب : ١٨٣/٦ - ١٨٤ .

- (١) التحدث بنعمة الله : ٧ ، بهجة العابدين ٨/٨ ، حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ .
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية ١٧/١٣ . كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم (ط ليننغراد : ١٩٥٧م) ٤٨٨/٢ ، وعلي سامي النشار في مقدمته على كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، للسيوطي (ط ١ ، مطبعة السعادة بمصر) ص : ط . عصام عبد الرؤوف ، مؤلفات السيوطي ، (وهو بحث نشر ضمن ندوة جلال الدين السيوطي بمصر سنة ١٩٧٦م) ص : ١٠٤ ، وأخبار العالم الإسلامي ، (العدد ١١٦٢ ، مارس : ١٩٩٠م) ص : ١ ، وطاهر سليمان حمودة ، جلال الدين السيوطي وجهوده في الدرس اللغوي ، (ط المكتب الإسلامي ، بيروت : ١٩٨٩م) ص ٩٢ .

(٣) الضوء اللامع : ٧٢/١١ .

المحلة المذكورة»^(١) وفي (لب اللباب) قال السيوطي : « الخضير مصغراً إلى الخضيرية ، محلة في بغداد وهي من أنساب سلفي ، والظاهر أنه إليها»^(٢) .

وجاء في كتابه (التحدث بنعمة الله) - عند الحديث عن والده - « وأماً نسبته بالخُصيري ، وهو بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين مصغراً ، فلا أتحقق ما تكون إليه هذه النسبة . . »^(٣) إذاً فالسيوطي لم يقطع في أن أصوله فارسية ، وما ورد عند السخاوي ينفيه ما ذكره السيوطي عن أبيه في مقامته « طرز العمامة»^(٤) فقال : « ووالدي من خيار العرب لأنه من سلالة الصحابة وربما قيل أكثر من ذلك . . » . وهو أعرف وأقرب . والله أعلم .

٥- والده :

خص الإمام السيوطي والده بالعلم وخدمته عندما تحدث عن أسرته كما مر ، ولذلك نجده يترجم له في عدة كتب ؛ فقد ترجمه في بغية الوعاة ، والتحدث بنعمة الله ، وحسن المحاضرة ونظم العقيان ، وذكر بعض أخباره في تاريخ الخلفاء ، وهو في أثناء ترجمته يثني عليه ثناءً كبيراً ، ويضفي عليه صفة العلم والفضل فيقول : « والدي هو الإمام العلامة ذو الفنون ، الفقيه

(١) حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٦ .

(٢) لب الألباب ، للسيوطي : ١٢١ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٦٥ .

(٤) السيوطي ، طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة : ٢/ ٧٣٧ وتاريخ كتابه هذه المقامة بعد كتابيه : التحدث بنعمة الله وحسن المحاضرة ، لأنه لم يذكر هذه المقامة بين مؤلفاته في كلا الكتابين ، ولذلك يعد كلامه في هذه المقامة ناسخاً للشك الذي وقع له أولاً فلعله بحث في نسبه فحقق ما خالف الرواية عن أبيه في كونه ينحدر من أصل أعجمي ، كما يقول محمد الشرقاوي إقبال في مقدمة كتابه (مكتبة الجلال السيوطي ، ط الرباط : ١٩٧٦م) ص : ١٢ .

الفرضي ، الحاسب الأصولي ، الجدلي النحوي ، التصريفي البياني ، البديعي المنشئ ، المترسل البارع ، كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن محمد^(١) .

لم يحدد السيوطي تاريخ ولادة أبيه بل اكتفى بقوله : «وكان مولد والدي بأسبوط في أوائل هذا القرن تقريباً»^(٢) أي القرن التاسع ، وقدم القاهرة سنة عشرين وتيف^(٣) واستقر به المقام ، وأقبل على العلوم بأنواعها ، فأخذ عن مشايخ عصره ، ولازم العلامة شمس الدين القاياتي^(٤) ، فأخذ عنه الكثير في الفقه والأصول والكلام والنحو والإعراب والمعاني والبيان والمنطق ، وأجازه بتدريس هذه الفنون كلها في سنة تسع وعشرين وثمانمئة^(٥) .

(١) التحدث بنعمة الله : ٥ ، نظم العقيان : ٩٥ ، بغية الوعاة : ٤٧٢/١ ، حسن المحاضرة : ٤٤١/١ ، وبهجة العابدين ق : ٨/أ . الضوء اللامع : ٢/١١ ، بدائع الزهور ٢/٢٨٩ ، شذرات الذهب : ٢٨٤/٧ .

(٢) نظم العقيان : ٩٥ ، بغية الوعاة : ٤٧٢/١ ، وفي حسن المحاضرة : ٤٤١/١ ذكر ولادته بسبوط بعد ثمانمئة تقريباً ونقل ذلك عنه ابن القاضي في درة الحجال في أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمد أبو النور (ط ١ دار النصر للطباعة ، القاهرة : ١٩٧٠م) ٢٢٣/١ . أما في التحدث بنعمة الله فيستنتج أنه ولد سنة ست أو سبع وثمانمئة ، وقد ترجمه السخاوي مرتين ، وفي كل مرة جعل لمولده تاريخاً ، ففي التبر المسبوك جعله من مواليد سنة (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) وفي الضوء اللامع جعله من مواليد سنة (٨٠٤هـ / ١٤٠١م) انظر السخاوي التبر المسبوك في ذيل السلوك ، (نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر : د . ت . ص : ٣٥٦ ، والضوء اللامع : ٧٢/١١ ، وشذرات الذهب : ٢٨٤/٧ . أما ابن إياس فقد نص على أن ولادته كانت سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) ، انظر بدائع الزهور : ٢/٢٨٩ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٨ ، بغية الوعاة : ٤٧٢/١ ، حسن المحاضرة : ٤٤١/١ ، وانظر الضوء اللامع : ٧٢/١١ ، وشذرات الذهب : ٢٨٤/٧ .

(٤) هو قاضي القضاة ، شمس الدين محمد بن علي بن يعقوب الشافعي علامة الديار المصرية (ت ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م) ، حسن المحاضرة ١/٤٤٠-٤٤١ ، نظم العقيان : ١٥٤ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ٨ ، بهجة العابدين : ق ٨/أ ، نظم العقيان : ٩٥ . بغية الوعاة : ٤٧٢/١ ، الضوء اللامع : ٧٢/١١ .

وتردد إلى مجالس الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١) وأخذ عنه الحديث^(٢) ، وكانت له اليد الطولى في الإنشاء^(٣) .

وقد أسندت إلى السيوطي الوالد عدة وظائف منها تدريس الفقه بالجامع الشيخوني والخطبة بالجامع الطولوني ، والإفتاء ، وناب في الحكم عن الحافظ ابن حجر^(٤) وعرض عليه قضاء مكة فأبى وقال : (الكامل)

وَأَلَدْتُ مِنْ نَثْلِ الْوِزَارَةِ أَنْ تَرَى يَوْمًا يُرِيكَ مَصَارِعَ الْوُزَرَاءِ

وكان لوالد السيوطي علاقة وثيقة بالخليفة العباسي المستكفي بالله^(٥) ، ولم يكن يتردد إلى أحد من الملوك والأمراء غيره ؛ لما كان بينهما من محبة زائدة ، وهو الذي كتب له نسخة عهد بالخلافة^(٦) ، وكان إماماً له ويذكر السيوطي أنه

(١) هو شيخ الإسلام ، وإمام الحفاظ في زمانه ، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ثم المصري الشافعي (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ، حسن المحاضرة : ٣٦٣/١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي : تحقيق علي محمد عمر (ط ١ ، مطبعة الاستقلال ، مصر : ١٩٧٣م) ص ٥٤٨ . وستأتي ترجمة بشكل موسع عند الحديث عن شيوخه .

(٢) الضوء اللامع : ٧٢/١١ ، طبقات الحفاظ للسيوطي : ٥٤٨ .

(٣) نظم العقيان : ٩٥ ، الضوء اللامع : ٧٢/١١ . وانظر التحدث بنعمة الله : ٨ ، بهجة العابدين ق ٨/ب ، حسن المحاضرة : ٤٤١/١ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٨ ، الضوء اللامع : ٧٢/١١ ، طبقات الحفاظ : ٥٤٨ ، درة الحجال : ٢٢٣-٢٢٤ .

(٥) هو سليمان بن محمد بن أبي بكر العباسي ، أمير المؤمنين ، المستكفي بالله ، أبو الربيع . ابن المتوكل على الله بن المعتض بالله ، ولي الخلافة بعهد من أخيه المعتض بالله داود في سنة (٨٤٠هـ/١٤٤١م) وأربعين وثمانئة وكان من الصالحين (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) نظم العقيان : ١١٧ تاريخ الخلفاء : ٥١٣ .

(٦) التحدث بنعمة الله : ٩ ، حسن المحاضرة : ٤٤١/١ وصورة العهد مثبتة في كتاب حسن المحاضرة ٩٠-٩١ ، وتاريخ الخلفاء : ٥١١ .

أمضى طفولته في بيته فيقول : « وكان والدي إماماً له ، وأما نحن فلم ننشأ إلا في بيته وفضله »^(١) وقد حج والد السيوطي وجاور بمكة المكرمة سنة (٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) وتلقى عنه العلم هناك البرهان بن ظهيرة^(٢) . ومن تلقى عنه العلم أيضا قاضي القضاة نور الدين بن أبي اليمن المالكي^(٣) نحوي الحجاز ، والشيخ نور الدين السنهوري^(٤) ، شيخ المالكية في عصره ، وقاضي القضاة بالديار المصرية محيي الدين بن تقي المالكي^(٥) ، والعلامة فقيه الشافعية فخر الدين المقسي^(٦) . وغيرهم^(٧) .

ولوالد السيوطي بعض التصانيف وجلها حواش وشروح لكتب وقد ذكرها

(١) تاريخ الخلفاء : ٥١٢ ، وانظر الضوء اللامع : ٧٣/١١ ، وحسن المحاضرة : ٤٤١/١ و ٩١/٢ .

(٢) هو قاضي مكة ، برهان الدين ، إبراهيم بن علي بن محمد أبو إسحاق الشافعي ، ولد سنة ٨٢٥هـ / ١٤٢١م) وبرع ومهر في الفنون وانتهت إليه رئاسة الحجاز ، ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) ، انظر نظم العقيان : ١٧-٢٠ ، الضوء اللامع : ٩٩-٨٨/١ ، شذرات الذهب : ٣٥٠/٤ .

(٣) هو علي بن محمد بن أبي اليمن المالكي ، النوري ، المكي ، نور الدين ويعرف بابن أبي اليمن ، ولد في شعبان سنة (٨١٥هـ / ١٤١٢م) بمكة ، ونشأ بها ، (ت ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م) قال عنه السخاوي « نعم الرجل علماً وتفتناً وفصاحة وتواضعاً » ، الضوء اللامع : ١٢-١٣ .

(٤) وهو علي بن عبد الله بن علي ، نور الدين الأزهرى المالكي ، الضرير ويعرف بالسنهوري ، ولد سنة (٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، كان إماماً في مذهب المالكية ، ولم يخلف مثله (ت ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، الأعلام : ٣٠٧/٤ .

(٥) هو عبد القادر بن أحمد بن محمد المالكي المعروف بابن تقي ، ولد سنة (٨٢٤هـ / ١٤٢١م) بالقاهرة ونشأ بها واشتغل بالعلوم ، وعين لتدريس المالكية بالشيخونية (ت ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) . الضوء اللامع : ٢٦٣/٤ ، وقد ذكره السيوطي في حسن المحاضرة : ١٩٠/٢ فيمن ولي مصر من قضاة المالكية .

(٦) ستأتي ترجمته عند الحديث عن شيوخ السيوطي .

(٧) انظر بغية الوعاة : ٤٧٢/١ ، نظم العقيان : ٩٥ .

السيوطي دون التعليق عليها أو بيان أهميتها فيبدو أنها لم تكن على قدر كبير من الأهمية^(١) . منها^(٢) :

١- حاشية على (شرح الألفية) لابن المصنف « لم تتم » وصل فيها إلى باب الإضافة .

٢- حاشية على (العضد) « لم تتم » .

٣- رسالة في إعراب قول صاحب (المنهاج) . « وما ضَبَّ بذهب أو فضة ضَبَّة كبيرة » .

٤- حاشية على كتاب (أدب القضاء) للغزّي .

٥- أجوبة على اعتراضات ابن المقرئ على (الحاوي) .

٦- كتاب في (التصريف) .

٧- كتاب في (التوقيع) . وهذان الكتابان - التصريف والتوقيع - لم يرهما السيوطي ولم يقف عليهما ، وقد ذكر له السخاوي^(٣) بالإضافة إلى ما ذكر :
٨- كتاباً في (القراءات) .

توفي السيوطي الوالد شهيداً بمرض يسمى « ذَاتُ الْجَنْبِ »^(٤) وقت أذان العشاء يوم الإثنين الخامس من صفر سنة (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) وكان الجلال

(١) عصام الدين عبد الرؤوف ، مؤلفات السيوطي ، ص ١٠٥ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٩ ، بهجة العابدين : ق ٨/ب ، حسن المحاضرة : ٤٤٢/١ ، بغرّ الوعاة : ٤٧٢/١ ، نظم العقيان : ٩٥ ، ومعجم المؤلفين : ٧٢/٣ .

(٣) الضوء اللامع : ٧٢-٧٣ ، التبر المسبوك : ٣٥٧ .

(٤) هي الديلة والدمل الكبيرة التي تظهر في باطن الجنب وتتفجر إلى داخل ، ولما يسلم صاحبها ، ابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (ط ١ عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٦٣م) ٣٠٣-٣٠٤ . وانظر لسان العرب : « جنب » ، والمنجد في اللغة : ١٠٣ . وفي اصطلاح الطب : « ذات الجنب (PLIURITIS) » آفة تصيب وريقتي الجنب فتسبب الانصباب أو الالتصاق فيهما والعوامل الممرضة كثيرة كالحمات الراشحة ، أو العنقودية ، أو الرضوض النافذة على الصدر ، وإهمال العلاج يؤدي إلى الاختلاطات انظر (CURRENT) ، ١٩٨٤م ص ١٦٧ .

الابن عند رأسه . وذلك بعد وفاة حبيبته أمير المؤمنين المستكفي بالله بأربعين يوماً^(١) .

وتقدم في الصلاة عليه قاضي القضاة شرف الدين المناوي ، ودفن بالقرافة قريباً من الشمس الأصفهاني^(٢) .

وقد رثاه الشيخ شهاب الدين المنصوري^(٣) بقصيدة منها هذه الأبيات :
(المجتث)

مَاتَ الْكَمَالُ فَقَالُوا وَلَّى الْحِجَابَ وَالْجَلَالُ
فَلِلْعُيُونِ بُكَاءٌ وَلِلذُّمِّوعِ انْهِمَالُ
عُلُومُهُ رَاسِخَاتٌ تَزُولُ مِنْهَا الْجِبَالُ
فَلَا تَزَالُ عَلَيْهِ تَهْمِي السَّحَابُ الثَّقَالُ^(٤)

قال السيوطي « وكان الوالد يختم القرآن في كل أسبوع مرة ، وختم له بالشهادة »^(٥) وقد كان للكمال - الوالد - الفضل الأكبر في توجيه الجلال - الابن - نحو العلوم الشرعية فبدأ الطفل يحفظ القرآن في حياة أبيه ، ولما توفي والده كان قد وصل في القرآن إلى سورة التحريم^(٦) ، وأحضره والده مجلس الحافظ ابن حجر وهو ابن ثلاث سنين^(٧) ، وكان لهذا الحضور الأثر الكبير في نفسية السيوطي وفي حياته العلمية فيما بعد .

-
- (١) التحدث بنعمة الله : ١٠ ، بهجة العابدين : ق/٩ .
(٢) حسن المحاضرة : ٤٤٢/١ ، نظم العقيان : ٩٥ ، الضوء اللامع : ٧٢/١١ .
(٣) هو شاعر عصره أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المعروف بالهائم ، الأديب البارع ولد سنة (٧٩٩هـ/١٣٩٦م) و(٨٨٧هـ/١٤٨٢م) . حسن المحاضرة : ٥٧٤/١ ، نظم العقيان : ٧٧ .
(٤) انظر تمة المراثية في التحدث بنعمة الله : ١١ ، وحسن المحاضرة : ٤٤٢-٤٤٣ .
(٥) التحدث بنعمة الله : ١٠ بهجة العابدين ق/٩ أ ، وانظر حسن المحاضرة : ٤٤٢/١ .
(٦) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بهجة العابدين : ق/٩ ب .
(٧) فهرس الفهارس : ١/١٠١١ . النور السافر : ٥٢ .

وللسيوطي الجلال إخوة وأخوات ولكنهم ماتوا جميعاً شهداء ما بين مطعون ونفساء وصاحب ذات العجب^(١) ، ولذلك لم نجد لهم ذكراً في كتب التراجم .

٦- أمه :

لم يتعرض السيوطي للحديث عن أمه كما تحدث عن أبيه ، وقد ذكر السخاوي أنها « أمة تركية »^(٢) وعند العيدروسي « أم ولد تركية »^(٣) وقد دافع السيوطي عن أمه وردّ على من انتقصها كونها غير عربية وأن أصلها من الجركس في مقامته « طرز العمامة » فقال : « وقولك إن والدتي أجدادها من الفرس ، لأنها جركسية ، تنقص بذلك وتذم ، جوابه : أن النسب إلى الآباء لا إلى أجداد الأم . . وإن الولد المتولد بين العربي والعجمية أنجب ، لأنه يجمع عز العرب ودعاء العجم ، وهو أبهى منظراً ، وأعظم خلقاً وأعجب ، وما أحسن قول بعض العرب : (الطويل)

وَكَاثِنُ تَرَى فِينَا مِنْ ابْنِ سَيِّئَةٍ إِذَا لَقِيَ الْأَبْطَالَ يَضْرِبُهُمْ هَبْرًا
فَمَا زَادَهَا فِيهَا السَّبَاءُ نَقِیَصَةً وَلَا اخْتَطَبَتْ يَوْمًا وَلَا طَبَّحَتْ قِدْرًا
وَلَكِنْ خَلَطْنَاهَا بِخَيْرِ نِسَائِنَا فَجَاءَتْ بِهِمْ بَيْضًا وَجُوهُهُمْ زُهْرًا^(٤)

(١) نص على ذلك السيوطي في كتابه التحدث بنعمة الله : ١٠ ، والشاذلي في كتابه بهجة العابدين : ٩/أ . وقد وهم بعض الباحثين فظن أن الشيخ الكمال لم ينجب غير ولده جلال الدين ، انظر عدنان سلمان ، السيوطي النحوي (ط دار الرسالة ، بغداد : ١٩٧٦م) ص ٦٧ ، ومصطفى الشكعة ، جلال الدين السيوطي ، مسيرته العلمية ومباحث الغوية (ط مصطفى البابي الحلبي ، مصر : ١٩٨١م) ص ٨ .

(٢) الضوء اللامع : ٦٥/٤ .

(٣) العيدروسي ، النور السافر من أخبار القرن العاشر ، ص ٥١ ، والفاسي ، المنح البادية ، ق : ٣/أ .

(٤) السيوطي طرز العمامة (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٧٣٧/٢ .

وقد توفيت والدته بعده ، ودفنت بقبر مجاور لقبر ولدها في داخل التربة التي أنشأتها^(١) .

٧- أولاده وذريته :

ضنّت علينا المصادر بذكر الحالة الأسرية للسيوطي ، فلم تذكر لنا شيئاً عن زواجه أو عن أولاده إلا القليل ، ويبدو أن السيوطي كان قد تزوج في سن مبكرة ، فقد ذكر في ترجمة شيخه الشُّمْنِي (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) أن ولده ضياء الدين محمد قد حضر معه على شيخه المذكور في بعض مسموعاته ، فقد جاء في بغية الوعاة : « . . وحضر عليه في الأولى ولدي ضياء الدين محمد أشياء ذكرتها في معجمي »^(٢) وقد ذكر السيوطي أنه ابتلي بفقد الأهل والإخوة والأولاد ، وأن أغلبهم مات شهيداً ما بين مطعون ونفساء وصاحب ذات الجنب ، فيقول : « فكذا غالب إخواني وأولادي ماتوا شهداء ما بين مطعون ونفساء وصاحب ذات الجنب »^(٣) ولعل معظمهم مات صغيراً ولهذا لم تذكر لنا كتب التراجم شيئاً عنهم .

وقد رثى زوجته (غصوناً) أم أولاده لما ماتت فقال : (الكامل)

يَا مَنْ رَأَيْتُ بِالْهُمُومِ مُطَوَّقاً وَظَلَلْتُ فِي فَقْدِي غُصُوناً ذَا شَجُونٍ
أَتَلُوْنِي فِي عَظْمٍ نَوْحِي وَالْبَكَاءِ شَأْنُ الْمُطَوَّقِ أَنْ يَنْوَحَ عَلَى غُصُونٍ^(٤)

وثمة فنة في أسيوط تنتسب إلى السيوطي ، ولكن ليست من ذريته . فقد نقل الأستاذ أحمد تيمور باشا إجماع المحققين على أن السيوطي لم

(١) الشاذلي ، بهجة العابدين ، ق ٤٤/أ .

(٢) بغية الوعاة : ٣٧٧/١ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ١٠ .

(٤) عز الدين التنوخي ، تهذيب الإيضاح ، (ط مطبعة الجامعة السورية : ١٩٤٨م)

يعقب^(١) وأما تلك الفئة المنتسبة إليه . فلعل نسبتهم إليه كانت لاتصالهم
بضريح السيوطي المزعوم في أسيوط كما سأبينه فيما يلي إن شاء الله تعالى .

٨- وفاته :

في أواخر حياته انعزل السيوطي عن الناس وأقام في بيته في روضة المقياس
فلم يتحول منها إلى أن مات ، ولم يفتح طاقات بيته التي على النيل^(٢) .

وكان رحمه الله قد ابتداء مرضه الذي توفي فيه ثاني عشر جمادى الأولى سنة
(٩١١هـ/ ١٥٠٥م) بورم شديد في ذراعه اليسرى ، يقال : إنه خلط أو
انحدار^(٣) ، فمكث سبعة أيام ، وتوفي رحمه الله في سحر ليلة الجمعة تاسع
عشر الشهر المذكور ، سنة إحدى عشرة وتسعمئة^(٤) (٩١١هـ) الموافق

(١) أحمد تيمور باشا ، قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه ، (ط المطبعة السلفية
القاهرة : ١٣٤٦هـ) ص ٢٣ ، وانظر مقدمة الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف على
كتاب تدريب الراوي للسيوطي (ط ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩م) ص : ث ، وانظر أيضاً
بحث إبراهيم الأبياري في تراث الإنسانية (حول كتاب حسن المحاضرة) ط (الدار
المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة) ٦٣٧/٢ .

والعقب بكسر القاف ولد الرجل وولد ولده ، وكل من خلف بعد شيء فهو
عاقب ، الجوهري ، الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ط دار الكتاب العربي
مصر) «عقب» .

(٢) الطبقات الصغرى : ٣٢ وانظر الكواكب السائرة : ٢٢٨/١ ، وشذرات الذهب :
٥٣/٨ .

(٣) هذا ما ذكره في مخطوطة بهجة العابدين ق : ٤٣/أ ، ومخطوطة الطبقات الصغرى
للشعراني ق ٢٣ ، وقد تصحفت هذه الكلمة على محقق الطبقات الصغرى فقال « إنه
الخلط الحاد » . وقد تابعه على ذلك كثير من الباحثين ، وهذا مصطلح حديث ، أما
الانحدار فقال الجوهري : انحدر جلده : تورم ، الصحاح : «حدر» وانظر لسان
العرب : «صدر» .

(٤) بهجة العابدين ، ق : ٤٣/أ . والطبقات الصغرى : ٣٦ .

لـ (١٧ / ١٠ / ١٥٠٥ م)^(١) وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة ، وعشرة أشهر ، وثمانية عشر يوماً^(٢) .

وقد اتفقت مصادر ترجمته على أنَّ سنة الوفاة كانت سنة (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) . وعليه فلا يلتفت إلى ما ذكره الخوانساري في « روضات الجنات » أو القمي في « الكنى والألقاب » من أنه توفي سنة (٩١٠ هـ / ١٥٠٤ م)^(٣) . وكذلك إلى ما ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين من أن وفاته كانت سنة (٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م)^(٤) .

لأن أصحاب القول الأول هم تلامذة السيوطي ومعاصروه كابن إياس والشاذلي والشعراني وغيرهم^(٥) .

وأما يوم الوفاة فقد اتفق المعاصرون لوفاة السيوطي أنه توفي يوم الجمعة ،

-
- (١) دائرة المعارف الإسلامية : ٧٢ / ١٢ ، فروخ ، تاريخ الأدب العربي : ٩٠٠ / ٣ .
(٢) بهجة العابدين ، ق : ٤٣ / ١ ، والطبقات الصغرى : ٣٦ ، الكواكب السائرة : ٢٣١ / ١ ، وذهب ابن إياس إلى أن مدة حياته كانت اثنتين وستين سنة وأشهرًا ، وهذا خطأ واضح بدائع الزهور : ٨٣ / ٤ . أمَّا الصاوي فقد نص على أنه عاش أربعاً وستين سنة على حد زعمه في تاريخ وفاته ، الصاوي على الجلالين : ٣ / ١ .
(٣) روضات الجنات : ٤٣٥ ، الكنى والألقاب : ٣٤٣ / ٢ . وقد ذهب إلى ذلك من المعاصرين نصر حامد أبو زيد في كتابه « مفهوم النص » ، دراسة في علوم القرآن « نشر المركز الثقافي العربي في بيروت والدار البيضاء ط ١ : ١٩٩١ م) ص ١١ ، وذكر محمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين ١٣٢ / ٣ أنه توفي سنة (٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م) .
(٤) الصاوي على الجلالين (طبع دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي ، مصر : د . ت) ٣ / ١ . وقد تابعه في ذلك مفهرسو الخزانة العبدلية فذكروا في موضعين أنه توفي سنة (٩١١ أو ٩١٣ هـ) انظر محمود بن محمود القاضي رئيس لجنة تنظيم فهرس خزانة الكتب بجامعة الزيتونة المطبعة الرسمية العربية ، تونس : ١٣٢٧ هـ) ١٢ / ١ و ٢٩ .
(٥) بهجة العابدين : ق ٤٣ / ١ ، الطبقات الصغرى : ٣٦ ، بدائع الزهور : ٨٣ / ٤ و ٩٥ / ٥ .

أو الخميس ليلة الجمعة ، ولكنهم اختلفوا في تحديد تاريخ هذا اليوم ، ففي حين يذكر الشاذلي والشعراني أنه يوم التاسع عشر من شهر جمادى الأولى^(١) ، يذهب ابن إياس وابن طولون إلى أنه يوم التاسع من الشهر نفسه^(٢) وهذا القول مدحوض لعدة أمور منها :

١- أن ما ذكره الشاذلي والشعراني أقرب إلى الصحة والصواب لأنهما شهدا الوفاة والصلاة عليه ووصفا لنا الحادثة ، فقد حدد لنا الشاذلي بداية مرضه وأنه كان في الثاني عشر من جمادى الأولى ، وأن مرضه استمر سبعة أيام وتوفي في اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور ، ونقل أن الشيخ لما احتضر قرأ سورة « يس » ، وصلى عليه خلائق بجامع الأباريقي بالروضة عقب صلاة الجمعة ، وصلى عليه مرة ثانية خلائق لا يحصون بسبيل المؤمنين ، وكان له مشهد عظيم ، ولم يصل أحد إلى تابوته يمسه ولا يحمله من كثرة ازدحام الناس^(٣) .

٢- وأما الشعراني فقد نص على أنه حضر الصلاة عليه ، وأن ذلك كان بعد مرور شهر من قدومه القاهرة ، يقول : « . . . لما جئت إلى مصر قبل موته اجتمعت به مرة واحدة . . ثم بعد شهر سمعت ناعيه ينعي موته ، فحضرت الصلاة عليه في جامع الأباريقي في الروضة عقب صلاة الجمعة . . »^(٤) .

ثم يقول بعد ذلك « مات رضي الله عنه في سحر ليلة الجمعة المباركة تاسع عشر ليلة في جمادى الأولى »^(٥) والذي يذكر كل هذه التفاصيل لا يمكن أن يَهم أو يغفل عن أهم شيء وهو تاريخ الوفاة .

٣- أما ابن إياس وابن طولون فحسب ما ورد في تاريخهما لا يوجد فيهما

(١) بهجة العابدين ، ق : ٤٣/أ . الطبقات الصغرى : ٣٦ .

(٢) بدائع الزهور : ٨٣/٤ ، مفاكهة الخلان : ٣٠١/١ .

(٣) بهجة العابدين ، ق ٤٣/أ .

(٤) الطبقات الصغرى : ١٨ .

(٥) الطبقات الصغرى : ٣٦ .

هذه الدقة من التفاصيل وقد كانا يعتمدان على من يزودهما بالأخبار، ومن هنا يقع الوهم ، والله أعلم^(١) .

وقد دفن السيوطي بحوش قوصون خارج باب القرافة في قبر والده بالقاهرة^(٢) وللأستاذ أحمد تيمور باشا كتاب في تحقيق موضع قبره جاء فيه : « والخلاصة أن الذي دلت عليه النصوص والآثار وطابقه أيضاً المعروف عن موضع قبره الآن أنه مدفون في هذه البقعة الواقعة في شرقي باب القرافة... »^(٣) .

وذكر الشاذلي أن والدته عمّرت له على قبره بناءً لطيفاً مما تخلف عنه فجاء في غاية الحسن والأنس ، واللفظ والزهاوة والنورانية ، وصار ضريحه مقصوداً بالزيارة^(٤) وقد زاره العلامة عبد الغني النابلسي في أوائل القرن الثاني عشر الهجري وذكره في رحلته المسماة بـ (الحقيقة والمجاز) عند ذكره لجامع قوصون الذي بالقرافة .

-
- (١) فمثلاً ذكر ابن طولون في مفاكهة الخلان : ٢٩٤/١ - ٢٩٥ في حوادث رجب من سنة (٩١١هـ/١٥٠٥م) قال : وفيه شاع وفاة صاحب التصانيف الكثيرة جلال الدين السيوطي بمصر... ثم ذكر أنه صلي عليه غائبة بالجامع الأموي يوم الجمعة خامس عشرة ، وكان سابقاً (١٦٣/١) قد ذكر في حوادث جمادى الآخرة من سنة ٩٠٠هـ أنه صلي عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق يوم الجمعة تاسعه ثم يقول : « ورأيت بخط شيخنا المحيوي النعيمي أنه صلي عليه بالجامع المذكور عقيب الجمعة خامس عشر رجب سنة إحدى وتسعمئة » ثم عاد في (٣٠١/١) وحكى نادرة ثم قال : « والذي حكى لي هذه النادرة أخبرني بوفاة العلامة جلال الدين السيوطي ، بأنها يوم الخميس تاسع جمادى الأولى من سنة ٩١١هـ » . وهنا يظهر التناقض في الروايات مع أن السيوطي يعد من شيوخه . وقارن بدائع الزهور : ٨٣/٤ و ٩٥/٥ .
- (٢) بهجة العابدين : ٤٣/أ الطبقات الصغرى : ٣٦ ، وبدائع الزهور ٨٣/٤ ومفاكهة الخلان : ٣٠٢/١ .

(٣) أحمد تيمور باشا ، قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه ، ص : ١٦ .

(٤) بهجة العابدين : ق : ٤٣/ب ، أ : ٤٤ .

فقال : « ثم ذهبنا إلى مزار الشيخ الإمام . . السيوطي . . وهو مدفون في مكان مخصوص به وحوله قبور آخرون وعلى قبره ثوب أخضر ، وفيه قبة مبنية في بيت لطيف ، ومحل شريف ، فيه الهيبة والوقار - ولوامع الأنوار والأسرار . . »^(١) فكان كما ذكر الشيخ الشاذلي . ومن الجدير بالذكر أن القبر الموجود بأسبوط والمعروف باسم جلال الدين السيوطي ليس له ، لأنه سبق أن بينت أن السيوطي لم يزر أسبوط ، وإنما ولد في القاهرة وتوفي ودفن بها ، ولعله لأحد أجداده كما ذكر في كتابه التحدث بنعمة الله^(٢) . والله أعلم . وقد رثاه جماعة منهم الشيخ عبد الباسط بن خليل الحنفي^(٣) بأبيات مطلعها : (السريع)

مَاتَ جَلَالُ الدِّينِ غَوْتُ الْوَرَى مُجْتَهِدُ الْعَصْرِ إِمَامُ الْوُجُودِ
وَحَافِظُ السُّنَّةِ مُهْدِي الْهُدَى وَمُرْشِدُ الضَّالِّ لِنَفْعِ يَعُودِ
فَيَا عُيُونِي انْهَمِلِي بَعْدَهُ وَيَا قُلُوبُ انْفِطِرِي بِالْوُقُودِ^(٤)

ورثاه الشيخ أبو البقاء الأحمدى^(٥) بمرثية مطلعها : (الخفيف)

شَرَفَتْ بُقْعَةٌ مِنَ الْأَرْضِ ضَمَّتْ بَحَرَ عِلْمٍ سَمَا سَمَا الْمَعَالِي

(١) عبد الغني النابلسي ، الحقيقة والمجاز ، مخطوط دار الكتب الوطنية التونسية ، رقم : ٢١٩ ، ٢/ق ٨٧ .

(٢) في : ص ٥ منه ، وانظر قبر الإمام السيوطي : ٢٢-٢٣ .

(٣) هو عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي ، ثم القاهري الحنفي ، زين الدين ولد سنة ٨٤٤هـ/١٤٤٠م مؤرخ وفقه ، وبرع في كثير من الفنون ، وله نظم ونثر (ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م) . الضوء اللامع : ٤/٢٧ وانظر الأعلام : ٤٣/٤ .

(٤) بدائع الزهور : ٨٣/٤ ، مفاكهة الخلآن : ٣٠٢/١ وانظر الكواكب السائرة : ٢٣١/١ .

(٥) هو محمد بن علي بن خلف أبو البقاء الأحمدى ، القاهري الشافعي ويعرف بكنيته ولد سنة (٨٤١هـ/١٤٣٧م) ونظم قواعد ابن هشام ، وألفية في العروض (ت بعد ٩٠٩هـ / بعد ١٥٠٣م) . الضوء اللامع : ٨/١٨٠-١٨١ . والأعلام : ٦/٢٨٩ .

سَادَ مَنْ سَادَ كُلُّ قَوْمٍ تَسَامَوْا بِكَمَالٍ مَعَ هَيْبَةٍ وَجَلَالٍ
كَانَ كَالنَّيِّرَيْنِ لِلْخَلْقِ نَفْعًا أَوْ كَمَاءٍ لِظَامَىءٍ كَالزُّلَالِ^(١)

إلى أن قال :

يَا إِلَهِي حَقَّقْ لَهُ مَا يُرَجَّى يَا سَمِيعَ الدُّعَاءِ يَا مُتَعَالِي
بِشَفِيعِ الْوَرَى وَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى الصَّحْبِ جَمْعِهِمْ وَالْآلِ^(٢)

٩- أخلاقه ومناقبه :

تحلّى الجلال السيوطي بكريم الأخلاق ، وجميل الصفات ، وعظيم السمائل ، فقد كان عالماً ، عاملاً بما وهبه الله من أنواع العلوم والفنون ، توج ذلك كله تقوى الله تعالى والخوف منه ، وحبّ سنّة رسول الله ﷺ والعمل على تطبيقها ، ويمكنني إجمال صفاته وأخلاقه بالأمور التالية :

١- تمسكه بالسنة وسلوكه طريق السلف الصالح :

فقد جُبل السيوطي منذ نشأته الأولى على حبّ سنّة رسول الله ﷺ والتمسك بها ، وكرامية البدع والبعد عن أصحابها ، يقول : « إني منذ نشأت ألهمت حبّ السنّة والحديث وبغض البدع »^(٣) وقد ألّف في هذا مؤلفاً حسناً سمّيته (الزجر بالهجر) لأنني كثير الملازمة لهذه السنّة^(٤) .

ومن السنن التي أحياها السيوطي ، سنة لبس الطيلسان ، وقد ألّف في ذلك مؤلفاً سماه (الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان)^(٥) .

(١) بهجة العابدين ، ق : ٥٠/أ .

(٢) م . ن ق : ٥٠/ب .

(٣) بهجة العابدين : ق : ٣٤/أ .

(٤) السيوطي ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ، تحقيق بديع السيد اللحام (ط إدارة القرآن ، كراتشي : ١٤١٢هـ) ٧٨٧/٢ .

(٥) طبع في الهند قديماً ، وله في ذلك مؤلف آخر بعنوان (طي اللسان عن ذم الطيلسان) =

ومن ذلك إعراضه عن آذاه ، ومسامحته لهم ، فقد ذكر الشاذلي أنه كان إذا اشتدَّ به الأذى والضرر قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا يزيد على ذلك ، وصنَّف في ذلك كتاباً سماه (تأخير الظلامة إلى يوم القيامة)^(١) وكان رحمه الله لا يبادر أحداً بالاعتداء والخصومة ، ولا يقابل الاعتداء بمثله بل يصبر ويحتسب ذلك عند الله تعالى ، يقول : « ولم أتفوّه ، فيها - أي مسألة التشنيع عليه - ببنت شفة ، ولا لفظت مع كثرة ما سمعت من الأذى بحرف سفه »^(٢) .

وهو يعدّ هذا من نعم الله عليه ولذلك فقد عقد فصلاً في كتابه التحدث بنعمة الله بعنوان « ذكر نعمة الله عليّ بأن أقام لي عدواً يؤذيني . . كما كان للسلف »^(٣) وقد نقل تلميذه الشعراني قوله : « مما أنعم الله به عليّ هو أن الجماعة انتصبوا عداوتي وآذوني »^(٤) .

وهو مع ذلك سمح الخلق ، كريم النفس ، لئن العريكة ، إن دعي إلى الصلح أجاب ، وقد ألف في ذلك رسالة سماها « التّجّح في الإجابة إلى الصلح »^(٥) .

٢- تمسكه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لا يخاف في ذلك لومة لائم ولا قهر سلطان فمن دونه ، وله في ذلك مواقف مشهورة مع سلاطين عصره وأمرائه ، مما دفع أحد السلاطين أن يتهدده

= وقد وقعت له بسبب لبسه الطيلسان بعض المشكلات مع السلطان انظر تفصيلاتها في بهجة العابدين ق : ٣٠/أ .

(١) بهجة العابدين ، ق : ٣٣/ب . وانظر الطبقات الصغرى : ٣٥ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ١٩٥ .

(٣) م . ن : ١٦٠ .

(٤) الطبقات الصغرى : ٢١ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ١٩٤ .

بالقتل ، بل إن السلطان طومان باي قد تعقبه فعلاً وأراد البطش به مما اضطره أن يختفي أيام حكمه^(١) كما مرّ .

وقد كانت له فتاوي جريئة منها فتواه بهدم منزل معدّ للفساد ، وألف في ذلك رسالة سماها : (رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين)^(٢) ومنها فتواه بشأن الأوقاف ومنع السلطان الغوري من بيعها وألف رسالة في ذلك سماها (الإنصاف في تمييز الأوقاف)^(٣) .

ومنها رسالته المسماة (بالرسالة السلطانية)^(٤) التي أرسلها إلى السلطان (قايتباي) فيها جملة من الأحاديث المروية في نهى العلماء عن التردد إلى السلاطين .

هذا بالإضافة إلى الرسائل التي أرسلها إلى ملوك بلاد التكرور ينهاهم فيها عن بعض المنكرات التي تفشت في بلادهم . وقد ألف في ذلك رسالة أيضاً سماها (فتح المطلب المبرور ويرد الكبد المحرور في الجواب عن الأسئلة الواردة من التكرور)^(٥) .

٣- عدم ترده إلى السلاطين وسلوكه في ذلك طريق السلف الصالح :

في عدم التردد إليهم إلا المرات اليسيرة ، حتى قال له تلميذه الشاذلي « إن بعض الأولياء كان يتردد على الملوك الأمراء في حوائج الناس فأجابه بقوله :

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور : ٤٧٧/٣ ، الطبقات الصغرى : ٣٥ ، وانظر تفصيلات الحادثة في بهجة العابدين ق ٣٣/أ-ب .

(٢) وتسمى أيضاً « هدم الجاني على الباني » وهي مطبوعة ضمن كتابه الحاوي للفتاوي : ١١٣/١ وانظر قصة هذه الفتوى في التحدث بنعمة الله : ١٧٥-١٨٠ .

(٣) وهي مطبوعة ضمن الحاوي : ١٥٥/١ . وله رسالة أخرى في (ذم المكس) وذلك في تحرير الكثير من الضرائب التي استحدثها الغوري في عصره .

(٤) وهي مختصر كتابه « مارواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين » بهجة العابدين : ق ٣١/أ وانظر الطبقات الصغرى : ٣٤ .

(٥) وهي مطبوعة ضمن الحاوي : ٢٩١/١ .

اتباع السلف في عدم التردد عليهم أسلم لدين المسلم وكذلك في رد أموالهم عليهم»^(١) وكان الأمراء والسلاطين يرسلون إليه فيعتذر عن الإجابة وألف في ذلك مؤلفاً سماه (ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين)^(٢) .

وعندما ألحَّ السلطان الغوري في المجيء إليه قال في نفسه « ما بقي علي في آخر عمري إلا التردد إلى الملوك لأخذ الرزق ، وأنا طول عمري سالك سبيل السلف ، عامل بالأحاديث الواردة فيه .. »^(٣) ثم قال : « مالي وللسلطان ، إن كان للسلطان عندي حاجة فليأت إلى منزلي »^(٤) .

وذكر تلميذه أيضاً أن الملوك والأمراء كانت تسعى إلى منزله ويسألونه ألك حاجة فما يزيدهم على أن يقول حاجتي إلى الله ، ولا يلتفت إلى ما عندهم من المال والجاه»^(٥) .

وقد أرسل إليه السلطان الغوري خصياً وألف دينار ، فرد الألف وأخذ الخصي وأعتقه ، وجعله خادماً في الحجرة النبوية وقال لقاصد السلطان « لا تعد تأتينا بهديّة قط ، فإنَّ الله تعالى أغنانا عن مثل ذلك »^(٦) . ولذلك لما توفي السيوطي وبلغ ذلك السلطان لم يتعرض لتركته - رغم فساد زمنه - وقال : « الشيخ لم يقبل منا شيئاً في حياته ، فنحن لا نتعرض لتركته بعد وفاته »^(٧) وعد ذلك من كراماته»^(٨) .

(١) الطبقات الصغرى : ٣٢ .

(٢) البهجة ق٣/ب وانظر الطبقات الصغرى : ٣٤ .

(٣) البهجة ، ق٣٢/أ .

(٤) م . ن . ق٣٢/أ .

(٥) م . ن . ق٢٩/ب .

(٦) الطبقات الصغرى : ٣٢ .

(٧) بهجة العابدين : ق٤٤/أ .

(٨) وللشيخ كرامات كثيرة نقلها عنه تلاميذه ، توسع في ذكرها الشيخ عبد القادر الشاذلي في بهجة العابدين ق٢٩/أ-٣٣/ب ، و٤٤/أ . ونقل الشعراني بعضاً منها في طبقاته =

وقد عرضت عليه المناصب الرفيعة فتركها ولم يلتفت إليها ، وذكر تلميذه الشاذلي أنه كان إذا احتاج إلى شيء من النفقة باع من كتبه وأكل من ثمنها ، يقول : « وبعث له كتباً كثيرة ، ولم يسأل مخلوقاً في شيء من أمر الدنيا ، ولم يُعَلِّم بحاله أحداً »^(١) ومناقب الشيخ كثيرة ومشهورة وبالجمله فهو كما قال عن نفسه : « إن الله سبحانه من فضله وكرمه جبلني من حين كنت ابن سبع سنين على خصال منها :

أ- حبّ الخير والعمل الصالح والإصغاء إلى الحث عليه ، وكرهه الشر والعمل السيئ والنفور عن دعا إليه .

ب - حسن الاعتقاد في الفقراء وأهل الصلاح والزهد والتعبد وكل من ينسب إلى شيء من خصال الخير .

ج - كثرة التأني في الأمور ، وعدم المبادرة ، فرب أمر أريد الإقدام على فعله فأمكنث السنين أتروى فيه حتى يشرح الله صدري لفعله .

د - ورب رجل يذكر لي بسوء ولا يغيّرني ما كنت عليه من حسن الظن به حتى أجزّبه سنين ، ويتواتر عندي ما ينفرني منه ، فالأصل في كل مسلم عندي الدّين والخير حتى يثبت عندي ما ينافي ذلك بالتجربة لا بالأخبار »^(٢) .

إن المتتبع لسيرة السيوطي يجد مصداق ما قال ، ولقد جمّل ذلك كله

= الصغرى ص : ٣٠/٣٦ . وانظر النبهاني ، جامع كرامات الأولياء : ١٠٢/٢ والدمياطي ، المشكاة الفتحة على الشمعة المضية في علم العربية (ط وزارة الأوقاف العراقية) ص ٥٢-٥٣ . وقال الشعراني : « ولو لم يكن له من الكرامات إلا إقبال الناس عليه من مائر الأقطار وعلى كتبه ومؤلفاته لكان ذلك كفاية » الطبقات الصغرى : ٣٦ .

(١) بهجة العابدين : ٣١/ب .

(٢) بهجة العابدين : ٣٣/ب - ٣٤/أ .

تقوى الله تعالى والخوف منه والافتداء بسيرة الرسول ﷺ والصحابة العلماء العاملين وما ذلّ من ذل وهان من هان إلا بحب الدنيا والافتتال عليها وقلة الخوف من الله في كل زمان ، وقد قال ﷺ « مَنِ اتَّقَى اللَّهَ أَهَابَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ أَهَابَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ »^(١) .

* * *

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن واثلة بن الأسقع ، قال السيوطي وهو ضعيف ، انظر المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للسيوطي : ٢٧ / ٦ .

حياته العلمية

١- بداية طلبه للعلم ، ونبوغه :

نشأ جلال الدين السيوطي يتيماً ، فقد توفي والده ولم يتم السادسة من عمره^(١) ، وكانت أسرته من أهل العلم والصلاح ، ولها اعتقاد بالأولياء ، فقد ذكر السيوطي أنه حمل وهو صغير إلى الشيخ محمد المجذوب - وهذا الرجل كان أحد الأولياء الكبار ، ساكناً بجوار المشهد النفيسي^(٢) - فبرك عليه^(٣) . ثم أحضر إليه مرة أخرى فمسح على ظهره ورأسه^(٤) .

وكان والده قد أسند وصايته إلى عدد من علماء عصره وعلى رأسهم العلامة الشيخ كمال الدين بن الهمام الحنفي^(٥) ، الذي كان له نصيب وافر مما لأرباب

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٣٥ ، ونقله في بهجة العابدين ق/٩ ب .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٣٥ ، بهجة العابدين : ق : ٩/ب ، وانظر حسن المحاضرة : ٣٣٦/١ .

(٣) التبرك بأهل العلم والخير والصلاح أمر مسنون ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يُؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم » رواه أحمد في مسنده : ٢١٢/٦ ومسلم باب الطهارة ، باب : حكم بول الطفل الرضيع رقم (٢٨٦) وأبو داود في الأدب باب : في الصبي يولد فيؤذن في أذنه رقم (٥١٠٦) .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بهجة العابدين ق : ٩/ب .

(٥) وهو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي العلامة المجتهد كمال الدين بن الهمام الحنفي ولد في حدود سنة (٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) وأخذ عن علماء عصره وبرع في العلوم وتقدم على أقرانه ، وتصدى لنشر العلم فانتفع به خلق ، كان علامة في الفقه والأصول والنحو والتصريف والمعاني والبيان ، محققاً جديلاً نظاراً وكان فريد عصره في علماء الحنفية (ت ٨٦١هـ / ١٤٥٦م) ، الضوء اللامع : =

الأحوال من الكشف والكرامات فأولاه عناية ورعاية ودعا له^(١) .

والشأن في الأطفال الأيتام من أبناء الرجال الصالحين أن يشبوا منذ نعومة أظفارهم على حفظ القرآن الكريم ، فقد ذكر السيوطي أنه لما مات والده كان قد وصل في حفظ القرآن الكريم لسورة التحريم ، وختم القرآن وله دون ثماني سنين^(٢) .

وفي هذا دلالة كبيرة على ذكاء متوقد ، وذاكرة قوية ، وأنه كان نابغة منذ صغره ، فقليل من الأطفال أولئك الذين يتاح لهم حفظ الكتاب العزيز في مثل هذا السن المبكر ، إلا أن يكونوا في حدة من الذكاء وقمة في النبوغ .

وقد حفظ بعد ذلك (عمدة الأحكام) في الحديث وهي لعبد الغني المقدسي ، و(منهاج الطالبين) في فروع الشافعية ، للنووي ، (والألفية في النحو) لابن مالك .

و(منهاج السؤل في علم الأصول) للبيضاوي وعرض الثلاثة الأول وهو دون سن البلوغ على عدد من مشايخ عصره أمثال : العلم البلقيني ، والشرف المتأوي ، والعز الحنبلي ، وشيخ الشيوخ أمين الدين الأقصري وذلك في صفر سنة (٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) وله من العمر خمس عشرة سنة فأجازوه^(٣) .

= ٨/١٢٧-١٣٢ ، بغية الوعاة ، ١/١٦٦-١٦٩ ، التحدث بنعمة الله ٦٣ ، بدائع الزهور : ٣٤٠/٢ .

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بهجة العابدين ٩/ب . طرز العمامة (مقامة للسيوطي) ٨١٥/٢ ، النور السافر : ٥١ وانظر المراغي ، الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، (ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٢م) ٣/٦٥ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٣٦ ، بهجة العابدين : ق : ٩/ب ، حسن المحاضرة : ١/٣٣٦ ، وانظر شذرات الذهب : ٨/٥٢ .

(٣) التحدث بنعمة الله ٢٣٦ ، ونقله في بهجة العابدين : ٩/أ . وانظر حسن المحاضرة : ١/٣٣٦ .

وكان والده شديد الحرص على أن يتجه ابنه نحو العلم منذ صغره ، فلذلك نجده يحضره وهو ابن ثلاث سنين أكبر مجلس علم في زمانه وهو مجلس الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وشملته إجازته ، يقول السيوطي عند ترجمته « لي منه إجازة عامة ، ولا أستبعد أن تكون لي منه إجازة خاصة ، فإن والدي كان يتردد إليه وينوب في الحكم عنه ، وإن يكن فاتني حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت في الفن بتصانيفه واستفدت منها الكثير »^(١) .

ومما يؤكد حضور مجلس الحافظ ابن حجر ما ذكره النجم الغزي في الكواكب السائرة فقال : « وأحضره والده قبل موته وهو صغير مجلس رجل كبير من العلماء أخبره بعض أصحاب أبيه أنه مجلس الحافظ ابن حجر »^(٢) .

وكذلك أحضره وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي^(٣) وأجازه^(٤) ، يقول السيوطي في أثناء ترجمته : لا أشك في أن لي منه إجازة ، فإنه كان مسمع الحديث بالشيخونية ، وكان والدي يحضر مجلس الختم عنده ، وكنت كثيراً ما أحضر مع والدي الشيخونية ، مات في رجب سنة (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)^(٥) ودرس الشيخ سراج الدين عمر بن موسى المخزومي

(١) السيوطي ، طبقات الحفاظ : ٥٤٨ ، وانظر الكتاني ، فهرس الفهارس : ١٠١١/١ . والنور السافر : ٥٢ .

(٢) الكواكب السائرة ، ٢٢٦/١ ، وانظر شذرات الذهب : ٥٢/٨ .

(٣) هو رضوان بن محمد بن يوسف يقول عنه السخاوي شيخنا ، مفيد القاهرة ، محدث العصر الزين أبو النعيم العقبي ، ولد سنة (٧٦٩هـ/١٣٦٧م) ، وكان خيراً ديناً ساكناً وقوراً مهيباً بهياً حسن السميت كثير التلاوة والعبادة ، غاية في النصح محباً في الحديث وأهله (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) الضوء اللامع ٣/٢٢٦-٢٢٩ ، شذرات الذهب ٢٧٤-٢٧٥/٧ .

(٤) النور السافر : ٥٢ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ٥٠ .

الحمصي^(١) (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م) واستمر السيوطي مواظباً على طلب العلم ، لا يعرف الكلل أو الملل فلازم العلماء ملازمة تامة يشغل وقته كله متنقلاً من حلقة شيخ إلى مجلس عالم فيقول : « وكنت أذهب من الفجر إلى دروس البلقيني فأحضر مجلسه إلى قرب الظهر ، ثم أرجع إلى السُّمِّي فأحضر مجلسه إلى قرب العصر ، هكذا ثلاثة أيام في الجمعة : السبت والإثنين والخميس ، وكنت أحضر الأحد والثلاثاء عند الشيخ سيف الدين بُكْرَة ومن بعد الظهر في هذين اليومين ويوم الأربعاء عند الشيخ محيي الدين الكافيجي^(٢) » وقد صب السيوطي اهتمامه - في أثناء تلقيه للعلوم - على المباحث العلمية الدقيقة فلم يكتب بمجرد السماع والرواية فحسب ، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والتدقيق فيقول : « ولم أكثر من سماع الرواية ، لاشتغالي بما هو أهم ، وهو قراءة الدراية^(٣) .

ونص على ذلك أيضاً في كتابه التحدث بنعمة الله معللاً ذلك فقال : « . . فابتدأت في السماع وتحصيل الإجازات في ربيع الآخر سنة ثمان وستين ، فلم أكثر من السماع لأمر ، منها اشتغالي بالدراية تدريساً وتأليفاً وأخذاً عن أئمتها المعبرين اغتناماً لملازمتهم قبل حلول وفاتهم ، وذلك أهم عندي من الرواية^(٤) » ومن هنا فإن السيوطي إذا تلقى العلم عن عالم فإنه لا ينفك عنه إلا

(١) هو عمر بن موسى بن الحسين السراج القرشي الحمصي ثم القاهري الشافعي ، ولد في حمص سنة سبع وسبعين وسبعة مئة ونشأ بها ، أخذ عنه في أسوط والقاهرة الكمال أبو بكر السيوطي ، كان مفوهاً جريئاً مشاركاً في الفضائل (ت ٨٦١هـ/١٤٥٦م) ببيت المقدس . الضوء اللامع : ١٣٩/٦ . وقد ذكره السيوطي من جملة مشايخه وترجم له في كتابه التحدث بنعمة الله : ٥٨ وانظر النور السافر : ٥٢ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٠-٢٤١ ، ونقله الشاذلي في بهجة ق ١٠/ب ، ١١/أ .

(٣) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٢٤٧ ، ونقله عنه الشاذلي في بهجة العابدin ق ١١/ب .

بالموت ثم ينتقل إلى غيره وهكذا فقال عن شيخه شمس الدين الحنفي (ت ٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م) ، ولازمته إلى أن مات^(١) وقال عن شيخه البلقيني (ت ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م) ، فلازمته في الفقه إلى أن مات ، فلما توفي سنة ثمان وستين لزم شيخ الإسلام شرف الدين المناوي (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)^(٢) ثم يقول : « ولزم في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين السُّمُنِي (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) فواظبته أربع سنين . . ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات »^(٣) وقد لازم شيخه الكافجي أربع عشرة سنة وكان له مثل والد فقال : « وما كنت أعد الشيخ إلا والدأ بعد والدي ، لكثرة ما له علي من الشفقة والإفادة ، وكان يذكر أن بينه وبين والدي صداقة تامة »^(٤) .

ولقد اختار السيوطي مشايخه بما يوافق فطرته وميله إلى التعمق في العلم والتدقيق فيه ، والغوص على حقائقه ودقائقه فيحدثنا عن نفسه بقوله : « وبعد . . فإنني رجل حبب إليَّ العلم والنظر فيه دقيقه وجليله ، والغوص على حقائقه ، والتطلع إلى دقائقه والفحص عن أصوله ، وجبلت على ذلك ، فليس في منبت شعرة إلا وهي ممحونة بذلك »^(٥) فيقول السيوطي عن شيخه الكافجي - بعد ملازمته أربع عشرة سنة - « ما دخلت إليه مرة يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعته قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجليلة . . وما أعلم أنه ختم عليه كتاب ، لأنه كان يقرأ قراءة الأئمة الراسخين في التحقيق ، فكان يقرر في

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٣٨ .

(٢) حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٧ .

(٣) حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٧-٣٣٨ وقد تصدّقت كلمة (الشمي) إلى (الشبلي) وانظر التحدث بنعمة الله ٢٤٦-٢٤٧ وقارن بمقدمة طبقات المفسرين للسيوطي (ط ليدن : ١٨٣٩) ص : ٦٥ .

(٤) حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٨ ، التحدث بنعمة الله ، ٢٤٤ ، وبغية الوعاة ١/ ١١٨ .

(٥) السيوطي تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة (مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي ، له . ط دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٨م) ٢/ ٣٠٠ .

العشرين درجة^(١) الأسطر القليلة^(٢) .

واستمر السيوطي مواظباً على طلب العلم مما جعل أساتذته يجيزونه بالإفتاء والتدريس وهو في سن مبكرة^(٣) .

وبتنوع مناهله وكثرة شيوخه كان نبوغ السيوطي ، فهو قد أخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ ، وأخذ الفرائض عن العلامة فرّضيّ زمانه الشيخ شهاب الدين الشار مساحي ، قرأ عليه في شرحه على المجموع .

وقد ابتدأ السيوطي تأليفه في سنة (٨٦٦هـ / ١٤٦١م) وكان أول شيء ألفه « شرح الاستعاذة والبسملة » وقد أوقف عليه شيخ الإسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريراً^(٤) وقرأ عليه من أول التدريب لوالده إلى الوكالة ، وسمع عليه من أول « الحاوي الصغير » إلى العدد ومن أول « المنهاج » إلى الزكاة ، ومن أول « التنبيه » إلى قريب من باب الزكاة وقطعة من « الروضة » من باب القضاء ، وقطعة من « تكملة شرح المنهاج » للزركشي ، ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها .

وقرأ على المناوي قطعة من « المنهاج » وسمع منه شرح « البهجة » ومن حاشية عليها ومن تفسير البيضاوي .

(١) ذكر « LANE » في قاموسه « LEXICON » وتبعه « DOZY » في معجمه أيضاً أن الدرجة تساوي أربع دقائق ، ولم يذكر مصدرهما في ذلك ، وبناء على قولهما فإن العشرين درجة تساوي ثمانين دقيقة ، انظر : مد القاموس ، EDWARD WILLIAM LANE AN ARABIC ENGLISH LEXICON, LONDON EDI NBURGH, I 867.I 3/869 and R. DOZY. SUPPLEMENT, DICTUNNARES ARABES 2eme Edition: LEIDE, BRILL, PARIS, 1927; I/437 ولم تذكر المعاجم العربية - في حدود بحثي وإطلاعي - عن هذا الموضوع شيئاً .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ وانظر بغية الرعاة : ١ / ١١٨ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٨٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، وانظر حسن المحاضرة : ١ / ٣٣٧ .

(٤) حسن المحاضرة : ١ / ٣٣٧ .

ولزم في الحديث والعربية تقي الدين السُّمُتِي أربع سنين وكتب له تقريراً على شرح « ألفية ابن مالك » وعلى « جمع الجوامع » في العربية ، وقد شهد له بالتقدم والنبوغ في أكثر من مرة ، وكان يثق بعلمه وسعة اطلاعه^(١) .

وقد أخذ جملة من العلوم والفنون منها التفسير والأصول والعربية والمعاني عن العلامة محيي الدين الكافيجي ويلقبه بأستاذ الوجود^(٢) وأستاذ الأستاذين^(٣) ، وقد كتب له إجازة عظيمة ، كما حضر دروساً عديدة في « الكشف » و« التوضيح » و« تلخيص المفتاح » و« العضد » عند الشيخ سيف الدين الحنفي^(٤) ، إلى غير ذلك من الدروس التي حضرها على كبار العلماء في ذلك العصر . ومن هنا حق للسيوطي أن يتحدث عما أنعم الله عليه شاكرًا لله على ما رزقه من التبحر في العلوم فيقول : « قد رزقت ، والله الحمد ، التبحر في سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبدیع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريق المتأخرين من العجم وأهل الفلسفة بحيث إن الذي وصلت إليه في هذه العلوم سوى الفقه لم يصل إليه ولا وقف على أحد من أشياخي فضلاً عما دونهم ، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه بل شيخي فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً ، ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه والجدل والتصريف ، ودونها الفرائض والإنشاء والترسل . . وأما قلبي في الفرائض إن معرفتي بها دون ما قبلها فذلك لأنني تبهرت في العلوم السابقة تبهرًا لا يدرك قراره ولم أتبحر في الفرائض كتبحري في تلك مع أن معرفتي بالفرائض فوق معرفة الموجودين الآن بأسرهم^(٥) ولقد ألفت فيها مؤلفاً سمّيته

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٥ ، ٢٤٦ ، وانظر الضوء اللامع : ٦٦/٤ .

(٢) حسن المحاضرة : ٢٣٨/١ .

(٣) بغية الوعاة : ١١٧/١ .

(٤) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ ، التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ ، وانظر الضوء اللامع :

٦٦٦٥/٤ .

(٥) ولا مبالغة في ذلك ، فقد مر معنا أنه أخذ الفرائض عن فرضي زمانه الشيخ العلامة =

الجامع^(١) لم أسبق إلى مثله ، جمعت فيه جميع مسائل الفن وما فيها من الخلاف على جميع المذاهب ، حتى مذاهب الصحابة والتابعين فمن بعدهم وهو في غاية الوجازة . . ودون ذلك في المعرفة : القراءات ولم أخذها عن شيخ فلذلك لم أقرئها أحداً لأنها فنّ إسناده ، ولقد ألّفت فيها التأليف البديع^(٢) ، ودونها في المعرفة الطب ، وأما الحساب فأعسر شيء عليّ مع معرفتي به ، ولكن يثقل عليّ النظر فيه وتضييق منه أخلاقي ، ومن ظن أنني قلت ذلك قصوراً عنه فذلك لجهله بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت عليّ فيه نظماً ونثراً فأجبت عنها في الحال ، وإنما قصدي بذلك ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته لطبيعتي^(٣) .

والسيوطي يؤكد سعة اطلاعه وتعمقه في العلوم كلما وجد مناسبة لذلك فهو في معرض الحديث عن نجاة والدَي النبي ﷺ والرد على من يتردد في ذلك يأتي بالأدلة ثم يقول : « وإني بحمد الله قد اجتمع عندي الحديث ، والفقه

= شهاب الدين الشارمساحي الذي كان من أكابر الفن بحيث كانت الأساطين يذعنون له فيه : (التحدث بنعمة الله ٢٣٦-٢٣٧) فلعله يقصد أنه لم يتبحر في الفرائض كتبحر شيخه هذا والله أعلم .

(١) الجامع في الفرائض ، للسيوطي منه نسخة مخطوطة محفوظة في مكتبة برلين رقم (٣٨/٤٧٦٠) انظر : W. AHLWARDT, KONIOLLICEN, BIBLIOTHEK, ZU, BERLIN (BERLIN, L. SCHADE: 1962): 4/223 .

(٢) وهو شرح الشاطبية (حرز الأمانى ووجه التهاني) منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية ، رقم ٢٩٩ (١٠/القراءات) انظر عزة حسن ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن ، (ط المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٦٢م) ص : ١٠٨-١٠٩ .

(٣) التحدث بنعمة الله ٣٠٣-٢٠٤ ، بهجة العابدين : ق ١٥/ب ١٦/أ . وانظر حسن المحاضرة : ٣٣٨-٣٣٩ ، والضوء اللامع : ٦٧/٤ ، والشعراني في الطبقات الصغرى ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (ط ١ ، نشر مكتبة القاهرة ، مصر : ١٩٧٠م) ص ٢٢٠ .

والأصول وسائر الآلات من العربية والمعاني والبيان وغير ذلك»^(١) .

إنّ ما يدعيه السيوطي ليس دعوى من غير دليل ، فلقد ترك من المؤلفات ما يعجز الواحد منا الآن عن قراءتها فضلاً عن تأليفها وتحريرها ، فهو إذاً لم يقل ذلك متباهياً ولا متبجحاً وإنما قاله ذاكراً لنعم الله عليه شاكراً له كما ذكرت .

وهناك فنون أخرى نلاحظ أن السيوطي أغفل ذكرها كالتاريخ مثلاً ، مع أنه ألف فيه^(٢) وأتى بفوائد لم تتأت لبعض شيوخه حيث يقول في مقدمة كتابه (الشماريخ في علم التاريخ) « . . وبعد : فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ^(٣) فلم أر فيه لا قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يستفاد ولا حقيراً ، فوضعت في هذا الكتاب من الفوائد ما تقرّ به الأعين وتنحلّ به الألسن »^(٤) .

ويُعَدُّ كتاب (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) من أنفس الكتب التي ألّفت في بابهِ^(٥) ، ويقول عنه أحد الباحثين : « كتاب رائع حقاً وهو من أمهات المصادر في تاريخ القاهرة خاصة ، وفي التاريخ المصري الإسلامي عامة ، ويضيق المجال في استقصاء روائع ما اشتمل من حقائق ومعلومات

(١) السيوطي ، مسالك الحنفا (طبع ضمن الحاوي للفتاوي) ٢٢٩ .

(٢) وقد عدت له في (فهرس مؤلفاتي) للسيوطي (٣٢) كتاباً ، نقلها الشيخ الشاذلي في بهجة العابدين (ق ٤٢ / ب) ، وانظر حسن المحاضرة : ٣٤٤ / ١ .

(٣) يشير إلى كتاب شيخه الكافيجي (المختصر المفيد في علم التاريخ) طبع روزنثال فرائز قطعة منه ضمن كتابه : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمه صالح أحمد العلي (ط ٢ مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٣ م) ص ٣١٧-٣٧٠ .

(٤) السيوطي ، الشماريخ في علم التاريخ (مطبوع ضمن مجموع تسع رسائل للسيوطي) ص ٢٦-٢٥ .

(٥) انظر تصدير محمد أبو الفضل إبراهيم على كتاب حسن المحاضرة ص ٤ .

وإحصائيات وتحليل ونقد ووصف لمظاهر الحياة المصرية في القرن التاسع الهجري»^(١) .

ومن هنا فقد أصاب النجم الغزي عندما وصف السيوطي فقال : « حجة في التاريخ »^(٢) : لِمَ لَمْ يُعَدِّ السيوطي نفسه في عداد المؤرخين أو المشتغلين في التاريخ ؟ .

أقول : لأن السيوطي لا يدعي ما ليس عنده ، وهذا دليل على أنه لم يبالغ فيما ادعاه من التبخر في سائر العلوم ، ولعله لم يشعر من نفسه أنه بلغ المرتبة التي يعد فيها متفرداً بين أبناء عصره الذي يُعَدُّ الواحد منهم دائرة معارف تاريخية كابن تغري بردي^(٣) ، صاحب (النجوم الزاهرة) ، والسخاوي^(٤) صاحب (الضوء اللامع) و (التبر السبوك) و (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) الذي قال عنه السيوطي : « ثم أكتب على التاريخ ، فأفتى فيه عمره ، وأغرق فيه عمله »^(٥) وغيرهم .

(١) مقال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مجلة المنهل السعودية (العدد ٤٥٦ (محرم ١٤٠٨ هـ ، سبتمبر ١٩٨٧ م) ، ص ١٩٣ وانظر وصفاً تحليلياً ونقدياً للكتاب بقلم إبراهيم الأبياري في تراث الإنسانية ٢ / ٦٣٠ وما بعدها ، وبحث للدكتورة سيدة كاشف مطبوع ضمن كتاب ندوة جلال الدين السيوطي ص ١٣٣-١٥٠ .

(٢) نجم الدين الغزي ، لطف السمر وقطف الثمر في أعيان القرن الحادي عشر ، (ط وزارة الثقافة السورية) ١ / ١٨٤ .

(٣) هو يوسف بن تغري بردي ، أبو المحاسن بن الأنابكي ، القاهري ، الحنفي ، انتهت إليه رئاسة التاريخ في عصره (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) الضوء اللامع ١٠ / ٣٠٨-٣٠٥ ، شذرات الذهب ٧ / ٣١٩-٣٢١ والأعلام : ٨ / ٢٢٢-٢٢٣ .

(٤) هو الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي الشافعي ولد سنة (٨٣١ هـ / ١٤٢٧ م) بالقاهرة ، وكان أوسع أهل عصره رواية وأكثرهم تصنيفاً ، (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) ودفن بالبقيع ، ترجم لنفسه ترجمة واسعة في الضوء اللامع ٨ / ٣٢٠-٣٢١ وانظر ترجمته في نظم العقيان : ١٥٢ والكواكب السائرة : ١ / ٥٣ وشذرات الذهب : ٧ / ٣٢٦ ، النور السافر : ١٦ ، فهرس الفهارس : ٢ / ٩٨٩ .

(٥) نظم العقيان : ١٥٢ .

وقد اعترف السيوطي بقصور مدده عن مجازاة أمثال هؤلاء المؤرخين ، فقال في مقدمة كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) : « واعلم أن مَدَدِي قاصر عن ذلك بالنسبة إلى المؤرخين »^(١) .

ومما يلفت النظر أيضاً ما ذكره في أثناء حديثه عما أنعم الله به عليه من العلوم وترتيبها بحيث جعل براعته في الإنشاء والترسل دون غيرها .

وهو لا يقصد أن بضاعته في هذا العلم مزجاة ، أو ضعيفة ، وإنما قصد أنه لا يجاري في هذا المضمار أرباب هذا الفن أيضاً ، أمثال الشهاب محمود^(٢) وابن عبد الظاهر^(٣) ، وابن فضل الله^(٤) ، وغيرهم .

وقد صرح بذلك في أثناء حديثه عن نفسه فقال : « فلا أقول إن مرتبتي في الإنشاء والترسل تبلغ مرتبة الشهاب محمود ، ولا ابن عبد الظاهر ، ولا ابن فضل الله ، بل هي دون ذلك في حد التوسط »^(٥) .

وهذا أمر طبيعي ، لرجل كالسيوطي ، الذي كان أكبر همّه هو كثرة التأليف والتصنيف - كما سيأتي - وطول الاشتغال بالعلم ، وممارسة التأليف لا تترك

(١) السيوطي ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب الوطنية التونسية رقم (٨٥٦٥) ق/١ ب (المقدمة) .

(٢) هو شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي ، علامة الأدب ، وعلم البلاغيين كاتب السر بدمشق ، ولد سنة (٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م) وتوفي (٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) انظر : الذهبي ، العبر في خبر من غير (ط ١ دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٥ م) ٧٤-٧٣/٤ .

(٣) هو محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان المصري الأديب ، كاتب الإنشاء وأحد البلغاء ، توفي بمصر (٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) الذهبي ، العبر : ٣/٣٧٨ ، شذرات الذهب : ٥/٤٢١ .

(٤) هو أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، القاضي الإمام الأديب البارع ولد بدمشق سنة (٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م) وتوفي سنة (٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) العبر : ٤/١٥٢ ، شذرات الذهب : ٦/١٦٠ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ٢٠٣ ، وانظر بهجة العابدين ق : ١٥ ب .

لصاحبها مجالاً لاتباع البديع والتزام المحسنات . ومع ذلك فقد أدلى بدلوه في هذا الفن ، وسابق أهل الفصاحة والبيان ، فكتب المقامات الأدبية والطبية وغيرها وهي كثيرة ، إذ بلغت بعد التحقيق (٣٠) مقامة^(١) وقد سيطرت الروح العلمية على كثير من مقاماته ، فهي مملوءة بالنصوص المنقولة والفوائد العلمية ، وكثيراً ما صورت لنا هذه المقامات حالة عصره وما عاناه من خصومه وحسّاده ، وذلك بأسلوب سهل وعبرة واضحة بعيداً عن الغموض والتعقيد .

ومن مقاماته (المزهريّة) وهي محاورة ومناظرة بين الأزهار ، و (التفاحية) و (الأسبوطية) في وصف أسبوط ، و (اللؤلؤية) في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس . وله مقامة تسمى (طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة)^(٢) .

شعره :

ويما أنني تكلمت عن مقاماته لا بد من الكلام عن شعره ، وإن كان قد أغفل الحديث عن هذا الجانب إلا أن نجم الدين الغزي^(٣) قال « وله شعر

(١) سمير الدروبي شرح مقامات السيوطي ، ص ١٤٣ (مقدمة التحقيق) .

(٢) انظر نماذج من هذه المقامات في شرح مقامات السيوطي في مجلدين ، ومقامات السيوطي الأدبية الطبية ، تحقيق محمد إبراهيم سليم (ط : مكتبة ابن سينا ، القاهرة : ١٩٨٩ م) ومحمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي : ٣/ ٣٧٩-٣٨٤ ، وعبد الوهاب حمودة ، صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي (ط . الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة : ١٩٦٥ م) ص ٢٢٨-٢٣٩ . ومصطفى الشكعة ، جلال الدين السيوطي ، مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية : ص ٦٧-٨٧-٢٦٥-٢٧٠ ، وللشكعة بحث في ندوة جلال الدين السيوطي ، تحدث فيه عن المقامات السيوطية تحت عنوان (السيوطي كاتباً أدبياً) ص ٣٨٩-٤٣٣ .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغزي ، أبو المكارم ، نجم الدين ، مؤرخ توفي بدمشق ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م) المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر =

كثير ، أكثره متوسط ، وجيده كثير ، وغالبه في الفوائد العلمية والأحكام الشرعية»^(١) .

وله ديوان شعر اسمه (حديقة الأريب وطريقة الأديب) وقد انتقى منه بعض المقاطع والأبيات واختصره في مصنف سماه (نَوْر الحديقة ونُور الطريقة) توجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ضمن مجموع رقم (٧٤٦ مجاميع) ونسخة أخرى في المكتبة الظاهرية رقم (٨٧٢٥ عام)^(٢) .

وقد نظم السيوطي في الأغراض الشعرية المختلفة ، فله في المديح والثناء والمديح النبوي والإخوانيات والأحداث العامة ، غير أنه ذو باع طويل في نظم العلوم والفنون والفوائد العلمية والأحكام الشرعية وله في ذلك مؤلفات منها :

١- قلائد الفوائد ، وهي منظومة في الفوائد العلمية والمسائل الشرعية رتبها حسب الحروف الهجائية^(٣) .

٢- تحفة الظرفاء في أخبار الخلفاء .

٣- الخلاصة ، وهي نظم كتاب الروضة في الفقه .

٤- الفريدة : ألفية في النحو والصرف والخط .

٥- قطف الثمر في موافقات عمر وهي أرجوزة فيما وافق فيه سيدنا عمر رضي الله عنه التنزيل^(٤) .

-
- = (ط . دار صادر بيروت : د . ت) ١٨٩/٤ - ٢٠٠ . والأعلام : ٦٣/٧ .
- (١) الكواكب السائرة : ٢٢٧/٢ ، وانظر شذرات الذهب : ٥٤/٨ . والشنقيطي ، إضاءة الحال من ألفاظ دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك ص ١٧٦ .
- (٢) عدنان سلمان السيوطي النحوي : ص ١٥٩ ، وعصر سلاطين المماليك : ٣/٣٨٥ وصفحات من تاريخ مصر : ٢٤٥ .
- (٣) منها نسخة في مكتبة الأسد الوطنية ضمن مجموع رقم (٨٧٢٥ عام) ق ٥٠ . ونسخة أخرى في مكتبة الأحمدية بدار الكتب الوطنية التونسية ضمن مجموع رقم (١٥٨٥) ق ٨٠ .
- (٤) طبعت ضمن (الحاوي للفتاوي) ط دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٨ م) ١/٣٧٧-٣٧٨ .

٦- تحفة المجتهدين بأسماء المجتهدين .

٧- تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة ، وهي إجابة على نحو مئة من الأسئلة والألغاز أجاب عنها نثرًا ثم نظم إجابتها في أبيات^(١) .

هذا بالإضافة إلى كتابه الحاوي المليء بأمثال هذه الفتاوي شعراً^(٢) .

وأجود شعره مراثيه ، وله في هذا الغرض عدة قصائد ستأتي عند الحديث عن شيوخه إن شاء الله تعالى .

ومن شعره : (مجزوء الكامل)

فَوْضٌ أَحَادِيثُ أَلْصَفَا	وَلَا تُشْبِهْهُ أَوْ تُعْطِّلْ
إِنْ رُمْتَ إِلَّا الْخَوْضَ فِي	تَحْقِيقِ مُغْضَلَةٍ فَأَوَّلْ
إِنَّ الْمُفَوِّضَ سَالِمٌ	مِمَّا يُكَلِّفُهُ الْمُؤَوَّلُ ^(٣)

وقال : (مخلع البسيط)

حَدَّثَنَا شَيْخُنَا الْكِتَابِي	عَنْ أَبِيهِ صَاحِبِ الْخُطَابَةِ
أَسْرَعَ أَخَا الْعِلْمِ فِي ثَلَاثِ	الْأَكْلِ وَالْمَشْيِ وَالْكِتَابَةِ ^(٤)

ومن الاقتباس قوله : (مجزوء الرمل)

اعْبُدِ اللَّهَ وَدَعْ عَنَّا	كَالتَّوَانِي بِالْهُجُودِ
(وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ)	هُ وَأَذْبَارَ السُّجُودِ ^(٥)

(١) انظرها في الحاوي للفتاوي : ٣٢٣/٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال الحاوي : ١٧٧-١٧٦/١ ، ١٩٩ ، ٣١٢-٣١٣ ، ٣١٧ .
١٣٩/٢ ، ١٩٨-١٩٧ ، ٢٤١-٢٤٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٣٨ ، ٣٤٠ .

(٣) الكواكب السائرة : ٢٢٩/١ .

(٤) السيوطي قلائد الفوائد ، نسخة مخطوطة محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية ضمن مجموع رقم (٨٧٢٥ عام) ٤٩/ب . وانظر الكواكب السائرة : ٢٢٩/١ .

(٥) السيوطي ، أحسن الاقتباس في محاسن الاقتباس مخطوطة محفوظة بمكتبة الأسد =

وقال محدثاً عن نفسه : (البسيط)

إِنِّي عَزَمْتُ وَمَا عَزَمْتُ بِمُنْخَرِمٍ مَا لَمْ يُسَاعِدْهُ تَقْدِيرٌ مِنَ الْبَارِي
أَنْ لَا أَصَاحِبَ إِلَّا مَنْ خَبَرْتُهُمْ دَهْرًا مُقِيمًا وَأَزْمَانًا بِأَسْفَارِ
وَلَا أَجَالِسَ إِلَّا عَالِمًا فِطْنًا أَوْ صَالِحًا أَوْ صَدِيقًا لَا بِإِكْثَارِ
وَلَا أُسَائِلُ شَخْصًا حَاجَةً أَبَدًا إِلَّا اسْتِعَارَةَ أَجْزَاءِ وَأَسْفَارِ
وَلَا أُذِيعُ وَلَا لِلْعَالِمِ الْفِطْنِ الـ صَدِيقَ مَا يَخْتَوِي مَكْنُونُ أَسْرَارِي
وَلَا أَصَاحِبُ عَامِيًا وَإِنْ شَهِدُوا بِأَنَّهُ صَالِحٌ مَعْدُومٌ أَنْظَارِ
وَلَسْتُ أُحَدِّثُ فِعْلًا غَيْرَ مُفْتَرَضٍ أَوْ مُسْتَحَبٍّ وَلَمْ يَدْخُلْ بِإِنْكَارِ
مَا لَمْ أَقُمْ أَتَخَيَّرُ اللَّهَ مُتَكِلًا وَتَابِعًا مَا أَتَى فِيهَا مِنْ آثَارِ^(١)

تلك كانت نشأة السيوطي وحياته ، تميزت بالبيئة العلمية الحافلة بالشيخ
الكبار والأسرة الصالحة ، والاستعداد الفطري الذي أودعه الله فيه لحب العلم
والرغبة فيه ، والإقبال عليه ، والمواهب الفذة التي وهبها الله له من الذكاء
الحاد وسرعة الحفظ ، وقوة الذاكرة ، والهمة العالية ، والصبر الدؤوب على
تحصيل العلم وحفظ الكتب والمتون ، ساعد كل ذلك على نبوغ السيوطي
المبكر ، وتبحره في العلوم والفنون التي ذكرها .

وقد كان من أسباب نبوغه أيضاً تعدد مشايخه وتلقيه العلوم على الكبار
منهم - كما سنرى بعد قليل - .

وكان يعمل جاهداً للوصول إلى مرتبتهم ، فقد ذكر أنه لما حج شرب من

= الوطنية ضمن مجموع رقم (٨٧٢٥ عام) ق ٤٦ / ب وللسيوطي رسالة في الحاوي بين
فيها مشروعية الاقتباس في الشعر من القرآن : ٢٨٤-٢٧٧ / ١ وانظر نماذج من ذلك في
الكواكب السائرة : ٢٣٠ / ١ .

(١) السيوطي ، نور الحديقة ونور الطريقة ، مخطوطة محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية ضمن
مجموع رقم (٨٧٢٥ عام) ق ٤٦ / ب . وانظر الكواكب السائرة : ٢٣٠ / ١ .

ماء زمزم^(١) لأمر منها : أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين
البلقيني^(٢) .

(١) وذلك عملاً بقوله ﷺ : « ماء زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » رواه أحمد في مسنده (ط دار
صادر، المكتب الإسلامي ، بيروت) ٣/ ٣٥٧ ، وابن ماجه في سننه ، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي (ط . عيسى البابي الحلبي ، القاهرة) ، كتاب المناسك باب :
الشرب من ماء زمزم ، رقم (٣٦٠٢) والبيهقي في السنن الكبرى (ط دار الفكر ،
بيروت كتاب الحج ، باب : سقاية الحاج والشرب منها ومن ماء زمزم (١٤٨/٥) ،
والحاكم في المستدرک (الطبعة الهندية : ١٤٣٤ هـ) كتاب المناسك ، في ماء زمزم
لما شرب له : ١/ ٤٧٣ وصححه إسناده .

قال السيوطي : هذا حديث مشهور على الألسنة كثيراً فصحه قوم وهو المعتمد ،
وحسنه قوم وضعفه قوم انظر : البجعموي نور مصباح الزجاجية (المطبعة الوهية ،
مصر : ١٣٩٩ هـ) ص ٦٤ ، والسخاوي ، المقاصد الحسنة ، تحقيق محمد عثمان
الخشيت (ط دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٥ م) ص ٩٢٨ ، والسيوطي ، الدرر
المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (ط دائرة المعارف الإسلامية باكستان) ص ١٣٧ .
وقد أشبع السيوطي الكلام عن هذا الحديث في الحاوي : ١/ ٣٥٣ . ومما يؤيد صحة
هذا الحديث عمل العلماء به ، قال السندي : « وقد ذكر العلماء أنهم جربوه ،
فوجدوه كذلك » قال المناوي : « وقد شربه جمع من العلماء لمطالب فنالوها » انظر
المناوي ، فيض القدير (ط ١ ، مصطفى محمد ، القاهرة : ١٩٣٨ م) ٥/ ٤٠٤ ،
والعجلوني ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس
(ط ٣ . دار إحياء التراث العربي ، بيروت : ١٣٥٢ هـ) ٢/ ١٧٦-١٧٧ ، وقال
الكتاني : « وكذلك فعل الحافظ ابن حجر ، فإنه شرب ماء زمزم على أن يكون
كالحافظ الذهبي ، فبلغه الله أمله وزاد » . فهرس الفهارس : ٢/ ١٠١٢ ، وانظر
السيوطي ، طبقات الحفاظ تحقيق علي محمد عمر (ط مكتبة وهبة ، القاهرة :
١٩٧٣ م) ٢/ ٥٤٧ ، وأحمد عمر هاشم ، ماء زمزم في ضوء السنة النبوية بحث نشر
في مجلة الأزهر ، (الجزء : ١٢ ، السنة : ٥٣ ، العدد : ذي الحجة
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ص : ٢٠٩١ .

(٢) هو أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير الكتاني ، والد علم الدين شيخ السيوطي ،
عالم المئة الثامنة ، ومجتهد عصره ، قال عنه ابن خلدون « شيخ الإسلام بمصر لهذا
العصر ، فهو اليوم كبير الشافعيين بمصر ، لا بل كبير العلماء من أهل العصر » ، =

وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر^(١) .

ومن الجدير بالذكر أن السيوطي كان ذا نشأة صوفية ، وقد سبق الكلام عن ذلك وأن والده أسند وصايته إلى رجل من أهل الكشف والأحوال فتأثر به السيوطي كثيراً ، ثم أخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ الكمالي محمد بن عمر الشاذلي^(٢) وألف في ذلك كتاباً سماه (تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية)^(٣) وألف رسالة بعنوان (إتحاف الفرقة برفو الخرقه)^(٤) لإثبات صحة سند لبس الخرقه الصوفية ، كما ألف رسالة أخرى في إثبات وجود الأقطاب والأوتاد والنجباء والأبدال^(٥) .

ويرى السيوطي أن الطريقة الشاذلية في المتأخرين نظير طريقة الجنيد في المتقدمين ، وأن طريق الجنيد وصحبه طريق مقوم^(٦) .

= (ت ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م) انظر ابن خلدون ، المقدمة (ط دار الكتاب اللبناني) ٨٠٥/١ ، والضوء اللامع : ٨٥/٦ وابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية بعناية حافظ خان (ط . مؤسسة دار الندوة بيروت : ١٩٨٧م) ٣٦٥-٣٧٢/٢ وحسن المحاضرة : ٣٢٩/١ .

(١) ستأتي ترجمته فيما بعد عند الحديث عن شيوخه ، ص ١٠٨ .
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عمر المغربي الشاذلي ، نزيل مدرسة قراقجا بمصر ، ولازمه السيوطي دهرأ ، وكان من الراسخين في العلم ، أخذ الطريق عن الشيخ أبي العباس المرسي (ت ٩١٠هـ / ١٥٠٤م) انظر الضوء اللامع : ٦٩/٤ ، والشعراني الطبقات الكبرى (ط دار الفكر ، بيروت ، مصورة عن النسخة المصرية المطبوعة سنة ١٩٥٤م) ١١٧-١١٥/٢ .

(٣) طبع بعناية عبد الله الصديق الغماري في المطبعة الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٣٤م .

(٤) مطبوعة ضمن الحاوي : ١٠٢/٢ وما بعدها .

(٥) وسماها (الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال) مطبوعة ضمن الفتاوي المتعلقة بالتصوف في الحاوي : ٢٥٥-٢٤١/٢ .

(٦) الحاوي للفتاوي : ١٣٥/٢ ، وقد أشار السيوطي إلى ذلك في العقيدة السيوطية المطبوعة ضمن المجموعة الكبرى (ط المنار ، تونس : ١٩٧١) ص : ٧ .

٢- شيوخه :

لا شك أن نبوغ السيوطي المبكر ، وسعة اطلاعه ، وتعمقه في العلوم ، وتبحره في كثير من الفنون كان وراءه علماء كبار ، وشيوخ جلة يوصف الواحد منهم بأنه حجة ، أو إمام في فنه الذي برع فيه ، مع إتقانه لبقية الفنون الأخرى .

ومن هنا فمن الطبيعي أن يكثر شيوخه فقد ذكر الخوانساري في كتابه (روضات الجنات) أن قراءته وأخذه وروايته في مراتب المعقول والمنقول قد انتهت إلى جماعة كثيرة ، لم يعهد مثلها لأحد من الفحول ، بحيث ذكر بعضهم أنه قد أخذ عن غالب علماء عصره^(١) .

وقد وسع السيوطي دائرة شيوخه ، فعّد من سمع عليه أو أجازه أو أنشده شعراً فبلغوا نحو ستمئة شيخ^(٢) ، ونقل الشعرائي عن السيوطي أنه نظمهم في أرجوزة^(٣) .

وقد حرص السيوطي على التعريف بشيوخه فوضع فيهم ثلاثة معاجم^(٤) هي :

١- حاطب ليل وجارف سيل ، وهو معجم شيوخه الكبير ، وقد أشار إليه عند ذكر مؤلفاته في كتابه (حسن المحاضرة) في فن التاريخ والأدب^(٥) .

(١) الخوانساري ، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (مطبعة حجرية قديمة) ٤٣٢/٣ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٤٣ ، ونقل ذلك تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين . ق ١٢/ب .

(٣) الطبقات الصغرى : ١٩ ، وانظر فهرس الفهارس : ١٠١٣/٢ .

(٤) ذكر د . طاهر حمودة في رسالته (جلال الدين السيوطي وجهوده في الدرس اللغوي) ط المكتب الإسلامي ، بيروت : ١٩٨٩م) ص ٩٧ أن السيوطي وضع في شيوخه كتايبين هما المعجم الكبير والصغير ولم يتمكن من الوقوف على أحدهما .

(٥) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، وانظر كشف الظنون : ٩٤٨/٢ .

٢- المتتقى ، وهو معجم شيوخه الصغير ، ورد ذكره ضمن مؤلفاته في كتابه (حسن المحاضرة) في فن التاريخ والأدب^(١) ، وقد لخصه أحمد بن محمد المعروف بابن العجمي^(٢) ، وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في الخزانة التيمورية^(٣) .

٣- المنجم في المعجم ، ذكره السيوطي في فهرست مؤلفاته ، في فن التاريخ وتعلقاته^(٤) ونسبه إليه حاجي خليفة في كشف الظنون^(٥) ، وقد ضمّنه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم ، مع ترجمة موجزة لكل منهم ، قال في مقدمته : « هذا معجم ذكرت فيه أعيان الشيوخ الذين سمعت منهم الحديث أو أجازوا لي ، وهم ثلاث طبقات رمزت للعليا منهم (ط) وللتي تليها (طب) ولمن دونها (طس) ولم أذكر من الطبقة الرابعة وهي الصغرى كأصحاب أبي زرعة بن العراقي ، والشمس بن الجزري ، والشهاب الواسطي ، والبرهان الحلبي ونحوهم إلا اليسير ، لعدم الحاجة إليهم إذ لم أرو عنهم »^(٦) .

(١) م . ن . السابق ، وانظر الكتاني ، فهرس الفهارس (ط ٢ دار الغرب الإسلامي ، بيروت : ١٩٨٢م) ٢/ ١٠٢٠ ومكتبة الجلال السيوطي : ٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) هو أحمد بن أحمد بن محمد الوفاي ، الشافعي المصري المعروف بابن العجمي ، كان من أكابر علماء مصر ، ولد سنة (١٠١٤هـ / ١٦٠٥م) و (١٠٨٦هـ / ١٦٧٥م) المحبي ، خلاصة الأثر : ١٧٧-١٧٦/١ .

(٣) أحمد تيمور باشا ، الخزانة التيمورية (ط دار الكتب المصرية ، القاهرة : ١٩٤٨م) ٣/ ١٥٢ ، ١٩٦ .

(٤) فهرست مؤلفات السيوطي (ط . لاهور . باكستان) ص : ١١ .

(٥) كشف الظنون : ٢/ ١٨٥٩ . وانظر لطفي عبد البديع ، فهرس المخطوطات المصورة (ط . معهد المخطوطات العربية ، القاهرة) قسم التاريخ : ٢/ ٦٧ ، ومكتبة الجلال السيوطي : ٣٥٧ و BROCK, G: 2/202 .

(٦) السيوطي ، المنجم في المعجم ، مخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ عارف حكمت ، في المدينة المنورة ، رقم (٩٠٠/٢٣١) ق ١/ أ (المقدمة) وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة بالمكتبة السلمانية بتركيا رقم ١٤٤٥ وهي بخط تلميذه الداودي كما جاء في آخرها ق ٧٦/ أ ، ويوجد أيضاً منه نسخة في دار الكتب المصرية برقم (٥٢٦ =

وقد قمت بإحصائهم فبلغوا مئة وثمانية وستين شيخاً ، وبينما أحصاهم في كتابه التحدث بنعمة الله فبلغوا مئة وثلاثين شيخاً^(١) ، فلعله قد أضاف إلى معجمه بعض الشيوخ فيما بعد .

وفي كتابه (التحدث بنعمة الله) ، قسّم السيوطي شيوخه أربع طبقات^(٢) وهي :

- الأولى : من يروي عن أصحاب الفخر بن البخاري ، والشرف الدمياطي ، ووزيره ، والحجّار ، وسليمان بن حمزة ، وأبي نصر بن الشيرازي ونحوهم .

- والثانية : من يروي عن السراج البلقيني ، والحافظ أبي الفضل العراقي ونحوهما ، وهي دون التي قبلها في العلو .

- والثالثة : من يروي عن الشرف بن الكويك ، والجمال الحنبلي ونحوهما ، وهي دون الثانية .

- والرابعة : من يروي عن أبي زرعة بن العراقي ، وابن الجزري ونحوهما ، وهذه لتكثير العدة وتكبير (المعجم) ولم أرو عنهم شيئاً لا في الإملاء ولا في التخريج ولا في التأليف^(٣) .

وقد ذكر السيوطي في مقدمة (المنجم) سبب ذكره لهؤلاء « أنه مما يحتاج

= تاريخ (ميكرو فيلم رقم (١٤٣٣٩) وأوراقها مبعثرة ، وقد قمت بتحقيقه والتعليق عليه وسينشر قريباً إن شاء الله تعالى .

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٠ .

(٢) م . ن : ٤٣ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٧٠/٤٣ ونقل ذلك عنه تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين ١٣/ب ، والشعراني في الطبقات الصغرى : ١٩-٢٠ ، وانظر فهرس الفهارس (ط دار الغرب) ١٠١١/٢ .

إليهم في رواية مصنفات شيوخهم المذكورين «^(١)» .

ولم يقتصر اهتمام السيوطي في الكتابة على شيوخ الرواية فحسب ، بل اهتم أيضاً بوضع فهرس لمروياته عن شيوخه ، حيث يذكر الكتب وعمّن تلقاها من الشيوخ بأسانيدهم إلى مؤلفيها تحقيقاً لقول علماء الرواية : « الأسانيد أنساب الكتب »^(٢) . فوضع في ذلك كتابين : أحدهما : زاد المسير في الفهرست الصغير ، وقد ورد ذكره في فهرست مؤلفاته^(٣) ونقل الكتاني شيئاً من مقدمته وهو قوله : « هذا جزء لطيف لخصته من فهرس الكبير »^(٤) .

ولم أتمكن من الرجوع إلى هذا الكتاب إلا أنّ عدنان محمد سلمان قال : « توجد منه نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٨٠) مصطلح الحديث . وقد تضمن هذا الفهرست مروياته مع ذكر أسانيدها وذلك بأن يذكر الكتب وعمّن تلقاها مسنداً هذا التلقي إلى المصنف »^(٥) .

وثانيهما : فهرست المرويات ، ويسمى (أنساب الكتب في أنساب الكتب)^(٦) ورد ذكره في فهرست مؤلفاته^(٧) وأشار إليه حاجي خليفة^(٨) ، وقد

(١) السيوطي ، المنجم في المعجم ، نسخة مكتبة الشيخ عارف حكمت رقم (٢٣١ / ٩٠٠) ق ١ / ١ .

(٢) فهرس الفهارس ، (ط دار الغرب الإسلامي) ٨٢ / ١ .

(٣) السيوطي ، فهرست الكتب التي صنفها السيوطي ، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٨٩٦) ق ٣٧ / ب . وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ١٧٢ ، ودليل مخطوطات السيوطي : ٢٥٧ .

(٤) فهرس الفهارس (ط . فارس : ١٣٤٧ هـ) ٣٤٩ / ١ .

(٥) عدنان محمد سلمان ، السيوطي النحوي (ط دار الرسالة ، بغداد : ١٩٧٦ م) ص : ٧٠ .

(٦) ورد اسم الكتاب في فهرست مؤلفات السيوطي المطبوعة بـلاهـور ص : ٤ أنساب الكتب في انتساب الكتب ولعله تصحيف .

(٧) انظر فهرست الكتب التي صنفها السيوطي ، نسخة مكتبة الأسد الوطنية ، ق ٣٧ / ب .

(٨) كشف الظنون : ٦ / ٦٧٠ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٩٣ ، ٢٧١ .

ذكره الكتاني وقال : « أرويه بأسانيدنا »^(١) .

وبما أن شيوخ السيوطي من الكثرة كما وصفت ، ومن العدد كما ذكرت ،
فليس أمامي الآن إلا التعريف بأهمهم وأكثرهم تأثيراً في حياته العلمية
والعملية :

١- ابن حجر العسقلاني^(٢)

هو الحافظ شهاب الدين أبو الفضل ، أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن
حجر الكتاني العسقلاني ، الشافعي ، ولد في شعبان سنة (٧٧٣هـ / ١٣٧١م)
بمصر وعلى الرغم من أن السيوطي لم يع شيخه هذا - إذ ذكر الغزي « أنَّ والده
أحضره قبل موته وهو صغير مجلس رجل كبير من العلماء أخبره بعض أصحاب
أبيه أنه مجلس الحافظ ابن حجر »^(٣) ونص العيدروسي على أن عمره كان وقتئذ
ثلاث سنوات^(٤) - إلا أنه تأثر به تأثراً كبيراً فقد ذكرت فيما مضى أنه لمّا حج
وشرب من ماء زمزم ، دعا أن يصل في الحديث إلى مرتبة الحافظ ابن حجر .

وقد عدّه من جملة مشايخه في كتابه (التحدث بنعمة الله) وترجم له
وقال : « لا شك في أن لي منه إجازة ، فإنّ والدي كان يحضر مجالسه كثيراً

(١) فهرس الفهارس . . (ط فارس : ١٣٤٧هـ) ٢ / ٢٨٩ .

(٢) ترجمته في الضوء اللامع : ٢ / ٣٦-٤٠ ، حسن المحاضرة : ١ / ٣٦٣-٣٦٦ طبقات
الحفاظ : ٥٤٨-٥٤٧ ، التحدث بنعمة الله : ٤٥ ، نظم العقيان : ٤٦ وشذرات
الذهب : ٧ / ٢٧٠-٢٧٥ وله ترجمة واسعة في رسالة الدكتوراه لشاكر محمود
عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه (ط دار الرسالة ،
بغداد : ١٩٧٦م) .

(٣) الغزي ، الكواكب السائرة : ١ / ٢٢٦ وانظر شذرات الذهب : ٨ / ٥٢ .

(٤) العيدروسي ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص : ٥٤ وانظر فهرس
الفهارس : ٢ / ١٠١١ .

وقد أخبرني من أثق به أنه كان يجيز لمن حضر مجلسه وأولادهم»^(١) .

وأكد ذلك في (طبقات الحفاظ) فقال : « لي منه إجازة عامة ، ولا أستعبد أن تكون لي منه إجازة خاصة ، فإن والدي كان يتردد إليه ، وينوب في الحكم عنه ، وإن يكن فاتني حضور مجالسه ، والفوز بسماع كلامه ، والأخذ عنه ، فقد انتفعت في الفن بتصانيفه ، واستفدت منه الكثير»^(٢) وألف كتباً كثيرة كشرح البخاري . .^(٣) الذي وفي بشرحه هذا دينا على هذه الأمة ، فقد نقل ابن خلدون عن شيوخه قولهم : « شرح كتاب البخاري دین على الأمة »^(٤) .

يعنون أن أحداً من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح ، لما يحتاج إليه شارحه من معرفة الطرق المتعددة ومعرفة أحوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج إلى إمعان النظر .

قال السخاوي : « ولم يزل على جلالته وعظمته في النفوس ومداومته على أنواع الخيرات إلى أن توفي في أواخر ذي الحجة سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) . ولم يخلف في مجموعته مثله »^(٥) .

٢- علم الدين البلقيني^(٦)

هو شيخ الإسلام ، قاضي القضاة ، علم الدين ، صالح بن عمر بن رسلان الكناني ، البلقيني ، حامل لواء مذهب الشافعي في عصره ، وعنه أخذ

(١) التحدث بنعمة الله : ٤٥ .

(٢) طبقات الحفاظ : ٥٤٨ .

(٣) حسن المحاضرة : ٣٦٣ / ١ .

(٤) المقدمة : ٧٩٤ / ١ .

(٥) الضوء اللامع : ٤٠ / ٢ .

(٦) انظر ترجمته في الضوء اللامع : ٣١٢-٣١٤ / ٤ والتحدث بنعمة الله : ٥٢ ، بهجة

العابدين ق ١٠ / أ ، حسن المحاضرة : ٤٤٤-٤٤٥ / ١ ، نظم العقيان : ١١٩ ،

المنجم في المعجم : ١٨-٢٠ / أ ، وشذرات الذهب : ٣٠٧ / ٧ .

السيوطي الفقه . ولد بالقاهرة سنة (٧٩١هـ / ١٣٨٨م) .

وهو سليل أسرة عرفت بإنجاب العلماء الأفاضل لعدة أجيال متتابعة ، فأبوه كان شيخ الإسلام^(١) ، وأخوه عبد الخالق كان قاضي مصر وكان صاحب علم وفضل وقد أخذ عنه السيوطي أيضاً وعده من جملة مشايخه^(٢) .

أخذ علم الدين البلقيني عن أخيه وغيره من كبار علماء عصره .

وكان غاية في الذكاء وسرعة الحفظ ، وولي تدريس الخشائية بعد أخيه ، وقضاء الديار المصرية سنة (٨٢٦هـ / ١٤٢٢م)^(٣) .

وله تصانيف منها : تفسير القرآن في اثني عشر مجلداً ، وله شرح على البخاري ، وحواشي على الروضة في الفقه وغيرها . وتفرد بعلو سلسلة الفقه ، فإنه كان آخر من بينه وبين الشافعي أربعة عشر نفساً^(٤) . وقد أخذ عنه العلم الجرم الغفير ، ولازمه السيوطي في الفقه الشافعي من سنة (٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) إلى وفاته ، ويحدثنا السيوطي عن ذلك بقوله : « فقرأت عليه من أول (التدریب) تأليف والده إلى باب الزكاة ، وسمعت عليه من أول (الحاوي الصغير) إلى باب العدد ، ومن أول (المنهاج) إلى الزكاة ، ومن أول (التنبيه) إلى الزكاة وقطعه من (الروضة) من باب القضاء ، ومن (التكملة) للزركشي من إحياء الموات إلى نحو الوصايا »^(٥) .

(١) الضوء اللامع : ٣١٢/٤ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٥٣ .

(٣) المنجم في المعجم : ق١٨/ب ، وانظر الضوء اللامع ٣١٣/٤ وحسن المحاضرة ٤٤٤/١ .

(٤) المنجم في المعجم : ق١٨/ب ، وقد ذكر السيوطي سلسلة الفقه في آخر ترجمته ق١٩/ب-٢٠/أ .

(٥) بهجة العابدین ق١٠/أ . وانظر حسن المحاضرة ٣٣٧/١ ، ومما يجدر التنبيه عليه ما ورد في كتاب حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ وقوله : « ولازمته في الفقه إلى أن مات فلازمت ولده ، فقرأت عليه » إلخ ، ولم تشر أي من المصادر الأخرى إلى أن =

ولما ابتدأ السيوطي تأليفه سنة (٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) كان أول شيء كتبه هو (شرح الاستعاذة والبسملة)^(١) وكتاب (شرح الحوقلة والحيعة)^(٢) فأوقف عليها شيخه البلقيني فشجعه وكتب عليهما تقریظاً ، وقد أجاز به بالإفتاء والتدريس^(٣) وحضر بعض دروسه وأعجب بها^(٤) .

وقد أفرد السيوطي ترجمته بالتأليف ولكنها لم تصل إلينا ، توفي يوم الأربعاء خامس رجب سنة (٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) .

= السيوطي قرأ على ابن العلم البلقيني ، وبالرجوع إلى المخطوطات الأربع الموجودة في دار الكتب الوطنية التونسية ذوات الأرقام (٩٥١٥) ق : ١١٠ / أ ، و (٦٩٦٦) ق ٧٤ / أ ، و (٧٩٣٧) ق ٧٤٤ / ب ، (١٨١٢) ق ٧٩ / ب وإلى النسختين المخطوطتين الموجودتين في دار الكتب المصرية رقم (٨٢) تاريخ) ميكرو فيلم رقم (٣٥٩٨٣) ق (٨١ / ب) والنسخة الأخرى رقم (٨٤) تاريخ) ميكرو فيلم رقم (١٠٧٠٨) ق (٧٣ / ب) وكذلك إلى النسخ المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية ذوات الأرقام . . (٣٤٤١) ق ٨١ / ب ، و (٣٤٤٢) ق ٦٣ / أ ، و (١٤٤٥٣) ق ٨١ / ب ، وإلى تصدير طبقات المفسرين في أثناء ترجمة السيوطي الذاتية (ط ليدن) ص : ٥ وجدت فيها جميعاً : « ولازمته في الفقه إلى أن مات ، فقرأت عليه من أول التدريب إلخ » وليس فيها فلازمت ولده .

وأما ما نقله الأستاذ المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم في ترجمة السيوطي - إن كانت موجودة في النسخ التي رجع إليها - فلعل هناك تصحيحاً في الكلمة ويقصد (ملازمة ولده) والله أعلم .

(١) توجد منها نسخة في مكتبة « برلين » بعنوان « رياض الطالبين في شرح الاستعاذة والبسملة » رقم (٢٢٥٨) ٥١٥ / ٢ ، منها نسخة مخطوطة ضمن مجموع رقم (١٣٨١٩) في مكتبة (مركز التحقيقات الفارسي الإيراني الباكستاني بإسلام آباد باكستان) وهناك نسخة بعنوان « ميزان المعدلة في شأن البسملة » رقم (٢٢٥٧) فهرس برلين : ٥١٥ / ٢ .

(٢) فهرس برلين رقم (٢٩٩٣) / ١٤ ، ١ / ٢٨٥.٢٨٥. See W.AHLWARDT: 1/285.

(٣) حسن المحاضرة : ٣٣٧ / ١ ، ٤٤٥ .

(٤) بهجة العابدين : ق ١٠ / ب .

وقد رثاه السيوطي بقصيدة رائية - وهي أول مرثية نظمها^(١) - مطلعها :
(السريع)

مَاتَ إِمَامُ النَّاسِ شَيْخُ الْوَرَى فَفَاضَتْ الْأَعْيُنُ مِمَّا جَرَى
وَنَاحَتْ الْوُزُقُ عَلَى أُنْكَهَا وَغَابَتْ الشَّمْسُ وَمَا جَ الْوَرَى
وَأَظْلَمَ الْأَفْقُ وَقَدْ كَانَ مِنْ وَجُودِهِ فِي عَصْرِهِ أَزْهَرَا

٣- شرف الدين المناوي^(٢)

هو قاضي القضاة ، شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد المناوي ، القاهري ، الشافعي (جد عبد الرؤوف المناوي ، شارح الجامع الصغير^(٣)) ، ولد سنة (٧٩٨هـ / ١٣٩٥) ولازم أعيان شيوخ عصره ، كـ وَلِيِّ الدين العراقي ، وسمع الشرف بن الكويك وتصدى للإقراء والإفتاء وتخرج به الأعيان . واشتهر بإجادة الفقه وصار له سجية^(٤) وقد بلغ رتبة الاجتهاد في المذهب . وكانت له أحوال وكرامات^(٥) . ولي مشيخة الشافعي وقضاء الديار المصرية^(٦) .

-
- (١) المنجم في المعجم : ق : ٨/ب - ٩/أ .
 - (٢) ترجمته في الضوء اللامع : ١٠/٢٥٤-٢٥٧ والتحدث بنعمة الله : ٦٩/٢٤٢ ، بهجة العابدين : ق ١١/أ ، حسن المحاضرة : ١/٤٤٥ ، المنجم في المعجم : ق ٣٥/ب ، ٣٦/أ ، وشذرات الذهب : ٧/٣١٢ .
 - (٣) الضوء اللامع : ١٠/٢٥٤ ، وانظر شذرات الذهب : ٧/٣١٢ .
 - (٤) الضوء اللامع : ١٠/٢٥٥ ، وانظر المنجم في المعجم : ق ٣٦/أ ، وحسن المحاضرة : ١/٤٤٥ وشذرات الذهب : ٧/٣١٢ .
 - (٥) هكذا وصفه السيوطي في مقدمة رسالته (بذل المجهود في خزانة محمود) تحقيق فؤاد سيد ط . مجلة معهد المخطوطات العربية ، مصر : ١٩٥٨م) ٤م ، ١/١٣٤ .
 - (٦) المنجم في المعجم : ق : ٣٦/أ وانظر الضوء اللامع : ١٠/٢٥٥ ، وحسن المحاضرة : ١/٤٤٥ .

وبعد وفاة البلقيني ، لازمه السيوطي حتى وفاته فقرأ عليه قطعة من (المنهاج) وسمع دروساً من شرح (البهجة) ومن حاشية عليها ومن تفسير (البيضاوي)^(١) . له تصانيف منها : شرح مختصر المزني ، وعلق قطعة على المنهاج وحاشية على شرح البهجة . توفي سنة (٨٧١هـ / ١٤٦٦م) . وقد رثا السيوطي بقوله : (مجزوء الرمل)

قُلْتُ لَمَّا مَاتَ شَيْخُ الْـ عَصَرَ حَقّاً بِاتِّفَاقٍ
حِينَ صَارَ الْأَمْرُ مَا يَدُ مِنْ جَهْلٍ وَلَوْ وَقَسَاقٍ
أَيُّهَا الدُّنْيَا لَكَ الْوَيْدُ لَوْلَا إِلَى يَوْمِ التَّلَاقِ

٤- تقي الدين الشُّمْنِيّ (٢)

هو الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري ويعرف بالشُّمْنِيّ - بضم المعجمة والميم ، ثم نون مشددة - الحنفي هو المالكي والده ، القسطنطيني .

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ ، وانظر حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ ، وبهجة العابدين ق ١١/أ .

(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة : ٣٧٥-٣٧٧ ، بهجة العابدين : ق ١٢/أ التحدث بنعمة الله : ٢٤٥-٢٤٧ ، حسن المحاضرة : ٤٧٤-٤٧٨ . المنجم في المعجم ق ١٠/أ-١٣/أ . الضوء اللامع : ١٧٤-١٧٨ ، شذرات الذهب : ٣١٣/٧ ، درة الحجال : ٩٥/١ .

ومما ينبغي التنبيه عليه أيضاً ما ذكره في حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ أنه لازم تقي الدين الشبلي الحنفي و(الشبلي) محرّفة عن (الشُّمْنِيّ) وقد خدع الكثير ممن تصدوا لترجمة السيوطي بهذا التحريف إذ لم أجد في النسخ المخطوطة التسع الموجودة في دار الكتب الوطنية التونسية والمصرية ومكتبة الأسد الوطنية ، وكذا في تصدير طبقات المفسرين (طبعة ليدن) ص : ٥ ما ذهب إليه محقق حسن المحاضرة من أنه الشبلي وإنما أجمعت على الشُّمْنِيّ .

ولد بالإسكندرية سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٨ م) وقدم القاهرة مع والده وسمع على علماء عصره ، وأخذ العربية على الشمس الشطنوفي والصنهاجي ، وشمس الدين البساطي والسيرامي ، وبه تفقه وعن العلاء البخاري ، وأخذ الحديث عن الشيخ ولي الدين العراقي وبرع في الفنون . وتقدم في العلوم حتى أصبح إماماً في التفسير والحديث والأصول والكلام والنحو والمعاني والبيان^(١) ، وقد ترجمه السيوطي ترجمة تفيض بالإعجاب نعتة فيها بأبلغ الأوصاف^(٢) .

صنف التصانيف الحسنة الجليلة منها (حاشية على المغني) لابن هشام سماها « المنصف من الكلام »^(٣) ، و (حاشية على الشفا) سماها (مزيل الخفا على ألفاظ الشفا)^(٤) للقاضي عياض ، وشرح منظومة أبيه في علم الحديث سماها (العالي الرتبة في شرح نظم النخبة)^(٥) . وشرح (الثَّقايا) في الفقه^(٦) .

وقد لازمه السيوطي أربع سنوات من سنة (٨٦٨هـ / ١٤٦٣ م) إلى (٨٧٢هـ / ١٤٦٧ م) تاريخ وفاته ، فأخذ عنه الحديث والعربية والمعاني ، وسمع عليه قطعة كبيرة من (المطول) للشيخ سعد الدين ، ومن (التوضيح) لابن هشام^(٧) .

(١) الضوء اللامع : ١٧٤ / ٢ ، بغية المعاة : ٣٧٥ / ١ .

(٢) حسن المحاضرة : ٤٧٤ / ١ ، وبغية الوعاة : ٣٧٤ / ١ .

(٣) في المنجم في المعجم ق ، ١١ / أ . وإحدى النسخ في دار الكتب الوطنية التونسية رقم (١٧٢٨) « المصنَّف » وفي الضوء اللامع : ١٧٥ / ٢ ، كشف الظنون : ١٧٥٢ / ٢ و ١٨٦٢ ، والنسخة الأخرى في دار الكتب الوطنية التونسية رقم (١١٩٢) « المنصف » ولعلها أقرب إلى الصواب كون الكتاب شرحاً لغيره .

(٤) الضوء اللامع : ١٧٥ / ٢ ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ١٥٤ / ٢ .

(٥) م . ن السابق وانظر كشف الظنون : ١٩٣٦-١٩٣٧ .

(٦) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ١٩٧١ / ٢ واسمه « كمال الدراية في شرح الثَّقايا » .

(٧) التحدث بنعمة الله : ٢٤٦ ، بهجة العابدين : ق . ١٢ / أ .

وكانت صلة السيوطي بشيخه طيبة شهد له غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه
وينانه ، وعندما ألف السيوطي شرح ألفية ابن مالك وكتاب (جمع الجوامع)
استحسنهما وكتب على الثاني مقرّظاً « وقفت على هذا الجمع المفرد والتأليف
الذي هو جوهر منضد »^(١) .

وقد خرّج له السيوطي فهرسة مروياته وجزءاً فيه الحديث المسلسل
بالنحاة^(٢) وقد مدحه بشعره ، ولما مات رثاه بأربع قصائد منها : (الوافر)

أَلَا قَدْ طَالَ تَبْرِيحِي وَحُزْنِي عَلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ الشُّمْنِيِّ
إِمَامِ الْعَالَمِينَ بِكُلِّ عِلْمٍ وَشَيْخِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ فَنٍّ
وَمَنْ قَدْ كَانَ لِلدُّنْيَا عِصَاماً وَلِلْإِسْلَامِ رُكْنًا أَيْ رُكْنًا^(٣)

وقد ذكر السيوطي من مناقبه رحمه الله تعالى أنه كان لا يتردد إلى أحد من
الملوك والأمراء وعرض عليه قضاء القضاة فامتنع ، وأقام على نشر العلم ونفع
الناس والانقطاع إلى الله تعالى إلى أن مات في ذي الحجة سنة
(٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)^(٤) .

ولعل هذا ما يفسر لنا ابتعاد السيوطي عن الحياة العامة وانعزاله عن
الناس .

(١) التحدث بنعمة الله : ١٣٧ .

(٢) انظر هذه السلسلة في المنجم ق : ١٣/أ وقد ذكره السخاوي أنه خرّج له المسلسل
بالنحاة أيضاً ، الضوء اللامع : ١٧٦/٢ .

(٣) المنجم في المعجم : ق ١٢/ب .

(٤) م . ن السابق ، وانظر بغية الوعاة ٣٧٩/١ .

٥- محيي الدين الكافيجي^(١)

هو العلامة أستاذ الأستاذين ، محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي ، أبو عبد الله ، ويعرف بالكافيجي لإكثاره من قراءة الكافية لابن الحاجب ، فنسب إليها بزيادة جيم كما هي عادة الترك في النسب^(٢) .

ولد سنة (٧٨٨هـ/١٣٨٦م) ، واشتغل بالعلم أول ما بلغ ، ورحل إلى بلاد العجم والتتر ، ولقي العلماء الجلّة . أخذ عن الشمس الفنري والبرهان خيّدره ، وغيرهم^(٣) .

وتصدى للتدريس والإفتاء والتأليف^(٤) ، وقد لازمه السيوطي أطول مدة إذ بلغت أربع عشرة سنة ، وأخذ عنه أكثر ما أخذ وقد جمعتهم صلوات طيبة وعلاقات حميمة حتى عده بمحل والده حيث يقول : « ما كنت أعدّ الشيخ إلا والدًا بعد والدي لكثرة ما له عليّ من الشفقة والإفادة ، وكان يذكر أن بينه وبين والدي صداقة تامة .. »^(٥) .

وقد أخذ عنه السيوطي الفنون قراءة وسماعاً من التفسير والحديث والأصليين والعربية والمعاني وغير ذلك ، وكتب له بخطه إجازة عظيمة وحضر

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٧/٢٥٩-٢٦١ والتحدث بنعمة الله : ٢٤٢ ، وبهجة العابدین : ق : ١١/ب ، بغية الوعاة : ١١٧/١ وحسن المحاضرة ١/٥٤٩-٥٥٠ ، المنجم في المعجم ق٢٦/ب وبدائع الزهور ٣/٩٤ وشذرات الذهب ٧/٣٢٦-٣٢٨ .

(٢) الضوء اللامع : ٧/٢٦٠ ، وانظر لب اللباب : ٢١٨ .

(٣) بغية الوعاة : ١١٧/١ ، وانظر حسن المحاضرة : ١/٥٩٤ وشذرات الذهب : ٧/٣٢٧ .

(٤) الضوء اللامع : ٧/٢٦٠ .

(٥) بغية الوعاة : ١١٨/١ ، وانظر شذرات الذهب : ٧/٣٢٨ .

تصديره^(١) . وقرأ عليه من (شرح القواعد) له وأشياء من مختصراته ، وسمع عليه من (الكشف) وحواشيه ، و(المغني) وحاشيته ، (توضيح) صدر الشريعة ، و(التلويح) للشيخ سعد الدين و(تفسير البيضاوي) والكثير من تصانيفه كـ(شرح كلمتي الشهادة) و(مختصره) في علوم الحديث ، و(شرح أحكام القوافي) وغير ذلك .

يقول السيوطي : « وعلقت عنه فوائد وأبحاثاً ، وما أعلم أنه ختم عليه كتاب لأنه كان يقرأ الأئمة الراسخين في التحقيق » .

وأجازني بتدريس سائر الفنون وكتب لي بخطه إجازة ، وقررتني في تدريس الحديث بالشيخونية ، ثم يقول : « وكانت مدة ملازمتي للشيخ أربع عشرة سنة ما دخلت إليه مرة يوماً من الأيام إلا استفدت منه ما لم أسمعته قبل ذلك من نفائس التحقيقات الجلييلة »^(٢) .

وللشيخ تأليف أكثرها مختصرات ، وأجلها وأنفعها على الإطلاق كما يقول السيوطي (شرح قواعد الإعراب) و(شرح كلمتي الشهادة) وله (مختصر في علوم الحديث)^(٣) ومختصر في علوم التفسير يسمى (التيسير)^(٤) .

والسيوطي لا يترك مناسبة يذكر فيها الشيخ إلا وينعته بأروع الصفات وأجمل العبارات^(٥) . وبالجمله فكان كما قال السخاوي نقلاً عن شيخه ابن

(١) انظر نص التصدير - الذي ألقاه السيوطي بحضرة شيخه الكافيجي سنة ٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) وكان عمر السيوطي آنذاك ثمانين وعشرين سنة وذلك قبل وفاة شيخه بستين - في التحدث بنعمة الله : ٩٢ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ ، وانظر بهجة العابدين : ق ١١/ب وبغية الوعاة : ١١٨/١ .

(٣) طبع في دار السنة بالرياض : ١٩٨٠م بتحقيق علي زوين .

(٤) وهو مطبوع في دار القلم بدمشق ، ودار الرفاعي بالرياض سنة ١٩٩٠ بتحقيق ناصر محمد المطرودي .

(٥) انظر الإقتان في علوم القرآن : ٧ .

حجر « الإمام الأوحـد الفاضـل البارـع جمال المدرسين ومفيد الطالبين »^(١) .
ولم يزل الشيخ على جلالته ووجاهته إلى أن توفي ليلة الجمعة رابع جمادى
الأولى سنة (٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) رحمه الله تعالى .

٦- سيف الدين الحنفي^(٢)

هو الشيخ الإمام محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي
النحوي ولد سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) تقريباً .

وأخذ العلم على علماء عصره أمثال : السراج قارىء الهداية ، والزين
التفهني ، ولزم العلامة كمال الدين بن الهمام وانتفع به^(٣) .

ونبغ في العلوم حتى صار أوحـد عصره في العلم والتحقيق والصلاح والورع
والعبادة والانقطاع إلى الله^(٤) . وعدم التردد إلى أبناء الدنيا مدة عمره^(٥) .

ولي التدريس بـأماكن منها درس التفسير بالمنصورية ، وآخر ما تولى
مشيخة المؤيدية ثم الشيخونية . له حاشية على (توضيح) ابن هشام كثيرة
المنافع^(٦) .

وقد لازمـه السيوطي فسمع عليه دروساً عديدة من (الكشاف)

(١) الضوء اللامع : ٢٦٢/٧ .

(٢) ترجمته في الضوء اللامع : ١٧٣-١٧٥/٩ وحسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية
الوعاء : ٢٣١/١ ، التحدث بنعمة الله ٢٤٢ ، المنجم في المعجم ق : ٢٩/أ-ب .
وشذرات الذهب : ٣٣٢/٧ .

(٣) المنجم في المعجم : ق : ٢٩/أ ، وانظر الضوء اللامع : ١٧٣/٩ .

(٤) المنجم في المعجم : ق : ٢٩/أ-ب .

(٥) حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية الوعاء : ٢٣١/١ .

(٦) م . ن السابقان .

و(التوضيح) وحاشيته عليه ، و(شرح الشذور) و(تلخيص المفتاح)
و(العضد) وغير ذلك^(١) .

وناهيك برجل يقول عنه شيخه ابن الهمام هو « محقق الديار
المصرية »^(٢) .

مات في ذي القعدة سنة (٨٨١هـ / ١٤٧٦م) رحمه الله تعالى .

قال السيوطي : وهو آخر شيوخي موتاً لم يتأخر بعده أحد ممن أخذت عنه
العلم إلا رجل قرأت عليه ورقات من « المنهاج »^(٣) وقلت أرثيه : (الرمل)

مَاتَ سَيْفُ الدِّينِ مُنْفَرِداً وَغَدَا فِي اللَّحْدِ مُنْعَمِداً
عَالِمُ الدُّنْيَا وَصَالِحُهَا لَمْ تَزَلْ أَخْوَالُهُ رَشَداً
ثُلَمَةٌ فِي الدِّينِ مُؤْتَتْهُ مَا لَهَا مِنْ جَابِرٍ أَبَداً^(٤)

هؤلاء هم أهم الشيوخ الذين لازمهم السيوطي ، وأكثر إليهم التردد والأخذ
عنهم ، والذين كان لهم الأثر الأكبر في نبوغه العلمي ، وتكوينه الفكري ،
وسلوكة الاجتماعي ، وقد جلس السيوطي إلى عدد كبير من العلماء غيرهم ،
ولكنه لم تطل مدة مجالسته لهم ولم يكن لهم ذلك التأثير الكبير في شخصيته
وسلوكة أمثال :

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٤٢ ، والمنجم في المعجم : ق ٢٩/ب .

(٢) م . ن السابقان وانظر حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ .

(٣) يقصد بذلك شيخه شمس الدين الباني المتوفى سنة (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) التحدث
بنعمة الله : ١٦٣ .

(٤) المنجم في المعجم : ق ٢٩/ب ، حسن المحاضرة : ٤٧٨/١ .

٧- جلال الدين المحلي

هو العلامة شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ، جلال الدين المحلي ، الشافعي ، أبو عبد الله^(١) ولد في مستهل شوال سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) بالقاهرة .

حضر السيوطي مجالسه سنة كاملة في كل أسبوع مرتين^(٢) ، وكان علامة آية في الذكاء والفهم أوجد عصره في العلم والتحقيق والدين^(٣) .

من تصانيفه شرح « المنهاج » وشرح « جمع الجوامع » وشرح « الورقات » وتفسير القرآن من سورة الكهف إلى آخره ، يقول السيوطي : « وقد كملته على نمطه ، من أول البقرة إلى آخر الإسراء »^(٤) ومن هنا أصبح يطلق على كتابهما « تفسير الجلالين » ، توفي رحمه الله سنة (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) .

٨- الإمام شهاب الدين الشارمساحي^(٥)

هو علامة زمانه في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة^(٦) ، الشيخ أحمد بن علي بن أبي بكر الشارمساحي ، كان من أكابر الفن ، بحيث كان السلاطين يذعنون له فيه ، وقد بلغ سنأ عالية^(٧) .

(١) المنجم في المعجم : ق ٢٥/ ب .

(٢) الكواكب السائرة : ٢٢٦/١ ، شذرات الذهب : ٥٢/٨ .

(٣) المنجم في المعجم : ق ٢٥/ ب ، حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٤ .

(٤) م . ن السابقان وسيأتي الحديث عنه مفصلاً في ص : ٢٧٨ .

(٥) نسبة إلى شارمساح ، قرية قرب دمياط بمصر (لب الباب : ١٤٨ ، الضوء اللامع : ١٦/٢) .

(٦) بهجة العابدين : ق ٩/ ب ، وانظر حسن المحاضرة : ١/ ٣٣٦ .

(٧) م . ن السابقان .

ألف شرحاً على مجموع الكلائي في الفرائض^(١) ، يقول السيوطي :
« قرأت عليه قطعة منه »^(٢) توفي رحمه الله تعالى سنة (٨٦٥هـ /
١٤٦٠م)^(٣) .

٩- عز الدين الكناني

هو القاضي عز الدين أبو البركات أحمد بن إبراهيم بن نصر الله الكناني
الحنبلي^(٤) انتهت إليه رئاسة الحنابلة بالديار المصرية .

قرأ عليه السيوطي قراءة بحث قطعة من (جمع الجوامع) لابن السبكي ،
وقطعة من (نظم مختصر ابن الحاجب) الأصلي وشرحه عليه . وهو أحد
الشيوخ الذين عرض عليهم محافظته في بداية حياته العلمية^(٥) ولد سنة
(٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) وتوفي سنة (٨٧٦هـ / ١٤٧١م) .

١٠- عز الدين الميقاتي

هو أبو الفضل عبد العزيز بن محمد بن محمد القاهري ، الشافعي ،
الوفائي ، الميقاتي ، أستاذ أهل الميقات في عصره .

ولد سنة (٨١١هـ / ١٤٠٨م) بالقاهرة ، أخذ فنون الميقات عن ابن

(١) نظم العقبان : ٤٣ .

(٢) المنجم في المعجم ، ق/٣ ، أ ، بهجة العابدين ، ق/٩ ب .

(٣) المنجم في المعجم ، ق/٣ ب ، وفي الضوء اللامع ١٦/٢ ، توفي سنة
(٨٥٥هـ / ١٤٥١م) وينفيه ما ذكره السيوطي في حسن المحاضرة ١/٣٣٦ من أنه بدأ

تحصيله العلمي على شيخه هذا سنة (٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) .

(٤) المنجم في المعجم ق/١ . التحدث بنعمة الله : ٤٤ .

(٥) بهجة العابدين ق : ٩/ب و ١١/ب .

المجدي وغيره وبرع فيه وتصدى لإفادته^(١) ، قرأ عليه السيوطي رسالته في (الميقات والمقنطرات) ونظم قطعة من رسالته الأولى وعرضها عليه فتعجب منها^(٢) . (ت : ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م)^(٣) .

١١- أمين الدين الأقصري

وهو شيخ الشيوخ يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأقصري - نسبة لأقصر إحدى مدن الروم^(٤) - الحنفي ولد سنة (٧٩٥هـ / ١٣٩٢م)^(٥) .
وانتهت إليه الرياسة في عصره ، وكان السيوطي قد عرض محافظه عليه فأجازه^(٦) ، (ت : ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م)^(٧) .

١٢- شمس الدين الباني

هو محمد بن أحمد بن محمد المخزومي الباني^(٨) ، الفقيه الشافعي ولد سنة (٨١٠هـ / ١٤٠٧م)^(٩) .

-
- (١) الضوء اللامع ٢٣٢/٤ والمنجم في المعجم : ق ٢١/أ .
 - (٢) بهجة العابدين : ق : ١١/ب و ١٢/أ .
 - (٣) الضوء اللامع : ٢٣٢/٤ ، المنجم في المعجم : ق ٢١/أ .
 - (٤) السيوطي ، لب الألباب : ١٩ .
 - (٥) الضوء اللامع : ٢٤٠/١٠ ، المنجم في المعجم : ق ٣٦/أ .
 - (٦) بهجة العابدين : ق : ٩/ب .
 - (٧) المنجم : ق ٣٦/أ ، الضوء اللامع : ٢٤٣/١٠ ، نظم العقيان : ١٧٧ .
 - (٨) قال السيوطي : الباني ، بالنون نسبة إلى بانة قرية بالجيزة ، واشتهر على الألسنة البامي ، المنجم في المعجم : ق ٢٥/ب وانظر لب اللباب : ٢٩ وفي الضوء اللامع : ٤٨/٧ البامي بموحدة ثم ميم نسبة لبلدة بالصعيد .
 - (٩) الضوء اللامع : ٤٨/٧ والتحدث بنعمة الله : ٦١ . والمنجم في المعجم : ق ٢٥/ب .

قرأ عليه السيوطي دروساً في (المنهاج) و (البهجة)^(١) وخرج له مشيخة عن شيوخ أجازوه ذكرهم في المنجم^(٢) . ثم انقطع عنه ، وقد حصلت بينهما خصومات ولعل مرجعها إلى ما كان بينه وبين والد السيوطي من عداوة يقول السيوطي : « وبينه - أي الباني - وبين والدي عداوة مشهورة ، وعداوة في الآباء صلة في الأبناء ، وأعرف منه بغض الشديد لي »^(٣) . (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠ م)^(٤) .

١٣- فخر الدين المقسي

هو العلامة عثمان بن عبد الله بن عثمان ، القاهري ، الشافعي ، ولد سنة (٨١٨هـ / ١٤١٥ م)^(٥) ناب عن السيوطي في تدريس الفقه بالجامع الشيخوني^(٦) . وبسبب ذلك قرأ عليه السيوطي من أول « المنهاج » إلى السّلم ، وحضر عليه تقسيم « المنهاج » كاملاً^(٧) . وهو أحد الذين تألبوا على السيوطي وناصبوه العداوة^(٨) . (ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٢ م)^(٩) .

-
- (١) بهجة العابدین : ق ١٢/أ .
 - (٢) المنجم في المعجم : ق ٢٦/أ .
 - (٣) التحدث بنعمة الله : ١٦٨ .
 - (٤) الضوء اللامع : ٤٩/٧ .
 - (٥) الضوء اللامع : ١٣١/٥ .
 - (٦) بهجة العابدین : ق ١٠/ب ، الضوء اللامع : ١٣٢/٥ .
 - (٧) بهجة العابدین : ق ١٠/ب .
 - (٨) التحدث بنعمة الله : ٩١ .
 - (٩) الضوء اللامع : ١٢٣/٥ .

١٤- شمس الدين السيرامي الحنفي

هو محمد بن موسى بن محمود السيرامي الحنفي ، الشيخ شمس الدين ، الإمام بخانقاه شيخو^(١) . ولد سنة (٧٩٨هـ/١٣٩٥م) تقريباً^(٢) ، قرأ عليه السيوطي ابتداء من سنة (٨٦٤هـ/١٤٥٩م) رواية (صحيح مسلم) إلا يسيراً ، ودراية (ألفية) ابن مالك من أولها إلى آخرها يقول السيوطي «فما ختمتها إلا وقد صنفت»^(٣) وسمع عليه (الشفاء) للقاضي عياض ، وكتب له إجازة بخطه^(٤) . (ت ٨٩١هـ/١٤٨٦م)^(٥) .

هؤلاء هم أهم شيوخه المصريين ، ولما حج سنة (٨٦٩هـ/١٤٦٤م) لقي بمكة المكرمة كبار العلماء ، فأخذ عنهم ونهل من معينهم ، من أشهرهم :

١٥- قاضي القضاة محيي الدين ، عبد القادر بن أبي القاسم بن أحمد بن محمود بن عبد المعطي الأنصاري ، المالكي ، نحوي مكة المكرمة ، ترجم له السيوطي ترجمة حافلة في كتابه بغية الوعاة . وقال : «ليس بعد شيخي الكافيجي والشُّمْنِي أنحى منه مطلقاً»^(٦) ولد سنة (٨١٤هـ/١٤١١م) بمكة المكرمة^(٧) ، وتفرد في أقطار الحجاز بمعرفة مذهب الإمام مالك والعربية^(٨) ،

(١) التحدث بنعمة الله : ٦٨ ، المنجم في المعجم : ق ٣٣/أ .

(٢) الضوء اللامع : ٦٣/١٠ .

(٣) بهجة العابدين : ق ١٠/أ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) المنجم في المعجم : ق ٣٣/أ ، الضوء اللامع : ٦٤/١٠ .

(٦) بغية الوعاة : ١٠٤/٢ ، وانظر ترجمة جده في البغية : ١٠٤/١ .

(٧) البغية : ١٠٤/٢ ، المنجم في المعجم : ق ٢١/ب ، التحدث بنعمة الله : ٥٥ ،

٨٠٧٩ .

(٨) المنجم : ق ٢١/ب ، الضوء اللامع : ٢٨٤/٤ .

وقد استجازه السيوطي ، وكتب له على شرحه للألفية تقريباً بليغاً^(١)
(ت ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) .

١٦- والعلامة الحافظ نجم الدين بن تقي الدين محمد بن فهد المكي ،
وهو من طلبة والده ، وقد أجازه بمروياته ، وهو الذي أشار على السيوطي
باختصار (طبقات النحاة الكبرى) فاختصرها بكتابه (بغية الوعاة)^(٢)
(ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) .

- ولم يقتصر السيوطي في تلقيه العلم عن الرجال ، بل أخذ كذلك عن
شهيرات نساء عصره ممن تصدرن للعلم سواء أكنّ من مصر أم البلدان التي
شملتها رحلاته إلى الحجاز ، فقد حوى فهرس شيوخه العديد من أولئك
النسوة فمن أشهرهنّ :

١٧- أم هاني بنت أبي القاسم الأنصاري . أخت محيي الدين عبد القادر
الآنف الذكر^(٣) . وكانت أصيلة ، صالحة ، (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م)^(٤) .

١٨- وأم هانيء بنت شيخه الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي
المكي - وقد سبق التعريف به - المولودة بمكة سنة (٨١٧هـ / ١٤١٤م) .
وكانت فاضلة دينة ، (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)^(٥) .

١٩- أم هانيء بنت الشيخ نور الدين أبي الحسن علي بن قاضي القضاة تقي
الدين عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني ، واسمها مريم وهي والددة شيخه
سيف الدين الحنفي^(٦) ، ولدت سنة (٧٧٨هـ / ١٤٧٣م) وتوفيت في صفر

(١) انظر نص التقريظ في كتاب التحدث بنعمة الله : ١٣٩-١٤٠ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٨٠ .

(٣) المنجم ق : ١٥/أ . التحدث بنعمة الله : ٤٩ .

(٤) الضوء اللامع : ١٢/١٥٨ .

(٥) المنجم ق : ١٥/أ . الضوء اللامع : ١٢/١٥٩ .

(٦) الضوء اللامع : ١٢/١٥٩ .

سنة (٨٧١هـ / ١٤٦٦م)^(١) ولقبها السيوطي بالمسند ، وأطلق عليها عدداً من الصفات « الأصيل ، الثقة الخيرة ، الفاضلة ، الكاتبة »^(٢) .

٢٠- خديجة بنت أبي الحسن الأنصاري ، ابنة ابن الملقن وأخت الجلال عبد الرحمن ولدت سنة (٧٨٨هـ / ١٣٨٦م) وتوفيت سنة (٨٧٣هـ / ١٤٦٨م)^(٣) وأكثر شيوخه روى عنهن الحديث ، وقد حوى معجمه (المنجم) و (الطبقات الكبرى) الكثيرات من اللواتي قرأ عليهن أو سمع منهن^(٤) .

وقبل أن أختتم الحديث عن شيوخه أحب أن ألفت الانتباه إلى أن السيوطي لم يأخذ عن السخاوي ولا عده من شيوخه سواء في كتابه (المنجم في المعجم) أو (التحدث بنعمة الله) ورأيت الشيخ عبد الحي الكتاني يقول : « ولا من وقفت على كلامه من أصحابه »^(٥) .

إلا أن السخاوي ذكر أنه لازمه في بداية طلبه للعلم فقال في (التبر المسبوك) عندما ترجم لوالد السيوطي : « وهو والد الفاضل جلال الدين عبد الرحمن ، أحد من أكثر التردد إليّ ومدحني نظماً ونثراً »^(٦) .

(١) التحدث بنعمة الله : ٤٩-٤٨ ، المنجم : ق ١٤/ب ١٥/أ . الضوء اللامع : ١٥٧-١٥٦/١٢ .

(٢) الأحاديث المنتقاة من الطبقات الكبرى الملحقه ببغية الوعاة : ٣٩٨/٢ .

(٣) المنجم في المعجم : ق ١٧/أ ، التحدث بنعمة الله : ٥٠ ، الضوء اللامع : ٢٩/١٢ .

(٤) وقد جعل محقق كتاب بغية الوعاة « محمد أبو الفضل إبراهيم » ملحقاً في آخر الكتاب وعنوانه « هذا باب في أحاديث منتقاة من الطبقات الكبرى » ذكر فيه روايات الإمام السيوطي وفيه روايته عن الكثير من نساء عصره ، وانظر فهرس الفهارس : ١٠١٥-١٠١٤/٢ .

(٥) فهرس الفهارس : ١٠١٥/٢ .

(٦) التبر المسبوك : ٣٥٧ .

وعندما ترجم للسيوطي في كتابه الضوء اللامع قال : « ولازمي دهرأ
وكتب إليّ في نثر طويل .. »^(١) .

ولكنني رأيت السيوطي عندما يذكر السخاوي لا يلقبه بشيخنا وإنما يقول
صاحبنا ففي بغية الوعاة عند ترجمة عبد الملك بن علي بن أبي المني قال
السيوطي « ورأيت بخط صاحبنا المحدث شمس الدين السخاوي »^(٢) .

وكذلك الأمر عندما ترجم لشيخه الشمنيّ قال : « وخرّج له صاحبنا الشيخ
شمس الدين السخاوي مشيخة .. »^(٣) .

وهذا صريح في أن السخاوي ليس من شيوخه ، وعدّه من شيوخه وهم ! .

٣- رحلاته :

بعد أن أخذ السيوطي العلم على علماء بلده ، شرع في الرحلة في طلب
العلم ، كعادة العلماء . وكان أول شيء قام به هو رحلته إلى الحجاز لأداء
فريضة الحج ، وكانت هذه الرحلة في ربيع الآخر سنة (٨٦٩هـ / ١٤٦٤م)
ووصل إلى مكة المكرمة عن طريق البحر منتصف جمادى الآخرة من العام نفسه
واستمر فيها إلى أن حج^(٤) .

وقد جمع السيوطي فوائد هذه الرحلة ، وما وقع له فيها وما ألفه أو طالعه أو
نظمه وما أخذه عن شيوخ الرواية في تأليف سماه (النحلة الزكية في الرحلة
المكيّة)^(٥) ، وفي أثناء طريقه إلى مكة كان اختتام مختصره على ألفتة العراقي
في المصطلح نظماً فقال في آخرها : (الرجز)

(١) الضوء اللامع : ٦٦/٤ .

(٢) بغية الوعاة : ١١٢/٢ .

(٣) بغية الوعاة : ٣٧٧/١ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٧٩ و ١٨٣ الضوء اللامع : ٦٦/٤ .

(٥) وتسمى أيضاً الرحلة المكية والمدنية ، التحدث بنعمة الله ٧٩ و ١٢٧ .

نَظَّمْتُهَا فِي نَحْوِ ثُلَاثِي أَصْلِهَا وَلَنْ تَرَى مُخْتَصِراً كَمِثْلِهَا
خَتَمْتُهَا بِظَهْرِ الْقَلْزَمِ مُسَافِراً لِلْبَلَدِ الْمُحَرَّمِ
وَفِي رَبِيعٍ لَاحَ زَهْرُ نَظْمِهَا وَفِي جُمَادَى فَاحَ مِنْكَ خَتَمُهَا
مِنْ عَامٍ تِسْعَةٍ وَسِتِّينَ الَّتِي بَعْدَ ثَمَانِئَةِ لِلْهِجْرَةِ^(١)

وعندما وصل السيوطي إلى مكة المكرمة ، أَلَفَ فيها كراساً على نمط كتاب
(عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي)
لابن المقرئ^(٢) وسماه (النفحة المسكية والتحفية المكية) وقد أتم تأليفه هذا
في يوم واحد^(٣) .

ولما رجع السيوطي إلى مصر سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ابتدأ رحلة أخرى
إلى دمياط والإسكندرية والقيوم والمحلة^(٤) ، واستمرت هذه الرحلة نحواً من
ثلاثة أشهر من رجب إلى شوال وقد جمع أيضاً فوائد هذه الرحلة في مؤلف
سماه « الاعتبار في الرحلة إلى الإسكندرية ودمياط »^(٥) .

-
- (١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ ، ولم أجد لهذه المنظومة ذكراً في فهرس مؤلفات السيوطي
أو في حسن المحاضرة .
- (٢) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد اليميني الحسيني ، الإمام شرف
الدين بن المقرئ عالم البلاد اليمينية ، كان غاية في الذكاء والفهم
(ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الضوء اللامع ٢/ ٢٩٢ ، بغية الوعاة : ٤٤٤/١ ، وانظر
الأعلام : ٣١٠-٣١١ ، وقد طبع كتابه (عنوان الشرف) في دار الروائع بدمشق
ودار أسامة بتعز سنة ١٩٨٧م .
- (٣) التحدث : ٧٩ . وقد أشار إلى ذلك عند ترجمة ابن المقرئ في بغية الوعاة :
٤٤٤/١ . وانظر الطبقات الصغرى : ٢٠ .
- (٤) التحدث : ٨٣ ، الضوء اللامع : ٦٦/٤ .
- (٥) وتسمى (قطف الزهر في رحلة شهر) التحدث : ٨٣ و ١٢٧ وللسيوطي كتب أخرى
في ذلك ذكرها في فهرست مؤلفاته في حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ منها (الرحلة
القيومية) و (الرحلة الدمياطية) ، وانظر التحدث : ١٢٧ . ومكتبة الجلال
السيوطي : ٢٠١ .

وفي هذه الرحلة حدث بعشارياته وبأشياء من نظمه ، وكتب الكثير من كلامه وتصنيفه ، وطلب منه الإجازة^(١) .

ومما ينبغي التنبيه عليه وما وقع فيه كثير من الباحثين والمعرفين بالإمام السيوطي ما ورد في حسن المحاضرة من قوله : « وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز والهند والمغرب والتكرور^(٢) ، ولما حججت شربت من ماء زمزم إلخ . . »^(٣) .

فظاهر النص يدل على أن السيوطي قد رحل إلى تلك البلاد ولكن بقراءتي لكتابه التحدث بنعمة الله الذي ألفه بعد حسن المحاضرة لم أجد أي تلميح أو تصريح في ذهابه إلى تلك البلدان عدا الذي ذكره سابقاً ، كما أن كل المصادر التي ترجمت للسيوطي لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى هذه الرحلات ، فلم أجد لها ذكراً عند السخاوي في (الضوء اللامع) وابن إياس في (بدائع الزهور) والشاذلي في (بهجة العابدين) والشعراني في (طبقاته الصغرى) كما لم يشر إليها من جاء بعدهم ، ونقل عنهم أو عن السيوطي ، فلم يشر إليها النجم الغزي في (الكواكب السائرة) وابن العماد في (شذرات الذهب) والشوكان في (البدر الطالع) والعيدروسي في (النور السافر) أو صديق حسن خان في (التاج المكلل) أو الكتاني في (فهرس الفهارس والأثبات) أو غيرهم على كثرتهم ، وإنما أُولع بذكر هذه الرحلات ، الكتاب المعاصرون .

وأمر آخر وهو أن السيوطي لم يترك لنا أي أثر عن مشاهداته أو الفوائد التي جمعها في رحلاته تلك كما فعل مع الرحلات الأقل شأنًا .

مما جعلني أقرر أن السيوطي لم يغادر بلده ، مصر إلا للحج أو زيارة تلك

(١) التحدث : ٨٣ .

(٢) التكرور براءين مهملتين ، بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج ، (معجم البلدان : ٣٩٩/٢) .

(٣) حسن المحاضرة : ٣٣٨/١ .

المدن المصرية التي أشار إليها ، وهذا ما تنبه له أحد المستشرقين الروس وهو كراتشكوفسكي في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي) حيث قال : « وإذا استثنينا فريضة الحج فإن السيوطي لم يغادر مصر على الإطلاق وأمضى حياته في القاهرة تقريباً . »^(١) .

وإذا عرفنا أن هناك تحريفاً في النسخة المطبوعة من حسن المحاضرة فإن الإشكال سيزول .

فبعد الرجوع إلى النسخ المخطوطة المحفوظة في دار الكتب الوطنية التونسية والمصرية ، ومكتبة الأسد الوطنية بدمشق^(٢) رأيت في جميعها

(١) تاريخ الأدب الجغرافي : ٤٤٨/٢ .

(٢) يوجد من حسن المحاضرة في دار الكتب الوطنية التونسية أربع نسخ خطية ففي النسخة الأولى رقم (٩٥١٥) ق : ١٠٠/أ (ودخلت) وقد ضبطت بالشكل بفتح اللام وسكون التاء وأما النسختان ذات الرقم (٦٩٦٦) ق ٧٤/أ (٧٩٣٧) ق ١٤٤/ب ففيهما (ودخلت) من دون ضبط بالشكل وأما النسخة الرابعة ذات الرقم (١٨١٢) ق : ٧٩/ب فقد سقطت منها هذه الكلمة وجاء فيها : « وبلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمئة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه بحمد الله إلى بلاد الشام . » إلخ وأما في نسختي دار الكتب المصرية رقم (٨٢ تاريخ) ميكرو فيلم رقم (٣٥٩٨٣) ق ٨٢/أ ورقم (٨٤ تاريخ) ميكرو فيلم رقم (١٠٧٠٨) ق ٧٣/ب ففيهما ودخلت بحمد الله هكذا من دون ضبط .

وكذا الشأن في نسخ دار الكتب الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق . وقد تفتن أحد الباحثين المعاصرين إلى هذه الرحلات المزعومة ، ولكنه لم يتمكن من الرجوع إلى النسخ المخطوطة للوقوف على الحقيقة ، وعلل الأمر « أن كلمة (سافرت) الواردة في حسن المحاضرة المطبوعة إما أن تكون تحرفت على المحقق من كلمة (سارت) أو أن تكون صحيحة ، والتاء في آخرها تاء التأنيث ، وليست تاء الفاعل كما توهم المحقق والناقلون عن حسن المحاضرة فيما بعد » ، الدكتور بديع السيد اللحام ، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه . (ط ١ ، دار قتيبة ، دمشق : ١٩٩٤م) ص ١٢٥-١٢٦ .

أقول : إن ما اتفقت عليه المخطوطات - التي رجعت إليها - ينفي ما ذهب إليه =

« ودخلت » بدل « وسافرت » وكذلك الشأن في التصدير على كتاب طبقات المفسرين للسيوطي ، طبعة ليدن فقد ذكر « ودخلت »^(١) مضبوطة بالشكل هكذا بفتح اللام وسكون التاء ، ثم إن العبارة واردة في سياق حديث السيوطي عن كتبه لا عن نفسه . وهو لا يترك مناسبة يتحدث فيها عن كتبه إلا ويذكر انتشارها في الآفاق^(٢) ، ففي كتاب « التنبيه » قال : وصارت مصنفاتي في سائر الأقطار ، ووصلت إلى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة والمغرب والتكرور وامتدت إلى البحر المحيط . . .^(٣) .

وهذا دليل على أن كتبه هي التي دخلت لا هو والله تعالى أعلم .

* * *

= الباحث من تأويل وأما قوله إنها تحرفت عن « سارت » فالأقرب أنها تحرفت عن « صارت » خصوصاً أن العبارة قد وردت في كتاب السيوطي (التنبيه) كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، والله أعلم .

(١) طبقات المفسرين : ص ٦ .

(٢) عقد السيوطي فصلاً خاصاً تحدث فيه عن انتشار كتبه في البلدان وتاريخ دخولها

التحدث : ١٥٥-١٥٩ .

(٣) انظر بحث عصام الدين عبد الرؤوف ، مؤلفات السيوطي ، ضمن الندوة ، ص ١١٩ .

الباب الثاني

حياته العلميّة وآثاره

- الفصل الأول : حياته العلمية .

- الفصل الثاني : آثاره .

الفصل الأول

حياته العلميّة

- ١- المناصب التي تقلّدها .
- ٢- خصوماته العلميّة .

أولاً : المناصب التي تقلدها

لم يكن السيوطي بمعزل عن مجتمعه ، ولا سيما في بداية حياته ، فقد كان له تأثير كبير بين وتبوا مكانة مرموقة في المجتمع .

وكان أول منصب تولاه هو إجازته بتدريس العربية في مستهل عام (٨٦٦هـ/١٤٦١م) والذي أجاز به هو شيخه الشيخ شمس الدين محمد بن موسى الحنفي^(١) .

وحصل كذلك في العام نفسه على إجازة من الشيخ البلقيني بالإفتاء والتدريس^(٢) وحضر تصديره الذي ألقاه في التاسع من ذي القعدة سنة (٨٦٧هـ/١٤٦٣م)^(٣) .

ثم تولى وظيفة تدريس الفقه بالجامع الشيوخوني ، والحديث في الجامع الطولوني ، وقد ورث ذلك عن والده بتقرير من شيخه البلقيني^(٤) .

وكانت سنة إملاء الحديث عند المحدثين قد اندثرت من موت الحافظ ابن

(١) بهجة العابدين : ق ١٠/أ . حسن المحاضرة : ٣٣٧/١ .

وقد وهم الدكتور محمد سلمان فظن أن الذي أجاز به هو الشيخ تقي الدين الشُّمْنِي سنة (٨٦٦هـ/١٤٦١م) ، انظر السيوطي النحوي : ٨٣ ، وهذا غير صحيح لأن السيوطي لزم شيخه الشُّمْنِي سنة (٨٦٨هـ/١٤٦٣م) أي بعد تاريخ هذه الإجازة بسنة ، وانظر بهجة العابدين : ق ١٢/أ .

(٢) م . ن السابقان .

(٣) بهجة العابدين ق ١٠/ب . وقد ورد خطأ في نسخة حسن المحاضرة المطبوعة فذكر أن الإجازة بالإفتاء والتدريس كانت في سنة ست وسبعين بينما ذكر في النسخ الأربع المخطوطة الموجودة في دار الكتب الوطنية التونسية ست وستين « .

(٤) بهجة العابدين : ق ١٠/ب . و ١١/ب والضوء اللامع : ٦٦/٤ .

حجر سنة (٨٥٢هـ / ١٣٥١م) فافتتحه وأحياه السيوطي أول سنة (٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)^(١) ، وذكر السيوطي أنه تصدى للإفتاء سنة (٨٧١هـ / ١٤٦٦م) وأنه خالف أهل عصره في خمسين مسألة ، وألف في كل مسألة مؤلفاً بيّن فيه وجه الحق^(٢) .

ونقل الشاذلي عن شيخه ، أنه تولى مشيخة التصوف بترية برقوق نائب الشام التي بباب القرافة سنة (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) وتدرّس الحديث بالشيخونية بعد وفاة الفخر عثمان المقسي^(٣) .

ولما شغرت مشيخة الخانقاه البيبرسية بوفاة الشيخ جلال الدين البكري سنة (٨٩٠هـ / ١٤٨٦م) ولاه السلطان قايتباي مشيختها وذلك في ربيع الآخر من العام نفسه^(٤) وقد أرسل إليه السلطان قانصوه الغوري ، ليُلي مشيخة مدرسته التي عمّرها بقصبة القاهرة والمعروفة (بالقبة الزرقاء) وألح عليه في ذلك فلم يقبل^(٥) .

وقد عدّ تلميذه الشاذلي المشيخات التي تولّاها وزهد فيها فقال : « فكان رحمه الله من الزاهدين في مشيخة الصوفية بالغورية ، وفي مشيخة التصوف بالبيبرسية ، وفي مشيخة الحديث بالشيخونية ، وفي مشيخة التصوف بالبرقوقية ، وترك الجميع وزهد فيها ، ولم يلتفت إليها »^(٦) .

ويبدو أن السيوطي لم يتولّ منصب القضاء وإن كان يطمح إليه ، ولعل

(١) التحدث بنعمة الله : ٨٨ ، وانظر الطبقات الصغرى : ١٩ ، وفهرس الفهارس : ١٠٢٠/٢ .

(٢) الطبقات الصغرى : ١٩ . بهجة العابدين : ق ١٣/ب .

(٣) بهجة العابدين : ق ٢٩/ب ، والضوء اللامع : ٦٧/٤ .

(٤) بهجة العابدين : ق ٣٠/أ ، وبدائع الزهور : ٢٢٨/٣ .

(٥) بهجة العابدين : ق ٣١/أ-ب ، والطبقات الصغرى : ٣٤ .

(٦) بهجة العابدين : ق ٣١/ب . وقال العيدروسي : « وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة » النور السافر : ٥٢ ، وانظر فهرس الفهارس : ١٠٢١/٢ .

السبب في ذلك هو انشغال هذا المنصب في زمانه بالشيخ زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ/١٥١٩م) والذي كان أسنً من السيوطي ، وقد تولى هذا المنصب منذ وقت مبكر . (٨٨٦هـ/١٤٦٣م) وكان معروفاً بالفقه والنزاهة والعدالة مع الزهد والتمسك بالحق^(١) .

لم يحاول السيوطي منافسته ولكنه وجد في نفسه الكفاية والقدرة على تولي أكبر منصب في زمانه وهو أن يكون قاضياً على جميع القضاة الأربعة ، وقد كانت بينه وبين الخليفة المتوكل آنذاك علاقة حميمة ، فحسن له في أن يعينه في هذه الوظيفة وأفهمه أنها كانت بمصر زمن الأيوبيين ، وقد تولاهما القاضي تاج الدين بن بنت الأعز^(٢) ، فكتب له الخليفة عهداً فوضه فيه بالحكم والقضاء بالديار المصرية وسائر الممالك الإسلامية تفويضاً عاماً مطلقاً ، وفوض إليه أيضاً النظر في أمور القضاة فمن صلح منهم أقره ومن لم يصلح منهم عزله^(٣) .

فلما بلغ القضاة ذلك شق عليهم واستخفوا عقل الخليفة ، وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ، ولكن الخليفة استخف بالسلطان لكونه صغيراً ، وكان يومذاك السلطان محمد قايتباي ، فلما رأى الخليفة ثورة القضاة عليه رجع عن ذلك وقال : « أيش كنت أنا الشيخ جلال الدين هو الذي حسن لي ذلك »^(٤) ، وقال : هذه كانت وظيفة قديمة ، وكان الخلفاء يولونها من يختارونه من العلماء ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك العهد الذي عهد به إلى السيوطي .

(١) الضوء اللامع : ٢٣٨/٣ والطبقات الصغرى : ٤٠ . وانظر الكواكب السائرة : ١٩٩-٢٠٠ .

(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامي المصري ، الشافعي ، ولي الوزارة مع القضاء بمصر وعرف بابن بنت الأعز نسبة لجده لأمه القاضي الأعز ، وزير المنك الكامل بن أيوب . (ت ٦٩٥هـ/١٢٩٦م) الأعلام ٣/٣١٥ .

(٣) انظر صورة هذا العهد في بهجة العابدين : ق ٣٤/أ-ب .

(٤) لم أشأ أن أغير في العبارة ، وذكرتها كما وردت في بدائع الزهور : ٣/٣٣٩ .

قال ابن إياس - معقباً - : « وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ، ووقعت أمور يطول شرحها ، ثم سكن الحال بعد مدة »^(١) .

وهكذا فقد تمتع الجلال السيوطي بمنزلة سامية بين أبناء عصره وكان له تأثيره في الحكام والمحكومين ، ولا شك أن من كان بهذه المكانة يكثر حساده وأعداؤه ولهذا فقد ثار على السيوطي الكثير من الأقران وهذا ما سأبحثه في الفصل القادم إن شاء الله .

ومن الجدير بالذكر أن السيوطي لمّا بلغ الأربعين من عمره بدأ يميل إلى العزلة والانقطاع إلى الله تعالى فقد ذكر تلميذه عبد القادر الشاذلي ونقل ذلك الشعراني أن السيوطي لما بلغ الأربعين سنة أخذ في التجرد والعبادة والانقطاع إلى الله عز وجل بالاشتغال به صرفاً ، والإعراض عن الدنيا وأهلها ، حتى كأن لم يعرف أحداً منهم ، وشرع في تحرير مؤلفاته وترك الإفتاء والتدريس ، وألف كتاباً سماه (التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس) وأقام في روضة المقياس فلم يتحول عنها إلى أن مات^(٢) فترك وظائفه السابقة ولكن هذه العزلة لم تدم طويلاً إذ عاد إلى مشيخة الخانقاه البيبرسية حتى عام (٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م) ثم اعتزل الناس بعد ذلك ولزم بيته إلى أن مات سنة (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) فاعتزال السيوطي الناس كان مرتين :

أولهما : لم يدم أكثر من بضعة أشهر كتب فيها مقامته اللؤلؤية التي سماها (التنفيس في الاعتذار عن ترك الفتيا والتدريس)^(٣) .

وثانيهما : انقطاعه وعزلته بعد عزله عن مشيخة البيبرسية وهذه العزلة استمرت إلى وفاته .

(١) بدائع الزهور : ٣ / ٣٣٩ .

(٢) بهجة العابدين : ق ٢٩ / ب ، والطبقات الصغرى : ٣٢ ، وانظر الكواكب السائرة : ١ / ٢٨٢ ، وشذرات الذهب : ٨ / ٥٣ .

(٣) مطبوعة ضمن (شرح مقامات السيوطي) ٩٩٦ / ٢ .

وسبب اعتزال السيوطي الناس ما لاحظته من فساد مجتمعه ، فقد صور لنا فساد زمانه في أكثر من موطن ، فهو في آخر كتابه الإتيقان يقول : « هذا وإني في زمان ملاً الله قلوب أهله من الحسد ، وغلب عليهم اللؤم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد . . . قوم غلب عليهم الجهل وطمهم ، وأعماهم حب الرياسة وأصمهم ، قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه ، وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه . . . كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم ، كأن الله لم يوكل بهم حافطين يضبطون أقوالهم وأعمالهم ، فالعالم بينهم مرجوم يتلاعب به الجهال والصبيان ، والكامل عندهم مذموم داخل في كفة النقصان ، وإيم الله إن هذا الزمان الذي يلزم فيه السكوت والمصير حلساً من أحلاس البيوت »^(١) فهو يشرح حال زمانه ويصف ما حل به من الأذى ولذلك فضل الابتعاد والعزلة اقتداء بالسلف الصالح كما ذكر ذلك في مقامته اللؤلؤية فقال : « قد تدبرت المصالح ، واقتديت في الترك بالسلف الصالح »^(٢) .

وفي (المقامة المزهرية) يذكر أنه تصدى للإفتاء سبع عشرة سنة ، وبقي في الإفتاء والتدريس إلى أن بلغ من العمر أربعين سنة ، وبعد ذلك انسحب من الحياة وترك التدريس والإفتاء^(٣) وفي مقامته (الاستنصار بالواحد القهار) يزيد السيوطي الأمر توضيحاً وبياناً فيذكر أنه قاسى كثيراً من تصديه للفتوى ، وناله بسبب ذلك ما يشكّل له عذراً وسبباً فلا يفتي بعد ذلك ولا يجيب سائلاً عن مسألته^(٤) .

وفي (مقامته اللؤلؤية) يوضح المسألة أكثر فأكثر ويبين الأسباب التي دعت به إلى العزلة وهو يشكو من حال عصره وزمانه وأن السُّنة - والحالة تلك - أن يلزم

(١) الإتيقان : ١٢٩٠/٢ - ١٢٩١ .

(٢) المقامة اللؤلؤية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ١٠٣٨/٢ .

(٣) المقامة المزهرية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ١٠٤٣/٢ .

(٤) مقامة الاستنصار بالواحد القهار (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٢٣١/١ .

العالم خاصة نفسه ويجلس في بيته ، ويسكت ويدع أمر العوام^(١) .

ولعل من أكبر الأسباب التي جعلته يعتزل التدريس هو ما لاحظته من تدني مستوى تلاميذه فقد قسمهم ثلاث طبقات وبيّن حال كل طبقة فقال :

أما التدريس فأخذ عني ثلاث طبقات :

١- طبقة أولى : كانت خيراً صرفاً ، ديناً وفضلاً وصدقاً وعرفاً ، فحيّاها الله وبيّاها ، وأسبغ عليها رحمته في مماتها ومحياها ، وأمطر علينا سحاب فضله وإياها .

٢- طبقة ثانية : تعرف وتنكر ، وتذم وتشكر ، وهذه يجهل أمرها ويروج سعرها ويخف إصرها .

٣- الطبقة الثالثة : الله أكبر ما أكثر شرّها ، وأكبر حرّها وأشد إصرها وأنكد أمرها وأعظم إمرها ، وأقوى فجورها ، وأوفى كذبها ، وبهتانها وزورها ، عظيمة السفه والجهل ، ليست للعلم ولا للحلم بأهل .

ولعل هذه الطبقة هي التي كانت سبباً لاعتزاله التدريس لأنه قال : - بعد ذلك - « فإن صبرت حتى تأتي طبقة رابعة ، وفرقة مروّعة لا رائحة ، أوشك أن يأتي بعد هؤلاء حشالة الرجال ، وفراخ يأجوج ومأجوج والدجال »^(٢) .

ولم تكن هذه العزلة شاغلة للسيوطي عن العلم والمشاركة فيه ، بل إنه ألف معظم كتبه في هذه المرحلة من حياته ، وقد أتاح له هذا الاعتكاف والاعتزال والابتعاد عن الحياة العامة بمشاغلها الفرصة للعلم والتأليف وهذا ما تجلّى واضحاً في آثاره .

* * *

(١) المقامة اللؤلؤية : ٩٩٨/٢ .

(٢) المقامة اللؤلؤية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ١٠٠١/٢ - ١٠٠٢ .

ثانياً - خصوماته العلمية

كانت حياة السيوطي مليئة بالصراع بينه وبين علماء عصره وأمراءه وذلك لما عهد عنه من جرأة ونشاط ، فهو لا يخاف إلا من الله سبحانه وتعالى ولا يلين إلا للحق ، ومن كانت هذه صفاته فمن الطبيعي أن يتعرض لكثير من الأذى ، وقد كانت بداية خصوماته سنة (٨٧٥هـ / ١٤٧٥م) عندما وقف يدافع عن ابن الفارض ، وألّف في ذلك رسالة سماها (قمع المعارض في نصرة ابن الفارض)^(١) بين فيها وجه الصواب ورد على من كفّره ونسبه إلى القول بالحلول والاتحاد ، وهو بهذا الموقف قد وقف مع كبار مشايخه وغيرهم كالكافيجي والسيف الحنفي والشيخ زكريا الأنصاري^(٢) .

ومن أولى الوقائع التي قام الناس بها عليه ، والتي تعرّض فيها لهجوم عنيف من قبل علماء عصره هي فتواه بتحريم الاشتغال بالمنطق وألّف في ذلك رسالة سماها (الغيث المغرق في تحريم المنطق)^(٣) وللسيوطي كتاب آخر في تحريم المنطق ذكر السخاوي أنه من أول مصنفاته^(٤) جرده من كتاب ابن تيمية سماه (صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام) .

ثم إن السيوطي لما علا قدره ، وذاع صيته ، وأصبح في مصاف العلماء الكبار وصار يشار إليه بالبنان ، كثر حساده ، وانتقده أقرانه ، وهاجمه نقاده

(١) طبعت ضمن شرح مقامات السيوطي : ٩٠١/٢ .

(٢) بدائع الزهور : ٤٨/٣ .

(٣) بهجة العابدين ١١/أ ، وانظر حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ ، والرسالة مطبوعة ضمن

كتابه الحاوي للفتاوي بعنوان (القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق)

٢٥٧-٢٥٥/١ .

(٤) الضوء اللامع : ٦٦/٤ .

وتحاملوا عليه ، ورموه بما ليس فيه ، وبالعوا في تصوير عيوبه ، وعين السخط تُبدي المساوىء .

وبما أن المعاصرة تحدث نوعاً من المنافسة ، وقد جرت العادة أن يحدث بين الأقران من التنافس ما يدعو إلى طعن بعضهم في بعض فقد قرر علماء الجرح والتعديل « أن قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول إذا ظهرت أدنى منافسة »^(١) .

وكان من كبار من تحامل على السيوطي السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) وعدد من كبار علماء عصره أمثال : شمس الدين محمد الجوجري (ت ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م) ، وبرهان الدين بن الكركي (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) الذي كان إماماً للسلطان ، وأحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) وأحمد بن الحسين بن العليّف المكي تلميذ الجوجري (ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م) ، ولبثت الخصومة بينهم وبين السيوطي زمناً طويلاً ، وأظهرت لنا الكثير من الفوائد العلمية والمؤلفات العديدة ، في دفاع كل منهم عن وجهة نظره :

فقد أَلَف السيوطي في الانتصار لنفسه عدداً من الرسائل والمقامات منها (الكاوي في الرد على السخاوي) و (الجواب الذكي عن قمامة ابن الكركي) و (الصارم الهندكي في عنق ابن الكركي) وله في الرد على الجوجري (اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري) وله مقامات ورسائل أخرى ذكرها مفصلاً في كتابه (التحدث بنعمة الله)^(٢) .

(١) الشوكاني، البدر الطالع : ٣٣٣/١ .

(٢) عقد السيوطي فصلاً كاملاً في كتابه التحدث بنعمة الله : ١٦٠-٢٠٢ تحت عنوان « ذكر نعمة الله عليّ في أن أقام لي عدواً يؤذيني وابتلاني بأبي جهل يغمصني كما كان للسلف مثل ذلك » . ذكر فيه تفصيلات خلافه مع الجوجري وغيره . وانظر الضوء اللامع : ٦٩/٤ .

وقد تعرض السيوطي لهجوم عنيف من قبل السخاوي في أثناء ترجمته في كتابه (الضوء اللامع) وجه له تهماً كثيرة وصفه فيها بالحمق والهوس ، والهوى وختمها بقوله « فسبحان واهب العقول »^(١) .

والمطاعن التي وجهها السخاوي للسيوطي كثيرة يمكنني تلخيصها فيما يلي :

١- اتهمه بسرقة مؤلفاته ومؤلفات شيخه ابن حجر ، وأنه اختلس من كتب المحمودية الكثير من المصنفات . فقال : « واختلس حين كان يتردد إليّ مما علمته كثيراً كالخصال الموجبة للظلال ، والأسماء النبوية ، والصلاة على النبي ﷺ وموت الأبناء وما لا أحصره ، بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصرين بها في فنون فغير فيها يسيراً وقدم وأخر ونسبها لنفسه وهول في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفى ببعض »^(٢) .

وعد مما اختلسه من مؤلفات شيخه ابن حجر (لباب النقول في أسباب النزول) و (عين الإصابة في معرفة الصحابة) ، و (النكت البديعات على الموضوعات) ، و (المدرج إلى المدرج) و (تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي) ، و (تحفة النابه بتلخيص المتشابه) و (ما رواه الواعون في أخبار الطاعون) ، و (الأساس في مناقب بني العباس) ، و (جزء في أسماء المدلسين) ، و (كشف النقاب عن الألقاب) ، و (نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير) ، قال السخاوي : « فكل هذه تصانيف شيخنا ، وليته اختلسها ولم يمسحها ، ولو نسخها على وجهها لكان أنفع »^(٣) .

وهذه التهم التي وجهها السخاوي للسيوطي باطلة ، لأن أهلية السيوطي

(١) الضوء اللامع : ٧٠/٤ .

(٢) م . ن . ٦٦/٤ .

(٣) م . ن . ٦٨/٤ .

لا تقصر عن تأليف هذه الكتب ، وأن استمداد اللاحق من السابق ضروري ، والمعروف عن السيوطي أنه بدأ أول مرة ملخصاً ومختصراً ، ثم استقل بالتأليف المستوعب مع الاستفادة من كتب السابقين ، وهذا أمر طبيعي في أن يستفيد المتأخر من المتقدم ، قال الشوكاني : « ما زال دأب المصنفين يأتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله فيختصر أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف ، ومن ذلك الذي يعتمد إلى فنّ قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ من كلامه »^(١) ولا شك أن هناك فرقاً بين التأليف والجمع وبين السرقه والاختلاس .

وكان السيوطي يصرح دائماً بذكر مصادره والكتب التي رجع إليها كعادته في التأليف^(٢) . يقول - في مقامته (الكاوي في تاريخ السخاوي) - : « وقد علم الله والناس من عادتي في التأليف أنني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ، ونسبته إلى ناقله ، أداء بشكر نعمته ، وبراءة من دركه وعهدته »^(٣) ويؤكد على ذلك في كتابه (المزهر) فيقول : « ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء مبيناً كتابه الذي ذكره فيه »^(٤) وكثيراً ما كان يكرر قوله « بركة العلم عزوه إلى قائله »^(٥) وكتب في ذلك مقامة سماها (الفارق بين المؤلف والسارق)^(٦) قال فيها « لعمري إن

(١) البدر الطالع : ٣٣٢-٣٣٣ .

(٢) انظر مقدمة الإتيان والمزهر على سبيل المثال .

(٣) السيوطي ، الكاوي في تاريخ السخاوي (مطبوع ضمن شرح مقامات السيوطي) ٩٤٩-٩٥٠ .

(٤) السيوطي ، المزهر في علوم اللغة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين (ط القاهرة : ١٩٥٨ م) ٣١٩/٢ .

(٥) نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية على البيضاوي) مخطوطة محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٤٧٧) ق ٥/أ . وانظر بهجة العابدين : ق ٢٥/ب ، والفارق بين المصنف والسارق : ٨٢١/٢ .

(٦) ولها اسم آخر ذكره الشعراني في الطبقات الصغرى ص : ٢٧ (البارقي في قطع يد =

المؤلف إنما يطلب ثوابه من الله تعالى ، فكيف يطلب أجره على ما لم يعملهُ»^(١) .

ووصف لنا تلميذه الشاذلي طريقته في الإملاء والتأليف فقال : « وكان يملي عليّ من تصنيفه وهو يطالع الكتب وهي منشورة بين يديه ، ويأتي بغرائب وعجائب من عندياته يصدرها بـ (قلت) .. وكان كثير النقل .. عارفاً بآداب التأليف ، يؤدي الأمانة ويعزو كل قول لقائله ، ويخرج من عهدة كل نقل بنسبته إلى ناقله »^(٢) . فإذا كان السيوطي كما ذكرت فكيف تصح دعوى السخاوي ، وبإمكان السيوطي أن يوجه التهمة نفسها إلى السخاوي وقد وجهها فعلاً فذكر في مقامته (الكاوي في تاريخ السخاوي) أنَّ غالب ما ألفه السخاوي في فن الحديث والأثر ، هي عبارة عن مسودات ظفر بها في تركة شيخه ابن حجر فنسبها لنفسه مثل (الخصال الموجبة للظلال) يقول السيوطي « ولقد رأيت له تأليفاً في قلم الأظفار فإذا هو أخذ كلام فتح الباري بفصّه وساقه بحروفه ونصه »^(٣) .

وأما دعوى السخاوي أنه أخذ من كتب المحمودية ، فهذه دعوى بلا دليل ، نعم كان يستعير منها اقتداء بغيره من كبار الشيوخ^(٤) ولكن ليستمد منها في كتبه ومؤلفاته وقد نزه السيوطي نفسه عن ذلك وألف في الخزانة رسالة خاصة سماها (بذل المجهود في خزانة محمود) ونقل عنه أن هذه الخزانة هي التي أعانته على كثرة التأليف وبها كذا وكذا في علوم متفرقة لم يذكر مؤلفوها

= السارق) وقد ألف السيوطي مقامة أخرى بعنوان (البارقي في قطع السارق) انظر بهجة العابدين : ق ٢١/أ .

(١) الطبقات الصغرى : ٢٧٥ .

(٢) الشاذلي ، بهجة العابدين : ق ٢٠/ب .

(٣) الكاوي في تاريخ السخاوي : ٩٤٩/٢ .

(٤) كالبلقيني والمناوي .

أسماءهم بها ، وأنه لو ادّعاها لنفسه لما عارضه أحد^(١) .

وهذا ما ينفي تهمة السخاوي . وانتقده أيضاً بأنه ليس أهلاً لإملاء الحديث ومع ذلك فقد كان يملئ الحديث بالجامع الطولوني ، وأنه درّس جمعاً من العوام ، ممن لا يحسن شيئاً^(٢) .

وإنه - مما لا ريب فيه - أن السيوطي كان أهلاً لإملاء الحديث فقد خَلَفَ لنا كتباً كثيرة في فنّ الحديث وتعلقاته بلغت (٢٠٥) مؤلفاً كما ذكر تلميذه الشاذلي في بهجة العابدين^(٣) وهذا أكبر دليل على تمكنه في علم الحديث ، وقد أثني عليه مترجموه أيضاً ووصفوه بالحدق والإتقان وسعة الاطلاع ، قال عنه الشاذلي : « إمام المحدثين في وقته وزمانه ، والناصر للسنة الشريفة بقلمه ولسانه .. »^(٤) .

وقال الشعراني « وكان رضي الله عنه أعلم أهل زمانه بعلوم الحديث وفنونه ، حافظاً متقناً ، يعرف غريب ألفاظه واستنباط الأحكام ، وقد بيّض ابن حجر عدة أحاديث لا يعرف من خرجها ولا مرتبتها فخرّجها الشيخ وبيّن مرتبتها من حسن وضعيف وغير ذلك »^(٥) وقال عنه تلميذه ابن إياس « وكان بارعاً في علم الحديث »^(٦) .

وقد مر سابقاً معنا أنه لمّا حج وشرب من ماء زمزم دعا أن يصل في الحديث

(١) انظر مقدمة فؤاد سيد ، على رسالة السيوطي (بذل المجهود) ص ١٢٩ ومقدمة عبد الوهاب عبد اللطيف لكتاب (تدريب الراوي للسيوطي) ص : ع .

(٢) الضوء اللامع : ٦٧/٤ .

(٣) ق : ٢١/أ .

(٤) بهجة العابدين : ق : ١٩/أ .

(٥) الطبقات الصغرى ٢٧-٢٨ ، وانظر شذرات الذهب : ٥٨/٤ . فهرس الفهارس : ١٠١١/٢ .

(٦) بدائع الزهور : ٨٣/٤ وانظر مفاكهة الخلان في حوادث الزمان : ٣٠٢/١ .

إلى مرتبة الحافظ ابن حجر وقد بلغه الله ذلك^(١) .

ومن التهم التي وجهها السخاوي للسيوطي وصفه بالكذب والادعاءات الباطلة قال عنه في الضوء اللامع : « . . وإلا فهو كثير المجازفة ، زعم أنه قرأ مسند الشافعي على القمّصي^(٢) في يوم ، فلم يلبث أن جاء القمّصي وأخبرني متبرعاً بما تضمن كذبه ، حيث بقي معه جانباً^(٣) .

وأنكر عليه كذلك ادعاءه أنه عمل (النفحة المسكية والتحفة المكية) في كراسة وهو بمكة على نمط (عنوان الشرف) لابن المقرئ في يوم واحد ، وأنه أحيا إملاء الحديث بعد موت الحافظ ابن حجر ، وأنه عمل ألفية في الحديث فائقة ألفية العراقي^(٤) .

وقد أجاب الشوكاني في معرض دفاعه عن السيوطي عن بعض تلك التهم فقال : « وقوله أنه كذبه القمّصي بتصريحه أنه بقي من المسند بقية ليس بتكذيب ، فربما كانت تلك البقية يسيرة ، والحكم للأغلب^(٥) .

ووصفه بأنه كثير التصحيف والتحريف لأنه عديم الفهم لكونه لم يراحم الفضلاء في دروسهم ولا جلس بينهم في مسائلهم وتعريستهم ، بل استبدّ بأخذ العلم من بطون الكتب والدفاتر وقال عنه : إنه تزب قبل أن يتحصّرم ، وأنه أطلق لسانه وقلمه في شيوخه فمن فوقهم ، وقال فيه : « ولو شرحت أمره لكان خروجاً عن الحد وبالجمله فهو سريع الكتابة ، لم أزل أعرفه بالهوس . . ولا

(١) الطبقات الصغرى : ٢٥ ، وفهرس الفهارس : ١٠١٢/٢ .

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن القمصي ، جلال الدين ، أبو الفضل ولد سنة (٧٩٢هـ / ١٣٨٩م) كان بارعاً يقطّأ حافظاً لكثير من المتون حتى صار أعرف شيوخ الرواية بألفاظ الحديث (ت ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) الضوء اللامع : ٥٢-٥٠/٤ ، التحدث بنعمة الله : ٥٣ ، والمنجم في المعجم : ق ٢٠/أ .

(٣) الضوء اللامع : ٦٨/٤ .

(٤) م . ن السابق ، وانظر التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(٥) البدر الطالع : ٣٣٣/١ .

زال أمره في تزايد . . فالله تعالى يلهمه رشده «^(١) .

ووجه له مثل هذه التهمة أيضاً برهان الدين ابن الكركي حيث قال له :
« نحن سبقناك للاشتغال بالعلم على المشايخ ، وأنت تأخذ العلم بقوة الذكاء
من الكتب » . ورد عليه السيوطي بقوله : « العلم نور يقذفه الله في قلب من
يشاء من عباده »^(٢) وقد رد الإمام الشوكاني على السخاوي هذه التهم فقال :
« وقوله إنه كثير التصحيف والتحريف مجرد دعوى عاطلة عن البرهان ، فهذه
مؤلفاته على ظهر البسيطة محررة أحسن تحرير ومتقنة أبلغ إتقان »^(٣) .

ثم إنه من المعروف أن السيوطي كان مبجلاً لشيخه ، مجلاً لهم وقد ألف
فيهم عدة معاجم وهذا ما ينفي اتهام السخاوي له .

ووصفه بالبلاهة لعدم معرفته بالحساب ، والحساب في نظر السخاوي فن
ذكاء والذي لا يجيده بليد^(٤) ، وقد صرح السيوطي نفسه في حسن المحاضرة
بكراهيته للحساب فقال : « وأما علم الحساب فأعسر شيء علي وأبعده عن
ذهني ، وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله »^(٥) .

وقد أجاب السيوطي عن هذه التهمة - معللاً عدم اهتمامه به - فقال في كتابه
(التحدث بنعمة الله) :

وأما الحساب فأعسر شيء علي مع معرفتي به ولكن يثقل علي النظر فيه ،
وتضييق منه أخلاقي ، ومن ظن أنني قلت ذلك قصوراً عنه فذلك لجهله
بمقصودي ، وكم من مسألة عرضت علي فيه نظماً ونثراً فأجبت عنها في الحال ،

(١) الضوء اللامع : ٦٧-٦٩ .

(٢) انظر تفصيل هذه الحادثة في بهجة العابدين ٣١/أ وقد كان الشاذلي شاهد عيان على ذلك .

(٣) البدر الطالع : ٣٣٣ .

(٤) الضوء اللامع : ٦٧/٤ .

(٥) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

وإنما قصدي بذلك ثقل النظر فيه لعدم ملاءمته لطبيعتي ، وقد رأيت لذلك مستندين لطيفين فأعجباني جداً .

- أحدهما : عن إمام الحرمين أنه قال : لا يصبر على الحساب إلا بليد .

- والثاني : قال ابن تيمية : الحساب وإن كان حقاً في نفسه إلا أنه من علوم الأوائل . . إلى أن قال « وما من شيء يستخرج بالحساب إلا ويمكن استخراجه بطريق آخر »^(١) .

وهناك مسائل لغوية انتقد السخاوي فيها السيوطي منها :

١- مسألة الحرف هل له معنى في نفسه أو في غيره أو ليس له معنى أصلاً لا في نفسه ولا في غيره فقد نقل السخاوي عن السيوطي القول الثاني ناقلاً ذلك عن الجرجاني^(٢) مدعياً أن للجرجاني رسالة في هذه المسألة ينحو فيها هذا المنحى ، ثم يرد على السيوطي بقوله :

وهذا كلام السيد ناطق بتكذيبك فيما نسبته إليه ، فأوجدنا مستندك فيما زعمته ، فقال : - يعني السيوطي - إنني لم أر له كلاماً ولكنني لما كنت بمكة تجاريت مع بعض الفضلاء في المسألة فنقل لي ما حكيت ، وقلدته فيه ، وعقب السخاوي على ذلك فقال : . . هذا عجيب ممن يتصدى للتصنيف كيف يقلد في مثل هذا مع الأستاذ^(٣) وقد تعرض السيوطي لهذه المسألة في كتابه (الأشباه والنظائر) النحوية في أول الفن السادس وهو فن (الأفراد والغرائب) فبعد أن نقل ما اتفقت عليه كلمة النحاة من أن الحرف ليس له معنى في نفسه

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٠٤ ، وانظر بهجة العابدين : ق ١٦/أ .

(٢) هو علي بن محمد بن علي ، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني (٧٤٠هـ / ١٣٤٠م) (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) من كبار علماء العربية ، الضوء اللامع : ٣٣٠-٣٢٨/٥ .

(٣) يقصد السيد الجرجاني ، وانظر الضوء اللامع : ٦٧/٤ . والسيد الجرجاني التعريفات (ط المطبعة الوهبية ، القاهرة : ١٢٨٣هـ) ص : ٩٠ .

وإنما يدل على معنى في غيره ، نقل مخالفة الشيخ بهاء الدين بن النحاس^(١) لجمهور النحويين حيث يذهب إلى أن للحرف معنى في نفسه^(٢) ، ثم أورد كلامه في هذه المسألة وعده من الغرائب ثم قال « وقد وقع ما هو أغرب من ذلك ، وهو أنني لما كنت بمكة المكرمة سنة (٨٦٩هـ / ١٤٦٤م) ذكرت هذا البحث في حاشية المطاف بحضرة جماعة وفيهم فاضل من العجم ، وهو مظفر الدين محمد بن عبد الله الشيرازي ، فقال لي هذا البحث وبحث الشريف الجرجاني طرفاً نقيض ، فإن الشريف ذهب إلى أن الحرف لا معنى له أصلاً لا في نفسه ولا في غيره ، وألف في ذلك رسالة ثم أحضر لي مظفر الدين المذكور تأليفاً لنفسه اختصر فيه شرح الكافية للرضي سماه (مرضي الرضي) فرأيت نقل فيه عن الشريف الجرجاني هذا البحث ، فتطلبت الرسالة التي ألفها الشريف في ذلك حتى حصلتها »^(٣) .

وأما الرسالة التي حصلها السيوطي ولم يذكرها فإن المتتبع لطريقة السيوطي في التأليف يجده يترك أحياناً فراغاً ليعيد ذكر النصوص فيما بعد كما فعل في كتابه التحدث بنعمة الله وغيره^(٤) .

(١) هو محمد بن إبراهيم بن محمد أبو عبد الله ، بهاء الدين بن النحاس ، الحلبي ، النحوي شيخ الديار المصرية في علم اللسان (٦٢٧هـ / ١٢٣٠م) (ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م) بغية الوعاة : ١ / ١٣-١٤ وانظر بسام عبد الوهاب الجابي ، معجم الأعلام (ط ١ ، الجفان والجابي ، دمشق : ١٩٨٧م) ص : ٦٥٧ .

(٢) كرر السيوطي كلامه في أثناء ترجمته في بغية الوعاة : ١ / ١٤ . وللسيوطي كتاب في الرد عليه ذكره في التحدث بنعمة الله : ١٢٠ .

(٣) السيوطي ، الأشباه والنظائر (النحوية) تحقيق إبراهيم محمد عبد الله (ط مجمع اللغة العربية بدمشق : ١٩٨٦م) ٦ / ٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال البياضات التي تركها السيوطي في كتابه التحدث بنعمة الله وقد تجاوز بعضها ٤ ورقات ص ٢٠٢ وانظر ص : ٦ ، ٣٩ ، ١٦١ ، ٢٣٤ ، وغيره وانظر أيضاً نظم العقيان : ٧٠ والمنجم في المعجم نسخة تركيا رقم (١٤٤٥) ق : ٤٠ / أ ، ٤٨ / ب ، ٥٠ / ب ، ٥٩ / ب ، ٦٤ / أ ، ومراسد المطالع في تناسب المقاطع =

٢- وهناك مسألة لغوية اختلف فيها السخاوي والسيوطي وهي تتعلق بضبط كلمة وردت في عبارة في آخر كتاب (الشفا) للقاضي عياض ، وهي قوله « ويخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته »^(١) فقد ضبط السيوطي خصيصي بالقصر أي مفردة وضبطها السخاوي بالياء ، أي مثناة ، وألف أحد أنصار السخاوي رسالة سماها (المفصل في الرد على المغفل)^(٢) وألف السيوطي في هذه المسألة رسالتين الأولى (القول المجمل في الرد على المهمل)^(٣) والثانية : (ألوية النصر في خصيصي بالقصر)^(٤) ، وتتبع السيوطي هذه اللفظة في شتى مظانها ، ونقل إجماع أئمة اللغة والعربية على أن خصيصي بالقصر وجزم بأنه لم يأت خصيصي ألبتة حتى يقال في تثنيته خصيصان ، وقد أرسل ذلك إلى مخالفه فرجعوا إلى قوله وصوبوه ، ما عدا السخاوي فإنه ظل معانداً ، مستنداً في ذلك إلى نسخة عنده من الشفا قرئت على شيوخ عدة وفيها صورة السكون مرقومة بالقلم على الياء وهذا ليس دليلاً؟ وعلق السيوطي قائلاً فانظروا بالله إلى هذا الجهل البين ، والحمق الذي ليس بالهين^(٥) .

٣- ومن جملة ما عاب السخاوي على السيوطي تأليفه في القراءات العشر (ألفية) مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها^(٦) .

-
- = والمطالع مخطوط في المكتبة الأحمدية ، بدار الكتب الوطنية التونسية رقم (١٥٨٥)
ضمن مجموع رقم الرسالة (٤) ق ٤٩/ب - ٥٠/ب .
- (١) القاضي عياض الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق محمد أمين قره علي وآخرين (ط . دار الوفاء ، بدمشق : ١٣٩٢هـ) ٦٥٩/٢ .
- (٢) الضوء اللامع : ٦٩/٤ .
- (٣) ما زال مخطوطاً وتوجد منه نسخة في دار الكتب المصرية انظر مكتبة الجلال السيوطي : ٢٨١ .
- (٤) مطبوعة ضمن الحاوي : ٢٨٠/٢ .
- (٥) الكاوي في تاريخ السخاوي ٩٤٤/٢ والحاوي : ٢٨١/٢ . وقد تعرض السيوطي لهذه المسألة أيضاً ضمن مقامته (الدوران الفلكي على ابن الكركي) : ٣٩٣/١ .
- (٦) الضوء اللامع : ٦٨/٤ .

وقد اعترف السيوطي بذلك فقال في (التحدث بنعمة الله) عند ذكر ما أنعم الله به عليه من التبحر في العلوم « ودون ذلك في المعرفة القراءات ولم آخذها عن شيخ فلذلك لم أقرئها أحداً لأنها فن إسناد ، وقد ألفت فيها التأليف البديع »^(١) وقد أبان السيوطي عن ذلك في كتابه (الإتقان) في النوع الرابع والثلاثين في كيفية تحمله فقال : « الإجازة من الشيخ غير شرط في جواز التصدي للإقراء والإفادة فمن علم من نفسه الأهلية جاز له ذلك وإن لم يجزه أحد وعلى ذلك السلف الأولون والصدر الصالح ، وكذلك في كل علم ، وفي الإقراء والإفتاء ، خلافاً لما يتوهمه الأغبياء من اعتقاد كونها شرطاً ، وإنما اصطلاح الناس على الإجازة ، لأن أهلية الشخص لا يعلمها غالباً من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم لقصور مقامهم عن ذلك ، والبحث عن الأهلية قبل الأخذ شرط ، فجعلت الإجازة كالشهادة من الشيخ للمجاز بالأهلية »^(٢) .

من خلال هذا النص يتبين لنا أن السيوطي لا يشترط الإجازة من الشيخ للإقراء والتأليف ، وإنما يشترط لمن يتصدى لذلك الأهلية وإنما جعلت الإجازة للدلالة على التمكن في العلم فمن وجد في نفسه الأهلية جاز له التصدي للإقراء والإفادة ، خلافاً لمن ذهب إلى عدم جواز ذلك ووصفه بالغباء وكأنه يعرض بالسخاوي والله أعلم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد كانت بين السيوطي وخصومه خلافات في الرأي حول عدة مسائل منها :

١- مسألة تحريم المنطق وقد سبقت الإشارة إليها .

٢- الحلف بالطلاق على غلبة الظن وقد ألف فيها رسالته المسماة « القول المضي في الحنث المضي »^(٣) .

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٠٤ ، وانظر حسن الماضرة : ٣٣٨-٣٣٩ .

(٢) الإتقان : ٣٢١-٣٢٢ .

(٣) مطبوعة ضمن الحاوي : ٢٠٤/١ وانظر المقامة المستنصرية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٦٥/٢ .

٣- هدم الدار المعدّة للفساد ، وهذه المسألة خالفه فيها شمس الدين الباني وقال يلزمه التعزير^(١) ، وألف السيوطي في المسألة تأليفاً سماه « رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين »^(٢) ويسمى أيضاً « هدم الجاني على الباني » .

٤- قوله في حديث القنوت « وإليك نسعى ونحفد »^(٣) هل هو بالدال المهملة أو المعجمة وقد أُلّف في هذه المسألة كتاب « إتحاف الوفد نبأ سورة الحفد »^(٤) .

٥- مسألة الأتقى ، وذلك أنه وقع تنازع في أبي بكر هل هو أفضل الصحابة فذهب الجوجري إلى أن آية ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ [الليل : ١٧] ، وإن نزلت في حق أبي بكر لكنها عامة في غيره ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وذهب السيوطي إلى اختصاص الآية بأبي بكر ورد على المخالف بالطرق العلمية المقبولة وألف في ذلك مؤلفاً سماه « الحبل الوثيق في نصرة الصديق »^(٥) .

٦- مسألة الغزالي وهي قوله « ليس في الإمكان أبدع ممّا كان » فقد خطأ البقاعي الغزالي وأنه أخذها - أي القاعدة - من المعتزلة والفلاسفة وصوّب رأيه في ذلك الجوجري ، فتصدى السيوطي لهما ورد عليهما في مؤلف سماه (تشييد الأركان) ثم اختصره في كتاب سماه (درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي)^(٦) .

(١) التحدث بنعمة الله : ١٧٥ وانظر المقامة المستنصرية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٦٥/٢ .

(٢) مطبوع ضمن الحاوي : ١١٣/١ .

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ٢/٢١٠-٢١١ من حديث عمر بن الخطاب موقوفاً وصححه ، وابن الضريس عن عمر أيضاً ، وكذا في مصحف أبي بن كعب ، انظر ابن الضريس ، فضائل القرآن تحقيق غزوة بدير (ط . دار الفكر ، دمشق : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ص ١٥٧ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ١٨١ ، والحاوي للفتاوي : ٣٩/١ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ١٨٧ ، وانظر الحاوي للفتاوي : ٣٢٦/١ .

(٦) التحدث بنعمة الله : ١٨٨ .

- ٧- مسألة من اعتدى على إنسان أو اغتابه ، وقد أُلّف فيها كتاب (بذل الهمة في طلب براءة الذمة)^(١) .
- ٨- مسألة رعاية الغنم ، وقد أُلّف فيها (تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء)^(٢) .
- ٩- مسألة السؤال في المسجد وقد أُلّف فيها (بذل العسجد لسؤال المسجد)^(٣) .
- ١٠- مسألة إنشاء صف قبل إتمام ما قبله ، وقد أُلّف فيها (بسط الكف في إتمام الصف)^(٤) .
- ١١- مسألة المسبوق في الجمعة إذا فارق قبل السلام ، وقد أُلّف فيها (اللعة في تحرير الركعة لإدراك الجمعة)^(٥) .
- ١٢- والمسألة العظمى التي يعدّها السيوطي من البدع الكبرى هي فتح الأبواب والشبابيك في المسجد النبوي الشريف وقد أُلّف فيها (شد الأثواب في سد الأبواب)^(٦) .
- ١٣- مسألة معالم الأوقاف ، وقد أُلّف فيها (الإنصاف في تمييز الأوقاف)^(٧) .
- ١٤- مسألة رؤية النبي ﷺ في اليقظة ، وقد أُلّف فيها (تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك)^(٨) .

(١) الحاوي للفتاوي : ١١١/١ .

(٢) م . ن : ٢٤٣-٢٣٢/١ .

(٣) م . ن : ٩٠-٨٨/١ .

(٤) م . ن : ٥٩-٥١/١ .

(٥) م . ن : ٦٤-٦٢/١ .

(٦) م . ن : ١٢/١ .

(٧) م . ن : ١٥٥/١ .

(٨) م . ن : ٢٥٥/٢ .

١٥- مسألة إعراب (سبحان الله زنة عرشه) وقد ألف فيها (رفع السنة في نصب الزنة)^(١) حيث ذهب إلى أنها - أي زنة - منصوبة على الظرفية والتقدير . قدر زنة عرشه ، خلافاً لمن قال إنها منصوبة على المصدر .

١٦- مسألة النساء ، هل يرين الله تعالى في الجنة أو أن الرؤية مختصة بالرجال ، وقد رجح السيوطي عدم رؤيتهن الله تعالى إلا في العيد خاصة بناء على ما صح عنده من آثار . وألف في ذلك تأليفاً سماه (إسبال الكسا على النساء) ولخصه في تأليف سماه (رفع الأسى عن النساء)^(٢) ولما اطلع على الكتاب الجوجري انتقد السيوطي ورد عليه قوله فلما بلغ ذلك السيوطي بين وجه الصواب في كتابه « اللفظ الجوهري في رد خباط الجوجري »^(٣) .

١٧- مسألة تتعلق ، بأبوي النبي ﷺ وأنهما ناجيان ، خلافاً لمن قال بغير ذلك ، وقد ألف في ذلك ستة مؤلفات شحنتها بالفوائد^(٤) وهي :

- ١- مسالك الحنفا في والدي المصطفى^(٥) .
- ٢- التعظيم والمنة في أن والدي النبي ﷺ في الجنة .
- ٣- الدرج المنيفة في الآباء الشريفة .
- ٤- سبيل النجاة .
- ٥- نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين .

(١) الحاوي : ٣٨٤/٢ وانظر : ابن حجر الهيتمي ، الفتاوى الحديشية (ط . البابي الحلبي بمصر : ١٩٣٠) ص ١٩٤-١٩٥ .

(٢) انظر تفصيلات المسألة في التحدث بنعمة الله : ١٩٠-١٩٣ ، وللسيوطي رسالة أخرى ذكرها في الحاوي ١٩٨/٣ سماها « تحفة الجلساء برؤية الله النساء » وانظر الفتاوى الحديشية : ٢١٧ .

(٣) انظر المقامة المزهرية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ١٠٤٦-١٠٤٧ حيث تعرض السيوطي فيها باختصار لما دار بينه وبين الجوجري .

(٤) أشار السيوطي إلى ذلك في مقامته (الدوران الفلكي على ابن الكركي) ١/٣٩٤ .

(٥) طبعت ضمن الحاوي : ٢٠٢/٢ .

٦- المقامة السندسية في نجاة والدي خير البرية^(١) .

تلك كانت أهم المسائل التي خالف فيها السيوطي علماء عصره ، وهناك مسائل أخرى تركتها اختصاراً فقد نقل عنه أنه قال : « وخالفت أهل عصري في خمسين مسألة ، فألفت في كل مسألة مؤلفاً أثبت فيه وجه الحق »^(٢) .

ومن أشهر المسائل التي كثر الخلاف حولها وثار عليه العلماء فيها هي مسألة الاجتهاد والتجديد ، ولعل هذه المسألة هي السبب في تحامل العلماء عليه ، وهذا ما صرح به السخاوي فقال : « وقد قام عليه الناس كافة لما ادعى الاجتهاد »^(٣) .

والحق أن السيوطي قد بلغ درجة الاجتهاد وصرح بذلك في أكثر من كتاب فقال في مقامته (طرز العمامة) « وإنما تؤخذ دقائق العربية وعلوم اللغات عني ، وأنا مجتهدا ومجتهد كل فن »^(٤) ولم يقتصر في ادعائه الاجتهاد على فن من الفنون ، بل صرح أنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق فقال : « فقد بلغت والله الحمد والمنة ، رتبة الاجتهاد المطلق في الأحكام الشرعية وفي الحديث النبوي ، وفي العربية »^(٥) وقال في رسالته (التنبئة) بعد أن عدّد العلوم التي برع بها والمصنفات التي لم يسبق إليها قال : « ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته ولا اجتمع لأحد من الموجودين الآن مجموع العلوم التي اجتمعت لي ولا وصل الآن أحد إلى رتبة الاجتهاد المطلق غيري »^(٦) .

ولما ترجم لنفسه في (حسن المحاضرة) وضع ترجمته لنفسه آخر الفصل

(١) طبعت ضمن (شرح مقامات السيوطي) ١/ ٥٦٧-٦١٥ .

(٢) الطبقات الصغرى : ١٩ .

(٣) الضوء اللامع : ٤/ ٦٩ .

(٤) طرز العمامة (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٢/ ٧٨٢ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ٢٠٥ .

(٦) السيوطي ، التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المئة ، مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق ، رقم (٦٩٢٣) ق : ١٧/ ب .

الذي عقده عن الأئمة المجتهدين بمصر ، وقال في أثناء ترجمته لنفسه بعد أن عدد أنواع العلوم التي تبحر فيها : « وقد كملت عندي الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى لا فخراً »^(١) .

وأما العلوم التي بلغ السيوطي درجة الاجتهاد فيها فهي :

١- الأحكام الشرعية .

٢- الحديث النبوي .

٣- علوم العربية .

وهذه الأمور الثلاثة التي اجتمعت بالسيوطي ، كانت قد اجتمعت بالشيخ تقي الدين السبكي^(٢) ولم تجتمع في أحد بعده إلا به^(٣) .

وفصل السيوطي المسألة فيقول : « ولا يظن أن من لازم المجتهد المطلق أن يكون مجتهداً في الحديث ، مجتهداً في العربية ، لأنهم قد نصوا على أنه لا يشترط في الاجتهاد المطلق التبحر في العربية ، ويكتفى بها بالتوسط ، والاجتهاد في الحديث هو المرتبة التي إذا بلغها الإنسان سمي في عرف المحدثين حافظاً ، وقد وصفوا بالاجتهاد خلقاً لم يصفهم المحدثون بالحفاظ^(٤) ، إذ ليس من شرط المجتهد أن يحيط علماً بكل حديث »^(٥) .

والمجتهد المطلق عند السيوطي هو الذي وجدت فيه شروط الاجتهاد التي اتصف بها المجتهد المستقل ، ثم لم يبتكر لنفسه قواعد ، بل سلك طريقة إمام

(١) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن تمام ، تقي الدين السبكي ، المجتهد المطلق ، (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م) حسن المحاضرة : ٣٢١-٣٢٣ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٢٠٥ وانظر الطبقات الصغرى : ٢٥ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٢٠٥ ، ٢١٠ .

(٥) الطبقات الصغرى : ٢٢ والتحدث بنعمة الله : ٢٠٦ .

من أئمة المذهب في الاجتهاد فهو مطلق منتسب لا مستقل^(١) .

والمجتهد المستقل هو الذي استقل بقواعد ، لنفسه يبني عليها الفقه خارجاً عن قواعد المذهب المقررة ، وهذا شيء فُقد من دهر ، بل لو أراد الإنسان اليوم لامتنع عليه ولم يَجْزَ لَهُ^(٢) .

ويؤكد السيوطي في كتابه « الرد على من أخلد إلى الأرض » دعواه فيقول : « والذي ادعيناه هو الاجتهاد المطلق لا الاستقلال ، بل نحن تابعون للإمام الشافعي رضي الله عنه ، وسالكون طريقه في الاجتهاد امتثالاً لأمره ومعدودون من أصحابه ، وكيف يظن أن اجتهادنا مقيد ، والمجتهد المقيد إنما ينقص عن المطلق بإخلاله بالحديث والعربية وليس على وجه الأرض من مشرقها إلى مغربها أعلم بالحديث والعربية مني . . »^(٣) .

وقد صدق فيما قال ، فهو في الحديث من الحفاظ ونص العلماء على أن الاجتهاد في الحديث هي الرتبة التي إذا بلغها الإنسان سمي في عرف المحدثين بالحافظ وليس من شرط المجتهد أن يحيط علماً بكل حديث في الدنيا^(٤) .

وأما الاجتهاد في العربية فهو أعلم زمانه فيه وأوسعهم اطلاعاً وعمقاً بفروعه يشهد لذلك كتبه الكثيرة في فنون اللغة والتي من أشهرها (المزهر) و (الأشباه والنظائر النحوية) و (همع الهوامع شرح جمع الجوامع) في العربية له أيضاً .

وتحديه لعلماء عصره في الإجابة عن الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم فلم

(١) السيوطي ، الرد على من أخلد إلى الأرض ، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض ، بتحقيق خليل الميس ، (ط . دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٣) ص : ١١٣ .

(٢) م . ن . ١١٢ .

(٣) م . ن . ١١٦ وانظر الطبقات الصغرى : ٢٠ / ٢١ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ٢٠٥ .

يجب عنها أحد^(١) ، ومن هنا حق له أن يدعي الاجتهاد في العربية وأن يقول « وأما الاجتهاد في العربية على انفراده ، فما جاء بعد ابن هشام من يصلح لأن يوصف به غيري »^(٢) .

وكما أدوات الاجتهاد عنده ، وتمكنه في العلوم وتبحره فيها وثقته بنفسه هو ما دعاه إلى البوح ببلوغه درجة الاجتهاد وإن ثار عليه الناس فلذلك نجده يقول : « جولوا في الناس جولة فإنه ثم من ينفخ أشداقه ويدعي مناظرتي وينكر علي دعواي الاجتهاد والتفرد بالعلم على رأس هذه المئة ويزعم أنه يعارضني ويستجيش علي من لو اجتمع هو وهم في صعيد واحد ونفخت عليهم نفخة صاروا هباءً منثوراً »^(٣) .

والأمر الثاني الذي دفع السيوطي إلى دعواه هذه هو عدم جواز خلو العصر من قائم بالحجة ويرى أن الاجتهاد في كل عصر فرض من فروض الكفايات ، وأنه لا يجوز شرعاً إخلاء العصر منه^(٤) ، وقد استدل على ذلك بقول النبي ﷺ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ »^(٥) . قال البخاري : هم أهل العلم وقال السيوطي : أي

(١) التحدث بنعمة الله : ١٧٤-١٧٥ ، وانظر هذه الأسئلة أيضاً في : الطبقات الصغرى ٢٦ ، وبهجة العابدین : ق ١٨/ب ، وقد أجاب عن هذه الأسئلة الشنواني ت : (١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) ونشرها مصطفى الشكعة ضمن كتابه جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ص : ٢٥٩-٢٦٤ ، وصالح ابن سليمان العمير في مجلة الدارة السعودية عدد ٣ السنة ١٥ جمادى ٢/١ ، ١٤١٠هـ ، ص ٩٧-١١١ ، وقد صاغها نظماً خير الدين إلياس وأجاب عنها بشرحه للنظم محمد مرخ شاه الهندي بكتاب عنوانه (تحفة الأكياس بأجوبة خير الدين إلياس) ، انظر فهرس الفهارس : ٩٠١/٢ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ٢٠٧ .

(٣) الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف ، ضمن الحاوي للفتاوي (٨٦/٢) .

(٤) الرد على من أدخل إلى الأرض : ٦٧ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : لا تزال طائفة من أمتي =

المجتهدون ، فلا يخلو الزمان من مجتهد حتى يأتي أشراف الساعة الكبرى^(١) وبعد أن ادعى الاجتهاد وأنه بلغ درجة من العلم لم تتأت لأحد من علماء عصره بدأ يمهّد لدعوى أخرى دارت في ذهنه وهي ادعاؤه أنه المجدد للقرن التاسع وأنه المبعوث على رأس المئة التاسعة .

دعوى التجديد عند السيوطي وفكرة المبعوثية

بنى السيوطي دعواه هذه استناداً إلى قول النبي ﷺ « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »^(٢) .

قال العلقمي : معنى التجديد : « إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها »^(٣) .

وأما الشروط التي يجب أن تتوفر في المبعوث على رأس المئة فقد نص العلماء على أنه ينبغي في المبعوث على رأس المئة أن يكون رجلاً مشهوراً معروفاً مشاركاً إليه في كل فن من الفنون متفهماً بعلمه ، ناصراً للسنة ، قامعاً للبدعة^(٤) .

= (٦٨٨١) ٢٦٦٧/٦ ، ومسلم في كتاب الإمامة ، باب لا تزال طائفة من أمتي (١٩٢٠) ١٥٢٣/٣ ، وهو حديث متواتر ، انظر السيوطي ، قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، تحقيق خليل الميس (ط المكتب الإسلامي : بيروت : ١٩٨٤م) ص : ٢١٦ .

- (١) السيوطي ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٧٨٠ .
- (٢) أخرجه أبو داود في الملاحم ، باب ما يذكر في قرن المئة (٤٢٩١) والحاكم في مستدركه كتاب : الفتن والملاحم ٥٢٢-٥٢٣ . وغيرهما وصححه السيوطي في الجامع الصغير رقم (١٨٤٥) انظر : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي (ط . دار المعرفة ، بيروت : ١٩٧٢م) ٢٨٢-٢٨١/٢ . والسخاوي ، في المقاصد الحسنة ، تحقيق محمد مصطفى ، (ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة : ١٩٦٢) رقم (٢٣٨) .
- (٣) الكاندهلوي ، التعليق الصريح على مشكاة المصابيح (ط . المكتبة العثمانية ، باكستان) ٦٠/١ .

(٤) انظر ابن حجر ، فتح الباري على صحيح البخاري (ط . دار الفكر ، بيروت) =

ويبدو أن السيوطي قد وجد في نفسه الأهلية فبدأ يعرض في كتاباته ممهداً لذلك فنجدته يقول في مقدمة كتابه (الجامع الصغير ، من حديث البشير النذير) :
« الحمد لله الذي بعث على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها ، وأقام في كل عصر من يحوط هذه الملة بتشييد أركانها وتأييد سننها وتبيينها »^(١) .

ثم عرض لذلك أكثر من ذي قبل فعندما ترجم لسراج الدين البلقيني (ت ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م) والد علم الدين ذكر أن السراج البلقيني هو مجدد المئة الثامنة وعقب على ذلك بقوله : « ومن اللطائف أن شرط المبعوثين على رؤوس القرون مصريون ، عمر بن عبد العزيز في الأولى ، والشافعي في الثانية ، وابن دقيق العيد في السابعة ، والبلقيني في الثامنة ، ثم أتبع ذلك بقوله « وعسى أن يكون المبعوث على رأس المئة التاسعة من أهل مصر »^(٢) وهو بذلك يقصد شخصه ويعني نفسه ولذلك وضع ترجمته لنفسه بعد ترجمة السراج البلقيني مباشرة ، وكأنه بذلك يضع مجدد المئة التاسعة عقب مجدد المئة الثامنة وذلك في الفصل الذي خصصه لتراجم الأئمة المجتهدين .

وفي سنة (٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) عمد السيوطي إلى الصراحة وأظهر أنه المجدد لهذا القرن فقال : « فنحن الآن في سنة ست وتسعين وثمانئة ولم يجيء المهدي ولا عيسى ولا أشراط ذلك وقد ترجى الفقير من فضل الله أن ينعم عليه بكونه هو المجدد على رأس المئة - أي التاسعة - وما ذلك على الله بعزيز »^(٣) ويعلن رجاءه في رسالته (التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المئة)

= ٢٩٥/١٣ ، وابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط (نشر دار الملاح وغيرها ، دمشق : ١٩٦٩م) ٣٢٠/١١ ، وابن كثير ، البداية والنهاية تحقيق محمد زغلول (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٧م) ٢٦٤/١٠ ، والمناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير : ٣٢٨/٢ . والتحدث بنعمة الله : ٢٢٥ .

(١) السيوطي ، الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، (ط ٤ ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر) ٣/١ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣٢٩/١ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٢٢٧ . وانظر بهجة العابدين : ق : ١٨/ب .

بقوله : « إني ترجيت من نعم الله وفضله كما ترجى الغزالي ^(١) لنفسه أي المبعوث على هذه المئة التاسعة ، لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم » ^(٢) :

ويقول في منظومته (تحفة المهتدين بأسماء المجتهدين) ^(٣) : (الرجز)

وَهَذِهِ تَاسِعَةُ الْمُئِينَ قَدْ أَتَتْ ، وَلَا يُخْلَفُ مَا الْهَادِي وَعَدُ

وَقَدْ رَجَوْتُ أَنِّي الْمُجَدِّدُ فِيهَا ، فَفَضَّلَ اللَّهُ لَيْسَ يُجَحِّدُ

وفي عام (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) يعلن وبكل صراحة وتحدي أنه الإمام المبعوث على رأس المئة التاسعة دون غيره فيقول : « فَإِنْ ثَمَّ مَنْ يَنْفَخُ أَشْدَاقَهُ وَيَدْعِي مَنَازِرَتِي ، وَيَنْكُرُ عَلَيَّ دَعْوَى الْجَهْدِ وَالْتِفَادِ بِالْعِلْمِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمِئَةِ ، وَيَزْعَمُ أَنَّهُ يَعَارِضُنِي وَيَسْتَجِيشُ عَلَيَّ بِمَنْ لَوْ اجْتَمَعَ هُوَ وَهُمْ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَنَفَخْتُ عَلَيْهِمْ نَفْخَةً صَارُوا هَبَاءً مَثُوراً » ^(٤) .

ويقول في مقدمة مقامته (الكلاجية في الأسئلة الناجية) « تبارك الذي منَّ عَلَيَّ بِحِفْظِ السَّنَةِ وَأَتَانِي مِنَ الْعُلُومِ وَالْحُجَجِ مَا هُوَ أَمْضَى وَأَنْفَذَ مِنَ الْأَسْئَةِ . . . وَحَبَانِي مَنْصِبَ الْجَهْدِ وَالتَّجْدِيدِ لِلدِّينِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمِئَةِ التَّاسِعَةِ » والسيوطي لم يكن مبالغاً في دعواه هذه ، لأنه وجد نفسه متفرداً بالعلم متبجحاً فيه ملماً بفروعه وأصوله ، تاركاً كمّاً هائلاً من المؤلفات والمصنفات التي

(١) وذلك في كتابه المنقذ من الضلال ، تحقيق عبد الحليم محمود (ط دار المعارف القاهرة ١٩٨٥م) ص : ٣٩٢ .

(٢) السيوطي ، التنبيه فيمن يبعثه الله على رأس المئة ، مخطوط بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٦٩٢٣) ق : ١٧/ب .

(٣) ذكرهما المحببي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر بتمامها : ٣/٣٤٤٣٤٤ ، وأثبتها كاملة د. مصطفى الشكعة في كتاب جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ، ص ١٢٢-١٢٣ ، وذكر بعض الأبيات العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس : ١/٣٤٤٣٤٣ ، والمناوي ، فيض القدير : ٢/٢٨٢ .

(٤) الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف (ضمن الحاوي) ٨٦/٢ .

تشهد بعلو كعبه وتقدّمه على غيره^(١) .

وقد وضح السيوطي مسوّغات دعواه هذه في مقامته (طرز العمامة) فقال : « يعلم المبعوث على رأس المئة : بغزارة علومهم ، واتساعهم ، ورسوخ قدمهم وطول باعهم وسعة دائرتهم وأخلاقهم ، وانتشار علومهم في الأمصار وسير تصانيفهم في الأقطار ، كما وقع لي ذلك فضلاً من العزيز الغفّار »^(٢) مع كل ما ذكره السيوطي من مسوّغات لم يسلم من خصومه ولم يسلموا له في دعواه الاجتهاد والتجديد ، وقاموا ضده ، وأطلقوا الألسنة نحوه ، وقد صور لنا السيوطي ذلك فقال : « ثم استهلّت سنة تسع وثمانين وثمانمئة ، ولهم ضجيج وعجيج ولا كمعجيج الحجيج وجروا قضية دعوى الاجتهاد واجتمعوا بكل كبير في البلد من كاتب السر والأمراء والرؤساء ، وسألوهم في رفع الأمر إلى السلطان ليعقد بيني وبينهم مجلساً يناظروني فيه ، فلما بلغني ذلك قلت : العلماء قد نصوا على أنه لا يسوغ للمجتهد أن يناظر المقلد فمناظرتي تحتاج إلى حضور مجتهدين مجتهد يناظرني ، ومجتهد يكون حكماً بيني ومن يناظرني »^(٣) .

ومهما قيل حول السيوطي من أمور فإنه جدير وحقيق بأن يعد من مجدد الملة المحمدية في المئة التاسعة ، فإن تصانيفه كلها مشتملة على فوائد لطيفة وفوائد شريفة تشهد كلها بتبحره وسعة نظره ودقة فكره .

وقد شهد له تلاميذه وأصحابه ومن جاء بعد ، بأنه بلغ درجة الاجتهاد وأنه حقيق بأن يكون مجدد المئة التاسعة^(٤) كما ادعى ذلك بنفسه قال القاري : « وهو في دعواه مقبول ومشكور »^(٥) .

(١) المقامة الكلاجية في الأسئلة الناجية (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٩٥٨/١ .

(٢) طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٦٨٧/١ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ١٩٣ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ١٤٨-١٥٣ ، والحاوي للفتاوي : ١٧٤/٢ ، ٣٣٢ . وبهجة

العابدين : ق ٢٦/أ ، ٢٧/ب .

(٥) ملأ علي القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (ط دار إحياء التراث =

ومهما يكن كذلك من أمر الخصومة بين السيوطي وأنصاره ، وبين السخاوي وأنصاره فإن المعاصرة - كما قيل - حجاب بين المتعاصرين ، كما أن الاتهامات التي تبادلها الفريقان لم تخل من مبالغات ، وإن كثيراً مما وجه للسيوطي أثبتت الأيام بطلانه ، وقد صبر على أذى قومه واحتسب ذلك عند الله ، اقتدى في ذلك بالسلف الصالح الذين تعرضوا للأذى في أزمانهم وقد ظهر الحق ببقاء كلام هؤلاء الأئمة وانتشاره ، وظهوره واضمحلال من رد عليهم ، وطمس ذلك ودثوره^(١) ، وكان يعد من نعم الله عليه إيذاء الناس له وعداوته ، وقد عقد فصلاً خاصاً في كتابه التحدث بنعمة الله قال فيه : « مما أنعم الله به عليّ هو أن الجماعة انتصبوا عداوتي وأذوني ، وذلك ليكون لي أسوة بالأنبياء والمرسلين »^(٢) وقد انتصر للسيوطي من بعده الشوكاني في ترجمته له ، وفند جميع ما وجهه إليه السخاوي ورد عليه رداً بليغاً ، وتعقب اتهاماته بالدفاع القوي وبيّن أن ما بلغه السيوطي من المكانة العلمية وما ادعاه من الاجتهاد كان سبباً في هذه الخصومات وهذا أمر طبيعي لمن بلغ هذه المرتبة فقال : « وما زال دأب الناس مع من بلغ إلى تلك الرتبة . . أنها جرت عادة الله سبحانه - كما يدل عليه الاستقراء - برفع شأن من عودي بسبب علمه وتصريحه بالحق ،

= (بيروت) ٤٦/١ . وانظر للكنوي ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ط . دار المعرفة ، بيروت) ص : ١٣ (حاشية) ، والتعليق الممجد على موطأ محمد للكنوي أيضاً (ط كراتشي) ص ٢٥ (حاشية) . وقد أكد ذلك محمد بن عبد الرحمن البكري (ت ١٠٢٨هـ / ١٦١٨م) في كتابه (الاجتهاد المطلق) فقال : « وادعاه لنفسه أقوام ظهرت أمارات صدقهم ومن آخرهم السيوطي ، فإنه كان المنفرد بنشر لواء الاجتهاد في زمانه » . انظر محمد البكري ، الاجتهاد المطلق ، تحقيق سليم فهد شبعانية (ط دار المعرفة ، دمشق : ١٩٩٢م) ص ٢٤ . وانظر صيغ الأسئلة الواردة للسيوطي ضمن الحاوي . وانظر أيضاً فهرس الفهارس والأثبت : ١٠١٩/٢ وبدائع الزهور : ٨٣/٤ .

(١) تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة (ضمن الحاوي) ٣٠٠/٢ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ١٦٠ . وانظر الطبقات الصغرى : ٢١ .

وانتشار محاسنه بعد موته ، وارتفاع ذكره وانتفاع الناس بعلمه ، وهكذا كان أمر صاحب الترجمة فإن مؤلفاته انتشرت في الأقطار وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار ، ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين»^(١) .

وأما ما ذكره السخاوي في كتابه (الضوء اللامع) فقد نبه الشوكاني على أنه غير مقبول لما عرف عنه - أي السخاوي - من سلاطة لسانه ، ولذاعة قلمه على منافسيه من أقرانه فقال : « والسخاوي رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع ، لكنه كان كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتاب (الضوء اللامع) فإنه لا يقيم لهم وزناً بل لا يسلم غالبهم من الحط منه ، وإنما يعظم شيوخه وتلاميذه »^(٢) .

والشوكاني يتابع ابن إياس في هذا الرأي ، حيث جاء في (بدائع الزهور) في حوادث سنة (٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) فقال : « وكان عالماً فاضلاً بارعاً في الحديث وألف تاريخاً فيه أشياء كثيرة من المساوىء في حق الناس »^(٣) .

وأما ما كان بين السيوطي وخصومه حول المسائل العلمية وتباين الآراء فيها فإنها كانت خصومات أدبية الغاية منها إظهار الحق ، ولذلك نرى كثيراً منهم قد رجع عن رأيه لمّا تبين له وجه الحق والصواب^(٤) . كما هو المعهود من أسلاف هذه الأمة ونرجو الله أن تقتدي بهداهم .

والحق أنّ السيوطي صاحب فنون ، وإمام في كثير من العلوم ، وهو أحفظ

(١) البدر الطالع : ٣٣٤ / ١ .

(٢) م . ن . ٣٣٤ / ١ .

(٣) ابن إياس ، بدائع الزهور : ٣٦١ / ٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال الطبقات الصغرى : ٢٨ و ٣٦ وفهرس الفهارس : ١٠١١ / ٢ وبهجة العابدين : ق ٤٣ / ب ، وعندما ترجم السيوطي لخصمه البقاعي في كتابه نظم العقيان ص : ٢٤ قال : « العلامة المحدث الحافظ » .

للمتون من السخاوي ، وأبصر باستنباط الأحكام الشرعية ، وله الباع الطويل في العربية ، والتفسير بالمأثور ، وجمع المتون ، والاطلاع على كثير من المؤلفات التي لم يطلع عليها علماء عصره ، وأنه أفاد وانتفع به في الإفتاء والتأليف . . (١) .

* * *

(١) عبد الوهاب عبد اللطيف ، مقدمته على تدريب الراوي : ص : ت .

الفصل الثاني

آثاره

١- تلاميدُه .

٢- مؤلفاته .

أولاً - تلاميذه

من شأن المنهل العذب أن يكثر رواده ، ويتسابق عليه قصاده ، وقد نهل من معين السيوطي عدد كبير من الطلاب والعلماء وذلك لما تمتع به السيوطي من علم جم ، وخلق كريم ، وتواضع كبير ، وقد ذكر السيوطي أنه تصدى للتدريس منذ وقت مبكر وذلك لما رجع من الحج سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) فلم يردّ طالباً ولا مبتدئاً ولا فاضلاً^(١) ولهذا فقد كثر تلاميذه فكان منهم الفقيه البار ، والمحدث الحافظ ، والمؤرخ الحاذق ، واللغوي اللامع ، وقد أسهم هؤلاء التلاميذ إسهاماً كبيراً في نشر مؤلفاته وشرحها والتعليق عليها ونسخها .

وبما أن تلامذته كثيرون كما ذكر الخوانساري^(٢) فسأقتصر على ذكر المشاهير منهم والملازمين له :

١- الشيخ بدر الدين حسن بن علي القيمري ، قال عنه السيوطي : « أحد العلماء البارعين في الفرائض والحساب والعروض والميقات ، وأحد الفضلاء المشاركين في الفقه والعربية لزمني عشر سنين ، وقرأ علي الكثير من كتبي (كمنهاج) النووي و (شرح الألفية) لابن عقيل »^(٣) وكان أكبر من السيوطي ، تتلمذ عليه وهو في سن الشيخوخة (ت ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) وقد جاوز السبعين^(٤) .

٢- شيخ القراء ، سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري المصري الشافعي ، أبو حفص قال السيوطي « لزمني إلى الآن عشرين سنة ، وكتب من مصنفاتي

(١) التحدث بنعمة الله : ٨٨ .

(٢) روضات الجنات : ٤٣٦/٣ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٨٨ .

(٤) الضوء اللامع : ١١٩/٣ .

المطولة وغيرها جملة وافرة ، وقرأ عليّ أكثر ما كتبه «^(١) من تصانيفه : (البدور المنير في شرح التيسير) و(البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة) (ت ٩٣٨ هـ / ١٥٣١ م)^(٢) .

٣- شهاب الدين ، أحمد بن الأمير ثاني بك الألياسي ، أبو الفضل ، الحنفي ثم الشافعي ولد في شعبان سنة (٨٦٣ هـ / ١٤٥٨ م) ، واشتغل بالحديث فلأزم الحافظ فخر الدين الديمي ثم الحافظ السخاوي ، وبعد خروج السخاوي إلى الحج لازم الإمام السيوطي ، وكان مشغولاً بعلم الحديث بارعاً فيه فلما قطع السيوطي إملاء الحديث طلب تلميذه هذا إعادته ، فأعاد إملاء الحديث سنة (٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م) استجابة لرغبته قال عنه السيوطي : « المحدث البارع ، الفاضل الصالح »^(٣) .

٤- شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي المغربي القيرواني المالكي ، الشيخ الفاضل ، الصالح ، المبارك ، المعتقد ، صاحب الشيخ جلال الدين السيوطي وارتبط ، وقلده في ملازمته لبس الطيلسان^(٤) صيفاً وشتاءً ، وكان يتردد إلى التقي الأوجاقي وغيره (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م)^(٥) .

(١) التحدث بنعمة الله : ٨٨ .

(٢) الضوء اللامع : ١١٣/٦ وانظر الأعلام : ٥٩/٥ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٨٩ ، والضوء اللامع : ١/٢٦٥-٢٦٦ وفيه الألياسي بدل الألياسي .

(٤) الطيلسان : تعريب للكلمة الفارسية (تالسان) أو (تالشان) . ضرب في الأوشحة يلبس على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خال من التفصيل والخياطة ويعرف بالعامة المصرية (بد الشال) . (إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط (ط دار المعارف ، مصر : ١٩٧٣ م) ٢/٥٦١ وانظر بحث الأستاذ سعدي أبو جيب السيوطي علامة عصره ضمن مجلة التراث العربي ، العدد ٥١ ص : ٦٣ وللسيوطي في لبس الطيلسان رسالة سماها « الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان » مطبوعة في لاهور (طبعة حجرية قديمة) وله مؤلف آخر بعنوان (طي اللسان عن ذم الطيلسان) . وذلك ردّاً على من خالفه في ذلك ، انظر بهجة العابدين ق : ٣٠/أ-ب .

(٥) الكواكب السائرة : ١/٢٩٣-٢٩٤ وشذرات الذهب : ١٥٤-١٥٥ .

٥- الشيخ عبد القادر بن محمد الشاذلي ، المؤذن ، المصري ، الشافعي ، لازم الشيخ السيوطي مدة طويلة وكتب له ترجمة سماها (بهجة العابدین بترجمة حافظ العصر جلال الدين)^(١) وقد أفاد منها - كثيراً في ترجمة السيوطي - الشلي في (السنا الباهر) والشعراني في (الطبقات الصغرى) وغيرهما ، ومن آثاره - أيضاً - (تشنيف الأسماع بشرح أحكام الجماع) و (شفاء المتعال بأدوية السعال) وغيرها (ت ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م)^(٢) .

٦- الشيخ الحافظ الإمام المحدث شمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الشامي الصالحي الدمشقي ، نزيل البرقوقية بمصر ، من أجل تلاميذ السيوطي ، كان عالماً صالحاً متفتناً في العلوم ، له (السيرة) المعروفة بالشامية وهي أجمع وأفيد ما ألفه المتأخرون في السيرة النبوية سماها (سبل الرشاد في سيرة خير العباد) في سبع مجلدات ، جمعها من ألف كتاب وتحري فيها الصواب ، قال الشعراني « وأقبل الناس على كتابتها ومشى على أنموذج لم يسبق إليه »^(٣) .

وله أيضاً (عقود الجمال في مناقب أبي حنيفة النعمان) و (الجامع الوجيز الخادم للغات القرآن العزيز) و (مرشد السالك إلى ألفية ابن مالك) و (النكت) عليها اقتضبه من نكت شيخه السيوطي عليها وعلى شذور الذهب ، و (الإتحاف بما تبع فيه البيضاوي صاحب الكشاف) . وغير ذلك من الكتب (ت ٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م)^(٤) .

(١) عندي منه نسختان : نسخة الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، ونسخة تشتريتي . وقد أفدت منهما كثيراً في ترجمة السيوطي .

(٢) هدية العارفين ٥/ ٥٩٨ ، كشف الظنون ١/ ٤٠٩ ، ٢/ ١٠٥٦ ، وإيضاح المكنون : ١/ ٢٠٢ ، ومعجم المؤلفين : ٥/ ٢٩٨ .

(٣) الطبقات الصغرى : ٧٥ .

(٤) شذرات الذهب : ٨/ ٢٥١ وفهرس الفهارس : ٢/ ١٠٦٢-١٠٦٣ والأعلام : ١٥٥/٧ .

٧- الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداودي المصري الشافعي وقيل المالكي ، أبو الحسن . العلامة المحدث الحافظ ، كان شيخ أهل الحديث في عصره ، قال النجم الغزي : « جمع ترجمة شيخه الحافظ السيوطي في مجلد ضخم ، ووضع ذيلاً على كتابه (لب اللباب في تهذيب الأنساب) و (طبقات المفسرين) اعتمد فيه على كتاب شيخه السيوطي وزاد عليه ^(١) ، وقد قام بنسخ أكثر كتب شيخه بقلمه توفي في القاهرة (سنة ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) » ^(٢) .

٨- المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن طولون ، الدمشقي ، الصالحي ، الحنفي ، أبو عبد الله الإمام العلامة ، المسند المؤرخ ، صاحب التصانيف الكثيرة .

ذكر النجم الغزي أنه أخذ عن السيوطي إجازة ومكاتبه ، وكتب بخطه كثيراً من الكتب منها الكثير من تأليفات شيخه السيوطي ^(٣) ، وكانت أوقاته معمورة بالتدريس والإفادة والتأليف ، وله مشاركة في سائر العلوم .

وقد ذكر أنه ألف كتاباً في ترجمته لنفسه اقتداء بشيخه السيوطي ، وسماه (الفلك المشحون) وكان كلما ذكره يعبر عنه بقوله « شيخنا » ^(٤) وذكر أنه وضع تعليقات وحواشٍ على كثير من مؤلفات شيخه منها (حاشية) على (الاقتراح) وشرح ممزوج على (ألفيته في النحو) وشرح ممزوج كذلك على ألفيته المسماة (عقود الجمان في علم المعاني والبديع والبيان) وغير ذلك ^(٥) .

(١) كشف الظنون : ١١٠٧/٢ .

(٢) الكواكب السائرة : ٧١/٢ ، وانظر شذرات الذهب : ٢٦٤/٨ ، فهرس الفهارس : ٣٩٢/١ والأعلام : ٢٩١/٦ .

(٣) الكواكب السائرة : ٥٣-٥٢/٢ ، وشذرات الذهب : ٢٩٨/٨ .

(٤) ابن طولون ، الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون (ط . مطبعة الترقى بدمشق : ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م) ص ٦ ، ١٤ ، ١٧ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢ إلخ .

(٥) الفلك المشحون : ص ٣٥ ، ٣٨-٣٩ ، ٤٢ .

ومن تصانيفه (مفاكهة الخلان في حوادث الزمان) و (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية)^(١) (ت ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م)^(٢) .

٩- مؤرخ مصر ، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ، أبو البركات ، صاحب تاريخ مصر المسمى (بدائع الزهور في وقائع الدهور)^(٣) والذي كان يعبر فيه عن السيوطي بقوله « شيخنا »^(٤) . وقد ترجمه الزركلي في (الأعلام) وقال وكان ابن إياس من تلاميذ جلال الدين السيوطي وحج سنة (٨٨٢هـ / ١٤٨٣م)^(٥) ومن كتبه (عقود الجمان في وقائع الزمان) و (نشق الأزهار في عجائب الأقطار) و (الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة)^(٦) وغيرها (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)^(٧) .

١٠- الشيخ الإمام العلامة السيد يوسف بن عبد الله ، الشريف جمال الدين الحسيني الأرميوني الشافعي ، إمام المدرسة الكاملية ، وكان من أكثر تلاميذ السيوطي قرباً منه وكانت له مكانة خاصة عند شيخه فقد ذكر الكتاني أن السيوطي كان لا يفتح باب بيته لتلامذته إلا إذا كان معهم السيد يوسف وإلا فلا يفتح وكان السيد يوسف يقرأ والباقي يسمع^(٨) (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م)^(٩) .

١١- الشيخ الإمام الفاضل محمد بن عبد الرحمن الصفوري ، قطب الدين ، الصالح الشافعي الصالح الواعظ ، قال النجم الغزي « أخذ عن والده

(١) الفلك المشحون : ٣٠٤ .

(٢) الكواكب السائرة : ٥٤ / ٢ و شذرات الذهب : ٢٩٩ / ٨ .

(٣) كشف الظنون : ٣٠٥ / ١ .

(٤) انظر على سبيل المثال بدائع الزهور : ٤٧ / ٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٩ / ٤ ، ٨٣ .

(٥) الأعلام : ٥ / ٦ .

(٦) هدية العارفين : ٢٣١ / ٦ ، والأعلام : ٥ / ٦ .

(٧) م . ن . السابق .

(٨) فهرس الفهارس : ٩٧ / ١ وانظر المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر

(دار صادر ، بيروت) ١٩٦ / ٣ .

(٩) الكواكب السائرة : ٢٦٢ / ٢ و شذرات الذهب : ٣٢٢ / ٨ .

وعن الشيخ جلال الدين السيوطي بمصر وكان له وعظ حسن وخطبة بليغة ، توفي في ربيع الآخر سنة (٩٥٨هـ/ ١٥٥١م) ودفن بسفح قاسيون^(١) .

١٢- الشيخ الصالح الفاضل العارف بالله تعالى سليمان الخضيرى المصري الشافعي . أخذ العلم عن الحافظ السيوطي والأوجاقي ، كان زاهداً ديناً كاملاً لا ينقص أحداً توفي سنة (٩٦١هـ/ ١٥٥٣م) تقريباً عن عمر ناهز مئة سنة وثمانين سنين^(٢) .

١٣- الإمام العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقي ، الشافعي أخذ عن جماعة منهم السيوطي والبدر الغزي وغيرهما ، وأجيز بالإفتاء والتدريس ودرس بجامع الأزهر وله حاشية حافلة على (الجامع الصغير) لشيخه السيوطي وكتاب سماه (ملتقى البحرين) وكان قوالاً بالحق ناهياً عن المنكر متضلعا من العلوم العقلية والنقلية^(٣) .

قال الشعراني « صحبته نحو عشرين سنة فما رأيت عليه شيئا يشينه في دينه »^(٤) . وقد وصفه الشهاب الخفاجي في ريحانته فقال : « أما الشمس صاحب (الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير) فشيخ الحديث في القديم والحديث ، لم تزل سحب إفادته في رياض الفضل ذوارف ، حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف ، فهو هضبة مجد ، وفي التقى جوهر فرد ، قد تحلى بخدمة جلال السيوطي كمالاً ورقى إلى سماء المعالي فازداد جلالاً »^(٥) (ت : ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م)^(٦) .

(١) الكواكب السائرة : ٤١/٢ - ٤٢ ، شذرات الذهب : ٣٢٢/٨ .

(٢) الكواكب السائرة : ١٤٩/٢ ، وشذرات الذهب : ٣٢٩/٨ .

(٣) الكواكب السائرة : ١٤٩/٢ ، وشذرات الذهب : ٣٢٩/٨ .

(٤) الطبقات الصغرى : ١٢٦ .

(٥) الشهاب الخفاجي ، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ، تحقيق عبد الفتاح الحلو (ط عيسى البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٧م) ٧٧/٢ .

(٦) كذا في الكواكب السائرة : ٤١/٢ ، وهدية العارفين : ٢٤٤/٦ وفي شذرات الذهب =

١٤- الشيخ الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي، نسبة إلى محمد بن الحنفية الشعراني، الإمام العامل العابد الزاهد الفقيه، المحدث الأصولي، الصوفي، المربي. كان آية من آيات الله في العلم والتصوف والتأليف. وقد ترجم لشيخه السيوطي في كتابه الطبقات الصغرى فقال شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ جلال الدين السيوطي قرأ على السيوطي بعض أحاديث من الكتب الستة. وشيئاً من (المنهاج في الفقه) وأجازه بجمع مروياته ومؤلفاته^(١)، له عدة كتب منها: (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ويعرف (بطبقات الشعراني الكبرى)، و(لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية) و(لطائف المنن) وغيرها (ت ٩٧٣هـ / ١٥٦٥م)^(٢).

* * *

= ٣٣٩/٨ وفاته سنة (٩٦٣هـ / ١٥٥٥م) وعند الزركلي (٩٦٩هـ / ١٥٦١م) انظر الأعلام: ١٩٥-١٩٦.

(١) الطبقات الصغرى، ص: ١٧.

(٢) ترجمته في الكواكب السائرة: ١٧٦-١٧٧، شذرات الذهب: ٣٧٢-٣٧٤/٨ وانظر الأعلام ٤/ ١٨٠-١٨١. وعبد الحفيظ فرغلي القرني، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر، (سلسلة أعلام العرب رقم ١١٦، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: ١٩٨٥م) ص: ٣٨.

ثانياً - مؤلفاته

لقد رزق السيوطي التبحر في كثير من العلوم والفنون ، وألف في ذلك التأليف البارعة والفائقة ، وإن أهم ما يميّز النشاط الذي بدأه السيوطي في التأليف هو التنوع والكثرة ، فقد تناول جميع أنواع المعارف بالتأليف والدراسة والبحث إلا بعض أنواع الفنون كالحساب مثلاً لعدم ملاءمته طبيعته . وإنه مما لا ريب فيه أن مؤلفات السيوطي عوّضت المسلمين الكثير من الكتب التي فقدوها خلال الحروب والاضطرابات ، واشتملت مؤلفاته على علوم القرآن والحديث والفقه والأدب والتاريخ والمعارف العامة^(١) حتى عُدَّ بحق من أغزر كتاب العربية قاطبة^(٢) ، وأصبح مضرب المثل في كثرة التصنيف^(٣) وعدّوا ذلك من مناقبه قال تلميذه الشعراني : « ولو لم يكن له من الكرامات إلا إقبال الناس عليه في سائر الأقطار وعلى كتبه ومؤلفاته ومطالعتها ، لكان ذلك كفاية لما اشتملت عليه من العلوم والمعارف »^(٤) . وهو بهذا يمثل العقلية الموسوعية التي اتسم بها عصره بل كان السيوطي بحد ذاته دائرة معارف واسعة جمع في ذهنه مختلف العلوم والفنون ، النقلية والعقلية^(٥) ، فقد جاء في حسن المحاضرة قوله « ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها

(١) عصام الدين عبد الرؤوف ، مؤلفات السيوطي (بحث مقدم إلى ندوة الإمام السيوطي) ص : ١٠٨ .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : ٢٧/١٣ .

(٣) فهرس الفهارس : ٥٣٠/١ ، وشذرات الذهب : ٣٩٧/٨ .

(٤) الطبقات الصغرى : ٣٥ ، فهرس الفهارس : ١٠١٩/٢ .

(٥) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي : ٤٣٥/٦ ،

وانظر عبد الوهاب حمودة ، صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي : ص ١٤١ .

النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله . . «^(١) .

عدد مؤلفاته :

بلغت مؤلفات السيوطي حين ألف كتاب (حسن المحاضرة) نحواً من ثلاثمئة كتاب^(٢) . أما في كتابه (التحدث بنعمة الله) فقد بلغ مجموع مؤلفاته (٤٣٣) كتاب وقسمها سبعة أقسام :

القسم الأول : ما ادعى فيه التفرد ، وأنه لم يؤلف له نظير في الدنيا وعددها (١٨) مؤلفاً .

القسم الثاني : ما ألف ما يناظره وذلك ما تم أو كتب منه قطعة صالحة من الكتب المعتبرة التي تبلغ مجلداً وفوقه ودونه وعددها (٥٠) مؤلفاً .

القسم الثالث : وهو ما تم من الكتب المعتبرة الصغيرة الحجم التي هي من كراسين إلى عشرة وعددها (٦٠) مؤلفاً .

القسم الرابع : ما كان كراساً ونحوه وذلك (١٠٢) مؤلف .

القسم الخامس : ما ألف في واقعات الفتاوي من كراسٍ وفوقه ودونه وعددها (٨٠) مؤلفاً .

القسم السادس : وهو من المؤلفات التي لا يعتد بها ، ألفها زمن السماع وطلب الإجازات وعددها (٤٠) مؤلفاً .

القسم السابع : ما شرع فيه وافر العزم عنه وكتب منه القليل ولم يتمه وبلغ عددها (٨٣) مؤلفاً^(٣) .

(١) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

(٢) م . ن : ٣٣٨/١ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ص ١٠٥-١٣٦ .

هذا وقد وضع السيوطي فهرساً لمؤلفاته سنة (٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م) فبلغت فيه تأليفه (٥٣٨) كتاب^(١) ، نقلها تلميذه الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتابه (بهجة العابدين) وزاد عليها فبلغت (٥٥٣) مؤلف^(٢) .

وفي كتابه (التنبيه فيمن يبعثه الله على رأس المئة) ذكر أن عدد مصنفاته بلغ نحو خمسمئة مؤلف^(٣) .

أما تلميذه الشعراني فقد ذكر أن له من المؤلفات (٤٦٠) مؤلف ذكرها في (فهرست) وقد قام بتحقيقها يحيى الساعاتي^(٤) .

وقد استقصى الداودي مؤلفات شيخه فنافت عدتها على (٥٠٠) مؤلف^(٥) .

وكذلك الشأن عند ابن إياس^(٦) .

وقد قارب هذا العدد اللكنوي فقال « صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان .. وقد زادت على (٥٠٠) مؤلف »^(٧) .

وأوصل العيدروسي مؤلفات السيوطي إلى (٦٠٠) مصنف سوى ما غسله

(١) طبع بالهند ضمن مجموع تسع رسائل .

(٢) الشاذلي ، بهجة العابدين : ق ٢٠/أ وقارن بما سجله من كتب شيخه ق ٣٥/أ - ٤٢/ب .

(٣) التنبيه فيمن يبعثه الله على رأس المئة ، مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق ، رقم (٦٩٢٣) ق : ١٧/ب .

(٤) الطبقات الصغرى : ٢٠ ، وانظر يحيى الساعاتي ، فهرس مؤلفات السيوطي (نشر مجلة عالم الكتب ، مجلد ١٢ ، عدد ٤ (شوال : ١٤١١ هـ . مايو ١٩٩١ م) ص ٢٤٨-٢٣٢ .

(٥) على ما في الكواكب السائرة : ٢٢٨/١ ، شذرات الذهب : ٥٣/٨ ، فهرس الفهارس : ١٠١٩/٢ .

(٦) بدائع الزهور : ٨٣/٤ .

(٧) التعليقات السنوية على الفوائد البهية (ط دار المعرفة ، بيروت : ص ١٣-١٤) .

ورجع عنه^(١) وكذلك الأمر عند حاجي خليفة^(٢) ، وقاربهما في المقدار إسماعيل البغدادي ، فقد نقل رسالة السيوطي التي ذكر فيها مؤلفاته بعد أن رتبها على حروف المعجم فبلغت عدة مؤلفاته (٥٨٤) كتاب^(٣) .

وأحصى له جميل بك العظم في (عقود الجواهر) قريباً مما نسب إليه صاحب كشف الظنون^(٤) .

أما العالم الألماني (فلوجل) فقد جمع له قائمة تحوي (٥٦١) مصنف^(٥) وأوصل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي مؤلفاته إلى (٤١٥) تأليف^(٦) .

وقد بالغ ابن القاضي في عد مصنفاته فقال : (وله تصانيف لا تحصى كثرة تناهز الألف^(٧) . واكتفى السخاوي بالإشارة إلى كثرة مؤلفاته بدون ذكر عددها حيث قال : « لو جيء إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها »^(٨) وكذا عند كل من ابن طولون والكتاني وغيرهما^(٩) .

وقد حاول أحد المعاصرين - وهو أحمد الشرقاوي إقبال - أن يجمع كل ما للسيوطي من مؤلفات بما فيها المنسوبة إليه فوضع كتاباً سماه (مكتبة الجلال السيوطي) بلغ عدد مؤلفات السيوطي فيه بعد الفحص المستقصي

(١) النور السافر : ٥٢ .

(٢) كشف الظنون ، في مواضع متفرقة .

(٣) هدية العارفين : ٥٣٤-٥٤٤ .

(٤) عقود الجواهر : ٢١٦-١٩٤ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية : ٢٧/١٣ ، مكتبة الجلال السيوطي ، ٣٨ ، وانظر مقدمة نظم العقيان ص : خ ومصطفى الشكعة ، جلال الدين السيوطي : ١٤٣ .

(٦) BROCK, G 2/144 & s. 2/178-198 .

(٧) درة الحجال في أسماء الرجال (ذيل وفيات الأعيان) تحقيق محمد الأحمدى أبو النور (ط المكتبة العتيقة ، تونس : ١٩٧٤ م) ٣/٣٢ .

(٨) الضوء اللامع : ٦٩/٤ .

(٩) مفاكهة الخلآن : ٢٩٥/١ ، فهرس الفهارس : ١٠٥١/٢ ، روضات الجنات : ٤٣٢/٣ . وانظر فهرس الخزانة التيمورية : ١٥١/٣ .

والتفتيش (٧٢٥) مؤلف سوى المكرور والمنحول^(١) .

وكذلك وضع أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني كتاباً جمعاً فيه مخطوطات السيوطي سموه (دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها) فبلغ عدد المؤلفات فيه (٩٨١) مؤلف^(٢) .

وانصب اهتمام بعض الباحثين إلى وضع فهرس لمخطوطات السيوطي في مكتبة معيّنة فوضع الأستاذ ماجد الذهبي فهرساً بأسماء مخطوطات السيوطي الموجودة في دار الكتب الظاهرية بدمشق^(٣) .

ووضع الأستاذ يحيى الساعاتي نشرة بما تحتويه مكتبة الرياض العامة من مخطوطات أصلية ومصورة للسيوطي^(٤) .

وقد قامت دور النشر والطباعة في مختلف أنحاء العالم بطبع عدد كبير منها ، ووضع يوسف سركيس معجماً للمطبوعات العربي عدّد فيه ما طبع من كتب للسيوطي فبلغت (٩٢) كتاباً^(٥) إلى عهد وضعه هذا المعجم سنة (١٨٥٢م) ، بينما بلغ العدد الذي ذكره عبد الجبار عبد الرحمن (١٢٨) كتاب من الكتب المطبوعة له وذلك حتى عام (١٩٨٠م)^(٦) ، وأوصلها عمر فروخ إلى (١٣٥) كتاب^(٧) .

أما الأستاذ الشرقاوي فيقول : « بأن ما طبع من كتب السيوطي قد ناف عن

(١) أحمد الشرقاوي إقبال : مكتبة الجلال السيوطي : ص : ٣٩ .

(٢) أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني ، دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها (ط مكتبة ابن تيمية ، الكويت : ١٩٨٣م) .

(٣) وقد قام الدكتور بديع السيد اللحام بإعطائي نسخة عنها ، وهي ما تزال مخطوطة .

(٤) مرقونة على الآلة الكاتبة سنة (١٩٧٣م) في الرياض .

(٥) معجم المطبوعات العربية : ١٠٧٣-١٠٨٧ .

(٦) عبد الجبار عبد الرحمن ، ذخائر التراث العربي الإسلامي (ط ١ . جامعة البصرة ، ١٩٨١) .

(٧) تاريخ الأدب العربي : ٩٠٢-٩١٤ ، ٩٣٦ .

المتنين وأن قريباً من هذا العدد ما يزال محفوظاً في خزائن المخطوطات في العالم ، وأما الباقي فمفقود^(١) .

وقد نشر الأستاذ عبد الإله نبهان فهرساً لمؤلفات السيوطي المطبوعة مرتبة على الحروف في مجلة عالم الكتب السعودية^(٢) .

أسباب كثرة مؤلفاته :

رزق السيوطي الإخلاص في القول والعمل ، وبارك الله له في وقته وعمره ، فقد ولد بين الكتب وعاش معها ، ومات بينها ومن هنا أطلقوا عليه (ابن الكتب)^(٣) ، ولذلك لا عجب أن نرى له هذا العدد الهائل من المؤلفات ولا شك أن هناك أسباباً ساعدت السيوطي على إنتاجه الهائل هذا منها :

١- بدء التأليف في سن مبكرة من حياته العلمية :

فقد ذكر أنه بدأ التأليف سنة (٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) ولم يتجاوز من العمر السابعة عشرة ، وأول تصنيفاته كتاب (شرح الاستعاذة والبسملة) وكتاب (شرح الحوقلة والحيعة) وأوقف عليهما شيخه البلقيني ، فكتب عليهما تقریظاً^(٤) .

(١) مكتبة الجلال السيوطي : ٣٦ .

(٢) عبد الإله نبهان ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة (مجلة عالم الكتب السعودية مج ، ١٢ ع ١) (رجب ١٤١١هـ) ص ٣٣-٥٣ ، وقام الأستاذ محمد خير رمضان باستدراك على الأستاذ عبد الإله نبهان ونشره في مجلة عالم الكتب العدد الثالث من المجلد الثاني عشر سنة ١٤١٢هـ من ص ٤٤٠-٤٤٩ . ثم قام الدكتور بديع السيد اللحام بالاستدراك الثاني عليه ونشره في مجلة عالم الكتب أيضاً ، مج ١٤ ، ع ٣ سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ ص ٣٢١-٣٣٤ .

(٣) العيدروسي، النور السافر : ٥٤ . وانظر الزركلي، الأعلام : ٣ / ٣٠١ .

(٤) بهجة العابدين: ق ٩/ب ، وانظر حسن المحاضرة : ١ / ٣٣٧ ، وفي كشف =

وقد أُلّف في العام نفسه عدداً من المصنفات ، فكتب على (الأجرومية)
 شرحاً منشوراً ثم شرحاً منظوماً ، ثم على (الجمل) للزجاجي ، ثم على
 (الكافية الكبرى) لابن مالك وعلى كتب أخرى ، ومسائل شتى ، ولكنه غسل
 الجميع بعد ذلك ولم يبق لهم أثراً^(١) .

٢- سرعته في الكتابة :

فقد كان آية كبرى في سرعة التأليف يُلمح ذلك من خلال خطه ، فقد كان
 يصل بعض الحروف ببعضها للسرعة كما هو واضح في صورة خطه المبينة في
 الصفحة التالية .

وقد شهد له تلاميذه بسرعته في الكتابة فقال الشاذلي : « كان رحمه الله
 يصنّف في اليوم الواحد ثلاث كرايس ويكتبها بخطه النفيس »^(٢) .

وقال أيضاً يصور لنا سرعة شيخه في الإملاء : « وكان يملي عليّ من
 تصنيفه وهو يطالع الكتب ، وهي منشورة بين يديه ، وأنا مسبوق معه في
 الكتابة لا ألحقه ولا أصل إليه »^(٣) .

وقال الداودي : « عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاث كرايس
 تأليفاً وتحريراً . . »^(٤) .

= الظنون : ١٠٣١/٢ و ١٠٤٠ « ألفهما سنة (٨٨٦هـ / ١٤٨١م) ست وثمانين
 وثمانمئة » ، هكذا ذكر حاجي خليفة ، ولعله تحريف ، لأن السيوطي في هذا التاريخ
 كان قد بلغ السابعة والثلاثين من عمره ، وكان قد مضى على وفاة شيخه البلقيني
 (ت ٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) الذي كتب عليهما التقريظ (١٨) سنة .

(١) بهجة العابدين : ق ١٠/ب .

(٢) بهجة العابدين : ق ٢٠/ب .

(٣) م . ن . السابق .

(٤) الطبقات الصغرى : ٢٧ ، وانظر الكواكب السائرة : ٢٢٨/١ ، شذرات الذهب :

٥٣/٨ وفهرس الفهارس : ١٠١٩/٢ ، والمراغي ، الفتح المبين في طبقات =

﴿صورة خط السيوطي﴾^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي جعل العلم نوراً
والعلماء أئمةً للناس
والعلماء أئمةً للناس
والعلماء أئمةً للناس

مضمون النص :

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
سمع عليّ هذه الألفية تأليف كاتبها الفاضل المتقن الصالح نظام الدين
جرامرد الحنفي الناصري وأجزت له روايتها عني وجميع مروياتي ومؤلفاتي
وكتب عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي لطف الله به .

وقد ورد عنه قوله : (مخلع البسيط)

أَسْرَعَ أَخَا الْعِلْمِ فِي ثَلَاثِ الْأَكْمَلِ وَالْمَشْيِ وَالْكِتَابَةِ^(٢)

وقد ذكر السيوطي أنه لما كان بمكة ألف كراسة على نمط (عنوان الشرف)

= الأصوليين (نشر محمد أمين دمج ، بيروت : ١٩٧٤م) ٦٦-٦٥/٣ .

(١) عن كتاب أحمد تيمور باشا ، قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه : ص ٢٤ .

(٢) السيوطي ، قلائد الفوائد (نسخة مخطوطة ضمن مجموع محفوظة بمكتبة الأسد

الوطنية رقم (٨٧٢٥) ق ٤٩/ب . وانظر الكواكب السائرة : ٢٢٩/١ ، شذرات

الذهب : ٥٥/٨ .

في يوم واحد وسماها (النفحة المسكية والتحفة المكية)^(١) ، وهي تحوي على نحو عشرة أيام^(٢) .

وأنه أنهى تكملة (تفسير الجلال المحلي) في أربعين يوماً^(٣) ، وكان يومذاك لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره .

٣- اعتزاله الإفتاء والتدريس ، وانقطاعه عن الناس وهو ما يزال في سن الأربعين ، مما كان له الأثر الأكبر في تحرير مؤلفاته ، فقد نقل تلميذه الشاذلي : « أن الشيخ لما بلغ الأربعين أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى . . والإعراض عن الدنيا وأهلها حتى كأنه لم يعرف أحداً منهم وشرع في تحرير مؤلفاته ، وترك الإفتاء والتدريس »^(٤) .

٤- وكان لخصوماته العلمية مع منافسيه كبير الأثر في تأليفه لعدد لا بأس به من المؤلفات مثل (الاستنصار بالواحد القهار) و (طرز العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة) و (الكاوي في تاريخ السخاوي) و (الدوران الفلكي على ابن الكركي)^(٥) وغيرها وكان يرد على من خالفه في الفتوى برسائل ويؤلف فيها المؤلفات وكتابه (الحاوي للفتاوي) مليء بمثل ذلك ، وقد نقل عنه تلميذه الشعراني قوله « وخالفت أهل عصري في خمسين مسألة ، فألفت في كل مسألة مؤلفاً أثبت فيه وجه الحق »^(٦) وقال تلميذه الشاذلي : « وكان إذا

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ ، وانظر مقدمة السيوطي على مقاماته (ضمن شرح مقامات السيوطي) ١/ ٢٢٢ .

(٢) لب الباب : ص ٢٨٦ .

(٣) تفسير الجلالين : (بهامش الفتوحات الإلهية) (ط . دار إحياء التراث ، بيروت) ٢/ ٦٦٨ .

(٤) بهجة العابدين : ق ٢٠/ ب ونقل أيضاً عن الشعراني في الطبقات الصغرى : ٣٢ وانظر الكواكب السائرة : ١/ ٢٢٨ ، وشذرات الذهب : ٨/ ٥٣ .

(٥) انظرها (في شرح مقامات السيوطي) .

(٦) الطبقات الصغرى : ٢٠ .

أجاب عن مسألة وحصل في ذلك الجواب كلام أو إنكار أردف ذلك الجواب
بعده أجوبة على التوالي والتكرار»^(١) .

٥- والسيوطي إذا حصلت لديه قناعة في مسألة ما فإنه يشبعها بحثاً ويؤلف
فيها أكثر من مؤلف وقد مرّ معنا كيف ألّف في مسألة « أبوي النبي ﷺ » وأنهما
مؤننان ، ستة مؤلفات^(٢) .

ولما أفتى بتحريم المنطق ألّف في ذلك عدة كتب منها (الغيث المغدق في
تحريم المنطق) و (القول المشرق في تحريم المنطق) و (صون المنطق
والكلام عن فن المنطق والكلام) و (جهد القريحة في تجريد النصيحة)^(٣) .
ولذلك تجده يقول : « لا تقع مسألة مشكلة إلا تتبعت كلام العلماء فيها
واستقصيت أمرها حسبما أمكن حتى أعطيها حقها وأوفيها ، ولا أكتفي بنقل أو
نقلين . . بل أنصبها نصب العين ، وأجمع لها الجمع الأول ثم أشفعه
بجمعين ، قلّ من ذلك واحدة إلا ألّفت فيها المستغرب العزيز ، وكثرت
البسيط والوسيط والوجيز »^(٤) .

٦- وكان لادعائه الاجتهاد والتجديد أثر كبير في كثرة مؤلفاته ، لأن هذه
الدعوى تتطلب منه أن يكتب في كل فن ليثبت تمكنه في دعواه ، ولذلك أجده
يقول في (حسن المحاضرة) بعد ادعائه الاجتهاد « ولو شئت أن أكتب في كل
مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلّتها النقلية والقياسية . . لقدرت »^(٥) ويقول في
معرض دفاعه عن نفسه وأنه المجدد للمئة التاسعة « فليس في الإسلام قطر إلا

(١) بهجة العابدين : ق ٢٠/ ب .

(٢) انظر ص : ١٥٧ من هذا الكتاب .

(٣) انظر التحدث بنعمة الله : ٢٤٤ ، والحاوي للفتاوي : ٢٥٥/١ ، وقد طبع (صون
المنطق) و (جهد القريحة) بتحقيق علي سامي النشار بمصر وفي دار الكتب العلمية ،
بيروت .

(٤) المقامة اللؤلؤية : ٢/ ١٠٠٥-١٠٠٦ .

(٥) حسن المحاضرة : ٣٣٩/١ .

وقد وصلت تصانيفي إليه ، ولا مصر إلا وتجد شيئاً من كتبي لديه . . »^(١)
وألف حول هذه المسألة عدة كتب منها (التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المئة)
و(تحفة المهتدين بأسماء المجددين) و(تيسير الاجتهاد) و(الرد على من
أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض) وغيرها .

٧- طريقته في التأليف كان لها أثر كبير في كثرة مصنفاته ، فقد بدأ في
تلخيص كتب المتقدمين ، ثم انتقل بعد ذلك إلى التصنيف المستوعب
المستقل ، وهو إذا ألف الكتاب الكبير الضخم يعود إلى تقسيمه وتجزئته إلى
عدة كتب ، فمثلاً في مصنفاته التاريخية يترجم حسب الطبقات ثم يؤلف في كل
طبقة مؤلفاً مستقلاً : (طبقات الحفاظ ، والمفسرين ، واللغويين والنحاة ،
والأصوليين وغيرهم)^(٢) .

وأحياناً يعكس الأمر فيجمع عدة رسائل ومصنفات في كتاب واحد^(٣) وخير
مثال على ذلك كتبه ومؤلفاته المتفرقة في أنواع علوم القرآن (كأسباب النزول)
أو (مبهمات القرآن) أو (تناسب الآيات والسور) تجد كل ذلك في كتابه
(الإتيقان في علوم القرآن) .

٨- وأخيراً فإن أكثر من ثلثي مصنفات السيوطي عبارة عن رسائل صغيرة أو
فتاوي في واقعات معينة قد لا تزيد الواحدة منها في بعض الأحيان على ورقة
واحدة ، وهو يضع عنواناً مستقلاً لقصيدة لا تتجاوز العشرين بيتاً كما فعل في
(تحفة المهتدين بأسماء المجددين) و(قطف الثمر في موافقات عمر)^(٤)
و(نَوْر الحديقة ونُور الطريقة)^(٥) .

(١) طرز العمامة : ٦٨٧/٢ .

(٢) انظر على سبيل المثال مقدمة بغية الوعاة .

(٣) أحمد شلبي ، السيوطي والدراسات القرآنية (ط ضمن كتاب الندوة) ص ، ٢٢٧
وكذلك مؤلفات السيوطي : ١١٠ وانظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٠٥٩ .

(٤) السيوطي ، الحاوي للفتاوي : ٣٧٧/١ .

(٥) سبقت الإشارة إليها في أثناء الحديث عن شعره : ص ٩٨-١٠١ .

وأحياناً تجده يؤلف المؤلفات الكثيرة في مواضيع ينصرف الكثير عن التأليف بها كـ (الطرثوث في فوائد البرغوث) و (بلوغ المآرب في قتل العقارب) و (الوديك في فضل الديك) و (ما رواه السادة في الاتكاء على الوسادة)^(١) ، ولعل هذا ما دعا بعض العلماء إلى استصغار مصنفات السيوطي جميعها إلى جانب مصنفات شيخه ابن حجر يقول الشيخ عبد الحي الكتاني « استصغر القصار جميع مؤلفات السيوطي بالنسبة لما ألفه ابن حجر » وقال : ولم يؤلف أحد من المسلمين مثل ما ألف هو - يعني ابن حجر - حتى الذهبي والسيوطي ، وقيل : إن أحد مؤلفاته يعدل جميع مصنفات السيوطي وقد رد الكتاني على هذا الكلام بقوله : « ولا يخلو ذلك من مبالغة ، فإن أكبر مؤلفات ابن حجر جرماً (فتح الباري) وجرمه لا يعادل ولا ربع مؤلفات السيوطي المتوسطة »^(٢) وهذا كلام حق ، فإن للسيوطي مؤلفات قيمة تحوي أجزاء متعددة ، وتقع في مجلدات كبيرة كـ (جامع الأحاديث) و (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) و (الأشباه والنظائر النحوية) وغيرها . وهذه كلها شاهدة على علو كعبه وتفوقه في التأليف .

وثمة ملاحظة مهمة ينبغي الإشارة إليها وهي ما يتناقله الكثير عن السيوطي من أنه حاطب ليل وعقيد بعض الباحثين رأيه في ذلك بالتضارب الواضح بين آراء السيوطي وبين ما يكتبه وعزا ذلك إلى اختلاف آراء المؤلفين الذين يختصر مؤلفاتهم ، لأنه كان لا يُعنى بفحص الآراء وترجيح الراجح منها^(٣) .

وهذا لاشك قول مبالغ فيه ، فإن نظرة دقيقة في مؤلفات السيوطي

(١) مؤلفات السيوطي : ١١٠ .

(٢) فهرس القاهرة : ١/ ٣٢٣ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف ، مؤلفات السيوطي (ضمن ندوة جلال الدين السيوطي ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر : ١٩٧٦م) ص : ١١١ . وانظر الموسوعة العربية الميسرة : ١٠٥٩ .

والمختصر منها بشكل خاص والمقارنة مع أصولها يجد الجهد الذي بذله السيوطي في اختصاره فهو يعتني باللباب ويترك القشر وما لا فائدة فيه ، ويركز على الغرض الذي من أجله وضع الكتاب ، ثم يضيف ما تمس إليه الحاجة ويجده ضرورياً لاستكمال فوائد المؤلف الأصلي .

ثم كيف يصح أن يقال إنه حاطب ليل وهو القائل : « إني المبعوث على هذه المئة التاسعة لانفرادي عليها بالتبحر في أنواع العلوم من التفسير وأصوله ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله واللغة وأصولها والنحو والتصريف وأصولهما والجدل والمعاني والمباني والبدیع والتاريخ وتصنيفي في جميع ذلك المصنفات البارة الفائقة التي لم أسبق إلى نظيرها . . وقد اخترعت علم أصول اللغة ودونته ولم أسبق إليه وهو على نمط علم الحديث وعلم أصول الفقه . . ولا مشاركة لي في مجموع ما ذكرته »^(١) .

وقد رد بعض الباحثين على هذه المقولة وعلى من قال « إنه نقال غير نقاد يجمع بين الغث والسمين ، وهذا على إطلاقه مما ينتقد عليهم لأنه قد أجاد الانتقاء في مثل هذا الكتاب على أنه قد أظهر أعظم اجتهاد في أصول اللغة العربية ، وذلك في الاقتراح في أصول النحو »^(٢) .

أما ما ظنه الباحث تضارباً في آراء السيوطي نتيجة لزعمه السابق ، فما هو في الحقيقة إلا نوع من تغيير الاجتهاد نلمس ذلك بوضوح في كتابه (طبقات الحفاظ) الذي يقول عنه أحد الباحثين « فإن كتاب السيوطي - طبقات الحفاظ - لا يعد تلخيصاً لكتاب الذهبي بالمعنى الدقيق لكلمة تلخيص بل هو اختيار وجمع وتأليف ، ولا يغني أحد الكتابين عن الآخر »^(٣) ، والمقصود كتاب (تذكرة الحفاظ) للذهبي .

(١) التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المئة ، ق ١٧/ ب .

(٢) محمد كرد علي ، مجلة المقتبس ، (المجلد الثالث ، القاهرة : ١٩٠٨) ص ٥٧ .

(٣) د . بديع السيد اللحام ، الإمام الحافظ ، جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه ، ص ٤٤٨ .

وقد لخص البستاني أسباب كثرة مؤلفات السيوطي فقال :

« صاحب التصانيف الكثيرة في كل فن ، ولا غرو فإن ما كان عليه من الفكر الثاقب والحدق الشديد ، والاجتهاد في المطالعة والاقتصار من الدنيا على القلم والقرطاس مع خلو الظروف من بوائقها ومساعدة الأحوال له في أعماله وإعطاء أوقاته حقوقها من العمل ، وقريحته شوطها في ميدان البلاغة ، وإطلاق غارة أفكاره في ميدان الأدب ؛ كل ذلك قد أدى بهذا العالم المدقق إلى إنشاء تصانيف كثيرة »^(١) .

طريقة السيوطي في التأليف :

للسيوطي طريقة متميزة في التأليف ، فهو يقدّم في بداية كل مؤلف الغرض الذي يرمي إليه ، ثم يضع المشكلة التي تحتاج إلى بحث ويدرس كل ما كتب عنها ويبرز نواحي النقص ، ويعدّ بإكمال ما فات ، ويضع خطة بناء على ذلك ، « فهو أقرب ما يكون إلى الباحثين المعاصرين »^(٢) .

وخير مثال على ذلك مقدمة كتابه (الإتيقان) فهو يقول بعد أن وضع خطته : « إن هذه المباحث التي سأخوضها ، فيها تصانيف مفردة وقفت على كثير منها »^(٣) ولكنها في الحقيقة ليست ككتابه الإتيقان « إنما هي طائفة يسيرة ونبذة قصيرة »^(٤) وذكر بعضها .

ويمتاز السيوطي في ذكر مراجعه بتصنيفها ، فهو لا يذكرها كلها جملة واحدة ، وإنما يصنفها طبقاً لموضوعاتها ، وقد صنّف مراجعه في (الإتيقان) إلى نقلية ، وإلى كتب القراءات وتعلقات الأداء وكتب اللغات ، والغريب

(١) البستاني : دائرة المعارف : ٣٥٨/١٠ .

(٢) أحمد شلبي ، السيوطي والدراسات القرآنية (ضمن الندوة) ص ٢٢٨ .

(٣) مقدمة الإتيقان في علوم القرآن : ٢٠/١ .

(٤) م . ن السابق .

والعربية والإعراب وإلى كتب الأحكام وتعلقاتها وإلى الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة ، وإلى كتب الرسم ، ثم تفاسير غير المحدثين ، ثم يختمه بما أسماه (الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع) وتحت كل قسم عدد كبير من الكتب التي رجع إليها^(١) .

والسيوطي أمين في نقله ، لا ينسب كتب الآخرين إلى نفسه ، بل يعزو كل قول إلى صاحبه فهو يقول : قال شيخنا كذا . وقال آخر في كتابه كذا وقال ثالث وهكذا . . وهذا دليل على سعة اطلاعه وأمانته .

ولعل السيوطي خشي من تهمة خصومه له ، فركز على هذا الجانب كثيراً وبين في أكثر من كتاب ومقامة ، ما يجب أن يتحلى به المصنفون من آداب ، وما ينبغي أن يكون عليه المؤلفون من أمانة ، في عزو كل قول إلى قائله ، مع الدقة في النقل دون تغيير أو تبديل في عبارة المصنفين وهذا ما صرح به وأكدته في كتابه (تدريب الراوي) حيث يقول : « ولا يجوز تغيير شيء من مصنف وإبداله بلفظ آخر ، وإن كان بمعناه قطعاً ، لأن الرواية بالمعنى رخص فيها من رخص لما كان عليهم في ضبط الألفاظ من حرج ، وذلك غير موجود فيما اشتملت عليه الكتب ، ولأنه إن كان ملك تغيير اللفظ ، فليس يملك تغيير تصنيف غيره »^(٢) .

وقد سبق أن ذكرت ما نص عليه في كتابه (المزهر) الذي أفرد به فصل خاص تحت عنوان « عزو العلم إلى قائله »^(٣) وما أشار إليه في مقامته (الكاوي في تاريخ السخاوي) و (الفارق بين المصنف والسارق)^(٤) .

(١) الإتيان : ٢٣-٢١/١ ، وانظر على سبيل المثال أيضاً مقدمته على حسن المحاضرة ٤٣/١ .

(٢) السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق أحمد عمر هاشم (ط . دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٩ م) ٩٥/٢ .

(٣) المزهر في اللغة : ٣١٩/٢ .

(٤) انظر ص : (١٢٨) من هذا الكتاب .

وهذا هو منهجه المتبع في كل كتبه ومؤلفاته ، يبدو ذلك واضحاً من خلال مقدمته لكتابه (الاقتراح في النحو) فيقول : « لقد اطلعت على كتاب (الكمال) لابن الأنباري ، وقد أخذت من الكتاب الأول اللباب ، وأدخلته معزواً إليه في خلل هذا الكتاب وضممت خلاصة الثاني في مباحث العلة . . ولم أنقل من كتبه حرفاً إلاّ مقروناً بالعزو إليه ، ليعرف مقام كتابي من كتابه »^(١) .

هذا وقد وصف تلميذه الشاذلي طريقته في الكتابة فقال : « وكان - رحمه الله - كثير النقل ، حسن التصريف ، مداوماً على المطالعة والتصنيف ، عارفاً بآداب التأليف ، يؤدي الأمانة ، ويعزو كل قول إلى قائله ، ويخرج من عهدة كل نقل بنسبته إلى ناقله ، وألف تأليفاً سماه « التعريف بآداب التأليف »^(٢) والسيوطي مولع باستيعاب جميع الأقوال في المسألة التي يكتب فيها ، وتتبع شواردها وشواهداها .

ويرى ذلك من أكد الواجبات فيقول : « وحُبُّ الاستيعاب عند المصنفين - خصوصاً عندي - من أكد الواجب والفرض »^(٣) .

وهو إذا ألف كتاباً فإنه لا يتركه هملاً ، بل يعيد النظر فيه ويضيف إليه ما تفتقت به قريحته ، أو ما توصل إليه علمه من أمور لم تكن قد وردت سابقاً وهذا ما صرح به في أكثر من مؤلف كـ (نواهد الأبرار)^(٤) ، و(الخصائص الكبرى) الذي يقول عنه : « ولقد أقمت في تتبع هذه الخصائص عشرين سنة

(١) السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، تحقيق أحمد محمد قاسم (ط السعادة ، القاهرة : ١٩٧٦م) ص : ٢٦-٢٥ .

(٢) بهجة العابدين : ق ٢٠/ب ، وكتاب (التعريف بآداب التأليف) طبع بتحقيق مرزوق علي إبراهيم ، في مكتبة التراث الإسلامي ، بمصر ١٩٨٩م .

(٣) الكاوي في تاريخ السخاوي : ٩٥١/٢ .

(٤) ذكر في مقدمته أنه جمعه في مقدار عشرين سنة ، انظر مقدمة نواهد الأبرار : ق ٥/أ ، وقد نقل هذه المقدمة لأهميتها الشاذلي في بهجة العابدين : ٢١/أ-٢٥/ب .

إلى أن زادت على الألف ونظرت عليها من كتب التفسير والحديث وشروحه والفقه والأصول من كتب المذاهب الأربعة والتصوف وغيرها مما يجعل عن العذ والوصف . . إلى أن يقول : وأنا الآن ساع في الزيادة ، وكل وقت أظفر في المطالعة بتخصيص لم تكن قبل ذلك في كتابي مفادة»^(١) .

وقد سلك السيوطي في تأليفه - غالباً - مسلك المحدثين وطريقتهم في التأليف^(٢) ، فهو لا يعلق على ما ينقل أو يروي إلا في القليل ، حين تدعو الحاجة إلى الإيضاح وإثبات النتائج ، فالسيوطي في كثير من مؤلفاته لا يتدخل بين القارئ وبين النصوص ، فكأنه يعد القارئ غير محتاج إلى هاد ولا دليل ، وتلك طريقة المحدثين في أبسط أشكالها وخير مثال على ذلك كتاب (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) و(تاريخ الخلفاء)^(٣) .

ويهدف السيوطي من خلال - تأليفه - إلى تكوين مكتبة متخصصة كاملة في كل الفنون ، فهو يتناول فناً من الفنون ويؤلف فيه كل ما يدور حوله من العلوم ولنأخذ على سبيل المثال فن التفسير وعلوم القرآن ، فإننا نجد أن السيوطي تناول هذا العلم من جميع نواحيه بحيث يجد الواحد منا مكتبة تفسيرية كاملة ، من مؤلفات السيوطي كل واحد منها يكمل الآخر مثل : (مجمع البحرين ومطلع البدرين) ، (ترجمان القرآن) ، (الإتقان في علوم القرآن) ، (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ، و(تكملة تفسير الجلال المحلي) ، (نواهد الأبحار وشوارد الأفكار) ، و(الإكليل في استنباط التنزيل) ، و(التحبير في علوم التفسير) ، و(قطف الأزهار في كشف الأسرار) ، و(المهذب فيما وقع في القرآن من

(١) الفارق بين المصنف والسارق : ٨١٩/٢ - ٨٢٠ .

(٢) انظر طريقة المحدثين ومنهجهم في التأليف في مقدمة الدكتور يوسف العش على كتاب تقييد العلم للخطيب البغدادي (نشر دار الوعي - حلب : ١٩٧٥ م) ص : ١٤ - ١٥ .

(٣) فقد ذكر حسين محمد ربيع مدى تأثير السيوطي بمنهج علماء الحديث في كتابه « تاريخ الخلفاء » انظر حسين محمد ربيع ، منهج السيوطي في كتابة التاريخ (ط ضمن ندوة الإمام السيوطي) ص : ٤٨ .

المعرب)، و(معترك الأقران في إعجاز القرآن)، و(مفحمت الأقران في مبهمات القرآن)، و(الناسخ والمنسوخ)، و(لباب النقول في أسباب النزول)، و(مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، و(تناسق الدرر في تناسب السور) إلخ .

فكان السيوطي يريد إغناء الباحث عن الرجوع إلى غيره كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه (قطف الأزهار في كشف الأسرار) فبعد أن عدد مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن قال في آخرها . « فإذا تم هذا الكتاب ، وانضم إلى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير »^(١) .

وأخيراً فإن ما يلفت النظر في مقدمات كتب السيوطي هو اعتداده بها والثناء عليها ومدحها ويختتم كتبه كذلك أحياناً بالمدح والثناء فقال في مقدمة كتابه (الشماریخ في علم التاريخ) : « وبعد فقد وقفت لبعض شيوخنا على كتاب في علم التاريخ فلم أر فيه لا قليلاً ولا كثيراً ولا جليلاً يستفاد ولا حقيراً ، فوضعت هذا الكتاب من فوائده ما تقرُّ به الأعين وتنحل به الألسن »^(٢) .

وهو عندما اعترف بقصور مدده عن مجاراة كبار المؤرخين قال عن كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) : « فجاء بحمد الله كالدر النضيد ، وفي جمعه فريد »^(٣) وقال في آخر كتاب الإتقان « وقد منّ الله تعالى بإتمام هذا الكتاب ، البديع المثال ، المنيع المنال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل ، الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع في كتاب قبله في العصور الخوال . . »^(٤) .

ويقول في آخر شرحه لألفية ابن مالك : « فدونك مؤلفاً كأنه سبيكة عسجد

(١) أسرار التنزيل ويسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) طبع بتحقيق د. أحمد بن محمد الحمادي، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م في مجلدين .

(٢) الشماریخ في علم التاريخ (ط الهند) ص ٢٥-٢٦ .

(٣) السيوطي بدائع الزهور في وقائع الدهور ، مخطوط محفوظ في المكتبة العبدلية بدار الكتب الوطنية التونسية رقم (٥٨٦٥) ق ١/ ب .

(٤) الإتقان : ٢ / ١٢٩٠ .

أو درّ منضد ، برز في أبان الشباب وتميز عند الصدور أولي الألباب »^(١) وقال في خاتمة كتاب (بغية الوعاة) « من الله تبارك وتعالى بإكمال هذا الكتاب الطافح بكثرة جمعه على البحر العباب ، الجامع من كل شريدة وفريدة العجب العجاب . . . »^(٢) .

أهم مؤلفات السيوطي :

نظراً لقيام الأستاذ أحمد الشرقاوي إقبال بجمع مؤلفات السيوطي في كتابه (مكتبة الجلال السيوطي) وقيام الأستاذين أحمد الخازندار ومحمد إبراهيم الشيباني بإعداد دليل لمخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ، وكذلك نشر الأستاذ عبد الإله نبهان فهرساً لمؤلفات السيوطي المطبوعة واستدرك بعض الباحثين عليه ، فقد كفوني مؤونة ذكر مؤلفات السيوطي إذ لا ضرورة لذلك ولكن سأتناول بالتعريف أهم كتب السيوطي ، وقبل ذلك لا بد من الإشارة إلى بعض المؤلفات التي فاتت الكاتبتين السابقتين وهي :

١- الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾^(٣)

[فاطر : ٤٥] .

٢- البراعة في تراجم بني جماعة^(٤) .

٣- الفتح المسكي في تراجم البيت المكسي^(٥) .

٤- درج العلى في قراءة أبي عمرو بن العلاء^(٦) .

(١) السيوطي البهجة المرضية (المطبعة المحمودية ، مصر) ص : ١٥٤ .

(٢) بغية الوعاة : ٤٢٨/٢ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ١٢٠ .

(٤) م . ن السابق : ١٢٨ .

(٥) م . ن السابق .

(٦) م . ن : ١٢١ .

٥- مختصر ألفية الأثر للعراقي (اختصرها نظماً وهو في طريقه إلى الحج)^(١) .

٦- تذكرة النفس في التصوّف ، وشرحها^(٢) .

٧- لباب الحديث^(٣) .

٨- ذخائر العقبي من مناقب ذوي القربى^(٤) .

ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض الكتب نسبت للسيوطي وهما ، وهي إما لسيوطي آخر أو لغيره من المؤلفين ، ولكن نسبت له لعدم معرفة كاتبها ولقربها من منهج السيوطي وطريقته في التأليف ، أو نسبت إليه قصداً لرواجها منها :

١- الكنز المدفون والفلك المشحون :

وهو من الكتب التي نسبت للسيوطي خطأ وقد طبع الكتاب عدة طبعات ببولاق سنة ١٢٨٨ وطبعة ثانية سنة ١٣٠٣هـ وآخرها بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٥٦م^(٥) ، والكتاب ليونس المالكي^(٦) ، فقد ورد في الصفحة (٢١٦) ما يؤكد نسبة الكتاب لمؤلفه فقال : « الحمد لله من كلام

(١) التحدث بنعمة الله : ٧٩ .

(٢) م . ن : ١٢٠ .

(٣) طبع في مصر منسوباً للسيوطي بتحقيق محمد النووي الجاوي (مطبعة صبيح ، القاهرة : ١٩٥٦م) .

(٤) نسبته إليه الخوانساري في روضات الجنات : ٤٣٢/٣ ، والقلمي في الكنى والألقاب : ٣٤٣/٢ .

(٥) مكتبة الجلال السيوطي : ٢٩٣ ، ذخائر التراث : ٦٠٠/١ وقد نسب الكتاب ليونس المالكي .

(٦) هو شرف الدين يونس المالكي ، ذكره الزركلي في الأعلام وقال : صاحب الكنز المدفون والفلك المشحون ، المنسوب إلى جلال الدين السيوطي ، وقد قُدر وفاته في سنة (٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) الأعلام : ٢٦٣/٨ .

كاتبه جامع هذا الكتاب الفقير يونس المالكي . . . »^(١) ونسبه له حاجي خليفة فقال : « مجموعة جمعها يونس المالكي . . . »^(٢) وللسيوطي مؤلف قريب من هذا العنوان وهو (الفلك المشحون) ذكره حاجي خليفة وقال : « وهو تذكروته في خمسين مجلداً ، وقد ذكره في فهرست مؤلفاته »^(٣) وقال عنه في حرف التاء (التذكرة في العربية) للشيخ جلال الدين . . . السيوطي وهي مؤلف كبير ثم نظمها وسماها (الفلك المشحون) ولعل هذا ما جعل بعض الباحثين يظنون أن هذا الكتاب له ويعدونه من جملة كتبه وتناولوه بالدراسة ليستدلوا على مدى قدرة السيوطي في اللغة وتمكنه في الأدب^(٤) .

٢- المرج النضر والأرج العطر :

وهو لسيوطي آخر اسمه الشريف صلاح الدين محمد بن أبي بكر الحسني الأسيوطي من علماء القرن التاسع المتوفى (٨٥٩هـ / ١٤٥٤م) . ترجم له السيوطي في (نظم العقيان) وذكر هذا الكتاب ضمن مؤلفاته فقال : (ولازم الاشتغال . . . وجمع في الأدب مجاميع منها (المرج النضر والأرج العطر)^(٥) .

والكتاب مطبوع في دمشق سنة (١٣٥٠هـ) ونسب للسيوطي جلال الدين^(٦) وقد عده بروكلمان من جملة مؤلفاته^(٧) .

(١) وقد طبع الكتاب منسوباً للسيوطي (الكثر المدفون والفلك المشحون) (نشر مكتبة

إحياء العلوم العربية فيصل آباد ، باكستان : ١٩٨٢م) ص : ٢١٦ .

(٢) كشف الظنون : ١٥١٩/٢ .

(٣) م . ن : ١٢١٩/٢ ، وانظر مكتبة الجلال : ٢٧٠ .

(٤) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك : ٣/ ٣٨٣ ، وعبد الوهاب حمودة صفحات من تاريخ مصر : ٢٤٢ .

(٥) السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان : ١٤٠-١٤١ .

(٦) معجم المطبوعات العربية : ١/ ١٠٨٧ .

(٧) BROCK, G: 2/158 .

التعريف بأهم كتب السيوطي :

إن التعريف بجميع كتب السيوطي عمل كبير يستغرق الكثير من الجهد والوقت ، وهو خارج عن طبيعة بحثي ، ومن تمام الفائدة أرى أن أعرف بعض كتبه المهمة التي تعد من خيرة المصادر في موضوعها على أن لا يتناول هذا التعريف شيئاً من كتبه في التفسير وعلوم القرآن ، لأن لها موضعاً خاصاً من هذا البحث .

١- الجامع الكبير ، أو جمع الجوامع :

هدف السيوطي من وراء هذا الكتاب أن يجمع كل أحاديث رسول الله ﷺ فيه ، فقال في مقدمته « هذا كتاب حافل ، ولباب منيف رافل ، بجمع الأحاديث الشريفة النبوية كافل ، قصدت فيه استيعاب الأحاديث النبوية »^(١) . وقد قسمه قسمين :

- الأول : قسم الأقوال مرتباً على حروف المعجم .

- الثاني : قسم الأفعال مرتباً على المسانيد .

ولم يلتزم السيوطي في كتابه الصحة في الأحاديث أو الحسن ، وإنما هدف إلى جمع السنة وحصرها والإحاطة بها ، وقد بلغ عدد أحاديث الجامع الكبير مع ما جاء في الجامع الصغير وزياداته (٤٦٦٢٤) وذلك حسب ترقيم كتاب (كنز العمال) وهذا العدد يشمل ما تكرر ذكره من الأحاديث في الجوامع الثلاثة ، أما عدد أحاديث هذه الكتب بعد حذف المكرر فيبلغ (٣١٦٢٤) حديث^(٢) .

(١) نقلها في كتابه المتقي الهندي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (نشر مكتبة التراث الإسلامي حلب) ٩/١ .

(٢) د . بديع السيد اللحام ، الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه ، ص ٣٠٦ .

وقد حوى هذا الكتاب بمفهومه العام من المرفوع والموقوف والمأثور عن أحد التابعين كما اشتمل على الصحيح والحسن والضعيف .

وقد اشترط السيوطي في الحديث الذي يورده أن يكون مدوناً في أحد المدونات الحديثية فلم يذكر شيئاً مما يتداوله القصاص والوعاظ ممّن لا دراية لهم بالحديث وعلومه في مجالسهم ، ومما يمتاز به الكتاب أنه بيّن درجة كل حديث ، فهو يذكر أولاً نص الحديث ثم يتبعه بذكر من أخرجه من أصحاب كتب السنة ثم يذكر من رواه من الصحابة رضوان الله عليهم وذلك على سبيل الاستيعاب حيث يقول في مقدمة كتابه : « وأتبع متن الحديث بذكر من خرّجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتمدة ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم ، من واحد إلى عشرة أو أكثر من عشرة »^(١) .

وقد رجع السيوطي في كتابه هذا إلى كتب لا حصر لها وأثبتها في سجل وقال : هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التي انتهت من مطالعتها على تأليف جمع الجوامع خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذي قصدته ، فيقيض الله من يذيل عليه ، فإذا عرف لما انتهت مطالعته استغنى عن مراجعته ونظر ما سواه^(٢) . وفعللاً فقد وافته المنية قبل إتمامه ، وقام العلامة الهندي علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م) بترتيب هذا الكتاب الكبير كما رتب الجامع الصغير وسماه (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)^(٣) .

(١) كنز العمال : ٩/١ .

(٢) المتقي الهندي ، كنز العمال : ٢٠/١ - وقد ذكر الدكتور بديع السيد اللحام ثبناً لمصادر الإمام السيوطي زادت على ستمئة مصدر حديثي . انظر الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه ، ص ٣٣٥-٣٧٧ .

(٣) عبد الحفيظ فرغلي القرنى ، الحافظ جلال الدين السيوطي (سلسلة أعلام العرب ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٩٠ م) ص : ١٥٧ ، وانظر الحسيني هاشم وأحمد عمر هاشم ، المحدثون في مصر والأزهر في إحياء السنة النبوية الشريفة =

هذا وقد قام الدكتور بديع السيد اللحام بدراسة وافية لكتاب جمع الجوامع في كتابه (الإمام الحافظ - جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه) من ص ٣٠٦-٣٧٩ وهي دراسة قيّمة ومفيدة جداً .

وقد قام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بتكليف لجنة تعمل على تحقيق الجامع الكبير والتعليق عليه والإشراف على طبعه ، وقد باشر المجمع بطبع الجزء الأول وصدر سنة (١٩٧٠ م) وما يزال العمل جارياً إلى يومنا هذا^(١) .

٢- حسن المحاضرة :

يعد هذا الكتاب من أهم المراجع في تاريخ مصر ومن أفضل كتب السيوطي ، أورد فيه كثيراً من أخبار مصر والقاهرة منذ أقدم العصور حتى عصره ، وقد قال في مقدمته : « هذا كتاب سميته حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة أوردت فيه فوائد سنّية ، وغرائب مستعذبة مرضيّة ، تصلح لمسامرة المجلس ، وتكون للوحدة نعم الأئیس . . »^(٢) .

وقد بدأ السيوطي كتابه هذا بذكر المواضع التي وقع فيها ذكر مصر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة وذكر من نزلها من أولاد آدم عليه السلام ، ومن ملكها قبل الطوفان وبعده .

ثم أشار إلى من دخل مصر من الصحابة وترجم لمن كان بمصر من مشاهير التابعين والأئمة المجتهدين ، والمحدثين والفقهاء من مختلف المذاهب والقراء والصوفية والنحاة واللغويين والحكماء والأطباء والمنجمين والوعاظ والقصاص والمؤرخين والشعراء والأدباء ، وذكر أمراء مصر من حين فتحت

= (المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، صفر ١٤٠٦ هـ ، نوفمبر ١٩٨٥ م) .

(١) انظر عبد الجبار عبد الرحمن ، ذخائر التراث العربي : ١ / ٥٩٤ .

(٢) حسن المحاضرة : ٣ / ١ .

إلى أن ملكها الفاطميون وختم الجزء الأول بالحديث عن بني عبيد . وأما الجزء الثاني فقد ذكر فيه أمراء مصر الأيوبيين وسلاطين المماليك الأتراك والجراكسة إلى زمن السلطان قايتباي الذي ولي السلطنة (٩٠١هـ / ١٤٩٥م) ثم ذكر الولاة الذين تعاقبوا على السلطنة والقضاة الذين حكموا فيها ، والحكومات التي قامت بها وما بني فيها من المساجد والمدارس والخانقاهات .

ومن منهج السيوطي في التأليف أن يذكر مصادره في مقدمة كتبه فقال : « وقد طالعت على هذا الكتاب كتباً شتى منها : (فتوح مصر) لابن عبد الحكيم ، (فضائل مصر) لأبي عمر الكندي ، (تاريخ مصر) لابن زولاق . . . إلخ »^(١) .

وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة منها : طبعة حجرية بمصر سنة (١٨٦٠م) ، وطبع بمطبعة الوطن سنة (١٢٩٩هـ) وطبع بمطبعة السعادة سنة (١٣٢٤هـ)^(٢) وطبع بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم بمطبعة عيسى البابي الحلبي مصر سنة (١٩٦٧م) . وهذه الطبعة كثيرة الأخطاء والتصحيح وهي بحاجة إلى إعادة تحقيق ونسخه المخطوطة متوفرة وموزعة في أنحاء العالم .

وهناك دراسات حول هذا الكتاب منها بحث إبراهيم الأبياري نشر في سلسلة (تراث الإنسانية) (ط دار الفكر) المجلد الثاني ، صفحة : ٦٣٠ ، وبحث محمد عبد المنعم خفاجي نشر في مجلة (المنهل) السعودية ، العدد (٤٥٦) السنة (٤٥) محرم ١٤٠٨ ، سبتمبر ١٩٨٧ ، ص ١٨٩ .

ولسيّد إسماعيل كاشف دراسة نقدية لكتاب (حسن المحاضرة) طبعت ضمن كتاب (ندوة الإمام السيوطي) عام ١٩٧٨م القاهرة .

(١) حسن المحاضرة : ٣/١ .

(٢) ذكر هذه الطبعات سركيس في كتابه معجم المطبوعات العربية : ١/١٠٧٨ ، وانظر مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم ، على حسن المحاضرة : ٦/١ وذخائر التراث : ٥٩٥/١ .

٣- المزهر :

يعد هذا الكتاب من أعظم ما ألف في اللغة ، وهو بحث مبتكر أبدع فيه السيوطي أيما إبداع فقال في مقدمته : « هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه ، واخترعت أنواعه وتبويبه وذلك في علوم اللغة وأنواعها ، وشروط أدائها وسماعها ، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع ، وأتيت فيه بعجائب وغرائب حسنة الإبداع . »^(١) .

وقد حوى كتابه على خمسين نوعاً وذكرها في مقدمة كتابه منها ما هو راجع إلى اللغة من حيث الإسناد كمعرفة الصحيح والمتواتر والآحاد إلخ ، ومنها ما هو راجع إلى اللغة من حيث الألفاظ كمعرفة الفصيح والضعيف والمنكر والمتروك من اللغات إلخ ، ومنها ما هو راجع إلى اللغة من حيث المعنى ، كمعرفة خصائص اللغة ومعرفة الاشتقاق والحقيقة والمجاز . إلخ ، ومنها ما هو راجع إلى حفظ اللغة وضبط مفاريدها كمعرفة الأشباه والنظائر ومنها ما هو راجع إلى رجال اللغة ورواتها كمعرفة آداب اللغة والتصنيف والتحريف^(٢) إلخ .

ولم يكن هناك قبل السيوطي من جمع هذه الألوان المتنوعة في مؤلف واحد ، ولم يكن قبل المزهر كتاب للسيوطي أو لغيره يمكن أن يمثل بحق دراسة العرب لفقه اللغة أو بعبارة أخرى « يمكن أن يكون ألصق المؤلفات بفقه اللغة كعلم قائم بنفسه »^(٣) لقد حاول السيوطي في كتابه هذا أن يجمع شتات

(١) السيوطي المزهر في علوم اللغة ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين (ط ١) . عيسى البابي الحلبي ، القاهرة (١ / ١) .

(٢) مقدمة الزهر .

(٣) طاهر حمودة ، جلال الدين السيوطي وجهوده في الدرس اللغوي ص : ٢٢٢ .

هذا الموضوع فأجده يقول في مقدمته « وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك ويعتني في بيانها بتمهيد المسالك ، غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق سبيله قبلي طارق »^(١) . وقد سلك السيوطي في كتابه هذا منهج المحدثين ، وقد صرح بذلك في مقدمته عندما قال « حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع »^(٢) ولذلك أرى كثيراً من الأنواع التي أدرجها في كتابه إنما هي مصطلحات حديثة استعارها من علم الحديث وطبق عليها الدراسات اللغوية مثل الصحيح والمتواتر والمرسل والمنقطع والموضوع والضعيف والمنكر والمدرج إلخ^(٣) .

وقد اعتمد السيوطي في كتابه هذا على ما كتبه العلماء المتقدمون ودأب على أن ينسب القول مباشرة إلى قائله فيقول : قال أبو الفتح ابن جني في (الخصائص) مثلاً . وقال أبو الحسين أحمد بن فارس في (فقه اللغة) وقال القالي في (أماليه) وقال الجوهري في (الصحاح) إلخ . وقد بلغت مصادر كتابه ما يقرب من (١٧١) مصدر^(٤) .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات أولاها طبعة المطبعة الأميرية (١٢٨٢ هـ) وآخره طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر سنة (١٣٦٤ هـ) ، بتحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم^(٥) .

(١) مقدمة المزهر : ١/١ .

(٢) م . ن السابق .

(٣) م . ن ٧/١ ، وقارن بـ ص ١١٣ و ١١٤ و ١٢٥ . وانظر الفصل الذي عقده عبد العال سالم مكرم في كتابه جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية (ط مؤسسة الرسالة بيروت : ١٩٨٩ م) ص ٣٥٩ وعدنان سلمان ، السيوطي النحوي : ص ١٨٥ ، ومصطفى الشكعة ، جلال الدين السيوطي ، مسيرته العلمية وسباحته اللغوية : ص ١٦٥ .

(٤) ذكرها عبد العال سالم مكرم ، في كتابه جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية ، ص ٣٢٣ .

(٥) مكتبة جلال السيوطي : ٤١٥ ، معجم المطبوعات العربية ١/ ١٠٨٤ ، وانظر فهرس =

وقد قال عنه محمود رزق سليم وتابعه عبد الوهاب حمودة « إن الكتاب جزءان طُبعا في حجم متوسط ، يحتويان على أكثر من سبعمئة صفحة مليئة علماً وفناً مختلفاً أكلهما ، دانية قطوفهما ، تجد فيها الحديث والتفسير والنحو والصرف والبلاغة والتاريخ والأدب ، كما تتخلله كلمات اجتماعية موجزة ، وفكاهات علمية غاية في الطرافة مع الأمانة في النقل والدقة في الملاءمة وهو جدير بالدراسة الخاصة كما أنه دليل على همة السيوطي وصبره وغزارة علمه »^(١) .

٤- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

أشمل كتاب ألف في هذا الموضوع ، جمع فيه كل ما تضمنته كتب طبقات النحاة السابقة وأضاف إليها ما فاتها من تراجم ، وضم إليه ما وقع له من أخبار شيوخه ومعاصريه ، وما تجمّع لديه من ثمرات أسفاره العلمية واطلاعاته الواسعة حتى قال « طالعت ما ينيف على ثلاثمئة مجلد »^(٢) وقد بلغت التراجم فيه (٢٢٠٩) ترجمة^(٣) ، رتبها على حروف المعجم وابتدأها بالمحمدين فالأحمدين ثم سائر الحروف .

ويعدّ هذا الكتاب من أوائل تأليفه في هذا الفن لتشوقه إليه كما قال^(٤) ، وقد ألفه سنة (٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) وكان عمره آنذاك (١٩) سنة وقد استوعب

= مؤلفات السيوطي المطبوعة « مجلة عالم الكتب ، مجلد (١٢) عدد (١) رجب ١٤١١هـ » ص ٤٩-٥٠ .

(١) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي . ٣/ ٣٧٥ ، وصفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي : ١٩٩ .

(٢) السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ١ ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٦٤م) ٣/١ .

(٣) م . ن : ٣٦٦/٢ .

(٤) م . ن : ٣/١ .

فيه السيوطي كل تراجم النحاة طالت أو قصرت ، من خفيت أخباره أو اشتهرت وأورد من فوائد أخبارهم ومناظراتهم ما لم يجتمع في كتاب بحيث بلغت المسودة سبع مجلدات ، فلما رحل إلى الحج سنة (٨٦٩هـ / ١٤٦٤م) يقول السيوطي : « واجتمعت فيها بتاج الأصحاب الحبيب في الله الحافظ نجم الدين عمر بن شيخنا الحافظ تقي الدين أبي الفضل محمد بن فهد . . ورأى (طبقات النحاة الكبرى) تأليني فحسني على اختصارها »^(١) يقول في (بغية الوعاة) « فحمدت رأيه ، وشكرت لذلك سعيه ، ولخصت منها الباب في هذا الكتاب »^(٢) قال عنه اللكنوي : « هو مجموع شريف ، وجامع لطيف »^(٣) وقد طبع الكتاب بمطبعة السعادة في القاهرة سنة (١٣٢٦هـ) بتصحيح محمد أمين الخانجي وطبع أخيراً بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وطبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي . القاهرة سنة (١٩٦٥م)^(٤) .

ولبغية الوعاة ملخص عمله محمد بن عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة وما يزال مخطوطاً^(٥) .

٥- تاريخ الخلفاء :

يعد هذا الكتاب من أحسن ما صنف فيه^(٦) ، ترجم فيه لكل من صحت خلافته من عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى آخر أيام الخليفة العباسي

(١) التحدث بنعمة الله : ٨٠ .

(٢) بغية الوعاة : ٦/١ .

(٣) الفوائد البهية : ص ٣٥ (حاشية) .

(٤) ذخائر التراث العربي : ٥٩١/١ ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة (مجلة عالم الكتب) مج ١٢ ، ١٤ ، ص ٣٧ . وانظر عدنان سلمان ، السيوطي النحوي ، ص ١٧٣ .

(٥) أحمد الشرقاوي إقبال ، مكتبة الجلال السيوطي ، ص ١٠٩ .

(٦) حاجي خليفة كشف الظنون : ٢٩٣/١ .

المتوكل على الله عبد العزيز المتوفى (٩٠٣هـ/١٤٩٧م) آخر الخلفاء العباسيين بمصر ، ولم يترجم للخلفاء الفاطميين أو أمراء الأندلس ، أو ممن ببيع بالخلافة ولم تصح خلافته ، ولكنه عقد فصلاً صغيراً في آخر كتابه عن الدولة الأموية القائمة بالأندلس^(١) .

وقد اعتمد السيوطي في تأليفه هذا على (تاريخ) الذهبي وعلى (تاريخ) ابن كثير وعلى (المسالك) و (ذيله) للمقرئزي وعلى (إنباء الغمر) لابن حجر^(٢) .

وطالع كتباً عديدة منها (تاريخ بغداد) للخطيب ، و (تاريخ دمشق) لابن عساكر ، و (الأوراق) للصولي و (الكامل) للمبرد وغير ذلك^(٣) .

وقد ختم الكتاب بقصيدة رائية طويلة نظم فيها أسماء الخلفاء ووفياتهم ، وهي أرجوزته نفسها المسماة (تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء)^(٤) .

وقد طبع الكتاب عدة مرات أولاً في كلكتا بالهند سنة (١٨٥٦م) وفي لاهور سنة (١٨٧٠م) والقاهرة سنة (١٣٠٥هـ) ، وطبع بمصر أيضاً عدة طبعات بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد وكانت آخرها الطبعة الرابعة (١٩٦٩م)^(٥) ، وحققه الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم وطبع في القاهرة، دار نهضة مصر سنة (١٩٧٦م)^(٦) .

ولأهمية الكتاب فقد ترجم إلى الإنكليزية ونشره المستشرق الإنكليزي وليام ناسوليس بمساعدة الفاضل عبد الحق المولوي سنة (١٨٥٦م)^(٧) ،

(١) السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد عبد الحميد (ط ١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٢م) ص ٥٢٢ .

(٢) م . ن السابق ، ص ٥١٦ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، ص ٥١٦-٥١٧ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ١١٦ وانظر تاريخ الخلفاء : ٥١٧ .

(٥) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة ، ص ٣٧ .

(٦) ذخائر التراث العربي الإسلامي : ١ / ٥٩١ .

(٧) مكتبة الجلال السيوطي : ١١٤ .

واختصره أمير بادشاه محمد أمين والشيخ نايف العباس^(١) . ولعلي حسني
الخربوطلي دراسة نقدية وتحليلية لهذا الكتاب طبعت ضمن كتاب ندوة جلال
الدين السيوطي في مصر سنة (١٩٧٨ م) .

٦- الحاوي للفتاوي :

وهو كتاب شامل ، جمع فيه السيوطي المسائل التي خالف فيها أهل عصره
بالإضافة إلى كثير من المسائل والرسائل في علوم مختلفة من القرآن والحديث
والفقه والنحو وغير ذلك وذكر في مقدمته أنه تصدى إلى جمع الفتاوي التي
أفتى بها وقد اقتصر فيه على المشكل ، ورتبه على الموضوعات فبدأ بالأمور
الفقهية ورتبها على الأبواب ، ثم بالتفسير ثم بالحديث ثم بالأصول ، ثم
بالنحو والإعراب ثم بسائر الفنون ليكون في ذلك فائدة للطلاب^(٢) .

والكتاب يقع في مجلدين يحوي على (٨٠) رسالة وقد ضم إليها
السيوطي جزءاً ثالثاً جمع فيه غرائب الفتاوي نظماً ونثراً يقول السيوطي
« فمجموع الفتاوي الآن ثلاث مجلدات »^(٣) .

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات أولاها بالمطبعة المنيرية عام
(١٣٥٣ هـ) ، ثم طبع بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ثلاث طبعات
كانت ثالثهما عام (١٣٧٨ هـ) في مجلدين ثم نشر مصور عن الطبعة السابقة
في دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت (١٩٨٤ م)^(٤) .

(١) وطبع بدار الألباب ، بدمشق : (١٩٩٠ م) .

(٢) السيوطي ، الحاوي للفتاوي : ٥ / ١ . ولأستاذ الدكتور محمد الزحيلي بحث قيم نشر
في مجلة التراث العربي بدمشق بعنوان (مساهمة السيوطي بالإفتاء) تكلم فيه
بالتفصيل عن الفتاوي السيوطية ومركزاً فيه على الفتاوي الفقهية مجلة التراث العربي
(العدد / ٥١ / شوال ١٤١٣ هـ / إبريل ١٩٩٣ م : ص ١١٢ - ١٣٦ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ٩٠ ، ولكن المطبوع منه الآن جزءان كبيران ، جاء الجزء الأول
في ٤٠٠ صفحة ، والثاني في ٣٥٤ صفحة مع الفهارس .

(٤) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٢٤١ ، ذخائر التراث العربي الإسلامي : =

٧- الأشباه والنظائر الفقهية :

جمع فيه قواعد وفروع الشافعية ورتبه على سبعة كتب :

- الكتاب الأول : في شرح القواعد الخمس التي ذكر الأصحاب أن جميع مسائل الفقه ترجع إليها .

- الكتاب الثاني : في قواعد كلية يتخرج عليها ما لا ينحصر من الصور الجزئية ، وهي أربعون قاعدة .

- الكتاب الثالث : في القواعد المختلف فيها ولا يطلق الترجيح لظهور دليل أحد القولين في بعضه ، ومقابله في بعض ، وهي عشرون قاعدة .

- الكتاب الرابع : في أحكام يكثر دورها ويقبح بالفقيه جهلها : كأحكام الناسي والجاهل . . الخ .

- الكتاب الخامس : في نظائر الأبواب التي من باب واحد مرتبة على أبواب الفقه .

- الكتاب السادس : فيما افتقرت فيه الأبواب المتشابهة .

- الكتاب السابع : في نظائر شتى^(١) .

وقال السيوطي مفتخراً : « وأنت إذا تأملت كتابي هذا علمت أنه خلاصة عمر ، وزبدة دهر ، حوى فن المباحث المهمات ، وأعان عند نزول الملمات ، وأنار مشكلات المسائل المدلهّمات ، فإني عمدت فيه إلى مقفلات ففتحتها ، ومعضلات فنقتها ، ومطولات فلخصتها ، وغرائب قلّ أن توجد منصوصة فنصصتها »^(٢) .

= ٥٩٤/١ ، ومكتبة الجلال السيوطي : ص ١٧٣ .

(١) السيوطي ، الأشباه والنظائر الفقهية ، (ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة

١٩٥٩م) ٥-٤ .

(٢) م . ن .

والكتاب طبع عدة مرات بمكة عام (١٣٣١) ثم بمصر (١٣٥٩ هـ)^(١) ، كما نظمه أبو بكر بن أبي القاسم الأهدل في أرجوزة سماها (الفوائد البهية) ثم شرح هذه المنظومة بكتاب سماه (المواهب السنية) وكلاهما مطبوع بهامش الطبقات السابقة .

٨- الأشباه والنظائر النحوية :

وهو من أجل كتبه ، وأكثرها استيعاباً للنحو ، وهو ثمرة من ثمرات التفاعل الحاصل بين العلوم الدينية والعلوم العربية يقول في مقدمته : « واعلم أن السبب الحامل لي على تأليف ذلك الكتاب . . . أنني قصدت أن أسلك بالعربية سبيل الفقه فيما صنفه المتأخرون فيه وألفوه من كتب الأشباه والنظائر »^(٢) .

وهذا الكتاب يعد من مبتكرات السيوطي التي لم يسبق إليها ومن حقّه أن يقول إنّه : « كتاب طريف لم أسبق إلى مثله ، وديوان منيف لم ينسج ناسج على شكله ، ضمنت القواعد النحوية ذوات الأشباه والنظائر . . »^(٣) .

وقد بنى السيوطي كتابه على سبعة فنون ، جعل لكل فن منها عنواناً خاصاً وخطبة لأن كلاً منها يصلح أن يكون مؤلفاً مستقلاً وهذه الفنون هي :

١- الفن الأول : المصاعد العلّية في القواعد النحوية ، ضمّنه القواعد والأصول النحوية التي ترد إليها الجزئيات والفروع ، وهذا مرتب على حروف المعجم وهو معظم الكتاب وقد تناول فيه كثيراً من مباحث النحو كالاشتقاق والشرط والإضافة وغير ذلك .

(١) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٣٥ ، ومكتبة الجلال السيوطي : ٧١ . وذخائر التراث : ٨٩/١ . هذا وقد طبع أخيراً بتحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي ونشر فيردار الكتاب العربي ، بيروت : ط ٣ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .

(٢) السيوطي ، الأشباه والنظائر النحوية : (ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٦ م) ٤/١ .

(٣) م . ن . ، السابق .

وهذا النوع أهم فنون الكتاب قال عنه السيوطي « اعتنيت فيه بالاستقصاء والتتبع والتحقيق وأشبع القول فيه ، وزدت في ضمن كل قاعدة ما لأئمة العربيّة من مقال وتحرير وتنكيث وتهذيب واعتراض وانتقاد وجواب وإيراد . . . »^(١) .

٢- الفن الثاني : فنّ القواعد الخاصة والضوابط والاستثناءات وهو مرتب على الأبواب لاختصاص كل ضابط ببابه ، فبدأ بباب الكلمة ثم باب الاسم فباب الفعل وهكذا ، ووضع له اسماً هو (تدريب أولي الطلب ، في ضوابط كلام العرب) .

٣- الفن الثالث : بناء المسائل بعضها على بعض وقد سماه « سلسلة الذهب ، في البناء من كلام العرب » وقد أشار السيوطي في المقدمة إلى أنّه ألّف من قبل في هذا الموضوع تأليفاً لطيفاً سماه (السلسلة) مقتفياً أثر الجويني الذي ألّف في الفقه في ذلك الموضوع^(٢) .

٤- الفن الرابع : في الجمع والفرق وقد سماه (اللمع والبرق في الجمع والفرق) ، وقد بين فيه جملة فروق كالفرق بين ضمير الشأن وسائر الضمائر ، والكلام والجملة إلخ . . . » .

٥- الفن الخامس : الألغاز والأحاجي والمطارحات والممتحنات وقد سماه (الطراز في الألغاز) وقد أورد ما وضعه العلماء من ألغاز نحوية نثراً وشعراً ، وشرح هذه الألغاز وبينها .

٦- الفن السادس : في الأفراد والغرائب وقد سماه (التبر الذائب في الأفراد والغرائب) ذكر فيه غرائب الأقوال ، وشواذّ النقول ، وما خرج عن الإجماع مما ينسب إلى كبار النحاة .

(١) الأشباه والنظائر : ٨٧/١ .

(٢) م . ن السابق ، وانظر السيوطي النحوي : ٣٣٨ ، وجلال الدين السيوطي وجهوده في الدرس اللغوي : ٣١٥ .

٧- الفن السابع : المناظرات والمجالسات والمذكرات والمراجعات والمحاورات والفتاوي والوقائع والمرسلات والمكاتبات ، نقل فيه كثيراً من المناظرات والمطارحات النحوية التي جرت بين كبار النحويين كالمسألة الزنبورية التي وقعت بين سيبويه والكسائي ، وبين الأصمعي وابن الأعرابي وغيرها ، كما ضمنه مجموعة كبيرة من المسائل النحوية التي تعرض لها النحاة في مؤلفاتهم المختلفة^(١) .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات بحيدر آباد سنة (١٣١٧هـ) وطبعة ثانية بها سنة (١٣٦١هـ)^(٢) ، في أربعة أجزاء ثم صدر في القاهرة بتحقيق طه عبد الرؤوف سعيد سنة (١٣٩٥هـ) عن مكتبة الكليات الأزهرية . ثم أصدره مجمع اللغة العربية بدمشق محققاً بتقديم الدكتور شاهر الفحام وهي أحسن طبعاته :^(٣)

- المجلد الأول : بتحقيق عبد الإله نبهان : ١٩٨٥ م .

- المجلد الثاني : بتحقيق غازي طليمات : ١٩٨٦ م .

- المجلد الثالث : بتحقيق إبراهيم العبد الله : ١٩٨٦ م .

- المجلد الرابع : بتحقيق أحمد مختار الشريف : ١٩٨٧ م .

هذه هي أهم مصنفات السيوطي أو نماذج من مؤلفات السيوطي القيمة وهناك كتب مهمة في التفسير وعلوم القرآن ، سأفرد لها فصلاً خاصاً في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) انظر تفصيلات ذلك في السيوطي النحوي : ص ٣٧٩ .

(٢) ذخائر التراث العربي : ٥٨٨/١ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٧٨ .

(٣) فهرس مؤلفات السيوطي : ٣٥ . وراجع مقدمة التحقيق : ٤١-٤٢ .

الباب الثالث

جهود الإمام السيوطي

في علوم القرآن

١- الفصل الأول : مؤلفات السيوطي
في التفسير وعلوم القرآن .

٢- الفصل الثاني : التعريف بأهم
مؤلفاته في التفسير .

٣- الفصل الثالث : التعريف بأهم
مؤلفاته في علوم القرآن .

الفصل الأول

مؤلفات السيوطي
في التفسير وعلوم القرآن

- عرض وإحصاء -

مؤلفات السيوطي

في التفسير وعلوم القرآن

تحدّثت في الفصل السابق عن مؤلفات السيوطي وأنّه كان من المكثّرين للتأليف ، في شتى الفنون والعلوم . وقد وُصف بأنه « صاحب المؤلفات الجامعة ، والمصنفات النافعة »^(١) .

ورأينا أنّه بدأ التأليف في سن مبكرة ، وأول تصنيفاته كان كتاب (شرح الاستعاذة والبسملة) وقد أوقف عليه شيخه البلقيني وكتب عليه تقرّظاً ، وكتاب (الأزهار الفاتحة على الفاتحة)^(٢) .

ثم تابعت تأليفات السيوطي فكتب في التفسير وعلوم القرآن ما يزيد على خمسين مؤلفاً ، وبما أن السيوطي قد صنف كتبه وقسمها سبعة أقسام ، فأرى أن أصنف كتبه في التفسير وعلوم القرآن وفق الأقسام السبعة التي ذكرها السيوطي وصنف كتبه عليها ، مشيراً أمام كل كتاب إلى المصادر التي ذكرته بادئاً بحسن المحاضرة^(٣) ثم بفهرست مؤلفات السيوطي نفسه^(٤) ، وأما الكتب

(١) الكواكب السائرة : ٢٢/١ وانظر ما قيل حول مؤلفاته في بهجة العابدين ق ٢٠/أ - ب . الطبقات الصغرى : ٢٠ ، ٣٥ ، بدائع الزهور : ٨٣/٤ ، فهرس الفهارس : ١٠١٥/٢ ، ١٠١٩ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ١١٧ .

(٣) وقد جاءت تحت عنوان فن التفسير وتعلقاته والقراءات : ١/٣٣٩-٣٤٠ وعدّ (٢٥) كتاباً فقط .

(٤) وهي التي حققها يحيى محمود ساعاتي ونشرها في مجلة عالم الكتب في المجلد ١٢ عدد ٢ (شوال ١٤١١ هـ) مايو ١٩٩١ م ص : ٢٣٥-٢٣٦ تحت عنوان : « فن التفسير =

التي ألفها السيوطي بعد كتابه التحدث بنعمة الله أو فهرست مؤلفاته وأشارت إليها كتب الفهارس فسأجعلها قسماً ثامناً ، مراعيّاً ترتيبها حسب الحروف الهجائية ، ذاكراً أمامها المصادر التي ذكرتها من كتب الفهارس كدليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها ومكتبة الجلال السيوطي . وفهارس المخطوطات الأخرى .

القسم الأول :

قال السيوطي : « ما أدّعي فيه التفرد ، ومعناه أنه لم يؤلف له نظير في الدنيا فيما علمت ، وليس ذلك لعجز المتقدمين عنه ، معاذ الله ولكن لم يتفق أنهم تصدوا لمثله . وأما أهل العصر فإنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله لما يحتاج إليه من سعة النظر وكثرة الاطلاع ، وملازمة التعب والجهد »^(١) والذي هو بهذه الصفة من كتبه في التفسير وعلوم القرآن :

١- الإتيان في علوم القرآن : ذكره في حسن المحاضرة ، وفهرست مؤلفاته وسأتناوله بالتفصيل في الباب الرابع من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى .

٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرست مؤلفاته^(٢) ، وسأتناوله بشيء من التفصيل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

٣- ترجمان القرآن : وهو في التفسير المسند ، ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرست مؤلفاته^(٣) وقد أشار سركيس في معجم المطبوعات وعبد الجبار

= وتعلقات القرآن » وقد ذكر السيوطي فيه (٣٧) كتاباً ، أي بزيادة (١٢) كتاباً على ما ورد في حسن المحاضرة وهو العدد نفسه الذي ذكره الشاذلي في بهجة العابدين من نسخة عليها خط السيوطي ، انظر هذا الفهرس في بهجة العابدين : ق ٣٥/أ - ٤٢/ب .

(١) التحدث بنعمة الله : ١٠٥ .

(٢) فهرس مؤلفات السيوطي : ٢٣٥ .

(٣) م . ن ، السابق .

عبد الرحمن في ذخائر التراث إلى أنه مطبوع بمصر سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٦م)^(١) - وقد ذكر فيه ما أثر عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم ذكراً ذلك بالأسانيد ، فلما رأى قصور الهمم عن تحصيله ورغبة الناس في الاختصار على المتن دون السند لخص منه كتاب (الدر المنثور)^(٢) .

وهذا الكتاب - أي ترجمان القرآن - لم يطبع وإنما المطبوع سنة (١٣١٤هـ/١٨٩٦م) بمصر في المطبعة الميمنية هو « الدر المنثور »^(٣) الذي هو مختصر ترجمان القرآن والله أعلم .

٤- أسرار التنزيل : ذكره في حسن المحاضرة في فهرس مؤلفاته ويسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) وقد طبع أخيراً بتحقيق د. أحمد بن محمد الحمادي ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر سنة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م في مجلدين .

٥- الإكليل في استنباط التنزيل : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته ، وأشار إليه في الإتيان^(٤) . طبع على هامش كتاب (البيان في تفسير القرآن) لمعين الدين الإيجي بدلهي : سنة (١٢٩٦هـ/١٨٧٨م) ثم طبع بالقاهرة سنة (١٩٥٢م) بعناية عبد الله الغماري^(٥) ، وطبع أخيراً بتحقيق

(١) معجم المطبوعات العربية : ١/١٠٧٧ ، ذخائر التراث العربي الإسلامي ١/٥٩٣ .

(٢) انظر مقدمة الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ط دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٣م) ٩/١ .

(٣) السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور (ط الميمنية ، بمصر ١٣١٤هـ/١٨٩٦م) وانظر المقدمة ٢/١ وقد طبع الدر المنثور في دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٣م) في (٨) مجلدات . ودليل مخطوطات السيوطي : ٣٦ وذخائر التراث العربي : ٥٩٣/١ .

(٤) الإتيان في علوم القرآن : ٢/١٠٣٧ .

(٥) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٣٥ ، مكتبة الجلال السيوطي ٨٨ ، دليل =

سيف الدين عبد القادر الكاتب في دار الكتب العلمية ، بيروت سنة (١٩٨٥م) .

٦- تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته وأشار إليه في الإتيقان في النوع الثاني والستين ، وقد طبع الكتاب بتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، وسماه (أسرار ترتيب القرآن) في دار الاعتصام ، بمصر سنة ١٩٧٨م) ثم طبع في دمشق بتحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ونشر في عالم التراث سنة (١٩٨٣م)^(١) وقد حققه أيضاً السيد الجميلي وطبع في القاهرة بعنوان (ترتيب سور القرآن) .

القسم الثاني :

ما ألف ما يناظره ويمكن أن يأتي بمثله ، وذلك ما تم أو كتب منه قطعة صالحة من الكتب المعتبرة التي تبلغ مجلداً وفوقه ودونه وعدّها منها في علوم القرآن :

٧- لباب النقول في أسباب النزول : ذكره في حسن المحاضرة وفهرس مؤلفاته وأشار إليه في الإتيقان^(٢) ، وهو كتاب مشهور ومطبوع كثيراً مستقلاً وعلى هامش تفسير الجلالين^(٣) .

= مخطوطات السيوطي .

(١) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٤٠ .

(٢) الإتيقان في علوم القرآن : ٩٢/١ .

(٣) ذخائر التراث العربي الإسلامي : ٦٠١/١ ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٤٩

ومحمد خير رمضان يوسف ، المستدرك على فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة

(نشر ضمن مجلة عالم الكتب ، مجلد ١٢ ، عدد ٣ ، محرم ١٤١٢هـ) ص :

٤٤٠ ، وبيدع السيد اللحام ، المستدرك الثاني على فهرس مؤلفات السيوطي

المطبوعة ، (مجلة عالم الكتب ، مج ١٤ ، ع ٣ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص ٣٢١ .

٨- تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي : وهي من أول البقرة إلى آخر الإسرائاء ، ذكرها في حسن المحاضرة ، وفي فهرست مؤلفاته ، وهي من أشهر الكتب المتداولة طبعت مرات كثيرة^(١) .

٩- حاشية على تفسير البيضاوي : وتسمى (نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار) ، قال عنها في (التحدث) : « وصلت فيها إلى آخر سورة الأنعام » ، مجلد وسط^(٢) . وعندما ذكرها في فهرس مؤلفاته قال في مجلدين^(٣) . وهي ما زالت مخطوطة ، يوجد منها نسخ في دار الكتب المصرية رقم (٥١٤) وفي الظاهرية ضمن مكتبة الأسد رقم ٤٧٧ (٨١ تفسير) ويوجد عندي نسخة منها ، وفي برلين رقم (٨٦٩) وفي غيرها^(٤) وسأتناولها بالتعريف المفصل فيما بعد إن شاء الله تعالى .

١٠- شرح الشاطبية : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته . وهو ما يزال مخطوطاً يوجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية رقم ٢٩٩ (١٠ قراءات) وفي المكتبة الأحمدية بتونس رقم (٧٢٦٥) وفي دار الكتب المصرية رقم ٣٣ ، ٨٠ ، ١٥٨ ، وفي برلين (١٩/٦١٢) وقد ذكر الشرقاوي أنه من كتب السيوطي المطبوعة^(٥) وبحث عن هذا الكتاب في المكتبات فلم أجده .

(١) ذخائر التراث العربي الإسلامي : ٨١٨/٢ ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة ٣٩ ، والمستدرك عليه : ٤٤٣ ، دليل مخطوطات السيوطي : ٣٣-٣٤ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ١٠٧ .

(٣) فهرس مؤلفات السيوطي : ٢٣٥ . (ضمن عالم الكتب) .

(٤) دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها : ٤٥ ، مكتبة جلال السيوطي : ٣٧٥ .

(٥) مكتبة جلال السيوطي ٢٢٩ ، ونقل عنه ذلك في فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٤٥ .

القسم الثالث :

ما تمّ من الكتب المعتبرة الصغيرة الحجم التي هي من كراسين إلى عشرة
ومن هذا القسم :

١١- التعبير في علوم التفسير : ذكره في حسن المحاضرة وفهرس مؤلفاته
وأشار إليه في الإتقان في مقدمة كتابه^(١) ، وقد انتهى من تأليفه سنة
(١٤٦٧هـ/١٩٤٧م) وهو أول مؤلفاته في علوم القرآن ، وقد طبع الكتاب
بتحقيق فتحي عبد القادر فريد ، في دار العلوم بالرياض : ١٩٨٤م^(٢) وقد نشر
في الباكستان ، دار نشر الكتب الإسلامية ، في لاهور عن طبعة الدكتور فتحي
المذكور . وأعيد طبعه في دار الكتب العلمية ، بيروت : (١٩٨٨م) .

وقد أشار المستدرك على مؤلفات السيوطي المطبوعة أن الكتاب صدر عن
دار المنار بالقاهرة عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٥م)^(٣) .

١٢- معترك الأقران في مشترك القرآن : وقد ذكره في آخر قائمة فن التفسير
وتعلقاته ، في حسن المحاضرة وأشار إليه في فهرس مؤلفاته وفي النوع التاسع
والثلاثين في إتيانه في « معرفة الوجوه والنظائر »^(٤) وقد طبع الكتاب بتحقيق
علي محمد البجاوي بمصر دار الفكر العربي سنة (١٩٦٩م) وصدر الجزء
الثالث سنة (١٩٧٢م) تحت عنوان « معترك الأقران في إعجاز القرآن » ، كما
صدر بالعنوان نفسه بضبط وتصحيح أحمد شمس الدين في دار الكتب
العلمية ، بيروت سنة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)^(٥) .

(١) الإتقان في علوم القرآن : ٩/١ .

(٢) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٣٨ .

(٣) المستدرك على فهرس السيوطي : ٤٤٢ .

(٤) الإتقان : ٤٤٥/١ .

(٥) ذخائر التراث : ٦٠٣ ، دليل المخطوطات : ٤٢ ، فهرس مؤلفات السيوطي
المطبوعة : ٥٠ والمستدرك عليه : ٤٤٨ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣٢٢ .

١٣- مفحّمات الأقران في مبهمات القرآن : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته وأشار إليه في إتقانه في النوع السبعين في المبهمات فقال : « ولي فيه تأليف لطيف »^(١) ونظراً لأهمية هذا الكتاب فقد تعددت طبعاته وانتشرت نسخه في مكتبات العالم أذكر على سبيل المثال من طبعاته : طبعة بولاق سنة (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م) ، وبمطبعة محمد أفندي مصطفى سنة (١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م) على هامش الفتوحات الإلهية لسليمان بن عمر الشهير بالجمل ، وبالميمية سنة (١٣٠٩هـ / ١٨٩١م) ، وبمطبعة السعادة مع (فتح المنان) للسجاعي سنة (١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م) وقد نشر أيضاً بتحقيق إيد خالده الطباع ، وطبع بمؤسسة الرسالة في بيروت سنة (١٩٨٦م) وحققه الدكتور مصطفى البغا وطبعه غير مرّة إحداها بمطبعة الصباح بدمشق سنة (١٩٩١م)^(٢) .

١٤- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب : ذكره في حسن المحاضرة ، وفهرس مؤلفاته وأشار إليه في إتقانه في النوع الثامن والثلاثين^(٣) . وقد طبع هذا الكتاب في مجلة المورد العراقية في المجلد الأول ، العدد الأول والثاني سنة (١٩٧١م) ص (٥٧-١٢٦) ، وحققه التهامي الراجي الهاشمي وطبع في المغرب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات . (من دون تاريخ)^(٤) .

(١) الإتقان في علوم القرآن : ١٠٨٩ .

(٢) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٥٠ ، والمستدرک علیہ ٤٤٨ ، وانظر دليل مخطوطات السيوطي : ٤٢-٤٣ ومكتبة الجلال السيوطي : ٣٢٥ وذخائر التراث . ٦١٣/١ .

(٣) الإتقان : ٤٢٧ .

(٤) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٥١ ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣٦٠-٣٦١ ، ودليل مخطوطات السيوطي : ٤٤ .

وطبع في دار الكتب العلمية ببيروت سنة (١٩٨٨ م) بتحقيق سمير حسن حلبي .

١٥- خمائل الزهر في فضائل السور : ذكره في حسن المحاضرة وفهرس مؤلفاته وأشار إليه في إتقانه ، وفي تدريب الراوي ^(١) .

وهو ما زال مخطوطاً توجد منه نسخة في برلين رقم (٨ / ٤٦٢) ^(٢) .

١٦- شرح الاستعاذة والبسملة : ذكره في حسن المحاضرة ، وفهرس مؤلفاته ، وقد جاء اسمه في بعض الفهارس (رياض الطالبين في شرح الاستعاذة والبسملة) ^(٣) وهو من أول ما ألفه السيوطي وكتب عليه شيخه البلقيني تقريباً ، وهذا الكتاب مما لا يعتد به السيوطي ، ولولا أن شيخه كتب عليه تقريباً لغسله ومحا ^(٤) . قال عنه حاجي خليفة : « هو في مجلد مبسوط » ^(٥) ، وهو ما زال مخطوطاً توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية (٤٧٤ مجاميع) ، وفي الخزانة التيمورية ^(٦) ، وفي الخزانة العامة بالرباط ^(٧) ، وفي برلين رقم (٢٢٥٨) .

١٧- الثَّغَايَا في أربعة عشر علماً وشرحها يسمى (إتمام الدراية لقراء الثَّغَايَا) : ذكره في حسن المحاضرة : تحت فن الأصول والبيان والتصوف ^(٨) ، وفي

(١) الإنقان : ١١١٣ ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي .

(٢) W. AHLWARDT, KONIGLICHEN, ZU, BERLIN: 2/515.

(٣) W. AHLWARDT: 2/515.

(٤) بهجة العابدین : ق ٩/ب نقلاً من كتابه التحدث بنعمة الله ، وانظر حسن المحاضرة : ٣٧/١ .

(٥) كشف الظنون : ١٠٣١/٢ .

(٦) أحمد تيمور باشا، فهرس الخزانة التيمورية (ط دار الكتب المصرية ، القاهرة : ١٩٤٨ م) ١٥٢/٣ .

(٧) مكتبة الجلال السيوطي : ٢١٢ ، ٢٢٨ ، دليل مخطوطات السيوطي : ٣٨ .

(٨) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ .

فهرس مؤلفاته تحت الكتب الجامعة لفنون عدة^(١) ، ولولا أنه تناول علم التفسير منها لما ذكرتها هنا .

والكتاب مع شرحه مطبوع عدة طبعات منها في بومباي سنة (١٣٠٩هـ/١٨٩١م) وبفاس في المغرب سنة (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) طبعة حجرية . وصدر عن المطبعة الأدبية بمصر على هامش كتاب مفتاح العلوم للسكاكي سنة (١٣١٧هـ/١٨٩٩م) ، كما صدر عن المطبعة الميمنية بمصر سنة (١٣١٨هـ/١٩٠٠م) وطبع في مطبعة التقدم بمصر سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)^(٢) .

وقد صدر بضبط الشيخ إبراهيم العجوز وطبع في دار الكتب العلمية ، بيروت سنة (١٩٨٥م) وقد جردت رسالة السيوطي في أصول التفسير من كتاب (الثقاية) وطبعت ضمن مجموع رسائل ، جمعها وعلّق عليها الشيخ جمال الدين القاسمي ، في مطبعة الفيحاء بدمشق سنة (١٣٣١هـ/١٩١٢م) .

القسم الرابع :

ما كان كراساً ونحوه سوى مسائل الفتاوي وذكر منها :

١٨- كبت الأقران في كتب القرآن : هكذا ورد ذكره في التحدث بنعمة الله^(٣) وذكره أحمد الشرقاوي إقبال بـ (كتب الأقران في كتب القرآن) وكذا في دليل مخطوطات السيوطي^(٤) ، وقد أشار السيوطي إلى هذا الكتاب في رسالته في (علم الخط) ، شرح فيها بعض قواعد الرسم وقال : «وقد عقدت له باباً في التحبير»^(٥) حرّره وهذبه بما لم أسبق إليه ، ثم جردته في

(١) فهرس مؤلفات السيوطي : ٢٤١ .

(٢) ذخائر التراث العربي : ٥٨٧/١ ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة ٢٣٤ مكتبة الجلال : ٣٧١ .

(٣) التحدث : ١١٥ .

(٤) مكتبة الجلال : ٢٨٥ ، دليل المخطوطات : ٤٠ .

(٥) لَمَحَ السيوطي في كتابه التحبير في علم التفسير إلى هذا الكتاب في النوع الرابع =

كراسة سميتها (كتب الأقران ، في كتب القرآن)^(١) .

ويبدو أن هذا الكتاب ما زال مخطوطاً ، ولم يرد ذكره في حسن المحاضرة ، ولا في فهرس مؤلفاته .

١٩- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته ، وأشار إليه في إتقانه تحت فصل خاص مناسبة فواتح السور وخواتمها^(٢) .

وهو ما زال مخطوطاً ، توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الأحمدية بتونس رقم (١٥٨٥) ضمن مجموع ومصور في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة رقم (١٦١٧ / ف) ، (ميكرو فيلم) رقم (١٠٦١٧ / ٦٥) علوم قرآن ، وهناك نسخة منه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وأشار صاحب الدليل إلى أنه يوجد منه نسخة في تشترتي رقم (٥١١٢) وفي ليدن (٢٤ / ٤٧٤) وأيضاً في مكتبة مخطوطات جامعة الكويت رقم (٣٦٠٩)^(٣) ، كما يوجد منه نسخة في المكتبة السليمانية بإستانبول رقم (١٠٣) ، وغيرها^(٤)

= والستين : كتابة القرآن بقوله : « وقد حررته على ترتيب لم أسبق إليه وضبطه بقواعد بعد أن يعرف أن الأصل في كل كلمة أن ترسم بحروف هجائها » . السيوطي التحجير في علم التفسير ، بتحقيق فتحي عبد القادر فريد (نشر دار نشر الكتب الإسلامية ، لاهور : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م) ص ٣٤٠ ، وقد عقد في الإتيان فصلاً خاصاً بعنوان آداب كتابته ، انظر الإتيان : ١١٨٠ .

(١) السيوطي ، رسالة في علم الخط (مطبوعة ضمن مجموعة التحفة البهية ، والطرفة الشهية) ، نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت : ١٩٨١ م) ص : ٥٦ . وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٢٨٥ .

(٢) الإتيان : ٩٨٥ / ٢ .

(٣) دليل مخطوطات السيوطي : ٤٢ .

(٤) هذا وقد قمت بتحقيقها وستنشر قريباً إن شاء الله في العدد الرابع من مجلة الأحمدية التابعة لحكومة دبي : ١٩٩٩ م .

٢٠- فتح الجليل للعبد الذليل في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

[البقرة : ٢٥٧] استنبط منها عشرين ومئة نوع من أنواع البديع ، ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته ، وقد قرّظه نشرأ ونظماً شاعر عصره القادري^(١) يوجد مخطوطاً في دار الكتب المصرية والتميمورية ، وتشترتي (٥٤٩١-٥٥٠) وفي الخزانة العامة بالرباط (١٠٥٤ م)^(٢) .

وقد طبع في المطبعة المحمدية في لاهور سنة (١٨٩١ م) ضمن مجموع رسائل اثنتا عشرة للسيوطي . وقد ذكر الأستاذ الشرقاوي وتبعه النبهان أنه صدرت منه طبعة بمصر ليس بها اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع^(٣) .

٢١- الكلام على أول سورة (الفتح) وهو تصدير ألقاه لمّا باشر التدريس بجامعة شيخون بحضرة شيخه البلقيني ، وكان عمره آنذاك (١٨) سنة ، وهو عبارة عن كراسة رتب فيها السيوطي الكلام على أول سورة الفتح بحسب قدرته وطاقته وافتتحها بخطبة الرسالة للإمام الشافعي تبركاً وقد سرّ بذلك شيخه^(٤) .

٢٢- وهناك كتاب آخر ذكره السيوطي في حاويه في مسألة قوله تعالى : ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح : ٢] وأجاب عنها بأنه كتّى بالمغفرة عن العصمة وقال : وقد ألّفت في ذلك مؤلفاً سمّيته (المحرّر في قوله تعالى : ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾)^(٥) [الفتح : ٢] .

(١) التحدث بنعمة الله : ١٢٥-١٥٤ .

هو الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الأنصاري القادري السعدي الدنجاوي شاعر عصره قال عنه السيوطي : « هو الآن شاعر الدنيا على الإطلاق لا يشاركه في طبقته أحد » (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م) حسن المحاضرة : ١ / ٥٧٥ ، وانظر الضوء اللامع : ٧ / ١٨٨ والأعلام : ٦٠ / ٥٩ .

(٢) دليل مخطوطات السيوطي : ٣٩ ، مكتبة الجلال : ٢٦٣ .

(٣) مكتبة الجلال : ٢٦٣ ، وفهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٤٦ .

(٤) بهجة العابدين : ق ١٠ / أ .

(٥) الحاوي للفتاوي : ١ / ٣٢٢ .

والكتاب ما يزال مخطوطاً منه نسخة في برلين (١٠٠٨) وفي المكتبة المحمودية (٦٥ مجاميع) ويوجد منه نسخة في الخزنة التيمورية ضمن المجموع رقم (١٣٩)^(١) ، وفي دار الكتب الظاهرية نسختان رقم ٥٨٧٩ (ق-٥) ، ورقم (٨٥٦٢) (ق-١٤٦-١٤٣)^(٢) .

٢٣- اليد البسطى في تعيين الصلاة الوسطى : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته يوجد مخطوطاً في برلين (٣٥٨٤) ، وفي الخزنة التيمورية نسخة منه^(٣) .

٢٤- الأزهار الفاتحة على الفاتحة : وهو من أول ما صَنَّف^(٤) ، ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته ، وهو في تفسير سورة الفاتحة^(٥) ، يوجد منه نسخة مخطوطة في برلين (١٦/٩٤٩)^(٦) .

٢٥- ميزان المعدلة في شأن البسملة : ذكره في حسن الحاضرة في فن الفقه في الأجزاء المفردة في مسائل مخصوصة على ترتيب الأبواب ، وذكره في فهرس مؤلفاته تحت (فن التفسير وتعلقات القرآن) يوجد مخطوطاً في الخزنة التيمورية^(٧) ، ومخطوطات الأوقاف العراقية ٤٩٢ ، وهناك نسخة في برلين

(١) يحيى محمود ساعاتي ، نشرة خاصة بمخطوطات السيوطي (نشر الرياض : ١٩٧٣) ص ٣٦ .

(٢) ماجد الذهبي ، فهرس مخطوطات السيوطي في المكتبة الظاهرية (لم ينشر) ص ٣٠ . وانظر دليل مخطوطات السيوطي : ٤١ .

(٣) دليل مخطوطات السيوطي : ١٣٨-١٣٩ ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣٨٤ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ١١٧ .

(٥) وقد ظنه البغدادي كُتِبَ فذكره مرتين تحت عنوان (الأزهار الفاتحة على الفاتحة) ٥٣٥/١ ومرة ثانية (تفسير الفاتحة) ٥٣٧/١ ، وغالب الظن أنهما كتاب واحد والله أعلم . انظر مكتبة الجلال : ٦٣ وقارن بـ ص : ١٣٩ ، ودليل مخطوطات السيوطي ٣٤ و٣٠ .

(٦) W. AHLWARDT: 2/515 .

(٧) فهرس الخزنة التيمورية : ١٥٢/٣ .

بعنوان : (رسالة في البسمة) رقم (٢٢٥٧)^(١) ، كما يوجد نسخة بالعنوان نفسه (في دار الكتب المصرية رقم (٢٢٦٤) ق : ٢٧١ .

٢٦- الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ الآية [فاطر : ٤٥] . وهذا الكتاب مما انفرد بذكره السيوطي في كتابه (التحدث بنعمة الله) ولم يرد ذكره في (حسن المحاضرة) ، أو فهرس مؤلفاته أو ضمن الفتاوي القرآنية في كتابه (الحاوي) وقد فات مفهرسي كتب السيوطي هذا الكتاب فلم يرد ذكره في (مكتبة الجلال السيوطي) أو في (دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها) . ولعل هذا الكتاب مما رجع عنه السيوطي لكونه كان في بداية تأليفه وتصنيفه ، والله أعلم .

٢٧- المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة : يتعلق بقوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] . فقد استشكل بعض الفضلاء - كما يقول السيوطي - ذلك فقال عرض الأجسام ممكن فكيف عرض المعاني المعقولة التي تشخص لها في الخارج ، فألف السيوطي رسالته هذه وحقق المسألة وقال بأن جميع المعاني المعقولة عندنا متصورة عند الله بصورة الأجسام ومتشخصة بهيئة الأشخاص^(٢) ، ثم ذكر الأحاديث المؤيدة لذلك ، وقد ذكره السيوطي في حسن المحاضرة في فن الأصول والبيان والتصوف^(٣) ، والكتاب مطبوع مع كتاب (طرح الدر) للشيخ علي بن يوسف في مصر سنة (١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م)^(٤) .

(١) W. AHLWARDT: 2/515 .

(٢) السيوطي ، المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة ، مخطوط دار الكتب الظاهرية رقم ١٥٣٧٣ ، ضمن مجموع ق ١٣١/ب . وقد ذكر حاجي خليفة مقدمة هذا الكتاب : كشف الظنون . ١٧٢٩/٢ وهناك رسالة للسيوطي بالموضوع مطبوعة ضمن الحاوي بعنوان : (رفع الصوت بذبح الموت) ٩٢/٢ .

(٣) حسن المحاضرة : ٣٤٤/١ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣٢٢ ، ودليل مخطوطات السيوطي ١٨٣ .

(٤) هذا ما ذكره سركيس في معجم المطبوعات العربية : ١٠٨٤/١ ، وعبد الجبار في =

٢٨- درج العلّا في قراءة أبي عمرو بن العلاء : وهذا الكتاب مما انفرد السيوطي بذكره في التحدث بنعمة الله^(١) ، ولم يرد ذكره في حسن المحاضرة أو في فهرس مؤلفاته أو في إتقانه وكذلك فات فهرسي كتب السيوطي ذكره في مكتبة الجلال أو في دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها . وكذلك لم يرد ذكره في كشف الظنون أو في هدية العارفين . ولعل السيوطي قد غسله ورجع عنه والله أعلم .

٢٩- الدر النثير في قراءة ابن كثير : لم يذكره في حسن المحاضرة ، وذكره في فهرس مؤلفاته في فن التفسير وتعلقات القرآن ، وقد نسب إليه حاجي خليفة في كشفه ، والبغدادى في هدية العارفين ، ولم يذكر فهرسو مخطوطات السيوطي أماكن وجوده^(٢) . فلعله مما غسله أيضاً السيوطي ورجع عنه والله أعلم .

القسم الخامس :

ما ألف في واقعات الفتاوي من كراس وفوقه ودونه وذكر فيه :

٣٠- القول الفصيح في تعيين الذبيح : ذكره في حسن المحاضرة وفي فهرس مؤلفاته (ضمن فن التفسير وتعلقاته) وهو مطبوع ضمن الحاوي^(٣) ، وهو عبارة عن جواب على سؤال ورد إليه ، من المقصود بالذبيح هل هو إسحاق عليه السلام أو إسماعيل عليه السلام؟ فأفتى بأنه إسحاق واستدل على

= ذخائر التراث العربي : ٦٠٢/١ ، والنبهان في فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٥٠ .
(١) ص : ١٢١ .

(٢) كشف الظنون : ٧٣٥ ، هدية العارفين : ٥٣٨/١ ، وانظر دليل مخطوطات السيوطي : ٣٧ ومكتبة الجلال السيوطي : ١٩٣ .

(٣) الحاوي للفتاوي : ٣١٨/١ ، وانظر فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٤٨ ، ومكتبة الجلال السيوطي : ٥٢٢ وجاء فيه : « القول الصحيح » وذكر في دليل مخطوطات السيوطي تحت قسم النبوات والسمعيات : ١٤٧ .

ذلك بعدد من الآثار والأحاديث وكتب هذه الرسالة^(١) .

٣١- نصره الصديق على الجاهل الزنديق : وقد ذكره السيوطي في مسائل الخلاف التي دارت بينه وبين الجوجري في كتابه التحدث بنعمة الله^(٢) ، وفي كتابه الحاوي للفتاوي^(٣) ، بعنوان (الحبل الوثيق في نصره الصديق) وهو يتعلق بقوله تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِيهَا آلُفَقَى ﴾ [الليل : ١٧] وموضوعها سؤال رفع إليه حول هذه الآية هل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وأنه أفضل الصحابة ، وقد سبق الحديث عن ذلك^(٤) .

وقد صنف السيوطي هذه الرسالة في فن التفسير وتعلقاته^(٥) ، بينما صنفها صانعا دليل مخطوطات السيوطي في قسم الفقه^(٦) .

٣٢- دفع التعسف عن أخوة يوسف : لم يذكره في حسن المحاضرة ، وذكره في فهرس مؤلفاته ضمن فن التفسير وتعلقاته ، وصنّفه الشرقاوي وصانعا دليل المخطوطات ضمن فن النبوات^(٧) ، وهو مطبوع ضمن الحاوي^(٨) ، وهو جواب عن سؤال هل إخوة يوسف عليه السلام أنبياء أو لا؟

فكتب السيوطي هذه الفتوى وبين أقوال العلماء في المسألة وذهب إلى أنهم ليسوا من الأنبياء ، وهذه الرسالة مطبوعة أيضاً في لاهور بالمطبع المحمدي سنة (١٨٩١ م) ضمن مجموع رسائل السيوطي يضم اثنتي عشرة رسالة بعناية مولوي محمد حسين ومولوي غلام حسين .

(١) الحاوي : ٣١٨/١ .

(٢) ص ١٨٦ .

(٣) ٣٢٦/١ .

(٤) انظر ص : ١٢٥٢ .

(٥) فهرس مؤلفاته : ٢٣٦ .

(٦) دليل مخطوطات السيوطي : ١١٠ وانظر كذلك مكتبة الجلال السيوطي : ١٧٥ .

(٧) مكتبة الجلال السيوطي : ١٩٣ ، دليل المخطوطات : ١٤٥ .

(٨) ٣١٠/١ .

٣٣- القذاذة في تحقيق محل الاستعاذة : ذكره في الحاوي للفتاوي القرآنية^(١) ، وفي حسن المحاضرة : ضمن فن الفقه وتعلقاته في الأجزاء المفردة في مسائل مخصوصة^(٢) ، وكذلك في فهرس مؤلفاته ، وصنفه أحمد الشرقاوي في قسم خاص في أسماء الله وفي البسملة والتعوذ^(٣) ، أما في دليل المخطوطات فقد صنفه في علوم القرآن^(٤) .

وموضوعه : سؤال وقع له وهو : أن كثيراً من الناس يقولون إذا أرادوا ذكر آية : قال الله تعالى بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فهل (بعد) هذه جائزة قبل الاستعاذة أو لا؟ وهل أصاب القارىء أو أخطأ ثم يجيب عن المسألة^(٥) .

٣٤- نشر الطيب على الخطيب : وهو في إعراب قوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ورد في التحدث بنعمة الله بعنوان (نفح الطيب من أسئلة الخطيب)^(٦) ، ولم يرد ذكره في حسن المحاضرة وقد ذكره في فهرس مؤلفاته في الكتب الجامعة لفنون عديدة ، وقال البغدادي في (هدية العارفين) : « جعله ضيافة لخطيب نزل عنده »^(٧) وإذا كان هذا مضمونه فهو غير (نفح الطيب من أسئلة الخطيب) المطبوع ضمن (الحاوي) لأنه عبارة عن أسئلة وأجوبتها ولذلك ورد عنوانه في الحاوي (الأسئلة الوزيرية وأجوبتها)^(٨) .

أما في فهرس برلين فقد ورد ذكره بعنوان (نفح الطيب من أسئلة الخطيب)

-
- (١) ٢٩٧/١ .
 - (٢) حسن المحاضرة : ٣٤٢/١ .
 - (٣) مكتبة الجلال السيوطي : (الفهرس) ٣٩٧ .
 - (٤) دليل مخطوطات السيوطي : ٣٩ .
 - (٥) انظر الحاوي : ٢٩٨-٢٩٧/١ .
 - (٦) التحدث بنعمة الله : ١٢٤ .
 - (٧) هدية العارفين : ٥٤٣/١ ، وانظر مكتبة الجلال : ٣٦٧ .
 - (٨) الحاوي : ٣٢٦/٢ .

أو (نشر الطيب على الخطيب) رقم ٧/٣٩٥٨^(١) وتابعه في ذلك صانعا دليل مخطوطات السيوطي وقالوا يوجد مخطوطاً بالخزانة التيمورية ضمن مجموع^(٢) . قال العلامة أحمد تيمور باشا (نشر الطيب على الخطيب) في إعراب آية كريمة^(٣) .

٣٥- إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة : ذكره في فهرس مؤلفاته في فن التفسير وتعلقاته ولم يذكره في حسن المحاضرة ، وهو مطبوع ضمن الحاوي^(٤) ، وهو عبارة عن سؤال وقع هل كانت الأمم السابقة توصف بالإسلام ، فأجاب عن ذلك السيوطي وبين أقوال العلماء في ذلك ورجح قول من قال بأن الإسلام يختص بهذه الملة الشريفة وساق الأدلة من القرآن وغيره على ذلك .

وقد ألف هذه الرسالة سنة (٨٨٨هـ / ١٤٨٣م)^(٥) . وصُنِّف في دليل المخطوطات في قسم الفقه وأصوله^(٦) .

٣٦- الفوائد البارزة والكامنة في النعم الظاهرة والباطنة : يتعلق بقوله تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ ﴾ [لقمان : ٢٠] . ذكره في فهرس مؤلفاته ، ولم يذكره في حسن المحاضرة ، ويوجد منه عدة نسخ مخطوطة في الخزانة التيمورية إحداها عليها طرة بخط السيوطي ، ومنه نسخة مصورة بمكتبة الأحقاف باليمن رقم (٢١٠) ونسخة في برلين رقم (٢٤٨٩)^(٧) .

(١) W. AHLWARDT: 3/446.

(٢) دليل مخطوطات السيوطي : ٤٥ وانظر مكتبة الجلال : ٣٦٧ .

(٣) فهرس الخزانة التيمورية : ١٥٢/٣ .

(٤) الحاوي للفتاوي : ١٥/٢ .

(٥) الحاوي للفتاوي : ١٢٩ .

(٦) دليل مخطوطات السيوطي : ٩٨ . وكذا في مكتبة الجلال : ٣٩٤ .

(٧) دليل مخطوطات السيوطي : ٢٧٤ ، مكتبة الجلال السيوطي : ٢٧١ وفهرس الخزانة التيمورية ١٥٢/٣ .

٣٧- الكثرُ على عبد البر : وهو في إعراب (آية الكرسي) ، يوجد منه مخطوطة في برلين برقم (٧٢٢ / ٢١٩)^(١) ، وقد ذكره السيوطي في فهرس مؤلفاته في فن « اللغة والنحو والتصريف »^(٢) .

القسم السادس :

مؤلفات لا يعتد بها لأنها على طريق البطلين الذين ليس لهم اعتناء بالرواية المحضة ، ألفها في زمن السماع وطلب الإجازات مع أنها مشتملة على فوائد بالنسبة إلى ما يكتبه غيره كما يقول^(٣) .

٣٨- المنتقى من تفسير ابن أبي حاتم : ذكره في فهرس مؤلفاته ولم يذكره في حسن المحاضرة . قال في كشف الظنون « انتقاء السيوطي من تفسير ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد الرازي » (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م)^(٤) .

٣٩- المنتقى من تفسير الفريابي : ذكره في فهرس مؤلفاته ، ولم يذكره في حسن المحاضرة ، انتقاء السيوطي من تفسير الفريابي ، وهو محمد بن يوسف بن واقد الضبي (ت ٢١٢هـ / ٨٢٧م)^(٥) .

٤٠- المنتقى من تفسير عبد الرزاق : ذكره في فهرس مؤلفاته ، ولم يذكره في حسن المحاضرة وهو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحافظ الصنعاني المتوفي سنة (٢١١هـ / ٨٢٦م)^(٦) ، وقد فات الشراوي إقبال ذكر هذا الكتاب .

(١) W AHLWARDT: 1/285.

(٢) فهرس مؤلفات السيوطي : ٢٤٠ .

(٣) التحدث بنعمة الله : ١٢٦ .

(٤) كشف الظنون : ٤٣٦ ، وانظر مكتبة الجلال : ٣٥٥ ودليل المخطوطات : ٤٣ .

(٥) كشف الظنون : ٤٥٦ ، وانظر الأعلام : ١٤٧/٧ . ومكتبة الجلال : ٣٥٥ ودليل المخطوطات والداودي طبقات المفسرين (ط دار الكتب العلمية بيروت : د . ت) ٢/ ٢٩٢ .

(٦) كشف الظنون : ٤٥٢ ، دليل مخطوطات السيوطي : ٤٣ وهذه المتقيات الثلاثة لم =

٤١- المنتقى من « فضائل القرآن » لأبي عبيد : انفراد السيوطي بذكره في التحدث بنعمة الله^(١) ، انتقاء السيوطي من كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام الجمحي (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) وهو على طريقة المحدثين^(٢) .

القسم السابع :

ما شرع فيه و فتر العزم عنه و كتب منه القليل و ذكر من ذلك :

٤٢- مجمع البحرين ومطلع البدرين في التفسير : ذكره في حسن المحاضرة ولم يذكره في فهرس مؤلفاته ، وقد أشار إلى هذا الكتاب في مقدمة إتقانه الذي جعله مقدمة له حيث قال : وقد جعلته - أي الإتقان - مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه وسميته (مجمع البحرين ومطلع البدرين ، الجامع لتحرير الرواية ، وتقرير الدراية)^(٣) .

وقد أعاد الإشارة إلى ذكر هذا الكتاب في النوع الثمانين فقال : « وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه : من التفاسير المنقولة ، والأقوال المقولة ، والاستنباطات والإشارات ، والأعاريب واللغات . . وسميته بـ (مجمع البحرين ، ومطلع البدرين) وهو الذي جعلت هذا الكتاب مقدمة له »^(٤) .

وهذا من الكتب التي لم يتمها السيوطي فقد ذكر في التحدث بنعمة الله أنه كتب منه إلى قوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : ٦] في كرايس ، وكتب منه إلى سورة الكوثر^(٥) وقد اراده أن يكون تفسيراً كبيراً

= يذكر المفهرسون أماكن وجودها ولعلها غير موجودة فتكون مما رجع عنه السيوطي ومحاها ، لأنه كما قال لا يعتد بها بنظره .

(١) التحدث بنعمة الله : ١٢٨ .

(٢) كشف الظنون : ١٢٧٧ ، هدية العارفين : ٨٢٥ / ١ .

(٣) الإتقان : ١٧ / ١ .

(٤) الإتقان : ١٢٣٧ / ٢ .

(٥) التحدث بنعمة الله : ١٢٩ .

جامعاً بين المنقول والمعقول والرواية والدراية ، فإذا كان الإتقان مقدمة لهذا الكتاب فكيف يكون هذا الكتاب لو تم؟ ولهذا لم تشر كتب الفهارس إلى أماكن وجود مخطوطاته^(١) ، لأنه كما ذكرت بدأ به ولم يتمه .

٤٣- مفاتيح الغيب : أو مفاتيح الغيب كما ورد في حسن المحاضرة وفهرس مؤلفاته ، وهو من الكتب التي لم يتمها السيوطي فقد كان يهدف إلى أن يكون تفسيراً مسنداً كبيراً ، كتب منه من ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] إلى آخر القرآن في مجلد^(٢) ولم تشر كتب الفهارس إلى مخطوطات هذا الكتاب^(٣) .

٤٤- ميدان الفرسان في شواهد القرآن^(٤) : ذكره في فهرس مؤلفاته ولم يرد ذكره في حسن المحاضرة وقد كتب منه دون كراس .

٤٥- مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن : لم يرد ذكره في حسن المحاضرة ، وذكره في فهرس مؤلفاته ، وهو مختصر مجاز القرآن للشيخ عز الدين بن عبد السلام ، كتب منه دون كراس .

٤٦- ألفية في القراءات العشر : ذكرها في حسن المحاضرة ، وسقطت من النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها يحيى محمود ساعاتي في نشره لفهرس مؤلفات السيوطي ، وقد ذكرت في نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق^(٥) ، وقد كتب منها أوراقاً ولم يتمها^(٦) .

(١) دليل مخطوطات السيوطي : ٤١ ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣٠٦ .

(٢) التحدث بنعمة الله : ١٢٩ ، فهرس مؤلفات السيوطي : ٢٣٦ .

(٣) دليل مخطوطات السيوطي : ٤٢ ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣٢٤ .

(٤) ورد اسمه في دليل مخطوطات السيوطي خطأ (ميدان الفرسان إلى مجاز القرآن) وقال هو « اختصار مجاز القرآن لعز الدين بن عبد السلام » وهو كتاب آخر . انظر المخطوطات ٤٠ ومكتبة الجلال ٣٦٢ .

(٥) فهرس مؤلفات السيوطي ، مخطوطة دار الكتب الظاهرية ، ضمن مجموع رقم (٥٨٩٦) ق : ٣٤/ب .

(٦) لم تشر كتب الفهارس إلى أماكن وجودها ، مكتبة الجلال : ٨٩ ، دليل المخطوطات : ٣١ .

هذا ما ذكره السيوطي من كتبه في علوم القرآن في كتابه التحدث بنعمة الله وهناك كتب لم يذكرها في كتابه التحدث بنعمة الله، ووردت في فهرس مؤلفاته وقد جعلتها في قسم خاص وهو :

القسم الثامن : منها :

٤٧- الناسخ والمنسوخ في القرآن : ذكره في فهرست مؤلفاته^(١) ، وأشار إليه في إتقانه في النوع السابع والأربعين في ناسخ القرآن ومنسوخه فقال : « وقد أفردته بأدلته في تأليف لطيف »^(٢) وقد ذكره حاجي خليفة في كشفه^(٣) .

٤٨- إعراب القرآن : وهو مستل من كتاب الإتقان من النوع الحادي والأربعين وقد أفرده بعض النساخ بالذكر فاعتزّ الم فهرسون بذلك فعُدّوه كتاباً مستقلاً للسيوطي ، يوجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية ضمن مجموع رقم (٦٨٦٣) ق : ٢٩-٤٠^(٤) .

٤٩- الأمالي على القرآن الكريم : ويبدو أن هذه الأمالي كانت في بداية تدريسه وقد نسبها إليه حاجي خليفة ، والبغدادى ، وتابعهما الشرقاوى إقبال وصانعا دليل مخطوطات السيوطي^(٥) .

٥٠- الجواهر في علم التفسير : نسبه إليه حاجي خليفة^(٦) ، وقد نظمه

(١) فهرس مؤلفات السيوطي : ٢٣٥ .

(٢) الإتقان : ٧٠٧/٢ .

(٣) كشف الظنون : ١٩٢١/٢ ، وانظر مكتبة الجلال : ٣٦٣ ، ودليل المخطوطات : ٤٥ .

(٤) ماجد الذهبي ، فهرس مخطوطات السيوطي (لم ينشر) ص : ٣ .

(٥) كشف الظنون : ١٦٥ ، هدية العارفين : ٥٣٦/١ ، مكتبة الجلال : ٩٢ دليل المخطوطات : ٣١ .

(٦) كشف الظنون : ٦١٨/١ .

- شعراً الشيخ عبد العزيز المغربي المكناسي (ت ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م) ^(١) .
- ٥١- رسالة في أقسام القرآن ورسوم الخط وكتابه : لعلها منتزعة من الإتقان يوجد منها نسخة في مكتبة الأوقاف العراقية رقم (٢٤ / ٢٢٨١١) مجاميع نسخها محمد أمين الدروبي قاضي عسكر سنة (١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م) ^(٢) .
- ٥٢- رسالة في التجويد : منها نسخة في خزانة مدرسة عبد الملك بك ، رقم (٥) ضمن مجموع رقم (١٨) مخطوطات الموصل ^(٣) .
- ٥٣- فائدة سورة الأنعام : نسبها إليه البغدادي في هدية العارفين ^(٤) .
- ٥٤- الفتاوي القرآنية : نسبها إليه جميل العظم في عقود الجواهر ، وهي موجودة ضمن الحاوي للفتاوي ^(٥) .

٥٥- المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والتركية والهندية والزنجية والنبطية والسريانية والعبرانية والرومية والبربرية : نسبها إليه حاجي خليفة ^(٦) ، وسبب تسميته بذلك نسبة إلى الخليفة المتوكل على الله ، كما ذكر ذلك في مقدمته والكتاب مطبوع عدة طبعات قديمة وحديثة فقد طبع بمطبعة عثمان عبد الرزاق بالقاهرة : (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) ثم بمطبعة الترقى بدمشق سنة (١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م) ثم صححه محمد عبد الحليم جشتي ، وطبعه بمطبعة نور محمد بكراتشي (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) وأخيراً صدر بتحقيق

-
- (١) الكواكب السائرة : ١٦٩/٢ ، شذرات الذهب : ٣٤٢/٨ ، وقد ذكر الشرقاوي أنه يوجد نسخة من هذا النظم في الخزانة التيمورية ضمن مجموع ، مكتبة الجلال : ٢٥٢ ، وانظر دليل المخطوطات السيوطي : ٣٥ .
- (٢) عبد الله الجبوري ؛ فهرس مخطوطات الأوقاف العامة ببغداد : ١١٨/١ ، وانظر دليل مخطوطات السيوطي : ٣٧ .
- (٣) دليل مخطوطات السيوطي .
- (٤) هدية العارفين : ٥٤١/١ ، وانظر دليل مخطوطات السيوطي : ٣٩ .
- (٥) الحاوي للفتاوي : ٢٩٦/١ وانظر مكتبة الجلال : ٢٦٢ ودليل المخطوطات : ٣٩ .
- (٦) كشف الظنون : ١٤٥٦/٢ تحت حرف الكاف (كتاب المتوكلي) وعند حرف الميم قال : « المتوكلي فيما في القرآن . إلخ مر ذكره في الكتاب سهواً » ١٥٨٥/٢ .

وتعليق عبد الكريم الزبيدي ، وطبع في دار البلاغة ببغروت (١٩٨٨ م) (١) .

٥٦- المتتقى من مطالع أنوار التنزيل ومفاتيح أسرار التأويل : لعبد الرزاق بن رزق الله الحنبلي (ت ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م) وله تفسير كبير يروي فيه الأحاديث بأسانيده ، انتقاه السيوطي وهو تفسير حسن (٢) .

٥٧- نقولات في علوم القرآن : وهذه النقولات منتزعة أيضاً من الإتقان ، منها نسخة محفوظة في مدرسة عبد الله ضمن مجموع (٤ / ٨) (مخطوطات الموصل) (٣) .

٥٨- أدر النظيم في فضائل القرآن العظيم : جمع فيه بين كتابي : (البرق اللامع والغيث الهامع) للغساني ، و (خواص آيات من القرآن الكريم وفواتح السور) للغزالي يوجد منه نسخة في خزانة مخطوطات الأوقاف العامة ببغداد رقم (٢٤٥٦) (٤) .

٥٩- ما وقع في القرآن من أسماء البقاع والجبال : وهذا الكتاب منتزع أيضاً من الإتقان من النوع التاسع والستين « ما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب . . » (٥) . يوجد منه نسخة في دار الكتب الظاهرية رقم (٨٧٢٢) (٦) .

(١) فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة ٤٩ ، والمستدرک الثاني : ٢٣ ، ومكتبة الجلال السيوطي ٣٠٥ ، ودليل المخطوطات : ٤١ .

(٢) كشف الظنون : ١٧١٥ ، مكتبة الجلال السيوطي : ٣٥٦ ، دليل المخطوطات : ٤٣ وقد ذكر هذا الكتاب الداودي في طبقات المفسرين : ٣٠٠ / ١ ، وانظر كشف الظنون : ٥٢ .

(٣) فهرس مخطوطات الموصل : ١٣٩ / ٦ ، وانظر دليل مخطوطات السيوطي : ٤٥ .

(٤) الجبوري ، فهرس مخطوطات الأوقاف العامة ، بغداد : ١٠٦ / ١ .

(٥) الإتقان : ١٠٦١ / ٢ وقد نظمها السيوطي في أبيات ضمن كتاب قلائد الفوائد وشوارد الفرائد قال فيها : (البسيط) :

وَفِي الْقُرْآنِ مِنْ أَسْمَاءِ الْبِقَاعِ أَتَى بَدْرُ حُتَيْنٍ وَمِضْرٌ ، ثُمَّ الْإِخْفَافُ

مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم (٦٧٣١) ق : ٦ / أ .

(٦) ذكرها ماجد الذهبي في فهرس مخطوطات السيوطي في المكتبة الظاهرية : ص ٣ .

٦٠- قلائد الفوائد وشوارد الفرائد : وهي مجموعة أشعار من نظمه ، فيها ضوابط تتعلق بالقرآن الكريم وهي تسعة أبيات في حرف الهمزة ، وذكر في قافية الدال خمسة أبيات فيها جمع القراءات المتعلقة بقوله تعالى : ﴿وَعَبَدَ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة : ٦٠] وهي إحدى وعشرون قراءة .

قال في أولها : (الرمل)

(عَبَدَ الظَّالِمُونَ) فِيمَا نَقَلُوا فَوْقَ عِشْرِينَ قِرَاءَاتٍ تُعَدُّ

يوجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم (٦٧٣١) ق ب / ٢ .

هذا وقد طبع للسيوطي كتب على أنها كتب مستقلة ولكنها مستلة من بعض كتبه الأخرى منها :

أ - معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم ، وقد طبع بتحقيق عبد العزيز السيروان ويوسف بديوي في دار ابن هانئ للدراسات بدمشق سنة (١٩٨٨ م) وهو النوع الأربعون من الإتيقان .

ب - آية الكرسي : صدر بتحقيق يوسف البديري ، وطبع في دار الكتب العلمية بيروت وهو منتزع من الدر المنثور .

ج - آداب تلاوة القرآن وتاليه ، حققه فواز أحمد زمرلي ونشر في دار الكتاب العربي ، بيروت سنة (١٩٨٠ م) مع كتاب (أخلاق حملة القرآن) للآجري ، وهذا الكتاب منتزع من كتاب الإتيقان من النوع الخامس والثلاثين .

د - وهناك كتاب اسمه (متشابه القرآن) لم يرد ذكره في أي من كتب السيوطي أو كتب الفهارس الأخرى وأشار الزركلي والنبهان وعبد الجبار إلى أنه مطبوع^(١) ، ولم أقف على هذا الكتاب . ولعله هو نفسه معترك الأقران ،

(١) الأعلام : ٣/ ٣٠٢ وذكر النبهان وعبد الجبار أنه طبع بمكة سنة ١٣١١ هـ انظر فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة : ٤٩ ، وذخائر التراث العربي الإسلامي : ١/ ٦٠١ وكذا عند سركيس في معجم المطبوعات العربية : ١٠٨٣ .

إذ لم يرد له ذكر في كتابه الإتقان في أثناء الكلام على المحكم والمتشابه .
ومما تجدر الإشارة إليه ما نسب خطأ إلى السيوطي في دليل مخطوطات
السيوطي وأماكن وجودها في كتاب « التنبيه على اللحن الجلي والخفي في
القرآن والألفاظ المستكرهة »^(١) وأشار صانعا الدليل إلى أنه يوجد منه نسخة
في المكتبة الظاهرية ، وهذا الكتاب ليس للسيوطي وإنما لمؤلف آخر اسمه أبو
الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي السعيد الحذاء (ت ٤١٠هـ /
١٠١٩م)^(٢) .



-
- (١) دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها : ص ٣٥ .
(٢) عزة حسن ، فهرس دار الكتب الظاهرية ، علوم القرآن (ط . مجمع اللغة العربية
بدمشق : ١٩٦٢م) ١ / ١٤٦ .

الفصل الثاني

التعريف بأهم مؤلفاته في التفسير

- ١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .
- ٢- تكملة تفسير جلال الدين المحلي « المعروف بالجلالين » .
- ٣- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار « حاشية على تفسير البيضاوي » .

التعريف بأهم مؤلفاته في التفسير

تمهيد :

رأيت - فيما سبق - أن السيوطي كان من المكثرين في التأليف ، وقد ترك لنا كمّاً هائلاً من المؤلفات في فن التفسير وتعلقاته تجاوزت الخمسين ، وإذا دقت النظر في سبب كثرة هذه المصنفات فإنك تجدها ترجع إلى عاملين :

الأول : أن كثيراً من هذه المؤلفات عبارة عن رسائل صغيرة ، قد لا تتجاوز الورقة الواحدة (كالقذاذة في تحقيق محل الاستعاذة)^(١) ، و (قطف الثمر في موافقات عمر)^(٢) وغيرها من المسائل والرسائل المثورة ضمن الحاوي .

كما تجد أن بعضاً من مصنفاته في علوم القرآن مضمّن في كتاب جامع كالإتقان مثلاً ، فقد أشار فيه إلى كثير من مؤلفاته المتفرقة بل ضمّنه أحياناً الكتاب كله^(٣) ، أو جلّه^(٤) ، أو خلاصته^(٥) ، بل يمكنني القول : إن كتاب الإتقان حوى أكثر كتب السيوطي في علوم القرآن فكان السيوطي كتب رسائل متفرقة في علوم القرآن ثم جمعها في كتابه (الإتقان) والذي يظهر لنا من عنوانه

(١) ضمن الحاوي : ٣٩٧/١ .

(٢) الحاوي : ٣٧٧/١ .

(٣) كالتاسخ والمنسوخ ، النوع السابع والأربعون ، الإتقان : ٧٠٠/٢ .

(٤) كمفحّمات الأقران ضمنه النوع السبعين من الإتقان : ١٠٨٩/٢ .

(٥) كأسباب النزول النوع التاسع : ٩٢/١ ، وكذلك النوع الثامن والثلاثون من الإتقان : ٤٢٧/١ فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب فهو خلاصة كتاب المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب .

أنه قصد فيه الشمول والاتساع ليضم مختلف المؤلفات الأخرى .

وكذلك الشأن فيما يتعلق بكتابه (أسرار التنزيل) أو (قطف الأزهار في كشف الأسرار) فقد ضمّنه أيضاً الكثير من الأنواع التي أفردها بالتأليف بمناسبة الآيات والسور^(١) ، وغيرها من أنواع علوم القرآن^(٢) .

الثاني : - ما ذكرته - سابقاً - من أن السيوطي كان يهدف إلى تكوين مدرسة ثقافية متكاملة للفنون العلمية التي يتناولها بالبحث ، وضربت مثلاً على ذلك كتبه في علوم القرآن فكل مجموعة منها تمثل فناً متكاملاً بحيث تكون في مجموعها مكتبة تفسيرية كاملة فكتبه في علوم القرآن - إذاً - يكمل بعضها بعضاً . وقد أفصح السيوطي عن هذه الحقيقة بوضوح في مقدمة كتابه أسرار التنزيل - الذي سأتكلم عنه بالتفصيل فيما بعد - إن شاء الله تعالى .

من هنا فإني لا أرى ضرورة للتعريف بكل مؤلفات السيوطي في التفسير وعلوم القرآن ، ذلك لأن بعضاً من هذه المؤلفات إما رسائل صغيرة ما زالت مخطوطة أو مفقودة أو أنه ضمنها في كتاب آخر . ولهذا فسأتناول في هذا الفصل التعريف بأهم كتبه وأشملها .

أما التفسير ، فهو علم قائم بذاته ، خارج عن موضوع بحثي ، ولكن لا بد من الإشارة إلى أهم مؤلفاته في التفسير والتعريف بها وذلك لكون علوم القرآن خادمة لتفسير كتاب الله العزيز ومقدمة له ، ومن هنا فقد تكلم كثير من المفسرين عن علوم القرآن في مقدمات تفاسيرهم كابن جرير الطبري وابن عطية ، والقرطبي ، وابن جزّي ، والطاهر بن عاشور وغيرهم ، بل إن

(١) انظر النوع الثاني والستين في الإتيان : ٩٧٦/١ .

(٢) كالنوع الثالث والستين في الآيات المشتبهات : ٩٩٥/١ ، والنوع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والعشرين في معرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج فيقول في آخره (وقد اعتنيت في كتاب « أسرار التنزيل » ببيان كل قراءة أفادت معنى زائداً على القراءة المشهورة) . الإتيان : ٢٥٥/١ .

السيوطي - نفسه - وضع كتابه (الإِتقان) مقدمة للتفسير الذي كان ينوي تأليفه^(١) .

ولذلك فسأتعرض الآن بالتعريف لأهم كتبه في التفسير وهي :

١- الدر المنثور في التفسير بالمأثور .

٢- تكملة تفسير جلال الدين المحلي (المعروف بالجلالين) .

٣- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية على تفسير البيضاوي) .

* * *

(١) انظر الإِتقان : ١٢٣٧/٢ .

الدر المنثور في التفسير بالمأثور

يعد هذا الكتاب من أشهر كتب التفسير بالمأثور بل يمكن أن نعهه الكتاب الوحيد في باب^(١) والتفسير المأثور : هو تفسير القرآن الكريم وتوضيح معانيه بما ورد في القرآن الكريم نفسه وبما نقل عن الرسول ﷺ ، وما نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم ، أو التابعين على خلاف بين العلماء في ذلك^(٢) .

وقد طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة منها الطبعة الأولى بالقاهرة (المطبعة الميمنية) سنة (١٣١٤هـ / ١٨٩٦م) في ستة أجزاء . وبهامشه تنوير المثباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي .

وأعيد تصويره عن هذه الطبعة عدة مرات ، ثم طبع طبعة محققة بإشراف دار الفكر في بيروت سنة (١٩٨٣م) في ثمانية أجزاء وبلغت عدد صفحاته (٥٧٣١) صفحة . ثم أعيد طبعه في دار الكتب العلمية ، بيروت سنة (١٩٩١م) في ستة مجلدات .

وقد أعدّ عمر بن غرامة العمروي فهرساً لأحاديثه سماه « فهرس أحاديث الدر المنثور في التفسير بالمأثور » وصدر عن دار عالم الكتب بالرياض سنة (١٤٠٨هـ) ويقع في (٥١٨) صفحة .

(١) محمد حسين الذهبي ، التفسير والمفسرون (ط ٢) . نشر دار الكتب الحديثة ، مصر : ١٩٧٦م / ٢٥٤/١ .

(٢) الذهبي ، التفسير والمفسرون : ١٥٢/١ ، وقارن بما ذكره أحمد عمر هاشم في (المحدثون في مصر والأزهر) (ط مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م) ص ٢٩٧ ، والزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن (ط عيسى البابي الحلبي ، مصر ، د . ت) ١ / ٤٨٠-٤٨١ .

وذكر في مقدمته بأنه بصدد إعداد فهرس آخر لآثاره^(١) . وهذا الكتاب هو اختصار لكتابه الكبير (ترجمان القرآن في التفسير المسند) فلما رأى قصور الهمم عن إدراكه وتحصيله ، ورغبة الناس في الاختصار والاختصار لخص من كتابه (ترجمان القرآن) (الدر المنثور) ، وقد أشار السيوطي إلى كتابه (ترجمان القرآن) في آخر كتاب (الإتيقان) ، وفي مقدمة كتابه (الدر المنثور) وأشار إليه أيضاً في مقدمة كتابه (أسرار التنزيل) المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) فقال : - في آخر كتاب (الإتيقان) في النوع الثامن والسبعين ، في معرفة شروط المفسر وآدابه - : « وقد جمعت كتاباً مسنداً فيه تفاسير النبي ﷺ والصحابة ، فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف ، وقد تم والله الحمد في أربع مجلدات وسميته : (ترجمان القرآن)^(٢) .

وقال - في مقدمة كتابه (أسرار التنزيل) « وبعد فإن الله سبحانه - وله الحمد - قد منَّ عليَّ بالنظر في علوم القرآن وحقائقه ، وتتبع أسرارهِ ووقائعه حتى صنف في تعلقاته كتباً شتى منها التفسير الملقب (ترجمان القرآن) ، وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله ﷺ وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل وسمعوا منه التفسير والتأويل وقد تمَّ والله الحمد - في خمس مجلدات ، وهو مستوعب بغالب آيات القرآن من غير أن أذكر فيه شيئاً عن التابعين ، ولا من بعدهم »^(٣) .

وقد أشار إلى هذا الكتاب أيضاً في كتابه تدريب الراوي فقال : « قد اعتنيت

(١) عمر بن غرامة العمري ، فهرس أحاديث الدر المنثور (ط . دار عالم الكتب ، الرياض : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ص ٧ وأراد بالآثار ما ورد في الكتاب عن الصحابة والتابعين .

(٢) الإتيقان : ١٢١٧/٢ ، وقد ذكر أنه رأى النبي ﷺ في أثناء تصنيفه في المنام ، فكانت بشارة حسنة .

(٣) أسرار التنزيل أو (قطف الأزهار في كشف الأسرار) مخطوط محفوظ في المكتبة السلمانية باستانبول رقم (٤٩) مراد بخاري ، ق : ١/٢ .

بما ورد عن النبي ﷺ في التفسير ، وعن أصحابه ، فجمعت في ذلك كتاباً حافلاً ، في أكثر من عشرة آلاف حديث ^(١) .

ولما رأى السيوطي قصور الهمم عن تحصيل كتابه (الترجمان) بسبب طول الأسانيد ، اختصره في كتابه (الدر المنثور) .

وقد بين ذلك بوضوح في مقدمة (الدر المنثور) فقال : « فلما ألفت كتاب (ترجمان القرآن) ، وهو التفسير المسند عن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وتم - بحمد الله - في مجلدات ، فكان ما أورده فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات ، ورأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله ، ورغبتهم في الاختصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله ، فلخصت منه هذا المختصر ، مقتصراً فيه على متن الأثر ، مُصَدِّراً بالعزو والتخريج إلى كل كتاب معتبر ، وسميته (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) ^(٢) . وكان الفراغ منه سنة (٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م) ^(٣) فالسيوطي إذاً : اختصر كتابه هذا من كتابه المسند (ترجمان القرآن) وحذف أسانيد الروايات خشية السآمة والملال وعزا كل رواية إلى أصلها ومرجعها . ويُعدّ هذا الكتاب من كتب التفسير بالمأثور الخالص ، فلا يوجد فيه استنباط ، ولا إعراب ولا نكت بلاغية ، ولا محسنات بديعية كالتي ذكرها في كتابه (مجمع البحرين ومطلع البدرين) ^(٤) بل اقتصر فيه على سرد الروايات عن السلف دون أن يخلط فيها شيئاً من عمل الرأي ، أو يعقب عليها ، فلا يجرح ولا يضعف ولا يصحح

(١) تدريب الراوي ، ص : ١٩٤ .

(٢) السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ط دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٣ م) ٩/١ .

(٣) لجنة من علماء الزيتونة ، برنامج المكتبة العبدلية والصادقية (ط المطبعة الرسمية تونس : ١٣٢٦ هـ) ٧٧-٧٦/١ .

(٤) انظر الإنقان : ١٢٣٧/٢ .

فهو كتاب جامع فقط لما يروى عن النبي ﷺ وأصحابه في التفسير^(١) ، ولكنه مع ذلك لم يخل من نقده لبعض الروايات ، بما يدل على إمامته وتمكنه في علم الجرح والتعديل ، فهو أحياناً يذكر السند ويعلق عليه بالصحة أو الحسن أو الضعف ، أو بعبارات أخرى معروفة عند أهل الحديث^(٢) . فمن الأمثلة التي وردت في كتابه وعلق عليها بصحة الأسانيد قوله :

- أخرج الطبراني وابن مردويه بسند صحيح عن عقبة بن عامر رضي الله عنه^(٣) .
- وأخرج البزار وابن مردويه والبيهقي بسند لا بأس به عن الضحاك بن قيس^(٤) .
- وأخرج الطبراني وأبو الشيخ في العظمة ، والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن عن ابن عباس^(٥) .
- وأخرج أبو داود والنسائي والطبراني بسند جيد عن أبي أمامة .^(٦)
- وأخرج أبو الشيخ وابن مندة وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر بسند قوي عن جابر بن عبد الله .^(٧)

(١) انظر محمود النقراشي السيد علي، مناهج المفسرين، نشر مكتبة النهضة، القصيم، بريدة (٩١/١)، وقارن بالتفسير والمفسرون: ٢٥٣/١-٢٥٤.

(٢) ذكر عبد الله الصديق الغماري في كتابه (بدع التفاسير) «أن السيوطي مع كونه التزم ألا يذكر في كتابه هذا حديثاً واهياً أو موضوعاً، لكنه لم يف بما التزم به» انظر عبد الله الصديق الغماري، بدع التفاسير (ط٢، دار الطباعة المحمدية، القاهرة: ١٩٦٥م) ص ١٦٠، ولا أدري من أين نقل هذا الالتزام عن السيوطي، إذ لم يصرح السيوطي بمثل هذا الكلام لا في مقدمته القصيرة على (الدر المنثور) والتي لا تتجاوز بضعة أسطر ولا في أي موضع آخر تحدث فيه عن هذا الكتاب.

(٣) الدر المنثور: ٣٩٧/٤، وانظر ٦٥/٦.

(٤) م. ن. ٤٧٢/٥.

(٥) م. ن. ٢٢٦/١.

(٦) م. ن. ٤٧٢/٥ وانظر: ٢١٥/١.

(٧) م. ن. ٢٧٨/٤.

- وأخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . . (١) .
- ومن الأمثلة التي وردت في كتابه وعلّق عليها بضعف الأسانيد :
- أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس . . (٢) .
- وأخرج النجّاد (٣) في جزء التراجم بسند ضعيف جداً عن ابن عمر . . (٤) .
- وأخرج الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية بسند وإٍ عن أبي هريرة . . (٥) .
- وأخرج الطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسند لّين عن ابن عباس . . (٦) .
- وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه من لا يعرف من طريق خالد بن عرعة . . (٧) .
- وأخرج ابن عساكر بسند فيه مجاهيل عن عائشة . . (٨) .
- إلى غير ذلك من الألفاظ التي استخدمها بالإشارة إلى ضعف السند فمثلاً

(١) الدر المنثور : ٦٥/٦ .

(٢) م . ن : ٢٢٦/١ ، وانظر ٢٤٩/١ ، و ٢٤٧/٧ .

(٣) وقع اسمه في نسختي الدر المنثور (الطبعة الميمية) و (طبعة دار الفكر) : « البخاري » وهو تحريف واضح ، والنجّاد هو أبو بكر أحمد بن سليمان (ت : ٣٤٨هـ / ٩٥٩م) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد : ٤ / ١٨٩ ، والرسالة المستطرفة : ص ٣٦ ، والأعلام : ١٣١/١ .

(٤) الدر المنثور : ٤٨٧/١ .

(٥) م . ن : ٢٢٩/١ .

(٦) م . ن : ٢٥٣/٧ .

(٧) م . ن : ٧٥٧/١ .

(٨) م . ن : ٢٣٧/١ .

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ [البقرة : ١١٩] . قال : « أخرج وكيع وسفيان بن عيينة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن محمد بن القرظي قال : قال رسول الله ﷺ « ليت شعري ما فعل أبوي » فنزل ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله « هنا يعلق السيوطي على ذلك بقوله قلت : هذا مرسل ضعيف الإسناد .

وأخرج ابن جرير عن داود بن أبي عاصم : أن النبي ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ : « أَتَيْنَ أَبَوَايَ ؟ » فنزلت ويعلق السيوطي هنا بقوله : قلت : « والآخر معضل الإسناد ضعيف لا يقوم به ولا بالذي قبله حجة »^(١) .

ولا ننسى موقف السيوطي من هذه المسألة وقوله بنجاة أبوي المصطفى ﷺ ، وقد وضع في ذلك ستة كتب سبقت الإشارة إليها .

وإذا كان في المسند راو مشهور بالضعف فالسيوطي غالباً لا ينتبه على ذلك بل يترك الكلام عنه اعتماداً على شهرته فمن ذلك قوله : وأخرج الثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . .^(٢) .

- وأخرج ابن عساكر من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس . .^(٣) .

- وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس . .^(٤) .

(١) الدر المنثور : ٢٧١/١ .

(٢) م . ن : ٣٥٧/١ . ومن المعلوم أنه يطلق على هذه السلسلة « سلسلة الكذب » . قال السيوطي في الإتيان : ١٢٣٢/٢ « وأوهى طرقه - أي طرق ابن عباس - طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب » .

(٣) الدر المنثور : ٢١٢/١ ، قال السيوطي في الإتيان : ١٢٣٣/٢ « جوير : شديد الضعف متروك » . اهـ والضحاك لم يدرك ابن عباس . انظر ميزان الاعتدال ، تحقيق علي البجاوي ، (ط دار المعرفة بيروت : د . ت) ٣٢٦/٢ .

(٤) الدر المنثور : ٣٣١/٥ ، والعوفي . هو عطية بن سعد بن جنادة الكوفي ، قال ابن =

إلى غير ذلك من الأسانيد التي اشتهر بعض رواتها بالضعف كالواقدي ،
والكُديمي ، وعبد الكريم بن أبي المخارق ، وغيرهم^(١) .

وأحياناً نجد السيوطي ينقل عن بعض أئمة الجرح والتعديل تصحيح الرواية
أو تضعيفها فمن ذلك قوله :

- وأخرج الحاكم وصححه وضعفه الذهبي^(٢) .

- وأخرج البيهقي وضعفه^(٣) .

- وأخرج الدارقطني وصححه^(٤) .

- وأخرج العقيلي وضعفه^(٥) .

- وأخرج الترمذي وحسنه^(٦) .

- وأخرج ابن عبد البر وضعفه^(٧) .

- قال ابن كثير : هذا الموقوف أصح . قال الحفاظ : في جميع الأحاديث
المرفوعة في هذا الباب وعدتها نحو عشرين حديثاً كلها ضعيفة لا يصح منها
شيء ، والموقوف منها هو الصحيح . وقال الحفاظ ابن حجر في ذلك : منكر
لا يصح من وجه ، كما صرح بذلك البخاري والبخاري والنسائي وغير واحد^(٨) .

= حجر في تقريب التهذيب ٣٩٣ : « صدوق يخطيء كثيراً ، وكان شيعياً مدلساً » وقال
السيوطي في الإتقان : ١٢٣٣/٢ « والعوفي : ضعيف ليس بواه . » .

(١) انظر الدر المنثور : ٢١/٦ ، ١٠٦/٧ ، ٦٦٨/٨ .

(٢) م . ن : ١٩٦/٨ .

(٣) م . ن : ١٩٣/١ .

(٤) م . ن : ٤٦٤/١ .

(٥) م . ن : ٤٤٦/١ .

(٦) م . ن : ١٣٩/٣ .

(٧) م . ن : ٦٣٥-٦٣٤/١ .

(٨) م . ن : ٦٣٥-٦٣٤/١ .

والسيوطي عند ذكره للآثار والروايات في كتابه ينص على الكتاب الذي ينقل عنه فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَدَعَنَا﴾ الآية [البقرة : ١٠٤] .

قال : « أخرج ابن المبارك في الزهد وأبو عبيد في فضائله وسعيد بن منصور في سننه وأحمد في الزهد وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس . . (١) » .

وهو يتتبع الروايات في مظانها ، ويقوم باستيعابها واستقصائها ولا يكتفي بذكر تخريج واحد للرواية ، بل ينقل كل ما ورد فيها من آثار حتى يجعل من الآية الواحدة موسوعة كبيرة للآثار الواردة فيها ، فقد ذكر لقوله تعالى : ﴿حَفِظُوا عَلَى الصُّلُوكِ وَالصُّلُوكِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة : ٢٣٨] . (٢٧٥) خمسة وسبعين ومثني أثر (٢) .

وهو في الأثر الواحد يكثر من ذكر المصادر التي أخرجت الرواية فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران : ١٣٥] .

يقول : « أخرج : ١- الطيالسي ٢- وأحمد ٣- وابن أبي شيبة ٤- وعبد بن حميد ٥- وأبو داود ٦- والترمذي ٧- والنسائي ٨- وابن ماجه ٩- وابن حبان ١٠- والدارقطني ١١- والبزار ١٢- وابن جرير ١٣- وابن المنذر ١٤- وابن أبي حاتم ١٥- والبيهقي في الشعب عن أبي بكر الصديق . . » (٣) .

فقد ذكر في هذا الأثر خمسة عشر مصدراً ، مما يدل على تمكنه وسعة اطلاعه .

(١) الدرالمثور : ٢٥٢/١ .

(٢) م . ن : ٧٠٢-٧٣٥ .

(٣) م . ن : ٣٢٧/٢ .

وأما طريقته في إيراد المخرجين للآثار ، فقد وجدت السيوطي يعتمد في ترتيبهم على تاريخ وفياتهم ، فهو يقدم الأقدم وفاة على غيره غالباً ، فمثلاً في الأثر السابق قدّم الطيالسي (ت ٢٠٥هـ / ٨١٩م) على الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) وكذلك الشأن بالنسبة للإمام الشافعي ومن في طبقتهم يقدمهما على البخاري ومسلم فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ يَكَلِّهَ الصَّيَاحُ... ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال :

« وأخرج مالك والشافعي وابن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي .. »^(١) فهو قدّم الإمام مالكا (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م) والشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨٢٠م) وابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ / ٨٤٩م) على الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م) ومسلم (ت ٢٦١هـ / ٨٧٤م) والترمذي (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) وإذا اجتمع في الأثر الواحد ابن جرير وابن أبي حاتم فهو دائماً يقدم ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) على ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨م) وقد يشذ عن ذلك نادراً .

طريقة السيوطي في تفسيره

ذكرت فيما سبق أن السيوطي اعتمد في كتابه الدر المنثور على ما ورد من روايات عن السلف الصالح في تفسير القرآن الكريم ، فقد قام السيوطي بجمع هذه الروايات وسردها دون أن يعقب عليها بشيء غالباً ، ولهذا فإن (الدر المنثور) هو الكتاب الوحيد الذي اقتصر على التفسير المأثور - كما سبق - .

وبعد النظر في هذا الكتاب والتمعن فيه ، وجدت السيوطي قد سار في كتابه هذا على طريقة معينة ، وخطة مدروسة ، ومنهج واضح ومحدد ، وضعه لنفسه - وإن لم يصرح به في مقدمة كتابه - هو :

(١) الدر المنثور : ٤٨٣ / ١ .

- ١- يذكر مكان نزول السورة ، وهل هي مكية أو مدنية ؟ .
- ٢- ثم يذكر ما ورد فيها من فضائل .
- ٣- وبعد ذلك يقسم السورة إلى مقاطع ، فيذكر الآية أو الآيتين في السور المدنية الطوال ، أو مجموعة من الآيات في السور المكية القصار .
- ٤- ثم يفسر الكلمة أو الجملة مبيناً فيها :
 - أ- سبب النزول إن ورد .
 - ب- القراءات : إن ورد فيها قراءات .
 - ج- الناسخ والمنسوخ .
 - د- شرح غريب اللفظ ومبهم العبارات .
 - هـ - إذا كانت الآية تتضمن أحكاماً فقهية ، فإنه يذكر ما ورد فيها من أحكام . معتمداً في بيان ذلك على ما ورد فيها من روايات وآثار ، دون تعليق أو تعقيب أو ترجيح في غالب الأحيان .
- هذا هو باختصار منهجه في كتابه ، وسأوضح ذلك بالأمثلة ففي أوائل سورة البقرة مثلاً قال السيوطي :

« أخرج ابن الضريس في فضائله ، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال : « نزلت بالمدينة سورة البقرة » .

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال : « أنزل بالمدينة سورة البقرة وذكر بقية الآثار في مدنية السورة »^(١) .

ثم تحدث عن فضائلها فقال :

وأخرج أبو عبيد وأحمد وحמיד بن زنجويه في فضائل القرآن ومسلم وابن

(١) الدر المنثور : ٤٧-٤٦/١ .

الضريس وابن حيان والطبراني وأبو ذر الهروي في فضائله والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه . اقرؤوا الزهراوين سورة البقرة وسورة آل عمران ، فإنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَبَابَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فَرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا ، اقرؤوا سورة البقرة فإنَّ أخذَهَا بركةً وتركها حسرةً ، ولا تستطيعها البطلة » (١) .

وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه ومسلم والترمذي ومحمد بن نصر عن نواس بن سمعان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدَمُهُمْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ ، قَالَ : وَضُرِبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ ، مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدَ قَالَ : كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَبَابَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا ظِلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْفٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا ، فَرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا » (٢) .

ثم ذكر بقية الآثار الواردة في فضائل سورة البقرة وبلغ عددها (٦٠) أثر^(٣) .

ثم بدأ تفسير الآيات وقسم الآية إلى مقاطع فقال : قوله تعالى : ﴿الْعَمَلِ﴾ [البقرة : ١] .

« وأخرج وكيع وعبد بن حميد عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يعد (آلم) آية و(حم) آية » .

« أخرج البخاري في تاريخه والترمذي وصححه وابن الضريس ومحمد بن نصر وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو ذر الهروي في فضائله والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن مسعود قال : قال

(١) الدر المنثور : ٤٧/١ . والبطلة : السحرة [النهاية : ١٣٦/١] .

(٢) م . ن : السابق .

(٣) م . ن : ٥٥-٤٨/١ .

رسول الله ﷺ : مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا . لَا تَقُولُ (أَلَمْ) حُرُوفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلَا مٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ « (١) .

ثم ذكر الآثار في بيان المراد بالحروف المقطعة فبلغت (٢٨) أثراً (٢) .

ثم قال : قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢] .

« أخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد قال : من أول البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين ، ومن أربعين آية إلى عشرين ومئة في بني إسرائيل » .

وأخرج وكيع عن مجاهد قال : هؤلاء الآيات الأربع في أول سورة البقرة إلى (المفلحون) نزلت في نعت المؤمنين ، واثنان من بعدها إلى (عظيم) نزلت في نعت الكافرين ، وإلى العشر نزلت في المنافقين (٣) .

ثم بدأ يشرح الآية بما توافر لديه من الآثار مستعيناً بتوضيح غريب اللفظ بمسائل نافع بن الأزرق لابن عباس فقال :

أخرج ابن جرير والحاكم وصححه عن ابن مسعود (أَلَمْ) حرف اسم الله (و) (الكتاب) القرآن ، (لَا رَيْبَ فِيهِ) لا شك فيه .

وقد توقف عند كلمة (لَا رَيْبَ) وذكر خمسة آثار في بيان معناها وأنه الشك منها قوله : وأخرج الطستي في مسائل ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قوله عز وجل : (لَا رَيْبَ فِيهِ) قال لا شك فيه قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم . أما سمعت ابن الزبعرى وهو يقول :
(الخفيف) :

(١) م . ن : ٥٥ / ١ .

(٢) م . ن : ٥٩-٥٥ / ١ .

(٣) م . ن : السابق .

لَيْسَ فِي الْحَقِّ يَا أَمَامَهُ رَيْبٌ إِنَّمَا الرَّيْبُ مَا يَقُولُ الْكَذُوبُ^(١)
ثم قال : قوله تعالى : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

أخرج وكيع وابن جرير عن الشعبي في قوله (هدى) قال : من الضلالة .
وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود في قوله (هدى) قال : نور (للمتقين)
قال : هم المؤمنون .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير وأبي حاتم عن ابن عباس في قوله : (هدى
للمتقين) أي الذين يحذرون من أمر الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ،
ويرجون رحمته في التصديق بما جاء منه^(٢) .
ثم ذكر بقية الآثار وعددها (٢٨) أثراً^(٣) .

وإذا كان للآيات قراءات فإنه يذكرها غالباً فمثلاً في هذه الآيات من أوائل
سورة البقرة عند قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ أَنْصَرِهِمْ عِشْوَةً ﴾ [البقرة : ٧] قال :
« أخرج سعيد بن منصور عن الحسن وأبي رجاء قرأ أحدهما (غشاوة)
والآخر (غشوة) »^(٤) .

أما إذا كانت الآيات فيها ناسخ أو منسوخ فإنه يذكره أيضاً فمن ذلك قوله
عن قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] قال :
« أخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾
[البقرة : ٤] قال : كانت النفقات قرباناً يتقربون بها إلى الله على قدر ميسورهم

(١) الدر المنثور : ٦٠/١ ، ومسائل نافع بن الأزرق مثورة في كل كتابه انظر على سبيل
المثال : ٦٥-٦٤/١ ، ٧٦-٧٥ ، ٨٠-٧٩ ، ٨٨-٨٧ ، ٣٤٠/٢ ، ٣٦٠ ، ٦/٣ ،
٢٠ ، ٥٦٨/٤ ، ٥٧١ ، ٤٥/٨ .

(٢) م . ن . : السابق .

(٣) م . ن . : ٦٤-٦٠/١ .

(٤) م . ن . : ٧٣/١ وانظر : ٨٤-٧٩/١ ، ٤٣٢ ، ٣٥٠/٢ ، ٢٩٦/٣ ، ٥٢٠-٥١٩/٤ ،
٥٩٦/٥ إلخ .

وجهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات في سورة براءة هن الناسخات المبينات «^(١) .

وأما عرضه للأحكام الفقهية فمن خلال ما يتعلق بالآيات من أخبار دون أن يعلق على شيء منها بترجيح أو تصويب أو تضعيف .

فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] ذكر آثاراً كثيرة في حكم السعي بين الصفا والمروة ، ولم يبدء بالصفا قبل المروة . فمن ذلك قوله :

« أخرج سعيد بن منصور والحاكم وصححه عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال : أبدأ بالصفا قبل المروة ، وأصلي قبل أن أطوف ، أو أطوف قبل ، وأحلق قبل أن أذبح ، أو أذبح قبل أن أحلق ؟ فقال ابن عباس : خذوا ذلك من كتاب الله فإنه أجدر أن يحفظ ، قال الله : ﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] فالصفا قبل المروة ، وقال : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ [البقرة : ١٩٦] فالذبح قبل الحلق ، وقال : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج : ٢٦] والطواف قبل الصلاة » .

ومن جملة ما ذكره من آثار أيضاً حول ذلك قوله : « وأخرج الشافعي وابن سعد وأحمد وابن المنذر وابن قانع والبيهقي عن حبيبة بنت أبي بخران قالت : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى ، حتى أرى ركبتيه من شدة السعي يدور به إزاره ، وهو يقول : « اسْعُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ »^(٢) .

وعند قوله تعالى : ﴿ فِسَاوُكُمْ حَرْثَ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] ذكر في هذه الآية أربعة أقوال ، وأورد تحت كل قول عدداً كبيراً من الآثار^(٣) ، من غير أن يرجح

(١) الدر المنثور : ٦٨/١ . وانظر ٦٠٦-٦٠٧/٢ و ٤٥٥/٥ ، ١٧٩/٥ ، ٢٠٤/٨ إلخ .

(٢) م . ن . ٣٨٧/١ .

(٣) بلغت مجموعها (١١٦) أثر .

بينها^(١) ، هذه هي طريقته في التفسير في هذا الكتاب ، مثال آخر :
 في تفسيره لسورة طه نرى أنَّ السيوطي طبق منهجه الذي رسمه لنفسه في
 هذه السورة بشكل واضح .

فقد بدأ تفسير السورة ببيان مكان نزولها فقال :
 « أخرج النحاس وابن مردويه ، عن ابن عباس قال : نزلت سورة (طه)
 بمكة .

أخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال : نزلت سورة (طه) بمكة^(٢) .
 ثم ذكر الآثار الواردة في فضائلها فمنهما قوله :

أخرج الدارمي وابن خزيمة في التوحيد ، والعقيلي في الضعفاء والطبراني
 في الأوسط وابن عدي وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب ، عن أبي هريرة
 قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَرَأَ طه وِيس ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفِي عَامٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ : طُوبَى
 لَأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهَا هَذَا ، وَطُوبَى لَأَجْوَابٍ تَحْمِلُ هَذَا وَطُوبَى لَأَلْسِنَةٍ تَتَكَلَّمُ
 بِهَذَا » .

ثم ذكر ثلاثة آثار أخرى في معنى ذلك^(٣) .

ثم ذكر بعد ذلك عدة آيات من أوائل السورة إلى إحدى عشرة آية منها وبدأ
 يفسرها آية آية مراعيًا في بيانها أسباب النزول وأكثر من ذكر ذلك فقال :

أخرج ابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان ، عن ابن عباس
 أن النبي ﷺ أول ما أنزل عليه الوحي ، كان يقوم على صدور قدميه إذا صلى ،

(١) انظر الدر المنثور : ٦٤١-٦٢٦/١ . وانظر الآثار التي ذكرها حول مسألة بيع
 المصاحف : ٢٠٦-٢٠٥/١ وجعلها تحت عنوان : « ذكر من رخص في بيعها
 وشرائها » .

(٢) الدر المنثور : ٥٤٨/٥ .

(٣) م . ن : السابق .

فأنزل الله : ﴿ طه ﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ طه : ٢٠١ ﴾ .

« أخرج ابن مردويه وابن جرير ، عن ابن عباس قال قالوا : لقد شقي هذا الرجل بربه ، فأنزل الله : ﴿ طه ﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿ طه : ٢٠١ ﴾ وفي أثناء التفسير يتعرض للقراءات الواردة في الآية فهنا يقول :

« وأخرج ابن مردويه والحاكم وصححه ، عن ذر قال : قرأ رجل على ابن مسعود (طه) مفتوحة فأخذها عليه عبد الله (طه) مكسورة فقال له الرجل : إنها بمعنى ضع رجلك . فقال عبد الله : هكذا قرأها النبي ﷺ ، وهكذا أنزلها جبريل »^(١) .

ثم يتكلم عن غريب اللفظ ويذكر الآثار الواردة في بيان معناه فهنا عند قوله تعالى (طه) ذكر عدة آثار في بيان معناها ، فمرة يقول هي بمعنى (يا رجل) ويأتي بالآثار الواردة في ذلك فيقول : « وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، عن ابن عباس في قوله : (طه) قال : يا رجل »^(٢) .

ثم يشير إلى أن هذه اللفظة مما وقع في القرآن من المعرّب ، مؤكداً رأيه الذي أفصح عنه في كتابه (الإتيقان)^(٣) و(المذهب فيما وقع في القرآن من

(١) م . ن : ٥٥١/٥ ، وانظر هذه القراءة « بكسر الطاء والهاء » والآخر في الحجة في القراءات السبع ، تحقيق عبد العال سالم مكرم (ط . دار الشروق ، بيروت : ١٩٧١م) ص : ٢٢٤ ، وهي قراءة حمزة والكسائي وأبو بكر ، انظر ابن زنجلة ، حجة القراءات ، تحقيق سعيد الأفغاني (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت . ١٩٨٤م) ص ٤٥٠ . ولمن أراد التوسع فليرجع إلى معجم القراءات القرآنية إعداد عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر (ط جامعة الكويت : ١٩٨٤م) ٦٧/٤-٦٩ والسيوطي وإن لم يكن من أئمة القراء ، إلا أنه يذكر الآثار ، الواردة في القراءات ، فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى ﴾ قال : « أخرج عبد حميد ، عن عاصم أنه قرأ (طوى) برفع الطاء وينون فيها » . الدر المنثور : ٥٦٠/٥ وانظر أيضاً : ٥٦٣/٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٨٥ ، ٥٩٦-٥٩٧ ، ٦٠٢ ، ٦١٢ من هذه السورة .

(٢) م . ن : ٥٥٠/٥ .

(٣) ٤٢٨/١ .

المعرب»^(١) و (المتوكلي)^(٢) كما سيمر معنا إن شاء الله فيقول :

« أخرج الحارث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس في قوله (طه) بالنبطية أي (طا) يا رجل »^(٣) .

ويذكر في هذه اللغة خمسة آثار .

ثم يذكر أثراً في أن هذه الكلمة (سريانية) فيقول :

« أخرج ابن جرير ، عن ابن عباس قال (طه) يا رجل ، بالسريانية »^(٤) وهناك من قال إنها بلغة الحبشة فيقول :

« وأخرج الحاكم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : (طه) قال : هو كقولك يا محمد بلسان الحبش .

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله عنه في قوله (طه) قال : هو كقولك يا رجل : بلسان الحبشة »^(٥) .

ثم يذكر بقية المعاني حول هذه الآية فيقول :

« وأخرج ابن أبي حاتم ، عن أبي صالح في قوله (طه) قال : كلمة عزيت .

وأخرج عن مجاهد قال : (طه) فواتح السور إلخ »^(٦) .

وقد ذكرت سابقاً أن السيوطي يعتمد في بيان غريب الألفاظ على ما أخرجه

(١) السيوطي ، المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب ، تحقيق التهامي الراجي الهاشمي (ط . المغرب : د . ت) ص ٦٠ وما بعدها .

(٢) السيوطي ، المتوكلي فيما ورد في القرآن من اللغة الحبشية . . تحقيق عبد الكريم الزبيدي (ط . دار البلاغة ، بيروت : ١٩٨٨) ص : ٣٥ وما بعدها .

(٣) الدر المنثور : ٥٥٠ / ٥ .

(٤) م . ن . السابق .

(٥) م . ن . السابق .

(٦) م . ن . ٥٥١-٥٥٠ / ٥ .

ابن الأنباري والطستي في سؤالات نافع بن الأزرق لابن عباس ، وفي هذه السورة ذكر كثيراً من هذه المسائل فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿وَلَا تَلَيَّا فِي ذِكْرِي﴾ [طه : ٤٢] ذكر عدة آثار في أن معناها ولا تضعفا ثم قال :

« وأخرج الطستي ، عن ابن عباس : أن نافع بن الأزرق قال له أخبرني عن قوله - عز وجل - (وَلَا تَلَيَّا فِي ذِكْرِي) قال : وتضعفا عن أمري قال : وهل تعرف العرب ذلك؟ قال : نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول : (الكامل)

إِنِّي وَجَدْتُكَ مَا وَنَيْتُ وَإِنِّي أَبْغِي الْفَكَكَ لَهُ بِكُلِّ سَبِيلٍ^(١)

وأحياناً يستعين في بيان المعنى المراد بالشعر^(٢) ، فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه : ١٥] قال :

« وأخرج ابن أبي حاتم وابن الأنباري ، عن ورقاء قال : أقرأنيها سعيد بن جبير (أَكَادُ أُخْفِيهَا) يعني بنصب الألف وخفض الفاء . يقول : أظهرها ثم قال : أما سمعت قول الشاعر : (الخفيف)

دَأْبُ شَهْرَيْنِ ثُمَّ شَهْرًا دَمِيكَ مَا دَمِيكَيْنِ يُخْفِيَانِ عَمِيرًا^(٣)

وإذا كانت الآيات تتضمن أحكاماً فقهية فإنه يشير إلى ذلك من خلال الآثار والأسانيد المتوافرة لديه، ففي هذا المثال الذي ذكرته في سورة (طه) وعند قوله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه : ١٤] قال :

« وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبو داود وابن مردويه ،

(١) م . ن : ٥٧٩/٥ وانظر بعضاً من هذه المسائل في هذه السورة : ٥٩٨/٥ ، ٥٩٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨ إلخ .

(٢) انظر على سبيل المثال : ٦٤-٦٣/١ ، ٥٢٨ ، ٦٢٣/٢ ، ٥٠٥ ، ٥٤/٤ ، ١٠٠ ، ٤٥١/٥ ، ١٥٨/٦ ، ٤١٤ ، ٦٨٦ ، ٣٩-٤٠/٧ ، ٧٢-٧١ ، ٧٠٩ و٩١/٨ إلخ .

(٣) البيت لكعب كما في لسان العرب . ٤٢٤/٢ « دمك » ورد في الدر المنثور (٥٦٣/٥) : « دأت » وهو تحريف ، والشهر الدميك : التام .

عن أنس ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا رَقَدَ أَحَدُكُمْ عَنِ الصَّلَاةِ أَوْ غَفَلَ عَنْهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي »^(١) .

ثم ذكر آثاراً كثيرة منها :

(وأخرج الطبراني وابن مردويه ، عن عبادة بن الصامت قال : سئل رسول الله ﷺ عن رجل غفل عن الصلاة حتى طلعت الشمس أو غربت ما كفارتها؟ قال : « يتقرب إلى الله ويحسن وضوءه ويصلي فيحسن الصلاة ويستغفر الله فلا كفارة لها إلا ذلك » إن الله يقول : أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي)^(٢) إلى غير ذلك من الآثار الواردة في هذه الآية .

وعند حديثه عن موسى عليه السلام وقصته مع فرعون والسحرة عزج على حكم فقهيه في آخر القصة بهذا الأثر فقال : (وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه ، عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إِذَا أَخَذْتُمُ السَّاحِرَ فَاغْتُلُوهُ » ثم قرأ ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه : ٦٩] لا يأمن حيث وجد »^(٣) .

وهكذا يسير على هذه الطريقة في تفسيره للقرآن الكريم ، وهو في أثناء تفسيره لمثل هذه الآيات التي تحتوي على قصص الأنبياء والمرسلين والأمم الخالية ، نجده يحشد أكبر قدر لديه من الروايات الإسرائيلية^(٤) ، دون تعليق عليها أو تضعيف أو توهين أو حتى بيان رأي فيها وهذا ما سأحدث عنه الآن :

(١) الدر المنثور : ٥٦١/٥ .

(٢) م . ن : ٥٦٢/٥ .

(٣) م . ن : ٥٩٦/٥ .

(٤) انظر على سبيل المثال هذه الروايات في تفسيره لسورة (طه) عند ذكره لقصة موسى عليه السلام مع فرعون : ٥٥٨-٥٥٤/٥ ، ٥٧٩-٥٦٩/٥ ، ٥٩٢-٥٩٥ إلخ .

الإسرائيليات وموقف السيوطي منها

عرفت فيما سبق من خلال منهج السيوطي في كتابه أنه مغرم بالجمع وكثرة الرواية ، وأنه لم يتحرر الصحة فيما جمع أو نقل ، بل كان هدفه استيعاب وجمع أكبر قدر ممكن من الأسانيد ، ومن هنا فقد اشتمل على عدد كبير من الإسرائيليات ، وقبل الشروع في بيان موقف السيوطي من الإسرائيليات يجدر بي بيان معنى الإسرائيليات ، وحكم روايتها . فالمراد بالإسرائيليات : اللون اليهودي والنصراني من الثقافة والأخبار عن الأمم السابقة^(١) ، وهي تنقسم ثلاثة أقسام :

١- موافق لما في شريعتنا .

٢- ومخالف لها .

٣- ومسكوت عنه ، أي ليس في شرعنا ما يؤيده ، ولا ما يخالفه .

وخلاصة القول في ذلك : « أن ما جاء موافقاً لما في شرعنا صدّقناه ، وجازت روايته وما جاء مخالفاً لما في شرعنا كذبناه وحرمت روايته إلا لبيان بطلانه ، وما سكت عنه شرعنا توقفنا فيه ، فلا نحكم عليه بصدق ولا بكذب وتجوز روايته ، لأن غالب ما يروى من ذلك راجع إلى القصص والأخبار ، لا إلى العقائد والأحكام »^(٢) وعلى هذا القسم الثالث يحمل قوله عليه

(١) د . نور الدين عتر : الرواية عند السيوطي في تفسير الجلالين ، (بحث نشر في مجلة اللغة العربية بدمشق ، ج ٤ ، مع ٦٧ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) ص ٦٤٤ . وانظر : التفسير والمفسرون : ١٦٥ ، والإسرائيليات في التفسير والحديث : ١٩ .

(٢) ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق محمود محمد نصار (ط . مكتبة التراث ، القاهرة : ١٩٨٨ م) ص ٩٨ . وانظر محمد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث (ط . دار الإيمان ، دمشق : ١٩٨٥ م) ص ٤٩-٥١ . ورمزي نعناعة ، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ط دار القلم دمشق : ١٩٧٠ م) ص ٨٢ .

السلام : « لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ »^(١) وقد جمع السيوطي في كتابه كل ما وقع تحت يده من إسرائيليّات وروايات غريبة ؛ مما كان متناثراً في كتب من تقدمه من المفسرين ولا سيما الإمام الطبري الذي ينقل عنه السيوطي كثيراً ، وضمّن تفسيره معظم كتابه ، وكان السيوطي قد داوم على مطالعة هذا الكتاب وقراءته فيقول : « قد منّ الله عليّ بإدامة مطالعته والاستفادة منه ، وأرجو أن أصرف العناية إلى اختصاره وتهذيبه ليسهل على كل أحد تناوله إن شاء الله تعالى »^(٢) .

وتفسير الطبري فيه الكثير من الأخبار والقصص الإسرائيليات وكذلك الشأن في تفسير السيوطي فقد حشد فيه كماً هائلاً من الإسرائيليات مثل قصة هاروت وماروت^(٣) ، وقصة يوسف عليه السلام^(٤) ، وقصة الذبيح^(٥) ، وقصة إلياس^(٦) ، وقصة داود وسليمان^(٧) ، - عليهم السلام - وأسرف في ذكر المرويات في بلاء أيوب عليه السلام^(٨) ، مما لا يصح معظمه ولا يثبت .

فمثلاً : في قصة هاروت وماروت في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ . ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

(١) البخاري، كتاب التفسير ، باب : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة : ١٣٦] رقم (٤٢١٥) / ٤ / ١٦٣٠-١٦٣١ .

(٢) السيوطي ، طبقات المفسرين (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٣ م) ص ٨٣ .

(٣) الدر المنثور : ١ / ٢٤٩٢٣٣ .

(٤) م . ن : ١ / ٤٩٨-٤٩٩ ، و ٥٢٠-٥٢٤ .

(٥) م . ن : ٥ / ١٠٥-١١٢ .

(٦) م . ن : ٧ / ١١٦-١٢٠ .

(٧) م . ن : ٧ / ١٥٥-١٦٥ و ١٧٨-١٨٦ .

(٨) م . ن : ٧ / ١٩١-١٩٧ .

ذكر روايات كثيرة وقصصاً عجيبة منها قوله : « أخرج إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في العقوبات وابن جرير وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال : إن هذه الزهرة تسميها العرب الزهرة والعجم أناهيد ، وكان الملكان يحكما بين الناس ، فأتتهما فأرادها كل واحد عن غير علم صاحبه فقال أحدهما : يا أخي إن في نفسي بعض الأمر أريد أن أذكره لك . قال : اذكره لعل الذي في نفسي مثل الذي في نفسك ، فاتفقا على أمر في ذلك ، فقالت لهما المرأة : ألا تخبراني بما تصعدان به إلى السماء وبما تهبطان به إلى الأرض؟ فقالا : باسم الله الأعظم ، قالت : ما أنا بمواتيتكما حتى تعلمانيه ، فقال أحدهما لصاحبه : علمها إياه ، فقال : كيف لنا بشدة عذاب الله؟ قال الآخر : إنا نرجو سعة رحمة الله ، فعلمها إياه ، فتكلمت به فطارت إلى السماء ، ففزع ملك في السماء لصعودها فطأطأ رأسه فلم يجلس بعد ، ومسحها الله كوكباً^(١) .

ثم ذكر خمسة وعشرين أثراً بروايات قريبة من هذا رويت عن ابن عمر وابن عباس ومجاهد والربيع وغيرهم ، ينقل ذلك دون تعليق أو تضعيف ، وكلها روايات موقوفة أو مقطوعة ولم يرد في رفعها شيء^(٢) ، ولذلك كثر فيها الدس

(١) الدر المنثور : ٢٣٩/١ .

(٢) وأما ما ورد من روايات مرفوعة ذكرها الطبري في تفسيره ونقلها عنه السيوطي في الدر المنثور من طريق ابن عمر فقد قال عنها الحافظ ابن كثير إنها غريبة جداً « وأقرب ما في هذا أنه من رواية عبد الله بن عمر عن كعب الأحبار ، لا عن النبي ﷺ » .

وأورد ابن كثير الأوجه والأسانيد التي تؤيد إسناد الوقف عن ابن عمر عن كعب الأحبار وقال : « فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل » . انظر ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم (ط . دار المعرفة ، بيروت : ١٩٦٩م) ١/١٣٨ وما بعدها ، ومن أراد التوسع في هذه المسألة فعليه بالتحقيق القيم للأستاذ الدكتور نور الدين عتر في كتابه التفسير (أحكام القرآن) نشر جامعة دمشق : ١٩٨٢م) ص ١٤١ .

والوضع الذي صنعه يد أعداء الإسلام ، يقول الشيخ محمد محمد أبو شهبة :
« ولا شك أن هذا الدس من عمل زنادقة اليهود أو الفرس »^(١) .

وقد سار السيوطي على منهجه العام في كتابه هذا ، فهو لم يضع هذه المرويات الإسرائيلية تحت مجهر النقد العلمي للمحدثين ، واكتفى بعزوها إلى مخرجيها من أصحاب الكتب ، ملقياً عبء التبعة في الرواية على صاحبها ، ومطبّقاً في ذلك قاعدة « من أسند لك فقد حمّلك »^(٢) .

مصادره :

نظراً لكون السيوطي يميل في كتابه هذا إلى الجمع والاستيعاب ، فقد كثرت مصادره وتنوعت موارده ، وتعددت مناهله ، فهو يكثر من النقل عن أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد والطبراني ، والحاكم والبيهقي وابن مردويه وابن أبي الدنيا وغيرهم .

وقد قام الدكتور عامر حسن صبري بتصنيف مصادر السيوطي^(٣) في كتابه (الدر المنثور) وقسمها ستة عشر قسمًا ورتبها حسب وفيات مؤلفيها ، فبدأ بقسم التفسير ثم كتب علوم القرآن .

وقسمها إلى كتب في :

أ - أسباب النزول .

ب - الناسخ والمنسوخ .

(١) محمد محمد أبو شهبة ، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ط ٤ ، مكتبة السنة ، القاهرة : ١٤٠٨ هـ) ص ٢٣٧ .

(٢) محمد حسين الذهبي ، الإسرائيليات في التفسير والحديث : ص ١٢٠ .

(٣) انظر بحث عامر حسن صبري ، مصادر جلال الدين السيوطي في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور (نشر مجلة كلية الآداب ، جامعة الإمارات ، العدد الرابع : ١٤٠٨ هـ) : ص ١٨٥-٣٣٤ .

ج - القراءات والمصاحف وأحكام التلاوة .

د - فضائل القرآن .

هـ - أحكام القرآن .

و - وفي موضوعات مختلفة .

ثم انتقل إلى مصادره في الحديث وفي علوم الحديث وفي رواية الأحاديث ثم إلى مصادره في السيرة والتراجم وتاريخ المدن وأخبارها وفضائلها ثم إلى كتب الفقه وأصوله وإلى اللغة والأدب ثم كتب متنوعة .

وقد زادت مصادره في كتابه (الدر المنثور) على أربعمئة مصدر يعود أقدمها إلى منتصف القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي كتفسير جوير بن سعيد الأزدي (ت ١٤٠هـ / ٧٥٧م) وعبد الله بن جريج (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) وتفسير مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م) وأحدثها إلى (القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي) وهو كتاب (العجائب في بيان الأسباب) للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) .

ونظراً لقيام الدكتور عامر حسن صبري بتقسيمها وتصنيفها^(١) فلا أرى ضرورة لذكرها جميعاً وسأكتفي ببيان مصادره في التفسير وعلوم القرآن كنموذج لبيان مدى سعة اطلاع السيوطي على كتب من سبقه :

مصادره في التفسير :

- ١- تفسير جوير بن سعيد الأزدي (ت ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ٤٥ / ١ .
- ٢- تفسير عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي (ت ١٥٠هـ / ٧٦٧م) ٣٣٤ / ١ .
- ٣- تفسير مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ / ٧٩٥م) ٤٢ / ٥ .

(١) م . ن : السابق .

- ٤- تفسير وكيع بن الجراح الكوفي (ت ١٩٧هـ/ ٨١٢م) ١١/١ .
- ٥- تفسير سفيان بن عيينة المكي (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م) ١٨/١ .
- ٦- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) ٣٧/١ .
- ٧- تفسير محمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م) ١١/١ .
- ٨- تفسير أبي نعيم الفضل بن ركين الكوفي (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م) ٢٣٠/٦ .
- ٩- تفسير آدم بن أبي إياس البغدادي (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) ٤٩٣/١ .
- ١٠- تفسير سنيد الحسين بن داود (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م) ٦٥٣/٢ .
- ١١- تفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م) ١٠٣/١ .
- ١٢- تفسير ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) ٢٨/٤ .
- ١٣- تفسير إسحاق بن إبراهيم بن راهويه (ت ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م) ٧٣٩/١ .
- ١٤- تفسير عبد الرحمن بن إبراهيم الملقب رحيم (ت ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م) ٥٨٥/٢ .
- ١٥- تفسير عبد بن حميد بن نصير (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) ١٠/١ .
- ١٦- تفسير محمد بن يزيد بن ماجه (ت ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م) ٤٨٩/٦ .
- ١٧- تفسير أبي بكر ، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢٠م) ١١/١ .
- ١٨- تفسير أبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي الكبير (ت ٣١٧هـ/ ٩٢٩م) ١٢/١ .
- ١٩- تفسير عبد الله بن محمد بن حيان ، المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م) ١٢/١ .
- ٢٠- تفسير أبي بكر ، أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني (ت ٤١٠هـ/ ١٠١٩م) ١٢/١ .
- ٢١- تفسير أبي إسحاق ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي (ت ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) ١٠/١ .

مصادره في علوم القرآن :

أ- في أسباب النزول :

١- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م) . ١٠/١ .

٢- العجائب في بيان الأسباب ، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) . ٦٩٩/٨ .

ب- في الناسخ والمنسوخ :

١- الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) . ٢٦٥/١ .

٢- الناسخ والمنسوخ لأبي داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م) . ١٨٢/١ .

٣- الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر ، أحمد بن محمد النحاس المصري (ت ٣٣٨هـ / ٩٤٩م) . ٤٦/١ .

ج- في القراءات والمصاحف وأحكام التلاوة :

١- القراءات ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) . ٤٥٩/٨ .

٢- المصاحف ، لأبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م) . ٣٥/١ .

٣- الوقف والابتداء ، له أيضاً : ٦٩٧/٧ .

٤- القراءات لأبي العباس الفضل بن شاذان (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٢م) . ٣٧٣/٧ .

٥- المصاحف ، لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦هـ / ٩٢٨م) . ١٣٠/١ .

٦- المصاحف ، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري النحوي (ت٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ٣٥ / ١ .

٧- الوقف والابتداء ، له أيضاً ، ٤٨ / ١ .

٨- الوقف والابتداء ، لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ / ٤٤٩م) ٥٥ / ١ .

٩- المصاحف ، لمحمد بن عبد الله بن أخته (ت٣٦٠هـ / ٩٧٠م) ٢٧ / ١ .

د- في فضائل القرآن :

١- فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ / ٨٣٨م) ١١ / ١ .

٢- فضائل القرآن ، لأبي بكر محمد بن أيوب بن الضريس (ت٢٩٤هـ / ٩٠٦م) ١١ / ١ .

٣- فضائل القرآن ، لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت٣١٦هـ / ٩٢٨م) ٧٧ / ٨ .

٤- فضائل القرآن ، لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن حيان الأصبهاني (ت٣٦٩هـ / ٩٧٩م) ٣٨ / ٧ .

٥- فضائل القرآن ، لأبي ذر عبد الله بن أحمد الهروي : (ت٤٣٤هـ / ١٠٤٢م) ١٣ / ١ / ٨ .

٦- فضائل (قل هو الله أحد) لأبي محمد ، الحسن بن أحمد السمرقندي (ت٤٩١هـ / ١٠٩٧م) ٦٧٠ / ٨ .

هـ- في أحكام القرآن :

١- أحكام القرآن ، للقاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق البغدادي المالكي (ت٣٨٢هـ / ٩٩٢م) ٥٠٠ / ٢ .

و- كتب في موضوعات مختلفة :

١- مسائل ابن عباس ، لأبي الحسين عبد الصمد بن علي الطستي
(ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) ٦٠/١ .

٢- آيات الحرز ، لأبي محمد القاسم بن الحافظ بن عساكر الدمشقي
(ت ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) ٢٩٧/٥ .

هذا قسم من مصادره في كتابه الدر ، وتبدو أهمية هذا الكتاب في أنه حفظ
لنا كتباً ونصوصاً وروايات ونسخاً كثيرة ، ضاعت أصولها ولم تصل إلينا
كتفسير ابن جريج ومالك ووكيع وابن عينة والفريابي وغيرها كثير .

ولا شك أن كثرة مصادر السيوطي تشهد له بطول الباع ، وسعة الاطلاع
والصبر والجلد في الجمع والتصنيف .

أثره فيمن أتى بعده :

من هنا فقد تأثر بكتاب السيوطي كل من سار على نهجه في التفسير بالمأثور
أمثال الشوكاني ، محمد بن علي المتوفى سنة (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) ، فقد
ضمَّنه كتابه وأفاد منه فائدة كبيرة أشار إلى ذلك في مقدمته فقال : « واعلم أن
تفسير السيوطي المسمى (بالدر المنثور) قد اشتمل على غالب ما في تفاسير
السلف من التفاسير المرفوعة إلى النبي ﷺ وتفاسير الصحابة ومن بعدهم . وما
فاته إلا القليل النادر . وقد اشتمل هذا التفسير على جميع ما تدعو إليه الحاجة
منه مما يتعلق بالتفسير ، مع اختصار لما تكرر لفظاً واتحد معنى بقولي ومثله أو
نحوه ، وضممت إلى ذلك فوائد لم يشتمل عليها وجدتها في غيره . . »^(١) .

وقد أشار إلى كتاب السيوطي في بيان منهجه وأنه اعتمده فقال : « وقد

(١) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (ط . بيروت ،
د . ت) ١٣/١ .

أذكر الحديث معزواً إلى راويه من غير بيان حال الإسناد ، لأنني أجده في الأصول التي نقلت عنها كذلك كما يقع في تفسير ابن حجر والقرطبي وابن كثير والسيوطي وغيرهم»^(١) .

وعندما يختصر النقل يشير إلى ذلك ويحيل إليه بقوله : « وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور بعض ذلك في تفسير هذه الآية ، وإنما تركنا ذكره ها هنا لكونه غير متعلق بهذه الآية على الخصوص ، بل هو متعلق بما هو أعم منها »^(٢) .

وغالباً ما يختصر الروايات الإسرائيلية ويحيل على السيوطي بها فيقول : « وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه قصة طويلة في ذكر البقرة وصاحبها لا حاجة إلى التطويل بذكرها ، وقد استوفاهما في الدر المنثور »^(٣) .

وقال في قصة ذي القرنين : « وقد ساقه - أي الخبر - بتمامه السيوطي في الدر المنثور وساق أيضاً خبراً طويلاً عن وهب بن منبه وعزاه إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والشيرازي في الألقاب وأبي الشيخ ، وفيه أشياء ، منكراً جداً »^(٤) .

وأخيراً :

فإن كتاب (الدر المنثور) يعد بحق موسوعة تفسيرية حديثة كبيرة حشد فيه السيوطي كل ما توصل إليه من روايات وآثار ، مقتصراً فيه على سرد الروايات دون تصحيح أو تضعيف .

(١) م . ن : ١٣ / ١ .

(٢) م . ن : ٦٢ / ١ .

(٣) م . ن : ١٠٢ / ١ وانظر : ١٢٣ / ١ .

(٤) م . ن : ٣١٠ / ٣ .

والذي يشفع له أنه جعل منهجه وغايته من هذا الكتاب هو حصر هذه الآثار المروية عن الصحابة والتابعين وعزوها إلى مصادرها من الكتب المخرجة لها دون التعليق عليها .

ومن هنا فقد عدّه الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي « إمام التفسير بالمأثور في القرن التاسع وأوائل القرن العاشر »^(١) .

ومع ذلك فالكتاب بحاجة ماسة إلى تنقية وتمحيص ، وإعادة تحقيق بتخريج رواياته ، وبيان صحيحها من ضعيفها ، وغثها من سمينها ، حتى تتم الفائدة منه لجميع الناس .



(١) د . وهبة الزحيلي ، السيوطي إمام التفسير بالمأثور في القرن العاشر ، (بحث نشر في مجلة التراث العربي بدمشق ، العدد : ٥١ - شوال ١٤١٣هـ نيسان « إبريل » ١٩٩٣م - السنة الثالثة عشر) . ص ١٠١ .

تكملة تفسير

جلال الدين المحلي (المعروف بالجلالين)

يعد هذا الكتاب من أعظم التفاسير انتشاراً ، وأكثرها تداولاً ونفعاً بين طلاب العلم ، وقد طبع هذا الكتاب مراراً وتكراراً مجرداً ومع بعض شروحه وحواشيه ، فصدرت له طبعة بكلكتوتا عام (١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م) وطبعة ببولاق عام (١٢٨٠هـ) وطبعه ببومباي عام (١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م) وصدر عن مطبعة وادي النيل عام ١٢٩٧هـ ، وعن الأزهرية عام (١٣٠١هـ / ١٨٨٣م) وعن الميمنية عام (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م) وأخرجته المطبعة الخيرية عام (١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م) وطبع بدلهي عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م) وهناك طبعات حديثة كثيرة منها طبعة دار ابن كثير بدمشق سنة (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) مع لباب النقول وقدم له الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، وطبعة دار الإيمان ببغروت قدّم لها الشيخ محمد كريم راجح ، وغيرها كثير .

وكان هذا الكتاب قد وضع جذوره الشيخ جلال الدين المحلي شيخ السيوطي^(١) ، فكتب منه من أول الكهف إلى آخر القرآن ، ثم كتب الفاتحة وآيات يسيرة من البقرة فاخترته المنيّة ولم يتمّه^(٢) ، فجاء السيوطي بعده فكمّل تفسير شيخه فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الإسراء ، ووضع تفسير الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي لتكون ملحقة به^(٣) .

(١) مرت ترجمته ص : (٩٦) .

(٢) حسن المحاضرة : ٤٤٣ / ١ .

(٣) م . ن : السابق : وانظر سليمان بن عمر الشهير بالجمل ، الفتوحات الإلهية ، بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت : د . ت) ٧٠ / ١ وسأشير إليها فيما بعد بحاشية الجمل على الجلالين .

وقد أشار حاجي خليفة إلى هذا الكتاب في كشف الظنون ولكنه نسب عمل السيوطي للمحلي وعمل المحلي للسيوطي فقال : « تفسير الجلالين من أوله إلى آخر سورة الإسراء للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي المتوفى سنة (٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) أربع وستين وثمانمئة ، ولمّا مات كمله الشيخ المتبحر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) إحدى عشر وتسعمئة . . » ثم قال بعد ذلك : « وكأن المحلي لم يفسّر الفاتحة وفسرها السيوطي تفسيراً مناسباً . . »^(١) .

ولعل الصواب قد جانب حاجي خليفة هنا لأن السيوطي في مقدمته على الجلالين يقول بعد الديباجة : « هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء . . »^(٢) .

ويقول في آخر سورة الإسراء بعد أن أتمّ تفسيرها : « هذا آخر ما كتلت به تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الشيخ الإمام العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي رضي الله عنه . . »^(٣) .

وأما الفاتحة ، فلم يجزم حاجي خليفة بنسبتها إلى المحلي ، إلا أن سليمان بن عمر الشهير بالجمل في حاشيته على الجلالين صرح بنسبتها للمحلي وجزم بذلك فقال : « وأما الفاتحة ففسرها المحلي فجعلها السيوطي في آخر تفسير المحلي لتكون متضمنة لتفسيره ، وابتدأ هو من أول البقرة »^(٤) .

(١) كشف الظنون : ٤٤٥/١ .

(٢) مقدمة الجلالين (حاشية الجمل على الجلالين) ٦٥/١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين : ٦٦٨/٢ . وانظر حاشية الصاوي على الجلالين (ط . مطبعة الاستقامة ، القاهرة : ١٩٥٦م) ٣٧٢/٢ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين : ٧/١ ، وانظر أيضاً حاشية الصاوي على الجلالين : ٤/١ .

ويؤكد هذا في آخر الحاشية عند الكلام على نهاية سورة الفاتحة بقوله : « إنه - أي الجلال المحلي - كان قد شرع في تفسير النصف الأول . وإنه ابتدأه بالفاتحة ، واخترمته المنية بعد الفراغ منها وقبل الشروع في البقرة وما بعدها »^(١) وأما البسملة فلم يتكلم عنها أحد الشيخين المحلي أو السيوطي وفسرها بعض العلماء من زبيد وهذا ما ذكره حاجي خليفة^(٢) .

وقد ذكرت فيما سبق أن السيوطي كان آية في سرعة التأليف والكتابة وهذا الكتاب دليل على ذلك فقد ألفه في حدود أربعين يوماً نص على ذلك في خاتمة تكملته في آخر سورة الإسراء فقال : « ألفته في مدة قدر ميعاد الكليم »^(٣) وكان عمره آنذاك أقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور ، فقد ذكر في هذا الموضع أنه « فرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمئة وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مستهل رمضان في السنة المذكورة »^(٤) ويكون السيوطي قد أتم كتاب شيخه المحلي بعد وفاته بست سنوات .

وقد بدأ الجلال المحلي تفسيره بعبارة موجزة مختصرة محررة ، في غاية الحسن ونهاية الدقة ، وجاء السيوطي وتابعه على ذلك ، ولم يتوسع ، لأنه التزم بأن يتم الكتاب على النمط الذي جرى عليه الجلال المحلي ، ولم يذكر المحلي أو السيوطي مصادرهما في هذا الكتاب إلا أن السيوطي أشار إلى ذلك عند ترجمة موفق الدين الكواشي المتوفى سنة (٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م) وأن المحلي اعتمد على تفسيره فقال في (بغية الوعاة) : « وله التفسير الكبير والصغير ، جود فيه الإعراب ، وحرر أنواع الوقوف وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس .

(١) حاشية الجمل على الجلالين : ٦٩/٤ ، وانظر الصاري على الجلالين أيضاً ٣٧٠/٤ ، ٣٧٦ .

(٢) كشف الظنون : ٤٤٥/١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين : ٦٦٨/٢ .

(٤) م . ن : ٦٧٠/٢ .

قلت : - أي السيوطي - وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره ، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز وتفسير البيضاوي وابن كثير^(١) .

من هذا النص يتبين لي أن المحلي اعتمد في تفسيره على تفسير الكواشي الكبير ، وأن السيوطي في تكملته اعتمد على تفسير الكواشي هذا الكبير والصغير وعلى تفسير البيضاوي وابن كثير بالإضافة إلى تفسير شيخه المحلي الذي أشار إليه في آخر سورة الإسراء .

فقال : « وهو في الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل وعليه في الآي المتشابهة الاعتماد والمعول »^(٢) .

وقد نهج السيوطي في تفسيره منهج شيخه المحلي وسار على نمطه من ذكر ما يفهم من كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال ، وإعراب ما يحتاج إليه ، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة ، على وجه لطيف ، وتعبير وجيز ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعراب محلها كتب العربية^(٣) .

وقد أفرغ السيوطي في ذلك جهده وبذل فيه فكره لاستخراج نفائس مجدية كما قال : ووفى بما التزمه ، فهو يوضح معنى الآي بأبسط عبارة وأوجز إشارة معتمداً في تفسيره وتوضيحه للآيات على القراءات والإعراب وأسباب النزول والأحاديث النبوية والروايات المختلفة .

فمثلاً في كلامه على سورة النساء قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يا أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرَّق

(١) السيوطي ، بغية الوعاة : ٤٠١/١ .

(٢) تفسير الجلالين مع حاشية الجمل : ٦٦٩/٢ .

(٣) م . ن . ٧٦١ .

ونشر ﴿مِنْهُمْ﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين ، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تساءلون ﴿بِهِ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض أسألك بالله وأنشدك بالله ﴿وَاتَّقُوا﴾ ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها ، وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في به وكانوا يتناشدون بالرحم ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً لأعمالكم فيجازيكم بها ، أي لم يزل متصفاً بذلك .

ثم قال : « ونزل في يتيم طلب من وليه ما له فمنعه ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَى﴾ ويتابع ذكر أسباب النزول فعند قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ قال : « ولما نزلت تخرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهم فنزل ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾ الآية » (١) .

ويتناول في الإعراب ما يحتاج إليه لتوضيح المعنى دون تطويل أو تفصيل لأن ذلك له كنهه الخاصة ويستعين في ذلك بالقراءات ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ﴾ [آل عمران : ١٧٨] قال : « ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي﴾ أي إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لَّأَنْفُسِهِمْ﴾ وأن معمولاً لها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى » (٢) .

ويتابع على هذا النمط من التفسير ففي قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام : ٢٢] قال : ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخاً ﴿أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء لله ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالتاء والياء ﴿فَتَنْتَهُمُ﴾ بالنصب والرفع أي معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ

(١) تفسير الجلالين (ط دار ابن كثير : دمشق : ١٩٨٧) ص ٧٦-٧٧ . وانظر أوائل سورة الأنفال ص ١٧٧ .

(٢) تفسير الجلالين : ص ٧٣ .

قالوا ﴿ أَي قَوْلِهِمْ ﴾ وَاللَّهِ رَبَّنَا ﴿ بِالْجُرْنَعِ وَالنَّصَبِ نَدَاءٌ ﴾ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿ (١) والسيوطي في أثناء تفسيره يستشهد بالأحاديث الصحيحة وغيرها ، وغالباً ما يخرجها ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَنُظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] قال بعد تفسيرها : « وفي الحديث » مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ « رواه مسلم » (٢) .

وعند قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] قال : « قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب ، وقيل المراد غيرهم ، لحديث أبي ثعلبة الخشني ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : « اتَّئِمُّرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًا مَطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤِزَّةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ » رواه الحاكم وغيره » (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ ﴾ [الأنعام : ٥٩] قال : « وهي الخمسة التي في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية كما رواه البخاري » (٤) .

(١) م . ن : ص ١٣٠ .

(٢) م . ن : ص ٤٧ . وهو قطعة من حديث طويل ، أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب : حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ، رقم (٣٠٠٦) ٢٣٠١/٤-٢٣٠٢ . وقد اكتفى السيوطي برواية مسلم اعتماداً على مبدئه في الاختصار ، وللحديث روايات أخرى عن الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي اليسر ، انظر فيض القدير : ٨٩/٦ .

(٣) م . ن : ص : ١٢٥ ، والحديث أخرجه أيضاً الترمذي في التفسير ، باب : سورة المائدة رقم (٣٠٥٨) ٢٥٧/٥ وقال : حديث حسن غريب ، ابن ماجه في الفتن ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ، رقم (١٠١٤) ١٣٣٠-١٣٣١ ولو عزا السيوطي الحديث إلى الترمذي وابن ماجه لكان أولى ، ولعله اعتمد في اقتباسه على لفظ الحاكم فذكره والله أعلم .

(٤) م . ن : ص ١٣٤ ، والسيوطي هنا لم يذكر نص الحديث بل اكتفى بالإشارة إليه =

وفي قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ [هود : ١٠٢] قال السيوطي : ﴿وكذلك﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أريد أهلها ﴿وهي ظالمة﴾ بالذنوب : أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ » ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية (١) .

الإسرائيليات :

ذكرت - فيما سبق - كيف أن السيوطي حشا كتابه الدر المنثور بالكثير من الروايات الإسرائيلية ومع أن هذا الكتاب مختصر وموجز ويعدّ من التفسير بالرأي لم يسلم من هذه الروايات والأخبار ولكنها مع ذلك قليلة لا تتجاوز العشرة في كل الكتاب منها :

في قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ [البقرة : ١٠٢] . قال : « من السحر وكانت دفتته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة ، فيدونونه ، وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب ، فجمع سليمان الكتب ودفنها ، فلما مات دلت الشياطين

= ونص الحديث على ما رواه ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : (مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ : لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الْأَرْحَامِ ، وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَادَا تَكْسِبُ غَدًا ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ) أخرجه البخاري في الاستسقاء ، باب : لا يدري متى يجيء المطر إلا الله ، رقم (٩٩٢) / ١ / ٣٥١ .

(١) تفسير الجلالين : ٢٣٣ ، والحديث أخرجه البخاري في التفسير/ هود ، باب قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى﴾ الآية رقم (٤٤٠٦) / ٤ / ١٧٢٦ ، ومسلم في البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، رقم (٢٥٨٣) / ٤ / ١٩٩٧-١٩٩٨ .

عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا : إنما ملككم بهذا فتعلموه فرفضوا كتب أنبيائهم»^(١) .

هذه الرواية التي ذكرها السيوطي مقبولة من طرف ومرفوضة من طرف آخر فقلوبه : « أو كانت تسترق السمع . . » موافق لمقصود الآية وهو افتراء اليهود وقلوبهم الحقائق ، ومرفوض من جعلهم عمل سليمان من السحر مع أنه كان حرباً على السحر عليه السلام .

وقد ذكر السيوطي خبراً غريباً في رفع عيسى عليه السلام في أثناء تفسير قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران : ٥٥] قال : « روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين »^(٢) .

وقد ساق السيوطي الخبر بصيغة التضعيف للدلالة على أنه ليس له أصل صحيح . وليته نزه كتابه عن مثل هذه الروايات أو بين على الأقل صحتها من ضعفها حتى لا ينخدع بذلك من يقرأ كتابه ولا سيما المبتدئ من طلاب العلم ، والله تعالى أعلم .

ومن القصص الإسرائيلية التي لا أصل لها ما أورده السيوطي في تفسير قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بُرْهَنَ رَبِّهٖ ﴾ [يوسف : ٢٤] قال السيوطي : « قال ابن عباس : مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، وجواب (لولا) لجامعها »^(٣) .

وقد علق الدكتور نور الدين عتر على هذا بقوله وهذا مشكل غير مقبول ،

(١) تفسير الجلالين : ١٦ .

(٢) م . ن : ٥٧ .

(٣) م . ن : ٢٣٨ .

لما هو معلوم من عصمة الأنبياء عن القبائح قبل النبوة وبعدها ، وهذا لا يتفق مع العصمة ، لأنه يؤدي إلى أنه ترك الفاحشة لأمر ملجئ .

وقوله : « وجواب (لولا) لجامعها » غير مسلم ، بل المعنى « لولا أن رأى برهان ربه لهم بها » أي إنه لم يهّم بها إطلاقاً ، كما تقول :

سافر فلان وسافرت لولا المرض أي أنك لم تسافر ، وشتان بين الهم والجماع^(١) وهناك روايات أخرى ينبغي التوقف عندها لغرابتها كقصة البقرة وما قيل حولها ومراجعاتهم في صفاتها ، وما ذكره السيوطي من أنهم وجدوها عند الفتى البارّ بأمه ، فاشتروها بملء مسكها ذهباً^(٢) أي جلدتها ، والله أعلم بحقيقة الحال .

مدى التزام السيوطي بمنهجه :

لقد وفى السيوطي بما التزمه في مقدمة كتابه ، فسار على طريقة شيخه دون خلل أو مخالفة لمنهجه ، ولهذا قال محمد حسين الذهبي : « ولا شك أن الذي يقرأ تفسير الجلالين لا يكاد يلمس فرقاً واضحاً بين طريقة الشيخين فيما فسّراه ، ولا يكاد يحس بمخالفة بينهما في ناحية من نواحي التفسير المختلفة »^(٣) .

هذا وقد قمت بمقارنة بين التفسيرين فلم أجد كبير فرق بينهما ، اللهم إلا في جانب الرواية والتفسير بالمأثور فهو عند السيوطي أكثر منه عند المحلي ، فالسيوطي يعتمد في تفسيره للآيات على ما ورد فيها من أسباب النزول ويستشهد لبيان المعنى بجملة من الأحاديث وقد مر نماذج من ذلك فيما سبق^(٤) . وليس هذا بغريب عن السيوطي وهو صاحب التفسير بالمأثور ،

(١) د . نور الدين عتر ، الرواية عند السيوطي في تفسير الجلالين ، ص ٦٤٦-٦٤٧ .

(٢) تفسير الجلالين : ص ١١ سورة البقرة الآيات ٦٧-٧٣ .

(٣) التفسير والمفسرون : ١/ ٣٣٦ .

(٤) انظر على سبيل المثال الصفحات التالية من تفسير الجلالين (ط دار ابن كثير ، دمشق) ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٩١ ، ١١٤ ، ١٤٩ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٧ ، ٢٦٨ إلخ .

ولباب القول في أسباب النزول ، وأحد الأئمة الحفاظ في علم الحديث والمكثرين في التأليف فيه .

أما فيما عدا ذلك ففعلاً كما قال الذهبي لا تكاد تشعر بمخالفة بينهما ولا سيما القضايا اللغوية والبيانية وتفسير آيات الصفات التي يذهبان فيها مذهب الأشعرية في التأويل ، وغالباً ما وجدت التطابق في كل من التفسيرين في ذلك فمثلاً في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف : ٥٤] قال السيوطي « هو سرير الملك ، استواء يليق به »^(١) وذهب إلى هذا التأويل أيضاً عند قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢) [يونس : ٣] وكان قد سبقه إلى ذلك الجلال المحلي ، فعند قوله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه : ٥] قال : (العرش) هو في اللغة سرير الملك ، (استوى) استواء يليق به^(٣) ، وذهب إلى مثل هذا القول عند قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٤) [الفرقان : ٥٩] . من هنا يتبين للناظر التطابق التام في التأويل عند كل من السيوطي والمحلي ، وهذا ما جعل أحد الباحثين يقول : « الجلالان يؤولان الصفات التي أثبتها السلف »^(٥) .

والأمثلة على ذلك كثيرة في كل آيات الصفات فعلى سبيل المثال صفة الوجه في قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] وقوله تعالى : ﴿وَرَبُّنَا وَجْهٌ رَبِّكَ﴾ [الرحمن : ٢٧] أوّل المحلي الوجه بالذات ، أي : ذاته^(٦) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل : ٢٠] أي طلب

(١) تفسير الجلالين : ص ١٧٥ .

(٢) م . ن . السابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) م . ن . السابق ص ٣١٢ .

(٤) م . ن . السابق ، ص ٣٦٥ . وانظر التأويل نفسه في ص ٤١٥ [السجدة : ٤] .

(٥) محمد عبد الرحمن المغراوي ، المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (ط ١ ، دار طيبة ، الرياض : ١٩٨٥ م) ٢ / ١٨٢ .

(٦) الجلالين : ٥٣٤ .

ثواب الله^(١) وذهب إلى تأويل ذلك السيوطي فقال في قوله تعالى : ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٧٢] أي ثوابه^(٢) ، فكلاهما فسر الوجه بإرادة الثواب . وهذا هو عين التطابق . وهو مصداق ما ذكره السيوطي في مقدمته عندما قال : « وتتميم ما فاته . . بتتمة على نمطه »^(٣) وإن كان السيوطي رحمه الله نص على أن ما وضعه الجلال المحلي أفضل مما وضعه هو بطبقات كثيرة ، وأن غالب ما فيه مستفاد منه^(٤) ، ويبدو لي أن هذا على سبيل التواضع ، فالتفسيران لا يكاد يظهر التفاوت بينهما إلا بالقليل النادر فكلاهما فسر الآيات تفسيراً بسيطاً موجزاً مختصراً قدر الإمكان معتمداً على الإعراب والقراءات لبيان المعنى المراد وإن كان جانب الرواية عند السيوطي أكثر ، إلا أنني رأيت المحلي يذكر الروايات والأحاديث وحتى الأخبار والقصص الإسرائيلية^(٥) .

ومع ذلك فقد وقع بينهما تفاوت بسيط في بعض المواضع ذكر منها أن المحلي في سورة (ص) فسر الروح بأنها جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوزه فيه ، والسيوطي تابعه على هذا التفسير في سورة الحجر ، ثم ضرب عليه لقوله تعالى في [الإسراء : ٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء : ٨٥] فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى ، فالإمساك عن تعريفها أولى ، ومنها : أن الشيخ المحلي قال في سورة الحج « (وَالصَّابِثُونَ) فرقة من اليهود » والسيوطي في سورة البقرة تابعه على

(١) الجلالين : ٥٩٦ .

(٢) م . ن : ٤٦ .

(٣) مقدمة الجلالين مع حاشية الجمل : ٧/١ .

(٤) انظر ما قاله في آخر تفسير سورة الإسراء : حاشية الجمل على الجلالين : ٦٧١/٢ .

(٥) انظر على سبيل المثال ما نقله المحلي عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [الأحزاب : ٣٦] تفسير الجلالين

ذلك وزاد عليه « أو النصارى » بياناً منه لقول ثان^(١) . وهكذا فالخلاف بين الشيخين قليل نادر . ونظراً لأهمية الكتاب وانتشاره في الآفاق فقد كثرت حواشيه والتعليقات عليه^(٢) .

١- فأول من وضع حاشية عليه أبو زيد عبد الرحمن الفارسي ، قال عبد الله الصديق الغماري فيها تحقيقات مفيدة^(٣) .

٢- ثم كتب الشيخ سليمان بن عمر الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م) حاشية كبيرة ، تعد تكميلاً له بما نقله في معظم الآيات من كتب التفسير لتوضيح المعنى وتبيين المراد وسماها (الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية) وهي في أربعة مجلدات .

٣- ثم جاء تلميذه الصاوي ، أحمد بن محمد المالكي (ت ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م) فكتب عليه حاشية فيه تحقيقات رائعة ولا تخلو من فوائد قيمة وهاتان الحاشيتان من أهم الحواشي على الجلالين وأشهرها وأكثرها انتشاراً بين أهل العلم .

ثم ذكر صاحب كشف الظنون أن عليه :

٤- حاشية لشمس الدين محمد بن العلقمي - تلميذ السيوطي - سماها (قبس النيرين) فرغ من تأليفها سنة (٩٥٢هـ / ١٥١٩م) .

٥- وحاشية مسماة بـ (الجمالين) - لنور الدين علي بن محمد القاري نزيل مكة المكرمة والمتوفى بها عام (١٠١٠هـ / ١٦٠١م) وهي حاشية مفيدة فرغ من تأليفها سنة (١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م) منها نسخة مخطوطة في دار الكتب

(١) حاشية الجمل على الجلالين : ٦٧١ / ٢ .

(٢) وهذا على عكس ما ذهب إليه عبد الله الصديق الغماري من قوله (لا يفيد المبتدي ، ولا يحتاج إليه المنتهي) انظر بدع التفاسير ص : ١٦٠ .

(٣) بدع التفاسير : ١٦٠ .

الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٦٣٦٩) .

٦- وشرحاً لجلال الدين محمد بن محمد الكرخي وهو كبير سماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين) .

٧- وحاشية صغرى للكرخي^(١) - أيضاً - .

وفي فهرس المكتبة الأزهرية توجد من الحواشي على الجلالين :

٨- الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين للشيخ عطية الأجهوري (ت ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م)^(٢) ، يوجد منه نسخة في أر الكتب الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (١٦٦٤) .

٩- ضوء النيرين لفهم ألفاظ الجلالين : للشيخ علي الشبيني الشافعي من علماء أواخر القرن الثاني عشر^(٣) .

١٠- قرة العين على الجلالين للشيخ عبد الله بن محمد المعروف بالبتراوي الشافعي من علماء القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي في أربعة أجزاء مخطوطة^(٤) .

وأخيراً فعلى الرغم من صغر حجم الكتاب فإنه غزير المادة العلمية لأنه لب اللباب في التفسير وقد ذكر حاجي خليفة عن بعض علماء اليمن قوله : « عدت حروف القرآن وتفسيره للجلالين ، فوجدتهما متساويين إلى سورة المزمل ، ومن سورة المدثر التفسير زائد على القرآن ، فعلى هذا يجوز حمله بغير وضوء »^(٥) .

(١) كشف الظنون : ٤٤٥/١ .

(٢) فهرس المكتبة الأزهرية (ط . الأزهر : ١٩٤٩م) ٢٥٣/١ .

(٣) م . ن . السابق : ٢٥٥/١ .

(٤) م . ن . ٢٨١/١ .

(٥) كشف الظنون : ٤٤٥/١ .

ويقول الشيخ الزرقاني في (مناهل العرفان) :

« أما تفسير الجلالين فكتاب قيم سهل المأخذ إلى حد ما ، مختصر العبارة كثيراً ، يكاد يكون أعظم التفاسير انتشاراً ونفعاً وإن كان أصغرهما شرحاً وحجماً تداولته طبقات مختلفة من أهل العلم وغيرهم . . والعجيب أن فطاحل العلماء كانوا يختارونه لأعلى دراسة عرفت في التفسير كمادة أساسية يدور حولها ويستلهمون وحياً . . . »^(١) .



(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : ١/ ٥٣٤-٥٣٥ .

نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار

(حاشية على تفسير البيضاوي)

وهي إحدى الحواشي الكثيرة التي وضعها السيوطي ، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب في أثناء تعداد كتبه^(١) ، وقد ذكره السيوطي في القسم الثاني من مؤلفاته في كتابه (التحدث بنعمة الله) تحت « ما ألف ما يناظره ويمكن أن يأتي بمثله » ، وكان قد وصل فيه في أثناء تأليفه كتاب التحدث إلى سورة الأنعام^(٢) ، ومكث الجلال السيوطي في تحريره وكتابته عشرين سنة وكانت الغاية من تأليفه جمع ما كان يقرئه ويمليه على تلامذته وكان ذلك بداية سنة ثمانين وثمانمئة ، فأقرأه مدة عشر سنين متوالية وصل فيه إلى سورة هود^(٣) .

وكان السيوطي قد ابتلي بسرقة كتبه وألف في ذلك مقامة سماها « الفارق بين المصنف والسارق »^(٤) وكان هذا الكتاب عرضة للسرقة وحاول بعضهم أن يأخذه منه متحياً بإقراءه ففطن السيوطي لحيلته فشد الهمة وبذل جهده في تبييضه وتحريره وتكميل ما بقي منه إلى الأخير فأكمله وأتمه وذلك في ختام القرن التاسع في سنة (٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م)^(٥) .

وقد صدر السيوطي كتابه بمقدمة طويلة^(٦) ، تكلم فيها عن نشأة التفسير

(١) انظر ص : (١٧٩) من هذا الكتاب .

(٢) التحدث بنعمة الله : ١٠٧ .

(٣) السيوطي ، نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار ، بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٤٧٧) ق ٥٠ / أ .

(٤) مطبوعة ضمن (شرح مقامات السيوطي) بتحقيق سمير الدروبي ص ٨١٨-٨٥٥ .

(٥) نواهد الأبيكار : ق ٥ / أ .

(٦) ونظراً لأهمية هذه المقدمة فقد ذكرها تلميذه الشاذلي في كتابه (بهجة العابدين) ق ٢١ / أ-٢٥ / ب .

وتاريخه منذ الصدر الأول إلى عصر الزمخشري^(١) ، الذي وصفه بأنه « سلطان البيان » وأن كتابه « الكشف » لم يكن له نظير في البلاغة فقال : « ثم جاءت فرقة أصحاب نظر في علوم البلاغة ، التي يدرك بها وجه الإعجاز ، وأسرار البلاغة التي هي لحلل التراكيب طراز ، وصاحب الكشف هو سلطان هذه الطريقة ، والإمام السالك في هذا المجاز إلى الحقيقة ، فلذا طار كتابه في أقصى الشرق والغرب ، ودار عليه النظر إذ لم يكن لكتابه نظير في هذا الضرب »^(٢) .

ولهذا كثرت التعليقات عليه والحواشي ، ثم ذكر مقدمة الكشف لأهميتها ولما فيها من التركيز على علمي المعاني والبيان ، وهذا ما ركز عليه القاضي البيضاوي في مقدمة تفسيره أيضاً^(٣) .

ثم خلاص إلى القول بأن سيد المختصرات - من كتاب الكشف - كتاب (أنوار التأويل وأسرار التنزيل) للقاضي ناصر الدين البيضاوي^(٤) الذي لخصه

(١) هو الإمام الكبير ، المضروب به المثل في علم الأدب ، محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي ، ولد بزمخش (قرية من قرى خوارزم) سنة (٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م) وتوفي بجرجانية خوارزم ليلة عرفة سنة (٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ، كان في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام ، وصنف التصانيف في التفسير وغريب الحديث وغيرها ، وشهرته تغني عن الإطناب بذكره . ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان (نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت : ١٩٧٠ م) ٤ / ٦ ، بغية الوعاة : ٢٧٩ / ٢ - ٢٨٠ ، ابن أبي الوفاء ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح الحلو (ط عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧٩ م) ٤٤٧ / ٣ - ٤٤٨ .

(٢) نواهد الأبرار ، ق : ٢ / أ ، وبهجة العابدين ق : ٢٢ / أ .

(٣) البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مع حاشية الشهاب الخفاجي) (ط . دار صادر ، بيروت : د . ت) المقدمة .

(٤) هو الإمام القاضي ، ناصر الدين أبو الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي من قرية يقال لها البيضاء من عمل شيراز ، قال الأسنوي : كان عالماً بعلوم كثيرة صالحاً خيراً ، صنف التصانيف المشهورة في أنواع العلوم منها مختصر الكشف والمنهاج في أصول الفقه ، وتولى القضاء بشيراز وتوفي بتبريز سنة =

فأجاد ، وأتى بكل مستجد ، وماز فيه أماكن الاعتزال وطرح مواضع الدسائس وأزال ، وحرر مهمات واستدرك تلمات ، فبرز كتابه كأنه سبيكة نُصَّار ، واشتهر اشتهاً الشمس في وسط النهار وعكف عليه العاكفون ولهج بذكر محاسنه الواصفون ، وذاق طعم دقائقه العارفون فأكتب عليه العلماء والفضلاء تدريساً ومطالعة . . ودرجوا عليه من زمن مصنَّه إلى زمن شيوختنا^(١) . . .

ومن شيوخته الذين قاموا بتدريس هذا الكتاب وإقراؤه الشيخ تقي الدين الشُّمِّي ومحيي الدين الكافِيحي فكانا يأتيان في تقريره بالعجب العجائب ، فلما توفاهما الله شغرت الديار المصرية من محقق وخلت من مدرس ييدي ضمائره مدقق ، فصار الكتاب بما فيه من الكنوز كصندوق مقفل ، وأصبح لفقد من فيه أهلية لتدريسه كأنه مغفل ، فلمَّا وجد السيوطي الحال قد صار إلى هذا المآل ، استخار الله تعالى في إقراؤه وتدريسه يقول : « فأكرمني الله سبحانه وتعالى أن جرّدت الهمّة لتدريسه ، وشدّدت المئزر لتقرير ما فيه وتأسيسه ، فشرعت في إقراؤه مفتح سنة ثمانين وثمانمئة فأقرأت فيه مدة عشر سنين متوالية من أوله إلى أثناء سورة هود ، وبذلت المجهود في استقراء مواده والتنقيير عن معادنه ، ولزمت النظر والسهود ، والكواكب شهود . وشرعت مع ذلك في تعليق حاشية عليه تحلل خفاياه وتذلل مطاياه ، فسمع بذلك السامعون وطمع في الوصول إليها الطامعون ، وجسر على إقراؤه حينئذ كل جسور . . . »^(٢) ثم يفيض الكلام عن خصومه وحساده وعن معاناته منهم وخوفه على كتابه هذا من السرقة

= (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) ودفن بها ، السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى (ط عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٩٧١م) . ١٥٨/٨ ، والأسنوي ، طبقات الشافعية ، تحقيق كمال الحوت (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٧م) ١٣٦/١ ، والسيوطي بغية الوعاة : ٥٠/٢ ، ونواهد الأبيكار : ق ٧/أ .

(١) نواهد الأبيكار ، ق ٣/ب .

(٢) نواهد الأبيكار : ق ٤/أ ، وانظر بهجة العابدين : ق ٢٤/ب .

كما سرق له كتاب (المعجزات) و (الخصائص)^(١) ، وهو المعتقد بكتبه
 وبمؤلفاته فكيف تنسب إلى غيره فيقول « أفطارك أنا هذا الكتاب البديع المثال
 المنيع المنال عرضة لهؤلاء كأنه خبز شعير ، وفيه من فرائد القوائد ما يجلّ عن
 مقابلته من الذهب الناض بحمل بعير ، ففرقة تأكله وتذمه ويتوهم فيه بحسب
 فهمها السقيم أدنى خلل فلا ترمه ، ومنهم من يريد أن يعربه فيعجمه ويصبح
 ظمآن وفي البحر فمه ، فحسبت ما كتب منه عشرين سنة ولم أسمع به لأحد
 لا في يقظة ولا في سِنَّة . »^(٢) ثم تكلم عن إتمامه وذلك في ختام القرن التاسع
 الهجري وقد بالغ في تهذيبه وتنقيحه تقريراً وتحريراً وسلك الجواد وحبره
 تحبيراً وسماه بعد أن اكتمل وتم (نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار) .

منهجه في هذا الكتاب :

عرفت - فيما سبق - أن هذا الكتاب حاشية على تفسير البيضاوي وقبل
 الشروع في بيان منهج السيوطي في كتابه نواهد الأبيكار لا بد من التعريف بتفسير
 البيضاوي وبيان منهجه فيه^(٣) .

فتفسير القاضي البيضاوي تفسير متوسط الحجم ، جمع فيه صاحبه بين
 التفسير والتأويل ، على مقتضى قواعد اللغة العربية ، وقرر فيه الأدلة على
 أصول أهل السنة وقد اختصر البيضاوي تفسيره من الكشف للزمخشري ،
 ولكنه ترك ما فيه من اعتراضات .

وقد حدد البيضاوي منهجه في مقدمة تفسيره ، فقال : « ولطالما أحدث

(١) م . ن : السابقان ، وانظر مقامة الفارق بين المصنف والسارق (ضمن شرح مقامات
 السيوطي) ٨١٩/٢ .

(٢) نواهد الأبيكار : ق ٥/أ وبهجة العابدين : ق ٢٥/أ .

(٣) للتوسع في ذلك انظر عبد العزيز حاجي ، البيضاوي مفسراً ، رسالة ماجستير لم تنشر ،
 جامعة الفاتح ، ليبيا : ١٩٩١م ص ٢٩٨-١٥٢ .

نفسى بأن أصنف في هذا الفن كتاباً يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة ، وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكات بارعة ، ولطائف رائعة ، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين ، وأمائل المحققين ، ويعرب عن وجوه القراءات المعزّوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعترين . . ناوياً أن أوسمه بعد أن أنتمه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل»^(١) .

وقد استمد البيضاوي تفسيره أيضاً من التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » للفخر الرازي ومن تفسير الراغب الأصفهاني ، وضم لذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين كما أنه أعمل فيه عقله ، فضمنه نكتاً بارعة ، ولطائف رائعة ، واستنباطات دقيقة كل هذا في أسلوب رائع موجز ، عبارة تدق أحياناً وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة وفطنة نيرة^(٢) .

ويوضح ما ذكرته سابقاً حاجي خليفة فيقول : « وتفسيره - يعني تفسير البيضاوي - كتاب عظيم الشأن غني عن البيان ، لخص فيه من الكشف ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان ، ومن التفسير الكبير ما يتعلق بالحكمة والكلام ، ومن تفسير الراغب ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات ، وضم إليه ما ورى زناد فكره من الوجوه المعقولة والتصرفات المقبولة فجلا زَيْنَ الشُّكِّ عن السريرة وزاد في العلم بسطة وبصيرة ، كما قال مولانا المنشيء : (مجزوء الوافر)

أُولُسُوا الْأَبَابَ لَمْ يَأْتُوا بِكَشَفِ قِنَاعِ مَا يُنَلَى
وَلَكِنْ كَانَ لِلْقَاضِي يَدٌ بَيَّضَاءُ لَا تَبْلَى

ولكونه متبحراً جال في ميدان فرسان الكلام فأظهر مهارته في العلوم حسبما يليق بالمقام ، كشف القناع تارة عن وجوه محاسن الإشارة وملح الاستعارة

(١) تفسير البيضاوي ، (على هامش حاشية الشهاب الخفاجي) ١ / ١٦ - ١٧ .

(٢) محمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون : ١ / ٢٩٨ .

وهتك الأستار أخرى عن أسرار المعقولات بيد الحكمة ولسانها وترجمان الناطقة وبنانها ، فحلّ ما أشكل على الأنام وذللّ لهم صعب المرام وأورد في المباحث الدقيقة ما يؤمن به عن الشبه المضلة وأوضح له مناهج الأدلة...»^(١) ويقول البيضاوي في آخر الكتاب ما نصه : « وقد تم إتمام تعليق سواد هذا الكتاب المنطوي على فوائد فرائد ذوي الألباب ، المشتغل على خلاصة أقوال أكابر الأئمة ، وصفوة آراء أعلام الأئمة في تفسير القرآن وتحقيق معانيه ، والكشف عن عويصات ألفاظه ومعجزات مبانيه ، مع الإيجاز الخالي عن الإخلال ، والتلخيص العاري عن الإضلال... »^(٢) .

وبالجملة فكتاب البيضاوي يعد من أمهات كتب التفسير ، وقد حاز قصب السبق « تبوأ المنزلة العليا في زمانه ، وتلقاه العلماء بالقبول ، واحتل المكانة الأولى في الدراسة والتدريس ، لأنه كتاب نافع في موضوعه ، مفيد لقارئه ، عظيم في فنه ، مختصر في أسلوبه ، دقيق في عبارته ، حوى المعاني الكثيرة ، والعلوم النافعة والحكم البليغة والعبارات المسبوكة والحقائق الشرعية ، والبيان المشرق وجلّى فيه الفصاحة والبلاغة وأسرار التشريع ، وربطه بالمنطق ، وجمع فيه بين المنقول والمعقول »^(٣) .

ولما كان الكتاب بهذه المكانة والمنزلة فقد رزق بفضل الله عز وجل الانتشار والقبول عند جمهور الأفاضل والفحول ، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية والتعليق وقد ذكر حاجي خليفة ما يزيد على الأربعين حاشية^(٤) ،

(١) كشف الظنون : ١٨٧/١ .

(٢) تفسير البيضاوي مع حاشية الكازروني (طبعة مصورة في بيروت عن الطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٣٠هـ) ٢٠٤/٥ .

(٣) محمد الفاضل بن عاشور ، التفسير ورجاله (ط ٢ ، دار الكتب الشرقية ، تونس) ص ١٤٥ ، والتفسير والمفسرون : ٣٠٣/١ ود . محمد الزحيلي ، القاضي البيضاوي (سلسلة أعلام المسلمين) ط دار القلم ، دمشق : ١٩٨٨م) ص ١٢٤-١٢٥ .

(٤) من شاء الاطلاع عليها فليرجع إلى كشف الظنون : ١٨٨/١-١٩٤ . وعبد العزيز =

ومن أشهرها حاشية الشهاب الخفاجي ، وحاشية الكازروني وحاشية الفونوي ومن الحواشي المهمة التي ما زالت مخطوطة حاشية السيوطي (نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار) وقد سار السيوطي على المنهج نفسه الذي رسمه البيضاوي وضم إليه نفائس ما تفتقت به قريحته وعصاره ما وصل إليه ذهنه فقال موضعاً منهجه « واعلم أنني لخصت فيه مهمات ما في حواشي الكشاف السابق ذكرها مما يتعلق بعبارة الكتاب ، وضمنت إلى ذلك نفائس تستجد وتستطاب مما لخصته من كتب الأئمة الحفاظ الحافلة كتذكرة أبي علي الفارسي ، والخصائص والمحتسب وذا القَدِّ^(١) ، لابن جني ، وأمالي ابن الشجري ، وأمالي ابن الحاجب وتذكرة الشيخ جمال الدين ابن هشام ومغنيه ، وحاشيته ، للإمام بدر الدين الدماميني ، وشيخنا تقي الدين السُّمِّي^(٢) .

ثم أكد منهجه الذي سار عليه في كل تأليفه ومصنفاته بقوله « غير ناقل حرفاً من كلام أحد إلا معزواً إليه ، لأن بركة العلم عزوه إلى قائله »^(٣) .

ثم بيّن طريقته في هذا الكتاب بشكل أكثر تفصيلاً فقال :

« وحيث كان المحل من المشكلات التي كثر كلام الناس عليها أشبعت الكلام فيه بذكر كلام كل من تكلم عليه كثيراً للفائدة ، ومن المواضع ما وقع فيه تنازع وتباحث بين الأئمة قديماً وحديثاً ، بحيث أفردوه بالتأليف ، فأسوق خلاصة ذلك المؤلف »^(٤) .

= حاجي، البيضاوي مفسراً ، ص : ٣٠٨-٣١١ .

(١) ورد ذكره في خزانة الأدب ، ١٢٩/٢ وفي هامشها « جمعه من كلام شيخه أبي علي الفارسي » ويبدو أن ذا اسم إشارة وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب في كتابه الإلتقان وكتاب شرح أبيات المغني ، انظر مقدمة الخصائص لابن جني بتحقيق محمد علي النجار (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : ١٩٨٦م) ١/٦٨-٦٩ .

(٢) نواهد الأبيكار ، ق : ٥/أ وبهجة العابدين ، ق : ٢٥/ب .

(٣) سبق الحديث عن منهج السيوطي في مؤلفاته انظر ص ١٩٣ من هذا الكتاب .

(٤) نواهد الأبيكار : ق ٥/ب ، بهجة العابدين : ق ٢٥/ب .

مما تقدم يتبين لي أن السيوطي كعاداته في التأليف بيّن منهجه في الكتاب وذكر مصادره والكتب التي رجع إليها، مركزاً على الأمانة في نسبة كل قول لقائله والكتاب لصاحبه، وقد ألف السيوطي هذه الحاشية وهو في الذروة من العلم وفي أخريات حياته بعد اعتزاله الناس وكان عمره آنذاك قرابة (٥٠ سنة) وقبل وفاته بأحد عشر سنة تقريباً ، والتفسير من العلوم التي نبغ السيوطي بها ، فقد ذكر ذلك في أكثر من موضع فقال : تبخّرت في سبعة من العلوم وذكر منها التفسير^(١) . وقال في مقدمة كتابه تدريب الراوي^(٢) بعد بيان ما أمده الله تعالى به من العلوم فقال : « كالتفسير الذي به يطلع على فهم الكتاب العزيز ، وعلومه التي دونتها ولم أسبق إلى تحريرها الوجيز » ، وقد برهن السيوطي على براعته في هذا الفن تطبيقاً في حاشيته على هذا الكتاب فيقول : « الكلام على الخطبة ، قوله « الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » هو من الاقتباس ، وقد أجمع العلماء على جوازه في النثر واستعمله العلماء قاطبة في خطبهم وإنشاءاتهم ، وللمصنف في ذلك خصوصية ، وهو أن تفسيره هذا مبني كالكشف على أساليب علم المعاني والبيان والبديع ، والاقتباس من تلك الأساليب فكان في افتتاحه براعة استهلال من وجهين :

أحدهما : الإشارة إلى أن هذا المصنّف ، الذي شرع في افتتاحه تفسير للقرآن .

والثاني : الإشارة إلى أن هذا التفسير ، على قوانين وأساليب البراعة ، ولمثل ذلك افتتح الطيبي والتفتازاني معاً حاشيتي الكشف بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَوَاجًا ﴾ [الكهف : ١] .

ثم يتابع الحديث عن الاقتباس وأنواعه وأقوال العلماء فيه وأنه ألف في ذلك كتاباً حافلاً ولعله يقصد كتاب « رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب

(١) التحدث بنعمة الله : ٢٠٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٣٨ .

(٢) السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (ط ٢ دار الكتب العلمية بيروت : ١٩٧٩ م) ٣٩ / ١ .

المثل من القرآن والاعتباس»^(١) ثم يتابع شرح الكتاب بقوله : قوله كذا وكذا وقد لا يلتزم ذكر المتن^(٢) . وقبل الشروع في ضرب الأمثلة لبيان منهج السيوطي فيه أمهد لذلك بذكر :

آداب الشارح وشروطه :

«وهي أن يبذل النصرة فيما قد التزم شرحه بقدر استطاعته ويذب عما قد تكفل إيضاحه بما يذب به صاحب تلك الصناعة ليكون شارحاً غير ناقض وجارح ، ومفسراً غير معترض اللهم إلا إذا عثر على شيء لا يمكن حمله على وجه صحيح فحينئذ ينبغي أن ينبه عليه بتعريض أو تصريح ، متمسكاً بذيل العدل والإنصاف ، متجنباً عن الغي والاعتساف ، لأن الإنسان محل النسيان والقلم ليس بمعصوم من الطغيان . .»^(٣) .

وقد أشبع السيوطي الحديث على الفاتحة بحيث جاءت في (٦٤) ورقة مخطوطة بخط صغير وفي كل ورقة (٢٥) سطراً فعند الكلام على البسملة من سورة الفاتحة قال القاضي البيضاوي : « بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤهما^(٤) ومالك والأوزاعي ولم ينص أبو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشيء فظن أنها ليست من السورة عنده . .»^(٥) .

(١) وهو مطبوع ضمن الحاوي للفتاوي : ٢٥٩/١ .

(٢) ذكر حاجي خليفة أساليب الشرح وقسمها ثلاثة أقسام وطريقة السيوطي من النوع الثاني والطريقة الأولى أن يذكر المتن والشرح والثانية الاختصار على اللفظ المشروح فقط وهي طريقة السيوطي في حاشيته هذه . والطريقة الثالثة الشرح الممزوج وهو أن يمزج عبارة المتن والشرح ، انظر كشف الظنون المقدمة ٣٧/١ .

(٣) كشف الظنون : ٣٧/١ .

(٤) كذا هو في كثير من النسخ بالتثنية رجوعاً إلى البصرة والشام فقط ، دون المدينة . انظر حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي : ٢٨/١ .

(٥) تفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب : ٢٨٠٢٧/١ .

قال السيوطي : « قوله بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ، وهي من مهمات المسائل وحق لها أن تكون كذلك لأنه كلام يتعلق بإثبات آية من كتاب الله تعالى أو نفيها عنه ، وقد أفردا بالتصنيف خلق من الأئمة منهم الإمام أبو بكر بن خزيمة صاحب الصحيح ، والحافظ أبو بكر الخطيب والحافظ أبو عمر بن عبد البر ، ومال إلى مذهب الشافعي وهو من أئمة المالكية ومجتهديهم ، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي والفقيه سلطان بن إبراهيم المقدسي وأبو الفتح سليم بن أيوب الرازي ، وأبو المعالي مجلي صاحب الذخائر ، والحافظ أبو شامة .

ثم قال : قوله وعليه قراءة مكة كابن كثير والكوفة كعاصم وحمة والكسائي قوله : وخالفهم قراءة المدينة ، كنافع ، والبصرة كأبي عمرو والشام فقط ، وفي الكشف كابن عامر .

قوله : وفقهاؤهما ، كذا في النسخة التي وقفت عليها بضمير التثنية - ونعماً هي - رجوعاً إلى البصرة والشام فقط وفي الكشف وفقهاؤها بضمير جمع المؤنث رجوعاً إلى المدينة أيضاً ، وقد تعقبه البلقيني في كشفه بأنه يقتضي إجماع المدينة عليه وليس كذلك فإن جماعة من فقهاء المدينة من الصحابة والتابعين منهم ابن عمر والزهري وغيرهما يرون أنها آية من الفاتحة ومن غيرها فكأن المصنف أصلح العبارة إشارة إلى ذلك ثم قوله « من الفاتحة » يصدق قول من جعلها آية منه ومن غيرها ومن جعلها آية منها وبعض آية من غيرها ، ومن جعلها آية منه وأنها بين السور قرآن مستقل كسورة قصيرة لا آية من السورة ولا بعض آية وهي أقوال معروفة ومقابلها النفي فهي أربعة وفيها قول خامس أنها آية من الفاتحة وليست في سائر السور قرآناً أصلاً »^(١) .

ثم ذكر السيوطي أقوال العلماء في بيان سبب الاختلاف ولم أذكرها خشية التطويل وإنما ذكرت هذا النموذج لأبين مدى التزام السيوطي بمنهجه الذي

(١) نواهد الأبرار: ق ١١/أ .

خطه لنفسه في مقدمته فهذه مسألة من المسائل التي وقع فيها تنازع بين العلماء وتباحث بين الأئمة فأجد السيوطي يذكر أقوال العلماء في ذلك ثم يفصح عن وجهة نظره ويدلل على ذلك بالأدلة وقد ذكر السيوطي في مقدمته أنه حيث كان المحل من المشكلات التي كثر كلام الناس عليها أشيع الكلام فيه بذكر كلام كل من تكلم عليه تكثيراً للفائدة ، ومن المواضع ما وقع فيه تنازع وتباحث بين الأئمة قديماً وحديثاً ، بحيث أفردوه بالتأليف فيسوق خلاصة ذلك وهذا ما رأيته فيما سبق .

والسيوطي المفسر لا يجاري المصنف فيما يذهب إليه في تفسير الآيات المشكلات بل له رأي يقف عنده ويدافع عنه ويرد على البيضاوي فيما ذهب إليه ، أجد ذلك في كثير من المواضع منها عندما تعرض البيضاوي لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] . قال بعد تفسيره الآية : « والآية تدل على أن آدم أفضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه ، وأن إبليس كان من الملائكة وإلا لم يتناوله أمرهم ولم يصح استثناءه منهم ، ولا يرد على ذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ [الكهف : ٥٠] لجواز أن يقال : إنه كان من الجن فعلاً ومن الملائكة نوعاً ، ولأن ابن عباس رضي الله عنهما روى أن من الملائكة ضرباً يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم إبليس . . . »^(١) ثم أفاض الكلام عن الاستثناء المتصل والمنقطع .

فالمصنف هنا ذهب إلى القول بأن إبليس من الملائكة وذلك خلافاً لما ذهب إليه الزمخشري الذي اختصر كتابه في هذا الكتاب .

والسيوطي المحدث لا يترك حديثاً من الأحاديث التي يذكرها البيضاوي إلا ويتناولها بالتخريج والعزو إلى مصدرها - أو يشير إلى أنه لم يقف عليه - فمثلاً هنا يقول : (قوله : « ولأن ابن عباس روى أن من الملائكة ضرباً يتوالدون

(١) البيضاوي مع حاشية الشهاب : ١٣٣/٢ .

يقال لهم الجن ومنهم إبليس « لم أقف عليه »^(١) ثم يقول معقباً على كلام البيضاوي : « قوله ولعل ضرباً من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات إلخ » ، قلت - أي السيوطي - كان الأولى بالمصنف الإعراض عن هذا الكلام والإضراب عنه صفحاً ، ولكن هذه ثمرة التوغل في علوم الفلاسفة وعدم التضلع بالأحاديث والآثار ، والذي دلت عليه الآثار أن إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس وأنه لم يكن من الملائكة طرفة عين ، وأن المصحح للاستثناء التغليب لكونه كان منهم أو منقطع^(٢) . هنا أجد السيوطي يخالف البيضاوي في كون إبليس من الملائكة مع أن البيضاوي يضعف القول الآخر والذي ذهب إليه الزمخشري وتبعه السيوطي بقوله « ولمن زعم أنه لم يكن من الملائكة أن يقول : إنه كان جنياً نشأ بين أظهر الملائكة وكان مغموراً بالألوف منهم فغلبوا عليه . . . »^(٣) .

وكما ذكرت فالسيوطي لا يترك حديثاً إلا ويشير إلى مصدره فعندما أورد البيضاوي حديث عائشة رضي الله عنها أن الملائكة خلقت من نور والجن خلقت من نار^(٤) قال السيوطي : (قوله روت عائشة رضي الله تعالى عنها أنه ﷺ قال : « خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجِنُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ » أخرجه مسلم وتاممه : وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)^(٥) .

وقد تصدى السيوطي للبيضاوي في ذهابه إلى التمثيل في هذا الحديث عندما قال : بعد ذكره حديث عائشة « لأنه كالتمثيل لما ذكرت فإن المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير أن ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه

(١) نواهد الأبيكار : ق ١٤٢/أ .

(٢) م . ن : السابق .

(٣) حاشية الشهاب على البيضاوي : ١٣٣/٢ .

(٤) البيضاوي مع حاشية الشهاب : ١٣٤/٢ .

(٥) مسلم في الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة رقم (٢٩٩٦) : ٢٢٩٤/٤ .

بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والإحراق»^(١) لم يعجب السيوطي هذا الكلام وعلق عليه بقوله : « لو أمكن المصنف وأشباهه أن يحملوا كل حديث على التمثيل لفعلوا وهذا غير لائق ، وليت شعري إذا حمل ما ذكر في خلق الملائكة والجن على التمثيل ماذا يصنع في بقية الحديث ، أيحمل ما ذكر في خلق آدم على التمثيل وأنه ليس مخلوقاً من تراب كما هو ظاهر الآية . وهذه إحالة للنصوص عن ظواهرها فلتحذر هذه الطريقة فإن مدار المعتزلة عليها»^(٢) .

لقد قسا السيوطي على البيضاوي في حمل كلامه على التمثيل لأنه لم يقل « تمثيل » وإنما قال كالتمثيل ، فهو لم يخرج النصوص عن ظواهرها كما توهم السيوطي والله أعلم .

من الأمثلة على تخريج السيوطي للأحاديث التي يذكرها البيضاوي ما ذكره عند مفتتح تفسيره سورة البقرة في تفسير قوله تعالى (أَلَمْ) وذكر حديث ابن مسعود أنه عليه السلام قال : « مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ (أَلَمْ) حَرْفٌ بَلْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِمْ حَرْفٌ »^(٣) .

فقد قال السيوطي هذا الحديث وقال : « أخرجه الترمذي وقال : صحيح »^(٤) ، ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة غيره ولا هو في مسند الإمام أحمد على كبره ، نعم أخرجه غيره ، البخاري في تاريخه وابن الصُّريس في فضائل القرآن وأبو بكر ابن الأنباري في كتاب المصاحف والحاكم في

(١) م . ن : السابق .

(٢) نواهد الأبيكار : ق ١٤٢/أ .

(٣) البيضاوي مع حاشية الخفاجي : ١٥٥/١ .

(٤) الترمذي في فضائل القرآن ، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، رقم (٢٩١٠) : ١٧٥/٥ .

المستدرک وصححه أبو ذر الهروي في فضائل القرآن والبيهقي في شعب الإيمان ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبة والدارمي عن ابن مسعود موقوفاً^(١) .

وقد تبع البيضاوي صاحب الكشف في ذكره للأحاديث الواردة في فضائل السور في نهاية تفسير كل سورة ، وقد دافع صاحب كشف الظنون عن ذلك بقوله « وأما أكثر الأحاديث التي أوردها في أواخر السور فإنه لكونه ممن صفت مرآة قلبه وتعرضت لنفحات ربه ، تسامح فيه ، وأعرض عن أسباب التجريح والتعديل »^(٢) وقد نبه السيوطي على هذه الأحاديث وخرجها وبين صحيحها من ضعيفها وغثها من سمينها . فمثلاً في آخر سورة آل عمران ذكر أثريين عن رسول الله ﷺ : (مَنْ قَرَأَ سُورَةَ آلِ عِمْرَانَ أُعْطِيَ بِكُلِّ آيَةٍ مِنْهَا أَمَانًا عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ) وعنه عليه الصلاة والسلام : (مَنْ قَرَأَ السُّورَةَ الَّتِي فِيهَا آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ) والله أعلم^(٣) .

وكعاداته فقد تناول السيوطي هذه الأحاديث بالتخريج وبيان روايتها فقال : قوله من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تغيب الشمس أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس ، قوله : « من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية أماناً على جسر جهنم » قال السيوطي هذا من الحديث الموضوع الذي روي عن أبي بن كعب في فضائل القرآن سورة سورة ، وقد نبه أئمة الحديث وحفاظه ونقاده قديماً وحديثاً على أنه موضوع مختلق على رسول الله ﷺ وعابوا على من أورده من المفسرين في تفاسيرهم وها أنا أسوق نبذة من كلامهم في ذلك .

قال ابن الصلاح : (رويناه عن أبي عصمة وهو نوح بن أبي مريم أنه قيل من

(١) نواهد الأبيكار : ق ٦٤ / ب .

(٢) كشف الظنون : ١٨٨ / ١ .

(٣) البيضاوي مع حاشية الشهاب : ٩٥ / ٣ .

أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال : « إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهِ أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حُسبة » وهذا حال الحديث الطويل الذي روي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة سورة (١) .

وقد خطأ السيوطي كل من نقل هذا الحديث دون بيان سنده ومرتبته وأن مثل هذه الأحاديث لا يجوز السكوت عليها من غير بيان (٢) . ثم سار السيوطي على منهجه هذا في سائر الحاشية .

وهذه الحاشية على غزارة محتوياتها ما تزال مخطوطة ، أسأل الله تعالى ، أن يقتض لها من يريها النور ليعمّ النفع بها بين طلاب العلم والمتخصصين .

* * *

(١) نواهد الأبيكار : ق ٢٥١/أ .

(٢) م . ن : السابق : ق ٢٥٢/ب .

الفصل الثالث

التعريف بأهم مؤلفاته في علوم القرآن

- ١- لباب النقول في أسباب النزول .
- ٢- مفحمت الأقران في مبهمات القرآن .
- ٣- تناسق الدرر في تناسب السور .
- ٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع .
- ٥- معترك الأقران في مشترك القرآن .
- ٦- الإكليل في استنباط التنزيل .
- ٨- أسرار التنزيل (قطف الأزهار في كشف الأسرار) .



التعريف بأهم مؤلفات السيوطي

في علوم القرآن

بعد أن تحدثت عن أهم مؤلفات السيوطي في التفسير ، حان الوقت الآن للحديث عن أهم مؤلفاته في علوم القرآن وهي :

- ١- لباب النقول في أسباب النزول .
- ٢- مفحومات الأقران في مبهمات القرآن .
- ٣- تناسق الدرر في تناسب السور .
- ٤- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع .
- ٥- معترك الأقران في مشترك القرآن .
- ٦- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب .
- ٧- الإكليل في استنباط التنزيل .
- ٨- أسرار التنزيل المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) .

* * *

١- لباب النقول في أسباب النزول

تمهيد :

يعدُّ هذا الكتاب من أشمل ما كتب في موضوعه ، وقبل الشروع في التعريف بهذا الكتاب وبيان منهج السيوطي فيه لا بد لي من التعريف بهذا العلم وفوائده ، والمؤلفات في هذا الموضوع .

فسبب النزول : هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدة عنه أو مبيّنة لحكمه أيام وقوعه^(١) . والمراد بأيام وقوعه الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدثاً عن ذلك السبب ، سواء أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرة ، أم تأخر عنه مدة لحكمه من الحكم .

قال الأستاذ الدكتور نور الدين عتر : « وعبروا بقولهم « أيام وقوعه » بالجمع لأنه قد ينزل القرآن بعد السبب بقليل مثل آيات قصة الكهف ، نزلت بعد خمسة عشر يوماً من سؤال المشركين للنبي ﷺ »^(٢) .

وقد خرجت بهذا القيد الآية أو الآيات التي نزلت تتحدث عن بعض الوقائع التاريخية والأحوال الماضية ، أو القصص ، فهذا ليس من أسباب النزول لأنها

(١) الزرقاني ، متاهل العرفان في علوم القرآن : ٩٩/١ وانظر . نور الدين عتر ، القرآن الكريم والدراسات الأدبية (نشر جامعة دمشق : ١٩٨٥م) ص ٥٣ ، وانظر كتابه محاضرات في علوم القرآن (نشر جامعة دمشق : ١٩٨٤م) ص ٧٣ ، ومناع القطان ، مباحث في علوم القرآن (ط ١٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٦م) ص ٧٨ .

(٢) د . عتر ، الرواية عند السيوطي في تفسير الجلالين (بحث نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، الجزء الرابع ، المجلد السابع والستون ربيع الآخر ١٤١٣ هـ ، ص ٦٣٦ ، وانظر القرآن والدراسات الأدبية ٥٣ - ٥٤ .

لم تقع أيام نزول القرآن وقد نبّه على ذلك السيوطي بقول : « والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحد في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء ، بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قدوم نوح وعاد وشمود وبناء البيت ونحو ذلك . . فليس ذلك من أسباب النزول كما لا يخفى »^(١) .

فوائده :

لمعرفة سبب النزول فوائد ، قال السيوطي في مقدمة كتابه (لباب النقول) : « وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ »^(٢) ومن فوائده :

- ١- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .
- ٢- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .
- ٣- أن اللفظ قد يكون عاماً ، ويقوم الدليل على تخصصه ، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته ، فإن دخول صورة السبب قطعي ، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، لأنه ظني وهذا ما عليه الجمهور .
- ٤- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال ، قال الواحدي : « لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها »^(٣) .

(١) السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول (ط ٣ ، دار احياء العلوم ، بيروت : ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ص ١٤ ، وانظر الإتيان : ١٠١ / ١ . وطاش كبري زادة ، مفتاح السعادة (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٥ م) ٣٤٩ / ٢ ، فقد نقل عن السيوطي كثيراً .

(٢) لباب النقول : ١٣ ، وانظر الإتيان : ٨٢ / ١ .

(٣) الواحدي ، أسباب نزول القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر (ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، مصر : ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ٥ .

وقال ابن دقيق العيد : « بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن »^(١) .

وقال ابن تيمية : « معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب »^(٢) .

وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال .

وقد ذكر السيوطي في إتقانه أمثلة عديدة على ذلك أذكر مثلاً واحداً وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨] فإن ظاهر لفظ الآية لا يقتضي أن السعي فرض ، لأن رفع الجناح يفيد الإباحة لا الوجوب ، وذهب بعضهم إلى هذا تمسكاً بالظاهر ، وقد ردت السيدة عائشة على عروة بن الزبير في فهمه ذلك بما ورد في سبب نزولها ، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية ، حيث كان على الصفا (إساف) وعلى المروة (نائلة) وهما صنمان ، وكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما « عن عائشة أن عروة قال لها أرايت قول الله : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا ﴾ ؟ فما أرى على أحد جناحاً أن لا يطوف بهما ؟ فقالت عائشة : بشئ ما قلت يا ابن أخي إنها لو كانت على ما أولتها كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما ، ولكنها إنما أنزلت في الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهللون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها . وكان من أهل لها يتخرج أن يطوف بالصفا والمروة في الجاهلية فأنزل الله : ﴿ إِنَّ

(١) ذكره في الاتقان : ٩٢/١ .

(٢) ابن تيمية ، مقدمة في أصول التفسير ، تحقيق عدنان زرور (ط دار القرآن الكريم ، بيروت : ١٩٧١م) ص ٤٧ .

الْصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَاءِ اللَّهِ ﷺ قالت السيدة عائشة : ثم قد بين رسول الله ﷺ الطواف بهما ، فليس لأحد أن يدع الطواف بهما «^(١)» .

المؤلفات في هذا الموضوع :

نظراً لتعلق أسباب النزول بالرواية فقد اهتم المحدثون بهذا العلم وألّفوا فيه منذ أقدم العصور ، كما اعتنى به المفسرون وأوردوا كثيراً من أسباب النزول في تفاسيرهم :

١- فمن أقدم من ألف في هذا الموضوع علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م) شيخ البخاري في كتاب سماه (أسباب النزول) وهو مفقود^(٢) .

٢- ثم عبد الرحمن بن محمد الأندلسي المعروف « بابن فطيس » (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) ألف كتاباً كبيراً سماه (القصص والأسباب التي نزل من أجلها القرآن) قال عنه ابن بشكوال « إنه في نحو مئة جزء ونيف »^(٣) .

(١) البخاري في الحج ، باب : وجوب الصفا والمروة وجعل من شعائر الله ، رقم (١٥٦١) ومسلم في الحج ، باب : بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به رقم (١٢٧٧) .

(٢) الإتيقان : ٩٢ / ١ .

(٣) لعله يقصد جزءاً حديثاً ، انظر ابن بشكوال ، الصلة (ط الدار المصرية للتأليف والترجمة ، سلسلة تراثنا ، المكتبة الاندلسية ، القاهرة : ١٩٦٦م) ص ٣١١ . وقد ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٧٦ / ١ وقال : « ترجمته بالفارسية لأبي النصر سيف الدين أحمد الاسبرتكيني » وانظر القنوجي ، أبجد العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار (ط وزارة الثقافة ، دمشق : ١٩٨٨م) ٧٦ / ٢ ، ٧٣ . وقد أشار إليه الحسين جرنو جلو في رسالته (منهج القرآن التربوي ، في ضوء أسباب النزول) ضمن المؤلفات في أسباب النزول وذكره مرتين ظناً منه أنهما لمؤلفين فمرة نسبته للشيخ عبد الرحمن بن محمد ، المعروف بمطرف الأندلسي (ت ٤٠٢هـ / ١٠١٢م) ونسبه مرة أخرى لأبي المطرف ، عبد الرحمن بن عيسى (ت ٤٠٢هـ / ١٠١٢م) وقال في =

٣- وأشهر كتاب في هذا الفن كتاب الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد بن متّوية (ت ٤٦٨ هـ / ١٠٧٥ م) الذي رجع إليه السيوطي وأفاد منه كثيراً^(١) ، وأشار السيوطي في الإتيقان إلى أن هذا الكتاب اختصره الجعبري فحذف أسانيده ، ولم يزد عليه شيئاً^(٢) .

٤- ثم جاء بعده أبو المظفر محمد بن أسعد الحلبي العراقي (ت ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م) وألف كتاباً سماه (أسباب النزول) أشار إليه حاجي خليفة إشارة عابرة ووقع عنده القرافي بدل العراقي ولم يذكر تاريخ وفاته^(٣) . توجد منه نسخة مخطوطة في جامعة محمد بن سعود الإسلامية^(٤) .

٥- ولأبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروري ، المازندراني (ت ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) كتاب سماه (الأسباب والنزول على مذهب آل الرسول) ذكره إسماعيل باشا في إيضاح المكنون^(٥) ، وأشار إليه الزركلي في

(٣٠) جزءاً « انظر الحسين جرنو جلو ، منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول (أطروحة تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه من جامعة دمشق ، كلية التربية ، قسم المناهج وأصول التدريس بإشراف الأستاذين الدكتورين محمود السيد ومحمد الزحيلي للعام ١٩٩١ - ١٩٩٢ م) مطبوعة على الكمبيوتر ص ٨٤ » .

(١) لباب النقول : ١٦ .

(٢) الإتيقان : ٩٢ / ١ . وانظر كشف الظنون : ٧٦ / ١ .

(٣) انظر كشف الظنون : ٧٦ / ١ .

(٤) نص على ذلك محمد عبد الله محمد ثاني في رسالته التي تقدم بها إلى جامعة الزيتونة لنيل درجة الدكتوراه الحلقة الثالثة بعنوان (إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمشاوّه وتجويد القرآن ، لابن عطية الأجهوري مرقونة على الآلة الكاتبة سنة ١٢٣ / ١ م ١٩٩٠) .

(٥) إسماعيل باشا ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، (ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، المصورة عن نسخة إستانبول : ١٩٤٥ م) ٦٩ / ٣ .

الأعلام وسكت عنه^(١) بينما أشار الحسين جرنو جلو إلى أنه مطبوع^(٢) ، وجعله محمد عبد الله ثاني من المفقود^(٣) .

٦- ثم جاء ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) وألف كتاباً بعنوان (أسباب النزول)^(٤) .

٧- وأتى بعده أبو عبد الله محمد بن أحمد الموصلي (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ووضع كتاباً سماه (يتيمة الدرر في النزول وآيات السور) توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة تشتربتي بدبلن رقم (٣٩٦١)^(٥) .

٨- ثم جاء الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) وألف كتاباً سماه (العُجَاب في بيان الأسباب)^(٦) وقد حققه خالد السامرائي ويوسف المرعشلي ونشر في دار المعرفة في بيروت ، والمكتبة الإسلامية في إستانبول^(٧) ، ولكن الحافظ لم يبيضه إذ مات عنه مسوّد ، ولذلك لم يطلع

(١) الأعلام : ٢٢٧٩/٦ .

(٢) منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول : ٨٤ . وقد عدّ هذا الكتاب مرتين أيضاً مرة بعنوان أسباب النزول وأخرى بعنوان (أسباب النزول على مذهب آل الرسول) .

(٣) محمد عبد الله ثاني في دراسته لكتاب إرشاد الرحمن : ١٢٣/١ .

(٤) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ٧٦/١ . وانظر علي شواخ إسحاق ، معجم مصنفات القرآن (ط دار الرفاعي ، الرياض : ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ١٢٧/١ .

(٥) ذكر ذلك يوسف المرعشلي في تعليقه على البرهان في علوم القرآن للزركشي (ط ١ ، دار المعرفة بيروت : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ١٠٤/١ و ١١٦ .

(٦) ورد اسمه في كشف الظنون (أسباب النزول) ولعل في ذلك تسامحاً في العبارة لأن السيوطي في آخر كتابه (الدرر المنثور) ٦٩٩/٨ نص على عنوان الكتاب فقال : قال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه في أول كتاب أسباب النزول وسماه (العجَاب في بيان الأسباب) . وقد نقل محقق كتاب أسباب النزول للواحدي السيد أحمد صقر نصاً طويلاً من مقدمته لأهميته انظر ص : ٢٤ - ٢٧ .

(٧) هكذا ذكر كتاب البرهان : ١١٦/١ .

عليه السيوطي كاملاً^(١) ، هذا ما يؤكد نفي التهمة التي ألصقها السخاوي بالسيوطي من أنه اختلس كتاب شيخه (أي ابن حجر) ونسبها لنفسه^(٢) .

٩- وبعد الحافظ ابن حجر أُلّف القاضي زين الدين عبد الرحمن بن علي بن إسحاق التميمي الداري الخليلي القدسي (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) كتاباً في أسباب النزول سماه (مدد الرحمن في أسباب نزول القرآن) ذكره إسماعيل باشا في إيضاح المكنون^(٣) .

١٠- ثم أُلّف السيوطي كتابه (لباب النقول) بعد أن اطلع على معظم المؤلفات السابقة وقال « وألّفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلّف مثله في هذا النوع - أي معرفة سبب النزول - وسَمَّيته (لباب النقول في أسباب النزول)^(٤) » ، هذه هي المصنفات في أسباب النزول حتى عصر السيوطي .

أما المؤلفات في أسباب النزول بعد السيوطي فهي قليلة جداً وكل من أتى بعده فهو عالة عليه ، ومن هذه المؤلفات ما هو عام لم يقتصر على أسباب النزول فحسب بل ضم إليه بعض أنواع علوم القرآن كالناسخ والمنسوخ وغيره مثل كتاب :

١١- عطية بن عطية الأجهوري الأزهري (ت ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م) الذي أُلّف كتاباً في علوم القرآن سماه (إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن) وقد قام بتحقيق جزء منه محمد عبد الله محمد ثاني ، ونال به دكتوراه الحلقة الثالثة من الجامعة الزيتونية بتونس .

(١) الإتيقان : ٩٢/١ .

(٢) الضوء اللامع : ٦٨/٤ .

(٣) إيضاح المكنون : ٤٥٥/٤ ، وقد أشار إلى هذا الكتاب يوسف المرعشلي في تعليقه على البرهان للزركشي : ١١٦/١ .

(٤) الإتيقان : ٩٢/١ ، وانظر مقدمة حسن تميم على لباب النقول ص : ٧ .

١٢- ابن خليفة العليوي (معاصر) وقد ألف كتاباً سماه (جامع النقول في أسباب النزول وشرح آياتها) اعتمد فيه على كتاب عطية الأجهوري المتقدم وعلى كتابي الواحدي والسيوطي^(١) ، وقد طبع هذا الكتاب في جزأين في المملكة العربية السعودية ثم ظهرت مؤلفات في صحيح أسباب النزول خاصة وهي لمؤلفين معاصرين أحدهما :

١٣- الشيخ عبد الفتاح القاضي المدير العام للمعاهد الأزهرية الذي ألف كتاباً سماه : (أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين) اقتصر فيه على الصحيح فقط إذ جاء في مقدمته وسوف لا أذكر من أسباب النزول إلا ما كان صحيح السند محقق الثبوت »^(٢) .

١٤- والآخر مقبل بن هادي الوادعي الذي أعد بحثاً جامعياً تقدم به إلى كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان (الصحيح المسند من أسباب النزول) والذي يظهر أنه التزم فيه الصحة في الأسانيد فقد بذل جهده في تتبع روايات الحديث ولا يكتفي بحكم واحد عليه بالصحة بل يتأكد من ذلك من مصادر متعددة قال في مقدمته (لم آل جهداً في الحرص على العزو إلى أئمة الحديث وكتبهم ، وقد يضيق عليّ الوقت فأكتفي في العزو إلى بعضهم وربما اكتفيت بعزو بعض المؤلفين إليهم وهذا قليل)^(٣) .

بعد هذا العرض الذي شمل تعريف أسباب النزول وفوائده والمؤلفات فيه حان الوقت الآن للحديث عن كتاب السيوطي (لباب النقول) وبيان موقعه من هذه الكتب ومنهج فيه :

-
- (١) محمد عبد الله ثاني في دراسته لكتاب إرشاد الرحمن : ١/ ١٢٣ .
(٢) عبد الفتاح القاضي ، أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين (ط دار الندوة الجديدة ، بيروت : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ص ١٠ . وانظر التعريف بالكتاب وبمنهجه في رسالة الحسين جلوه منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول : ص ٨٨ .
(٣) مقبل بن هادي الوادعي ، الصحيح المسند من أسباب النزول (ط مطابع الهدف الكويت د : ت) ص : و (المقدمة) .

منهج السيوطي في كتابه (لباب النقول) والموازنة بينه وبين (أسباب النزول) للواحدى

ذكرت فيما سبق أن السيوطي قبل تأليفه هذا الكتاب اطلع على كتب من سبقه في هذا الفن ، وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه فقال : « لخصته من جوامع الحديث وحررته من تفاسير أهل النقول »^(١) .

وقد أشار السيوطي إلى كتابه هذا في معرض حديثه عن النوع التاسع « معرفة أسباب النزول » في كتابه (الإتيقان) وتعرض لكتب من سبقه ثم قال : « ومن أشهرها كتاب الواحدى على ما فيه من إعواز »^(٢) .

وقد أفصح عن هذا النقص في كتاب الواحدى في التنبيه الثالث في كتابه (لباب النقول) حيث قال : « أشهر كتاب في هذا الفن الآن كتاب الواحدى ، وكتابي هذا يتميز عليه بأمور :
* أحدها : الاختصار .

* ثانيها : الجمع الكثير ، فقد حوى زيادات كثيرة على ما ذكره الواحدى ، وقد ميزتها بصورة (ك) رمزاً عليها .

* ثالثها : عزوه كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب المعتمدة كالكتب الستة والمستدرک . . أما الواحدى فتارة يورد الحديث بإسناده . وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث ، فلا شك أن عزوه إلى الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدى لشهرتها واعتمادها وركون الأنفس إليها وتارة يورده مقطوعاً فلا يدري هل له إسناد أو لا .

(١) لباب النقول ، المقدمة ص ٤ .

(٢) الإتيقان : ٩٢/١ .

* رابعها : تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود .

* خامسها : الجمع بين الروايات المتعارضة^(١) .

* سادسها : تنحية ما ليس من أسباب النزول^(٢) .

ولكن هل نسلّم للسيوطي في مميزات كتابه هذا ؟ وهل فعلاً كان كتابه كما ذكر ؟ بعد إمعان النظر في الكتاتين يتبين أن السيوطي كان مبالغاً في دعواه هذه فلم يلتزم - غالباً - بما ذكره في كتابه من مميزات .

فمثلاً في البند الرابع تمييز الصحيح من غيره أجده السيوطي لم يفعل ذلك إلا قليلاً ، بل إنه أحياناً لم يميز ذلك في الزيادات التي أتى بها .

فمثلاً في أوائل سورة البقرة ومما زاده على الواحدي قوله تعالى : ﴿ كَصَيِّبٍ ﴾ [البقرة : ١٩] قال السيوطي : (ك) أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا : كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله ﷺ إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق ، فجعلوا كلما أصابهما الصواعق جعلوا أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلها ، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه ، وإذا لم يلمع لم يبصرا ، فأتيا مكانهما يمشيان فجعلوا يقولان : ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده ، فأتياه فأسلما ووضع أيديهما في يده وحسن إسلامهما ، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة ، وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا ،

(١) في النسخ المطبوعة من لباب النقول (الروايات المتعددة) والصواب ما أثبتته من النسخة المخطوطة للباب النقول من أسباب النزول ، نسخة دار الكتب الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٠٥٠) ق ٣/ب .

(٢) لباب النقول : ١٦ .

كما كان ذاك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو فتحاً شؤوا فيه ، وقالوا : إن دين محمد حينئذ صدق . واستقاموا عليه ، كما كان ذاك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠] وكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابهم البلاء قالوا : هذا من أجل دين محمد وارتدوا كفاراً كما قال ذاك المنافقان حين أظلم البرق عليهما^(١) .

هنا انتهى هذا الأثر ولم يعقب عليه السيوطي بشيء في حين أنه حديث غير صحيح فقد نقل هذا الحديث الإمام الطبري في تفسيره^(٢) ، وعقب عليه بقوله : « وقد ذكرنا الخبر الذي روي عن ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان : إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله ﷺ أدخلوا أصابعهم في آذانهم فرقاً من كلام رسول الله ﷺ أن ينزل منهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا ، فإن كان ذلك صحيحاً ولست أعلمه صحيحاً ، إذ كنت بإسناده مرتاباً »^(٣) .

قال الشيخ أحمد شاکر محقق الكتاب « وحق لأبي جعفر رحمه الله أن يرتاب في إسناده فإن هذا الإسناد فيه تساهل كثير »^(٤) .

وأما ما ذكره السيوطي من أن كتابه يتميز على كتاب الواحدي بالزيادات عليه وأنه يميز هذه الزيادات بحرف (ك) فقد كان السيوطي صادقاً في دعواه فقد ذكر زيادات كثيرة على كتاب الواحدي^(٥) ، إلا أنه في بعض الأحيان قد

(١) لباب النقول ١٨ ونقله في الدر المنثور ١٨/١ .

(٢) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن تحقيق محمود وأحمد شاکر (ط دار المعارف ، مصر : د . ت) ٣٤٧/١ .

(٣) م . ن : ١/٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٤) م . ن : ١/٣٤٨ (حاشية) .

(٥) انظر على سبيل المثال لباب النقول ص : ١٧ ، ٢٠ - ٢١ ، ٣٢ ، ٥٣ ، ٧٢ - ٧٣ ، ٨٤ - ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١١٠ - ١١١ ، ١٣٤ - ١٣٥ ، ١٧٤ ، ١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ - ٢٣٧ إلخ .

يشير إلى أثر من الآثار بحرف (ك) ويكون الواحدي قد ذكر هذا الأثر - وهذا شأن المكثرين من التأليف - فقد أشار إلى الخبر الذي يلي المثال السابق بحرف (ك) للدلالة على أنه من زياداته على الواحدي وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ [البقرة : ٢٦] قال السيوطي : « (ك) أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده : لَمَّا ضَرَبَ اللَّهُ هَذِينَ الْمُثْلِينَ لِلْمُنَافِقِينَ ، قَوْلُهُ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [البقرة : ١٩] قال المنافقون : الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ إلى قوله : ﴿ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) . هذا الأثر لم يغفله الواحدي بل ذكره بالمتن نفسه ولكن بطريق آخر فقال : « قال ابن عباس في رواية أبي صالح لما ضرب الله سبحانه هذين المثليين للمنافقين يعني قوله ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِينَ اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾ وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ قالوا : الله أجل وأعلى من أن يضرب الأمثال فأنزل الله هذه الآية » ^(٢) .

ثم عاد السيوطي إلى منهجه الذي رسمه لنفسه وهو الجمع الكثير وتمييز الصحيح من غيره فنقل ما ذكره الواحدي وعلق عليه بينما اكتفى الواحدي بذكر الأثر بسنده موصولاً إليه ^(٣) ، فقال السيوطي : وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني ^(٤) بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال : إن الله ذكر آلهة المشركين ، فقال : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا ﴾ [الحج : ٧٣] وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت ، فقالوا : أرأيت

(١) لباب النقول : ١٨ - ١٩ .

(٢) أسباب النزول : ٣٢ .

(٣) م . ن : ص ٣٣ .

(٤) وقع في مطبوعتي أسباب النزول للواحدى (عبد العزيز) فليتنبه (انظر طبعة دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت : ١٩٨٨ م) ص ٢١ ، وطبعة دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٩٨٥ م) ص ٣٣ .

حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد ، أي شيء كان يصنع بهذا ؟ فأنزل الله هذه الآية . قال السيوطي معلقاً : « عبد الغني وإجداً » .

ثم يتابع السيوطي نقله فيقول : « وقال عبد الرزاق في تفسيره : أخبرنا معمر عن قتادة لما ذكر الله العنكبوت والذباب ، قال المشركون : ما بال العنكبوت والذباب يذكران ، فأنزل الله هذه الآية » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال : لما نزلت ﴿يَكْأُيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ [الحج : ٧٣] قال المشركون : ما هذا من الأمثال فيضرب أو ما يشبه هذه الأمثال ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الآية .

بعد أن انتهى من ذكر الروايات هنا يعلق السيوطي قائلاً : « قلت : القول الأول أصح إسناداً وأنسب بما تقدم أول السورة - ويقصد الرواية الأولى التي أخرجها ابن جرير عن السدي بأسانيده - وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية ، وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلغفظ قالت اليهود : وهو أنسب »^(١) .

أقول : وقد تقدم تعليق ابن جرير ومحقق الكتاب أحمد شاكر على أسانيد الشدي فيحمل قول السيوطي إنها أصح إسناداً على أنها أرجح إسناداً من أسانيد الروايات الأخرى لا أنها صحيحة^(٢) .

والسيوطي لم يلتزم الصحة في كتابه ، فقد ذكر روايات ضعيفة^(٣) ، نبه في

(١) لباب النقول : ص ١٩ .

(٢) يقول علماء المصطلح لا يلزم من قولهم « هذا الحديث أصح إسناداً صحة الحديث فإنهم يقولون هذا أصح ما جاء في الباب وإن كان ضعيفاً مرادهم أرجحه أو أقله ضعفاً » راجع تدريب الراوي ، (ط . أحمد هاشم) ص : ٦٥ .

(٣) انظر على سبيل المثال لباب النقول (ط دار قتيبة) ص ١٧ ، ٢٦ - ٢٧ ، ٤٣ - ٤٤ ، ٨٠ - ٨١ ، ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٥٠ إلخ ففي جميعها روايات ضعيفة نبه السيوطي عليها .

مقدمة كتابه على أن سيميزها عن الروايات الصحيحة .

فمن ذلك مثلاً ما أورده في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [التوبة : ٧٥] ، قال : « أخرج الطبراني وابن مردويه وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن أبي أمامة : أن ثعلبة بن حاطب قال : يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً ، قال : ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره ، خير من كثير لا تطيقه ، قال : والله لئن آتاني الله مالاً لأوتين كل ذي حق حقه ، فدعا له فاتخذ غنماً ، فنمّت حتى ضاقت عليه أزقة المدينة ، فتنحى بها ، وكان يشهد الصلاة ثم يخرج إليها ثم نمّت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة فتنحى بها ، فكان يشهد الجمعة ، ثم يخرج إليها ، ثم نمّت فتنحى بها ، فترك الجمعة والجماعات ثم أنزل الله على رسوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة : ١٠٣] فاستعمل على الصدقات رجلين ، وكتب لهما كتاباً ، فأتيا ثعلبة فأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال : انطلقا إلى الناس ، فإذا فرغتم فمروا بي ففعلا فقال : ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا ، فأنزل الله : ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِذَا ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ إلى قوله ﴿ يَكْذِبُونَ ﴾ الحديث ^(١) . ثم قال السيوطي : « أخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه » ^(٢) .

هذا ما أورده السيوطي في سبب نزول هذه الآيات ، وليته أعرض عن ذكر مثل ذلك حتى لا تتخذ ذريعة عند القصاص وغيرهم لأن هذه الرواية التي ذكرها وأشار إلى ضعفها فيها إشكالات في السند والمتن وقد نبه على ذلك الأستاذ الدكتور نور الدين عتر فقال :

« أما في السند فقد اختلف الرواة في ذكر اسم صاحب القصة ، فبعض الرواة سماه « ثعلبة بن حاطب » وبعضهم لم يسمه إطلاقاً بل أغفله ،

(١) لباب النقول : ١٢١ .

(٢) م . ن : وانظر الطبري : ١٨٩/١٠ .

والملاحظ بعد دراسة الأسانيد أن الروايات التي ورد فيها تعيين الاسم أنه ثعلبة بن حاطب ضعيفة - أشار إليها السيوطي - قال الإمام البيهقي بعد أن أوردها : هذا حديث مشهور بين أهل التفسير ، وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف^(١) .

وأما في المتن :

١- ففي القصة أن صاحبها هو ثعلبة بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب صحابي أنصاري قديم الإسلام شهد بدر^(٢) ، فهو إذاً ثابت العدالة ، لا يمكن وصفه بالنفاق ، لأن عدالة الصحابة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع^(٣) فضلاً عن كونه من أهل بدر ، وفضلهم ثابت بالتواتر .

٢- تعارض تسمية صاحب القصة ، فهناك من يقول : إنه ثعلبة بن حاطب ، وقيل : ثعلبة بن أبي حاطب ، وقيل : حاطب بن أبي بلتعة ، وكأن التسمية وردت لذهن بعض الرواة توارداً مصادفاً ، دون مستند ثابت .

٣- إن نص القرآن حكى الواقعة عن جماعة ﴿لَنَصَدَّقَنَّ﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا﴾ والرواية تجعله واحداً ، فهي تخالف نص القرآن^(٤) .

أقول : لو أن السيوطي قد نحى مثل هذه الروايات الضعيفة والمشكلة لكان القارئ مطمئناً إلى جميع الروايات المذكورة في كتابه .

(١) البيهقي ، دلائل النبوة ، تعليق عبد المعطي قلنجي (ط دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٥م) ٢٩٢/٥ .

(٢) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة (ط دار الكتاب العربي ، بيروت : د . ت) ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

وقد ذكر القصة كاملة وقال : فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل ، فالظاهر أنه غيره والله أعلم .

(٣) د . عتر ، منهج النقد في علوم الحديث (ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق : ١٩٧٩م) ص : ١٢١ .

(٤) د . عتر ، الرواية عند السيوطي في تفسير الجلالين ص ٦ - ٨ . (بتصرف يسير) .

ومن جملة ما ذكره السيوطي من مميزات كتابه عن كتاب الواحدي تنحية ما ليس من أسباب النزول ، فهناك أسباب ذكرها الواحدي في نزول بعض الآيات ولم يذكرها السيوطي ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَكُونُوا تَأْمِنُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ١٢] . قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا بإخراج الرسول (١) .

ولم يتعرض السيوطي لهذه الآية ، وعدّها نازلة على السبب العام .
وكذلك الشأن في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ﴾ [التوبة : ٢٣] .

قال الواحدي : قال الكلبي : لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامراته : إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلّق به زوجته وعياله وولده فيقولون : نشدك الله أن لا تدعنا إلى غير شيء فتضيعنا فنضيع ، فيرقّ فيجلس معهم ويدع الهجرة ، فنزل قول الله تعالى يعاتبهم : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ﴾ الآية (٢) .

قال الواحدي : ونزل في الذين تخلّفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ [التوبة : ٢٤] يعني القتال وفتح مكة (٣) .

هنا أيضاً لم يتعرض السيوطي لنزول هاتين الآيتين وعدّهما نازلتين على السبب العام أو أنهما على سبيل التفسير لا من أسباب النزول .

(١) أسباب نزول القرآن : ٢٤٠ .

(٢) م . ن : السابق .

(٣) م . ن : السابق .

هذا أهم ما يتميز به كتاب السيوطي من الواحدي من حيث المنهج والمضمون .

أما من حيث الحجم والعدد فقد جمع الواحدي ما لا يقل عن (٨٥٨) آية ما بين مصرح بها ومشار إليها : ٩٧, ٣٤٪ منها مكية (٣٠٠ آية) ، مقابل ٠٣, ٦٥٪ منها مدنية (٥٥٨) آية ، وذلك في (٨٢) سورة ، ٣٠٪ منها مدنية (٢٥) سورة مقابل ٦٩٪ منها مكية (٥٧) سورة^(١) .

أما السيوطي فقد أورد في كتابه ما لا يقل عن (٩٥٤) آية تصريحاً أو إشارة بنسبة ٩٣, ٤١٪ (٤٠٠) آية مقابل ٥٨, ٠٧٪ منها مدنية (٥٥٤) آية وذلك في ١٠٢ من السور القرآنية (٨٩, ٤٧٪) ٥٣, ٧٣٪ منها مكية (٧٥) سورة مقابل ٤٧, ٢٦٪ منها مدنية (٢٧) آية^(٢) .

ومن الجدير بالذكر ، أن السيوطي ابتداء كتابه (لباب النقول) بمقدمة طويلة وتنبهات ، تحدث في المقدمة عن فوائد أسباب النزول ، وقد أشرت إليها في تمهيدي الذي قدمته للتعريف بهذا الكتاب ، وذكر ثلاثة تنبيهات مرت خلاصتها في ثانيا التعريف بالكتاب وبمنهجه أيضاً^(٣) .

طباعات الكتاب :

أشرت فيما سبق إلى أن هذا الكتاب من أكثر كتب السيوطي طباعة وانتشاراً وتداولاً بين الناس ، فقد طبع بشكل مستقل وبها مش تفسير الجلالين .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن طباعات الكتاب جميعها متماثلة في الأخطاء والسقطات ، ولم ينل العناية الكافية حتى الآن ، فحبذا لو أعيد تحقيق الكتاب

(١) قام الزميل الحسين جلو بإحصاء ذلك في رسالته الدكتوراه « منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول » مرقونة على الكمبيوتر ، ص ٨٥ .

(٢) م . ن : ص ٨٨ .

(٣) انظر مقدمة السيوطي على كتابه لباب النقول : ص ١٣ - ١٦ .

بتخريج رواياته والتعليق عليها لكان في ذلك خدمة لهذا الكتاب النفيس ، ولا سيما أن للكتاب مخطوطات عدة منها مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم (٥٠٥٠)^(١) ونسخة أخرى بدار الكتب المصرية رقم (٤٥)^(٢) . هذا وقد قام الدكتور بديع السيد اللحام بتخريج رواياته وتصحيح الكثير من الأخطاء الواقعة في الكتاب بالعودة إلى مصادره واعتماده على نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وطبع الكتاب في دار الهجرة سنة ١٩٩٠ م .

* * *

(١) عندي نسخة مصورة عنها .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية (ط دار الكتب المصرية ، القاهرة : ١٩٢٤ م) ٦٠ / ١ .

٢- مفهمات القرآن في مبهمات القرآن

علم المبهمات علم شريف اهتم به السلف كثيراً ، ويعد فرعاً من فروع التفسير الذي يعتمد فيه على المنقول عن النبي ﷺ ، والمأثور عن الصحابة والتابعين .

وقبل الشروع في التعريف بهذا الكتاب اللطيف ، لا بد لي من تعريف هذا العلم والمصنفات فيه ومعرفة أسبابه .

فالمُبْهَم في اللغة على وزن مُكْرَم ، وهو الأمر المغلق ، فأبهم عليه الأمر : اشتبه ، وأمر مبهم : لا مأتى له ، وكلام مبهم : لا يعرف له وجه يؤتى منه^(١) . فالإبهام إذن : الإعجام والخفاء وكل ما ورد في القرآن الكريم بلفظ رجل أو امرأة أو ملك أو جنى ، أو جاء باسم الموصول أو من أو مثنى أو مجموع سواء من الأقوام أو الحيوانات وكذلك أسماء الأمكنة والأزمنة ولم يفصح القرآن عن اسمه صراحة فهو من المبهمات .

وقد عرّف أحد الباحثين علم المبهمات في القرآن بأنه : « الدراسة التفسيرية التي تتناول آيات القرآن الكريم ، من حيث معرفة ما أبهم فيها من عدد ، أو مدد ، أو اسم أو نسب ، بواسطة النقل المحرر الدقيق عن ثقات الأمة »^(٢) .

-
- (١) انظر التعريفات اللغوية للمبهم في مادة (بهم) عند كل من ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون (ط دار الفكر ، بيروت : ١٩٧٩م) ١/ ٣١١ وله أيضاً مجمل اللغة ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٤م) ١/ ١٣٨ ، وانظر الجوهري ، الصحاح (ط . دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٨٤م) ٥/ ١٨٧٥ ، وابن منظور ، لسان العرب (ط . دار المعارف) .
- القاهرة : د . ت . ١/ ٣٧٦ ، والفيروز آبادي ، القاموس المحيط (ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦م) ص ١٣٩٨ ، والزبيدي ، تاج العروس : ٨/ ٢٠٧ .
- (٢) عبد الجواد خلف في دراسته لكتاب بدر الدين بن جماعة ، غرر التبيان في من لم يسم =

وما يؤخذ على التعريف أنه فسر الإبهام بالإبهام فقال : علم المبهمات هو معرفة ما أبهم ، ومن شروط التعريف ألا يتوقف العلم به على العلم بالمعرف ، وإلا لزم الدور وهو ممنوع عقلاً^(١) .

وبناء على ما تقدم فإنه يمكنني أن أعرف علم المبهمات اصطلاحاً بأنه : « العلم الذي يتوصل من خلاله إلى تعيين ما لم يصرح به القرآن الكريم من أسماء الأمكنة والأزمنة والأعلام وذلك بما ورد في المأثور » .

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه ليس كل مبهم ورد في القرآن الكريم يجوز الخوض فيه وإزالة الإبهام عنه ، ولكن هناك مبهمات استأثر الله تعالى بها مما لا يصح لنا الخوض فيها ولا في معرفتها كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان : ٣٤] .

وهذا مانبه عليه الزركشي في البرهان فقال : « إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستثثاره بعلمه ، كقوله : ﴿ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] والعجب ممن تجرأ وقال : قيل : إنهم قريظة ، وقيل : من الجن^(٢) » .

وقد علق السيوطي على هذا القول بعد أن نقله في إتقانه وفي مقدمة مفحومات الأقران بقوله : « قلت ليس في الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم ، إنما المنفي علم أعيانهم ، ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة ، أو من الجن ، وهو نظير قوله في المنافقين : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا نَعْلَمُهُمْ سَبَّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ فِي نَفْسِهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠١] . فإن

= في القرآن ، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ، باكستان ، كراتشي (ط . دار قتيبة ، دمشق - بيروت : ١٩٩٠م) ص : ١٥٩ .

(١) انظر عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ضوابط المعرفة (ط ٣ ، دار القلم ، دمشق : ١٩٨٨م) ص ٦١ .

(٢) البرهان : ٢٤٤/١ .

المنفي علم أعيانهم . ثم القول في أولئك أنهم من الجن ورد في خبر مرفوع إلى رسول الله ﷺ أخرجه ابن أبي حاتم وغيره ، فلا جراً « (١) » .

ومن هنا يتبين أنه لا مجال للرأي في معرفة المبهمات ، وإنما مرجعه في ذلك إلى النقل المحض . أي ما أثر عن رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين لهم .

وقد أكد ذلك السيوطي في مقدمة كتابه (مفحمت الأقران) ونقل ذلك في الإتيان فقال : « مرجع هذا العلم النقل المحض ، ولا مجال للرأي فيه ، وإنما يرجع فيه إلى قول النبي ﷺ وأصحابه الآخذين عنه ، والتابعين الآخذين عن الصحابة » (٢) .

المؤلفات في المبهمات :

سبق أن ذكرت أن هذا العلم يعتمد على النقل ، ولذلك كانت عناية السلف به كبيرة ، واهتمامهم به عظيماً ، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله : « مكثت سنة أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ » (٣) . ولا يمنعه إلا مهابته .

وروي عن عكرمة أنه قال : « طلبت اسم الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله

(١) السيوطي ، مفحمت الأقران في مبهمات القرآن ، تحقيق د . مصطفى ديب البغا (ط . مطبعة الصباح ، دمشق : د . ت) ص ٩ ، وانظر الإتيان : ١٠٩١/٢ ، ونقل ذلك أيضاً في معترك الأقران : ٣٦٧/١ - ٣٦٨ .

(٢) مفحمت الأقران : ص ٨ . وانظر الإتيان : ١٠٩١/٢ ، معترك الأقران : ٣٦٦/١ .

(٣) أي اللتين ذكرهما الله تعالى مبهمتين في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التحریم : ٤] والأثر : أخرجه البخاري في التفسير/التحریم ، باب : (إِنْ تَوَبَّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) رقم (٤٦٢٩) ومسلم في الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن . . ، رقم (١٤٧٩) .

ورسوله ثم أدركه الموت^(١) ، أربع عشرة سنة حتى وجدته «^(٢) .

وأول من أَلَفَ في هذا العلم حسبما ذكرت المصادر : ^(٣) .

١- السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م) في كتاب سماه (التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام)^(٤) .

٢- ثم الزهري ، محمد بن أحمد بن سلمان ، أبو عبد الله الأندلسي الإشبيلي (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) في كتاب سماه (البيان فيما أبهم من الأسماء في القرآن)^(٥) .

٣- ثم تلاه ابن عسك^(٦) الغساني (ت ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) في كتابه المسمى

(١) أي المذكور مبهماً في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء : ١٠٠] .

(٢) ذكره السهيلي في التعريف والإعلام ، تحقيق عبد أ . مهنا (ط . دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٩٨٧ م) ص ١٦ . والزركشي في البرهان : ٢٤٤ / ١ - وابن حجر في الإصابة ٢ / ٢١٢ - وذكره عن ضمرة ، قال السيوطي : وهو ضَمْرَةُ بن أبي العَيْص ، انظر مفحمت الأقران : ٨ والإتقان : ١٠٨٩ / ٢ .

(٣) لم تكثر المصادر من عدد المؤلفات في علم المبهمات ، فقد عدَّ الزركشي في هذا الفن كتابين فقط (البرهان : ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣) وأوصلها السيوطي في الإتقان : ١٠٨٩ / ٢ إلى أربعة كتب بما فيها كتابه (مفحمت الأقران) ، ونقل ذلك عنه طاش كبري زادة في مفتاح السعادة : ٥١٠ / ٢ ، وانظر القنوجي ، أيجاد العلوم : ج ٢ ، ق ٢ / ٢٠٤ ، وكشف الظنون : ١٥٨٣ / ٢ . أما في معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٨٩ / ٤ - ١٩٠ فقد ذكر الشواخ عشرة كتب فقط ، وعدَّ يوسف المرعشلي مثل ذلك ، انظر البرهان بتحقيقه ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ . أما عبد الجواد خلف فلم يسجل في هذا العلم غير خمسة كتب ، انظر مقدمته على غرر التبيان : ص ١٢٥ .

(٤) طبع في دار الكتب العلمية بيروت ، بتحقيق عبد أ . مهنا ، وقد سبقت الإشارة إليه .

(٥) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١ / ٢٦٣ . وقال الزركلي (مجلد) الأعلام : ٣٢٠ / ٥ .

(٦) وقع اسمه في البرهان بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ١ / ١٥٥ ، والإتقان : =

(التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام)^(١) ، توجد منه نسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق رقم (٥١٩)^(٢) .

٤- ثم جمع بينهما القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بابن

- = ١٠٨٩/٢ وإحدى طبعات مفحومات الأقران بتحقيق د . مصطفى البغا ص ٧ ، ونقل عنهم من أتى بعدهم كحاجي خليفة في كشف الظنون : ٤٢١/١ - ٤٢٢ و ١٥٨٣/٢ ، وطاش كيري زادة في مفتاح السعادة : ٥١٠/٢ ، والقنوجي في أبجد العلوم : ج ٢ ، ق ٢/٢٠٤ ، وكذلك عند كل من عبد الجواد خلف في غرر التبيان ص ١٢٦ وفي عدة مواضيع غيرها ، وعلي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٨٩/٤ (ابن عساكر) ولعل الصواب (ابن عسكر) كما ورد في البرهان بتحقيق يوسف المرعشلي : ٢٤٢/١ والطبعة الأخيرة لمفحومات الأقران بتحقيق د . مصطفى البغا ص : ٧ ، وكذلك الشأن في طبعة مفحومات الأقران بتحقيق إباد الطباع (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ م) ص ٣٣ ، وقد ذكره كذلك الذهبي في أثناء ترجمته فقال : هو القاضي العلامة ذو الفنون أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر الغساني ، المالقي (ابن عسكر) وقال : له (الإتمام على كتاب التعريف والإعلام) للسهيلي ، وذكر وفاته سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان (ط مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٥ م) ٢٣/٦٥ . وعندما ترجم له السيوطي في بغية الوعاة (١٧٩/١) قال : « يعرف بابن عسكر » وله (صلة الإعلام) للسهيلي . وقد أكد ذلك الزركلي في الإعلام : ٢٨١/٦ فقال : « محمد بن علي بن الخضر بن هارون الغساني أبو عبد الله المعروف (بابن عسكر) (ت ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) وقال : له كتاب (التكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام) وهو مخطوط استدرك به على السهيلي ، توجد منه نسخة في خزانة عاشر أفندي ، بإستانبول رقم (٩٣) وقال : وهي نسخة جليظة ونادرة في (١١٣ ق) » .
- (١) ذكره الزركشي والسيوطي باسم (التكميل والإتمام) ، ونقل يوسف المرعشلي عن (أخبار التراث العربي ٢٦/٧) أن حسين عبد الهادي محمد يقوم بتحقيقه لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض ، مسجلة عام (١٤٠٤ هـ م ١٩٨٤ م) وأشار إلى مثل ذلك أيضاً علي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم ١٣/٣ .
- (٢) صلاح الخيمي ، فهرس دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) (ط . مجمع اللغة العربية بدمشق : ١٩٨٣ م) ٨٨/٢ .

جماعة (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) في كتاب سماه (التبيان في مبهمات القرآن) وهو مفقود^(١) .

٥- ثم اختصره ابن جماعة - المتقدم ذكره - في كتاب سماه (غرر التبيان في من لم يسم في القرآن) وقد قام بتحقيقه عبد الجواد خلف ونال به درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب^(٢) ، كما أعيد تسجيله رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض^(٣) .

٦- ثم جاء البلسني ، محمد بن علي بن أحمد الأوسي ، أبو عبد الله الغرناطي (ت ٧٨٣ هـ / ١٣٨٠ م) وألف كتاباً سماه (صلة الجمع وعائد التنزيل لموصول كتابي الإعلام والتكميل) جمع فيه بين كتابي السهيلي وابن عسكر ، أنجزه سنة (٧٥٩ هـ / ١٣٥٧ م)^(٤) وقد ذكر حاجي خليفة وفاته سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م)^(٥) وذكر مثل ذلك يوسف المرعشلي ونسب له كتاباً آخر سماه (ذيل التعريف والإعلام) ، وقال : مخطوط بمكتبة الحرمين بمكة رقم (١٣)^(٦) .

(١) نص على ذلك عبد الجواد خلف في تحقيقه لكتاب ابن جماعة (غرر التبيان) ص ١٠٥ .

(٢) سبق أن أشرت إلى أن هذا الكتاب قد طبع في دار قتيبة بدمشق وبيروت .

(٣) ذكر ذلك يوسف المرعشلي وقال : حققه عبد الغفار بدر الدين ك رسالة ماجستير حصل عليها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م كما حققه محمد بن صالح الفوزان لنيل درجة الماجستير وحصل عليها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، انظر تعليقه على البرهان للزركشي : ٢٤٣/١ .

(٤) الأعلام : ٢٨٦/٦ ، وانظر كشف الظنون : ٤٢١/١ .

(٥) كشف الظنون : ٤٢١/١ .

(٦) البرهان : ٢٤٣/١ .

أقول : ولعله هو (صلة الجمع . .) نفسه ^(١) .

٧- وبعد البلبسي ألف الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) كتاباً في المبهّمات سماه (الإحكام لبيان ما في القرآن من الإبهام) وهذا الكتاب لم يذكره السيوطي في مقدمة كتابه مفحّمات الأقران ولم يشر إليه في أثناء حديثه عن المبهّمات في الإتقان فلعله لم يطلع عليه ، ولكنه نسب هذا الكتاب للحافظ ابن حجر في أثناء تعداد مؤلفاته في كتابه (نظم العقيان) ^(٢) ، وقد أشار إلى هذا الكتاب حاجي خليفة ^(٣) وابن العماد في شذرات الذهب ^(٤) ، والسخاوي في الجواهر والدرر وهي ترجمة أفرد لها لشيخه ابن حجر ^(٥) .

وقد ذكر الزركلي للحافظ ابن حجر كتاباً عند ترجمته بعنوان (الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام) ^(٦) وأشار إلى أنه مخطوط ، فلعله كتاب آخر لابن حجر ، غير كتاب الإبهام .

٨- ثم جاء السيوطي ووجد أمامه عدداً لا بأس به من المؤلفات في مبهّمات القرآن فأدلى بدلوه في هذا الفن ، وألف كتابه (مفحّمات الأقران في مبهّمات القرآن) ثم اختصره وجعله النوع السبعين من إتقانه (في المبهّمات) ^(٧) .

(١) ذكر الشيخ في معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٩٠ / ٤ (صلة الجمع) للبلبسي ولم يذكر تاريخ وفاته ، ووضع يوسف المرعشلي بجانب اسمه إشارة استفهام للدلالة على أنه لم يعرف تاريخ وفاته ، علماً بأنه قد ذكره قبل قليل ونص على أن وفاته كانت سنة (٦٣٦ هـ / ١٢٣٨ م) والصواب ما ذكرته سابقاً من أن وفاته كانت سنة (٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م) بناء على ما ذكره الزركلي والله أعلم .

(٢) السيوطي ، نظم العقيان : ٤٧ .

(٣) كشف الظنون : ٢١ / ١ .

(٤) ٢٧٢ / ٧ .

(٥) انظر شاكر محمود عبد المنعم ، ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته . : ٢٨٤ / ١ .

(٦) الأعلام : ١٧٨ / ١ .

(٧) الإتقان : ١٠٨٩ / ٢ .

٩- وبعد السيوطي قلّت المؤلفات في مبهمات القرآن الكريم ، وبعضها أخذ جانب الشمول وعدم الاختصار على علم المبهمات مثل كتاب (غرائب القرآن ومشكلاته وبيان شأنه ونزول آياته ومعاني بعض لغاته وشرح مبهمات) لمؤلف مجهول ، ذكره إسماعيل باشا وأنه من كتب الخديوية^(١) .

١٠- وبعضها أخذ اسماً آخر غير المبهمات كـ (غوامض القرآن) ولكنه يدور حول المبهمات فقد ألّف الطريحي ، فخر الدين بن محمد بن علي النجفي الشيعي (ت ١٠٨٥ هـ / ١٦٧٤ م) كتاباً سماه (كشف غوامض القرآن) ذكره إسماعيل باشا^(٢) .

١١- وآخر ما ألّف في علم المبهمات إلى الآن تأليف عبد الجواد خلف (معاصر) في كتاب ضخّم سماه (الياقوت والمرجان في تفسير مبهمات القرآن) في عدة أجزاء ، وقد صدر منه الجزء الأول في الباكستان سنة (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)^(٣) .

أسباب الإيهام في القرآن :

للإيهام في القرآن الكريم أسباب ذكرها الزركشي في البرهان^(٤) ونقلها عنه السيوطي في مفحّمات الأقران^(٥) وفي الإتيقان^(٦) ومعترك الأقران^(٧) ، فمن ذلك :

(١) إيضاح المكنون : ١٤٣/٤ . وانظر معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٨٩/٤ ، والمرعشلي ، البرهان : ٢٤٣/١ .

(٢) إيضاح المكنون : ٣٦٣/٤ وانظر معجم مصنفات القرآن الكريم ١٩٠/٤ والمرعشلي في تعليقه على البرهان : ٢٤٣/١ .

(٣) معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٩٠/٤ ، وانظر المرعشلي ، م . ن السابق .

(٤) ٢٤٤-٢٤٩ .

(٥) ص : ٩ - ١٠ .

(٦) ١٠٨٩-١٠٩٠ .

(٧) ٣٦٦-٣٦٧ .

١- الاستغناء ببيانه في موضع آخر ، كقوله تعالى : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٤] بيّنه في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ (٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [الانفطار : ١٧-١٩] .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] فإنه مبين في قوله تعالى : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] .

٢- أن يتعين لاشتهاره ، كقوله تعالى : ﴿ أَتَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] ولم يقل حواء ، لأنه ليس له غيرها ، وكقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ بِزَهْمِهِمْ فِي رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] والمراد به نمرود ، لشهرته ، لأنه المرسل إليه .

٣- قصد الستر عليه ، ليكن أبلغ في استعطافه ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴾ [البقرة : ١٠٨] والمراد هو رافع بن حريملة ووهب بن زيد .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [البقرة : ٢٠٤] والمراد به الأخنس بن شريق ، ولم يذكره لستره ، واستعطافه لأنه أسلم بعد وحسن إسلامه .

٤- ألا يكون في تعيينه كبير فائدة ، وهو أكثر ما وقع الإبهام فيه ، كقوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ [البقرة : ٧٣] فسواء كان هذا البعض العظم الذي يلي الغضروف أو بفخذها أو بلسانها وذنبا فهذا لا يتوقف عليه أمر مهم .

ومنه أيضاً قوله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ [الأعراف : ١٦٣] والمراد بها أيلة وقيل : طبرية .

٥- التنبيه على العموم ، وأنه غير خاص ، بخلاف ما لو عُنِي ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا ﴾ [النساء : ١٠٠] وهو ضمرة بن العيص ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ ﴾ [المائدة : ٤] قيل : نزلت في عدي بن حاتم كان له كلاب قد سماها بأسماء أعلام .

٦- تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله تعالى ﴿وَلَا يَأْتِلُ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ [النور : ٢٢] والمراد الصديق ، ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر : ٣٣] وقوله ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [التوبة : ٤٠] المراد بهما أبو بكر الصديق رضي تعالى عنه أيضاً .

٧- تحقيقه بالوصف الكامل ، كقوله تعالى ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ﴾ [الحجرات : ٦] والمراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّكَ شَانِئُهُ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر : ٣] والمراد به العاصي بن وائل .

التعريف بالكتاب وبيان منهج السيوطي فيه :

بدأ السيوطي كتابه هذا بمقدمة مهمة ذكر فيها اهتمام السلف بهذا الفن والمؤلفات فيه ثم ذكر أهمية كتابه وتميزه على غيره من الكتب التي اطلع عليها فقال : « وهذا كتاب يفوق الكتب الثلاثة^(١) بما حوى من الفوائد الزوائد ، وحسن الإيجاز وعزو كل قول إلى من قاله ، مخرجاً من كتب الحديث والتفاسير المسندة ، فإن ذلك أدعى لقبوله وأوقع في النفس ، فإن لم أقف عليه مسنداً عزوته إلى قائله من المفسرين والعلماء . . »^(٢) .

فمما تقدم يتبين أن كتاب السيوطي يتميز على غيره بأنه :

١- أضاف إلى الكتب السابقة بعض الفوائد التي لم تذكر فيها .

٢- الاختصار غير المخل .

٣- عزو كل قول إلى قائله .

(١) المراد بها كتاب السهيلي (التعريف والإعلام) ، وذيله لابن عسكر المسمى بـ (التكميل والإتمام) والثالث لابن جماعة الذي جمع بينهما بكتاب سماه (التبيان في مبهمات القرآن) .

(٢) مفحّمات الأقران : ص ٧ .

٤- تخريج الروايات والآثار الواردة من الكتب المعتمدة .

ويمكنني أن أوضح ذلك بمثال :

ففي قوله تعالى : ﴿ أَتَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

قال السيوطي : ﴿ أَتَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ ﴾ : هي حواء بالمد ، روى ابن جرير من طريق السدي بأسانيده : « سألت الملائكة آدم عن حواء ما اسمها ؟ قال : حواء ، قالوا : ولم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من حي » .

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عكرمة ، عن ابن عباس : أنها السنبلة ، وله طرق عنه صحيحة . وأخرج ابن جرير من طريق السدي بأسانيده : أنها الكرم . وزعم اليهود أنها الحنطة .

وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس قال : هي اللوز ، وإسناده ضعيف ، وعندي أنها تصحفت بالكرم .

وأخرج عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال : هي الأترج .

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي مالك قال : هي النخلة .

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : هي تينة .

وأخرج ابن أبي حاتم مثله عن قتادة بلفظ : هي التين .

فهذه ستة أقوال^(١) .

فمن هذا المثل يتبين أن السيوطي ذكر الروايات الواردة في هذه الآية ناسباً كل قول إلى قائله ، ومخرجاً لهذه الروايات من كتب السنة والتفسير مع الاختصار في الجمع والنقل . فهو لا يذكر من الآية إلا ما يتعلق بها في بيان المبهم دون استطراد إلى ما عداها . وهذا ما يميز كتابه فعلاً من بقية الكتب

(١) مفحمت الأقران : ١٢ - ١٣ .

التي سبقتها ، فمثلاً في الآية نفسها التي ذكرتها سابقاً يورد السهيلي الرواية التي ذكرها السيوطي عن حواء وسبب تسميتها بذلك ثم يتطرق للحديث عن آدم وكنيته ، وهبوطه فقال : « قوله تعالى : ﴿ أَشْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ زوجة حواء بالمد وأول من سماها بذلك آدم عليه السلام حين خلقت من ضلعه ، وقيل من هذه ؟ قال : أنثى وتفسيرها امرأة ، وقيل : وما اسمها ؟ قال : حواء ، قيل ولم ؟ قال : لأنها خلقت من حي ، وكنية آدم التي كتبه بها الملائكة أبو البشر ، وقيل : كنيته أبو محمد ، كني بمحمد خاتم الأنبياء ﷺ ، وأهبط آدم عليه السلام بسرنديب من الهند بجبل يقال له بوذ ، وأهبطت حواء بجدة وأهبط إبليس - لعنه الله - بأيلة ، وأهبطت الحية بيسان ، وقيل : بسجستان ، وسجستان أكثر بلاد الله حيّات ، ولولا العربد يأكلها ويفني كثيراً منها لأخلت سجستان من أجل الحيّات ، قاله أبو الحسن السعودي ^(١) .

أما البلنسي فقد ذكر ما أورده كل من السهيلي وابن عسكر وأضاف عليهما أموراً أخرى فقال : « تكلم الشيخ أبو زيد على نزول آدم وحواء وإبليس والمواضع التي أنزلوا فيها فرأيت أن أضيف إلى ذلك مدى إقامتهما في الجنة ، ويوم خروجهما ووقته وما يتعلق بذلك » ^(٢) وذكر كلاماً طويلاً حول ذلك .

وهذا الذي ذكره السهيلي وغيره اختصره السيوطي وأضاف على ما ذكره فوائد أخرى لم يذكرها .

أما ابن جماعة فإنه اختصر كتابه كثيراً إذ اكتفى بذكر اللفظ المبهم فقط ثم يعقبه بتفسيره ، دون تخريج للروايات أو عزو القول إلى قائله .

ففي الآية نفسها التي ذكرتها سابقاً بوضعها مثلاً يقول ابن جماعة :

(١) السهيلي ، التعريف والإعلام : ص ١٠ .

(٢) من مخطوط (صلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابي الإعلام والتكميل) ورقة رقم ١٢ ، ١٣ من النسخة ١٩٩٥٦/ب دار الكتب المصرية ، نقلاً من كتاب عبد الجواد خلف (غرر التبيان) ص ١٢٧ .

» (وزوجك : هي حواء خلقت من ضلعه ، (الجنة) : هي جنة المأوى دار السلام عند أهل الحق ، (هذه الشجرة) هي : الحنطة ، وقيل : العنب ، وقيل : التين ، وقيل : الكافور »^(١) .

والملاحظ أن ابن جماعة قد وسّع دائرة المبهمات حتى اشتملت على الألفاظ الغريبة أو الحروف المقطعة أوائل السور فعُدَّ من المبهمات (ألم) و (الفرقان) و (محكمات) و (آخر متشابهات)^(٢) إلخ .

والسيوطي لم يذكر كل ذلك وإنما استوعب كل ما قيل عن الآية واللفظ المبهم فيها حتى إنه ذكر ما زعمته اليهود في المثال السابق .

وهو عندما يذكر الروايات لا يسكت على الأسانيد بل يخرجها ويبين درجتها ففي المثال السابق أجده يقول : « في رواية ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس . . وله طرق عنه صحيحة » .

وعن رواية أبي الشيخ عن عكرمة عن ابن عباس بأن إسناده ضعيف والتصحيح الموجود في الرواية يبين .

فالسيوطي إذن لم يكن مجرد ناقل وجامع للروايات فحسب ، بل هو موضح لها ومخرج لها ومبين لدرجتها .

ولكن مما يؤخذ عليه نقله عن أهل الكتاب وهو ما يسمى بـ (الإسرائيليات) ولعل طبيعة هذا الفن واعتماده على النقل المحض ، ورغبة السيوطي في استيعاب كتابه لكل ما يتعلق في المبهمات من روايات ليكون أجمع مما كتبه السابقون جعله يكثر من ذكر الإسرائيليات والروايات الضعيفة ، ولكن عذره في ذلك أنه قام بتخريجها وبيان درجتها ، وعزا كل قول إلى قائله ولكن لم يعلّق على هذه الروايات كما فعل الطبري سابقاً إذ أورد هذه الروايات

(١) غرر التبيان في من لم يسم في القرآن : ص ٢٠٠ .

(٢) م . ن . ص : ٢٢٣ .

كلها ثم قال : « ولا علم عندنا بأي شجرة كانت على اليقين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن ولا في السنة الصحيحة »^(١) .

ومثله أيضاً ما ذكره في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهُمْ ﴾ [البقرة : ٧٣] .

قال السيوطي : « أخرج الفريابي^(٢) عن ابن عباس قال : بالعظم الذي يلي الغضروف » .

وقيل : ضرب بالبضعة التي بين الكتفين ، أخرجه ابن جرير عن السدي^(٣) .

وقيل : بفخذها ، أخرجه ابن جرير عن قتادة ومجاهد .

وقيل : بعظم من عظامها ، أخرجه عن أبي العالية .

وقيل بلسانها .

وقيل : بعَجَبِها^(٤) .

وقيل : بذنبها ، حكاه الكرمانى في الغرائب^(٥) .

هنا طبق السيوطي منهجه تماماً فقد أكثر من الأقوال في بيان البضعة التي ضرب بها القتل مع الإيجاز وعزا كل قول إلى قائله من المفسرين والعلماء بعد تخريجه من الكتب المعتبرة .

(١) تفسير الطبري : ١/ ١٨٥ .

(٢) في الدر المنثور : ١/ ٧٩ وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٣) جامع البيان : ١/ ٢٨٥ .

(٤) قال في الصحاح ١/ ١٧٧ (عَجَبٌ) «وَالْعَجَبُ بِالْفَتْحِ أَصْلُ الذَّنْبِ» . وفي اللسان ٤/ ٢٨١٢ «وَالْعَجَبُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ مَا انْضَمَّ عَلَيْهِ الْوُرْكَانُ مِنْ أَصْلِ الذَّنْبِ وَهُوَ الْعَصَصُ» .

(٥) الكرمانى ، غرائب التفسير وعجائب التأويل ، تحقيق شمran سركال يونس العجلي (ط١ دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ١/ ١٥٠ .

وإن كان بعض العلماء قد تجاوز مثل ذلك وعده من الإسرائيليات، وأن العلم به لا يفيد كما أن الجهل به لا يضر، وجعل هذا البعض مثلاً على ذلك حيث يقول ابن تيمية: « فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه . . البعض الذي ضرب به موسى من البقرة »^(١).

ولكن عذر السيوطي في ذلك ما ذكره سابقاً في منهجه من استيعابه لهذه الأقوال وغيرها، مع نسبة كل قول لقائله، وتخريجها وبيان درجتها ليفوق كتابه بذلك كتب من تقدمه من العلماء .

مصادره :

تميز هذا الكتاب - على صغره - بكثرة مصادره، وتنوع موارده ، فقد زادت على الستين كتاباً معظمها ما زال مخطوطاً وبعضها في حكم المفقود ، وغالب مصادره من كتب التفسير المسندة والحديث ، وأكثر أخذه عن تفسيري ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم الرازي ، ونقل كثيراً عن الكرمانلي ، ولم يقتصر في نقله عن علماء المشرق بل أخذ عن كتب علماء المغرب ، فقد نقل عن يحيى بن سلام^(٢) ، والمهدوي^(٣) ،

(١) مقدمة في أصول التفسير ، ص ٥٦ .

(٢) هو يحيى بن سلام ، البصري ثم الإفريقي ، ولد بالكوفة سنة (١٢٤ هـ / ٧٤١ م) وقدم إفريقية واستوطنها ، وكان ثقة ثباتاً ، أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم توفي بمصر سنة (٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) ، انظر أبو العرب القيرواني ، طبقات علماء إفريقية وتونس تحقيق علي الشابي ونعيم اليافي (ط . الدار التونسية للنشر بتونس ، والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر سنة ١٩٨٥ م) ص ١١١ - ١١٤ والأعلام : ١٤٨ / ٨ وقد نقل عنه السيوطي ثلاث مرات ، انظر مفحمت الأفران ، تحقيق إياد الطباع ، (ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٩٨٦ م) ص ٩٥ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ .

(٣) هو أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي ، نسبة إلى المهدية قرب القيروان ، قدم الأندلس في حدود (٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) وكان مقدماً في القراءات والعربية له التفصيل وهو تفسير كبير ثم اختصره بكتاب سماه (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع =

وابن الفرس^(١) وغيرهم .

وأما أهم مصادره فهي :

- ١- أحكام القرآن ، لابن الفرس .
- ٢- أسباب النزول ، للواحدي .
- ٣- البرهان ، للزركشي .
- ٤- البعث والنشور ، للبيهقي .
- ٥- تاريخ دمشق ، لابن عساكر .
- ٦- التبصرة ، لابن الجوزي .
- ٧- التبيان في مبهمات القرآن ، لابن جماعة .
- ٨- التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام ،
للسهيلي .
- ٩- تفسير الطبري .
- ١٠- تفسير ابن مردويه .

= العلوم التنزيل) وقد حققتُ الجزء الأول منه إلى نهاية سورة البقرة ونلت به درجة الماجستير في أصول الدين في كلية الشريعة من الجامعة الأردنية سنة ١٩٨٧ م . هذا وقد قمت بتحقيق بقية أجزاء الكتاب وسينشر قريباً في دار الغرب الإسلامي إن شاء الله تعالى . توفي سنة (٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) انظر ترجمته في الحميدي ، جذوة المقتبس ص ١١٤ ، وابن بشكوال ، الصلة ، ص ٨٦ - ٨٧ ، وانظر بقية المصادر والمراجع في أطروحة الماجستير التحصيل . . ص ١١ (مرقونة على الآلة الكاتبة) . وقد نقل عنه السيوطي مرتين ، انظر مفحمت الأقران ص ٤٤ ، ١٦١ .

(١) هو عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي ، المعروف بابن الفرس الغرناطي ، قاض أندلسي كان إماماً في العربية واللغة له كتاب أحكام القرآن ، توفي سنة (٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م) انظر ترجمته في بغية الوعاة : ١١٦/٢ والأعلام : ١٦٨/٤ . وقد نقل عنه السيوطي في موطن واحد ، انظر مفحمت الأقران : ص ٥٤ .

- ١١- تفسير ابن المنذر .
 - ١٢- تفسير ابن حيان .
 - ١٣- تفسير البغوي .
 - ١٤- تفسير الثعلبي .
 - ١٥- تفسير سعيد بن منصور .
 - ١٦- تفسير عبد بن حميد .
 - ١٧- تفسير عبد الرزاق الصنعاني .
 - ١٨- تفسير الفريابي .
 - ١٩- تفسير الماوردي .
 - ٢٠- تفسير المهدوي .
 - ٢١- تفسير يحيى بن سلام .
 - ٢٢- التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام ، لابن عسكرة .
 - ٢٣- كتب السنة الستة وغيرها .
 - ٢٤- العجائب والغرائب للكرماني .
 - ٢٥- المعاجم الثلاثة للطبراني ، وكتب المسانيد .
- وغيرها من المصادر والمراجع التي رجع إليها السيوطي وأحال عليها .
 مما يدل على سعة علمه وإطلاعه .
- ومما تجدر الإشارة إليه أن السيوطي بعد المقدمة والفوائد التي ذكرها حول علم المبهمات قد رتب المبهمات في القرآن الكريم في كتابه مفحومات الأقران على ترتيب السور في القرآن مبتدئاً بسورة الفاتحة ومختتماً بسورة الناس .
- أما في الإتقان فقد اتبع في ترتيب الملخص منهجاً آخر ، إذ قسم المبهمات فيه إلى قسمين :

* جعل القسم الأول : فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جني ، أو
مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم ، أو من ، أو الذي إذا لم يرد به العموم .

* والقسم الثاني : جعله في مبهمات المجموع الذين عرفت أسماء
بعضهم ، مراعيًا ترتيب ذلك حسب ترتيب سور القرآن .

وهناك قسم آخر لم يذكره في الإتيان بل اكتفى بالإشارة إليه وأحال فيه إلى
كتابه الأصل (مفحمات الأقران) وهو مبهمات الأقوام والحيوانات والأمكنة
والأزمنة نحو ذلك^(١) .

طباعات الكتاب :

أشرت سابقاً إلى أن الكتاب قد طبع طباعات عديدة^(٢) ، على هامش آخر
الجزء الرابع من حاشية الجمل على الجلالين وبشكل مستقل وكان الأستاذ
الدكتور مصطفى البغا قد أفرد هذه النسخة الموجودة أواخر الجزء الرابع من
حاشية الجمل على الجلالين بالطبع بعد أن ضبطه وعلق عليه ثم طبعه في
مؤسسة علوم القرآن بدمشق وبيروت ١٩٨٢م وهي لا تخلو من الأخطاء
والنقص ثم أعاد تحقيقه إياد خالد الطباع وطبعه في مؤسسة الرسالة بيروت سنة
١٩٨٦م .

ثم حصل الدكتور مصطفى البغا على ثلاث نسخ خطية من هذا الكتاب
محفوظة بمكتبة الأسد الوطنية ، وأعاد تحقيقه وطبعه في مطبعة الصباح بدمشق
عام ١٩٩٠م .

وإن انتشار هذا الكتاب وتعدد طبعاته ليدلا دلالة كبيرة على أهميته ،
وتفوقه على غيره من المؤلفات في هذا الباب كما قال السيوطي ، فقد بذل في

(١) انظر الإتيان : ١٠٩١/٢ - ١١١٠ .

(٢) انظر ص : من هذا الكتاب .

جهده في ذكر العديد من المسائل الشاردة والفوائد النادرة ، وإن اطلاع السيوطي الواسع على الكتب والمصنفات كبيرها وصغيرها ، أعطى كتابه قيمة كبيرة ، فهو لم يترك كتاباً سواء في المشرق أو المغرب إلا وأخذ منه وعول عليه مما جعل كتابه يتبوأ مكاناً مرموقاً من هذه المؤلفات ، ولا سيما أن الكثير من هذه المصادر والمراجع ما تزال مخطوطة أو نادرة أو مفقودة .

* * *

٢- تناسق الدرر في تناسب السور

يعالج هذا الكتاب موضوعاً مهماً من موضوعات علوم القرآن التي قل اعتناء المفسرين بها لدقتها ، هو علم المناسبات بين السور .

تعريفه :

المناسبة في اللغة : المشاكلة والمقاربة ، قال الجوهري : تقول ليس بينهما مناسبة أي مشاكلة^(١) .

وفي الاصطلاح : علم يعرف به ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني يربط بينها رابط عام أو خاص ، عقلي أو حسي ، أو خيالي أو غيره من أنواع العلاقات أو التلازم^(٢) .

فائدته :

أما فائدته هو جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء^(٣) . هذا ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : « ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عن مثله حسن الحديث فضلاً عن

(١) الصحاح : (نسب) وانظر لسان العرب : (نسب) .

(٢) الزركشي ، البرهان : ١٣١/١ ، والإتقان : ٩٧٨/٢ .

(٣) البرهان : ١٣١/١ ، وانظر الإتقان : ٩٧٨/٢ .

أحسنه»^(١) وهذا ما يدعوني للحديث عن طريقة معرفة المناسبات بين الآيات والسور :

فذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط ، لتعلق الكلم بعضه ببعض فهذا واضح .

وإما ألا يظهر الارتباط ، بحيث تكون كل جملة مستقلة عن الأخرى فإما أن تكون معطوفة على الأولى بحرف من حروف العطف أو لا ، فإن كانت معطوفة فلا بد أن يكون بينهما جهة جامعة ، وإن لم تكن هناك جهة جامعة تقابلت تقابل الأضداد ، كذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ، ووصف الجنة بعد وصف النار ، وتوجيه القلوب بعد تحريك العقول . وإن لم تكن معطوفة : فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام ، كإلحاق النظر بالنظر أو المضادة ، كحديثه عن المؤمنين في أول سورة البقرة ثم عقب ذلك بحديثه عن الكافرين ، ليثبت المؤمنون على إيمانهم لأنه « وبضدّها تميّز الأشياء » ، أو الاستطراد كقوله تعالى ﴿ يَبَيِّنْ أَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ بَكْمَ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف : ٣٢] . فهذه الآية كما يقول الزمخشري واردة على سبيل الاستطراد ، عقب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليهما إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ، ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى^(٢) .

ويقرب من الاستطراد حسن التخلص وهو : أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً ، دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما ، فمثلاً في سورة الشعراء : [٨٧] حكى الله تعالى قول إبراهيم ﴿ وَلَا تُخْزِنِي

(١) البرهان : ١/ ١٣٣ ، والإتقان : ٢/ ٩٧٧ .

(٢) الزمخشري ، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط دار المعرفة ، بيروت : د . ت) ٢/ ٧٤ .

يَوْمَ يُعْتَوْنَ ﴿١﴾ ثم تخلص منه إلى وصف المعاد بقوله : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (١)
 [الشعراء : ٨٨] . ويقرب من حسن التخلص : الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطاً
 للسامع ، مفصلاً بهذا ، كقوله في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ
 وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَاِبِ ﴾ [الآية : ٤٩] فإن هذا القرآن نوع من الذكر ، لما انتهى ذكر
 الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعاً آخر وهو ذكر الجنة
 وأهلها ، ثم لما فرغ قال : ﴿ هَذَا وَكِتَابٌ لِلظَّالِمِينَ لَشَرِّ مَكَاِبِ ﴾ [ص : ٥٥] . فذكر
 النار وأهلها (٢) الخ .

ثم ذكر السيوطي قاعدة عامة لمعرفة المناسبات بين الآيات نقلها عن بعض
 المتأخرين فقال : « الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع
 القرآن هو : أن تنظر إلى الغرض الذي سيقته له السورة وتنظر ما يحتاج إليه
 ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب
 والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه
 من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة
 شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي
 المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، فإذا عقلته تبين لك وجه
 النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة . اهـ » (٣) .

وبالجملة فإن علم المناسبة يتوقف فيه على العقل والاستنباط كما ذكر
 الزركشي في (البرهان) « المناسبة أمر معقول ، إذا عرض على العقول تلقته
 بالقبول » (٤) .

(١) الإتيان : ٩٨٠/٢ .

(٢) البرهان : ١٤٦/١ ، والإتيان : ٩٨١/٢ . ونقل ذلك أيضاً في معترك الأقران :
 ٤٩/١ .

(٣) الإتيان : ٩٨٢/٢ ، ومعترك الأقران : ٤٩/١ .

(٤) البرهان : ١٣١/١ .

ومن هنا يقول الدكتور صبحي الصالح « ومعيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات ، فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول ، وإن وقع على أسباب مختلفة وأمر متنافرة فما هذا من التناسب في شيء »^(١) .

المؤلفات في علم المناسبات بين الآيات والسور :

مع جلالة هذا الفن وأهميته ، وأن أكثر لطائف القرآن مودعة في الروابط والمناسبات لم تكثر المؤلفات فيه ، فلم تذكر المصادر شيئاً عن من أفرد علم المناسبات بالتأليف حتى عصر الإمام العلامة أبي جعفر ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م) إذ ألف كتاباً سماه (البرهان في تناسب سور القرآن) يقول في مقدمته : « ولم أر في هذا الضرب الخاص - يعني علم المناسبة بين السور - شيئاً لمن تقدم وغير ، وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات ، وذلك في الباب أوضح ، ومجال الكلام فيه أفسح . أما تعلق السور على ما ترتب في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فيما لم يتعرض له فيما أعلم ولا قرع أحد هذه الباب ممن تأخر أو تقدم »^(٢) .

- ثم تلاه الإسلام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م)^(٣) في كتاب يعد من أجمع ما ألف في بابيه ، شامل لجميع

(١) صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن (ط ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٧٤ م) ص ١٥٢ .

(٢) ابن الزبير ، البرهان في تناسب سور القرآن ، تحقيق د . سعيد الفلاح (ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ص ٧٢ .

(٣) انظر ترجمة في الضوء اللامع : ١٠١ / ١ - ١١١ ، ونظم العقيان : ص ٢٤ ، والبدور الطالع : ١٩ / ١ ، والأعلام : ٥٦ / ١ .

مناسبات الآيات والسور سماه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)^(١) .

- هذا كل ما أُلّف في هذا الفن قبل السيوطي ، وهو ما ذكره السيوطي في الإيتقان^(٢) ، ثم قال : « وكتابي الذي صنّعه في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات . . » وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سمّيته (تناسق الدرر في تناسب السور) الذي هو موضوع البحث .

- وللسيوطي أيضاً كتاب في هذا الموضوع يتعلق بمناسبة مطالع السور ومقاطعها سماه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله تعالى .

ثم قلت المؤلفات بعد السيوطي فلم أقف إلا على كتابين :

أولهما لساجقلي زادة المرعشي (ت ١١٥٠ هـ / ١٧٣٧ م) إذ أُلّف كتاباً في هذا الفن سماه (نهر النجاة في بيان مناسبات آيات أم الكتاب)^(٣) .

وثانيهما لعبد الله بن محمد الصديق الغماري له كتاب (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) وقد طبع عدة طبعات^(٤) .

هذه هي الكتب المتخصصة بهذا الفن ، أما كتب التفسير فهي مليئة بمثل هذه العلائق والمناسبات ومن أشهر المفسرين المهتمين بهذا الجانب :

١- الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) في تفسيره الكبير (مفتاح الغيب) .

٢- القرطبي (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) في الجامع لأحكام القرآن .

(١) وقد طبع في الهند بتحقيق محمد عبد الحميد، شيخ الجامعة النظامية في دائرة المعارف العثمانية، بحيدرآباد سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م في (١٢) مجلداً .

(٢) الإيتقان : ٩٧٦/٢ ، وانظر معترك الأقران : ٤٣/١ .

(٣) ذكره البغدادى في إيضاح المكنون : ٦٩٦/٤ .

(٤) طبع في القاهرة عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، ثم أعيد طبعه في عالم الكتب ببيروت عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

٣- أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) في البحر المحيط .

٤- وللسيوطي كتاب حافل بذلك سماه « أسرار التنزيل » أو « قطف الأزهار في كشف الأسرار » وسيأتي عنه الكلام بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

وكان أبو بكر النيسابوري (ت ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م)^(١) - وهو أول من أظهر ببغداد علم المناسبة - يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه : « لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة »^(٢) .

وكان ابن العربي^(٣) ، قد كتب شيئاً عن ذلك ، ولكن لما وجد انصراف الناس عن مثل ذلك ترك ما كان يهتم به وختم عليه ، فقد نقل عنه قوله : « علم عظيم - أي المناسبة - لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه »^(٤) .

فالعلماء تجاه علم المناسبة على ثلاثة آراء :

قسم يرى ضرورة استنتاج المناسبات بين الآيات وبيان مدى ارتباط السور بعضها ببعض حتى لو أدى ذلك إلى التكلف في بيان ذلك ، حججهم في ذلك أن ترتيب القرآن سوراً وآيات توقيفي ، وهذا يعني أن هناك سرّاً في وضع هذه الآية

(١) هو الإمام عبد الله بن محمد بن زياد صاحب التصانيف . تفقه بالمزني والربيع ، وبرع في الفقه والحديث ، انظر الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (ط . دار الكتاب العربي ، بيروت : د . ت) ١٠ / ١٢٠ - ١٢٢ وسير أعلام النبلاء : ٦٥ / ١٥ - ٦٨ .

(٢) نقل ذلك الزركشي في البرهان : ١ / ١٣٢ والسيوطي في الإتقان : ٩٧٧ / ٢ وانظر معترك الأقران : ٤٤ / ١ .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي ، القاضي أبو بكر ، قال عنه ابن بشكوال : ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) . الصلة : ٢ / ٥٩٠ ، طبقات الحفاظ : ص ٤٦٧ ، والأعلام : ٦ / ٢٣٠ .

(٤) انظر البرهان : ١ / ١٣٢ ، والإتقان : ٩٧٦ / ٢ .

بعد الآية وهذه السورة تلي تلك السورة، تظهر من خلالها براعة النظم وروعة الإعجاز، فلا بد من البحث عن تلك الروابط والعلائق بين السور والآيات إظهاراً لهذا الجانب من إعجاز القرآن وقد عَدَّ السيوطي نفسه هذا الأمر من وجوه إعجاز القرآن الكريم، فقال في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن): «الوجه الرابع من وجوه إعجازه - أي القرآن - مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني»^(١) فطفق أصحاب هذا الرأي من العلماء في إثبات هذه الصلات بين السور والآيات بشتى الوسائل.

وقسم آخر يرى عدم الجدوى في ذلك فأغفل ذكر المناسبات حتى فيما ظهرت المناسبة بينه وبين غيره محتجين بأن آي القرآن وسوره إنما نزلت على حسب الوقائع المتفرقة والأزمان المتباعدة في عشرين سنة وتيف في أحكام مختلفة وأسباب متباينة، فمن التكلف إظهار المناسبة بينها. وتوسط قسم ثالث فذهب إلى القول بالمناسبة في مواطنها وعند إمكانية استنتاجها وعدم التكلف فيما لا سبيل فيه إلى المقاربة، حججهم في ذلك أن المناسبة بين الآيات والسور - وإن سلمنا بوجودها - فهي مترددة بين الظهور والخفاء، فلا داعي إلى التكلف في إظهار ما خفي منها.

والذي عليه السيوطي وجمهور العلماء القول بالمناسبة، ونقل عن الشيخ ولي الدين الملوي قوله: «قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع المفترقة. وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ، مرتبة سور كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، يتبقى في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه

(١) معترك الأقران: ٤٣/١.

مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقّت له « ١ هـ »^(١) .

قال الزركشي بعد نقل هذا القول : « وهو مبني على أن ترتيب السور توقيفي وهو الراجح »^(٢) .

وقال الرازي منبهاً على أهمية هذا الفن ولائماً من أعرض عنه في أواخر تفسيره لسورة البقرة : « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :
(البسيط)

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَاهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ^(٣)

ثم إن الذين ذهبوا إلى القول بالمناسبة بين السور اتفقوا على أن هذا مبني على أن ترتيب السور توقيفي كما ذكر الزركشي سابقاً وعقد ابن الزبير - قبله - باباً في مقدمته لكتاب (البرهان في تناسب سور القرآن) للتعريف بترتيب السور وهل هو بتوقيف من الشارع (عليه السلام) أو هو من فعل الصحابة رضوان الله عليهم ويرى ابن الزبير أن الأمر مهما كان فلا بد من « رعي للتناسب والتفات للتواصل والتجاذب »^(٤) .

أما السيوطي فقبل الشروع في كتابه ذكر مقدمة طويلة تحدث فيها عن ترتيب

(١) الإتيان : ٩٧٧/٢ ، ومعترك الأقران : ٤٤/١ ، ونقل ذلك الزركشي في البرهان : ١٣٣/١ ونسبه لبعض مشايخه المحققين .

(٢) البرهان : ١٣٣/١ .

(٣) التفسير الكبير « مفاتيح الغيب » ١٢٨/٧ . وانظر الإتيان : ٩٧٧/٢ ، ومعترك الأقران : ٤٤/١ .

(٤) البرهان في تناسب سور القرآن : ص ٧٣ .

السور واختلاف العلماء حول ذلك^(١) ، فمنهم من ذهب إلى القول بالتوقيف وذهب فريق آخر منهم الإمام مالك والقاضي أبو بكر في أحد قوليه إلى القول بأن ترتيب السور هو باجتهاد من الصحابة ، بعد إجماع الفريقين على أن ترتيب الآيات توقيفي والقطع بذلك .

ثم استعرض السيوطي أدلة الفريقين وأقوال الأئمة في ذلك ثم أفصح عن رأيه بكل وضوح فقال : فإن قلت : فما عندك في ذلك ؟ قلت : الذي عندي أولاً : تحديد محل الخلاف ، وأنه خاص بترتيب سور الأقسام الأربعة ، وأما الأقسام الأربعة نفسها ، من تقديم الطوال ، ثم المئين^(٢) ، ثم المثاني^(٣) ، ثم المفصل ، فهذا ينبغي أن يقطع بأنه توقيفي ، وأن يدعى فيه الإجماع ، وإن لم أر من سبقني إلى ذلك ، وإنما دعاني إلى هذا أمران : أحدهما ما تقدم من الأحاديث قريباً ، وتركها اختصاراً وأذكر منها قوله ﷺ : « اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران »^(٤) فهذا يدل على أن ترتيب السور كان بتوقيف منه ﷺ ، ولذلك قال البيهقي : « كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب ، إلا الأنفال وبراءة للحديث الوارد فيها »^(٥) .

والثاني : أن المصاحف التي وقع فيها الاختلاف في الترتيب ، اتفقت على ذلك فإن مصحف أبيّ وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما قدم فيه الطوال ثم

(١) وقد تكلم السيوطي عن ذلك بالتفصيل في النوع السابع عشر من الإتيان وهو معرفة أسمائه وأسماء سوره انظر الإتيان : ١٩٤/١ .

(٢) سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها ، انظر الإتيان : ١٩٩/١ .

(٣) المثاني ما ولي المئين ، سميت بذلك لأنها ثنتها ، أي كانت بعدها . م . ن السابق .

(٤) مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة رقم ٨٠٤ .

(٥) نقل ذلك السيوطي في تناسق الدرر في تناسب السور ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش (ط . دار الكتاب العربي ، سورية ١٩٨٣ م) ص ٢٨ . وقد أشبع السيوطي الكلام عن ذلك في مناسبة سورة براءة للأنفال في تناسق الدرر ص ٥٥ - ٥٨ .

المثني ، ثم المثاني ، ثم المفصل ، كمصحف عثمان رضي الله تعالى عنه ، وإنما اختلفا في ترتيب سور كل قسم ، وقد أشبع السيوطي الكلام على ذلك في الإتيان^(١) ، قال السيوطي : « وهذا دليل قوي في دعوى القطع بأن ذلك توقيفي ، فإذا تحرر ذلك ونظرنا إلى محل الخلاف ، فالمختار عندي في ذلك ما قاله البيهقي وهو أن ترتيب كل السور توقيفية سوى الأنفال وبراءة . ومما يؤيد ذلك توالي الحواميم والراءات والفصل بين المسبحات ، وتقديم طس على القصص . مفصلاً بها بين النظيرتين في المطلع والطول ، وكذا الفصل بين الانفطار والانشقاق بالمطففين ، وهما نظيرتان في المطلع والقصر ، وهي أطول منهما فلولا انه توقيفي لحكمة ، لتوالت المسبحات ، وأخرت طس القصص وأخرت المطففين أو قدمت » .

وقد اعترض على السيوطي فيما ذهب إليه باختلاف مصحف أبي وابن مسعود ولو كان توقيفياً لم يقع فيهما اختلاف ، كما لم يقع في ترتيب الآيات وأجاب السيوطي عن ذلك بأن القرآن وقع فيه النسخ كثيراً للرسم حتى لسور كاملة ، وآيات كثيرة ، فلا بدع أن يكون الترتيب العثماني هو الذي استقر في العرضة الأخيرة ، كالقراءات التي في مصحفه ، ولم يبلغ ذلك أبياً وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما . . .

ثم يختم السيوطي مقدمته هذه بقوله : « والحاصل أنني أقول : ترتيب كل من المصاحف بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على الترتيب العثماني كما أن جميع القراءات والمنسوخات المثبتة في مصاحفهم بتوقيف ، واستقر التوقيف في العرضة الأخيرة على القراءات العثمانية ، ورتب أولئك ما كان عندهم ولم يبلغهم النسخ »^(٢) .

(١) ١٩٨/١ - ٢٠٣ ، ووازن بتناسق الدرر ص ٣٠ .

(٢) تناسق الدرر ص ٣٠ - ٣١ .

منهج السيوطي في كتابه تناسق الدرر في تناسب السور :

بدأ السيوطي كتابه - كعاداته - بمقدمة بيّن فيها منهجه ، وأصل هذا الكتاب وأنه لخصه من كتابه الكبير المسمى (أسرار التنزيل) أو (قطف الأزهار في كشف الأسرار)^(١) ، وبداية يشير السيوطي إلى أن هذا الكتاب - معظمه - من مستنبطات ذهنه ونتاج فكره ، لقلة من كتب فيه فيقول : وبعد ، فإن الله سبحانه - وله الحمد - مَنَّ عليَّ بالنظر في مواقع نجومه ، وفتح لي أبواب التطرق إلى استخراج ما أودع فيه من علومه . . «^(٢) .

فبعد براعة الاستهلال هذه ينص صراحة على ذلك الاجتهاد بقوله في آخر مقدمته بعد استعراض ما انطوى عليه كتابه الشامل (أسرار التنزيل) من فنون علوم القرآن « وقد أردت أن أفرد جزءاً لطيفاً في نوع خاص من هذه الأنواع وهو : مناسبات ترتيب السور ، لتكون عجالة لمريده ، وبغية لمستفيده ، وأكثر ذلك من نتاج فكري ، وولاد نظري ، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك » . ثم يذكر منهجه بكل وضوح بقوله : « وما كان منه لغيري صرّحتُ بعزوه إليه ، ولا أذكر منه إلا ما استحسنت ولا انتقادت عليه »^(٣) .

هذا ما ذكره السيوطي عن منهجه في هذا الكتاب فهو :

أولاً : خلاصة لبعض فصول من كتابه (أسرار التنزيل) .

ثانياً : أن معظم الكتاب من نتاج فكره ، وولاد نظره .

(١) تناسق الدرر ص ٢٢٦ وأشار إلى ذلك في كتابه الإتيان : في النوع الثاني والستين : مناسبة الآيات والسور : ٩٧٦/٢ . وسأعرّف بهذا الكتاب فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) تناسق الدرر ، ص ٢٤ .

(٣) م . ن . ص ٢٦ .

ثالثاً : انتقاء أحسن ما ذكره العلماء من وجوه المناسبات مع التأكيد على عزو كل قول إلى قائله .

بهذه الخلال الثلاث يمكنني أن أحدد منهج السيوطي في كتابه تناسق الدرر .

أما الخصلة الأولى فقد ذكر السيوطي في مقدمته ما انطوى عليه كتابه (أسرار التنزيل) فإنه اشتمل على بضعة عشر نوعاً من وجوه إعجاز القرآن وبلاغته وروعة تركيبه ونظمه منها :

- ١- بيان مناسبات ترتيب سورته وحكمة وضع كل سورة موضعها .
- ٢- بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها .
- ٣- وجه اعتلاق فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها .
- ٤- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيق له ، وذلك براعة الاستهلال .
- ٥- مناسبة أول السورة لآخرها .
- ٦- مناسبات ترتيب آياته واعتلاق بعضها ببعض ، وارتباطها وتلاحمها ، وتناسقها .
- ٧- بيان فواصل الآي ، ومناسبتها للآية التي ختمت بها .
- ٨- مناسبة أسماء السور لها^(١) .

فالسويطي إذن قد أفرد من هذه الأنواع المتقدمة نوعاً خاصاً هو مناسبات ترتيب السور في كتاب كان سماه أولاً (نتائج الفكر في تناسب السور) ثم عدل عن هذه التسمية لمناسبة الجناس وسماه (تناسق الدرر في تناسب السور) وهنا انتقل إلى الخصلة الثانية وهي أن جُلَّ الكتاب من مستنبطات ذهنه وولاد فكره

(١) تناسق الدرر ص ٢٥ .

ونظره ، وهو قد سمى كتابه أولاً بنتائج الفكر في تناسب السور لكونه من مستفتحات فكره كما يقول^(١) .

وقد ركّز السيوطي على هذا الأمر - وهو بذل الجهد في استنباط وجه الصلة بين السور - كثيراً من مقدمة الكتاب إلى آخره فقد ذكرت ما قاله في مقدمته سابقاً وفي آخره يقول : « وهذا آخر ما من الله تعالى به عليّ من استخراج مناسبات ترتيب السور ، وكله من مستنبطاتي »^(٢) .

وفي أثناء الكتاب لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من الإشارة إلى مثل ذلك .

فهو يقول : « وقد منّ الله عليّ بجواب لذلك نفيس »^(٣) أو « قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات »^(٤) أو يقول : « وأمر آخر استقرت به »^(٥) ، « فانظر إلى هذه اللطيفة التي من الله بإلهامها »^(٦) وانظر إلى هذه الدقيقة التي فتح الله تعالى بها ولا يغوص عليها الغوّاص »^(٧) .

وأحياناً يشير إلى الوقت وإلى الزمان الذي كابده في التفكير للوقوف على الصلة بين السور فيقول : « بعد ما فكرت فيه طائفة من الزمان » أو « بعد إفكاري فيه برهة »^(٨) ، أو « قد أفكرت مدة . . »^(٩) .

ومعظم كتابه بيدؤه بقوله : « ظهر لي في اتصالها بما قبلها . . » وفي آخرها

(١) تناسق الدرر: ص ٢٦ .

(٢) م . ن : ١٠٥ .

(٣) م . ن : ٣١ .

(٤) م . ن : ٣٦ ، ٥٠ - ٥١ ، ٦٤ .

(٥) م . ن : ٤٣ .

(٦) م . ن : ٤٦ ، ٥٤ ، ٧٠ ، ٩٣ .

(٧) م . ن : ٥٧ .

(٨) م . ن : ٦١ .

(٩) م . ن : ٨٩ ، وانظر ص : ٦٩ ، ٧١ ، ٨٨ ، ١٠١ إلخ . .

يقول « فله الحمد على ما ألهم . . » أو بعبارات قريبة من هذا^(١) .

وإنما أحببت أن أذكر ذلك لأنصف الرجل مما قيل فيه وما يدور حوله من ألفاظ وعبارات (كحاطب ليل) و (رجل جماعة) أو غيرها من العبارات والأقوال التي قد تحطُّ من قيمة وقدّر هذا الإمام الجليل ، فإذا كان العصر الذي وجد فيه السيوطي عصر الموسوعات وازدهار الحركة العلمية فيه فإنه قد ابتكر علوماً عديدة في اللغة وعلوم القرآن ، ثم إن السيوطي نفسه يقول بعد استعراضه ما وهبه الله تعالى من النظر في علوم القرآن « وألفت في ذلك جامعاً ومفرداً ، ومطنباً ومقصداً ، ومن خلق لشيء فاز بيسره ، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره . . »^(٢) .

ثم إن من تعود على التطفّل على كتب غيره ، أو اختلاسها ونسبتها إليه لا يمكنه بحال أن يُعمل عقله في استنباط شيء ما ، أو أن يبذل جهده للحصول على أمر لم يسبقه إليه أحد فأين السيوطي من ذلك ، وهل يمكن أن أقول إن هذا الكتاب ليس له ، فلم تكرر مثل هذه الألفاظ والعبارات في كل صفحات الكتاب ؟

فلذلك ينبغي أن يتره السيوطي وأمثاله من العلماء الأفاضل عن مثل هذه الأقوال وأن يعطوا حقهم من الاحترام والتقدير .

أما الخصلة الثالثة والأخيرة في منهج السيوطي فهو نقله ما اتفق العلماء عليه من وجوه المناسبات مع نسبة كل قول لصاحبه وعزوه لقاتله .

وبالأمثلة يتضح ما ذكرته عن منهج السيوطي في كتابه ، وخير مثال على ذلك ما ذكره في بداية الكتاب من ارتباط سورة الفاتحة بالبقرة وتعلق سورة البقرة بالفاتحة فقال : « سورة الفاتحة : افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة ، لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك من أسماها أم القرآن وأم الكتاب ،

(١) انظر على سبيل المثال ص : ٧٢ - ٧٥ ، ٨٠ - ٨١ ، ٨٤ - ٨٥ ، ٩٤ إلخ .

(٢) تناسق الدرر : ٢٤ .

والأساس ، فصارت كالعنوان ، وبراعة الاستهلال .

قال الحسن البصري : إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ، ثم أودع علوم القرآن في المفصل ، ثم أودع علوم المفصل في الفاتحة ، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان^(١) .

وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشري^(٢) ، باشتمالها على الشاء على الله بما هو أهله ، وعلى التعبد بالأمر والنهي ، وعلى الوعد والوعيد ، وآيات القرآن لا تخلو من أحد هذه الأمور .

وقال الإمام فخر الدين المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة : الإلهيات والمعاد والنبوات وإثبات القضاء والقدرة لله تعالى ، فقوله : ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] يدل على الإلهيات ، وقوله : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [هـ] يدل على نفى الجبر وعلى إثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، وقوله : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦] إلى آخر السورة . . يدل على إثبات قضاء الله وعلى النبوات ، فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الأربعة التي هي المقصد الأعظم من القرآن^(٣) .

وقال البيضاوي : « هي مشتملة على الحكم النظرية ، والأحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ، ومنازل الأشقياء »^(٤) .

(١) البيهقي ، شعب الإيمان ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول (ط ١ . دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) الشعبة التاسعة عشر في فضائل القرآن ترتيب السور والآيات ٢ / ٤٥٠ - ٤٥١ .

(٢) الكشف : ٢٣ / ١ .

(٣) مفاتيح الغيب « التفسير الكبير » ٦٥ / ١ .

(٤) تفسير البيضاوي ، بحاشيته الشهاب الخفاجي : ٣٥ / ١ .

وقال الطيبي^(١) : « هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين :

أحدها : علم الأصول ، ومعاقدة معرفة الله عز وجل وصفاته ، وإليها الإشارة بقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ① الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ ومعرفة ، النبوات ، وهي المراد بقوله [﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، ومعرفة المعاد وهو المسمى إليه بقوله : ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ②] .

وثانيها : علم الفروع ، وأسسه العبادات ، وهو المراد بقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ③ .

وثالثها : علم ما يحصل به الكمال ، وهو علم الأخلاق ، وأجله الوصول إلى الحضرة الصمدانية والالتجاء إلى جانب الفردانية ، والسلوك لطريقه والاستقامة فيها ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ وَإِيَّاكَ فَسْتَعِذْ ④ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

ورابعها : علم القصص والإخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية ، السعداء منهم والأشقياء ، وما يتصل بها من وعد محسنهم ، ووعد مسيئهم ، وهو المراد بقوله : ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

قال : وجميع القرآن تفصيل لما أجملته الفاتحة ، فإنها بنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً ، فإنها واقعة في مطلع التنزيل ، والبلاغة فيه : أن يتضمن ما سيق الكلام لأجله .

(١) هو الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي ، أحد كبار علماء التفسير والحديث واللغة توفي سنة (٧٤٣ هـ / ١٣٤٢ م) الدرر الكامنة : ١٥٦ / ٢ ، بغية الوعاة : ٢٢٨ / ١ ، والبدر الطالع : ٢٢٩ / ١ .

(٢) ما بين المعقفتين [] سقط من المطبوعتين واستدركتها من أسرار التنزيل (مخطوطة محفوظة بالمكتبة السلمانية بإستانبول رقم (٤٩ مراد بخاري) ق ٣ / ب

(٣) سقطت هذه الفقرة من طبعة عطا ص : ٧٥ .

ولهذا لا ينبغي أن يقيّد شيء من كلماتها ما أمكن الحمل على الإطلاق»^(١).

وقال الغزالي : في جواهر القرآن^(٢) : « مقاصد القرآن ستة : ثلاثة مهمة وثلاثة تتمة :

- الأولى : تعريف المدعو إليه ، كما أشير إليه بصدرها .

- وتعريف الصراط المستقيم ، وقد صرح به فيها .

- وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى ، وهو الآخرة كما يشير إليه

بـ ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ .

- والأخرى : تعريف أحوال المطيعين ، كما أشير إليه بقوله : ﴿الَّذِينَ

أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ .

- حكاية أقوال الجاحدين ، وقد أشير إليها بـ : ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿وَلَا

الضَّالِّينَ﴾ .

- وتعريف منازل الطريق ، كما أشير إليه بقوله : ﴿إِنَّاكَ نَعْبُدُ وَإِنَّاكَ

نَسْتَعِينُ﴾^(٣) .

- هنا ينتهي كلامه عن الفاتحة^(٤) .

ثم ينتقل إلى سورة البقرة مبيناً صلة الربط بينها وبين سورة الفاتحة فيقول :

(١) الطيبي ، شرح الكشاف (مخطوط بالمكتبة الأزهرية ١/ق ٢٩/أ ، نقلاً من حاشية عبد القادر أحمد عطا) ص : ٧٥ .

(٢) الغزالي ، جواهر القرآن (منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت : ١٩٧٧م) ص ٩ - ١٧ وقد لخصها السيوطي في كتابه تناسق الدرر ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) تناسق الدرر ط درويش ص ٣٢ - ٣٤ ، وقارن بطبعة عطا ص : ٧٣ - ٧٥ ففيهما تباين واضح وقد سقط في نسخة عطا عبارات كثيرة وانظر أسرار التنزيل ق ٣/ب .

(٤) وقد توسع السيوطي في الحديث عن السورة في كتابه أسرار التنزيل انظر ق ٣/أ - ١/١١ .

قال بعض الأئمة : تضمنت سورة الفاتحة : الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهود والنصارى . وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين .

وآل عمران مكمل لمقصودها .

فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى .

وأوجب الحج في آل عمران ، وأما في البقرة ، فذكر أنه مشروع ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه ، وكان خطاب النصارى في آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ، لأن التوراة أصل ، والإنجيل فرع لها .

والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعى اليهود وجاهدهم ، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر . كما كان دعاؤه لأهل الشرك ، قبل أهل الكتاب .

ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء عليهم السلام ، فخطب به جميع الناس .

والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين ، فخطبوا بـ (يا أهل الكتاب) . (يا بني إسرائيل) ، (يا أيها الذين آمنوا) .

وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس ، وهي نوعان : مخلوقة لله ، ومقدورة لهم كالنسب والصهر .

ولهذا افتتحت بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَ وَطَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ثم قال : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] فانظر إلى هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح ، وبراعة الاستهلال ، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ، ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ، ومحرماته ، والموارث المتعلقة بالأرحام ، وأن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ، ثم بث منهما رجالاً ونساء في غاية الكثرة .

وأما المائدة : فسورة العقود ، وتضمنت بيان تمام الشرائع ، ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل ، وما أخذ على الأمة ، وبها تمّ الدين ، فهي سورة التكميل لأن فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين ، وعقوبة المعتدين من السُّراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال ، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله ، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ الوضوء والتميم والحكم بالقرآن على كل ذي دين .

ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام^(١) ، وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملاً ، ولهذا ورد : « أنها آخر ما نزل »^(٢) ، لما فيها من إشارات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من أحسن الترتيب . اهـ .

وقال بعضهم : افتتحت البقرة بقوله : ﴿الْمَ ۖ ذَٰلِكَ الْكِتَٰبُ﴾ [البقرة : ١-٢] فيه إشارة إلى الصراط المستقيم في قوله : ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب ، كما أخرج ابن جرير وغيره من حديث علي مرفوعاً : الصراط المستقيم كتاب الله^(٣) .

وأخرجه الحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً^(٤) .

-
- (١) كقوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة : ٣] .
 (٢) أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة : ١٨٨/٦ ، والحاكم في مستدرکه عن عائشة أيضاً ٣١١/٢ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
 (٣) تفسير الطبري : ١٧٣/١ ، وانظر الدر المنثور : ١٥/١ .
 (٤) المستدرک : ٨٣/٤ .

وهذا معنى حسن يظهر فيه سر ارتباط البقرة بالفاتحة . وقال الخوئي^(١) :
 أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة الفاتحة ، لأن الله تعالى لما ذكر أن
 الحامدين طلبوا الهدى ، قال : قد أعطيتكم ما طلبتم هذا الكتاب هدى لكم
 فاتبعوه ، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول ، ثم إنه ذكر
 في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاثة الذين ذكرهم في الفاتحة ، فذكر الذين
 على هدى من ربهم ، وهم المنعم عليهم ، والذين اشتروا الضلالة بالهدى ،
 وهم الضالون والذين باؤوا بغضب من الله ، وهم المغضوب عليهم^(٢) . اهـ .
 ثم يذكر السيوطي ما ظهر له من وجوه الربط بين السورتين فيقول : « قد
 ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات :

* أحدها : أن القاعدة التي استقرأتها من القرآن : أن كل سورة تفصيل
 لإجمال ما قبلها ، وشرح له ، وإطناب لإيجازه ، وقد استقر معي ذلك في
 غالب سور القرآن طويلها وقصيرها ، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل
 جميع مجملات الفاتحة .

فقوله : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تفصيله : ما وقع فيها من الأمر بالذكر في عدة
 آيات ، وبالدعاء في قوله : ﴿ أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا ﴾ [البقرة : ١٨٦] الآية .
 ومن قوله ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] الآية ، وبالشكر من قوله : ﴿ مَا ذُكِّرُوا
 أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] .

وقوله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ تفصيله قوله : ﴿ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ [٢١-٢٢]
 الآيتين . وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] الآية ولهذا

(١) هو أحمد بن خليل بن سعادة أبو العباس الشافعي الخوئي نسبة إلى خوئي مدينة
 بأذربيجان من إقليم تبريز ، ولي قضاء دمشق (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م) سير أعلام
 النبلاء : ٢٣ / ٦٤ - ٦٥ ، شذرات الذهب : ٥ / ١٨٣ .

(٢) إلى هنا ينتهي نقله من أسرار التنزيل ق ١١ / ب ، وانظر تناسق الدرر ط درويش
 ص ٣٤ - ٣٦ ، ووازن طبعة عطا ص : ٧٦ - ٧٨ ففيهما بعض التباين .

افتتحها بقصة خلق آدم الذي هو مبدأ البشر ، وهو أشرف أنواع العالمين ،
وذلك شرح إجمال ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

ثم يستطرد بذكر تفصيلات جميع آيات سورة الفاتحة إلى أن يقول في آخرها
فهذا ما ظهر لي والله تعالى أعلم بأسرار كتابه^(١) .

* الوجه الثاني : أن الحديث والإجماع على تفسير المغضوب عليهم
باليهود والضالين بالنصارى ، وقد ذكروا في سورة الفاتحة حسب ترتيبهم في
الزمان فعقت بسورة البقرة ، وجميع ما فيها من خطاب أهل الكتاب لليهود
خاصة وما وقع فيها من ذكر النصارى لم يقع بذكر الخطاب ، ثم بسورة آل
عمران وأكثر ما فيها من خطابهم للنصارى ، فإن ثمانين آية من أولها نازلة في
وفد نصارى نجران كما ورد في سبب نزولها^(٢) ، وختمت بقوله : ﴿وَإِنَّ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٩٩] وهي في النجاشي وأصحابه من
مؤمني النصارى كما ورد في الحديث^(٣) .

(١) تناسق الدرر : ص ٣٨ .

(٢) وقد ذكره السيوطي في لباب النقول ص ٥١ فقال : أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع أن
النصارى أتوا إلى النبي ﷺ فخاصموه في عيسى ، فأنزل الله ﴿الْعَرَبُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
أَعْلَى الْقُرُونِ﴾ إلى بضع وثمانين آية منها . قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن سهل بن
أبي أمامة قال : لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى بن مريم ،
نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها ، أخرجه البيهقي في دلائل النبوة :
٣٨٥/٥ ، وقد ذكره ابن كثير في السيرة : ١٠١/٤ - ١٠٦ وفي تفسيره :
٣٦٩/١ - ٣٧٠ وقال فيه غرابة ، وانظر ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير
العباد ، تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط (ط ٢ مؤسسة
الرسالة ، بيروت : ١٩٨١م) ٦٣١/٣ ، والسيوطي في أسرار التنزيل : ق ٨٥/أ .

(٣) ذكر الطبري في تفسيره : ٤٩٦/٧ - ٥٠٠ عدة أقوال في نزول هذه الآية منها أنها في
النجاشي وذكر عدة آثار في ذلك منها عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال :
« اخرجوا فَصَلُّوا على أخ لَكُمْ » فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات ، فقال : « هذا
النجاشي أصحمة » فقال المنافقون : انظروا إلى هذا يصلي على عليج نصراني لم يره
قط ، فأنزل الله : ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ . وانظر لباب النقول : =

وهذا وجه بديع في ترتيب السورتين ، كأنه لما ذكر في الفاتحة الفريقين قصَّ في كل سورة مما بعدها حال فريق على الترتيب الواقع فيها ، ولهذا كان صدر سورة النساء في ذكر اليهود وآخرها في ذكر النصارى ، وكذلك أول سورة المائدة في شأن اليهود ، وآخرها في شأن النصارى .

* الوجه الثالث : أن سورة البقرة أجمع سور القرآن للأحكام والأمثال ، ولهذا سميت في أثر فسطاط القرآن^(١) الذي هو المدينة الجامعة ، فناسب تقديمها على جميع السور .

* الوجه الرابع : أنها أطول سورة في القرآن ، وقد افتتح بالسبع الطوال^(٢) ، فناسب البدء بأطولها .

* الوجه الخامس : أنها أول سورة نزلت بالمدينة ، فناسب الابتداء بها ، فإن للأولية نوعاً من الأولوية .

* الوجه السادس : أن سورة الفاتحة لما ختمت بالدعاء من المؤمنين بأن لا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم ولا الضالين إجمالاً وختمت سورة البقرة بالدعاء بأن لا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان ، وحمل الإصر ، ومالا طاقة لهم به تفصيلاً .

= ٦٣ - ٦٤ ، ونعي النبي ﷺ النجاشي وصلاته عليه مما اتفق عليه البخاري ومسلم ، البخاري في الجنائز ، باب : الصلاة على الجنائز بالمصلى والمسجد رقم (١٢٦٣) ومسلم في الجنائز أيضاً باب : التكبير على الجنائز رقم ٩٥١ .

(١) أخرجه الدارمي عن خالد بن معدان قال : « سورة البقرة تعليمها بركة ، وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة ، وهي فسطاط القرآن » سنن الدارمي (ط بعناية محمد أحمد دهمان ، نشر دار إحياء السنة النبوية ، د . ت) ٤٤٦ / ٢ .

(٢) السبع الطوال : أولها البقرة وآخرها براءة ، وفي رواية عن ابن عباس أنها : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ، قال الراوي : وذكر السابعة فنسيتها وفي الإتيان : ١٩٩ / ١ « وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها يونس » .

وتضمن آخرها أيضاً الإشارة إلى طريق المغضوب عليهم والضالين بقوله :
﴿ لَا تَفَرُّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فتأخت السورتان وتشابهتا في المقطع وذلك من وجوه المناسبة في التتالي والتناسق ، وقد ورد في الحديث^(١) التأمين في آخر سورة البقرة كما هو مشروع في آخر الفاتحة .

فهذه ستة وجوه ظهرت لي ، والله تعالى الحمد والمنة «^(٢) .

في هذا المثال يتجلى منهج السيوطي في كتابه (تناسق الدرر) بشكل واضح فالملاحظ فيه أنه نقل عن أئمة التفسير الذين أكثروا من ذكر المناسبات في تفاسيرهم كالفخر الرازي ، وكذلك نقل عن الزمخشري والبيضاوي وغيرهما ومن ثمّ قد عزا كل قول إلى قائله وبالرجوع إلى كتب هؤلاء الأئمة تبين لي أن السيوطي كان دقيقاً في النقل ، أميناً في الاقتباس فهو لا يتصرّف في العبارة ولا يحوّر في الجملة ، متبعاً منهجه العام في التأليف وهو « لا يجوز تغيير شيء من مصنف وإبداله بلفظ آخر وإن كان بمعناه قطعاً »^(٣) .

وقد اختصر الكثير مما أورده في كتابه الكبير (أسرار التنزيل) ، ثم بعد ذلك اجتهد في استنباط وجوه من المناسبات بين الفاتحة والبقرة مما فتح الله تعالى بها عليه لخصت بعضها خشية التطويل .

وأذكر مثلاً آخر للمقارنة بين السيوطي وبين من تقدمه من المفسرين

(١) أخرج أبو عبيد وابن أبي شيبه في المصنف وابن جرير وابن المنذر عن معاذ بن جبل ، أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة ﴿ فَأَنْصُرُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال : آمين « وهناك آثار أخرى انظرها في الطبري : ١٤٦/٦ ، والدر المنثور : ١٣٧/٢ ، وفي أسرار التنزيل ق ٨٥/أ » أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن أبي ميسرة أن جبريل لقّن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة ، آمين .

(٢) تناسق الدرر : ص ٣٢ - ٤٠ .

(٣) تدريب الراوي : ٩٥/٢ .

المهتمين بهذا الفن ففي سورة المطففين قال السيوطي : « أقول : الفصل في هذه السورة بين الانفطار والانشقاق ، التي هي نظيرتها من خمسة أوجه :

- افتتاح بـ (إذا السماء) .

- والتخلص بـ (يا أيها الإنسان) .

- وشرح حال يرم القيامة ولهذا ضمت إليها في الحديث السابق .

- والتناسب في المقدار .

- وكونها مكية .

وهذه السورة مدنية وأطول منهما ، ومفتحتها ومخلصها غير مالهما لنكتة لطيفة ألهمنيها الله ، وذلك أن السور^(١) الأربع لما كانت في صفة حال يوم القيامة ، ذكرت على ترتيب ما يقع فيه ، فغالب ما وقع في التكوير ، وجميع ما وقع في الانفطار ، وقع^(٢) في صدر يوم القيامة ، ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ، ومقاساة العرق والأهوال ، فذكره في هذه السورة بقوله : ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين : ٦] .

ولهذا ورد في الحديث : « يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رُشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ »^(٣) . ثم بعد ذلك تحصل الشفاعة العظمى ، فتنتشر الكتب ، فأخذ باليمين وأخذ بالشمال ، وأخذ من وراء الظهر ، ثم بعد ذلك يقع الحساب .

هكذا وردت بهذا الترتيب الأحاديث ، فناسب تأخير سورة الانشقاق التي فيها إيتاء الكتب والحساب ، عن السورة التي قبلها والتي فيها ذكر طول الموقف ، والسورة التي فيها ذكر الموقف عن التي فيها ذكر أهوال اليوم^(٤) .

(١) من ط عطا ص ١٤٧ وفي ط الدرويش ص ٩٣ (الصور) .

(٢) من ط الدرويش ص ٩٣ وفي ط عطا ص ١٤٩ (يقع) .

(٣) البخاري في التفسير / المطففين ، باب ، تفسير سورة « ويل للمطففين » رقم (٤٦٥٤) .

(٤) في ط . عطا ص ١٤٨ (والتي فيها ذكر الموقف عن التي فيها مبادئ يوم القيامة) .

ووجه آخر وهو : أنه جل جلاله لما قال في الانفطار ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ
لِحُفَظَيْنِ﴾ ١١٠-١١١ وذلك في الدنيا ، ذكر في هذه السورة حال
ما يكتبه الحافظون ، وهو : كتاب مرقوم يجعل في عليين أو في سجين .
وذلك أيضاً في الدنيا ، لكنه عقّب بالكتابة ، إما في يومه أو بعد الموت في
البرزخ كما في الآثار . فهذه حالة ثانية للكتاب ذكرت في السورة الثانية .

وله حالة ثالثة متأخرة عنها ، وهو إيتاؤه صاحبه باليمين أو غيرها ، وذلك
يوم القيامة ، فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك عن السورة التي فيها الحالة
الثانية وهي الانشقاق ، فله الحمد على ما من من الفهم لأسرار كتابه
١ هـ .^(١)

ثم يتابع السيوطي كلامه مشيراً إلى المصدر الذي نقل عنه فقال : « ثم
رأيت الإمام فخر الدين قال في سورة المطففين أيضاً :

اتصال أولها بآخر ما قبلها ظاهر ، لأنه تعالى بيّن هناك أن يوم القيامة من
صفته : ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار : ١٩] وذلك
يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة ، فلهذا أتبعه بقوله : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾
الآيات^(٢) .

هذا ما ذكره السيوطي عن ارتباط سورة المطففين بما قبلها وتوسطها بين
سورتين متأخيتين ، فهو طَبَّقَ منهجه الذي رسمه لنفسه في انتقاء أحسن ما قيل
من وجوه المناسبات ، فنقل عن الفخر الرازي وكان دقيقاً في نقله وعزاه إليه
بكل أمانة ثم ذكر ما فتح الله تعالى به عليه من وجوه للربط بين السورتين ، وهو
يسير على هذا النمط في كل الكتاب .

ولتمام الفائدة أنقل ما ذكره ابن الزبير في كتابه (البرهان في تناسب سور

(١) تناسق الدرر ص ٩٣ - ٩٤ ، وقارن بطبعة عطا ص ١٤٧ - ١٤٨ فهناك بعض الاختلاف
في النسخ أشرت إلى أهمها وأكثرها اختلافاً في المعنى .

(٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٨٧ / ٣١ .

القرآن) حول هذه السورة وكذا ما ذكره أبو حيان الأندلسي في كتابه (البحر المحيط) للتعرف على مدى تأثير السيوطي بهما أو الانفراد عنهما .

قال ابن الزبير : « سورة التطفيف ، لما قال سبحانه في سورة الانفطار : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ [١١-١٠] وكان مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال ، وأنه لا يفوت عمل كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ أَوْ عَشِيرَةٌ فَلَا تُجِدُونَهَا ﴾ [الأنبياء : ٤٧] أتبع الآية المتقدم (١) ، بجزء من عمل عملاً يتوهم فيه قرب المرتكب ، وهو من أكبر الجرائم وذلك التطفيف في المكيال والميزان ، والانحراف عن إقامة القسط في ذلك فقال تعالى : ﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ﴾ [١] . ثم أردف بتهديدهم وتشديد وعيدهم فقال تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿١﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [المطففين : ٥-٤] ، ثم التحمت الآي مناسبة لما افتتحت به السورة إلى ختامها « (٢) » .

فيلاحظ أن ابن الزبير لم يشر إلى توسط هذه السورة بين الانفطار والانشقاق المتأخيتين والمتناظرتين والمرتبطتين ببعضهما ببعض أبلغ ارتباط وأكد فلم يذكر سبب توسط هذه السورة بينهما ، فذكر مباشرة ارتباط هذه السورة لما قبلها وهي سورة الانفطار ثم ذكر بعدها علاقة سورة الانشقاق بالانفطار وبالمطففين ، وأن المناسبة بين هذه السور الثلاث بيّنة (٣) ، ويكون السيوطي فعلاً قد أبدع بذلك وجه المناسبة بين هذه السور وهذا مصداق قوله المتكرر « فله الحمد على ما ألهم » (٤) أو كما قال في آخرها : « فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا مَنَّ مِنَ الْفَهْمِ لِأَسْرَارِ كِتَابِهِ » .

(١) هكذا ورد في الكتاب ولعله يقصد الآي المتقدم ذكرها والمراد بها ﴿ وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ وما بعدها .

(٢) ابن الزبير ، البرهان في تناسب سور القرآن ، ص ٢٢٤ .

(٣) م . ن . السابق .

(٤) تناسق الدرر ص ٩٣ حيث قال « لنكتة لطيفة ألهمنيها الله » .

ثم إنَّ هناك تميّزاً بين السيوطي وابن الزبير في استنباط المناسبة من الآية الواحدة فذكر ابن الزبير من وجوه المناسبة بين السورتين قوله تعالى في سورة الانفطار ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [١١-١٠] أشار إلى وقوع الجزاء على جزئيات الأعمال ، أما السيوطي فقد ذهب إلى أبعد من ذلك فعند ذكر هذه الآية ، استنبط السيوطي منها ما يكتبه الحافظان وأن ذلك يكون في الدنيا ثم أشار إلى حال هذا الكتاب وهو إما في عليين أو في سجين ، ثم ذكر حال صاحبه وهو إما أن يأخذه بيمينه ويكون من أصحاب التَّعِيم أو يأخذه بشماله فيكون من أصحاب الجحيم - والعياذ بالله تعالى - وذلك يوم القيامة ، فوق السيوطي في استنباط الصلة بين السورتين وهو التدريج من الدنيا إلى الآخرة وهي مناسبة معقولة ، أما أبو حيان صاحب البحر المحيط فكون كتابه غير مختص بذكر المناسبات وهو تفسير محيط اهتم بذكر المناسبات بين السور والآيات بشكل مختصر ، فقال عن هذه السورة وعن سابقتها : « والمناسبة بين السورتين ظاهرة ، لمَّا ذكر تعالى السعداء والأشقياء ، ويوم الجزاء ، وعِظَم شأن يومه ، ذكر ما أعد لبعض العصاة وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهي التطفيف ، الذي لا يكاد يجدي شيئاً في تثير المال وتنميته »^(١) .

فيلاحظ أن أبا حيان (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م) قد تأثر بشيخه ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ / ١٣٠٨ م)^(٢) ، تأثراً كبيراً ، فالتطابق بينهما واضح في المناسبة بين السورتين في التركيز على عظم التلاعب بالمكيلات والموزونات وأنها تدخل صاحبها النار وكان في السورة السابقة قد ذكر حال السعداء والأشقياء ويوم

(١) أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط (ط ٢ . دار الفكر ، بيروت : ١٩٨٣ م) ٤٣٩/٨ .

(٢) بغية الوعاة : ٢٨٠ / ١ - ٢٨٥ ، وابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء ، عنى بنشره ج . برجستراسر (ط ٢ . دار الكتب العلمية ، بيروت : ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ٢٨٥ / ٢ - ٢٨٦ .

الجزاء ، فالمناسبة إذاً واضحة ، ولم يذكر أبو حيان أكثر من ذلك لعدم تخصص كتابه بذكر المناسبات ، والله أعلم .

من هذه المقارنة تبين أن السيوطي لم يكن عالمة على غيره ، أو أنه سطا على كتب غيره - كما قيل ، ونسبها إليه - فهو عندما أخذ عن الفخر الرازي أشار إلى ذلك ، وعندما اجتهد أشار إلى ذلك أيضاً ، ونص على ذلك في مقدمة كتابه وطبق منهجه هذا في كل الكتاب .

طباعات الكتاب :

أشرت سابقاً^(١) ، إلى أن هذا الكتاب قد طبع طبعات عديدة ، والعجيب في الأمر أن بعض من حققوا الكتاب غيَّروا في عنوانه فسموه (أسرار ترتيب القرآن)^(٢) أو (تناسب وترتيب سور القرآن)^(٣) ، وعلَّلوا الأمر بأنه أبعد عن الجنس غير المؤلف في عصرنا^(٤) ، أو أقرب إلى الفهم^(٥) .

(١) انظر ص ٢٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) هو عبد القادر أحمد عطا ، وكانت طبعته الأولى في دار الاعتصام ، بالقاهرة : سنة (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) وقد أعيد طبعة بالعنوان نفسه (أسرار ترتيب القرآن) بدار بوسلامة في تونس سنة ١٩٨٣ م ، ومن الجدير بالذكر أن المحقق قد سار على هذا النمط في بعض الكتب الأخرى ، فغير في عناوينها مثل كتاب الكرمانى (البرهان في متشابه القرآن) سماه (أسرار التكرار في القرآن) وهو عنوان لا يتفق ومضمون الكتاب بأي حال ، انظر مقدمة عبد السميع حسين علي الأنصاري ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (ط مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض : ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ص ١٣٣ .

(٣) وهو السيد الجميلي ، وقد قام بتحقيق الكتاب - بعد اطلاعه على تحقيق عطا - وطبعه في دار ومكتبة الهلال ، بيروت : ١٩٨٦ م) وذكر في مقدمته ص ٢٣ أنه سماه (تناسب وترتيب سور القرآن) والمثبت على صفحة الغلاف (ترتيب سور القرآن) دون الإشارة إلى اسم الكتاب الأصلي .

(٤) مقدمة عبد القادر عطا على كتاب السيوطي تناسب الدرر المسمى أسرار ترتيب القرآن ، ص ٦٣ .

(٥) مقدمة السيد الجميلي على كتاب السيوطي تناسب الدرر المسمى (ترتيب سور القرآن) ص ٢٣ .

ونسوا أن الأمانة العلمية تقتضي إخراج النص والكتاب المحقق كما أراه مؤلفه ، لا كما يتناسب مع عصر المحقق ، لأن المؤلف إنما يكتب لعصره ولأهل زمانه ، والشائع في ذلك العصر هو الجناس والسجع ، وقد أشار السيوطي إلى ذلك في خاتمة مقدمته عندما ذكر اسم الكتاب بأنه كان قد سماه أولاً (نتائج الفكر في تناسب السور) لكونه من مستنتاجات فكره ، وإنما عدل عن هذه التسمية إلى (تناسب الدرر في تناسب السور) لأنه أنسب بالمعنى وأزيد بالجناس .

هذا وقد قام عبد الله الدرويش بتحقيق الكتاب ونشره في دار الكتاب العربي بسورية سنة ١٩٨٣م ، وكان قد أطلع على طبعة عبد القادر عطا التي سماها (أسرار ترتيب القرآن) ، وهذه الطبعات الثلاث تشترك جميعها في الأخطاء والنقص وقد أشرت إلى بعضها في أثناء البحث ، والكتاب بحاجة إلى إعادة تحقيق بمقابلته على أصله (أسرار التنزيل) وضم إليه كتاب السيوطي (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) إتماماً للعمل واستكمالاً للفائدة .



٤- مرصد المطالع

في تناسب المقاطع والمطالع

من أنواع المناسبة ، مناسبة فواتح السور لخواتمها ، أو مطالعها لمقاطعها ، وهو نوع من أنواع علوم القرآن ، ويعد هذا الكتاب ملحقاً لما قبله (تناسق الدرر) وقد أشار السيوطي إلى هذا الكتاب في آخر النوع الثاني والستين في مناسبة الآيات والسور من (الإتقان) فقال : « فصل : من هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها »^(١) .

وإنما أفردته بالتعريف هنا لأن السيوطي أفردته بالتأليف فقال : « وقد أفردت فيه جزءاً لطيفاً سميته (مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) »^(٢) .

وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً^(٣) ، وقد حصلت منه على ثلاث نسخ مخطوطة مصورة .

إحداها : عن نسخة المكتبة الأحمدية بتونس رقم (١٥٨٥) ضمن مجموع من ق ٤٣/أ إلى ٥١/أ .

وثانيها : عن النسخة المحفوظة بالجامعة الإسلامية رقم الميكرو فيلم (٦٥/١٠٦١٧) وتقع في (٤) ورقات من القطع الكبير ضمن مجموع من ق ٢٩٥/أ إلى ٢٩٨/ب .

وثالثها : عن النسخة المحفوظة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ورقم (٤٧٢٥) وهي ضمن مجموع أيضاً من ق ٤٠/أ - ٤٤/ب .

(١) الإتقان : ٩٨٥/٢ .

(٢) م .ن السابق .

(٣) هذا الكلام في أثناء إعداد الأطروحة ، وقد أكرمني الله تعالى بتحقيقه ونشره في المجلة الأحمدية بديبي ، العدد الرابع : جمادى الأولى ١٤٢٠هـ / آب ١٩٩٩م .

هذا ويوجد منه نسخة أيضاً في المكتبة السليمانية بإستانبول ضمن مجموع رقم (١٠٣) كما يوجد منه نسخة في جامعة برنستون ضمن مجموع أيضاً رقم (٤٧٤٦)^(١) .

مصادره :

مع اعتماد هذا النوع من علوم القرآن على الاستنباط والاجتهاد إلا أن السيوطي قد صرح في مقدمته من نقل عنهم وهم :

- ١- الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ / ١١١٠ م) محمود بن حمزة شيخ الزمخشري في كتابه (البرهان في متشابه القرآن) و (الغرائب والعجائب) وهو تفسيره .
- ٢- الزمخشري (ت ٥٣٨ / ١١٤٣ م) تلميذ الكرمانى في كتابه (الكشف) .
- ٣- الرازى (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) في (تفسيره الكبير ، المسمى مفاتيح الغيب) .
- ٤- الأصبهاني^(٢) (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) في تفسيره أيضاً وغيرهم^(٣) .

منهج السيوطي في مراصد المطالع :

لم يختلف منهج السيوطي في كتابه هذا عن منهجه في كتابه (تناسق الدرر) فهو قد بدأ كتابه بمقدمة قصيرة ذكر فيها أهمية هذا النوع من علوم القرآن ، وأنه قد بحث ذلك في كتابيه (الإتيقان) و (أسرار التنزيل) ثم ذكر مصادره التي أشرت إليها سابقاً فقال : « وقد أردت ترتيب

(١) يوسف المرعشلي في تعليقه على البرهان : ١ / ١٣١ .

(٢) هو محمود بن عبد الرحمن بن أحمد ، أبو الثناء الأصبهاني الشافعي ، له تفسير كبير جمع فيه بين الكشف ومفاتيح الغيب . انظر ترجمته في بغية الوعاة : ٢ / ٢٧٨ والداودي ، طبقات المفسرين : ٢ / ٣١٣ - ٣١٤ .

(٣) مراصد المطالع ٤٣ / أ وسأعتمد في بحثي هذا على نسخة المكتبة الأحمدية المحفوظة بدار الكتب التونسية رقم (١٥٨٥) كونها أقدم النسخ وأصحها وسأقارن عند الضرورة بنسختي المملكة العربية السعودية .

ذلك^(١) - أي مناسبة مطالع السورة لمقاطعها - على ترتيب السور . . . مستخرجاً له بفكري إلا ما صرحت بنقله عن غيري^(٢) فيتمثل منهج السيوطي في ذكر مناسبات أوائل السور لخواتمها مما فتح الله تعالى به عليه، وإذا نقل عن غيره فهو يشير إلى ذلك ويحيل على ذلك المصدر الذي نقل عنه متبعاً في ذلك منهجه العام وهو « أن بركة العلم عزو القول إلى قائله » .

ثم قام بترتيب هذه المناسبات، وذكرها حسب ورودها في القرآن الكريم، مبتدئاً بسورة البقرة ومختتماً بسورة الناس .

وهو لا يتوسع كثيراً في بيان العلائق والمناسبات بين أوائل السور وأواخرها وإنما يشير إلى ذلك بشكل مختصر وكثيراً لا تتجاوز المناسبات أكثر من سطر أو سطرين وأكثر ما أطال الحديث عنه هو سورة الأعراف وهي لا تتجاوز ستة أسطر فقال : الأعراف : في أولها ﴿ وَذَكَرْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٢] وفي آخرها ﴿ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [٢٠١] .

وفي أولها ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [٣] وفي آخرها ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ﴾ [٢٠٣] .

وفي أولها : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] وفي آخرها ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُم فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [٢٠٢] .

وفي أولها : وصف إبليس بالاستكبار^(٣) ، وختمها بوصف الملائكة بأنهم لا يستكبرون^(٤) .

(١) في نسخة المكتبة الأحمدية ونسخة جامعة الإمام محمد بن سعود « وقد أردت بيان ذلك على ترتيب السور » .

(٢) مراصد المطالع : ق ٤٣ / أ .

(٣) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الأعراف : ١١] .

(٤) وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٦] .

وفي أولها : ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [٥٥] وفي آخرها ﴿ وَاذْكُرْ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ ^(١) [٢٠٥] .

هذا أطول مثال ذكره السيوطي في كتابه ، ويلاحظ أنه من اجتهاداته واستنباطاته إذ لم يشر إلى أي مصدر أو مرجع نقل عنه أو أفاد منه ، لأنه ذكر في مقدمته أن ما كان لغيره صرح بعزوه إليه ، وهذا ما فعله في أول الكتاب في سورة البقرة فقال : « قال الأصبهاني : وافق آخرها أولها من ذكر أوصاف المؤمنين ، ثم الإشارة إلى وصف الكافرين » ^(٢) وكذلك نسب القول لقائله في « سورة المؤمنون » فقال : « أولها ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [١] وآخرها : ﴿ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [١١٧] قاله الزمخشري » ^(٣) .

وفي سورة (ص) قال : « أولها ﴿ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴾ [١] وآخرها : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٨٧] قاله الكرمانى رحمة الله عليه » ^(٤) .

ثم يتابع السيوطي السير على هذا المنهج في كل الكتاب وبشكل مختصر ففي سورة الإسراء مثلاً يقول : « افتتحت بالتسبيح ^(٥) ، وختمت بالتحميد » ^(٦) ^(٧) وفي سورة الفرقان يقول : « بدأت ببارك ^(٨) وختمت بذلك ^(٩) » ^(١٠) وعن

(١) مراصد المطالع ، ق ٤٣ / ب - ٤٤ / أ .

(٢) م . ن : ق ٤٣ / أ .

(٣) م . ن : ق ٤٥ / أ ، وانظر الكشف : ٤٥ / ٣ . وذكر مثل ذلك الكرمانى في العجائب : ٧٦٩ / ٢ ، وانظر الإتقان : ٩٨٥ / ٢ .

(٤) م . ن : ق ٤٦ / أ ، وانظر الكرمانى ، غرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٠٠٧ / ٢ .

(٥) وذلك في قوله تعالى ﴿ سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [١] .

(٦) وذلك في قوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [١١١] .

(٧) مراصد المطالع : ق ٤٤ / ب .

(٨) وذلك في قوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ [١] .

(٩) وذلك في قوله تعالى ﴿ نَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ﴾ [٦١] .

(١٠) مراصد المطالع : ق ٤٥ / أ .

سورة الدُّخَان قال : « بدئت بذكر القرآن وختمت به ^(١) ، وأولها ﴿ فَأَرْتَبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [١] وآخرها ﴿ فَأَرْتَبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَبُونَ ﴾ [٥٩] » ^(٢) . وقال عن سورة (ق) : « بدئت بذكر البعث وختمت به » ^(٣) .

وعن سورة (اقرأ) لفت النظر إلى المناسبة البديعة التي استنبطها فقال : « أولها ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ [١] وآخرها ﴿ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [٩] ولا يخفى ما بينهما من المناسبة البديعة » ^(٤) .

والسيوطي قد لا يتوصل إلى المناسبة بين أوائل بعض السور وأواخرها ، فيسكت عنها أو أنه يطيل النظر ويمعن الفكر في استنباط المناسبة بين مطلع تلك السورة ومقطعها فيترك فراغاً ليعيد النظر فيه فيما بعد ، والله أعلم ، ومن السور التي ذكر أسماءها ولم يذكر وجه المناسبة بين مطلعها ومقطعها :

« سورة الطارق ، الأعلى ^(٥) ، الفجر ، الشمس ، الضحى ، ألم نشرح ^(٦) ، لم يكن ، إذا زلزلت ، العاديات ، القارعة ، الفيل ، لإيلاف قريش ، رأيت الذي ، الكوثر ، الكافرون ، الفتح ، تبت يد أبي لهب ، الفلق » ^(٧) .

فهذه جميعها ذكر أسماءها وترك فراغاً لعله يتوصل إلى صلة المناسبة بين

(١) أولها ﴿ حَمِّ ﴾ [١] وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ [١ - ٢] وآخرها ﴿ فَأَنَّمَا يُتْرَكَ لِيَلْسَانَكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٥٨] .

(٢) مراصد المطالع : ق ٤٦ / ب .

(٣) وذلك بقوله تعالى في أولها ﴿ أَوَدَّ آمَنَّا وَكُنَّا نُرِيدُ ذَلِكَ رَجْعًا بَعِيدٌ ﴾ [٣] وقال في آخرها ﴿ يَوْمَ نَسْفُتُ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [٤٤] . وانظر مراصد المطالع : ق ٤٧ / أ .

(٤) مراصد المطالع : ق ٥٠ / ب .

(٥) سقط اسم هذه السورة من نسخة الجامعة الإسلامية .

(٦) سقط اسم هذه السورة من نسخة جامعة الملك محمد بن سعود .

(٧) من سورة (لم يكن) وهي البينة إلى سورة الفلق ، سقط من نسختي السعودية .

مطالعها ومقاطعها فيما بعد وهذا أمر طبيعي لدى السيوطي المكثّر من التأليف فهو لا يقف عند هذا الحد بل يتركه وينطلق إلى غيره ثم يعيد النظر فيه فيما بعد . وقد سبق أن أشرت إلى تلك الفراغات التي تركها في بعض كتبه الأخرى كالحدث بنعمة الله ونظم العقيان .

وأخيراً فالكتاب مع صغره وضآلة حجمه، قد حوى الكثير من الفوائد والأسرار المتعلقة بكتاب الله عز وجل، التي تظهر إعجازه، وروعة نظمته، وترتيبه وتنسيقه ، كشفها السيوطي بما فتح الله تعالى عليه، وما ألهم من علم ثرّ- رحمه الله تعالى - .

* * *

مع معترك الأقران في إعجاز القرآن

وهو الكتاب نفسه الذي ذكرته سابقاً^(١) في أثناء تعداد مؤلفاته بعنوان :

معترك الأقران في مشترك القرآن

فالإمام السيوطي يسميه مرّة بـ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)^(٢) .

أو : (معترك الأقران في إعجاز القرآن)

والعنوان الأخير هو العنوان الذي أثبتته محقق الكتاب الأستاذ علي محمد البجاوي^(٣) وذلك لتعلّقه بالقسم الأول من الكتاب الذي تحدّث فيه عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، وذكر منها خمسة وثلاثين وجهاً اشتملت على الجزء الأول من الكتاب .

أما التسمية الثانية لهذا الكتاب فهي :

(معترك الأقران في مشترك القرآن)

وتلك تسمية له بأكبر وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الوجه الخامس والثلاثون من الكتاب في (ألفاظه المشتركة)^(٤) ، وقد أحال السيوطي على هذا الكتاب وبهذا العنوان في (الإتقان) في النوع التاسع والثلاثين (في معرفة الوجوه والنظائر) وقال : « وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سمّيته : (معترك الأقران في مشترك القرآن) »^(٥) .

(١) انظر ص ٢٢٢ من هذا الكتاب .

(٢) معترك الأقران بضبط وتصحيح أحمد شمس الدين : ٣٨٨/١ .

(٣) انظر مقدمته على معترك الأقران : ١/ ف .

(٤) معترك الأقران (ط شمس الدين) : ٣٨٧/١ .

(٥) الإتقان : ٤٤٥/١ .

ولكن السيوطي لم يشر إلى هذا الكتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) عندما تعرض لبحث الإعجاز في النوع الرابع والستين من الإتقان ومع ذلك فقد تكرر ما ذكره في الإتقان في معترك الأقران ، دون الإحالة في أحد الكتابين على الآخر . فإذا ثبت أن للكتاب عنوانين ، فإنما أثبت هنا ما اشتهر الكتاب به وما هو مذكور على الكتاب المطبوع « معترك الأقران في إعجاز القرآن »^(١) .

ونظراً لاحتواء هذا الكتاب على وجوه من الإعجاز القرآني ، وعلى الوجوه والنظائر في القرآن الكريم وهو ثلثا الكتاب ، فيمكنني أن أقسم البحث في هذا لكتاب قسمين اثنين :

- أولهما : إعجاز القرآن الكريم .

- ثانيهما : الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم .

وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الله الملك المعبود .

القسم الأول إعجاز القرآن الكريم

تعريفه :

الإعجاز في اللغة : مصدر للفعل : أعجَزَ ، ومنه اشتقت كلمة معجزة ، والمعجزة هي اسم فاعل من الإعجاز والعَجْزُ الضعف ، وهو نقيض الحزم ،

(١) طبع الكتاب بتحقيق علي البجاوي بدار الفكر العربي في القاهرة الجزء الأول عام ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) والثاني (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) والثالث (١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) بعنوان (معترك الأقران في إعجاز القرآن) وقد أعاد ضبطه وتصحيحه أحمد شمس الدين ، وطبعه في دار الكتب العلمية في بيروت (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) واعتمد فيه على طبعة البجاوي واعتمد على العنوان السابق ، (انظر مقدمة شمس الدين على معترك الأقران : ١/ ب ، وفي خاتمة الكتاب قال ناسخه : « تم الكتاب . . المسمى بمعترك الأقران في إعجاز القرآن » انظر معترك الأقران : ٣/ ٥٢٣ .

يقال : عجز يعجز عجزاً ، فهو عاجز ، أي ضعيف ، والمعجزة : مأخوذة من العجز ضد القدرة ، وهي واحدة معجزات الأنبياء^(١) .

وفي الاصطلاح : هي أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة^(٢) .

فإعجاز القرآن الكريم لا يخرج عن ذلك في كونه أمراً خارقاً للعادة ، لم يستطع أحد معارضته على الرغم من المحاولات المبذولة في التصدي لمثل ذلك .

أنواع المعجزات :

والمعجزات إما حسية وإما عقلية :

قال السيوطي : وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية ، لبلادتهم وقلة بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، ولأن هذه الشريعة - لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة - خصت بالمعجزة العقلية الباقية ، ليراها ذوو البصائر ، كما قال ﷺ : « مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْ حَاةً اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا »^(٣) .

(١) معجم مقاييس اللغة : ٢٣٢/٤ (عجز) والصحاح : ٨٨٣/٣ - ٨٨٤ (عجز) .
ولسان العرب : ٢٨١٦/٤ - ٢٨١٧ (عجز) أيضاً .

(٢) الإتيان : ١٠٠١/٢ . ومال إلى هذا التعريف الباجوري ، في شرح جوهرة التوحيد ، بعناية محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تتان ، ومراجعة الشيخ عبد الكريم الرفاعي (ط . دمشق : د . ت) ص ٢٩٧ . وانظر عبد الرحمن حسن حنكة المبداني ، العقيدة الإسلامية ، وأسسها (ط ٢ دار القلم ، دمشق : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ص ٣٣٨ . والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، كبرى اليقينيات الكونية (ط ٤ ، دار الفكر ، دمشق ١٣٩٥ هـ) ص ٢٢٩ .

(٣) البخاري في فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي ، وأول ما نزل ، رقم =

ومن هنا قال ابن خلدون : « واعلم أن أعظم المعجزات ، وأشرفها ، وأوضحها دلالة ، القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي ، ويأتي بالمعجزة شاهدة على صدقه ، والقرآن هو نفسه الوحي المدعى ، وهو الخارق المعجز ، فشاهده في عينه ولا يفتقر إلى دليل مغاير له - كسائر المعجزات - مع الوحي »^(١) .

المؤلفات السابقة في إعجاز القرآن

مما لا ريب فيه أن العرب لمسوا إعجاز القرآن الكريم منذ نزول آياته الأولى فأدركوا روعة النظم وفصاحة البيان فقالوا : « إن له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو وما يعلى عليه »^(٢) وعندما

= (٤٦٩٦) . وانظر قوله في الإتيان : ١٠٠١/٢ وقد أكد هذا السيوطي في مقدمته على معترك الأقران : ٣/١ فافتتح كتابه بالحمد لله الذي جعل معجزات هذه الأمة عقلية . . وسواء أكانت المعجزة حسية أم عقلية فإن الهدف منها هو الهداية والرشد ، وليس الأمر يتعلق بالذكاء أو الغباء وإنما يشترط في المعجزة حتى تؤدي أكلها أن تكون مناسبة للعصر الذي أرسل فيه النبي ، ليكون خرقها دليلاً على نبوته ، فكان من حكمة الله عز وجل أن تكون معجزات الأنبياء حسية ومعجزة نبينا ﷺ عقلية وهي القرآن الكريم وهي مناسبة لأهل عصره الذي هم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان ثم إن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين ، ولا نبي بعده ، فيجب أن تكون معجزته مناسبة لهذه الرسالة الخالدة ، للتوسع في ذلك انظر كتاب الإمام محمد أبو زهرة (المعجزة الكبرى ، القرآن ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة : ١٩٧٧م) ص ٩ - ١٧ ، وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث في فتح الباري ٦٢٢/٨ ، وقد نقل عنه السيوطي في الإتيان : ١٠٠١/٢ - ١٠٠٢ .

(١) ابن خلدون ، المقدمة : ص ٩٢ .

(٢) من قول الوليد بن المغيرة ، انظر الكشف : ١٧٣/٤ .

أراد السيوطي تأليف كتابه هذا ، وجد أمامه عدداً لا بأس به من المؤلفات المتخصصة في الإعجاز أو في كتب التفسير المهمة بهذا الجانب وقد أشار إلى بعض من أفرد في الإعجاز تصنيفاً في مقدمته^(١) ، كعاداته في كل نوع من أنواع علوم القرآن . وأول من ألّف في الإعجاز وبسط القول فيه - فيما أعلم - :

١- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م)^(٢) في كتابه (الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه) وهو مفقود^(٣) .

٢- أبو حنيفة الدينوري ، أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م)^(٤) ، في كتابه (نظم القرآن)^(٥) .

٣- الواسطي ، محمد بن زيد بن علي الواسطي أبو عبد الله (ت ٣٠٦ هـ / ٩١٨ م)^(٦) ، في كتاب (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)^(٧) وقد شرحه

(١) مقدمة السيوطي على معترك الأقران ، (ط القاهرة) ٣/١ .

(٢) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٢١٢/١٢ - ٢٢٠ ، نزهة الألباء : ١٣٢ ، معجم الأدباء : ٧٤/١٦ - ١١٤ ، سير أعلام النبلاء : ١١/٥٢٦ - ٥٣٠ .

(٣) انظر مقدمة السيد صقر لكتاب الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص : ٨ ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ١٧٠ .

(٤) انظر ترجمته في : معجم الأدباء : ٢٦/٣ - ٣٢ ، إنباه الرواة : ٤١/١ - ٤٤ ، بغية الوعاة : ٣٠٦/١ والداودي ، طبقات المفسرين : ٤٢/١ ، سير أعلام النبلاء : ٤٢٢/١٣ .

(٥) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٢٩/٣ . والمرعشلي في تعليقه في البرهان ٢٢١/٢ .

(٦) انظر ترجمته في البداية والنهاية : ١٨٣/١١ ، والأعلام : ١٣٢/٦ ، وفيه وفاته سنة (٣٠٧ هـ / ٩١٩ م) .

(٧) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ١٢٠/١ . ويبدو أن الكتاب مفقود ، انظر نعيم الحمصي ، فكرة إعجاز القرآن (ط ٢ مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٤٠ هـ / ١٩٨٠ م) ص ٦١ .

عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م) .

٤- ابن أبي زيد القيرواني ، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد (ت ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م)^(١) ، في كتاب (إعجاز القرآن)^(٢) .

٥- أبو الحسن ، علي بن عيسى الرَّمَّاني (ت ٣٨٦ هـ/١٩٩٦ م)^(٣) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)^(٤) .

٦- أبو سليمان ، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطَّابي البُستي (ت ٣٨٨ هـ/٩٩٨ م)^(٥) ، في كتابه (بيان إعجاز القرآن)^(٦) .

(١) انظر ترجمته في ابن خير ، فهرست ما رواه عن شيوخه ، تحقيق فرنشكه قدادة زیدین (نشر المكتب التجاري ، بيروت ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ومؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط . قوقس ، بسرقة : ١٩٨٣ م) ص ٢٤٤ - ٢٤٥ وسير أعلام النبلاء : ١٧/١٠ - ١٣ ، وترتيب المدارك : ٤/٤٩٢ - ٤٩٧ .

(٢) ابن النديم الفهرست : ٢٥٣ ، وهدية العارفين : ٥/٤٤٧ - ٤٤٨ وقد أشار إليه الذهبي ، انظر سير أعلام النبلاء ١/١١ ، والمرعشلي في البرهان : ٢/٢٢١ ، وفيه : أبو زيد القيرواني .

(٣) انظر ترجمته في طبقات النحويين ص ٥٥ ، تاريخ بغداد : ١٢/١٦ ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة ٢/٢٩٤ ، وبغية الوعاة : ٢/١٨٠ - ١٨١ ، وابن النديم ، الفهرست : ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) طبع في دلهي الهند ، بتحقيق عبد العليم سنة (١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م) ، وطبع في القاهرة في دار المعارف ، بتحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام ضمن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) سنة (١٣٧٤ هـ/١٩٥٥ م) ، وذكره الزركشي في البرهان : ٢/٢٢٣ ، ونقل عنه السيوطي في الإتقان : ٢/١٠٠١ .

(٥) انظر ترجمته في ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، (ط دار المأمون ، القاهرة : ١٣٤١ هـ/١٩٢٢ م) ٤/٢٤٦ ، السبكي ، طبقات الشافعية ٢/٢١٨ - ٢٢٢ ، بغية الوعاة : ١/٥٤٦ - ٥٤٧ .

(٦) انظر حاشية رقم (٤) .

٧- أبو بكر الباقلاني ، محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م)^(١) ، في كتابه (إعجاز القرآن)^(٢) .

٨- القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م)^(٣) ، في كتابه (المغني في إعجاز القرآن)^(٤) .

٩- عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م)^(٥) ، في كتاب (دلائل الإعجاز في المعاني والبيان) أو (إعجاز القرآن)^(٦) ، وله أيضاً (الرسالة

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٣٧٩/٥ - ٣٨٣ ، ترتيب المدارك : ٥٨٥/٤ - ٦٠٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٧ - ١٩٣ ، وشذرات الذهب : ١٦٨/٣ - ١٧٠ .

(٢) طبع هذا الكتاب عدة طبعات على هامش الإتيقان ، وبشكل مستقل بتحقيق عدة باحثين أشهر هذه الطبعات بتحقيق السيد أحمد صقر في دار المعارف بالقاهرة سنة (١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م) . وقد ذكر هذا الكتاب الزركشي ، ونقل قول ابن العربي « لم يصنّف مثله » انظر البرهان : ٢/٢٢٣ ، وذكر مثل ذلك السيوطي في الإتيقان : ١٠٠١/٢ .

(٣) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١١٣/١١ - ١١٥ ، الأنساب : ٢٢٥/١ - ٢٢٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٧٠/١٧ - ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، والسيوطي ، طبقات المفسرين بتحقيق علي محمد عمر (نشر مكتبة وهبة ، القاهرة : ١٩٧٦ م) ص ٥٩ .

(٤) طبع الكتاب بتحقيق أمين الخولي ونشره بمكتبة وهبة في القاهرة : (١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) .

(٥) هو شيخ العربية ، أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (انظر ترجمته في نزهة الألبا : ٣٦٣ - ٣٦٤ ، إنباه الرواة : ١٨٨/٢ - ١٩٩٠ ، سير أعلام النبلاء : ١٨/٤٣٢ - ٤٣٣ ، طبقات الشافعية : ٥/١٤٩ - ١٥٠ ، والداودي ، طبقات المفسرين : ١/٣٣٦ - ٣٣٧) .

(٦) طبع عدة مرات وبحقيقات مختلفة منها بتحقيق محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ومحمد محمود الشنيطي في مطبعة الترقى والمنار بالقاهرة سنة ١٣١٩ - ١٣٢١ هـ / ١٩٠١ - ١٩٠٣ م ومنها بتحقيق محمد رضوان الداية ومحمد فايز الداية وطبع في دار قتيبة ، بدمشق : سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

الشافعية في إعجاز القرآن^(١) ، وشرح كتاب الواسطي سماه (الشرح الصغير)^(٢) .
 ١٠- فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)^(٣) ، في كتاب (إعجاز القرآن) أو (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)^(٤) .

١١- الزمكاني ، عبد الواحد بن عبد الكريم (ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م)^(٥) في كتاب (التباين في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن)^(٦) .

١٢- ابن أبي الأصبع ، عبد العظيم بن عبد الواحد : (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)^(٧) ، في كتاب (البرهان في إعجاز القرآن)^(٨) ، وله كتاب آخر

(١) طبعت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، بتحقيق خلف الله وسلام بدار المعارف في القاهرة : ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .

(٢) ذكره السبكي في طبقات الشافعية : ١٥٠ / ٥ وعند الداودي وقع اسمه « إعجاز القرآن الصغير » انظر طبقات المفسرين : ١ / ٣٣٧ .

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين القرشي ، البكري ، الطبرستاني ، الأصولي ، المفسر ، ذو الفنون ، انظر ترجمته في : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ١٢ / ١٢٠ ، وابن كثير ، البداية والنهاية : ١٣ / ٥٥ - ٥٦ ، سير أعلام النبلاء : ٢١ / ٥٠٠ - ٥٠١ ، طبقات الشافعية : ٥ / ٣٣ - ٤٠ ، والسيوطي ، طبقات المفسرين : ص ١١٥ - ١١٦ والداودي ، طبقات المفسرين : ٢ / ٢١٥ - ٢١٨ .

(٤) طبع بتحقيق زغلول سلام ومحمد هدارة بمنشأة المعارف في الإسكندرية سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٣ م وطبع بتحقيق إبراهيم السامرائي ، ومحمد بركات بعمّان سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، انظر المرعشلي وتعليقه في البرهان : ٢ / ٢٢٢ .

(٥) انظر ترجمته في السبكي ، طبقات الشافعية للسبكي : ٥ / ١٣٣ وبغية الوعاة : ٢ / ١١٩ ، وشذرات الذهب : ٥ / ٥٤ .

(٦) طبع الكتاب بتحقيق خديجة الحديثي وأحمد مطلوب في مطبعة العاني ببغداد سنة (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٤ م) ، وقد أشار السيوطي إلى هذا الكتاب انظر الإتيقان : ٢ / ١٠٠١ ومعتزك الأقران (طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت) ١ / ٥ . وانظر أيضاً على شواخ اسحاق ، معجم مصنفات القرآن الكريم : ١ / ١٥٣ .

(٧) انظر ترجمته في النجوم الزاهرة : ٧ / ٣٧ ، والأعلام : ٤ / ٣٠ ، وقد ذكره يوسف المرعشلي باسم زكي الدين أبي محمد عبد العظيم . انظر تعليقه في البرهان ٢ / ٢٢٢ ، فاخترط باسم الحافظ المنذري صاحب (التكملة لوفيات النقلة) .

(٨) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ١ / ٢٤١ ووقع عنده (ابن أبي الأصبع) ولعله =

بعنوان (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن)^(١) .

١٣- ابن سراقه ، محمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو بكر (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م)^(٢) في كتاب (إعجاز القرآن)^(٣) .

= تحريف ، وأشار الزركلي إلى نسخة مخطوطة منه في تشتربتي رقم (٤٢٥٥) .
(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق حفني محمد شرف بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة سنة (١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) ، انظر المرعشلي في تعليقه في البرهان : ٢٢٢/٢ .

(٢) كذا وقع اسمه في كثير من المصادر التي رجعت إليها ، ولكن ابن كثير ذكره في البداية والنهاية : ٢٥٧/٣ باسم محيي الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم . . . وذكره الزركلي مرتين مرة باسم محمد بن إبراهيم (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م) ٢٩/٧ وأحال في ترجمته إلى محمد بن أحمد باعتقاده أنه الأصح لأنه رأى اسمه بخطه على الجزء الحادي والعشرين من كتاب (التكملة لوفيات النقلة) وقد سمى نفسه « محمد بن أحمد بن محمد » ولكن أكثر المصادر ذكرته باسم محمد بن محمد ، انظر ، الوافي بالوفيات ، ٢٠٨/١ - ٢٠٩ ، النجوم الزاهرة : ٢١٦/٧ - ٢١٧ ، نفح الطيب : ٦٣/٢ - ٦٥ وذكره باسم محمد بن سراقه الشاطبي بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقه أبو عبد الله . وشذرات الذهب : ٣١٠/٥ - ٣١١ ، وقد عدّه نعيم الحمصي من علماء القرن الخامس الهجري ، وذكر وفاته سنة (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) ، انظر فكرة إعجاز القرآن ص ٨٠ ، ولعله يقصد محمد بن يحيى بن سراقه ، أبو الحسن العامري ، البصري قال السبكي في ترجمته « وأراه توفي في حدود سنة عشر وأربعمئة » طبقات الشافعية : ٢١١/٤ ولم يذكر من كتبه ما يتعلق بإعجاز القرآن .

(٣) ذكره كحالة في معجم المؤلفين : ١٧٦/١١ والبغداد في إيضاح المكنون ٩٩/٣ ، بهذا العنوان وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون : ١٢٠/١ قال : « من حيث الأعداد ، ذكر فيه من واحد إلى ألوف وقد تعجب من هذه العبارة كل من مصطفى صادق الرافعي (إعجاز القرآن ص ١٧٤) ونعيم الحمصي (فكرة إعجاز القرآن : ص ٨٠) وأقول لعل هذا الكتاب (الأعداد) لابن سراقه البصري (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م) وليس لابن سراقه صاحب الترجمة (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م) إذ ذكر له السبكي في طبقات الشافعية ٢١٢/٤ كتاب (الأعداد) وقال : « وقف عليه ابن الصلاح وكتب منه فوائد وغرائب » ونقل بعض ما فيه وهو يتعلق بالأحكام الفقهية .

١٤- الخزرجي ، إبراهيم بن أحمد بن محمد الأنصاري الجزري أبو إسحاق (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)^(١) ، في كتاب (إعجاز البرهان في إعجاز القرآن)^(٢) .

١٥- وللمؤيد بالله ، عماد الدين يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م)^(٣) ، كتاب بعنوان (الطراز في علوم حقائق الإعجاز)^(٤) .

١٦- وللمهايمي ، علي بن أحمد بن علي الهندي (ت ٨٣٥ هـ / ١٤٣١ م)^(٥) ، كتاب بعنوان (تبصير الرحمن ، وتيسير المئان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن)^(٦) .

١٧- ثم جاء السيوطي وألف كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) الذي هو موضوع البحث . هذه هي أهم المؤلفات السابقة للسيوطي في إعجاز

(١) الجزري بسكون الزاي ، كذا ضبطه السيوطي في بغية الوعاة : ٤٠٦/١ وانظر ترجمته في الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : ٢٧٨/١ - ٢٧٩ .

(٢) ذكره السيوطي في البغية : ٤٠٦/١ ، ووقع اسمه عند ابن فرحون في الديباج المذهب : ٢٧٩/١ بـ (إنجاز البرهان) ولعله تحريف ، وانظر معجم المؤلفين : ٨/١ وتعليق المرعشي في البرهان : ٢٢٢/٢ .

(٣) انظر ترجمته في البدر الطالع : ٣٣١-٣٣٣ ، الأعلام : ٨/١٤٣ - ١٤٤ ، معجم المؤلفين : ١٩٥/١٣ .

(٤) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون : ٨٢/٤ ، وقد طبع الكتاب بتحقيق سيد علي المرصفي بالقاهرة سنة (١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م) وصوّرت دار الكتب العلمية في بيروت سنة (١٤٠٤ هـ / ١٩٨١ م) ، وانظر معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٦١/١ والمرعشي : في تعليقه في البرهان : ٢٢٢/٢ .

(٥) انظر ترجمته في الأعلام : ٢٥٧/٤ ، ومعجم المؤلفين : ٩/٧ .

(٦) ذكره البغدادي في هدية العارفين : ٧٣/٥ وأشار إلى أنه مطبوع في مجلدين والكتاب طبع بدلهي سنة (١٢٨٦ هـ / ١٨٦٧ م) وبمطبعة بولاق في القاهرة سنة (١٢٩٥ هـ / ١٨٧٦ م) ، وصور بعالم الكتب في بيروت عن الطبعة السابقة سنة (١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) . انظر المرعشي في تعليقه في البرهان : ٢٢٣/٢ .

القرآن ، ولكن السيوطي وقبلة الزركشي لم يشيرا إلا إلى أهمها^(١) ، وهي كتب الإعجاز للرماني والخطابي والباقلاني والرازي ، وابن سراقه ، وأضاف الزركشي (البرهان) لعُزيزي^(٢) .

وإنما أراد السيوطي من الإعجاز ذكر وجوهه ولذلك قال في الإلتقان بعد ذكره لمن أفرد بالتصنيف : « وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين » .

وفي معترك الأقران عدّ من وجوه إعجاز القرآن الكريم خمسة وثلاثين وجهاً استغرقت الجزء الأول من الكتاب وهي - حسب ترتيب السيوطي - كالتالي :

- ١- الوجه الأول من وجوه إعجازه : العلوم المستنبطة منه .
- ٢- الوجه الثاني : كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان .
- ٣- حسن تأليفه والتثام كلمه وفصاحتها .
- ٤- مناسبة آيه وسوره وارتباط بعضها ببعض .
- ٥- افتتاح السور وخواتيمها .
- ٦- مشبهات آياته .
- ٧- ورود مشكله .
- ٨- وقوع ناسخه ومنسوخه .
- ٩- انقسامه إلى محكم ومتشابه .
- ١٠- اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها في تخفيف وتشديد وغيرهما .

(١) وقد نقل عن السيوطي القنوجي في أبجد العلوم : ١٨٤/٢ .

(٢) هو عزيزي بن عبد الملك الشافعي أبو المعالي ، المعروف بشيذلة ، الفقيه الشافعي (ت ٤٩٤ هـ / ١١٠٠ م) ، انظر ترجمته في شذرات الذهب : ٤٠١/٣ ، والأعلام : ٢٣٢/٤ ، وذكر حاجي خليفة كتابه بعنوان « البرهان في مشكلات القرآن » ، انظر كشف الظنون : ٢٤١/١ ، وكتابه مطبوع بتحقيق ناصر بن سليمان العمر في جامعة الإمام محمد بن سعود ، (رسالة ماجستير) انظر المرعشلي في تعليقه في البرهان : ٢٢٤/٢ .

- ١١- تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع .
- ١٢- إفادة حصره واختصاصه .
- ١٣- احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم .
- ١٤- عموم بعض آياته وخصوص بعضها .
- ١٥- ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة .
- ١٦- الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه .
- ١٧- وجوه مخاطباته .
- ١٨- ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات .
- ١٩- إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة .
- ٢٠- روعته وهيبته .
- ٢١- أن سامعه لا يمجّه وقارئه لا يملّه ، فتلذّ له الأسماع وتشغف له القلوب .
- ٢٢- تيسيره تعالى حفظه وتقريبه على متحفّظه .
- ٢٣- وقوع الحقائق والمجاز فيه .
- ٢٤- تشبيهه واستعارته .
- ٢٥- وقوع الكناية والتعريض .
- ٢٦- إيجازه في آية وإطنابه في أخرى .
- ٢٧- وقوع البدائع البليغة فيه .
- ٢٨- احتواؤه على الخبر والإنشاء .
- ٢٩- إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها .
- ٣٠- اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة .
- ٣١- ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة .
- ٣٢- ما فيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف .
- ٣٣- ورود آيات مبهمة يحير العقل فيها .

٣٤- احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب . .

٣٥- وأخيراً الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه : ألفاظه المشتركة .

وهذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن هو الغرض من هذا الكتاب ولهذا فقد احتل ثلثي الكتاب ، وهو مضمون الجزء الثاني والثالث .

منهج السيوطي في القسم الأول من كتابه :

ذكرت فيما سبق أن السيوطي جعل كتابه في وجوه إعجاز القرآن ، وقد عدّ منها خمسة وثلاثين وجهاً - المذكورة آنفاً - وبعد النظر والاطلاع على هذه الأوجه يلاحظ القارئ أن هذه الأوجه تكاد تكون منقولة من كتابه (الإتيقان) حرفياً ، وقد أشرت إلى هذه الملاحظة في أثناء تعريفي ببعض كتبه كـ (تناسق الدرر) و (مفحمت الأقربان) و (الإكليل في استنباط التنزيل) الذي جعله الوجه الأول من وجوه إعجازه وهو العلوم المستنبطة منه .

هذا ومن الملاحظ أيضاً أن هناك عدداً لا بأس به لا يدخل في إعجاز القرآن كالوجه السادس : مشتبهات آياته ، والسابع : ورود مشكله ، والثامن : وقوع ناسخه ومنسوخه إلخ ، وقد انتبه السيوطي لذلك وأجاب عنها فقال : « وإن كانت بعض الأوجه لا تعد من إعجازه ، فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه » .

فواضح من كلام السيوطي أنه قصد في كتابه هذا الجمع والشمول والانتساع في ذكر أوجه إعجاز القرآن الكريم .

وإذا عرفت أن هذه الأوجه مذكورة بعينها في (الإتيقان) وأن مرجعه في (الإتيقان) هو (البرهان) للزركشي^(١) فسأتكلم عن منهج السيوطي في هذا

(١) انظر على سبيل المثال مقدمة السيوطي لكتابه معترك الأقربان (طبعة القاهرة) ١/١ - ١٣ ، وقارن النوع الرابع والستين (في إعجاز القرآن) من كتابه الإتيقان ١٠٠١/٢ - ١٠٢٤ ، والنوع الثامن والثلاثين (معرفة إعجازه) من كتاب البرهان =

الكتاب بالتفصيل إن شاء الله تعالى في أثناء تعريفه بكتاب الإتيقان الذي هو الباب الرابع من هذا الكتاب، وكل ما يختلف عنه هو أنه جعل عنوان الفن في معترك الأقران بـ (الوجه) بينما سماه في الإتيقان بـ (النوع).

وهو عندما يتكلم عن وجوه إعجاز القرآن يذكر من ألف فيه، وأسماء الكتب التي بحثت موضوعه، وإن كان السيوطي قد ألف في ذلك فيذكره ثم يتناول التعريف بذلك الوجه حاشداً في ذلك كل ما وصل إليه من أقوال العلماء وآرائهم. منبهاً على أمهات مراجعه، ولذلك فقد كثرت مصادره وتنوعت موارده يلمس ذلك المطلع على الكتاب أول وهلة، فكأن السيوطي لم يترك كتاباً يتعلق في إعجاز القرآن إلا ونهل منه وأخذ عنه، وسأذكر مصادره في هذا الكتاب في أثناء تعريفه بكتاب الإتيقان ومصادره إن شاء الله تعالى، للأسباب التي ذكرتها سابقاً، وأن الكتاب في قسمه الأول يعدّ نسخة ثانية لكتاب الإتيقان.

وقد بدأ السيوطي كتابه - كعادته - بمقدمة، راعى فيها براعة الاستهلال حيث قال: «الحمد لله الذي جعل معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم»^(١) ثم تحدث عمّن أفرد في الإعجاز كتاباً ولمّح منذ البداية إلى أنه سيتحدث عن وجوه إعجاز القرآن بقوله: «وأنتهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين»^(٢). ويرى السيوطي أنه لا نهاية لوجوه إعجازه^(٣).

ثم يذكر أقوال العلماء في وجوه إعجاز القرآن الكريم، وما يتعلق بذلك. والسيوطي في مقدمته هذه وفي غالب كتابه ولا سيما القسم الثاني يستعمل

= للزركشي (طبعة بيروت) ٢١٨/٢ - ٢٥١.

(١) معترك الأقران: ١/١، وهي مذكورة في مقدمته على النوع الرابع والستين في إعجاز القرآن من الإتيقان: ١٠٠١/٢.

(٢) معترك الأقران: ٣/١.

(٣) م. ن، وانظر الإتيقان: ١٠١١/٢.

أسلوب (الفنقلة) فيقول : فإن قلت . . قلت . . أو الجواب كذا وكذا فمثلاً يقول : « فإن قلت هل يعلم إعجاز القرآن ضرورة . أم لا ؟ فالجواب : ظهور ذلك على النبي ﷺ يعلم ذلك ضرورة ، وكونه معجزاً يعلم بالاستدلال »^(١) .

وفي آخر المقدمة يقول : « فإذا علمت عجز الخلق عن تحصيل وجوه إعجازه فما فائدة ذكرها ؟ » فيقول : « لكننا نذكر بعضها تطفلاً على من سبق ، فإن كنت لا ممن أجول في ميدانهم ولا أعد من فرسانهم لعمرك إن دار كريم أبناء الدنيا تتحمل من تطفّل عليه فكيف بأكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ؟ »^(٢) .

ومن الجدير بالذكر أن السيوطي في كتابه هذا يكشف عن تصوفه ، بأسلوب رقيق، ولفظ دقيق ، بتلميح أحياناً وبتصريح ، ويتواضع كبير ، فيقول عن كتابه في آخر مقدمته :

« فإن وجدت له حلاوة فلا تنسى أخاك بدعوة أن يتفضل عليه سبحانه في دار كرامته بخلق سمع وقوة حتى يدرك به كلامه القديم فإنه منعه في هذه الحياة الدنيوية لذيد المناجاة له بسبب ذنوبه ، مصداقه قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ١٤٦] »^(٣) .

وهكذا يسير في كتابه على هذا النمط كلما سنحت له المناسبة ذكر بمثل هذا الكلام الرقيق اللطيف .

(١) م . ن ، ص ٦ . وانظر على سبيل المثال ص : ٧ ، ١٠ ، ١١ ، من المقدمة و١/٤٧ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٩٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ - ٣٤٥ ، ٣٦٩ ، ٤٥٠ إلخ .

(٢) م . ن ، ص : ١١ - ١٢ .

(٣) م . ن : ١٢ .

القسم الثاني من الكتاب

ألفاظه المشتركة

وقد سماه في الإتيان : الوجوه والنظائر^(١) ، وتسمى أيضاً « الأشباه والنظائر » .

وقد ألفت كتب كثيرة في هذا العنوان « الأشباه والنظائر » وفي مواضيع مختلفة ، فهناك (الأشباه والنظائر) النحوية للسيوطي ، و (الأشباه والنظائر) وفي الشعر للخالدين^(٢) ، و (الأشباه والنظائر) الفقهية لابن نجيم ، و (الأشباه والنظائر) في الألفاظ القرآنية ، وهذا ما عناه السيوطي في الوجه الخامس والثلاثين من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، وهو ألفاظه المشتركة^(٣) .

وقبل الشروع في بيان منهج السيوطي في هذا القسم في كتابه ، لا بد لي من تعريف الوجوه والأشباه والنظائر لغة واصطلاحاً ، وذكر مَنْ أَلَفَ في هذا الموضوع .

الوجوه والأشباه والنظائر في اللغة والاصطلاح :

الوجوه : جمع وجه ، ووجه كل شيء مستقبلي ، ووجه الكلام : السبيل الذي تقصده به^(٤) .

(١) ٤٤٥/١ .

(٢) وهما ابنا هشام الموصلي ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) وأبو عثمان سعيد (ت ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م) وهما شاعران من الموصل .

(٣) معترك الأقران : ٥١٤/١ .

(٤) انظر مادة (وجه) في مجمل اللغة : ٩١٧/٤ ، والصحاح : ٢٢٥٤/٦ ، والقاموس المحيط (ط المكتبة التجارية القاهرة : د . ت) ٢٩٥/٤ ، ولسان العرب ٥٥٥/١٣ .

والأشباه : جمع شبه وشبهه وشبيهه ، وهو المثل ، وأشبه الشيء الشيء :
ماثله^(١) .

والنظائر : جمع نظير ، والنظير المثل ، قال الجوهري : ونظير الشيء
مثله^(٢) ، وقال ابن منظور : والنظائر : جمع نظيرة ، وهي المثل والشبه في
الأشكال . والأخلاق والأفعال والأقوال^(٣) .

ويلاحظ من هذه التعاريف أنها متقاربة في المعنى ، وأن المراد بالوجوه
والنظائر ، التماثل والتشابه .

وأما في اصطلاح علوم القرآن :

فقد عرّف ابن الجوزي الوجوه والنظائر بقوله : « أن تكون الكلمة واحدة
ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد ، وحركة واحدة ، وأريد بكل
مكان معنى غير الآخر »^(٤) .

فيفهم من هذا التعريف أن المراد بالأشباه والنظائر هو اتحاد الكلمة الواحدة
في اللفظ ، واختلافها في المعنى هو الوجوه ، فالنظائر إذن : اسم للألفاظ ،
والوجوه : اسم للمعاني . وقد ذهب إلى هذا التعريف حاجي خليفة أيضاً^(٥) ،
ولكن الزركشي ضعف هذا التعريف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ
المشتركة ، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع
كثيرة ، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعاً آخر كالأمثال^(٦) .

(١) انظر مادة (شبه) في مجمل اللغة : ٥٢٠/٢ ، والصحاح : ٢٢٣٦/٦ ، والقاموس
المحيط : ٨٦/٤ ، ولسان العرب : ٥٠٣/١٣ .

(٢) انظر مادة (نظير) في مجمل اللغة : ٨٧٣/٤ ، والصحاح : ٨٣١/٢ ، والقاموس
المحيط : ١٤٤/٢ .

(٣) لسان العرب ٢١٩/٥ .

(٤) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص ٨٣ .

(٥) كشف الظنون : ٢/٢٠٠١ .

(٦) البرهان : ١٩٣/١ .

أما التعريف الذي اختاره الزركشي للوجوه فهو : « اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ (الأمة) ، والنظائر : كالألفاظ المتواطئة »^(١) وقد نقل هذا التعريف والآخر السيوطي في الإتيان^(٢) ، وطاش كبري زاده في مفتاح السعادة^(٣) ، والتهانوي في كشف اصطلاحات الفنون^(٤) .

ويلاحظ من تعريف الزركشي للوجوه والنظائر ارتباطه بالتعريف اللغوي ، من حيث اعتماد الوجوه على تعدد المعاني ، والنظائر على التشابه والاتفاق والتماثل .

ومن هنا فقد عدّد السيوطي عناوين بحثه في كل من الإتيان ومعترك الأقران ففي الإتيان سماه « الوجوه والنظائر »^(٥) وفي معترك الأقران « ألفاظه المشتركة »^(٦) .

وكلاهما يدور حول محور واحد ؛ وهو اتحاد اللفظ وتعدد المعنى^(٧) .

المؤلفات السابقة للسيوطي في علم الوجوه والأشباه والنظائر :

اهتم العلماء بهذا الفن من علوم القرآن اهتماماً كبيراً ، فألفوا فيه المؤلفات الكثيرة ، فمن أقدم من ألف فيه :

(١) البرهان : ١٩٣/١ ، والألفاظ المتواطئة هي الألفاظ المتحدة الدالة على مسميات مختلفة الحقيقة باعتبار معنى مشترك بينها كدلالة الحيوان على أنواعه ، الإنسان والفرس و . . إلخ واشتقاقها من توطأ على كذا إذا اتفقوا ، الطوفي ، الإكسیر في علم التفسیر ، تحقيق عبد القادر حسين (ط . المطبعة النموذجية مصر : ١٩٧٧م) : ص ٥١ .

(٢) ٤٤٥/١ .

(٣) ٤١٥/٢ .

(٤) ١٣٩١/٢ .

(٥) الإتيان : ٤٤٥/١ .

(٦) معترك الأقران : ٥١٤/١ .

(٧) للدكتورة هند شلبي دراسة وافية حول تعريف الوجوه والنظائر ممثلة برسوم بيانية في مقدمتها لكتاب يحيى بن سلام ، التصارييف ص ١٧ - ٢٤ ، وقد نقل ذلك عنها علي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢٥٣-٢٥٤ .

١- عكرمة بن عبد الله البربري ، مولى ابن عباس (ت ١٠٥ هـ / ٧٢٣ م)^(١) ولعله تناول هذا الجانب من تفسيره الذي ذكره ابن النديم في (فهرسه) . وقد ذكر هذا الكتاب ابن الجوزي في مقدمة كتابه^(٢) ، ونقل ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون^(٣) .

٢- علي بن أبي طلحة الهاشمي (ت ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م)^(٤) عن ابن عباس في كتاب له سماه (الوجوه والنظائر) وهذا الكتاب ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه^(٥) .

٣- ثم أُلّف بعد ذلك الكلبي ، محمد بن السائب (ت ١٤٦ هـ / ٧٦٣ م)^(٦) وكتابه في الوجوه والنظائر ذكره ابن الجوزي^(٧) . ولعله تناول ذلك في تفسيره الذي ذكره ابن النديم في فهرسه^(٨) ، وهذه الكتب الثلاثة تعد من أقدم التأليف التي عرفت في هذا الفن ولكنها لم تصل إلينا .

٤- وأما أقدم ما وصل إلينا من كتب الوجوه والنظائر كتاب مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م)^(٩) وعنوانه (الأشباه والنظائر) وقد

(١) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ٩٣/٣ - ٩٤ ترجمة رقم (٥٧١٦) .

(٢) نزهة الأعين الناظر ص : ٨٢ .

(٣) ٢٠٠١/٢ .

(٤) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ١٣٤/٣ رقم (٥٨٧٠) وتقريب التهذيب ، ص ٤٠٢ ، وهو صاحب الصحيفة التي تعد من أصح ما روي عن ابن عباس في التفسير . انظر الإقتان : ٣٥٥/١ - ٣٥٦ و ١٢٣٠/٢ ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، معجم غريب القرآن المقدمة .

(٥) نزهة الأعين : ص ٨٢ .

(٦) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ٥٥٦/٣ ، الوافي بالوفيات : ٨٣/٣ .

(٧) نزهة الأعين : ص ٨٢ .

(٨) الفهرست : ص ٧١ ، ١٨٨ . وتوجد منه نسخة مخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني ، ومكتبة تشسترتي رقم ٤٢٢٤ ، ومكتبة الأوقاف ببغداد رقم (٢١٢٢) انظر تعليق الدكتور ناهد عباس عثمان في كتاب ابن النديم ، الفهرست : ص ٧١ .

(٩) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ١٧٣/٤ - ١٧٤ رقم (٨٧٤١) .

طبع الكتاب بتحقيق عبد الله محمود شحاته في الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة . سنة ١٩٧٥م^(١) .

٥- ثم تلاه كتاب برواية مطروح بن محمد بن شاعر (ت ٢٧١ هـ / ٨٨٤ م) عن عبد الله بن هارون الحجازي^(٢) ، (عاش في عصر الثوري) ت ١٦١ هـ / ٧٧٧ م) عن أبيه هارون بن موسى (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) وعنوانه (الوجوه والنظائر) ذكره ابن الجوزي في مقدمته^(٣) ، ونقل عنه ذلك حاجي خليفة^(٤) ، والكتاب ما زال مخطوطاً ، توجد منه نسخة في المكتبة الآصفية بحيدر آباد رقم (٨٧١ تفسير) ونسخة في مكتبة تشترتي بإيرلندة رقم (٣٣٣٤) ومنه صورة بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رقم (٣٣٣٤ / ف) و (٢٧٨٩ / ف)^(٥) .

٦- ومن الذين ألفوا في الوجوه والنظائر : أبو الفضل العباس بن الفضل الأنصاري (ت ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م)^(٦) ، ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه (نزهة الأعين)^(٧) ، ونقل عنه ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون^(٨) .

٧- علي بن وافد (كان حياً في خلافة هارون الرشيد) ت ١٩٣ هـ /

(١) وكان المحقق قد نال بهذا الكتاب الجائزة الثالثة في مسابقة المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الرباط سنة ١٩٧٣ م .

(٢) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ٥١٦ / ٢ ، رقم (٤٦٦٠) .

(٣) نزهة الأعين : ص ٨٢ .

(٤) كشف الظنون : ٢ / ٢٠٠١ .

(٥) معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢٦٣ / ٤ ، وقد نسب صاحب هذا المعجم كتاب الوجوه والنظائر للابن والأب فظنهما كتابين ، والواقع أنهما كتاب واحد من رواية الأبناء عن الآباء .

(٦) انظر ترجمته في ميزان الاعتدال : ٣٨٥ / ٢ ، رقم (٤١٧٦) وتهذيب التهذيب ١٢٦ / ٥ .

(٧) ص ٨٢ .

(٨) ٢٠٠٢ / ٢ . وانظر معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢٦١ / ٤ .

٨٠٨م) له كتاب بعنوان (الوجوه في القرآن) ذكره ابن النديم في فهرسه^(١) ،
وذكره عمر السكوني في (عيون المناظرات)^(٢) باسم (النظائر في القرآن) .

٨- يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م)^(٣) في كتابه
(تفسير القرآن مما اشبهت أسماؤه وتصرفت معانيه)^(٤) .

٩- الأصمعي ، عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ / ٨٣٢ م)^(٥) ألف كتاباً
بعنوان (ماختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) وقد طبع بتحقيق مظفر سلطان في
المطبعة الهاشمية بدمشق : ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥١ م)^(٦) .

١٠- اليزيدي ، إبراهيم بن يحيى بن المبارك العدوي أبو إسحاق (ت ٢٢٥
هـ / ٨٤٠ م)^(٧) وله كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) أو (مصادر القرآن)

(١) وجاء فيه الحسن بن واقد المروزي ، له كتاب التفسير وكتاب (الوجوه في القرآن) .
الفهرست : ٤٨٠ .

(٢) السكوني ، عيون المناظرات ، تحقيق سعد غراب (منشورات الجامعة التونسية :
تونس ١٩٧٦ م) ، المناظرة رقم (٧٨) ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ومما يجب التنبيه عليه أنه
وقع خطأ مطبعي في إحالة الدكتورة هند شلبي إلى هذا الكتاب في موطنين في مقدمتها
على التصاريص ص ٢٥ ، ح ٥ ، وص ٣١ ح ٦ فورد فيهما رقم المناظرة (١٧٨)
والصواب ما أثبت ، إذا بلغ مجموع المناظرات فيه مئة وستين مناظرة ، وقد نقل عن
الدكتورة هند كل من علي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢٦٢ / ٤
ويوسف المرعشلي في تعليقه في البرهان : ١٩١ / ١ .

(٣) انظر ترجمته في طبقات علماء إفريقية وتونس ص ١١١ - ١١٤ ، والدباغ ، معالم
الإيمان (ط ٢) ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ٣٢١ / ١ .

(٤) وقد حققته الدكتورة هند شلبي ، وطبع في الشركة التونسية للتوزيع ، بتونس
١٩٧٩ م .

(٥) انظر ترجمته في الفهرست : ص ١١٢ ، تاريخ بغداد : ٤١٠ / ١٠ - ٤٢٠ ، وسير أعلام
النبلاء : ١٧٥ / ١٠ - ١٨١ .

(٦) ذكر ذلك المرعشلي في تعليقه فيلبرهان : ١٩١ / ١ .

(٧) انظر ترجمته في : إرشاد الأريب : ٩٧ / ٢ - ١٠٤ ، وإنباه الرواة : ١٨٩ / ١ - ١٩١ .
والأعلام : ٧٤ / ١ .

قيل : إنه ألفه في أكثر من أربعين سنة ، وقد طبع بتحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين بدار الغرب الإسلامي ، بيروت : ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م^(١) .

١١- ولأبي العميثل . . الأعرابي عبد الله بن خليل بن سعد (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)^(٢) ، كتاب بالعنوان نفسه السابق (ما اتفق لفظه واختلف معناه) أشار المرعشلي إلى أنه طبع بتحقيق ف . كرنكو بلندن ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م^(٣) .

١٢- ولأبي عمر الدوري ، حفص بن عمر (ت ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م)^(٤) كتاب بعنوان (ما اتفقت ألفاظه ومعانيه في القرآن) ذكر ذلك مترجموه وابن النديم في (الفهرست)^(٥) .

١٣- أبو العباس المبرّد ، محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م)^(٦) ، وله كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد)^(٧) .

١٤- الحكيم الترمذي ، أبو عبد الله محمد بن علي (ت نحو ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م)^(٨) وعنوان كتابه (تحصيل نظائر القرآن)^(٩) .

(١) وقد أشار إلى ذلك يوسف المرعشلي : ١٩١/١ ، وعلي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢١٥/٤ .

(٢) انظر ترجمته في : فهرست ابن النديم : ص ١٠٠ ، وفيات الأعيان : ٨٩/٣ - ٩١ ، والأعلام : ٨٥/٤ .

(٣) انظر تعليقه في البرهان : ١٩٢/١ . وانظر الفهرست : ص ١٠٠ .

(٤) انظر ترجمته في طبقات القراء : ٢٥٥/١ ، إرشاد الأريب : ١١٨/٤ .

(٥) انظر الفهرست : ص ٧٧ .

(٦) انظر ترجمته في الفهرست : ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٧) طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد العزيز الميمني في القاهرة : ١٣٥٠ هـ وقد أعاد تحقيقه محمد رضوان الداية ، وطبع في دار البشائر بدمشق : ١٩٩٠ م .

(٨) انظر ترجمته في : طبقات الصوفية : ٢١٧ - ٢٢٠ ، تذكرة الحفاظ : ٦٤٥/٢ ، سير أعلام النبلاء : ٤٣٩/١٣ - ٤٤٢ .

(٩) طبع بتحقيق حسني نصر زيدان ، في مطبعة السعادة بالقاهرة : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

١٥- أبو بكر النقاش ، محمد بن الحسين بن محمد بن زياد بن هارون الموصلي (ت ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م)^(١) ، له كتاب بعنوان (الوجوه والنظائر) ذكره ابن الجوزي في مقدمة كتابه (نزهة الأعين)^(٢) ، ونقل ذلك عنه حاجي خليفة في كشف الظنون^(٣) .

١٦- ابن فارس اللغوي ، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م)^(٤) ، واسم كتابه (الأفراد) ذكره الزركشي^(٥) ، ونقل عنه السيوطي في كتابه (الإتقان)^(٦) ، و (معترك الأقران)^(٧) ، وهذا الكتاب لم يصل إلينا .

١٧- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م)^(٨) ، له (الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التي ترادفت مبانيها وتنوعت معانيها)^(٩) ، وقد شكك محقق كتاب ابن الجوزي (نزهة الأعين) في نسبة هذا الكتاب للثعالبي^(١٠) .

= وأشار المرعشلي إلى أنه طبع طبعة ثانية في دار التراث بالقاهرة : ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٢ / ٢٠١ - ٢٠٥ ، غاية النهاية : ١١٩ / ٢ ، سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٧٣ - ٥٧٦ .

(٢) ص ٨٢ .

(٣) ٢ / ٢٠٠١ .

(٤) انظر ترجمته في بغية الوعاة : ١ / ٣٥٢ .

(٥) البرهان : ١ / ١٩١ .

(٦) ١ / ٤٤٥ .

(٧) ١ / ٥١٤ .

(٨) انظر ترجمته في وفيات الأعيان : ٣ / ١٧٨ - ١٨٠ ، دمية القصر وعصرة أهل العصر : ٩٦٦ - ٩٧٠ ، وسير أعلام النبلاء : ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٩) طبع بتحقيق محمد المصري في مكتبة سعد الدين ، بدمشق : ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(١٠) انظر مقدمة محمد عبد الكريم كاظم الراضي لـ (نزهة الأعين) ص ٥٠ - ٥١ ، ولكن =

١٨- الحيري ، إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الضرير النيسابوري (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م)^(١) ، له (وجوه القرآن) توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة كمبردج رقم ١٢٨٢ م)^(٢) .

١٩- ابن البناء ، أبو علي الحسن بن أحمد البغدادي الحنبلي (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٩ م)^(٣) ، ذكره ابن الجوزي ونقل عنه حاجي خليفة^(٤) .

٢٠- الدامغاني ، أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)^(٥) .

= محقق كتاب الثعالبي لم يشر إلى ذلك في مقدمته وأثبت اسم المؤلف وعنوان الكتاب كما هو وارد في الصفحة الأولى من المخطوط ، انظر الثعالبي ، الأشباه والنظائر ، تحقيق محمد المصري (ط . سعد الدين ، دمشق : ١٩٨٤ م) ص ٣٧ .

والذي أميل إليه هو عدم صحة نسبة الكتاب للثعالبي ، لأنني بالمقارنة بينهما وجدت أن كلاً من الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) وابن الجوزي (٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) يقولان : « قال شيخنا علي بن عبيد الله . . » وينقلان نصاً متشابهاً ، انظر نزهة الأعين : ٥٩٩ ووازن بالأشباه والنظائر : ص ٢٥٨ ، ومعلوم أن علي بن عبيد الله الزاغوني (٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م) هو شيخ ابن الجوزي - كما سيأتي - وله كتاب في (الوجوه والنظائر) ، وقد ظن محقق كتاب الثعالبي أن علياً هذا هو علي بن عبيد الدقيقي (ت ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) وليس صحيحاً . انظر الأشباه والنظائر ، ص ٢٠٠ و ٢٥٨ ووازن بـ (نزهة الأعين) ص ٥٩٩ .

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٣١٣ - ٣١٤ ، إرشاد الأريب : ١٢٨ / ٦ - ١٢٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥٣٩ / ١٧ - ٥٤٠ .

(٢) أشار المرعشي إلى أنه طبع بتحقيق فضل الرحمن عبد العليم الأفغاني رسالة جامعية مسجلة في جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، انظر تعليقه في البرهان : ١ / ١٩٢ . هذا وقد طبع الكتاب بتحقيق فاطمة يوسف الخيمي ، ونشر في دار السقا بدمشق : ١٩٩٦ م .

(٣) انظر ترجمته في إرشاد الأريب : ٢٦٥ / ٧ - ٢٧٠ ، إنباه الرواة : ٢٧٦ / ١ - ٢٧٧ ، سير أعلام النبلاء : ٣٨٠ / ١٨ - ٣٨٢ ، وشذرات الذهب : ٣٣٨ / ٣ - ٣٣٩ .

(٤) نزهة الأعين : ٨٣ ، وانظر كشف الظنون : ٢ / ٢٠٠١ .

(٥) انظر ترجمته في هدية العارفين : ٣٠٠ / ١ ، والأعلام : ٢ / ٢٥٤ ، ومعجم المؤلفين : ٤ / ٤٤ .

وكتابه (الوجوه والنظائر في القرآن الكريم) حققه عبد العزيز سيد الأهل ، وطبع في بيروت عام ١٩٧٠م وقد تصرف المحقق بعنوانه فسماه (قاموس القرآن) أو (إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)^(١) .

٢١- الزاغوني وهو علي بن عبيد الله بن نصر بن الزاغوني أبو الحسن (ت ٥٢٧ هـ / ١١٣٢ م)^(٢) ، شيخ ابن الجوزي الذي ذكره في مقدمة كتابه (نزهة الأعين)^(٣) ، ونقل عنه ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون^(٤) . وكتابه في (الوجوه والنظائر) لم يصل إلينا .

٢٢- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي ، أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م)^(٥) وكتابه (نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر) طبع بتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي والطبعة الثانية في مؤسسة الرسالة بيروت : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٢٣- ولابن الجوزي كتاب آخر بعنوان (الوجوه النواظر في الوجوه والنظائر) أو (الوجوه والنظائر) ذكره حاجي خليفة^(٦) ، منه نسخة في مكتبة بايزيد بإستانبول رقم (٩٤٩٩) في (١٠) ورقات ، ونسخة في معهد المخطوطات^(٧) .

(١) انظر مقدمة عبد العزيز سيد الأهل على كتاب الدامغاني ، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر (ط دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٨٥ م) ص ٩ .

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٦٠٥ / ١٩ - ٦٠٦ وشذرات الذهب : ٨٠ / ٤ - ٨١ وذكره الزركشي في البرهان : ١ / ١٩٠ .

(٣) ص ٨٣ .

(٤) ٢ / ٢٠٠١ .

(٥) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٣٦٥ / ٢١ - ٣٨٤ ، وطبقات الحفاظ : ٤٧٧ .

(٦) كشف الظنون : ٢ / ٢٠٠١ .

(٧) أشار إلى ذلك محمد المصري في تعليقه على كتاب الثعالبي ، الأشباه والنظائر ص ١٣ ، ح (٥) .

٢٤- ولابن الشجري ، ضياء الدين ابي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)^(١) ، كتاب (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ويسمى (معجم ابن الشجري) وقد طبع الكتاب بتحقيق خليل إبراهيم العطية في العراق ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، وأعيد طبعه بتحقيق عطية رزق في المعهد الألماني ببيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)^(٢) .

٢٥- ولأبي الفضل حبش بن إبراهيم تفليس (ت ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م)^(٣) كتاب بعنوان (وجوه القرآن) أشار محقق كتاب (نزهة الأعين) إلى أنه طبع بالعربية والفارسية في طهران ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ م^(٤) .

٢٦- كما أشار محقق كتاب (نزهة الأعين) إلى كتاب في الوجوه والنظائر لأبي العباس أحمد بن علي المقرئ (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م) وعنوانه (وجوه القرآن) والكتاب ما زال مخطوطاً توجد منه نسخة في المتحف البريطاني ، ضمن مجموع رقم (١٢٢٩) وقد نقل عنه ذلك المرعشلي^(٥) .

٢٧- الداري ، عبد الرحمن بن علاء الدين إسحاق التميمي (٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م)^(٦) ، واسم كتابه (الذخائر في الأشباه والنظائر) . ذكره البغدادي في هدية العارفين وهو نظم^(٧) .

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء (إرشاد الأريب) : ٢٨٢/١٩ - ٢٨٤ ، بغية الوعاة : ٣٢٤/٢ وسير أعلام النبلاء : ١٩٤/٢٠ - ١٩٦ .

(٢) ذكر ذلك المرعشلي في تعليقه في البرهان : ١٩٢/١ .

(٣) انظر ترجمته في معجم المؤلفين : ١٨٩/٣ .

(٤) انظر مقدمة محمد عبد الكريم الرازي لـ (نزهة الأعين) ص ٥٣ ، ونقل عنه ذلك المرعشلي : ١٩٢/١ .

(٥) م . ن ، السابقان .

(٦) انظر ترجمته في الضوء اللامع : ٩٥/٤ - ٩٦ ، ومعجم المؤلفين : ١٥٤/٥ .

(٧) هدية العارفين : ٥٣٣/١ وانظر أيضاً السخاوي ، الضوء اللامع : ٩٥/٤ ، وكحالة في معجم المؤلفين : ١٥٤/٥ ، وقد أشار إلى هذا الكتاب أيضاً علي شواخ إسحاق ، =

٢٨- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٥ م)^(١) في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)^(٢) ،
تكلم في الجزء الأول منه عن علوم القرآن وتفسير القرآن ، وخصص الأجزاء
الأخرى للوجوه والنظائر في القرآن الكريم .

٢٩- ابن العماد شمس الدين محمد بن محمد بن علي البليسي ، القاهري
(ت ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢ م)^(٣) في مؤلف له بعنوان (السرائر في معنى الوجوه
والأشباه والنظائر) ، توجد منه نسخة في دار الكتب الوطنية بتونس رقم
(١٨٣٢٤) ، وقد طبع الكتاب بتحقيق فؤاد عبد المنعم أحمد ، ومحمد
سليمان داود بمؤسسة شباب الجامعة في الإسكندرية : ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م^(٤) .

٣٠- ومن الكتب التي ذكرها السيوطي في الوجوه والنظائر في
(الإتيان)^(٥) كتاب لأبي الحسين محمد بن عبد الصمد المصري .

٣١- ونص السيوطي على كتاب آخر في الوجوه والنظائر في (معترك
الأقران)^(٦) لابن أبي المعافي .

= معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢٥٨/٤ والمرعشلي في تعليقه في البرهان :
١٩٢/١ .

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع : ٧٩/١٠ ، وبغية الوعاة : ٢٧٣/١ - ٢٧٥ ،
والأعلام : ١٤٦/٧ - ١٤٧ .

(٢) وقد طبع الكتاب بتحقيق محمد علي النجار في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
بالقاهرة عام ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

(٣) انظر ترجمته في الضوء اللامع : ١٦٢/٩ . ومعجم المؤلفين : ٢٥١/١١ .

(٤) انظر المرعشلي : ١٩٢/١ .

(٥) ٤٤٥/١ ، وانظر معترك الأقران : ٥١٤/١ .

(٦) ٥١٤/١ ، ولم يذكره في الإتيان .

٣٢- ثم جاء السيوطي فوجد أمامه هذا العدد الكبير من المؤلفات في هذا الفن فذكر بعضها في الإتيان ومعترك الأقران ثم قال : « وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميت به (معترك الأقران في مشترك القرآن) »^(١) .

وهو موضوع بحثي الآن .

التعريف بهذا القسم من كتابه :

جعل السيوطي تعدد المعاني للكلمة الواحدة من إعجاز القرآن ، بل من أعظم وجوه إعجازه « حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً

(١) ذهب كثير من الباحثين إلى اعتبار هذا الكتاب غير كتاب السيوطي الآخر (معترك الأقران في إعجاز القرآن) د . هند شلبي في مقدمتها على كتاب التصاريص ص ٣٧ وعلي شواخ إسحاق في معجم مصنفات القرآن الكريم : ٢٦٠/٤ ، ويوسف المرعشلي في تعليقه على كتاب البرهان : ١٩٢/١ .

وأقول : إنهما عنوانان لمؤلف واحد وأكثر كتب الفهارس ذكرته بالعنوان السابق وقد سبقت الإشارة إلى مثل ذلك في أثناء تعداد مؤلفات السيوطي في علوم القرآن ، انظر ص من هذا الكتاب ، والسيوطي ذكره (بإعجاز القرآن ومعترك الأقران) في الوجه الخامس والثلاثين في معترك الأقران في الألفاظ المشتركة ، وذكره في الإتيان في النوع التاسع والثلاثين في الوجوه والنظائر وهو المراد نفسه بالألفاظ المشتركة بعنوان (معترك الأقران في مشترك القرآن) فالسيوطي إذاً قد ذكر هذين العنوانين لموضوع واحد مما يدل على أن الكتاب واحد ، وقد بيّنت في مقدمة التعريف بهذا الكتاب أن السيوطي سمى كتابه بإعجاز القرآن نسبة للقسم الأول في إعجاز القرآن وهو الجزء الأول من الكتاب وسمّاه أخرى بمشترك القرآن نسبة للقسم الثاني في الألفاظ المشتركة وهو القسم الأكبر منه إذ تضمن بقية الكتاب الجزء الثاني والثالث ، ثم إنني وجدت أحمد الشرقاوي إقبال ذكر هذا الكتاب في كتابه (مكتبة الجلال السيوطي) ص ٣٢٢ بعنوان (معترك الأقران في مشترك القرآن) وأراد أن يعرف به فجاء التعريف لكتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) ثم قال نشرته دار الفكر العربي بتحقيق محمد علي البجاوي وهو محقق كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) مما يدل على تعدد العناوين للكتاب والله أعلم .

وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر »^(١) .

بمثل هذا الكلام بدأ السيوطي الوجه الخامس والثلاثين من وجوه إعجاز القرآن الكريم .

ثم نقل عن مقاتل بن سليمان حديثاً مرفوعاً وهو « لَا يَكُونُ الرَّجُلُ فَقِيهاً كُلَّ الْفَقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وَجُوهاً كَثِيرَةً »^(٢) .

فموضوع هذا القسم إذاً كما فسر بعضهم كلام مقاتل « أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ، ولا يقتصر به على معنى واحد » . وقد قصد السيوطي من هذا الكتاب جمع الألفاظ المشتركة في المعاني ، المتحدة في الأحرف ، وقد لَمَّحَ إلى هذا بقوله : « وقد منَّ الله علينا في جلب بعض ألفاظ في هذا المعنى ، وكان هو السبب في هذا المبنى »^(٣) .

ويعترف السيوطي منذ البداية بأنه جمع مادة هذا الكتاب من كتب السابقين مع إضافات لا بد منها فيقول متواضعاً : « مع أني - علم الله - لست من فرسان هذا الميدان ، ولا ممن يجول في هذا الشأن ، لكنني تطفلت على المتقدمين رجاء أن يضمني جميل الاحتمال معهم . . وقد استخرجته له منهم سهل المرام فحَفَّ عليه حملة وثمرته ، وقَرَّبْتُ عليه الفهم باختصار الكلام ، وإيم الله لو أراد

(١) معترك الأقران : ٥١٤/١ ، والإتقان : ٤٤٥/١ وكان السيوطي قد نقل هذا عن الزركشي انظر البرهان : ١٩٣/١ .

(٢) الحديث أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول موقوفاً من قول أبي الدرداء في فصل حقيقة الفقه وفضيلته ، الأصل التاسع عشر ص ٢٧ . وأخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً ، وبلغف « لا يفقه الرجل كل الفقه » . ذكر ذلك الزركشي في البرهان : ١٩٣/١ . والسيوطي في الإتقان : ٤٤٥/١ . ومعترك الأقران : ٥١٥/١ ولم أجد هذا الحديث في صدر كتاب مقاتل بن سليمان (الأشباه والنظائر) كما ذكر الزركشي والسيوطي ، فلعل النسخة التي بين أيدينا والمحققة من قبل عبد الله محمود شحاته ناقصة ، والله أعلم .

(٣) معترك الأقران : ٥١٥/١ .

الاستغناء به عن النظر في غيره لكفاه ، مع أنني زدت مع اللفظ المشترك مفردات لا بد له منها ليتم له معناه «^(١) .

فهو إذاً كتاب في الوجوه والنظائر وتفسير للقرآن الكريم أيضاً إتماماً للفائدة ثم يختم مقدمته بروح لطيفة رقيقة ذي نزعة صوفية صافية فيقول : « اللهم إنك تعلم أنه ليس لي من ينقذني من والد علم ولا ولد علم في ذلك الموقف العظيم غير الاشتغال بخدمة كتابك ، واستخراج زبده ودرره . واقتطاف ثمره وأزهاره . فاجعله لنا شافعاً مشفعاً وخصوصاً هذا الكتاب ، فإنني أودعت فيه فنون العلوم على تنوعها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها . وختمته بأقوال كلية ، فخلّصت سبائكها ، وفوائد مهمة سبكت تبرها ، وأقوال محمدية على بعض آياتك رجاء بركتها ، لأن بركة الكتاب ختمه »^(٢) .

ولم يكتف السيوطي بذكر الألفاظ المشتركة في كتابه بل أضاف إليها معاني الحروف والأدوات وقد صرح بذلك فقال : « وأعقبت كل حرف بحروف تشاكلها منها من الأسماء والظروف ، لأن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة ، لاختلاف مواقعها ، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا أَوْ لِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبا : ٢٤] فاستعملت (على) في جانب الحق و(في) في جانب الضلال ، لأن صاحب الحق كأنه مستعل يصرف نظره كيف شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه »^(٣) .

ثم قال : « فقد علمت من هذا أنه لا بد من ذكر معاني هذه الأدوات وتوجيهها »^(٤) وقد كرر السيوطي هذه الحروف والأدوات في كتابه (الإتيان)

(١) معترك الأقران : ٥١٦/١ .

(٢) م . ن . ٥١٨/١ .

(٣) معترك الأقران : ٥١٦/١ ، وانظر الإتيان : ٤٦١/١ وهو منقول من البرهان : ١٥٤/٤ .

(٤) م . ن . ٥١٧/١ .

في النوع الأربعين معرفة معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر^(١) .

ومع أن السيوطي يعترف بنقله عن الآخرين إذ يذكر من أفرد هذا الفن بالتصنيف كما يذكر هنا فيقول « وقد أفردا بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين كالهروي في (الأزھية) وابن أم القاسم في (الجنى الداني) وابن هشام في (المغني) » ثم يمدح كتابه بقوله : « وأنفعها هذا الكتاب البديع المثال ، المنيع المقال .. »^(٢) ، ثم يقول : « على أنني ليس لي فيه مزية ، وإنما الفضل لمتقدمي علماء الأمة المحمدية »^(٣) وقد أفاد السيوطي من الزركشي في كتابه (البرهان) إفادة كبيرة^(٤) .

منهج السيوطي في كتابه :

يتمثل منهج السيوطي في هذا القسم من كتابه بذكر الألفاظ القرآنية مرتبة حسب الحروف ثم بيان معناها وتفسيرها وإزالة الغموض عنها ، فهو لم يقتصر على ذكر الوجوه والنظائر لهذه الألفاظ فحسب ، بل بذل جهده في تفسيرها تفسيراً يزيل غموضها ويوضح مشكلاتها معتمداً على من سبقه من المفسرين واللغويين ، وقد لَمَحَ إلى منهجه هذا في صدر هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن في كتابه (معترك الأقران) فقال : « وأنا أرغب ممن وقع بيده هذا الكتاب أن يدعو للساعي له فيه ، لأنه يجد فيه ما لا يجده في كثير من المطولين الصعاب ، وكيف لا يذكره عند ربه ، وقد استخرجته له منهم سهل المرام ، فحفف عليه حمله وثمرته ، وقربت عليه الفهم باختصار الكلام ، وإيم الله لو أراد

(١) الإتيان : ٤٦١/١ .

(٢) معترك الأقران : ٥١٧/١ .

(٣) م . ن : ٥١٧/١ .

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن : ١٥٤/٤ النوع السابع والأربعون في الكلام على المفردات في الأدوات والبحث عن معاني الحروف ، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها لتجد التطابق بينهما واضحاً مع شيء من التقديم والتأخير .

الاستغناء به عن النظر في غيره لكفاه ، مع أنني زدت مع اللفظ المشترك تفسير مفردات لا بد له منها ، ليتم له معناه ^(١) .

والسيوطي لم يراع في ترتيبه هذه الألفاظ أصول الكلمات ، بل إنه يضع الكلمة كما وردت في القرآن الكريم ، من غير أن ينظر إلى هذه الأصول ، فهو مثلاً في باب الهمزة يذكر ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ ^(٢) [التوبة : ٥] ، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَصَّاصِرُ﴾ ^(٣) [البقرة : ٢٠٤] ﴿الْخَيْرِ﴾ ^(٤) [ص : ٣٢] إلخ .

وفي باب الواو يذكر ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ^(٥) [آل عمران : ١٣] ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ^(٦) [الأعراف : ١٥٦] ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ ^(٧) [الحج : ٢٧] ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ^(٨) [الأنعام : ٢٢٦] إلخ وكذلك لم يراع ترتيب الحروف هجائياً أو أبجدياً أو حسب مخارجها كما فعل الخليل في معجم (العين) ^(٩) ، وإنما رتبها حسب ترتيب المغاربة ^(١٠) للمعاجم وهي :

أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق - س - ش - ه - و - ي .

(١) معترك الأقران : ٥١٦/١ .

(٢) م . ن : ٥٣/١ .

(٣) م . ن : السابق .

(٤) م . ن : ٥٤١/١ .

(٥) م . ن : ٢٥٧/٣ (طبعة بيروت) .

(٦) م . ن : ٢٨٢/٣ (ط . ن) .

(٧) م . ن : ٣٢٩/٣ (ط . ن) .

(٨) م . ن : ٢٧٠/٣ (ط . ن) .

(٩) انظر منهج الخليل في معجم العين وترتيب الحروف في مقدمة أحمد عبد الغفور عطار للصباح ص ٥٥ .

(١٠) انظر ترتيب حروف التهجي عند كل من أهل الشرق وأهل الغرب في القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا : ١٨/٣ .

أما ترتيبه للألفاظ ضمن الحروف ، فقد كان يورد أسماء الأنبياء المبتدأة بهذا الحرف مراعيًا ترتيبهم الزمني أولاً ، ثم يأتي ببقية الألفاظ المشتركة ، ولم يتبع في ترتيبها منهجاً معيناً ، ثم يذكر في نهاية كل حرف ما يتعلق به من حروف وأدوات ، ففي حرف الهمزة مثلاً : ذكر آدم فأدريس ، ثم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وأيوب وإلياس واليسع وإسرائيل وأحمد عليهم الصلاة والسلام .

ثم أورد الألفاظ المشتركة فذكر (أباريق) ثم (أبت) ثم (ابلعي) ثم (أخلد) ثم (الأرائك) ف (آزر) فلو راعى الترتيب المعجمي مثلاً لقدم (آزر) على (أباريق) . وهكذا في بقية الألفاظ التي أوردتها ، حتى إذا ما انتهى من تلك الألفاظ تكلم عن الحروف والأدوات ، فذكر حرف الهمزة ثم إذا . ثم بقية الأدوات التي تبتدأ بهذا الحرف .

وقل مثل ذلك في بقية الحروف .

هذا وقد ختم السيوطي كتابه بأحاديث نبوية تفسر آيات قرآنية بعد حذف إسنادها - رجاء بركتها - كما نصّ على ذلك في مقدمته على هذا القسم من الكتاب^(١) .

فمن ذلك قوله ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة : ٧] اليهود ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٧] النصارى^(٢) .

هذا وقد جاء في عنوان هذا الفصل أن هذه الأحاديث منتقاة من صحيح البخاري ولكن جاء في نهاية الفصل قوله : « فهذا ما حضرني من التفسير

(١) انظر مقدمته على الألفاظ المشتركة : ٥١٨/٢ . والفصل المخصص لهذه الأحاديث : ٥٠١/٣ .

(٢) معترك الأقران : ٥٠١/٣ ، وهذا الحديث أخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير باب ومن سورة فاتحة الكتاب رقم (٢٩٥٣) ٢٠١/٥ وقال عنه « حديث حسن » .

المرفوعة المصرّح برفعها صحيحها وحسنها ولم أعول على الموضوعات والأباطيل»^(١) وهذه العبارة تجعل الباحث في شك مما جاء في عنوان الفصل من أنه انتقاه من صحيح البخاري فقط . ممّا يشير إلى أنّ جملة « من صحيح البخاري » ربما تكون مقحمة وليست من كلام السيوطي والله أعلم .

ومما يؤكد ما ذهب إليه أن هناك كثيراً من الأمثلة التي ذكرها السيوطي لم أجد لها ذكراً عند البخاري مثل :

﴿ أَرْوَجُ مُطَهَّرَةً ﴾ [البقرة : ٢٥] ، ﴿ فَأَذْكُرُوا أَنِ ادَّخِرُوا ﴾ [البقرة : ١٥٢] ﴿ أَلَحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ [البقرة : ١٩٧] ﴿ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ ﴾ [آل عمران : ١٤] ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] وهذه الآية قال عنها السيوطي « أَنَّ يُطَاعَ فَلَا يُعَصَى ، وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى »^(٢) إلخ .

وأخيراً واستكمالاً للفائدة فقد خصّص السيوطي في آخر كتابه فصلاً في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها^(٣) ، وهي منقولة بنصوصها من كتابه (الإتقان)^(٤) وهي تتعلق بالضمائر وما شاكلها ، ومحلّها كتب اللغة .

(١) معترك الأقران : ٥٢٠/٣ .

(٢) معترك الأقران : ٥٠٣/٣ ، وقد أخرجه السيوطي بهذا اللفظ عن الحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ وكذلك أخرجه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والنحاس والطبراني بزيادة « ويشكر فلا يكفر » انظر الدر المنثور : ٢٨٢/٢ ولم يذكر « البخاري » لأنه لم يروه في صحيحه فليس من المعقول أن يقول السيوطي بعد ذلك هذه الأحاديث منتقاة من صحيح البخاري . انظر معترك الأقران : ٥٠١/٣ وثمة أمر آخر وهو أن السيوطي قد أورد هذه الأحاديث المنتقاة نفسها في آخر كتابه الإتقان إلا أنه أوردتها مخرجة وقال في آخرها : « فهذا ما حضرني من التفاسير المرفوعة المصرّح برفعها صحيحها وحسنها وضعيفها ومرسلها ومعطلها ، ولم أعول على الموضوعات والأباطيل (الإتقان : ١٢٨٨/٢) » .

(٣) معترك الأقران : ٤٦٣/٣ - ٥٠٠ .

(٤) النوع الثاني والأربعون في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها ، الإتقان : =

مميزات كتابه :

هذا ويتميز كتابه بأمور منها :

١- كثرة النقل عن العلماء مع عزو كل قول إلى قائله دون تعليق أو تعقيب أو تصحيح أو تضعيف غالباً، فمثلاً قال في مادة (آدم) ما يلي : « آدم أبو البشر ، ذكر أنها أفعل مشتق من الأدمة لذا منع صرفه » .

قال الجواليقي : أسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا أربعة : آدم ، وصالح وشعيب ومحمد ﷺ . .

وقال قوم : هو اسم سرياني أصله آدم . .

وقال الثعلبي : التراب بالعبرانية آدام ، فسمى آدم به .

قال ابن أبي خيثمة : عاش تسعمئة وستين سنة .

وقال النووي في تهذيبه : اشتهر في كتب التاريخ أنه عاش ألف سنة ^(١) .

فمن هذا المثال يتبين أن السيوطي ذكر عدة أقوال في معنى (آدم) ثم لم يعلق عليها بشيء .

٢- والسيوطي الفقيه ، إذا مرّ بحكم فقهي فإنه يذكر أقوال الأئمة فيه ، فمثلاً في قوله تعالى ﴿ أُخْصِرْتُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٦] فسر السيوطي الكلمة في اللغة ثم ذكر أقوال الأئمة في حكم الإحصار فقال ﴿ أُخْصِرْتُمْ ﴾ [البقرة : ١٩٦] : منعتم والمشهور في اللغة أحصره المرض بالالف ، وحصره العدو . وقيل بالعكس ، وقيل : هما بمعنى واحد ^(٢) .

= ٥٩٧/١ - ٦٣٨ . وقد أفاد السيوطي من الزركشي انظر البرهان : ٢٣/٤ .

(١) معترك الأقران : ٥١٩/١ .

(٢) لسان العرب : (حصر) .

فقال مالك : أحصرتم هنا بالمرض على مشهور اللغة ، فأوجب عليه الهدي ولم يوجبه على من حصره العدو^(١) .

وقال الشافعي وأشهب : يجب الهدي على من حصره العدو ، وحمل الآية على ذلك . واستدلا بنحر الهدي بالحديبية^(٢) .

وقال أبو حنيفة : يجب الهدي على المحصر بعدو وبمرض^(٣) « (٤) » .

فهذا الكتاب إذا لم يقتصر فيه السيوطي على الوجوه والنظائر في القرآن الكريم فحسب ، بل هو أقرب ما يكون إلى تفسير للقرآن الكريم اتبع فيه مؤلفه طريقة جديدة في ترتيب الألفاظ القرآنية . حسب الحروف ، ولكنه يركز غالباً على الشرح اللغوي للكلمة .

٣- ولم يقتصر السيوطي في كتابه على التفسير اللغوي للألفاظ ، بل اعتمد في كثير من الأحيان على المأثور فمثلاً عند قوله تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴾ [ق : ٤٠] قال السيوطي : « (أَدْبَرَ الشُّجُود) جمع دبر ، والإدبار مصدر أدبر ، قال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما : ركعتين بعد المغرب . وقال ابن عباس : هي النوافل بعد الفرائض . وقيل الوتر « (٥) » .

٤- وأما ذكره لأسباب النزول^(٦) ، فهو ما يتعلق بالآيات وكذلك القراءات

(١) انظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير : ٩٣/٢ .

(٢) مغني المحتاج : ٥٣٢/١ .

(٣) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع : ١٧٥/٢ ، وانظر اللباب في شرح الكتاب : ٢١٨/١ .

(٤) معترك الأقران : ٥٥٥/١ ، وانظر في بيان حكم الإحصار كتاب الدكتور نورالدين عتر ، الحج والعمرة : ص ١٦٥ - ١٦٨ .

(٥) معترك الأقران : ٥٤٤/١ ، وانظر على سبيل المثال : ٥٥١/١ ، ٥٦٧ ، ٢٠٨/٢ - ٢٠٩ ، ٢١/٣ ، ٤٣ ، ٦٥ ، إلخ .

(٦) انظر على سبيل المثال أسباب النزول في ٣٦٠/٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٦ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٢٣٠/٣ - ٢٣١ إلخ .

فهو يذكرها أحياناً لتوضيح المعنى فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿ فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] قال (ائذنوا بحرب) اعلّموا ذلك واسمعوه وكونوا على إذن منه . ومن قرأ : (فَاذْنُوا)^(١) أي فأعلموا ذلك غيركم ولما نزلت قالت ثقيف : لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله^(٢) .

٥- وقد اتبع السيوطي في كتابه هذا طريقة المعاجم اللغوية في شرح الألفاظ القرآنية ، فهو لا يطيل كثيراً في الشرح وكثيراً ما يقتصر على المعنى المراد من الكلمة ، وقد اعتمد السيوطي في هذا على ما ذكره ابن جُزَيِّ الكلبي^(٣) في مقدمة تفسيره ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تنوع ثقافة السيوطي وسعة اطلاعه ، فهو لم يقتصر في النقل على علماء المشرق بل أخذ عن علماء المغرب أيضاً .

فبالمقارنة بين ما ذكره السيوطي وما ذكره ابن جزي وجدت التطابق بينهما واضحاً فقد أخذ السيوطي عن ابن جزي كثيراً من معاني الكلمات التي ذكرها ابن جزي في مقدمته فمثلاً قال ابن جزي : « حرف الهمزة : (آية) لها معنيان ، أحدهما علامة وبرهان ، والثاني آية من القرآن ، وهي كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هي رؤوس الآيات »^(٤) وقال السيوطي : « آية : له

(١) وهي قراءة حمزة وأبي بكر بن عاصم ، انظر ابن زنجلة ، حجة القراءات ، ص ١٤٨ .

(٢) معترك الأقران : ١/٥٦٠ ، وانظر على سبيل المثال : ١/٥٦١ ، ٢/١٥٢ - ١٥٣ ، ٣٩٢ ، ٥٦٨ ، ٦٠٥ ، ٦٣٠ إلخ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي كاتب ابن بطوطة (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) انظر ترجمته في ابن فرحون الديباج المذهب : ٢٩٥ ، المقري ، نفح الطيب : ١١٤/٥ ، الداودي ، طبقات المفسرين : ٨٥/٢ ، وانظر أيضاً مقدمة علي منتصر الكتاني لكتاب ابن بطوطة ، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ط ٣ . مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) ١/١٨ - ١٩ .

(٤) ابن جزي ، التسهيل لعلوم التنزيل (د ٢ . دار الكتاب العربي ، بيروت : ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ١/١٥ .

معنيان ، أحدهما عبرة وبرهان ، والثاني آية من القرآن ، وهي كلام متصل إلى الفاصلة ، والفواصل هي رؤوس الآيات «^(١)» .

وفي حرف التاء قال ابن جزي : « تقوى : مصدر مشتق من الوقاية ، فالتاء بدل من الواو ، معناه الخوف ، والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع لكل خير »^(٢) .

وقد نقل السيوطي هذا الكلام بحروفه فقال : « (تقوى) : مصدر مشتق من الوقاية ، فالتاء بدل من واو ، ومعناه الخوف ، والتزام طاعة الله وترك معاصيه ، فهو جامع كل خير »^(٣) .

وفي حرف الجيم وعلى سبيل المثال أيضاً قال ابن جزي : « (جناح) الطائر : معروف ، وجناح الإنسان إبطه ، ومنه ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ [القصص : ٣٢] ولا جُنَاح : لا إثم ، فمعناه الإباحة ، وَجَنَحَ لِلشَّيْءِ مال إليه »^(٤) .

ويقول السيوطي : « (جناح) الطائر : معروف ، وجناح الإنسان إبطاه كقوله ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ [القصص : ٣٢] ، ولا جُنَاح : لا إثم ، فمعناه إباحة ، وَجَنَحَ لِلشَّيْءِ : مال إليه »^(٥) .

وفي حرف الياء يقول ابن جزي (يسير) له معنيان ، قليل ، ومنه : ﴿ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [يوسف : ٦٥] وهين ، ومنه : ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] واليسر : ضد العسر^(٦) .

(١) معترك الأقران : ٥٢٦/١ .

(٢) التسهيل : ١٧/١ .

(٣) معترك الأقران : ٦/٢ .

(٤) التسهيل : ١٧/١ - ١٨ .

(٥) معترك الأقران : ٥٥/٢ .

(٦) التسهيل : ٢٩/١ .

وقد نقل السيوطي هذا الكلام بحروفه فقال : « (يسير) : له معنيان : قليل ، ومنه ﴿ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾ [يوسف : ٦٥] وهين ، ومنه ﴿ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] واليسر ضد العسر »^(١) والأمثلة على ذلك كثيرة^(٢) .

والسيوطي في كثير من الألفاظ لا يقف عند عبارة ابن جُزَيِّ بل يضيف عليها معاني أخرى استكمالاً للفائدة .

فمثلاً في حرف الراء عند قوله تعالى ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة : ٢] قال ابن جزَيّ : « (رَيْب) شك ومنه : ارتابوا ، ومريب ، وريب المنون : حوادث الدهر »^(٣) .

هنا نقل السيوطي عبارة ابن جزَيّ كاملة ثم قال : « فَإِنْ قُلْتَ : هلا قَدَم قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الصافات : ٤٧] .

فالجواب : أنه إنما قصد نفى الريب عنه ، ولو قَدَم (فيه) لكان إشارة إلى أن ثَمَّ كتاباً آخر فيه ريب ، كما أن (لَا فِيهَا غَوْلٌ) إشارة إلى أن خمر الدنيا فيها غول .

وهذا المعنى يبعد قصده ، فلم يقدم الخبر ، وإنما نفى الشك عنه أنه من عند الله في اعتقاد أهل الحق ، وفي نفس الأمر ، وأما اعتقاد أهل الباطل فلا عبرة به »^(٤) .

ويظهر تأثر السيوطي بابن جزَيّ واضحاً في بيان معاني الحروف والأدوات

(١) معترك الأقران : ٣/ ٣٧٤ (ط بيروت) .

(٢) انظر على سبيل المثال كلمة (حمد) عند كل من ابن جزَيّ : ١/ ١٨ ، والسيوطي : ٢/ ٦٣ ، (خلق) ابن جزَيّ : ١/ ١٩ ، السيوطي : ٢/ ٨٢ ، (دين) ابن جزَيّ : ١/ ١٩ ، السيوطي : ٢/ ١٠٢ (يمين) ابن جزَيّ : ١/ ٢٩ ، السيوطي : ٣/ ٣٧٤ إلخ .

(٣) التسهيل : ١/ ٢٠ .

(٤) معترك الأقران : ٢/ ١١٢ - ١١٣ .

في نهاية كل حرف من حروف المعجم . فابن جزّي يذكر تحت كل حرف الألفاظ أولاً ثم يتبعها بالأدوات والحروف فمثلاً في حرف الهمزة ذكر من الحروف : « آيان ، وأنى ، وأين ، وإنّ المكسورة ، وأنّ المفتوحة وإنّما وأو وأم وإما وإلا وأي وإلى »^(١) وقد تكلم عن كل ذلك باختصار شديد .

٦- أما السيوطي ففي آخر حرف الهمزة وبعد كلامه عن الألفاظ تكلم عن هذه الأسماء والحروف والأدوات فبدأ بالهمزة وتكلم عنها بالتفصيل فقال : « (الهمزة : تأتي على وجهين : أحدهما الاستفهام ، وحقيقته طلب الإفهام ، وهي أصل أدواتها ، ومن ثم اختصت بأمور وذكرها بالتفصيل وذكر فوائد منها أنها إذا دخلت على (رأيت) امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب ، وصارت بمعنى أخبرني ، وقد تبدل هاء وعلى ذلك قراءة قُنبِل (هأنتم) [آل عمران : ٦٦] . ثم ذكر الوجه الثاني من وجهي الهمزة أن تكون حرفاً ينادى به القريب ، وجعل منه الفراء قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا لَيْلٌ ﴾ [الزمر : ٩] على قراءة تخفيف الميم ، أي يا صاحب هذه الصفات »^(٢) قال ابن هشام : « ويبعده أنه ليس في التنزيل نداء بغير ياء ، ويقرّبه سلامته من دعوى المجاز ، إذ لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته ، ومن دعوى كثرة الحذف إذ التقدير عند من يجعلها للاستفهام : أَمَّنْ هو قانت خير أم هذا الكافر ، أي المخاطب بقوله تعالى ﴿ قُلْ تَمَعَّ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴾ [الزمر : ٨] فحذف شيثان : معادل الهمزة والخبر »^(٣) .

ثم تحدث عن بقية الأدوات والحروف ومعانيها فذكر إذ وتكلم عنها كلاماً طويلاً ثم إذا ، وإذن ، وأف ، وأل ، وألاً ، وآلاً ، والآ ، والآن ، وإلى ، واللهم ، وأم ، وأما ، وإما ، وإنّ ، وأنّ ، وإنّ ، وأنّ ، وأنى ، وأو ،

(١) التسهيل : ١٦/١ .

(٢) معترك الأقران : ٥٧٣/١ - ٥٧٤ .

(٣) مغني اللبيب : ١٠/١ .

وأولى ، وإي ، وأي ، وإيا ، وأيان ، وأين^(١) وقد نقل عن كثير من العلماء وخاصة الزركشي في البرهان^(٢) .

وفي حرف الباء قال في آخره : « الباء حرف جر ، له معان وذكر اثني عشر معنى كالإلصاق ، والتعدية ، والاستعانة ، والسببية ، والمصاحبة ، والظرفية ، والاستعلاء ، والمجاوزة ، والتبعية ، والغاية ، والمقابلة ، والتوكيد »^(٣) وضرب الأمثلة على ذلك .

ثم ذكر فائدة في قوله تعالى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة : ٦] ف قيل الباء للإلصاق ، وقيل للتبعية ، وقيل زائدة ، وقيل للاستعانة ، وإن في الكلام حذفاً وقلباً ، فإنَّ مَسَحَ يتعدى إلى المزال عنه بنفسه وإلى المزيل بالباء ، فالأصل : امسحوا رؤوسكم بالماء^(٤) .

ثم تحدث عن بل ، وبلى ، وبئس ، وبين^(٥) ، وهكذا في كل حرف يذكر ما يتعلق به من أدوات^(٦) .

٧- والأسلوب الذي رأيت السيوطي يتبعه في شرحه للآيات الكريمة وتفسيرها وتوضيح معانيها هو أسلوب (الفنقلة) أي يقول : فإن قلت . . . قلت . . . وهكذا والأمثلة منشورة في كل كتابه .

٨- والسيوطي ذو النزعة الصوفية في أثناء شرحه لهذه الآيات كثيراً ما يلفت

(١) معترك الأقران : ٥٧٢/١ - ٦١٩ .

(٢) البرهان : ١٥٤/٤ - ٢٢٢ .

(٣) معترك الأقران : ٦٣٤/١ - ٦٣٦ .

(٤) م . ن : ٦٣٧/١ .

(٥) م . ن : ٦٣٧/١ - ٦٤٠ .

(٦) انظر على سبيل المثال ما قاله عن الأدوات والحروف ، أواخر الحروف

٧٨/٢ - ٨١ ، ١٠٣ ، ١٣٩ ، ١٨٥ ، ٢٣٩ ، ١٣٦/٣ ، ١٨١ - ١٨٢ ،

٢٢٤ - ٢٢٥ ، ٤٥١ إلخ .

النظر وينبّه القارئ بقوله (يا محمدي)^(١) على عظمة الخالق وعلى الرجوع إليه ، والتوبة من الذنب والاستغفار بأسلوب رقيق يشف عن صفاء نفسه النقية وما تنطوي عليه من صوفية حقيقية . وقد أشرت إلى مثل هذا من القسم الأول في كتابه حول إعجاز القرآن الكريم .

وأذكر في هذا القسم بعض الأمثلة :

ففي قوله تعالى : ﴿ وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] قال السيوطي : في حرف العين : (عَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) العهد له معان :

بمعنى اليقين : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ﴾ [النحل : ٩١] ألا ترى قوله : ﴿ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل : ٩١] ويقال : عليّ عهد الله ، أي اليمين بالله . وبمعنى الأمان ، قال تعالى : ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَنِهِمْ ﴾ [التوبة : ٤] .

وبمعنى الوحي : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا ﴾ [آل عمران : ١٨٣] .

وبمعنى الوعد : ﴿ قُلْ أَخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا ﴾ [البقرة : ٨٠] .

وبمعنى الميثاق : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] أي ما وعدناك به لا ينال الظالمين من ذريتك . والوعد من الله ميثاق .

وبمعنى المحافظة ، ومنه الحديث : « حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ »^(٢) .

(١) انظر على سبيل المثال هذا النداء في الصفحات التالية : ٣٨٠/٢ - ٣٨١ ، ٤٠٨ ، ٥١٧ ، ٥٣٩ ، ٦٢٨ ، ٦٤٨ ، ١٧/٣ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ١٠٩ ، ١٩٣ ، ٢٩٦ ، ٣٣٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٣ ، ٤٢٥ ، إلخ .

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة ، كتاب الإيمان ، باب : حسن العهد من الإيمان ، ١٦/١ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة وأقره الذهبي ، انظر فيض القدير : ٤٤٦/٢ - ٤٤٧ .

وقد ترجم البخاري بهذا الحديث الباب رقم (٥٦٥٨) في كتاب الأدب في صحيحه : ٢٢٣٧/٥ ، وكذا الترمذي ، في كتاب البر والصلة ، باب رقم (٢٠١٧)

ويعني الزمان ، يقال : كان ذلك على عهد النبي ﷺ ، وعلى عهد إبراهيم وموسى وعيسى .

ويعني الوصية كهذه الآية ، وكقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ ﴾ [طه : ١١٥] أي وصيناه ألا يأكل من الشجرة ، فنسي العهد الذي عهدناه ، وأكل منها فأدم دخل الجنة بعهدده ، وخرج .

وهنا ينتهز السيوطي المناسبة فيقول « وأنت يا محمدي تدخل الجنة بعهدي فلا تخرج ، والسرّ فيه أن آدم لم يكن له ركوع ولا سجود ولا جهاد ولا تضرع ، ولكنه لم يعتقد الزلة كما قال تعالى : ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه : ١١٤] وإبليس اعتقد الزلة بعد عبادته ولم يعتذر فلم تخلصه حسناته ، كالكاfer يعتقد الزلات الكثيرة ، ولا يعتذر .

وأنت تعتذر فكيف لا أقبل عذرك ، وقد كلفتك بأوامر كثيرة ، ونهيته عن نواهٍ عديدة ، وأبوك آدم لم يكن له إلا أمر واحد وهو البعد من الشجرة وقد قبلت عذره ، فإن اعتذرت إليّ ألحقتك بأبيك في السكنى معه قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١)

[الطور : ٢١] .

في حرف الفاء ذكر السيوطي قوله تعالى : ﴿ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [غانر : ٨٣] فَسَّرَ السُّيُوطِيُّ الآية فقال « الضمير يعود على الأمم المذكورة الذين جاءتهم رسلهم بالبينات » . ثم طرح سؤالاً على أسلوبه في جميع هذا الكتاب فإن قلت : أي علم عندهم حتى يفرحوا به ؟ .

فالجواب : أنهم كانوا يفرحون بما عندهم من العلم في ظنهم ومعتقدهم من أنهم لا يبعثون ولا يحاسبون ، واغترؤا بعلمهم في الدنيا والمعاش . .

ثم فسر قوله (حَاقَ) فقال : معناه نزل بهم وثبت ، وهي مستعملة في الشر

(١) معترك الأقران : ٦٢٨/٢ - ٦٢٩ .

و(ما) في قوله (ما كانوا) هو العذاب الذي كانوا يكذبون به ويستهزئون بأمره ، والضمير في بهم عائد على الكفار بلا خلاف .

فإن قلت : ما معنى ترادف هذه الفاءات في هذه الآية ؟

قلت : أما قوله : ﴿ فَمَا آغَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [غافر : ٨٢] فهو نتيجة قوله ﴿ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ ﴾ [غافر : ٨٢] ، وأما قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ تَهُم رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا ﴾ [غافر : ٨٣] ، كقولك : رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء ، وأما قوله : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا ﴾ [غافر : ٨٤] فكذلك ﴿ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ ﴾ [غافر : ٨٥] تابع لإيمانهم لما رأوا بأس الله . هنا ينتهي كلام السيوطي في الإجابة عن هذا السؤال ، ثم ينتهز المناسبة للموعظة والتذكير فيقول : « فحق لمن سمع هذه الموعظة أن يبادر إلى الطاعة ، ولا يتأنى . بلى والله وقعت منا المخالفة ، وقتلنا أنفسنا بالمعاصي بئس ما اخترنا ! كم وعظنا المشيب ولا قبلنا ، علمنا أن الدنيا ثلاثة أنفاس : نفس مضى عملنا فيه ما عملنا ، ونفس لا ندري أنملكه أم لا ، فليس لنا إلا النفس الذي نحن فيه . حرصنا على درهم لا ندري لمن يبقى ، ومزقنا ثوب المعاصي ولم نكفّه بتوبة ، فما أسرع الملتقى أليس هذا من العمى ؟ إذا شغلنا بالجنة خسرننا ، فكيف يكون حالنا وقد شغلتنا المعاصي عن الإقبال عليه . بئس ما استنفدنا زمان الصبا في المعاصي واللهو ، ولم ننته في الكبر عن لهونا ، ولو تبنا لحق لنا البكاء ، فكيف وقد انهمكنا ! إذا تاب الشيخ يقول الله عز وجل : الآن جئتنا حين ضعفت مفاصلك ، الآن وقد ذهبت قوتك ، الآن وقد نفذ عمرك ، الآن وقد قسا بالمعاصي قلبك ، الآن وقد ضاع في البطالة وقتك ، هذا لمن تاب ، فكيف حال من هو في قفص الطبع محجوب عن العتاب ، نعقد عقد التوبة بخيط العنكبوت ظاهراً ، وباطناً نتلذذ بها ، فكيف لا نحلّها ؟ لو صدقت التوبة منا لوجدنا مرارتها ، كما وجدنا حلاوتها .

إلهي التوبة لا تدوم لي ، والمعصية لا تنصرف عني ، ولا أدري بم تختم لي ، غير أنّ عفوك ورجاءك أطمعني أن أسألك ما لا أستوجه منك فهب لي

منك توبة باقية ، واصرف أزمّة الشهوات عني ، وحققني بحقيقة الإيمان ، وأعني على نفسي والهوى والشيطان ، بحرمة سيدنا ونبينا ومولانا سيد الثقلين ﷺ وعلى آله ما اختلف الملوان^(١) »^(٢) .

وهكذا فالسيوطي في هذا الكتاب لا يترك مناسبة من المناسبات تمر إلا ويتكلم فيها بقلب وجيل من الله عز وجل ، ينبه تارة وينصح أخرى ، كلما سنحت له الفرصة^(٣) ، فالذي يحمله على ذلك هو طبيعة المادة نفسها ، وليس هذا معهوداً في كتابه الإتقان . أو في كتبه الأخرى ، عدا كتب التصوف والرقاق .

مصادره :

إن الناظر في هذا القسم من الكتاب يلمس للوهلة الأولى مدى تمكن السيوطي في العلوم وسعة اطلاعه ، ووفرة المصادر التي رجع إليها ، فتراه لا يكاد يسمع بكتاب إلا وسارع في قراءته والاستفادة منه ، فلم يترك كتاباً في المغرب أو المشرق إلا وأخذ عنه ونهل منه ، وقد أشار السيوطي إلى ذلك في أثناء مقدمته على القسم الثاني من الكتاب فقال : « ومررت به على رياض التفاسير على كثرة عددها »^(٤) .

وكأن السيوطي أراد بهذا الكتاب أن يغني قارئه عن غيره من المؤلفات الطوال ، فحشد فيه من العلوم والمعارف على تنوعها ، ورجع في ذلك إلى

(١) الملوان : الليل والنهار ، لسان العرب : (ملا) .

(٢) معترك الأقران : ٩٧/٣ - ٩٨ .

(٣) لمزيد الاطلاع على مثل ما سبق انظر الصفحات التالية : ١٤٠/٢ ، ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٧٠ ، ٦٢١ - ٦٢٢ ، ٦٤٤ ، ٦٤٨ - ٦٤٩ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٤ ، ٦٥٧ ، ٨٨/٣ ، ٩٧ ، ١٠٦ ، ٣٧٩ - ٣٨٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ - ٤٠٩ ، ٤٢٥ - ٤٢٦ و ٤٣٣ إلخ .

(٤) معترك الأقران : ٥١٨/١ .

كثير من المؤلفات في التفسير واللغة وغيرها على تعددها، فجاء كتابه كما أقسم
« وايم الله لو أراد الاستغناء به عن النظر في غيره لكفاه »^(١) .

وأما أهم مصادره في هذا القسم فهي :

- ١- الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي .
- ٢- إحكام الراي في أحكام الآي ، لابن الصائغ الحنبلي .
- ٣- أحكام القرآن ، لابن العربي .
- ٤- إحياء علوم الدين ، للغزالي .
- ٥- الأذكار ، للنووي .
- ٦- الإرشاد في القراءات العشر ، لأبي بكر الواسطي .
- ٧- أسباب النزول ، للواحدي .
- ٨- أسرار التنزيل ، للبارزي .
- ٩- أسرار التنزيل ، للسيوطي .
- ١٠- البرهان في علوم القرآن ، للزركشي .
- ١١- البرهان في مشكلات القرآن ، لشيدلة .
- ١٢- البسيط والوجيز ، لابن برهان الشافعي .
- ١٣- التبيان في المعاني والبيان ، للطبيي .
- ١٤- تفسير الأصبهاني .
- ١٥- تفسير الحوفي .
- ١٦- تفسير أبي حيان .
- ١٧- تفسير الخُوَيّي .

(١) معترك الأقران : ٥١٧/١ .

- ١٨- تفسير الرُّمَّاني .
- ١٩- تفسير الطبري .
- ٢٠- تفسير عبد بن حميد .
- ٢١- تفسير عبد الرزاق الصنعاني .
- ٢٢- تفسير ابن أبي الفضل المرسي .
- ٢٣- تفسير الكواشي .
- ٢٤- تفسير الماوردي .
- ٢٥- التمهيد ، لابن عبد البر .
- ٢٦- التوبة ، لابن أبي الدنيا .
- ٢٧- التيسير ، لأبي عمرو الداني .
- ٢٨- جمال القراء ، للسخاوي .
- ٢٩- حواشي الكشف ، للرازي .
- ٣٠- الخطاريات ، لابن جني .
- ٣١- دلائل النبوة ، لأبي نُعيم .
- ٣٢- رُكُوع معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات ، لابن اللِّبَّان .
- ٣٣- الزهد ، لابن المبارك .
- ٣٤- سنن سعيد بن منصور .
- ٣٥- الشَّاطِئِيَّة ، لأبي محمد القاسم الشاطبي .
- ٣٦- شعب الإيمان ، للبيهقي .
- ٣٧- الصَّاحِبِي ، لابن فارس .
- ٣٨- الصحاح ، للجوهري .
- ٣٩- صحيح البخاري .

- ٤٠- صحيح مسلم .
- ٤١- العقد الفريد ، لابن عبد ربه .
- ٤٢- الغرائب والعجائب ، للكزّمانى .
- ٤٣- الفروق ، للقرافى .
- ٤٤- فضائل القرآن ، لابن الصّريس .
- ٤٥- فقه اللغة ، للشعالبي .
- ٤٦- فنون الأفتان فى عجائب علوم القرآن ، لابن الجوزى .
- ٤٧- قانون التأويل ، لابن العربى .
- ٤٨- القواسم ، لابن العربى .
- ٤٩- الكامل ، للمبرّد .
- ٥٠- الكشّاف ، للزمخشري .
- ٥١- المحتسب ، لابن جنّى .
- ٥٢- المختار من الطيوريات ، للسّلفى .
- ٥٣- المخصّص ، لابن سيّده .
- ٥٤- المرشد الوجيز فى علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، لأبى شامة .
- ٥٥- المستدرّك ، للحاكم .
- ٦٥- مستند ، الإمام أحمد .
- ٥٧- المصاحف ، لابن أشتة .
- ٥٨- معاني القرآن ، للفرّاء .
- ٥٩- المعرّب ، للجوالقي .
- ٦٠- المغنى ، لابن هشام .
- ٦١- مفتاح العلوم ، للسّكاكى .
- ٦٢- مفردات القرآن ، للراغب الأصفهاني .

هذه هي أهم المصادر والمراجع التي ذكرها السيوطي في القسم الثاني من كتابه ، وهناك مصادر أخرى تتعلق بالقسم الأول سأذكرها إن شاء الله تعالى عند الحديث عن مصادر السيوطي في كتابه الإِتقان^(١) ومن الجدير بالملاحظة أن السيوطي قد أغفل ذكر تفسير ابن جُزَيّ في كتابه مع أنه قد أفاد منه كثيراً كما قدمت^(٢) .

طباعات الكتاب :

أشرت فيما سبق إلى أن هذا الكتاب قد طبع بتحقيق علي محمد البجاوي في دار الفكر العربي بالقاهرة خلال سنوات متباعدة الجزء الأول سنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م والجزء الثاني ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م والثالث ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣ م عن نسختين مخطوطتين في دار الكتب المصرية وكلاهما بخط مغربي .

ثم أعادت طباعته دار الكتب العلمية بتحقيق أحمد شمس الدين الذي ادّعى أنه ضبط الكتاب وصحّحه وكتب فهارسه وقد تبع هذا المحقق - المصحح - البجاوي في كل كتابه شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو ترك تخريج آية لتركه ، ولو وقع في خطأ مطبعي لسلكه ، دون إشارة أو تنبيه على أنه اعتمد عليه أو أفاد منه ، فمثلاً في حرف الياء (يلهث) ورد خطأ مطبعي في طبعة البجاوي في الحديث : « نَحْنُ أُمَّةٌ لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ الْعَائِدِ فِي هَيْبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ »^(٣) فجاء فيه « . . العابد في هيبته كالكلب . . إلخ » ونقل عنه ذلك أحمد شمس الدين دون تصحيح لهذا الخطأ^(٤) .

(١) انظر ص ٥٦٢ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٤١٨ من هذا الكتاب .

(٣) البخاري في الهبة ، باب : هبة الرجل لامرأته والمرأة لزوجها : رقم (٢٤٤٩) .

ومسلم في الهبات ، باب : تحريم الرجوع في الصدقة والهبة . . رقم (١٦٢٢) .

(٤) انظر معترك الأقران (طبعة البجاوي) ٤٦٧/٣ ، ووازن بطبعة (أحمد شمس الدين) ٣٧٩/٣ . وانظر أيضاً متابعته في ضبط الآيات وتخريجها أو عدم تخريجها على سبيل =

وقد ذكر صاحب طبعة دار الكتب العلمية في مقدمته أنه وضع في نهاية الكتاب (الجزء الثالث) فهارس عامة^(١) ، ولا تجد لهذه الفهارس أثراً اللهم إلا فهارس الموضوعات وفهارس الألفاظ المشتركة التي أوردها السيوطي في المتن^(٢) ، وهي التي أشار إليها البجاوي في مقدمته ووضعها في آخر كتابه ، استكمالاً للفائدة وإتماماً للكتاب^(٣) .

وأخيراً فالكتاب فريد في بابه ، قيّم في محتوياته ، شامل لموضوعاته ، جَمّ الفائدة ، كثير العائدة ، ألفه السيوطي على كثرة المشاغل ، وتألب العلماء والعوام عليه ، فغلب عليهم الحسد ، وسرى بينهم سرّيان الدم من الجسد^(٤) ، ومن هنا جاء العنوان (معترك الأقران . .) .



= المثل في (طبعة البجاوي) ٥١٩/١ ، ووازن بطبعة (شمس الدين) ٣/٢ .

(١) مقدمة شمس الدين ١/ح .

(٢) معترك الأقران (ط شمس الدين) ٥٣٢/٣ .

(٣) معترك الأقران (ط البجاوي) ١/ع وانظر ٦٨٢/٣ - ٧٣٣ .

(٤) انظر خاتمة السيوطي على كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن : ٥٢٢/٣ ، ومن اللافت للنظر أن السيوطي ختم كتابه (الإتيقان) بمثل ما ختم به (معترك الأقران) انظر الإتيقان : ١٢٩٠/٢ .

٦- المهدّب فيما وقع في القرآن من المعرّب

إن البحث عن المعرّب في القرآن الكريم يُعدّ من المواضيع المهمة لما له من تأثير في الدراسات العربية .

ويُعدّ السيوطي أول من أَلَف كتاباً مستقلاً عن المعرّب في القرآن الكريم خاصة - فيما أعلم - إذ وضع هذا الكتاب (المهدّب . .) وثناؤه بكتاب (المتوكلي فيما ورد في القرآن من اللغات . .)^(١) إضافة إلى ما ذكره في كتابه (الإِتقان) النوع الثامن والثلاثين « فيما وقع فيه بغير لغة العرب »^(٢) (ومعتك الأقران في إعجاز القرآن) في الوجه الثالث عشر من وجوه إعجازه « احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس والروم والحبشة وغيرهم » وهو مكرر لما ذكر في (الإِتقان) . وما ذكره في (الإِتقان) ملخص من كتابه (المهدّب) وهذا ما يتميز به السيوطي . وأما المؤلفات في هذا الفن فلم تظهر بشكل مستقل إلا على يد السيوطي كما قدمت ، أما قديماً فقد كان العلماء يدرجون ما وقع في القرآن من الألفاظ غير العربية في كتبهم ومعاجمهم حتى جاء الجواليقي^(٣) ، (ت ٥٤٠ هـ / ١١٤٥ م) وأفرد ما وقع منه في كلام العرب عامة في كتابه (المعرّب من الكلام الأعجمي)^(٤) .

(١) سيأتي الحديث عنه مفصلاً في نهاية هذا البحث إن شاء الله تعالى .

(٢) الإِتقان : ٤٢٧/١ .

(٣) هو موهوب بن أحمد بن محمد أبو منصور الجواليقي . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٨٩/٢٠ - ٩١ ، بغية الوعاة : ٣٠٨/٢ والأعلام : ٣٣٥/٧ .

(٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق أحمد محمد شاكر في دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٦٩م ، وأعيد طبعه أيضاً بتحقيق ف . عبد الرحيم (في دار القلم ، بدمشق سنة ١٩٩٠م) .

تمهيد :

هل في القرآن معرّب ؟

تباينت وجهة نظر العلماء في وقوع المعرّب في القرآن الكريم قديماً ،
وتضاربت حوله الآراء حديثاً .

وقبل بيان موقف السيوطي من المعرّب ومنهجه في كتابه (المهدّب) لا بد
من تعريف المعرّب أولاً وبيان آراء العلماء حول هذا الموضوع .

١- تعريف المعرّب :

قال الجوهرى تعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوّه به العرب على منهاجها ،
تقول : عزّبت العرب ، وأعربت أيضاً^(١) .

والتعريب : هو نقل اللفظ من العجمية إلى العربية^(٢) .

وقد عرّف السيوطي المعرّب بقوله : « ما استعمله العرب من الألفاظ
الموضوعة لمعان في غير لغتها »^(٣) .

٢- آراء العلماء وموقفهم من المعرّب في القرآن الكريم :

ذهب العلماء في وقوع المعرّب في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقوال ما بين
مانع من ذلك ، وقائل بالوقوع ومتوسط بينهما .

أ- القائلين بالمنع وأدلتهم :

ذهب الإمام الشافعي وابن جرير الطبري ، وأبو عبيدة والقاضي أبو بكر
وابن فارس إلى عدم وقوع المعرّب في القرآن الكريم ، مستندين في ذلك إلى

(١) الصحاح : (عرب) .

(٢) الشهاب الخفاجي ، شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل ، تحقيق عبد
المنعم خفاجي (ط . الطبعة المنيرية ، القاهرة : ١٩٥٢م) ص ٢٣ .

(٣) المزهري : ٢٢٦/١ ، وانظر القنوجي ، البلغة في أصول اللغة ، تحقيق نذير مكتبي
(ط . دار البشائر الإسلامية ، بيروت : ١٩٨٨م) ص ١٧٥ .

قوله تعالى ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف : ٢] . وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا غَرِيبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِيَّ وَعَرِيفِيَّ﴾ [نصت : ٤٤] . وقد فصل الإمام الشافعي القول في المسألة ، وردّ على المخالفين فقال : « ومن جماع علم كتاب الله : العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب . . . وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له إن شاء الله ، فقال قائل منهم : إنّ في القرآن عربياً وأعجمياً ، والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب . . . » ^(١) .

ثم استدلل الإمام الشافعي على عربية ألفاظ القرآن الكريم وأنه بلسان عربي محض بقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم : ٤] . وقد سار على هذا النهج ابن جرير الطبري وأكّد ما ذهب إليه الإمام الشافعي وتعرض للردّ على المخالفين وأبطل دعواهم بأنّ في القرآن ألفاظاً من أصل غير عربي .

ثم عقد فصلاً في مقدمة تفسيره حول عربية ألفاظ القرآن قال فيه : « قدّ دللنا على صحة القول بما فيه الكفاية أن الله جل ثناؤه أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم ، وعلى فساد قول من زعم أن منه ما ليس بلسان العرب ولغاتهما » ^(٢) .

وقد شدّ أبو عبيدة النكير على من ادعى أنّ في القرآن من غير العربية فقال : « إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ومن زعم أنّ كذا بالنبطية فقد أكبر القول » ^(٣) .

ويذهب ابن فارس إلى ما قال أبو عبيدة معللاً الأمر حتى لا يطعن أحد في إعجاز القرآن الكريم فيقول : « والقول ما قاله أبو عبيدة ، وذلك أنّ القرآن لو

(١) الإمام الشافعي ، الرسالة : ص ٤٠ وما بعدها بتصرف .

(٢) الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢١ / ١ .

(٣) أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ١٧ / ١ .

كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم أن العرب عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها وفي ذلك ما فيه»^(١) .

ب- القائلين بالجواز وأدلتهم :

وذهب فريق آخر من العلماء إلى جواز وقوع المعرّب في القرآن الكريم منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، والخوئي ، وابن النقيب والشوكاني ودليلهم :

١- ماروي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنها بلغات العجم ، منها قوله : (طه) و(اليم) و(الطور) و(الربانيون) فيقال : إنها بالسريانية (والقسطاس) و(الفردوس) إنها بالرومية و(مشكاة) و(كفلين) يقال : إنها بالحبشية . . . وهذا قول أبي عبيد الذي نسبته إلى أهل العلم من الفقهاء^(٢) .

٢- ما اتفق عليه النحاة على منع صرف كثير من الأسماء الموجودة في القرآن الكريم للعلمية والعجمة كإبراهيم مثلاً ، وإذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس^(٣) ، قال الشوكاني : «ومثل هذا لا يقع فيه خلاف ، والعجب ممّن نفاه»^(٤) .

٣- ما ذكروه من حكمة وقوع المعرّب : أن القرآن الكريم قد حوى علوم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات

-
- (١) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة: ص ٥٩ .
(٢) الصاحبي : ٦٠ ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص ٩٢ . وانظر الزركشي البرهان : ٣٨٧/١ ، والمزهر : ٢٦٨/١ .
(٣) المهذب فيما وقع في القرآن من المعرّب ، ص ٦٠ ، وانظر لغة القرآن الكريم ص ٢٠٥ .
(٤) إرشاد الفحول ص ٣٢ .

والألسن ليتم إحاطته بكل شيء ، فاختير له من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب^(١) .

٤- وهذا ما صرح به ابن النقيب فقال : « من خصائص القرآن على سائر الكتب المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم ، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم ، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير »^(٢) .

جـ- الفريق الثالث المتوسط :

وهو رأي أبي عبيد القاسم بن سلام ، فبعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية قال : « والصواب عندي مذهب فيه القولين جميعاً وذلك لأن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، ولكنها وقعت للعرب فعربتها بألستها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها ، فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال إنها أعجمية فصادق »

قال : وإنما فسرنا هذا لثلاث أسباب أحدها على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله - جل ثناؤه - بغير ما أَرَادَهُ اللهُ جل وعز ، كانوا أعلم بالتأويل ، وأشد تعظيماً للقرآن »^(٣) .

اختيار السيوطي :

بعد عرض الآراء الثلاثة للعلماء في مسألة المعرب في القرآن الكريم ما هو موقف السيوطي منها ؟ ولا شك أن السيوطي بعد اطلاعه على هذه الأقوال

(١) المذهب : ٦١ - ٦٢ ، وقارن بالإتقان : ٤٢٩/١ .

(٢) م . ن .

(٣) الصاحبي : ٦٠ ، والجواليقي المعرب : ٥٣ ، وذكر ذلك أيضاً ابن الجوزي في فنون الألفان ، والزركشي في البرهان : ٣٨٧/١ ووازن بالإتقان : ٤٣٠/١ ، والمذهب : ٦٥ .

جميعها رجح قولاً على آخر والذي ذهب إليه هو القول بوجود ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم ، وقد استدل على ذلك بالأدلة السابقة الذكر^(١) . ثم قال : « وأقوى ما رأيته - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير . قال : أنبأنا ابن حميد ، أنبأنا يعقوب القمي عن جعفر عن ابن المغيرة عن سعيد بن جبير قال : قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجمياً وعربياً ؟ فأنزل الله : ﴿ لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَغَٰفِئٌ وَعَرَبِيٌّ ۚ ﴾ [فصلت : ٤٤] الآية : وأنزل الله بعد هذه الآية القرآن بكل لسان فيه ﴿ حِكْمَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾^(٢) [هود : ٨٢] فارسية » .

وقال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة ، قال : « في القرآن من كل لسان » . وقال : ابن أبي شيبة في مصنفه : حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة ، قال : « أنزل القرآن بكل لسان » . وقال : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا سلمة بن سبط عن الضحاك قال : « نزل القرآن بكل لسان » .

ثم نقل عن الثعالبي : « ليس لغة في الدنيا إلا وهي في القرآن » وأشار إلى حكمة وقوع المعرب في القرآن وذلك لتتم إحاطته بكل شيء ثم قال : « وأيضاً فالنبي ﷺ مرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَان قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم : ٤] فلا بد وأن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو » .

ثم ذكر فوائد لوقوع المعرب في القرآن نقلها عن ابن النقيب والخوئي^(٣)

-
- (١) انظر ص ٤٣٥ من هذا الكتاب .
 - (٢) وردت هذه الآية في سورة الحجر أيضاً ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر : ٧٤] وفي سورة الفيل ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الفيل : ٤]
 - (٣) المذهب فيما وقع في القرآن من المعرب : ٦٠ - ٦٤ ، وقد كثر السيوطي موقفه واختياره في المتوكلي فيما ورد في القرآن من اللغة الحبشية . إلخ ص ٣٦ والإتقان : ٤٢٨/١ - ٤٢٩ ، ومعترك الأقران : ١٩٦/١ - ١٩٧ ، والإكليل في استنباط التنزيل ص ١٩٠ عند قوله تعالى ﴿ أَغَٰفِئٌ وَعَرَبِيٌّ ﴾ وقد رد على من استدل بهذه الآية على منع وقوع المعرب في القرآن .

وقد أكد السيوطي موقفه هذا بتأليفه أكثر من كتاب في هذا الموضوع كما مر في بداية هذا البحث .

وبعد عرض آراء العلماء ومواقفهم عن المعرّب في القرآن الكريم وأدلتهم^(١) ، يمكنني حصر الخلاف في أمرين اثنين :

الأول : أن القرآن الكريم ، نزل بلسان عربي مبين لا دخيل فيه ولا غريب من لغة أخرى ، وأن ما ذكر عن بعض الألفاظ أنها أعجمية فهي على سبيل التوافق أو التوارد ، بين اللغات ، وهذا أمر معروف في اللغات ولكنه قليل شاذ .

الثاني : أن القرآن الكريم عربي المبني ، فصيح المعنى وهذا أمر متفق عليه عند الجميع ، ولكن الخلاف حول هذه الكلمات التي نقل أنها أعجمية ، فذهب بعض العلماء إلى القول بأن أصولها أعجمية ولكن باستعمال العرب لها وتغيير بعض حروفها أصبحت عربية فصيحة .

وكوني أجهل تاريخ اللغات بشكل دقيق فلا يمكنني القول إن هذه الكلمة مشتقة من تلك اللغة أو غيرها .

وبناء على ما تقدم فإنني أذهب إلى الرأي الأول القائل بعربية ألفاظ القرآن الكريم ، وأنه نقي من أي دخيل أو لفظ أعجمي ، وذلك للدلالة الآيات الصريحة والواضحة في الموضوع التي استدل بها جمهور العلماء على رأيهم فيما سبق . وإذا كانت هناك بعض الألفاظ التي قيل عنها إنها أعجمية فيحمل هذا على سبيل التوافق أو التوارد أو التعلم كما قال الإمام الشافعي ، والله أعلم .

(١) لقد أشبعت البحث في هذه المسألة ، وأفضت في مناقشة أدلة الأطراف كلها في بحثي (الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم وموقف السيوطي منها) المنشور في مجلة التراث العربي التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق (العدد : ٥١ - شوال ١٤١٣ هـ ، نيسان « أبريل » ١٩٩٣ م ، السنة ١٣) ص ١٣٧ - ١٦٢ .

منهج السيوطي في كتابه المذهب :

بعد أن أفصح السيوطي عن موقفه ، واختياره وقوع ألفاظ أعجمية في القرآن الكريم ، بدأ بتتبع هذه الألفاظ من مصادرهما ومطائنها محاولاً استيعاب أكبر قدر ممكن منها ، وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه (المذهب) وفي خاتمته فيقول في مقدمته :

« هذا الكتاب ، تتبعت فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن مستوعباً ما وقفت عليه من ذلك .. »^(١) ، وقال في خاتمته : « فهذا ما وقفت عليه من الألفاظ المعربة في القرآن بعد الفحص الشديد سنين ، وسعة النظر والمطالعة »^(٢) .

وبلغ مجموع ما أحصاه من الألفاظ المعربة في كتابه (١٢٥) لفظة رتبها حسب حروف المعجم مبتدئاً بحرف الهمزة ومنتهياً بحرف الياء ، ولكنه لم يرتبها حسب أصول الكلمات بل بحسب أوائل حروفها كما وردت وذلك بحكم عجميتها ثم يرتب الكلمات ضمن الحرف الواحد حسب حروف المعجم أيضاً فيقدم الألف ثم الباء وهكذا فهو في حرف الهمزة ذكر : ﴿ وَأَبَارِقُ ﴾ [الواقعة : ١٨] ، ﴿ وَأَبَا ﴾ [عبس : ٣١] ، ﴿ أَبْلَى ﴾ [هود : ٤٤] ، ﴿ أَخْلَدَ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] ، ﴿ الْأَرَاكِ ﴾ [الكهف : ٣١] ، ﴿ أَرْزَ ﴾ [الأنعام : ٧٤] ، ﴿ وَأَلَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، ﴿ وَاسْتَبْرَقُ ﴾ [الكهف : ٣١] ، ﴿ أَشْفَاراً ﴾ [الجمعة : ٥] ، ﴿ إِصْرِي ﴾ [آل عمران : ٨١] ، ﴿ وَأَكْوَابُ ﴾ [الزخرف : ٧١] ، ﴿ إِلَّا ﴾ [التوبة : ٨ ، ١٠] ، ﴿ أَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٠] ، ﴿ إِنَّهُ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، ﴿ حَمِيرَآءَ ﴾ [الرحمن : ٤٤] ، ﴿ مِنْ عَيْنِ عَائِشَةَ ﴾ [الغاشية : ٥] ، ﴿ لَأَوَدُّ ﴾ [التوبة : ١١٤] ، ﴿ أَوَّابُ ﴾ [ص : ١٧] ، ﴿ أَوَّيْ ﴾ [سبا : ١٠] ، (الأولى والآخرة) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، و(الآخرة) من قوله تعالى : ﴿ الْآخِرَةَ ﴾ [ص : ٧] .

(١) المذهب : ص ٥٧ .

(٢) م . ن . ص ١٦٨ .

وفي حرف السين ذكر : ﴿السَّجِّلَ﴾ [الأنبياء : ١٠٤] ، ﴿سَجَّيْلَ﴾ [هود : ٨٢] ،
 ﴿سَجَّيْنِ﴾ [المطففين : ٧] ، ﴿سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف : ٢٩] ، ﴿سَرِيَّا﴾ [مريم : ٢٤] ،
 ﴿سَفَرَقَ﴾ [عبس : ١٥] ، ﴿سَقَرَ﴾ [القمر : ٤٨] ، ﴿سَكَّرَا﴾ [النحل : ٦٧] ،
 ﴿سَلَسِيلًا﴾ [الإنسان : ١٨] ، ﴿سَنَا﴾ [النور : ٤٣] ، ﴿سُنْدُسٍ﴾ [الكهف : ٣١] ،
 ﴿سَيْدَهَا﴾ [يوسف : ٢٥] ، ﴿سَيْنِينَ﴾ [التين : ٢] ، ﴿سَيْنَاءَ﴾ [المؤمنون : ٢٠] .

وفي حرف الميم ذكر : ﴿مُتَكَفَّا﴾ [يوسف : ٣١] ، ﴿وَالْمَجْجُوسَ﴾ [الحج : ١٧] ،
 ﴿وَالْمَرْجَاتِ﴾ [الرحمن : ٢٢ ، ٥٨] ، ﴿مَرَقُومَ﴾ [المطففين : ٩] ، ﴿مُرْجَحَةً﴾ [يوسف :
 ٨٨] ، ﴿مِسْكٌ﴾ [المطففين : ٢٦] ، ﴿كَمِشْكُورٍ﴾ [النور : ٣٥] ، ﴿مَقَالِيدُ﴾ [الزمر :
 ٦٣] ، ﴿مَلَكُوتَ﴾ [الأنعام : ٧٥] ، ﴿مَنَاصِ﴾ [ص : ٣] ، ﴿مِنْسَآتُكُمُ﴾ [سبا : ١٤] ،
 ﴿مُنْفِطِرٌ﴾ [المزمل : ١٨] ، ﴿كَالْمُهَلِّ﴾ [الكهف : ٢٩] .

وهكذا يسير على هذا الترتيب في كل الكتاب .

وأما طريقة عرضه لهذه الألفاظ فيتمثل منهج السيوطي في كتابه
 (المهذَّب) بالأمور التالية :

١- ذكر الكلمة .

٢- شرح المعنى .

٣- ذكر اللغة التي جاءت منها هذه اللفظة .

٤- إسناد القول إلى صاحبه والكتاب الذي نقل عنه .

وقد أشار السيوطي إلى ذلك في مقدمته فقال بعد أن ذكر استيعابه لهذه
 الألفاظ « مقروناً بالعزو والبيان »^(١) .

أمثلة : في كلمة ﴿أَسْفَارًا﴾ [الجمعة : ٥] يقول السيوطي : قال الواسطي في
 (الإرشاد) هي الكتب بالسريانية .

وقال الكرمانى في (غرائب التفسير) هي نبطي .

(١) المهذب : ٥٧ .

وقال ابن أبي حاتم : « حدثنا أبي ، حدثنا عبد العزيز بن منيب ، حدثنا أبو معاذ عن عبيد عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ قال : كتباً ، والكتاب : بالنبطية يسمى سفرًا »^(١) .

فيلاحظ أن السيوطي طبق منهجه بشكل تام ودقيق . في نسبة كل قول إلى قائله وعند لفظه (سراق) من قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف : ٢٩] يقول : « قال الجواليقي : فارسي معرّب ، وأصله بالفارسية سرادار وهو الدهليز .

وقال غيره : الصواب أنه بالفارسية « سرايرده » أي ستر الدار وقال الراغب : « السراق فارسي معرب ، وليس في كلامهم اسم مفرد ثالث ألف وبعدها حرفان »^(٢) .

فيلاحظ أيضاً أنّ السيوطي التزم منهجه في ذكر الكلمة ونقله عن العلماء معناها وأصلها ، وعزو كل قول إلى قائله .

وقد تتعدد أصول الكلمة الواحدة فتوجد في أكثر من لغة ، والسيوطي ينقل عن العلماء كل هذا ، فمثلاً في كلمة ﴿سُنْدُسٍ﴾ [الكهف : ٣١] ينقل عن الأئمة أنها بالسريانية والهندية فيقول : « ذكر الثعالبي في فقه اللغة إنه فارسي ، وكذلك قال الجواليقي : هو رقيق الديباج بالفارسية ، وقال الليث : لم يختلف أهل اللغة والمفسرون في أنه معرّب ، وقال شاذل : هو بالهندية »^(٣) .

وكذلك الأمر في كلمة (سَرِيّ) من قوله تعالى : ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم : ٢٤] ، فقد ذكر أنها بالسريانية والنبطية واليونانية فقال : « قال ابن جرير : حدثنا الحارث بن الحسن ، حدثنا ورقاء عن أبي

(١) م . ن . ٧٢ .

(٢) م . ن . ٩٨ - ٩٩ .

(٣) م . ن . ١٠٢ .

نجيم عن مجاهد ﴿سَرِيًّا﴾ قال : نهراً بالسريانية ، وعن سعيد بن جبير : بالنبطية ، وحكى شاذلة : أنه باليونانية «^(١)» .

وهكذا يسير على هذا المنهج في كل الكتاب .

مأخذ على الكتاب :

١- وأما ما يؤخذ على السيوطي في كتابه (المذهب) فهو حشده هذا الكم الكبير من الألفاظ ونسبتها إلى غير العربية متبعاً في ذلك منهجه في النقل والاستيعاب والجمع ، فتسامح في نسبة عدد غير قليل من الألفاظ إلى غير العربية مع أنها مما يقطع أنها عربية فصيحة .

فكلمة (شَطَرَ) من قوله تعالى : ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة : ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠] - وقد نقل أنها حبشية ومعناها تلقاء^(٢) - ، هي عربية فصيحة ، وقد أكد الإمام الشافعي - الذي كلامه لغة يحتج بها -^(٣) عربيتها فقال في رسالته : « وشطره » جهته في كلام العرب إذا قلت : أقصد شطر كذا معروف أنك تقول : أقصد قصد عين كذا ، يعني : قصد نفس كذا ، وكذلك « تلقاء » جهته ، أي : استقبل تلقاء وجهته ، وأنَّ كُلَّهَا معنى واحد ، وإن كانت بألفاظ مختلفة^(٤) .

ثم يأتي بالشواهد على ذلك من كلام العرب ، فيقول : قال خفاف بن ندبة : (الوافر)

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَأَ رَسُولاً وَمَا تُغْنِي الرِّسَالَةُ شَطَرَ عَمْرُو

(١) م . ن : ٩٩ ، ووازن بالإقتان : ٤٣٦/١ .

(٢) المذهب : ١٠٤ .

(٣) الرسالة : ١٤ (المقدمة) .

(٤) م . ن : ٣٤ .

وقال ساعدة بن جؤية : (الوافر)

أَقُولُ لَأُمِّ زَنْبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْعِيسِ شَطَرَ بَيْتِي تَمِيمِ

وغير ذلك من الشواهد ، ثم يقول الإمام الشافعي : « وهذا كله - مع غيره من أشعارهم يبين أن شطر الشيء قصدُ عَيْنِ الشيء - » ^(١) .

وذهب إلى مثل ذلك أيضاً ، الفراء (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) ^(٢) وابن جرير الطبري (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ^(٣) ، وكلاهما من أئمة اللغة .

فبناءً على ما تقدم يتبين أن الكلمة عربيّة أصيلة فصيحة ، وليست من الدخيل أو المعرّب الذي دخل إلى اللغة ، فنسبة مثل هذه الكلمات إلى العجمة غير صحيح .

وكذلك الشأن بالنسبة لكلمة (ابلعي) من قوله تعالى : ﴿ يَتَأَرَّضُ أَبْلَعِي مَاءَكِ ﴾ [هود : ٤٤] فقد نقل السيوطي أنها « بالحبشية ، ومعناها : أزدرديه ونسبها ثانية إلى الهندية ، ومعناها : اشربي » ^(٤) .

وهذا اللفظ عربي أصيل ، شأنه شأن سائر الألفاظ العربية وتركيبه الصرفي تركيب عربي أصيل ، فنسبة هذه اللفظة إلى الحبشية أو الهندية تحكّم بغير دليل مقبول : فقد ذكر أئمة اللغة كالجوهري وابن منظور هذه الكلمة في معاجمهما فقال في لسان العرب : « بَلَعَ الشيءَ وَابْتَلَعَهُ وَتَبَلَّعَهُ وَسَرَطَهُ سَرَطاً : جَرَعَهُ ، وَابْتَلَعَهُ مِنَ الشَّرَابِ : كَالْجُرْعَةِ ، . . » ^(٥) وهذا ما يؤكد نسبة هذه الكلمة إلى اللغة العربية ، وأنها فصيحة مبينة .

(١) الرسالة : ٣٨ .

(٢) معاني القرآن : ٨٤ .

(٣) جامع البيان : ٢٠ / ٢ .

(٤) المذهب : ٦٧ .

(٥) لسان العرب : (بلع) وانظر الصحاح والقاموس المحيط .

وهناك كلمات أخرى ذكرها من المعرَّب وهي في الأصل عربية^(١) .

٢- ومما يؤخذ عليه أيضاً نسبته بعض الكلمات إلى العجمة من دون تحديد ماهية هذه اللغة ، ومكتفياً بنقله عن الأئمة ، فمثلاً نقل عن الجواليقي في قوله ﴿سَلَسِيلًا﴾ [الإنسان : ١٨] « قيل : إنه اسم أعجمي »^(٢) هكذا بصيغة التمرّض أو التضعيف .

وكذلك الأمر في كلمة ﴿سَقَرٌ﴾ [القمر : ٤٨] وعدة مواضع من [سورة المدثر : ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٢] فقد ذكر ما قاله الجواليقي أيضاً أنها أعجمية^(٣) ، دون أن يحدد اللغة التي وردت فيها^(٤) ، وأحياناً يصرح بأن هذا اللفظ المنسوب إلى العجمة لم يقف عليه عند غير من نسبته إليه ، فمثلاً في كلمة ﴿سَنًا﴾ [النور : ٤٣] قال : « عدّه الحافظ ابن حجر في (نظمه) ، ولم أقف عليه لغيره »^(٥) .

أو أن هذا اللفظ غير عربي كما قال في لفظه (وردة) من قوله تعالى ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن : ٣٧] قال : وفي المعرَّب للجواليقي : « الورد المشموم في الربيع ، يقال : إنه ليس بعربي »^(٦) وعذر السيوطي في ذلك هو انسياقه وراء مذهبه في الجمع والاستيعاب (والذي يرى ذلك من أكد الواجب والفرض)^(٧) مع دقة العزو ، وأمانة النقل ، فهو ينسب كل قوله لقائله « لأن بركة العلم نسبته إلى قائله » وهذا قوله المأثور والمتكرر في معظم كتبه .

(١) وعلى سبيل المثال أيضاً كلمه (يحور) [الانشقاق : ١٤] قال إنها بلغة الحبشة المذهب : ١٦٢ وهي كلمة عربية فصيحة ومعناها : الرجوع انظر الصحاح (حور) ولسان العرب : (حور) .

(٢) المذهب : ١٠١ .

(٣) م . ن : ١٠٠ .

(٤) وقد ذكر ابن منظور أن هذه الكلمة عربية أيضاً من قولهم : سقرته الشمس أي أذاخته ، ومن قال أعجمية فهي علم لنار الآخرة : لسان العرب : (سقر) .

(٥) المذهب : ١٠١ .

(٦) م . ن : ١٥٩ .

(٧) مقامة (الكاوي في تاريخ السخاوي) ٩٥١ / ٢ .

مصادره :

إن من تميَّز بسعة الاطلاع ، وكثرة النظر والمطالعة في كتب الأقدمين ،
لا شك أن مصادره تكثر ، ومناهلها تعذب ، والسيوطي هو واحد ممَّن
فطرهم الله تعالى على حُبِّ ذلك - كما ذكرت قوله آنفاً -

وفي خاتمة هذا البحث أشار إلى كثرة مصادره وطول المدَّة في تتبُّع هذه
الألفاظ فقد جمعها بعد الفحص الشديد سنين ، وسعة النظر والمطالعة^(١) .

ومن أهم المصادر التي اعتمد عليها السيوطي في كتابه هي :

١- الإرشاد في القراءات العشر ، للواسطي .

٢- البحر المحيط ، لأبي حيان .

٣- البرهان ، للزركشي .

٤- البرهان ، لشاذلي .

٥- تفسير الأصبهاني .

٦- تفسير ابن أبي حاتم .

٧- تفسير الخوئي .

٨- تفسير السمرقندي .

٩- تفسير الفريابي .

١٠- تفسير ابن مردويه .

١١- تفسير ابن التَّيْب .

١٢- تفسير وكيع .

١٣- جامع البيان ، للطبري .

(١) المذهب : ١٦٨ .

- ١٤- دلائل النبوة ، لأبي نعيم .
- ١٥- الرسالة ، للإمام الشافعي .
- ١٦- الزينة ، لأبي حاتم اللغوي .
- ١٧- الصاحبى فى فقه اللغة ، لابن فارس .
- ١٨- العجائب والغرائب ، للكزمانى .
- ١٩- فقه اللغة ، للشعالبي .
- ٢٠- فنون الأفنان ، لابن الجوزى .
- ٢١- لغات القرآن ، لأبى القاسم بن سلام .
- ٢٢- كتاب ليس ، لابن خالويه .
- ٢٣- المحتسب ، لابن جنّي .
- ٢٤- المستدرّك ، للحاكم .
- ٢٥- مصنّف ابن أبى شيبة .
- ٢٦- المفردات ، للراغب الأصفهاني .
- ٢٧- مسائل نافع بن الأزرق ، لابن عباس .
- ٢٨- المعرّب ، للجوالقي .
- ٢٩- نواذر الأصول ، للحكيم الترمذي .
- ٣٠- وقد أفاد السيوطي من كتابه (الدر المنثور) ويمكنني أن أقول إن ما ذكره في هذا الكتاب يُعدُّ جمعٌ لما هو منشور في (الدر المنثور) . ولكنه لم يشر إليه ؟ .
- ٣١- وقد نظم الحافظ ابن حجر الألفاظ المعرّبة في القرآن الكريم وقد رجع إليها السيوطي وأفاد منها ونقل عنه مرتين ، وذكر هذه المنظومة في آخر كتابه .

٣٢- كما نظم القاضي تاج الدين السبكي من هذه الألفاظ سبعة وعشرين لفظاً ذكرها السيوطي أيضاً في آخر كتابه .

ومن الجدير بالذكر أن للسيوطي منظومة في هذه الألفاظ ذكرها في آخر كتابه أيضاً^(١) .

طباعات الكتاب :

سبق أن أشرت في أثناء تعداد مؤلفات السيوطي إلى طباعات هذا الكتاب^(٢) ، وأنه طبع في مجلة المورد العراقية في العدد الأول والثاني سنة ١٩٧١م بعناية عبد الله الجبوري .

ثم حققه التهامي الراجي الهاشمي وطبع في المغرب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المغرب والإمارات . دون تاريخ .

وهذه الطبعة اعتنى فيها المحقق عناية كبيرة ، وبترتيب حديث للحواشي فاصلاً بين الفروق النسخية والتعليقات بخط ، ومع ذلك فقد تضمنت الكثير من الأخطاء المطبعية فمثلاً في كلمة (أليم) ضبطها بيده (أَلِيمٌ)^(٣) . بسكون فوق اللام وفتحة فوق الياء ، وميم مشددة مضمونة ، فقرئت (اليم) وكان حقها أن توضع في حرف الياء .

وفي قوله (سقر) علق عليها بقوله « أعتقد أن الكلمة التي يتحدث عنها السيوطي موجودة في الآية ١٩ من السورة [سبا] »^(٤) . وكأنه يقصد قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبا : ١٩] وكلمة (سفر) عربية فصيحة

(١) انظر هذه المنظومات في المذهب : ١٦٩ - ١٧٨ .

(٢) انظر ص ٢٢٣ من هذا الكتاب .

(٣) المذهب : ٧٣ .

(٤) م . ن : ١٠٠ .

متفق عليها ، أما الخلاف فوقع في كلمة (سقر) فذكر الجواليقي أنها أعجمية وهناك من قال إنها عربية كما بينت فيما سبق .

ثم طبع الكتاب أخيراً بتحقيق سمير حسن حلبي في دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٩٨٨ م . وقد أفاد من طبعة المغرب إفادة كبيرة .
وأخيراً فإن كتاب المهذب يعدُّ من الكتب الفريدة في نوعه لاحتوائه على عدد كبير من الألفاظ التي ورد فيها أنها أعجمية ، وقد أحسن السيوطي عرضها وترتيبها والنظر فيها بعد إمعان نظر وتدبُّر فجاء كتابه كما قال « لم يجتمع قَبْلُ في كتاب قَبْلَ هذا »^(١) .

هذا وكنت قد ذكرت في مقدمة تعريفني بهذا الكتاب أن للسيوطي كتاباً آخر في هذا الموضوع اسمه :

المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية والرومية والهندية
والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية

وهذا الكتاب دليل على ما ذكرته من مميزات الإمام السيوطي إذ يتميز بأمرين اثنين :

* الأول : كثرة النقل ، فلا تكاد تجد كتاباً من كتبه ، إلا وأكثره منقول عن أئمة آخرين .

* الثاني : التكرار ، فقد يذكر الموضوع الواحد في عدة كتب وعلى سبيل المثال - بالإضافة إلى ما ذكرته سابقاً - هذا الكتاب ، فقد عرض فيه السيوطي الألفاظ التي ذكرها في كتابه (المهذب) ولكن بطريقة جديدة .

وقد ألَّف السيوطي هذا الكتاب (المتوكلي) بعد تأليفه لكتابه (المهذب) الذي انتهى من تعليقه سنة (٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م)^(٢) .

(١) م . ن : ١٦٨ .

(٢) مكتبة الجلال السيوطي ٣٦١ ، عن المذكور في آخر مخطوطته المحفوظة بمكتبة الأوقاف العامة بالعراق ، ومما يؤكد ذلك أيضاً أن هذا الكتاب (المتوكلي) لم يرد =

ويبدو أن الخليفة العباسي المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٧ م)^(١) صديقه اطلع على كتاب (المهدب) المرتب على حروف المعجم ، فلم يرقه ذلك فاقترح على السيوطي بأن يؤلف له كتاباً يحتوي على الألفاظ التي وقعت في القرآن الكريم ، وذكر الصحابة والتابعون أنها بلغة الحبشة أو الفرس أو غيرهم ، فبادر إلى امتثال رأيه وألف له هذا الكتاب الذي رتب فيه الألفاظ على أساس اللغات ، فبدأ بذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة ، ثم ما ورد في القرآن بلغة الفرس ، ثم الرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية ، وأخيراً البربرية وسماه بـ (المتوكلي) باسمه ، واقتداء بالعلماء قبله الذين ألفوا مؤلفات وسموها بأسماء الخلفاء والوزراء كـ : أبي بكر الشاشي (الذي ألف كتاباً في الفقه بأمر الخليفة المستظهر بالله وسمّاه (المستظهري) ، وإمام الحرمين الذي ألف كتاباً في الفقه أيضاً باسم الوزير غياث الدين نظام الملك وسمّاه (الغياثي) وغيرهم ممن فعل ذلك فسلك السيوطي جوادهم وركب جوادهم^(٢) .

وقد استهلّ السيوطي كتابه هذا بمقدمة قصيرة اقتصر فيها على من قال بوقوع المعرب في القرآن وأدلتهم ، دون ذكر آراء المخالفين ، وما ذكره تكرر لما ذكره في (الإتيان) و (المهدب) .

منهجه في هذا الكتاب :

لم يختلف منهج السيوطي في كتابه هذا عن منهجه في كتابه (المهدب) اللهم إلا في ترتيب الألفاظ التي قيل إنها أعجمية أو أنها وردت بلغات غير عربية .

= ذكره في (فهرس مؤلفاته) ، أو في (حسن المحاضرة) ، أو في كتابه (الإتيان) الذي أشار فيه إلى كتاب (المهدب) .

(١) انظر ترجمته في تاريخ الخلفاء : ٥١٤ - ٥١٦ ، وبداية الزهور : ٣ / ٣٧٩ والأعلام : ٢٩ / ٤ .

(٢) انظر مقدمة السيوطي على كتاب المتوكلي فيما ورد في القرآن في اللغات .

فهو يذكر اللغة التي وردت فيها الألفاظ ثم يورد تلك الألفاظ دون مراعاة أي ترتيب ، معتمداً على ما ذكره العلماء حول تلك الألفاظ متبوعاً في ذلك منهجه النقلي وعقليته الحداثيّة في عزو كل قول إلى قائله دون ترجيح أو تعليق على تلك الأقوال .

فمثلاً في بداية كتابه قال : « ذكر ما ورد في القرآن بلغة الحبشة : أخرج ابن أبي حاتم عن ربيع في قوله ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١١٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠] قال : تلقاه بلسان الحبش . وأخرج عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] قال : الجبت اسم الشيطان بالحبشية ، والطاغوت : الكاهن .

وأخرج عبد بن حميد ، عن عكرمة ، قال : الجبت الشيطان بلسان الحبش والطاغوت : الكاهن .

وأخرج ابن جرير ، عن سعيد بن جبير ، قال : الجبت الساحر بلسان الحبشة ، والطاغوت : الكاهن .

وأخرج الطستى في مسأله عن ابن عباس ، أن نافع بن الأزرق قال لابن عباس : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [النساء : ٢] قال إثمًا كبيراً بلغة الحبشة .

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ ابن حيان ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] قال : الأواه : الموقن ، وفي لفظ : المؤمن بلسان الحبشة .

وأخرج ابن أبي حاتم ، عن مجاهد وعكرمة ، قالا : الأواه : الموقن بلسان الحبشة .

ثم يقول : وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَتَّزِقُ أَلْبَلَى مَاءَكِ ﴾ [هود : ٤٤] قال : بالحبشية : ازدرديه .

وأخرج ابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، عن سلمة بن تمام الشقري في قوله تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَثْكًا ﴾ [يوسف : ٣١] قال : هو بكلام الحبش ، يسمون الترنج : مثكاً . إلخ ثم يذكر بقية الكلمات الواردة في هذه اللغة وعددها كما ذكر (٢٨) كلمة ^(١) .

فيلاحظ ممّا تقدّم أنّ السيوطي اعتمد في ذكره لهذه الألفاظ على المأثور ، فهو يذكر اللفظة ومن قال بعجميتها من العلماء دون تدخل منه أو تعليق بتصحيح أو تضعيف . وهكذا يسير على هذا النمط في كل الكتاب .

وهناك ألفاظ نقل عن العلماء من قال بعجميتها ثم سردها سرّداً دون شرح لها أو توضيح فمثلاً فيما ورد في القرآن باللغة الفارسية ، اتّبع منهجه السابق في ذكر الآثار الواردة في عجمية بعض الألفاظ فقال : « أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : (الإستبرق) ﴿ وَاسْتَبْرَقِ ﴾ [الكهف : ٣١] الديباج الغليظ بالفارسية » .

وأخرج ابن أبي شيبة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ سَجِيلٌ ﴾ [هود : ٨٢] ، [الحجر : ٧٤] ، [الفيل : ٤] قال : هي بالفارسية سنك وكل : حجر وطين ^(٢) ثم يذكر بقية الآثار الواردة إلى أن يقول : « وذكر الجواليقي في (المعرّب) وغيره مما ورد في القرآن بالفارسية : ﴿ وَأَبَارِقُ ﴾ [الواقعة : ١٨] ﴿ وَيَسَّعُ ﴾ [الحج : ٤٠] و(كنائس) ^(٣) ﴿ أَلْتَنُورُ ﴾ [هود : ٤] و﴿ جَهَنَّمُ ﴾ ^(٤) و﴿ دِينَارٌ ﴾ [آل عمران : ٥٧] و﴿ أَلرَّسِ ﴾ [الفرقان : ٣٨] ، و﴿ أَلرُّومُ ﴾ [الروم : ١] ، ﴿ رَنْجِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٧] و﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ ^(٥) وَمَا أَذْرَكَ مَا سَحْبِ مِثْلُ ﴿ ﴾ [المطففين : ٧ - ٨] ، و﴿ سُرَادِقُهَا ﴾ [الكهف : ٢٩] ، و﴿ سَقَرٌ ﴾ [القمر : ٤٨] ، [المندر : ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٢] و﴿ سَلْسِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٨]

(١) المتوكلي : ٣٩ - ٦٦ .

(٢) م . ن : ٦٧ - ٧٠ .

(٣) نقلها السيوطي عن الجواليقي ، وهي ليست لفظاً قرآنية .

(٤) وردت هذه اللفظة في القرآن قرابة سبعة وسبعين مرة .

و﴿سُنْدُسٍ﴾ [الكهف : ٣١] ، ﴿قِرطاسٍ﴾ [الأنعام : ٧] ومواطن أخرى و﴿أَقْفَالُهَا﴾ [محمد : ٢٤] و﴿كَافُورًا﴾ [الإنسان : ٥] و﴿كَنْزٍ﴾ [هود : ١٢] وغيرها .

و﴿وَالْمَجُوسَ﴾ [الحج : ١٧] و﴿أَلْيَافُوتُ﴾ [الرحمن : ٥٨] و﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن : ٢٢ ، ٥٨] و﴿مِسْكٌ﴾ [المطففين : ٢٦] و﴿وَزْدَةٌ﴾ [الرحمن : ٣٧] و﴿هُودًا﴾^(١) [البقرة : ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٠] .

ولم يعلق السيوطي عليها شيء أو يورد لها شرحاً وتوضيحاً ، فهو إذاً ينقل عن العلماء ما ذكروه من وقوع ألفاظ في القرآن الكريم قيل إنها بلغات مختلفة غير عربية^(٢) .

وقد جمع السيوطي في كتابه هذا قرابة (١٢٤) لفظة - عدا المكررات وهي موزعة على اللغات التي ذكرها ، فنسب للحبشية (٢٨) لفظة ، وللفارسية (٢٩) لفظة ، وللرومية (٩) ألفاظ ، وللهندية (٣) ألفاظ ، وللسريانية (١٩) لفظة ، وللعبرانية (٢٠) لفظة ، وللنبطية (٢٣) لفظة ، وللقبطية (٧) ألفاظ ، وللتركية (١) لفظة واحدة ، ولللزنجية (٣) ألفاظ ، وأخيراً للبربرية (٧) ألفاظ .

وبعض هذه الألفاظ قد تكرر في أكثر من لغة وذلك استناداً إلى اختلاف الروايات الواردة فيها اللفظة ، فمثلاً فيما ورد في السريانية ذكر كلمة (الفِرْدَوْس) وذلك بما ورد عن ابن عباس عن كعب الأحبار^(٣) ثم ذكرها فيما ورد في (النبطية) ، وعزا ذلك إلى السدي^(٤) ، وكان قد أوردتها من قبل بين الكلمات التي جاءت بـ « الرومية » ، ونقل ذلك عن مجاهد وسعيد بن

(١) هذا كما ذكره السيوطي من ألفاظ قيل إنها فارسية ، انظر المتوكلي : ٦٧ - ٨٩ .

(٢) وانظر على سبيل المثال ما ذكره في اللغة العبرية ١١٧ - ١٢٧ فهو بدأ بذكر الآثار ثم يسرد الألفاظ التي قيل إنها عبرية .

(٣) المتوكلي : ١٠٦ .

(٤) م . ن : ١٣٥ .

جبر^(١) ، وكذلك كرر كلمة (ابلعي) مرتين ، فيما ورد في القرآن بالحشية والهندية^(٢) ، و (أسفاراً) فيما ورد في السريانية والنبطية^(٣) ، و (قنطار) ذكرها في ثلاث لغات : الرومية والسريانية ، والبربرية^(٤) ، وكذلك (اليم) ذكرها فيما ورد في القرآن الكريم بالسريانية ، والعبرانية والنبطية^(٥) إلخ .

وهناك ألفاظ ذكرها السيوطي في (المذهب) ولم يذكرها في (المتوكلي) منها (سنا) و (سيدها) وهاتان الكلمتان لم ينسبهما السيوطي في (المذهب) ، إلى أي لغة ، بل نقل أنها أعجمية أو أنها لاتعرف في لغة العرب^(٦) . ومنها (ن) فقد نقل في (المذهب) عن الكزمني أنها فارسية^(٧) .

مصادره :

اعتمد السيوطي في تأليفه (المتوكلي) على كتابه (المذهب) ولذلك فإن مصادرهما واحدة وقد ذكرتها سابقاً ، إلا أن السيوطي في مقدمة هذا الكتاب ، يشير إلى أنه لخصه من كتاب له كبير .

يقول : « وألفت هذا الكتاب المختصر ، ملخصاً من كتابي المبسوط المسالك »^(٨) .

-
- (١) المتوكلي : ٩٣ .
 - (٢) م . ن . ٤٤ ، ١٠١ .
 - (٣) م . ن . ١١٣ و ١٣٠ .
 - (٤) م . ن . ٩٩ و ١١٦ و ١٥٢ .
 - (٥) م . ن . ١١٤ و ١٢٣ ، ١٤٠ .
 - (٦) المذهب : ١٠١ - ١٠٢ ، ونص ابن منظور على عربية هذه الكلمة وقال : اليم : البحر وكذلك هو في الكتاب ثم قال : وزعم بعضهم أنها لغة سريانية ، فعربته العرب ، لسان العرب : (يمم) .
 - (٧) م . ن . ١٥٣ .
 - (٨) المتوكلي : ٣٢ .

وكانه يشير إلى كتابيه (الدر المثلث في التفسير بالمأثور) فإنه قد حوى معظم ما ذكره السيوطي في كتابه (المهدب) و (المتوكلي) إلا أنه لم يرد ذكره في أثناء كتابيه .

المآخذ على هذا الكتاب :

وأما المآخذ على هذا الكتاب فهي المآخذ نفسها على الكتاب السابق من انسياق السيوطي وراء مذهبه في الجمع والاستيعاب ونسبة كثير من الألفاظ إلى لغات غير عربية لمجرد وجودها في تلك اللغات ، وهذا ليس دليلاً ، إذ ليست تلك اللغات بأولى من اللغة العربية في نسبتها إليها ، وليس مجرد التشابه في الصيغ والأصوات في اللغات التي ترجع إلى أصل واحد دليلاً على نقل إحداها عن الأخرى .

طباعات الكتاب :

ذكرت فيما سبق أن الكتاب قد طبع عدة طبعات^(١) ، وأشهر هذه الطباعات وأحسنها التي قام بتحقيقها والتعليق عليها عبد الكريم الزبيدي وطبعها في دار البلاغة في بيروت سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م وعليها اعتمدت في بحثي . وهذا الكتاب وسابقه يتمم أحدهما الآخر في إيصال القارئ إلى بغيته بأسرع وقت وأسهل طريق . ويعدان من أشمل ما كتب في موضوعهما .



(١) انظر ص ٢٣٨ من هذا الكتاب .

٧. الإكليل في استنباط التنزيل

تمهيد :

جمع القرآن الكريم علوم الأولين والآخرين ، وكان رسول الله ﷺ وصحابته هم أعلم الناس بهذا الكتاب المجيد ، فقد ورد عن الإمام الشافعي قوله : « جميع ما حكم به النبي ﷺ ، فهو ممّا فهمه من القرآن »^(١) .

وقال أيضاً : « جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن »^(٢) . وليست تنزل في هذه الأمة نازلة إلا وفي القرآن المخرج منها قال تعالى : ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١] وقال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤] وقال تعالى : ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ٣٨] .

وقال ﷺ : « سَتَكُونُ فِتْنٌ ، قِيلَ وَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ » قال : « كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ ، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ »^(٣) لذلك انكب العلماء على هذا القرآن فألفوا فيه التأليف الكثيرة فمنهم من اعتنى بتفسيره رواية ودراية ، ومنهم من اقتصر على غريب اللفظ ، فألف في مفردات القرآن ومنهم من اهتم بمشكل الإعراب ، فتوسع في تبين وجوه الإعراب على لهجات شتى القبائل العربية ، ومنهم من نحا نحو توجيه وجوه القراءات المروية تواتراً وشاذاً ،

(١) ذكره السيوطي في الإتقان : ١٠٢٥/٢ .

(٢) م . ن : السابق .

(٣) الترمذي : في أبواب ثواب القرآن ، باب : ما جاء في فضل القرآن ، رقم (٢٩٠٨) .

ومنه من ألف في مشكل معاني القرآن، ومنهم من خدم آيات المواعظ والأخلاق، ومنهم من شرح آيات التوحيد والصفات، ومنهم من خصّ جدل القرآن بالتأليف، ومنهم من ألف في أحكام القرآن، وقد كثرت التأليف في هذا النوع من علوم القرآن وذلك لتعلقه بالفقه الإسلامي في استنباط الأحكام الشرعية والقواعد الكلية، وعليه فإننا نجد تأليف في أحكام القرآن في مختلف المذاهب الفقهية.

المؤلفات في أحكام القرآن :

١- أول من صنف فيه الإمام الشافعي، محمد بن إدريس، أبو عبد الله (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) ^(١) في كتاب له سماه (أحكام القرآن) أشار إليه في كتابه (الرسالة) ^(٢) وله كتاب بالعنوان نفسه، نشره عزت العطار في القاهرة سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م، وكتب مقدمته محمد زاهد الكوثري، وعلّق هوامشه عبد الغني عبد الخالق، ولكنه من جمع الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي صاحب السنن (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) كما نص على ذلك البيهقي في مقدمة الكتاب ^(٣).

٢- ولأبي ثور، إبراهيم بن خالد الكلبي، مفتي العراق (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) ^(٤)، وكتابه (أحكام القرآن) ذكره ابن النديم في فهرسه ^(٥).

٣- وألف يحيى بن أكثم، أبو محمد التميمي البغدادي (ت ٢٤٢هـ/

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٩٩٥/٥ .

(٢) ص : ١٤٥ ، مسألة رقم (٤١٦) . وقد اشار إلى ذلك الزركشي في البرهان : ١٢٦/٢ ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ٢٠/١ .

(٣) انظر مقدمة محمد زاهد الكوثري لكتاب الشافعي ، أحكام القرآن (منشورات مكتبة النوري ، دمشق ، د . ت) ص ١٤ .

(٤) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٧٦٧٢/١٢ . طبقات الشافعية : ٧٤/٢-٨٠ ، الشيرازي، طبقات الفقهاء ، تصحيح خليل الميس (ط . دار القلم بيروت : د . ت) ص ١٩٠ .

(٥) الفهرست : ٨١ ، الفن الثالث من المقالة الأولى .

- ٨٥٦م^(١) كتاب (إيجاب التمسك بأحكام القرآن) أيضاً ذكره ابن النديم^(٢) .
- ٤- ثم ألف أبو الحسن علي بن حجر السعدي المروزي (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م^(٣)) كتاب (أحكام القرآن) ذكره الذهبي وحاجي خليفة^(٤) .
- ٥- ولداود بن علي الظاهري (ت ٢٧٠هـ / ٨٨٣م^(٥)) كتاب في أحكام القرآن^(٦) .
- ٦- ولأبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م^(٧)) . كتاب في (أحكام القرآن) ذكره ابن النديم في (فهرسه)^(٨) والذهبي في (سير أعلام النبلاء) وقال : « لم يسبق إليه »^(٩) وحاجي خليفة في (كشف الظنون)^(١٠) وهو من المالكية .
- ٧- ولأبي الحسن علي بن موسى بن يزداد القمي شيخ الحنفية بخراسان (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م^(١١)) كتاب نفيس سماه (أحكام القرآن) ذكره مترجموه^(١٢) .
-
- (١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١٤ / ١٩١-٢٠٤ . سير أعلام النبلاء : ١٢ / ١٦٥ .
- (٢) الفهرست ، ابن النديم : ٨١ .
- (٣) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١١ / ٤١٦ ، ٤١٨ ، تهذيب التهذيب : ٧ / ٢٩٣-٩٤ .
- (٤) سير أعلام النبلاء : ١١ / ٥١١ ، كشف الظنون : ١ / ٢٠ .
- (٥) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٨ / ٣٦٩-٣٧٥ ، سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٩٧-١٠٨ .
- (٦) ابن النديم : الفهرست ٨١ .
- (٧) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٦ / ٢٨٤-٢٩٠ ، معجم الأدباء : ٦ / ١٢٩-١٤٠ .
- (٨) الفهرست ، الفن الثالث من المقالة الأولى ص ٨١ .
- (٩) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٤٠ .
- (١٠) ٢٠ / ١ ، وقد ذكره أيضاً الزركشي انظر البرهان : ٢ / ١٢٦-١٢٧ .
- (١١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٤ / ٢٣٦ وابن أبي الوفاء ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح الحلو (ط . عيسى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٣٩٨هـ / ١٩٧١م) ٢ / ٦١٨ . والسيوطي في طبقات المفسرين : ٨٦-٨٧ .
- (١٢) انظر ابن النديم ، الفهرست : الفن الثاني من المقالة السادسة ص ٤٣٨ ، وكشف الظنون : ١ / ٢٠ .

٨- وكذلك أُلّف ابن بكير المالكي (ت ٣٠٥هـ/٩١٧م) ^(١) كتاباً في (أحكام القرآن) ذكره ابن خير الإشبيلي في (فهرسه) والزرکشي في (البرهان) ^(٢).

٩- وللطحاوي ، أحمد بن محمد الحنفي (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م) كتاب في (أحكام القرآن) ^(٣).

١٠- ثم أُلّف قاسم بن أصبغ بن محمد القرطبي المالكي (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م) ^(٤) كتاباً في (أحكام القرآن) ، وهو كتاب جليل ^(٥) . وممن أُلّف في أحكام القرآن أيضاً :

١١- بكر بن محمد بن العلاء ، أبو الفضل القشيري البصري المالكي ، (ت ٣٤٤هـ/٩٥٥م) ^(٦) وكتابه في (أحكام القرآن) ذكره ابن خير الإشبيلي ،

(١) وقع خلاف في اسمه ، فقليل : هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي ، أبو بكير ، وهو المشهور في اسمه ونسبه وقيل : أحمد بن محمد بن بكير يكنى أبا بكر . مالكي ، تفقه بإسماعيل القاضي ، انظر ترجمته في فهرسة ابن خير ص ٥٣ والديباج المذهب ، ص ٢٤٣ .

(٢) فهرسة ابن خير ص ٥٣ ، والبرهان : ١٢٧/٢ .

(٣) ذكر ذلك مترجموه ، انظر فهرست ابن النديم الفن الثاني من المقالة السادسة ص ٤٣٨-٤٣٧ ، وسير أعلام النبلاء : ١٥/٢٧-٣٣ ، طبقات الفقهاء : ١٤٨ ، وكشف الظنون : ٢٠/١ .

(٤) انظر ترجمته في ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس (ط . الدار المصرية للتأليف : ١٩٦٦م) ١/٣٦٤-٣٦٧ رقم (١٠٧٠) وجذوة المقتبس : ٣٣٠-٣٣١ والضبي ، بغية الملتبس (ط . دار الكاتب العربي ، القاهرة : ١٩٦٧م) ص ٤٤٧-٤٤٨ ، وسير أعلام النبلاء : ١٥/٤٧٢-٤٧٤ .

(٥) ذكره حاجي خليفة : ١/٢٠ ، وصاحب الأعلام : ٥/١٧٣ . وأشار علي شواخ إسحاق إلى أنه مطبوع بدار الكتب المصرية في القاهرة : ١/١١٠ .

(٦) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٥/٥٣٧-٥٣٨ ، الديباج المذهب : ١٠٠ .

وقال : « وهو مختصر كتاب إسماعيل القاضي »^(١) المتقدم . وقال الذهبي عنه : « ومؤلفه من الأحكام نفيس »^(٢) وقد أشار إلى هذا الكتاب أيضاً الزركشي في (البرهان)^(٣) والسيوطي في (الإقتان)^(٤) و (الإكليل)^(٥) .

١٢- القاضي البلوطي ، منذر بن سعيد بن عبد الله القرطبي (ت ٣٥٥هـ / ٩٦٦م)^(٦) له كتاب (أحكام القرآن) ذكره ابن خير في (فهرسه)^(٧) ويسمى (الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله) كما ذكر ذلك الحميدي والضبي والزركلي^(٨) .

١٣- الجصاص ، أحمد بن علي ، أبو بكر الرازي (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)^(٩) وهو من فقهاء الحنفية ، ذكره الزركشي^(١٠) ، والسيوطي^(١١) ، وكتابه (أحكام القرآن) طبع في إستانبول بمطبعة الأوقاف الإسلامية سنة ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م وفي القاهرة بالمطبعة السلفية في ثلاثة أجزاء ، وفي القاهرة أيضاً بالمطبعة البهية سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٨٠م وفي دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م في ثلاثة أجزاء أيضاً .

-
- (١) فهرسة ابن خير : ص ٥٢ .
 (٢) سير أعلام النبلاء : ٥٣٨ / ١٥ .
 (٣) ١٢٧ / ٢ .
 (٤) ١٠٣٧ / ٢ .
 (٥) ص : ١١ .
 (٦) انظر ترجمته في معجم الأدباء : ١٧٨-١٨٥ / ٧ ، جذوة المقتبس : ٣٤٨ رقم (٨١١) بغية الملتبس : ٤٦٥-٤٦٧ ، رقم (١٣٥٧) .
 (٧) ص : ٥٤ .
 (٨) م . ن : السابقة وانظر الأعلام : ٢٩٤ / ٧ وكشف الظنون : ٢٠ / ١ .
 (٩) انظر ترجمته في فهرست ابن النديم (الفن الثاني من المقالة السادسة) ص ٤٤٠ والجواهر المضية : ٢٢٠-٢٢٤ . والداودي ، طبقات المفسرين : ٥٦ / ١ .
 (١٠) البرهان : ١٢٦ / ٢ .
 (١١) الإقتان : ١٠٣٧ / ٢ ، والإكليل : ١١ .

- ١٤- ابن خويز منداذ ، محمد بن أحمد بن عبد الله المالكي (ت ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م) ^(١) تقريباً له كتاب (أحكام القرآن) ذكره السيوطي ^(٢) .
- ١٥- أبو العباس ، أحمد بن علي بن أحمد الربيعي الباغاتي ، المقرئ (ت ٤٠١هـ/ ١٠١٠م) ^(٣) له كتاب (أحكام القرآن) مالكي المذهب ، نحا فيه نحواً حسناً ^(٤) .
- ١٦- مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد الأندلسي القيسي ، أبو محمد (ت ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) ^(٥) له مختصر أحكام القرآن ، ذكره الزركشي ^(٦) ، وحاجي خليفة ^(٧) .
- ١٧- أبو يعلى الكبير ، محمد بن الحسين بن محمد الفراء ، شيخ الحنابلة (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م) ^(٨) ، وكتابه في (أحكام القرآن) ذكره ابنه أبو الحسين محمد بن أبي يعلى في (طبقات الحنابلة) ^(٩) ، والذهبي في (سير أعلام النبلاء) ^(١٠) والزركشي في (البرهان) ^(١١) .
- ١٨- إلكيا الهراسي ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري الهراسي

-
- (١) انظر ترجمته في ترتيب المدارك : ٦٠٦/٢ ، لسان الميزان : ٢٩١/٥ .
- (٢) الإكليل ١١ والإتقان : ١٠٣٧/٢ .
- (٣) انظر ترجمته في الصلة : ٨٧/١ ، وطبقات الداودي ٥٣/١ .
- (٤) ذكره البغدادي في إيضاح المكنون : ٣٦/١ ، وانظر طبقات الداودي ٥٣/١ .
- (٥) انظر ترجمته في جذوة المقتبس : ٣٥١ ، الصلة ٦٣١-٦٣٣ . معجم الأدباء ١٦٧-١٧١ ، وسير أعلام النبلاء : ٥٩١-٥٩٣ .
- (٦) البرهان : ١٢٧/٢ .
- (٧) كشف الظنون : ٢٠/١ .
- (٨) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٢٥٦/٢ ، طبقات الحنابلة : ١٩٣-٢٣٠ ، سير أعلام النبلاء : ٩٢-٨٩/١٨ .
- (٩) ٢٠٥/٢ .
- (١٠) ٩١/١٨ .
- (١١) ١٢٨/٢ .

الشافعي (ت ٥٠٤هـ/ ١١١٠م) ^(١) ، وكتابه أحكام القرآن . مطبوع في القاهرة سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م بدار الكتب الحديثة ، بتحقيق موسى محمد علي وعزت عيد عطية ، وأعيد طبعه في بيروت بدار الكتب العلمية سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م في أربعة أجزاء ضمن مجلدين .

١٩- القاضي أبو بكر بن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد ، من كبار فقهاء المالكية (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) ^(٢) وكتابه : (أحكام القرآن) طبع طبعات كثيرة في القاهرة وبيروت ، منها طبعة عيسى البابي الحلبي بمصر بتحقيق علي محمد البجاوي سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م في أربعة أجزاء وأعيد تصويره في دار الیقظة ببيروت سنة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

٢٠- ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم أبو محمد شيخ المالكية بغرناطة في زمانه (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ^(٣) ، يوجد منه نسخ مخطوطة محفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس رقم (٣٢٥٦) ضمن مجموع ، ونسخة أخرى برقم (٤٩٢٣) ورقم (٤٩٢٤) و(٤٩١٨) كما يوجد منه نسخة في المغرب ، فاس رقم (١٨٧) وذكر المرعشلي أن هناك من يقوم بتحقيقه وتقديمه رسائل علمية في عدة جامعات ^(٤) ، وقد طبع منه سورة آل عمران والنساء في دار الجماهيرية ، طرابلس سنة ١٩٨٩م ، بتحقيق محمد إبراهيم يحيى .

٢١- القرطبي ، أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر المالكي

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٩/ ٣٥٠-٣٥٢ ، السبكي ، طبقات الشافعية : ٢٣١-٢٣٤/٧ .

(٢) سبقت ترجمته في ص من هذا الكتاب .

(٣) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٢١/ ٣٦٤-٣٦٥ ، بغية الوعاة : ١١٦/٢ الديباج المذهب : ٢١٨ ، والأعلام : ٤/ ١٦٨ وفيه وفاته سنة ٥٩٩هـ .

(٤) انظر تعليقه على البرهان : ٢/ ١٢٨ . وانظر أيضاً معجم مصنفات القرآن الكريم : ١٠١/١ .

(ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م)^(١) وكتابه في أحكام القرآن كتاب كبير فسر فيه القرآن الكريم كله مركزاً فيه على جانب الاستنباط واسمه (الجامع لأحكام القرآن) وهو مطبوع عدة طبعات في مصر في دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٥م ، ومصور في بيروت في دار إحياء التراث العربي في (١٠) مجلدات و (٢٠) جزءاً .

٢٢- السمين ، أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م)^(٢) من كبار علماء الشافعية ، وكتابه في أحكام القرآن مخطوط وهو بعنوان (القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز) توجد منه نسخ مخطوطة في المكتبة الأزهرية^(٣) .

٢٣- ابن سراج القونوي الحنفي ، جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود (ت ٧٧٠هـ / ١٣٧٥م)^(٤) وكتابه في أحكام القرآن يسمى (تهذيب أحكام القرآن)^(٥) أو (تلخيص أحكام القرآن) كما ذكره حاجي خليفة^(٦) .

٢٤- التجري ، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن أبي القاسم (ت ٨٧٧هـ / ١٤٧٣م)^(٧) وكتابه في أحكام القرآن يسمى (شرح آيات

(١) انظر ترجمته في نفح الطيب : ٤٢٨/١ ، الديباج المذهب : ٣١٧ ، والأعلام : ٣٢٢/٥ .

(٢) انظر ترجمته في غاية النهاية : ١٥٢/١ ، طبقات الداودي : ١٠١-١٠٢ ، والأعلام : ٢٧٤/١ .

(٣) معجم مصنفات القرآن الكريم : ١١٦/١ .

(٤) انظر ترجمته في الدرر الكامنة : ٩/٥ ، النجوم الزاهرة : ١١/١٠٥ ، والجواهر المضية : ٤٣٥/٣ .

(٥) هكذا ذكر مترجموه ، وانظر الأعلام : ١٦٢/٧ .

(٦) كشف الظنون : ٢٠/١ . وانظر معجم مصنفات القرآن : ١٠٧/١ ، والمرعشلي في تعليقه على البرهان : ١٢٩/٢ .

(٧) انظر ترجمته في الضوء اللامع : ٦٢/٥ ، والبدر الطالع : ٣٩٧/١ ، والأعلام : ١٢٧/٤ .

(الأحكام) أو (شرح الخمسمئة آية المنظمة للأحكام الشرعية ، كما ذكره الزركلي^(١) ، ويسمى أيضاً (شرح آيات الأحكام الفارقة بين الحلال والحرام) وهو مخطوط في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء رقم (٩-٥٤-٥٥-٥٧ تفسير) وأشار المرعشي إلى أنه يقوم بتحقيقه محمد صالح العتيق باسم (تفسير آيات الأحكام) لتقديمه رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة^(٢) .

هذه هي أهم المؤلفات في أحكام القرآن حتى عصر السيوطي ، ثم تتالت التأليف في هذا الفن ونظراً لأهمية هذا النوع من علوم القرآن ، فقد قررت كثير من الجامعات تدريسه وخصّصت له نصيباً من مناهجها ، وقد ألفت في ذلك مقررات جامعية أهمها :

٢٥- كتاب (تفسير آيات الأحكام) الذي جمعه عدد من علماء الأزهر بإشراف الشيخ محمد علي السائس ، والكتاب طبع بمكتبة محمد علي صبيح في القاهرة سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥ م ، وقامت دار الجيل ببيروت بتصويره^(٣) .

٢٦- ثم ألفت الدكتور نور الدين عتر كتابه (تفسير آيات الأحكام) وفق منهج السنة الرابعة من كلية الشريعة بجامعة دمشق ، فجاء الكتاب أشمل مما ذكره السائس لإضافته أحكاماً غير أحكام الفقه ، فوسّع بذلك مصطلح (أحكام القرآن)^(٤) والكتاب من منشورات جامعة دمشق سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .

٢٧- وأيضاً للشيخ محمد علي الصابوني كتاب (روائع البيان ، تفسير آيات الأحكام) طبع عدة مرات منها طبعة الغزالي بدمشق ، وطبعة عالم الكتب في بيروت سنة ١٩٨٦ م .

(١) الأعلام : ١٢٧/٤ .

(٢) البرهان : ١٢٩/٢ (حاشية) .

(٣) انظر مقدمة الدكتور نور الدين لكتابه (تفسير آيات الأحكام) ص : د .

(٤) هذا وقد طبع الكتاب بتعليق ومراجعة حسن السماحي سويدان ومحبي الدين مستو ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م في دار ابن كثير والقادري بدمشق .

هذا ولم يغفل السيوطي التأليف في هذا النوع من علوم القرآن ، بل كانت له مشاركة فيه فألف فيه جامعاً ومفرداً ، جامعاً في كتابيه (الإتيقان في علوم القرآن) وذلك في النوع الخامس والستين « في العلوم المستنبطة في القرآن »^(١) و (معترك الأقران في إعجاز القرآن) في الوجه الأول من وجوه إعجازه « العلوم المستنبطة منه »^(٢) واقتصر فيهما على المقدمات فقط ، ومفرداً في كتابه :

الإكليل في استنباط التنزيل

الذي أحال إليه في كتابه (الإتيقان) لمن أراد التوسع في هذا الفن فقال : « وقد ألفت كتاباً سميت (الإكليل في استنباط التنزيل) ذكرت فيه كل ما استنبط منه من مسألة فقهية ، أو أصلية ، أو اعتقادية ، وبعضاً مما سوى ذلك ، كثير الفائدة ، جمّ العائدة ، يجري مجرى الشرح لما أجملته في هذا النوع ، فليراجعه من أراد الوقوف عليه »^(٣) .

التعريف بالكتاب :

مما سبق يتبين أن السيوطي أراد بهذا الكتاب استيعاب آيات الأحكام في القرآن الكريم ، فأورد فيه كل ما استنبط من القرآن الكريم أو استدل به عليه من مسألة فقهية أو أصلية أو اعتقادية وغير ذلك من غير حشو ولا تطويل .

وقد قدّم السيوطي لكتابه بتمهيد ومقدمة وذيل به فصل كالخاتمة .

تكلم في التمهيد عن استيعاب القرآن الكريم للعلوم والمعارف ، وأن ما من شيء من أمور الدين والدنيا إلا وموجود في القرآن ونقل عن بعضهم

(١) الإتيقان : ٢/ ١٠٢٥ .

(٢) معترك الأقران : ١/ ١٤ .

(٣) الإتيقان : ٢/ ١٠٣٧ .

قوله : « ما من شيء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى »^(١) .
ثم نقل كلاماً طويلاً عن أبي العباس المرسى^(٢) ، خلاصته : « أن القرآن
جمع علوم الأولين والآخرين . . »^(٣) ثم أكد السيوطي هذا بكلام طويل له حول
ذلك ومن هنا فلا غرابة أن تكثر التأليف في هذا الفن من علوم القرآن ، وقد ذكر
السيوطي في تمهيده بعضاً منها - وقد ذكرتها فيما سبق - إلا أنه أخذ عليها أنها
« محشوة بالحشو والتطويل ، مشحونة بالاستطراد إلى أقوال المخالف
والدليل ، مع ما فاتها من الاستنباطات العليّة والاستخراجات الخفية »^(٤) .
وجعل هذا مسوغاً له لتأليفه هذا الكتاب .

وقد افتتح كتابه بعد هذا التمهيد بمقدمة ، نقل فيها كلام الغزالي في عدد
الآيات المشتملة على الأحكام ، ونقل فيها أيضاً كلاماً مطولاً عن العز بن عبد
السلام^(٥) ، خلاصته كما قال العز : « معظم آي القرآن لا تخلو عن أحكام
مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة . . »^(٦) .

ثم ختم الكتاب بفصل تكلم فيه عن أسماء الله الحسنى ، وأسماء النبي ﷺ^(٧) ،
ولعله ذكر ذلك رجاء البركة .

- (١) الإكليل : ٦ ، وانظر الإقتان : ١٠٢٧/٢ ، ومعترك الأقران : ١٧/١ .
- (٢) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسى ، أبو عبد الله ، عالم
بالأدب والتفسير ، له التفسير الكبير (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) بغية الوعاة : ١ / ١٤٤ .
- والأعلام : ٣ / ٢٣٣ .
- (٣) الإكليل : ٩-٦ .
- (٤) م . ن : ١١ .
- (٥) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي ، عز الدين ، سلطان العلماء ، بلغ رتبة
الاجتهاد (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) السبكي ، طبقات الشافعية : ٥ / ٨٠-١٠٧ ، الأعلام ٤ / ٢١ .
- (٦) الإكليل : ١٢ . وانظر كلام العز بن عبد السلام في كتابه الإمام في بيان أدلة الأحكام ،
تحقيق رضوان مختار (ط . دار البشائر الإسلامية ، بيروت : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)
ص ٢٨٤ .
- (٧) الإكليل : ٢٣١-٢٣٣ .

منهجه :

بيّن السيوطي منهجه في مقدمة كتابه (الإكليل)^(١) كعادته في معظم كتبه ومؤلفاته ويتلخص منهجه بما يلي :

١- إيراد الآيات واستنباط الأحكام منها ، والاستدلال من خلالها على المسائل الفقهية أو الأصلية أو الاعتقادية .

٢- تفسير الآية في حال توقف فهم الاستنباط على ذلك مركزاً على أسباب النزول .

٣- عزو كل قول إلى قائله .

٤- تخريج الآثار من كتب الأئمة المعتبرة .

وقد تصفحت الكتاب فوجدت دقة التزام السيوطي في منهجه ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة : ٦٧-٧١] إلى آخر القصة . قال السيوطي : « فيها أحكام :

الأول : استدل بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة : ٦٧-٧١] أن الأمر لا يدخل في عموم الأمر ، فإن موسى لم يدخل في عموم الأمر بدليل قوله ﴿ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴾ ولا يظن بموسى ذلك ، ذكره الزركشي في شرح جمع الجوامع .

الثاني : استدل به بكر بن العلاء على أن السنة في البقرة الذبح .

الثالث : استدل به على جواز ورود الأمر مجملاً وتأخير بيانه .

الرابع : استدل بقوله (لا فارض ولا يكر) وبقوله (مُسَلَّمَةٌ) على جواز

(١) ص : ١١ .

الاجتهاد واستعمال غالب الظن في الأحكام ، لأن ذلك لا يعلم إلا من الاجتهاد .

الخامس : استدل به على أن المستهزىء يستحق سمة الجهل ذكر محمد بن مسعود أن عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي مازحه فقال له : لا تجهل؟ قال : وأنى وجدت المزاح جهلاً؟ فتلا عليه : (اَتَّخِذْنَا هُزُوءاً ، قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) .

السادس : فيها الإرشاد إلى الاستثناء في الأمور في قوله : ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦٧-٧١] .

السابع : فيها دليل لأهل السنة على المعتزلة أن الأمر لا يستلزم المشيئة قاله الماتريدي .

الثامن : استدل بالآية على حصر الحيوان بالوصف ، وجواز السِّلَم فيه .
التاسع : قال المهدوي : في قوله (فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) دليل على أن الأمر على الفور ، قال ابن الفرس ويدل على ذلك أنه استقصى حين لم يبادروا إلى فعل ما أمرهم به ، وقال : (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ)^(١) .

من هذا المثال يتبين أن السيوطي التزم منهجه ، فقد أورد الآيات ثم ذكر ما يتعلق فيها من أحكام ، عازياً كل قول إلى صاحبه . وأحياناً يقول : « استدل » ولا يذكر قائل ذلك ، وإذا كان مما استنبطه هو فيقول فيها كذا وكذا كما ذكر سابقاً .

ومن هذا المثال يتضح لي مدى تأثير السيوطي بعلماء المغرب واهتمامه بمؤلفاتهم وكتبهم وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على اعتراف من السيوطي بأهمية هذا التراث القيم فهو في هذا المثال نقل عن عالمين كبيرين يُعدّان من أئمة التفسير والقراءات في المغرب هما : أبو العباس أحمد بن عمّار المهدوي ، وابن الفرس .

(١) الإكليل : ١٦-١٧ .

والسيوطي في كتابه ليس مجرد ناقل فحسب ، بل له تدخلاته وآراؤه الخاصة فكثيراً ما ينسب على أمر أو يؤكده أو يزيل إبهام ، بقوله قلت :

فمثلاً في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] قال السيوطي : « فيه أن الأعمال المتعلقة بالبيت ثلاثة : الطواف والاعتكاف والصلاة » .

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس قال : إذا كان قائماً فهو من الطائفين ، وإذا كان جالساً فهو من العاكفين ، وإذا كان مصلياً فهو من الركع السجود .

وأخرج أيضاً من طريق حماد بن سلمة عن ثابت قال : قلت لعبد الله بن عبيد بن عمير ما أراني إلا مكلم الأمير أن أمنع الذين ينامون في المسجد الحرام فإنهم يجنبون ويحدثون قال : لا تفعل ، فإن ابن عمر سئل عنهم فقال : هم العاكفون .

وفي الآية مشروعية طهارة المكان للطواف والصلاة .

قال الرازي وإلكيا : وفيها دلالة على أن الطواف للغرباء أفضل ، والصلاة للمقيم أفضل :

قلت :- أي السيوطي :- ولم يظهر لي وجه ذلك .

قالا : وفيها دلالة على جواز الصلاة في نفس الكعبة حيث قال (بيتي) خلافاً لمالك .

قلت : يردده قوله للطائفين ، والطواف لا يكون في نفس الكعبة .

قال الرازي : وفيها دلالة على أن الطواف قبل الصلاة .

قلت : قد استدل بذلك ابن عباس ، فأخرج الحاكم من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه أتاه رجل فقال : أبدأ بالصفا قبل

المروءة وأصلي قبل أن أطوف أو أطوف قبل ، أو أحلق قبل أن أذبح أو أذبح قبل أن أحلق ، فقال ابن عباس ذلك من كتاب الله فإنه أجدر أن يحفظ قال الله ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٥٨] . فالصفا قبل المروءة وقال : ﴿ وَلَا تَحِلُّوا لَهُمْ وَكُنْهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ [البقرة : ١٩٦] فالذبح قبل الحلق وقال : ﴿ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة : ١٢٥] فالطواف قبل الصلاة . « وقال الحاكم صحيح الإسناد »^(١) .

قال الرازي : وفيها دلالة على جواز المجاورة بمكة ، لأن قوله (والعاكفين) يحتمله مع أن عطاء وغيره قد تأولوه على المجاورين^(٢) .

فمما تقدم يلاحظ أن السيوطي لم ينقل الأقوال على عواهلها بل علق عليها ثلاث مرات مرة توقف فيما قاله الرازي وإلكيا الهراسي ومرة رد على من ذهب إلى جواز الصلاة في الكعبة نفسها مستدلاً بقوله تعالى : ﴿ لِلطَّائِفِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٦] قال والطواف لا يكون في الكعبة نفسها .

وفي المرة الثالثة أكد ما قاله الرازي من ترتيب شعائر الحج بما ورد عن ابن عباس فالطواف قبل الصلاة والبدء بالسعي بالصفا قبل المروءة وهكذا .

وكثيراً ما يأتي بالأدلة على ما ذهب إليه الأئمة مؤكداً ومقرراً فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] قال السيوطي : فيه استحباب هذا الذكر عند رؤية ما يعجب ، قال ابن العربي واستدل به مالك على استحبابه لكل من دخل منزله .

قلت : - أي السيوطي - أخرج ابن أبي حاتم عن مطرف قال : كان مالك إذا دخل بيته قال : (ما شاء الله لا قوة إلا بالله) قلت له لِمَ تقول هذا قال : ألا تسمع الله يقول وتلا الآية .

(١) الحاكم في كتاب التفسير ٢/ ٢٧٠ ، ووافقه الذهبي .

(٢) الإكليل : ١٩ .

وأخرج عن الزهري مثله^(١) .

والسيوطي في هذا الكتاب النافع قعد كثيراً من الآيات بقواعد وأصلها بأصول إن صحَّ التعبير فيقول هذه الآية أصل في كذا أو أن هذه الآية أجمع آية في موضوعها أو عليها مدار كذا وكذا والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها :

قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة : ٦] الآية .

قال : « هذه الآية أصل في الطهارات كلها ففيها الوضوء والغسل والتميم وفيها أسباب الحدث »^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَظِّتُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء : ٨٣] . قال : « هذا أصل عظيم في الاستنباط والاجتهاد »^(٣) .

وقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] . قال : هذه الآية جمعت أحكاماً كثيرة وتضمنت جميع أوامر الشرع ونواهيها .

وقد أخرج الحاكم وغيره عن ابن مسعود أنها أجمع آية للخير والشر والحلال والحرام^(٤) ومن الطريف في الأمر أن السيوطي استنبط مشروعية ما يفعله المؤلفون من الإحالة على ما ذكر في مكان آخر في كتابه من القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء : ١٤٠] قال

(١) الإكليل : ١٤٦ .

(٢) م . ن : ٨٩ .

(٣) م . ن : ٧٧ .

(٤) الإكليل ١٤٠ ، ولمن أراد المزيد في ذلك فليرجع إلى الصفحات التالية من الكتاب ٦٣ ، ٩١-٩٣ في أكثر من آية . ٩٤ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤-١٣٥ ، ١٣٨-١٣٧ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ، ٢١٩ الخ .

مقاتل : في سورة الأنعام بمكة . . ثم قال السيوطي ويستدل بهذه الآية على أن الآية داخلة في خطاب النبي ﷺ لأنه قال في سورة الأنعام : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ ﴾ [الأنعام : ٦٨] . كلها خطاب للنبي ﷺ وحده كالآية التي قبلها وقال : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٠] مريداً تلك الآية فدلَّ على دخولهم فيها .

وفي الآية أصل لما يفعله المصنفون من الإحالة على ما ذكر في مكان آخر والتنبيه عليه^(١) .

هكذا يسير على هذا النمط في كل الكتاب مرتباً سور القرآن حسب ورودها في القرآن الكريم .

مصادره :

ذكرت فيما سبق أن التأليف كثرت في هذا النوع من علوم القرآن ، ومن ثم فإن مصادر السيوطي في كتابه هذا قد تعددت فروعها، وتنوعت أصولها، فرجع إلى عدد كبير من كتب التفسير عامة وأحكام القرآن خاصة وقد ذكر بعضاً منها في مقدمته ذكرتها في المؤلفات في هذا الفن وها أنا أذكر بقية المصادر التي رجع إليها السيوطي في كتابه الإكليل أهمها :

- ١- تفسير أبي حيان .
- ٢- تفسير البيضاوي .
- ٣- تفسير الثعلبي .
- ٤- تفسير ابن كثير .
- ٥- تفسير المهدوي .

(١) الإكليل : ٨٣ .

٧- العجائب والغرائب، للكزّمانى .

٨- ورجع مرة إلى تفسير المحلى .

٩- وأفاد من الأذكار للنووي .

١٠- وكذا المجموع للنووي أيضاً .

ورجع إلى كثير من التفسير الأخرى وهو يكثر النقل عن ابن الفرس والرازي وإليها الهَرَاسي^(١) .

طبقات الكتاب :

ذكرت فيما سبق^(٢) ، أن الكتاب طبع عدة طبقات على هامش بعض الكتب ، وبشكل مستقل ، وقد أشرت أيضاً إلى طبعة سيف الدين عبد القادر الكاتب ، وقد اعتمد فيها على طبعة الغماري ولم يزد عليها إلا تخريج الآيات فقط .

ولذلك فالكتاب بحاجة ماسة إلى إعادة تحقيق وإخراجه بشكل علمي مفيد يليق بمحتواه ، فإنه كتاب عظيم النفع ، كثير الجمع ، مهذب المقاصد ، محرر الفوائد ، لا يمكن الاستغناء عنه لأنه : « . . . يشتمل على جميع ما ذكره المصنّفون في أحكام القرآن مع زوائد جمّة ، ونفائس مهمّة »^(٣) .

فقد أصّل كثيراً من الآيات ، وقعدها بقواعد كليّة ، فهو بهذا فريد في بابهِ ، ولذلك قال عنه : « فاشدد بهذا الكتاب يديك ، وعضّ عليه بناجذيك ولا يحملنك على استحقاره صغر حجمه ، فمن نظر إليه بقلب سليم بأن له غزارة علمه »^(٤) .

(١) انظر على سبيل المثال : ص ١٤-١٧ فقد ذكر فيها أكثر مصادره ومراجعته .

(٢) انظر ص ٢١٩ من هذا الكتاب .

(٣) أسرار التنزيل مخطوط ، ق ٣/أ (المقدمة) .

(٤) الإكليل : ١١ .

٨ أسرار التنزيل أو قطف الأزهار في كشف الأسرار

تمهيد:

هو من أهم كتب السيوطي في علوم القرآن ، وأعظمها نفعاً وأكثرها جمعاً ، فقد ذكر فيه كل ما يتعلق بالنظم القرآني من ألوان البلاغة والمناسبات بين السور والآيات حاشداً فيه كل ما وصل إليه علمه ناقلاً معظم ذلك عن العلماء .

ويبدو أن هذا الكتاب من آخر ما كتب السيوطي في علوم القرآن ولم يتمه إذ وصل فيه إلى أثناء سورة التوبة ، عند نهاية الجزء العاشر من القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ الآية [التوبة : ٩٢] وهنا تم الكتاب كما ذكره في آخره ^(١) .

وقد أشار السيوطي إلى هذا الكتاب في فهرس مؤلفاته وفي حسن المحاضرة وأكثر من موضع في كتابه (الإتيقان) و (معترك الأقران) .

ففي النوع الثاني والستين (في مناسبة الآيات والسور) في كتابه (الإتيقان) أشار السيوطي إلى هذا الكتاب بعد أن ذكر المؤلفات في هذا الفن بقوله : « وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنته من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة » ^(٢) .

وقد أشاد بهذا الكتاب في مقدمة كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) فقال : « وإنَّ ممَّا أَلْفَت في تعلُّقات القرآن كتاب (أسرار التنزيل) الباحث عن أساليبه ، المبرز أعاجيبه ، المبين لفصاحة ألفاظه ، وبلاغة تراكيبه ، الكاشف

(١) أسرار التنزيل ق : ٢٠٤/ ب .

(٢) الإتيقان : ٩٧٦/٢ ، وكرر مثل ذلك في معترك الأقران : ٥٥/١ .

عن وجه إعجازه ، الداخذ إلى حقيقة من مجازة ، المطلع على أفانيه ، المبدع من تقرير حججه وبراهينه ، فإنه اشتمل على بضعة عشر نوعاً وذكرها . . «^(١) .

وقد أشار إلى هذا أيضاً في كتابيه (الإتيقان)^(٢) و (معترك الأقران)^(٣) وأحال عليه فيهما .

وهذا يدل على أهمية هذا الكتاب لاحتوائه على كثير من فنون علوم القرآن وتنوعها ولذلك عندما قسم كتبه في كتابه (التحدث بنعمة الله) إلى أقسام جعل هذا الكتاب ضمن القسم الأول وهو « ما ادعى فيه التفرد ، ومعناه أنه لم يؤلف له نظير في الدنيا - كما يقول - ، وذلك لما يحتاج إليه هذا القسم من سعة النظر وكثرة الاطلاع وملازمة التعب والجد »^(٤) .

والكتاب ما زال مخطوطاً^(٥) ، وقد حصلت على نسخة منه من المكتبة السليمانية بإستانبول في تركيا رقم (٤٩) مراد بخاري ، وهي نسخة جيدة نفيسة مقابلة على نسخة أخرى ومقروءة إذ يوجد على هوامشها تعليقات وعناوين - وهي قليلة جداً - وكذلك أسماء السور وهي بخط نسخي واضح ومقروء وعدد أوراقها (٢٠٤) ورقة في كل ورقة (٣٥) سطراً وعدد كلمات السطر الواحد قرابة (١٢) كلمة ، وقد تمّ الفراغ من نسخها سنة (٩٥٧هـ / ١٥٠٠م) أي بعد وفاة السيوطي بـ (٤٦) سنة . على يد كاتبها محمد الأجهوري بلداً ، الشافعي مذهباً ، ولم أقف على ترجمته .

هذا وقد أشرت فيما سبق إلى نسخة أخرى منه في برلين تحت رقم (٦/٧٢٣)^(٦) .

(١) تناسق الدرر : ص ٢٥ .

(٢) الإتيقان : ٢٥٥/١ ، ٦١٤/١ ، ٩٩٥/٢ .

(٣) معترك الأقران : ٨٦/١ ، ١٧٠/١ ، ٤٨٠/٣ .

(٤) التحدث بنعمة الله : ١٠٥ وانظر بهجة العابدين ، ق : ١٤/أ .

(٥) هذا في أثناء إعداد الأطروحة . وقد طبع الكتاب فيما بعد بتحقيق أحمد محمد الحمادي في قطر ، وسبقت الإشارة إلى ذلك .

(٦) انظر ص من هذا الكتاب .

التعريف بالكتاب :

بدأ السيوطي كتابه بمقدمة طويلة تحدث فيها عما أنعم الله تعالى عليه من النظر في علوم القرآن وحقائقه وتعلقاته وذكر أهم مؤلفاته في علوم القرآن وكأنه يريد بهذا الكتاب مع تلك ، غناء طالب العلم عن الرجوع إلى غيرها من كتب التفسير وعلوم القرآن ولهذا قال : « فإذا تم هذا الكتاب وانضم إلى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير »^(١) .

ونظراً لأهمية هذه المقدمة فقد ذكرت قسماً منها في أثناء تعداد مؤلفاته في علوم القرآن أذكر شيئاً منها لتستفاد فقال : بعد حمد الله والصلاة على نبيه : « وبعد ، فإن الله سبحانه وله الحمد قد منَّ الله عليَّ بالنظر في علوم القرآن وحقائقه ، وتبج أسرارهِ ودقائقهِ حتى صَنَّفْتُ في تعلقاته كتباً شتى منها التفسير الملقَّب (ترجمان القرآن) وهو الوارد بالإسناد المتصل عن رسول الله ﷺ وأصحابه الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل وسمعوا منه التفسير والتأويل وقد تمَّ - والله الحمد - في خمس مجلدات وهو مستوعب بغالب آيات القرآن من غير أن أذكر فيه شيئاً عن التابعين . ولا من بعدهم وهذا - لعمرى - هو التفسير ، فإن الكلام في معاني القرآن ممن لم ينزل عليه ولا سمع من المنزل إليه إنما هو رأي محض فإن كان موافقاً للقواعد فهو التأويل ، وإن خرج عنها وأخطأ المراد فتحريف وتبديل قال ﷺ : « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ يَغْيِرْ عِلْمَ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »^(٢) وقال : « من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » أخرجه أبو داود^(٣) ، أي برأيه من غير استناد إلى دليل ولا برهان .

(١) أسرار التنزيل : ق ٣/أ .

(٢) الترمذي في أول كتاب التفسير ، باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، رقم (٢٩٥٠) ١٩٩/٥ ، وقال عنه حديث حسن صحيح . وانظر فيض القدير : ١٩٠/٦ .

(٣) في كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ، عن جندب رقم (٣٦٥٢) =

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت : ٤٠] .

قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام على غير موضعه ، وكفى بذلك وعيداً وتهديداً . . ولَمَّا كان هذا التفسير المشار إليه نقلاً محضاً ليس في إعراب ولا سر بياني ولا نكتة بديعة ولا استنباط حكم إلا نادراً أردفته بكتب في ذلك لتكون كالتممة له ويحصل بها تمام ما يراد من كتب التفسير ، فأجل ما وضعت من ذلك كتاب (الإتيقان في علوم القرآن) وهو كالمقدمة لمن يريد التفسير ، وأكثره قواعد كلية وفيه من الفوائد ما لم يجتمع في غيره ، وهو يشتمل على ثمانين نوعاً وذكرها . . ثم قال : وقد تَمَّ هذا الكتاب والله الحمد وفيه من النفائس المهمة ما لا يستغني عنه الناظر في القرآن ، ثم وضعت في الأحكام كتاب (الإكليل في استنباط التنزيل) وهو مجلد لطيف . . ثم أفردت كتاباً في أسباب النزول سمَّيته (لباب النقول) بالغت في إيجازه وتحريره بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ، ثم أفردت كتاباً وجيزاً في المبهمات لم يؤلف في نوعه أجمع ولا أوجز ولا أفيد منه ثم أفردت كراسة فيما وقع فيه من الألفاظ المعرَّبة تتبَّعت فيها واستوعبت ، ثم كراسة سمَّيتها (معترك الأقران في مشترك القرآن) فائقة في معناها ، ثم مختصراً يسمى (مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن) وهذا لم يتم بعد ، ثم كتاباً يسمى (خمائل الزهر في فضائل السور) وهذا وأسباب النزول كلاهما تضمنه التفسير الأول ، وإنما أفردتهما لنكت تعرف من خطبتهما ، ثم ذكر كتابه هذا (أسرار التنزيل) وقال : « شفعت به تلك ونظمته معها في سلك أسرار التنزيل »^(١) مما تقدَّم يتبيَّن لي ما يلي :

١- مدى حرص السيوطي على إنشاء مكتبة تفسيرية شاملة لعلوم القرآن

= ٣/ ٣٢٠ ، والترمذي في التفسير ونفس الباب السابق رقم (٢٩٥٢) ٥/ ٢٠٠ .
وأشار السيوطي في الجامع الصغير إلى حسنه وقال المناوي : لعله لاعتضاده وإلا ففيه سهل بن عبد الله بن أبي حزم تكلم فيه أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم ، انظر فيض القدير : ٦/ ١٩١ .

(١) أسرار التنزيل : ق ٢/ ١ - ٣/ ١ .

يمكن أن يطلق عليها المكتبة السيوطية ، بحيث تغني عن النظر في كتب ما عداها .

٢- يبدو - والله أعلم - أن السيوطي ألّف كتابه هذا (أسرار التنزيل) في مراحل متباعدة ، وأزمنة مختلفة ، فقد أشار فيه إلى مجموعة من كتبه التي ألفها في أزمان متتالية ، ثم أشار في بعض كتبه تلك كالإنتقان ومعتك الأقران وتناسق الدرر والإكليل وغيرها إلى هذا الكتاب ، مما يدل على أن السيوطي كان يكتب في هذا المؤلف ثم ينتقل إلى غيره ثم يعود إليه بدليل النقص الحاصل في أواخر سورة المائدة^(١) ، والفراغات المنثورة هنا وهناك في بعض صفحات الكتاب^(٢) وكأن السيوطي أراد أن يعيد النظر فيما كتب ثم لم يتمكن من ذلك .

٣- خشية السيوطي من عدم إتمام الكتاب ، فقد لمّح إلى ذلك في أكثر من موضع من مقدمته حيث يقول : « فإذا تم هذا الكتاب وانضم إلى تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير »^(٣) وقال في آخر المقدمة : « وأرجو - إن شاء الله تعالى - إن تمّ هذا الكتاب وكان في الأجل فسحة أن أضع كتاباً في توافق السنة والقرآن أذكر فيه كل حديث في القرآن معناه أو إشارة إليه تحقيقاً لقول الشافعي رضي الله عنه « كل ما حكم به النبي - ﷺ - فهو مما فهمه من القرآن ، حقّق الله تعالى ذلك بمنّه وكرمه »^(٤) .

ولعل الأجل المحتوم قد وافى السيوطي قبل إتمام هذا الكتاب والنهوض بمشروعه الجديد في توافق القرآن والسنة ، أسأل الله عز وجل أن يقيّض من

(١) وهو في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُوتُ ﴾ [المائدة : ١١٢] إلى آخر السورة بياض وقد كتب على هامش النسخة : « هكذا وجد في الأصل » انظر أسرار التنزيل : ق ١/١٤٤ .

(٢) انظر على سبيل المثال : ق ٢١/ب ، ٢٢/ب ، ٥٠/أ ١٢٦/ب ، ١٤٦/أ ، ١٤٧/ب ، ١٥٠/أ ، ١٥٦/أ ، ١٥٧/أ إلخ .

(٣) أسرار التنزيل : ق ٣/أ .

(٤) م . ن : ق ٣/أ .

هذه الأمة من يتابع هذا العمل على المنهج الذي كان يريده هذا الإمام وما ذلك على الله بعزيز .

منهجه :

لمح السيوطي إلى منهجه في هذا الكتاب في مقدمته ، فبعد أن ذكر مؤلفاته في علوم القرآن قال مبيناً منهجه : « وهذا كتاب شفعت به تلك ونظمت معها في سلك في أسرار التنزيل ، أذكر فيه جميع ما وصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني من أسرار التقديم والتأخير والتأكيد والحذف والإيجاز والإطناب والنكت البليغة من التشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والأنواع البديعية من الالتفات والتورية والاستخدام والجناس والمشاكلة والطباق والمقابلة إلى غير ذلك من أنواعه ، وسرّ ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير أو زيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى ، وما بين الكلمات التي يظنُّ ترادفها من فرق ، ولم وقع في هذا الموضع كذا وفي هذا الموضع رديفه ولم ختمت هذه الآية بيؤمنون وهذه يعملون وهذه يعقلون وهذه بيدّكرون إلى غير ذلك .

وأنتبه على القراءات المختلفة المشهورة والشاذة إذا كان لكل قراءة معنى ، فإن من وجوه إعجاز القرآن وإيجازه تنوع قراءته دلالة كل قراءة على معنى ، فإن ذلك بمنزلة تعدد الآيات .

وهذا نوع عظيم من البلاغة أنى يكون اللفظ الواحد بجوهره يقرأ وجهين ، فيفيد بهذا الاعتبار معنيين ، وأبين مناسبة ترتيب السور ، والخفي من مناسبات الآيات إلى غير ذلك مما بيّناه من النكت والأسرار^(١) . ويتلخص منهج السيوطي في كتابه في الأمور التالية :

١- عناية السيوطي بالنظم القرآني ، فقد نقل كثيراً عن العلماء ممّا وصل إليه

(١) أسرار التنزيل : ق ٣/١ .

علمه بما يتعلق بذلك من أسرار التقديم والتأخير والنكت البيانية والأنواع البديعية مع عزو كل قول إلى قائله .

٢- التنبيه على القراءات المختلفة المشهورة منها والشاذة ، وذلك لتعلق ذلك بإعجاز القرآن الكريم إذ لكل قراءة معنى يختلف عن الآخر .

٣- التركيز على بلاغة القرآن الكريم في تفسيره باتحاد اللفظ واختلاف المعنى .

٤- إظهار وجه العلائق بين السور والآيات ، وبيان المناسبة بين الآيات والسور وترتيبها ومناسبة مطالع السور لمقاطعها .

وبعد قراءتي لهذا الكتاب وجدت السيوطي يسير على هذا المنهج متبعاً طريقة معينة في إيراد الآيات فهو لا يفسر الآية كلمة كلمة بل يذكر ما يتعلق بالآية من نكت وأسرار بيانية وبراعة بديعية ، ثم إنه يبدأ بذكر اسم السورة أولاً ويذكر مناسبتها لما قبلها من السور ، ويظهر ارتباط آياتها بعضها ببعض وفي ختام السورة يظهر مناسبة خاتمتها لمطلعها مما يدل على إعجاز القرآن الكريم في انسياب آياته وسوره في وحدة متألّفة متناسقة مركزاً في أثناء تفسيره للآيات على القراءات لأهميتها في تعدد المعاني وعلى أنواع البديع المتعلقة بهذه الآية أو الآيات .

مثال :

بعد أن أنهى الحديث عن سورة آل عمران وبيان مناسبة آخرها لأولها قال : « سورة النساء تقدمت الإشارة إلى مناسبة وضعها هنا ، وأقول : هذه السورة أيضاً شارحة لبقية مجملات سورة البقرة في آيات عديدة كآية اليتامى والوصية والموارث والأنكحة ونكاح الأمة والصدّاق والخلع والقتال ، وفيها من الاعتلاق بسورة الفاتحة تفسير الذين أنعمت عليهم في قوله ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهِدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] وأما وجه اعتلاقها بآل عمران فمن وجوه منها :

- أن آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى وافتتحت هذه السورة به وذلك من أكد وجوه المناسبات في ترتيب السور ، وهذا نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف .

- ومنها أن سورة آل عمران ذكرت فيها قصة أحد مستوفاة ، وذكر في هذه السورة ذيلها وهو قوله : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ ﴾ [النساء : ٨٨] . فإنها نزلت لما اختلفت الصحابة فيمن رجع من المنافقين عن غزوة أحد كما في الحديث .

- ومنها أن في آل عمران ذكر الغزوة التي بعد أحد في قوله : ﴿ الَّذِينَ أَسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ﴾ الآيات [آل عمران : ١٧٢] بقوله : ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ ﴾ الآية [النساء : ١٠٤] . وبهذين الوجهين عرف أن تأخير النساء عن آل عمران أنسب من تقديمها عليها في نصحف ابن مسعود ، لأن المذكور هنا ذيل ما في آل عمران وتابعه ولاحقه ، فكان بالتأخير أنسب .

- ومنها أنه لما ذكر في آل عمران قصة خلق عيسى بلا أب . وأقيمت له الحجة بآدم ، وفي ذلك تبرئة لأمه خلافاً لما زعمته اليهود وتقريره لعبوديته خلافاً لما ادعته النصارى ، ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين معاً ، فردّ على اليهود بقوله : ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٥٦] وعلى النصارى بقوله : ﴿ لَا تَتَّبِعُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ [النساء : ١٧١] إلى قوله : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ [النساء : ١٧٢] .

- ومنها أنه لما ذكر في آل عمران ﴿ إِنْ مَثُوبُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] . رد هنا على من زعم قتله بقوله : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ﴾ الآية [النساء : ١٥٧] .

- ومنها أنه لما قال في آل عمران : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران : ٧] قال هنا : ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النساء : ١٦٢] .

- ومنها أنه لما قال في آل عمران : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

وَالْبَيْنِ وَالْفَنَظِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴿آل عمران : ١٤﴾ . فصل هذه الأشياء في السور التي بعدها على نسق ما وقعت في هذه السورة أحكام النساء ومباحاتها ومحرماتها للابتداء بها في الآية ، والبنين فشرك البنات معهم في الإرث رداً لما كانوا يصنعون من تخصيص البنين بالميراث لحبهم لهم فكان ذلك تفصيلاً لما يحل ويحرم من إيثار البنين اللازم عن الحب ، ثم فصل في سورة المائدة أحكام الشُّراق وقُطَاع الطريق لتعلقهم بالذهب والفضة الواقع في الآية بعد النساء والبنين ، ووقع في هذه السورة إشارة إلى ذلك في قسمة الموارث ، ثم فصل في سورة الأنعام أمر الحيوان والأنعام والحرث وهو بقية المذكور في الآية ، فانظروا إلى هذه اللطيفة التي من الله بإلهامها . وبقيت وجوه أخرى بيّتها في كتاب (تناسق الدرر في تناسب السور) . أبو حيان : وجه ارتباط أول السورة بآخر ما قبلها أنه أخبر في آخر تلك أن بعض المؤمنين من بعض في أصل التوالد ، فنبّه في أوّل هذه على إيجاد الأصل وتفرع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف ، ولينبّه بذلك على أن أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفردة بالتوحيد والتقوى ، طائعاً له ، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه ، فنادى تعالى نداء عاماً للناس ، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر وجعل سبباً للتقوى تذكاره إياهم بأنه أوجدتهم وأنشأهم من نفس واحدة ، ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع فهو جدير بأن يُتقَى^(١) ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء : ١] قيل : وجعل هذا المطلع مطلعاً لسورتين إحداهما هذه وهي الرابعة من النصف الأول والثانية سورة الحج وهي الرابعة من النصف الثاني وعُلِّل هذا الأمر بالتقوى بما يدل على معرفة المبدأ ، وهناك بما يدل على المعاد ، وبدأ بالمبدأ لأنه الأول (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أنّ مراعاة للفظ النفس ، وقرىء (واحداً) بالتذكر مراعاة

(١) البحر المحيط . ١٥٣/٣ .

للمعنى أو على أَنَّ النفس تذكر وتؤنث . ﴿وَوَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] وفي [الأعراف: ١٨٩] ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهو تَفْئُن . (وَبَثَّ) الراغب : أصل البث إثارة الشيء وتفريقه^(١) ، (رَجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) التذكير للشيوع ، وقدم الرجال لفضلهم ، وخص (رجلاً) بذكر الوصف بالكثرة قيل : على الحذف في الثاني اكتفاء وقيل تنبيهاً على أن اللائق بحالهم الاشتهار والخروج والبروز واللائق بحال النساء الاختفاء ، وقرئ (وخالق) و (باثٌ) على تقدير وهو (واتقوا الله) كرهه تأكيداً للأول ، وقيل لاختلاف المتعلق وذكر أولاً الرب الذي يدل على الإحسان والتربية ، وثانياً (الله) الذي يدل على القهر والهيبة جمعاً بين الترغيب والترهيب ، بادئاً بالترغيب . (تَسَاءَلُونَ) بالتشديد والتخفيف ، وقرئ (تَسَالُونَ) مضارع سأل و (تسالون) بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على السين (والأرحام) بالنصب عطفاً على الجلالة ، أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، وبالجبر عطفاً على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، ويؤيده قراءة ابن مسعود (وبالأرحام) وكانوا يتناشدون بذكر الله والرحم ، قرئ بالمضمر . (رَقِيباً) أي حافظاً ، أبو حيان : هو فعيل من رقب يرقب ، أَحَدَ النظر إلى أمر ليتحققه على ما هو عليه ويقترن به الحفظ^(٢) .

الطوفي : هو مناسب لما في سياقه من الوصية بتقوى الله وصلة الأرحام ، أكد ذلك بأن أخبرهم أنه رقيب عليهم ، مشاهد لهم ليحتاطوا بمراعاة ما أمرهم به^(٣) .

من هذا المثال الشامل يتبين مدى دقة السيوطي بمنهجه والتزامه طريقته التي رسمها لنفسه فهو يركّز على المناسبات بين السور وارتباطها بعضها ببعض كما هو واضح من المثال ، وقد أفاض في الحديث عن صلة هذه السورة بما قبلها

(١) المفردات : ص ٣٧ .

(٢) البحر المحيط : ١٥٠/٣ .

(٣) أسرار التنزيل : ق ١١١/ب - ١١٢/ب .

ولم يكتف بذلك بل بيّن علاقة هذه السورة بغيرها من السور المتشابهة في الآيات كما هو واضح .

وهو قد ذكر أقوال العلماء الذين نقل عنهم بدقة وأمانة ، وتناول في أثناء عرضه للآيات القراءات وبين المعنى باختلاف القراءة كما ذكر في مقدمته وتكلم في أثناء تفسيره للآية عما يتعلّق بها من بلاغة كالتنكير ، والتقديم والتأخير إلخ .

ويبدو في هذا الكتاب مدى تأثر السيوطي بتفسير أبي حيان (البحر المحيط) فهو يكثر النقل عنه ، ولذلك لا تكاد تمر صفحة إلا واسمه مذكور فيها .

ثم يتابع السيوطي تفسيره لهذه السورة على هذا المنوال مركزاً على ارتباط الآيات بعضها ببعض ومبيّناً المعنى حسبما يتعلّق بالآيات من بلاغة وقراءات وهو في آخر السورة يذكر وجه الصلة بمطلعها فيقول : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ الآية [النساء : ١٧٦] أبو حيان : ختمت السورة بهذه الآية كما بدئت أولاً بأحكام الإرث ليتشاكل المبدأ والمقطع ، وكثيراً ما وقع ذلك في السورة^(١) .

قال صاحب المناجاة : ولبيانها على الإيجاز بحذف متعلق الفعل الأول اطرّد ذلك في حذف العاطف أيضاً ، بخلاف ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي الْإِسَاءِ ﴾ [النساء : ١٢٧] فإنها بنيت على الإطناب بذكره فأثبت العاطف .

الزمخشري : الكلالة انتفاء الولد والوالد . فاقصر على نفي الولد ووكل حكم انتفاء الوالد إلى بيان السنة^(٢) .

وقال الزمّلكاني : المراد بالولد كلا الطرفين الولد والوالد معاً لأنهما مشتقان من معنى الولادة ، فالولد يجمع معنيين على التضاد كما في المولى

(١) البحر المحيط : ٤٠٦/٣ .

(٢) الكشف : ٥٨٩/١ .

(للسيد والعبد)^(١) ، القنص للصيد والصائد [والصهر]^(٢) ، للحمو والختن ونظيره قوله : ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلٍ ﴾ [سبا : ٥٤] والأشباع : الأتباع . فجعل هنا للقدوة ، لأنه من شاع يشيع إذا اشتهر وكلا الفريقين حاصل له الشهرة أما الطائفة الأولى فبكونها قدوة ، وأما الثانية فبكونها مقتدية انتهى . ﴿ وَهُوَ يَرِثُهَا ﴾ الضميران لما تقدم لفظاً لا معنى ، من باب : عندي درهم ونصفه لأن الهالك لا يرث ، والحية لا تورث ونظيره ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِن عُمُرٍ ﴾^(٣) [فاطر : ١١] .

﴿ فَإِن كَانَتَا ﴾ الضمير للأختين الدال عليهما ﴿ وَلَهُ أُخْتُ ﴾ ، وقيل هو على لغة (أكلوني البراغيث) وضمير كانوا للوراثين الدال عليه السياق ، وقرىء (فإن للذكر مثل) بالنصب . ﴿ أَن تَضِلُّوا ﴾ أي كراهة أن ، أو لتلا . ﴿ وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ ﴾ .

الإمام : في هذه السورة لطيفة عجيبة ، وهي أن أولها مشتمل على كمال تنزيه الله وسعة قدرته ، وآخرها مشتمل على كمال العلم ، وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والإلهية والجلال والعزة ، وبهما يجب أن يكون العبد متقاداً للتكاليف^(٤) .

الطوفي : الختم به مناسب لما في الآية لأنها تضمنت تفاصيل أحكام الفرائض ، وهذا التفصيل والهداية من الضلال يستدعي علم الفاعل لذلك^(٥) .

(١) عبارة الأصل المخطوط كما في المولى والقصد ، ولعل الصواب ما أثبت ليتم المعنى .

(٢) في الأصل (الضمير) ولا معنى له ، والصحيح ما أثبتته .

(٣) ذكر مثل ذلك أيضاً أبو حيان في البحر : ٤٠٧/٣ .

(٤) التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب ١١/١٢٣ ، وقد نقل هذه اللطيفة أبو حيان في البحر المحيط ٤٠٩/٣ بهذا النص وما نقله يختلف قليلاً عما هو مثبت في طبعة الفخر الرازي .

(٥) أسرار التنزيل : ق ١٣٢/أ - ١٣٢/ب .

فيلاحظ مما تقدم أن السيوطي كما بدأ السورة بذكر مناسبتها لما قبلها ركّز في خاتمتها على ارتباط آخرها بأولها ، ليبين الوحدة الموضوعية للسورة ، معتمداً في بيان ذلك على ما ذكره العلماء قبله .

وهو يتابع كشفه عن أسرار التنزيل في بقية السور على هذا النمط .

مميزات كتابه :

هذا ويتميّز كتابه بأمور أهمها :

٢- وضوح شخصية السيوطي فيه ، فبالرغم من اعتماده على عدد كبير من المفسرين وأئمة اللغة والقراءة ، إلا أنه لا يأخذ الأمور على عواهلها ولا ينقلها هكذا دون تحقيق أو تمحيص ، ولذلك كثيراً ما تجده يعلّق على ما ينقل إما بتصحيح أو تصويب أو تغليط فمثلاً في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾ [النساء : ١٧٢] قال السيوطي : « هو متصل بما قبله من الرد على النصارى الزاعمين نبوة المسيح أو ألوهيته ، وعطف عليه ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء : ١٧٢] من باب الاستطراد للرد على العرب القائلين : إن الملائكة بنات الله كما هو عادة القرآن من الاستطراد من ذكر الشيء إلى نظيره ، ومن الرد على فرقة إلى الرد على أخرى نحوها وظنّ الزمخشري أن الآية من باب الترقّي فاستدل بها على أفضلية الملائكة على الأنبياء وهو غلط منه »^(١) .

- وإذا ذكر المفسرون عدة أقوال لبيان معنى آية فإنه يشير إلى أصحها أو أقربها إلى الصواب ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧] . قال السيوطي : « قال الكزّمانى^(٢) فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن هذا عبارة عن سرعة الإيجاد وأن لا نصّب هناك ولا تعب

(١) م . ن . ق : ١٣٢/أ .

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل : ١٧٢/١ .

والأمر والقول مجازان ، لأن المعدوم لا يخاطب ، والموجود لا يؤمر بالوجود وبهذا جزم في الكشف^(١) ، وجعله استعارة تمثيلية ، والمعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد كونه يتكوّن ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف . .

الثاني : أنه حقيقة ، لأن جميع ما هو كائن في علمه تعالى كالموجود فصح الخطاب ، قلت : وهذا أصح الأقوال .

الثالث : أنه خاص بالموجودات التي أراد الله تعالى نقلها إلى حالة أخرى^(٢) . فهنا يلاحظ أن السيوطي لم يذكر الأقوال هكذا هملاً بل اختار أصحابها وأقواها برأيه . والأمثلة على ذلك كثيرة^(٣) .

٢- والسيوطي الإمام العالم المتبحر في جل العلوم والفنون لا يريد لنفسه أن يبقى هكذا دون أن يأخذ مكانته بين مصافّ العلماء الكبار ففي قوله تعالى : ﴿وَالْمَوْتَى يَبْعُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام : ٣٦] ينقل السيوطي قول أبي حيان وأن الموت والبعث على حقيقته وقيل هما مجازان عن الكفر والإيمان ، أي إن الكفار يرشدتهم الله للإيمان فحينئذ يؤمنون .

قال أبو حيان : « وقد تظاهرت أقوال المفسرين على أن الموتى مراد به الكفار ، سموا بالموتى كما سموا بالصم والبكم والعمي ، قلت : - أي السريطي - والأرجح قول ثالث حمل الموتى على المجاز أي الكفار والبعث على الحقيقة والمعنى : أن الكفار الذين هم كالموتى لا يسمعون فلا يستجيبون ، يبعثهم الله يوم القيامة فيجازيهم على كفرهم . أي أن أمرهم

(١) ٣٠٧/١ .

(٢) أسرار التنزيل : ق ٤٠/ب .

(٣) انظر على سبيل المثال ق : ٤١/ب ، ٤٤/أ ، ٥٦/أ - ب ، ٨٩/أ ، ٩٧/ب ، ١٥٨/أ ، إلخ .

إلى الله لا إليك يا محمد فلا يهنك شأنهم ففي هذه الآية أبلغ مناسبة وأدقها «^(١) .

فيلاحظ أن السيوطي رجح قولاً ثالثاً غير ما تظاهر عليه المفسرون وفي هذا اعتداد بالنفس ، وثقة بها وتمكّن في العلم وأنه لا يجاري غيره من العلماء فهو إن نقل نقل عن قناعة وإلا فله رأيه واختياراته .

٣- والسيوطي المحدث لا يمكنه إغفال عقليته الحديثية في تبين المراد من الآيات وتوضيح معانيها ، فهو أحياناً يستعين بالسنة للدلالة على معنى الآية أو الآيات وهو لا يذكر الأحاديث هكذا دون بيان بل يخرجها ويذكر روايتها فمثلاً في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام : ١٥٨] فبعد أن ردّ على الزمخشري فيما ذهب إليه من أن الإيمان لا ينفع نفساً لم تكن كسبت في إيمانها طاعة ، قال : « هذا ذهول عن أساليب البلاغة ، بل الآية من باب : علفتها تبنياً وماء بارداً ، على تقدير فعل مناسب للمعطوف دعي إلى حذفه الإيجاز ، والتقدير : ولا ينفع نفساً توبتها لم تكن كسبت في إيمانها خيراً من قبل ، فأفادت الجملة الأولى أن الإيمان حينئذ لا يقبل من الكافر ، وأفادت الثانية أن التوبة حينئذ لا تقبل من العصي ثم قال السيوطي : والأحاديث مبيّنة لذلك «^(٢) .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعةُ حتّى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا رآها الناسُ آمنَ منْ عليْها فذلك حين لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنَتْ مِنْ قَبْلُ »^(٣) .

وأخرج الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال عن النبي ﷺ قال : إِنَّ اللَّهَ

(١) أسرار التنزيل : ق ١٥١/أ .

(٢) أسرار التنزيل : ق ١٧٠/أ .

(٣) البخاري في التفسير / الأنعام ، باب : « لا ينفع نفساً إيمانها » رقم (٤٣٥٩) ١٦٩٧/٤ ، ومسلم في الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، رقم (١٥٧) ١٣٧/١ .

جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَاباً عَرْضُهُ سَبْعُونَ عَاماً لِلتَّوْبَةِ ، لَا يُغْلَقُ مَا لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْ قَبْلِهِ ، فَلِذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^(١) الآية [الأنعام : ١٥٨] .

وأخرج عن أبي هريرة مرفوعاً : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا قَبِلَ مِنْهُ »^(٢) .

وأخرج أحمد من حديث ابن عمرو مرفوعاً : « لَا تَزَالُ التَّوْبَةُ مَقْبُولَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَإِذَا طَلَعَتْ طُبِعَ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَا فِيهِ وَكُفِيَ النَّاسَ الْعَمَلُ »^(٣) .

وهكذا يستشهد بالأحاديث كلما دعت الضرورة لذلك^(٤) .

٤- وهذه العقلية الحديثية تظهر في إكثاره من ذكر أسباب النزول للآيات ، فمثلاً عند قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُكُزُّ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣] بعد أن قال : « في الحديث : اسمُ الله الأعظمُ في هاتين الآيتين ﴿وَاللَّهُكُزُّ إِلَهٌُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿الْعَلَّ إِلَهٌُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران : ١] أخرجه أحمد^(٥) ، ثم قال السيوطي : « وفي سنن سعيد بن منصور وغيره عن أبي

(١) الترمذي في الدعوات ، باب : في فضل التوبة والاستغفار ، وما ذكر من رحمة الله لعباده رقم (٣٥٣٥) و(٣٥٣٦) وقال : « حديث حسن صحيح » ٥٤٥/٥ وما بعدها وذكر نحوه في تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأنعام رقم (٣٠٧١) ٢٦٤/٥ عن أبي سعيد مرفوعاً وقال : « ورواه بعضهم ولم يرفعه » . وانظر المنذري ، الترغيب والترهيب : ٨٩-٨٨/٤ .

(٢) مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب : استحباب الاستغفار والاستكثار منه رقم (٢٧٠٣) ٢٠٧٦/٤ .

(٣) أحمد في المسند (ط ٥ ، المكتب الإسلامي ، بيروت : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ١٩٢/١ وهو جزء من حديث .

(٤) انظر على سبيل المثال ق ١٤٨/ب . فقد ذكر عدة أحاديث في الرحمة عند قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام : ١٢] . وانظر ق ٤٨/أ . و ٤٩/أ ، ١٦٢/ب ، ١٧٠/ب ، ١٨٩/ب ، ١٩١/أ ، ١٩٨/ب ، ٢٠١/أ إلخ .

(٥) المسند : ٤٦١/٦ ، وأخرجه أيضاً الترمذي في الدعوات ، باب : جامع الدعوات =

الضحى لما نزلت هذه الآية تعجب المشركون وقالوا : إلهاً واحداً ، لأن كان صادقاً فليأتنا بآية فنزل ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١) [البقرة : ١٦٤] .

وقد نبه السيوطي في كتابه وفي أكثر من موضع على أن سبب النزول مهم في فهم معاني الآيات ولكن ليس للمناسبة ارتباط به ، إذ مناسبة الترتيب يعتبر فيها الألفاظ ومعانيها لا سبب النزول^(٢) .

٥- وهو إذا أراد أن يوضح مسألة أو يؤكد قراءة أو يبين أمراً فإنه يستعين على ذلك بالشعر وهو كثير في كتابه فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾ [الأنعام : ١٥٤] .

قال السيوطي : « وقرأ أبي (تماماً للمحسنين) ، وقرىء (أحسن) برفع النون^(٣) ، فقيل هو على اختزال الواو من أحسنوا وإبقاء الضمة دالة عليها كقول الشاعر :^(٤) (الوافر) .

فَلَوْ أَنَّ الْأَطِبَّاءَ كَانُوا حَوْلِي^(٥)

= عن النبي ﷺ رقم (٣٤٧٨) ٥ / ١٧ وقال : حديث حسن صحيح ، وسنن ابن ماجه في الأدب ، اسم الله الأعظم رقم (٣٨٥٥) ٢ / ١٢٦٧ .

(١) أسرار التنزيل : ق ٤٨ / أ - ب . والأمثلة على ذلك كثيرة انظر ق ٤ / أ ، ٤٦ / ب ، ٤٧ / ب ، ٦٩ / ب ، ٧٢ / أ ، ٨٠ / أ ، ١٠٤ / أ ، ١١١ / ب ، ١٢٩ / ب ، ١٤٣ / أ . إلخ .

(٢) أسرار التنزيل ، ق ١٢٠ / أ وقد كرر مثل هذا القول في ١٢٠ / ب .

(٣) وهي قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبي إسحاق ، انظر المحتسب : ٢٣٤ / ١ ، والمهدوي ، التحصيل ٢ / ق ١١ والمححر الوجيز : ٤٠٢ / ٥ والبحر المحيط : ٢٥٥ ، والقرطبي : ١٤٢ / ٧ . وهذا على تقدير « تماماً على الذي هو أحسن » وضعف ذلك ابن جني لأن فيه حذف المبتدأ العائد على الذي انظر المحتسب : ٢٣٤ / ١ .

(٤) لم أهتمد إلى قائله وقد تابع السيوطي أبا حيان في عدم ذكره الشطر الثاني ، انظر البحر : ٢٥٦ / ٤

(٥) وتمة البيت : وَكَانَ مَعَ الْأَطِبَّاءِ الْأُسَاءُ

البيت المذكور بكامله في الدر المصون : ٢٢٨ / ٥ ، وهو في شرح المفصل لابن =

أي كانوا» (١) .

وعند قوله تعالى : ﴿ وَتَذَهَبَ رِيحُكَ ﴾ [الأنفال : ٤٦] قال السيوطي : يقال هَبَّتْ رياح فلان إذا دَلَّتْ له ونفذ أمره قال الشاعر : (٢) (الوافر)

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكَ فَاعْتَنَمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونًا (٣)
والأمثلة على ذلك كثيرة منشورة في الكتاب (٤) .

٦- والسيوطي الفقيه إذا وجد المناسبة متاحة أمامه فإنه لا يستطيع إلا أن يتكلم بحكم شرعي أو يذكر مسألة فقهية ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] قال السيوطي : « لما فرغ من أحكام الصيام أتبعه بأحكام الاعتكاف لما بينهما من المناسبة ، ولهذا شرط قوم الصيام فيه ، وَتَذَبُّهُ آخَرُونَ ، وَعَقَّبَ الفقهاء في كتبهم باب الصوم بباب

= يعيش (ط عالم الكتب بيروت ومكتبة المتنبي ، القاهرة : د . د) ٥ / ٧ ،
والبغدادي ، خزانة الأدب ، تحقيق عبد السلام هارون (ط ٢ مكتبة الخانجي ،
القاهرة : ١٩٨٤ م) ٥ / ٢٢٩ ، وانظر أيضاً السيوطي ، همع الهوامع (ط دار
المعرفة ، بيروت د . ت) ١ / ٥٨ .

(١) أسرار التنزيل : ق ١٨٣ / أ .

(٢) يروى البيت للإمام الشافعي كما جاء في كتاب الجواهر اللامع فيما ثبت بالسماع من
حكم الإمام الشافعي المنظومة والمنثورة ، جمع حسين بن عبد الله بإسالة (ط مطبعة
كردستان العلمية ، مصر : ١٣٢٦ هـ) ص ٩٤ وفيه : « فعقبى كل خافقة سكون » ،
بدلاً من « فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونًا » ، والبيت في القرطبي ٨ / ٢٤ باللفظ نفسه لكن
برفع النون على أنها خبر « إِنَّ » واسمها ضمير الشأن وهو الأصح بدليل البيت الثاني :
وَلَا تَغْفُلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَلَا تَذَرِي السُّكُونَ مَتَى يَكُونُ
ويروى « لكل عاصفة » كما ورد في المحرر الوجيز : ٦ / ٣٣١ والدر المصون :
٥ / ٦١٧ والبحر المحيط ٤ / ٥٠٣ ، ونفح الطيب ٦ / ٣١٥ .

(٣) م . ن : ق ١٩٦ / ب .

(٤) انظر نماذج من ذلك في ق ١٦٥ / أ ١٦٩ / ب ، ١٧٦ / ب ، ١٩٥ / ب ، ١٩٦ / ب ،
٢٠٣ / أ .

الاعتكاف ، وعندى أنه يؤخذ من الآية عدم اشتراط الصوم فيه لأنه لما حظر في الصوم من الفجر ثلاثة أشياء : الجماع والأكل والشرب ، ثم ذكر الاعتكاف فحظر فيه الجماع فقط ، دل على إباحة الآخرين وإلا لحظرهما معه أيضاً^(١) .

٧- وأخيراً فإن السيوطي الصوفي في أثناء زحمة التراكيب البلاغية ، والألفاظ البيانية والنكت البديعية وإعمال الذهن في استنباط العلائق والمناسبات بين السور والآيات ، لا ينسى أن يلفت نظر القارئ إلى ضرورة التعلق بالله تعالى والإعراض عن الدنيا وزخرفها ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٤٣] فبعد أن ذكر السيوطي ما يتعلق بهذه الآية من مناسبات وقرآيات ونكات بيانية نقل عن القشيري قوله : « من نظر إلى الأمر بعين التفرقة كبر عليه أمر التحويل ، ومن نظر بعين الحقيقة ظهر ببصيرته وجه الصواب ، فمن كان مع الله في جميع الأحوال على قلب واحد ، رأى المختلفات من الأحوال له واحدة ، فسواء غيّر أو قرّر أو أثبت أو بدّل أو حقّق أو حوّل فهم بدله في جميع الأحوال »^(٢) وهكذا تظهر عقليته الموسوعية في معظم كتبه وتأليفه .

مصادره :

كما هي عادة السيوطي فقد أكثر من النقل عن المتقدمين وأفاض في ذلك حتى إنّ الناظر في هذا الكتاب يلمس للوهلة الأولى مدى سعة ثقافة السيوطي في تنوع موارده فقد أكثر من النقل عن العلماء وغالباً ما يسميهم بأسمائهم دون

(١) أسرار التنزيل : ق ٥٧/أ . وانظر ما قاله في أثناء قصة البقرة من زكاة البقر ، ق ٣٢/أ .

(٢) م . ن : ق ٤٤/ب . وانظر على سبيل المثال : ق ٢٨/ب .

ذكر مؤلفاتهم إلا القليل منهم كأن يقول : « صاحب العين »^(١) أو (صاحب المناجاة)^(٢) ، وقد ذكره مرة باسمه الصريح فقال : « قال الجبلي في كتابه (المناجاة الطورية في المتشابهات النورية) »^(٣) ، أو « الشيخ سعد الدين في (الحاشية) »^(٤) أو في (حواشي الكشف)^(٥) ، أو « شيث بن حيدرة في (حَزَّ الغلاصم) »^(٦) أو « أبو الشيخ في (تفسيره) »^(٧) أو « (العجائب) للكرماني »^(٨) ، أو « في (البرهان) »^(٩) له أيضاً ، وهو يكثر النقل من الزمخشري فمرة يقول : « ذكره صاحب (الكشف) »^(١٠) أو « وفي الكشف »^(١١) أو يقول : « ابن جني في (المحتسب) »^(١٢) أو قال : « الراغب في (مفرداته) »^(١٣) أو « قال في (درّة التنزيل) »^(١٤) ، أو « في (المنتخب) »^(١٥) أو « في (كشف المعاني) »^(١٦) أو يقول : « وقد أشار إلى

-
- (١) أسرار التنزيل : ق ١٢٠/أ .
 - (٢) وذلك في مواضع كثيرة من الكتاب ، انظر على سبيل المثال : ق ١٢/ب ، ٢٠/أ ، ٢٩/ب ، ٣٠/أ ، ٣٦/أ ، ٥٤/ب ، ١٦٠/ب ، ١٨٠-ب إلخ .
 - (٣) أسرار التنزيل ق ٦/أ .
 - (٤) م . ن : ق ١٦٨/ب .
 - (٥) م . ن : ق ١٧٠/ب .
 - (٦) م . ن : ق ١٢٢/أ ، وتتمه عنوان الكتاب (. . وإفحام المخاصم) انظر الأعلام : ١٨٧٣ .
 - (٧) م . ن : ق ٥٥/أ .
 - (٨) م . ن : ٦/أ ، ٨/أ .
 - (٩) م . ن : ٢٠/أ .
 - (١٠) م . ن : ١٢/أ ، ١٤/ب ، إلخ .
 - (١١) م . ن : ١٥/ب ، ٥٧/ب ، ٦٨/ب إلخ .
 - (١٢) م . ن : ١٠/أ .
 - (١٣) م . ن : ١٣/أ .
 - (١٤) م . ن : ٢٤/ب ، ٣٦/أ إلخ .
 - (١٥) م . ن : ٤٤/ب ، ٤٨/أ ، ٥٤/ب إلخ .
 - (١٦) م . ن : ٩١/ب .

شيء من هذا أبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب) «^(١) . أو « في (تاريخ) البخاري و (طبقات) ابن سعد «^(٢) ، أو « أخرج البيهقي في (الدلائل) «^(٣) أو « قال الحافظ في (البيان) «^(٤) أو « ذكره صاحب الأقصى الغريب «^(٥) أو يقول : « وفي تذكرة ابن الصائغ «^(٦) ، وهكذا .

هذا ما ذكره السيوطي من عناوين المصادر والمؤلفات التي رجع إليها وأفاد منها مع ذكر أسماء مؤلفيها وأصحابها .

وأحياناً وجدت السيوطي ينقل عن العلماء دون أن يذكر أسماءهم أو مؤلفاتهم فيقول : « قال بعضهم »^(٧) أو « قال العلماء »^(٨) أو « قال بعض المحققين »^(٩) أو « وفرق آخرون »^(١٠) أو ينقل عن أحد العلماء ثم يقول : « وغيره »^(١١) .

وأما طريقته في إيراد مصادره فهي بذكر أسماء مؤلفيها فقط دون أن يفصح عن عنوان الكتاب أو الكتب التي نقل عنها أو رجع إليها مع أنه أكثر من النقل عن الفخر الرازي وأبي حيان ، والبيضاوي فلم يرد لعناوين كتبهم ذكر ، حتى إنه لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من ذكرهم أو ذكر أحدهم ، وهو

(١) أسرار التنزيل : ١٢٢/أ .

(٢) م . ن : ١٦٣/ب .

(٣) م . ن : ١٦٣/ب .

(٤) م . ن : ١٨١/ب .

(٥) م . ن : ١٠/ب .

(٦) م . ن : ٢٠١/ب .

(٧) م . ن : ٢٦/ب ، ٨٧/أ ، ٢٠٤/أ .

(٨) م . ن : ١٩٢/أ .

(٩) م . ن : ١٠٧/أ .

(١٠) م . ن : ١٠٧/ب .

(١١) م . ن : ٢٨/ب ، ٣٢/أ ، ٩٥/أ ، ١٣١/أ ، ١٦٢/ب ، ١٧١/أ إلخ .

يلقب الفخر الرازي بالإمام^(١) ، وقد ضمّن كتابه خلاصة ما ذكره الزمخشري والرازي ، وأبو حيان وغيرهم من أئمة التفسير ، وكأن السيوطي يريد أن يغني القارئ بهذا الكتاب وبغيره من كتبه عن بقية التفاسير^(٢) .

وأما بقية مصادره فهو يذكرها باسم المؤلف فقط دون ذكر اسم الكتاب أو الكتب التي نقل عنها أو أخذ منها فمثلاً يقول : أبو حيان ويذكر النص عنه أو الإمام أو الزمّلكاني وهكذا ، وهذه هي مصادره مرتبة - حسبما ذكرها السيوطي - على حروف المعجم .

١- الأخفش . ١٥- ابن الجوزي .

٢- الأزهرى . ١٦- الجوهرى .

٣- ابن إسحاق . ١٧- الجويني (إمام الحرمين) .

٤- ابن أبي الأصبع . ١٨- ابن أبي حاتم .

٥- الأصبهاني . ١٩- الحوفي .

٦- الأصمعي . ٢٠- الخوي .

٧- ابن الأعرابي . ٢١- ابن دريد .

٨- ابن الأنباري . ٢٢- الربيع بن أنس .

٩- أبو البقاء . ٢٣- الرّماني .

١٠- ابن برّجان . ٢٤- الزّجاج .

١١- التبريزي . ٢٥- الزّمّلكاني .

١٢- أبو جعفر بن الزبير . ٢٦- ابن زيد .

١٣- ابن جماعة . ٢٧- أبو زيد .

١٤- ابن جنّي . ٢٨- السّكاكي .

(١) انظر على سبيل المثال ق ٩٨/أ ، ١٥٩/ب ، ١٧٣/أ ، ١٨١/أ-ب ١٩٠/ب إلخ .

(٢) انظر مقدمته على أسرار التنزيل ، ق ٣/أ .

- ٢٩- السهيلي .
 ٣٠- سيويه .
 ٣١- ابن الشجري .
 ٣٢- أبو إسحاق الشيرازي .
 ٣٣- الطبري .
 ٣٤- الطوفي .
 ٣٥- الطيبي .
 ٣٦- أبو عبيدة .
 ٣٧- ابن العربي .
 ٣٨- العز بن عبد السلام .
 ٣٩- ابن عطية .
 ٤٠- ابن عقيل .
 ٤٢- أبو عمرو بن العلاء .
 ٤٣- الغزالي .
 ٤٤- ابن فارس .
 ٤٥- الفراء .
 ٤٦- الفريابي .
 ٤٧- ابن فورك .
 ٤٨- ابن قتيبة .
 ٤٩- القرطبي .
 ٥٠- القشيري .
 ٥١- القطب .
 ٥٢- قطرب .
 ٥٣- القفال .
 ٥٤- الكزّمانى .
 ٥٥- الكسائي .
 ٥٦- الليث .
 ٥٧- الماتريدي .
 ٥٨- الماوردي .
 ٥٩- المبرّد .
 ٦٠- مجاهد .
 ٦١- المُرسي .
 ٦٢- المروزي .
 ٦٣- المفضّل .
 ٦٤- المناوي .
 ٦٥- النّحاس .
 ٦- النّقاش .
 ٦٧- الهروي .
 ٦٨- الواحدي .
 ٦٩- القاضي أبو يعلى .
 ٧٠- يونس بن حبيب .

هذه هي جلّ مصادر السيوطي في كتابه ، ويلاحظ القارىء مدى سعة ثقافة السيوطي وقوة اطلاعه على المؤلفات ، إذ لم يقتصر في كتابه على كتب اللغة أو التفسير ، فحسب بل نوع مصادره بحيث ضم أكبر عدد من الكتب ومن مختلف العلوم والفنون ، ففيها اللغة والتفسير بأنواعه ، ومعاني القرآن وإعرابه والقراءات ، وكتب البلاغة والعقائد والتصوف وغيرها ، وهذا ما يعطي كتابه أهمية كبيرة ، بحفظ كثير من النصوص المنقولة عن أصول تكاد تكون مفقودة في زماننا أو في حكم النادر والمفقود وهو مع ذلك لا يدعي الاستيعاب . إذ قدرة البشر تقصر عن الإحاطة بأسرار هذا القرآن العظيم « كيف لا والإنسان محل الغفلة والنسيان ، ومعدن كلال الأذهان »^(١) وبالجمله فهو كتاب كثير الجمع ، عظيم النفع لا يستغني عنه باحث أو طالب علم ، حوى الكثير من المؤلفات التي سبقته ملح إضافات واستدراكات قيمة للسيوطي وبكتابه هذا فقد أغنى السيوطي المكتبة التفسيرية ، فبعد أن وضع كتابه في المأثور في التفسير ، صرف همّته إلى النوع الثاني من التفسير ، فوضع كتاباً في الاستنباط من القرآن وهو (الإكليل) شفعه بهذا الكتاب الذي راعى فيه فصاحة النظم القرآني وسر بلاغته مع بيان روعة إعجاز القرآن الكريم ، في تناسق آياته وترتيب سورته وائتلاف جملة وكلماته وليته أتم هذا الكتاب ، لكانت الفائدة به أكبر والنفع به أعظم ولأغنى الباحثين عن تتبع كثير من المؤلفات في هذا الفن .

رحم الله الإمام السيوطي وجزاه عن المسلمين خير الثواب جزاء ما قدم للعلم والعلماء . وأسكنه فسيح الجنان .

* * *

(١) أسرار التنزيل : المقدمة ق ٣/أ .

الباب الرابع

الإتقان في علوم القرآن

- تمهيد في تعريف علوم القرآن وبيان تاريخ
هذا الفن حتى عصر السيوطي .

- الفصل الأول : منهج السيوطي في كتابه الإتقان .

- الفصل الثاني : مصادره في هذا الكتاب .

- الفصل الثالث : المقارنة بين برهان الزركشي
وإتقان السيوطي

- الفصل الرابع : أثر الإتقان فيمن أتى بعده .

تمهيد

١- تعريف علوم القرآن :

علوم القرآن مصطلح علمي ، يدل على فنّ عظيم ، جليل ، وهو كالمقدمة لا بد منها لمن أراد دراسة القرآن الكريم وفهمه .

وهو بهذا مرّكب إضافي يشتمل على كثير من المعارف والفنون المتعلقة بالقرآن الكريم سواء كانت تخدم معاني القرآن مباشرة أو تحوم حوله ، أو تستمدّ منه وتستند إليه مثل علم أسباب النزول ، والمناسبات والقراءات وإعراب القرآن وإعجازه ، وسائر علوم اللغة والبلاغة وغير ذلك .

هذا هو المشهور عند الأقدمين ، إذ كل علم من هذه العلوم ، صنّف فيه العلماء كتباً كثيرة ، كلُّ تناول القرآن من زاويته الخاصة .

ثم نقل بعد ذلك من المعنى الإضافي وجعل علماً على الفن المدوّن ، الذي يجمع كل هذه العلوم أو الفنون في كتاب .

وبهذا المعنى الأخير ، لم أجد من تناول تعريف (علوم القرآن) من الأقدمين ، حتى جاء العلامة محمد عبد العظيم الزرقاني وتناول في مقدمته تعريف علوم القرآن وموضوعه وفائدته وتاريخه ، ولا أبالغ إذا قلت : إنه أول من تناول هذه المقدمات بالدراسة والبيان في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) . وكل من جاء بعده فقد أفاد منه وعوّل عليه .

وقد عرّف علوم القرآن بوصفه فناً مدوناً بأنه « مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه ، وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه . ونحو ذلك »^(١) .

(١) مناهل العرفان : ٢٠/١ .

ويمكن اختصار هذا التعريف مع الدلالة على مضمونه بـ : « مباحث كَلِيَّة تتعلق بالقرآن الكريم من عدة نواحٍ ، يمكن عدّ كل منها علماً قائماً بذاته » .
ومعلوم أن النواحي المتعلقة بالقرآن أو المباحث هي : نزول القرآن الكريم ، وجمعه ، وترتيبه ، وتدوينه ، ورسمه في المصاحف ، وأسباب نزوله ، وتناسب آياته وسوره ، وأساليب خطابه ، وناسخه ومنسوخه ، وإعجازه ، . . . ونحو ذلك .

٢- تاريخ علوم القرآن حتى عصر السيوطي :

كانت علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي الإضافي أول شيء ظهر في الإسلام وكانت العمدة فيها على التلقي والمشاهدة عن النبي ﷺ ، ثم تلقى الصحابة رضوان الله عليهم ذلك عن النبي ﷺ وتناقل التابعون ذلك عن الصحابة وهكذا .

لم تكن الحاجة ماسة في عصر الرسول ﷺ والصحابة إلى وضع تآليف في علوم القرآن . فقد كان النبي ﷺ إذا نزل عليه شيء من القرآن دعا كتاب الوحي فأملأه عليهم ، وعلمه أصحابه وفسره لهم ، وقد أوتي صحابة رسول الله ﷺ ذوقاً رفيعاً ، وذكاء وقادراً في فهم معاني آيات القرآن الكريم ، إذ كانوا عرباً خلصاً يتذوقون فصاحة النظم القرآني بفطرتهم السليمة النقية .

ويرى الأستاذ الدكتور نور الدين عتر أنّ علوماً كثيرة من علوم القرآن وجدت منذ عهد الصحابة وذكر منها :

١- رسم القرآن : لأن القرآن كان يكتب أمام النبي ﷺ والتزم المسلمون رسمه هذا في المصاحف العثمانية .

٢- علم التفسير ، من تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير النبي ﷺ ثم تفسير الصحابة لتلامذتهم .

٣- علم أسباب النزول ، فقد كان الصحابة يعاينون تلك الأسباب ويدركونها .

- ٤- المكي والمدني ، وذلك بمعينة الصحابة للتنزيل ثم بيانهم أمكنته وأزمته .
- ٥- علم الناسخ والمنسوخ .
- ٦- علم أحكام القرآن .
- ٧- علم تأويل مشكل القرآن .
- ٨- علم فضائل القرآن .
- ٩- الأحرف السبعة .
- ١٠- القراءات .
- ١١- المحكم والمتشابه .
- ١٢- علم القصص . وغير ذلك^(١) .

ولقد ظلت هذه العلوم تنقل بالتلقي والمشافهة إلى عهد الشيخين أبي بكر وعمر ، ولما بدأ اختلاط العرب بالأعاجم في خلافة عثمان ، خيف على القرآن الكريم من أن يختلف فيه المسلمون ، أمر عثمان رضي الله عنه أن يجمع القرآن في مصحف إمام ، وأن تنسخ منه مصاحف يبعث بها إلى الأمصار وأن يحرق الناس كل ما عداها .

وبصنيع عثمان رضي الله عنه هذا يكون قد وضع الأساس لما سمي فيما بعد « بعلم رسم القرآن أو علم الرسم العثماني » .

وكذلك الشأن لعلي رضي الله عنه فقد خاف على اللغة العربية من الضياع فأمر أبا الأسود الدؤلي (ت ٦٩ هـ / ٦٨٨ م)^(٢) أن يضع بعض القواعد للمحافظة على سلامة اللغة العربية من العبث والخلل فوضع ما يسمى « علم إعراب القرآن » .

(١) أ. د . نور الدين عتر ، القرآن الكريم والدراسات الأدبية (ط جامعة دمشق ، دمشق : ١٩٨٥ م) ص ١٧-١٨ .

(٢) واسمه ظالم بن عمرو بن ظالم ، انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٨٦-٨١ / ٤ ، وبغية الوعاة : ٢٣-٢٢ / ٢ .

فيمكنني أن أقول إن ما فعله عثمان وعلي رضي الله عنهما يعد مرحلة التمهيد لتدوين علوم القرآن ثم انتقلت هذه العلوم من التلقي الشفهي إلى التدوين ابتداء من منتصف القرن الثاني الهجري ، وكان علم التفسير أول هذه العلوم تدويناً لأنه أم العلوم القرآنية ولاحتوائه على كثير من فنون وعلوم القرآن فهو الجانب التطبيقي لها .

ثم تالت التأليف في فنون القرآن الأخرى ونشطت في القرن الثالث الهجري وأول ما وصل من ذلك مؤلفات تناولت نوعاً واحداً من أنواع علوم القرآن كـ :

١- مؤلف أبي عبيدة معمر بن المثنى : (ت ٢٠٩هـ / ٨٢٤م)^(١) ، المسمى (مجاز القرآن)^(٢) قال عنه ابن خیر الإشبيلي : « أول كتاب جمع في غريب القرآن ومعانيه »^(٣) .

٢- ومؤلف الأخفش ، سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ / ٨٣٠م) على الراجح^(٤) ، المسمى (معاني القرآن)^(٥) .

٣- ثم الفراء ، أبو زكريا ، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م)^(٦) في (معاني القرآن)^(٧) أيضاً ، وإنما ثنيت بالأخفش دون الفراء لأنني رأيت محقق

(١) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٢٥٨-٢٥٢ / ١٣ ، سير أعلام النبلاء ٩ / ٤٤٥-٤٤٧ والأعلام : ٢٧٢ / ٧ .

(٢) طبع بتحقيق محمد فؤاد سزكين في مؤسسة الرسالة ، بيروت : (ط ٢ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

(٣) فهرسة ابن خیر ، ص ١٣٤ .

(٤) انظر ترجمته في معجم الأدباء : ٢٢٤-٢٣٠ ، سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٢٠٦-٢٠٩ ، الأعلام : ٣ / ١٠١-١٠٢ .

(٥) وهو مطبوع عدة مرات ، منها بتحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ، في عالم الكتب ، بيروت ط ١ سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٦) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١٤٩-١٥٥ ، وسير أعلام النبلاء : ١٠ / ١١٨-١٢١ ، والأعلام : ٨ / ١٤٥-١٤٦ .

(٧) وقد طبع بتحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف النجّاتي في عالم الكتب ، بيروت ط ٣ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

كتاب الفراء ينقلان عن الخطيب البغدادي في تاريخه ، في صدد الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيد قوله : « إن أول من صَنَّف في ذلك - أي في معاني القرآن - من أهل اللغة أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ثم قطرب بن المستنير ثم الأخفش . وصنف من الكوفيين الكسائي ، ثم الفراء . . »^(١) ولم أجد هذا النص في أثناء ترجمته لأبي عبيد ؟ .

٤- ثم ألف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م)^(٢) في (النسخ والمنسوخ) و (القراءات) و (فضائل القرآن) .

٥- وألف علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م) شيخ البخاري في (أسباب النزول)^(٣) .

٦- ثم جاء ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)^(٤) وألف كتابه (تأويل مشكل القرآن)^(٥) وأردفه بكتاب آخر هو كالتممة له سماه (تفسير غريب القرآن)^(٦)

٧- ومحمد بن أيوب الضريس (ت ٢٩٤هـ / ٩٠٦م)^(٧) كتاب سماه (فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة)^(٨) .

(١) الفراء ، معاني القرآن ، تحقيق محمد علي النجار ، وأحمد يوسف النجاتي (ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت : ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ١٢ / ١ (مقدمة التحقيق) .

(٢) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٤٩٠-٥٠٩ ، والأعلام : ١٧٦ / ٥ .

(٣) سبقت الإشارة إليه عند حديثي عن أسباب النزول من هذه الكتاب .

(٤) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ١٠ / ١٧٠-١٧١ ، وسير أعلام النبلاء : ١٣ / ٢٩٦-٣٠٢ ، والأعلام : ١٣٧ / ٤ .

(٥) وهو مطبوع بتحقيق السيد أحمد صقر في المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط ٣ سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(٦) وقد قام بتحقيقه أيضاً السيد أحمد صقر وطبع في دار الكتب العلمية ، بيروت سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م وانظر مقدمة المحقق على كتاب تأويل مشكل القرآن ، ص ١٤ .

(٧) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٤٩ ، وشذرات الذهب : ٢ / ٦٤٣ .

(٨) وهو مطبوع بتحقيق غزوة بدير (ط ١ ، دار الفكر ، دمشق : ١٩٨٨م) .

٨- وفي أواخر القرن الثالث جاء الزجاج ، إبراهيم بن السري ، أبو إسحاق (ت ٣١١هـ/ ٩٢٣م) ^(١) . وألف كتابه (معاني القرآن وإعرابه) ^(٢) .

٩- ومع مطلع القرن الرابع الهجري ، جاء أبو بكر السجستاني ، محمد بن عزيز العيزي (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م) وصنف كتاباً في (غريب القرآن) أقام في تأليفه خمس عشرة سنة هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ^(٣) .

١٠- وفي القرن الخامس ألف المهدي أبو العباس أحمد بن عمار (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م) (الهداية في القراءات) و(ظاءات القرآن) .

وهكذا تتابعت المؤلفات في أنواع من علوم القرآن مثل أمثال القرآن ، أقسام القرآن ، جدل القرآن بدائع القرآن وأشباه ذلك .

١١- وجاء القرن السادس الذي يمكننا أن نعدّه أول قرن ولد فيه هذا العلم بالمفهوم الاصطلاحي (علوم القرآن) فقد ألف ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) ^(٤) . كتاب (فنون الأفنان . .) وقد كان يظن إلى أمد غير بعيد أن كتاب أبي بكر ابن الأنباري (عجائب علوم القرآن) هو أول المؤلفات في علوم القرآن ^(٥) ، ولكن بعد الدراسة والتحقيق والرجوع إلى مخطوط (عجائب علوم القرآن) المنسوب لابن الأنباري تبين أنه نسخة أخرى من نسخ كتاب ابن الجوزي (فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن) وإنما الخلاف في اختلاف التسمية فقط ^(٦) . كتاب (فنون الأفنان

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٣٦٠/١٤ ، والأعلام : ٤٠/١ .

(٢) طبع بتحقيق عبد الجليل عبده شلبي في عالم الكتب ، بيروت : ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

(٣) طبع بتحقيق أحمد عبد القادر صلاحية في دار طلاس ، دمشق : ١٩٩٣م .

(٤) سبق التعريف به عند الحديث عن الوجوه والنظائر .

(٥) انظر مقدمة د . حسن ضياء الدين عتر على (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) ص ٧٣-٧٤ ، وكتاب د . نور الدين عتر ، القرآن الكريم والدراسات والأدبية ص ١٨ ، ود . صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن (ط ٨) ، دار العلم للملايين ، بيروت : ١٩٧١م) ص ١٢٤ .

(٦) لمزيد من التفصيل راجع بحثي ، علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره وأول من ألف =

في عيون علوم القرآن^(١) . رجع إليه السيوطي وأفاد منه في كتابه الإتيقان^(٢) .

١٢- وقد اختصره وسماه (المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن) أو (في أنواع من العلوم)^(٣) وقد جمع فيه عشرين باباً من أبواب علوم القرآن هي :

- ١- الباب الأول : في فضائل القرآن .
- ٢- الباب الثاني : في أن القرآن كلام الله غير مخلوق .
- ٣- الباب الثالث : نزول القرآن على سبعة أحرف .
- ٤- الباب الرابع : كتابة المصحف وهجاؤه .
- ٥- الباب الخامس : عدد سور القرآن وآياته وحروفه .
- ٦- الباب السادس : أجزاء القرآن .
- ٧- الباب السابع : عدد آيات السور .
- ٨- الباب الثامن : القرائن من السور ، مثلاً سورة الفاتحة سبع آيات ومثلها الماعون ، والأنفال خمس وسبعون ومثلها الزمر
- ٩- الباب التاسع : المكي والمدني ، وأماكن التزول .
- ١٠- الباب العاشر : لغات غير العرب في القرآن الكريم أي (المعرب في القرآن) .

= فيه ، نشر في العدد الأول في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد ١٢ سنة ١٩٩٦م ، ص ١٤٥-١٨١ .

(١) وهو مطبوع بتحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر (دار البشائر ، بيروت : ١٩٨٧م) .

(٢) ٢٠-١ .

(٣) انظر كشف الظنون : ١٥٩٢/٢ . ومقدمة د . حسن ضياء الدين عتر على فنون الألفان ، ص : ١٢٠ .

- ١١- الباب الحادي عشر : الوقف والابتداء .
- ١٢- الباب الثاني عشر : الآيات المتشابهات ، وذكره بعنوان (من محاسن المتشابه) .
- ١٣- الباب الثالث عشر : الفرق بين التفسير والتأويل .
- ١٤- الباب الرابع عشر : من المتشابه وذكر فيه بعض الآيات المتشابهة .
- ١٥- الباب الخامس عشر : ذكر فيه أن إبدال الكلمة بكلمة من المتشابه مثل قوله (فسَوَاهُنَّ) وفي آية (فقضَاهُنَّ) .
- ١٦- الباب السادس عشر : ذكر فيه الحروف الزائدة والنواقص وعدها من المتشابه .
- ١٧- الباب السابع عشر : في المقدم والمؤخر من المتشابه .
- ١٨- الباب الثامن عشر : باب مفرد ذكر فيه الآيات التي ذكر فيها النفع قبل الضرّ واللعب قبل اللهو إلخ وسماه مفرد من المتشابه .
- ١٩- الباب التاسع عشر : جعله بعنوان مسائل يُعَايَا بها في المتشابه .
- ٢٠- الباب العشرون : ذكر الأوصاف التي شاركت أمتنا فيها الأنبياء .
- ١٣- وجاء القرن السابع فألّف علّم الدّين السّخاوي (ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)^(١) كتاباً في القراءات والتجويد والوقف والابتداء والناسخ والمنسوخ^(٢) ، سماه (جمال القراء وكمال الإقراء)^(٣) ، وقد أحال إليه السيوطي في مقدمة إتقانه وعده من جملة المصنفات في علوم القرآن^(٤) .

(١) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٢٢/٢٣ - ١٢٤ ، والأعلام : ٣٢٢/٤ .

(٢) انظر كشف الظنون : ٥٩٣/١ . والأعلام : ٣٢٢/٤ .

(٣) وهو مطبوع بتحقيق علي حسين البواب في دار التراث بمكة المكرمة سنة ١٩٨٧م .

(٤) الإتقان : ٢٠/١ .

١٤- وأبو شامة (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) ^(١) ، في (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز) ^(٢) ، وقد رجع إليه السيوطي وذكره في مقدمة الإتيان أيضاً ، وقال عنه وعن سابقه فيهما « طائفة يسيرة ونبذ قصيرة » ^(٣) من علوم القرآن وذلك بالمقارنة مع كتابه .

١٥- وفي القرن الثامن ألف بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م) ^(٤) ، كتابه (البرهان في علوم القرآن) ^(٥) وهو أشمل كتاب في علوم القرآن قبل كتاب السيوطي لاحتوائه على سبعة وأربعين نوعاً من علوم القرآن ، وقد أطلع السيوطي عليه وسرَّ به كثيراً ولم يمنعه ذلك من تأليف كتابه الإتيان . وسأعقد - فيما بعد - فصلاً للمقارنة بينه وبين الزركشي إن شاء الله تعالى .

ثم طلع القرن التاسع على هذا العلم فنما فيه وترعرع ، وكثرت التصانيف فيه .

١٦- فصنَّف جلال الدين البلقيني ، عبد الرحمن بن عمرو بن رسلان (ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م) ^(٦) كتابه (مواقع العلوم من مواقع النجوم) وقد عدّه

(١) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي . انظر ترجمته في غاية النهاية : ٣٦٥-٣٦٦ ، وبغية الوعاة : ٧٨-٧٧/٢ ، والأعلام : ٢٩٩/٣ .

(٢) وهو مطبوع بتحقيق طيار آلتي قولاج ، في دار صادر ، بيروت : ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

(٣) الإتيان : ٢٠/١ .

(٤) انظر ترجمته في الدرر الكامنة : ٣٩٧/٣ ، النجوم الزاهرة : ١٢/١٣٤ ، حسن المحاضرة ١/٤٣٧ ، ومقدمة يوسف المرعشلي في تحقيقه لكتاب الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١/١٢ .

(٥) طبع الكتاب بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ط ٢ سنة ١٩٧٢م ، وأعاد تحقيقه والتعليق عليه يوسف المرعشلي وآخرون وطبع في دار المعرفة ، بيروت سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

(٦) وهو شقيق شيخه علم الدين البلقيني ، انظر ترجمته في الضوء اللامع : ١٠٦-١١٣ وحسن المحاضرة : ١/٤٣٨-٤٣٩ .

السيوطي أول من دوّن هذا العلم في كتاب (١).

١٧- ثم ألف شيخ السيوطي محي الدين الكافيجي ، محمد بن سليمان (ت ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) كتابه (التيسير في قواعد علم التفسير) (٢) ، ونقل السيوطي عنه قوله إنه لم يسبق إليه (٤) .

١٨- ثم جاء السيوطي فوجد أمامه هذا الكمّ من المؤلفات في علوم القرآن بالمعنى اللغوي والاصطلاحي فلم يرقه كل ذلك ولم يثن عزمه عن التأليف في هذا الفن (علوم القرآن) فوضع كتابين أكثر جمعاً واستيعاباً أولهما (التحرير في علوم التفسير) (٥) .

١٩- و (الإتقان في علوم القرآن) الذي هو موضوع هذا الباب .

وثمة مؤلفات أخرى نجدها قد عنونت بـ « علوم القرآن » أو « علوم التنزيل » ككتاب أبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م) (٦) (المختزن في علوم القرآن) (٧) ، وكتاب ابن المرزبان محمد بن خلف (ت ٣٠٩هـ/ ٩٢١م) (٨) (الحاوي في علوم القرآن) (٩) وكتاب الحوفي علي بن إبراهيم

(١) الإتقان : ١٠٩/١ .

(٢) سبقت ترجمته في أثناء الحديث عن شيوخه .

(٣) سبقت الإشارة إلى أنه مطبوع بتحقيق إسماعيل جراح أوغلي ، بكلية الإلهيات بجامعة أنقرة في تركيا : ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م ، وحققه ناصر بن محمد المطرودي وقدمه رسالة ماجستير وطبع في دار القلم بدمشق ودار الرفاعي بالرياض سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

(٤) الإتقان : ٧/١ ، وبغية الوعاة : ١١٨/١ .

(٥) طبع بتحقيق فتحي عبد القادر في لاهور سنة ١٤٠٢هـ ، ثم أعاد طبعه في مكتبة دار العلوم بالرياض سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

(٦) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ٨٥/١٥ ، والأعلام : ٢٦٣/٤ .

(٧) انظر صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٢ .

(٨) انظر ترجمته في تاريخ بغداد : ٢٣٨-٢٣٧/٥ ، وسير أعلام النبلاء : ٢٦٤-٢٦٥ .

(٩) ذكره ابن النديم في الفهرست : ٢١٣-٢١٤ ، والزركلي في الأعلام : ١١٥/٦ .

(ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) (البرهان في علوم القرآن)^(١) . وكتاب أبي العباس أحمد بن عمّار المهدوي (ت ٤٣٠هـ / ١٣٠٨م) (التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) الذي اختصره في كتابه (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل)^(٢) .

وغيرها من المصنفات التي لا يمكن أن تعدّ في (علوم القرآن) في مصطلحه المتعارف عليه اليوم وإنّما هي كتب في التفسير اتّبع فيها مؤلفوها منهجاً فريداً في عرض الآيات وتفسيرها أشبه ما يكون بمنهاج المفسرين في عصرنا الحاضر فمثلاً نجد المهدوي في كتابيه يقسم الآيات إلى مقاطع كل منها في حدود العشرين آية - تزيد أو تنقص حسب الموضوع - فيقول : القول في قوله تعالى (. .) ويذكر الآيات ثم يقول : « الأحكام والنسخ » فيذكرها ، ثم يقول : « القول في التفسير » ثم : « القراءات » ثم « الإعراب » ثم « عدّ الآي » . إلخ^(٣) .

وقد تناول الكثير من المفسرين في مقدمات تفاسيرهم الكثير من أنواع علوم القرآن مثل مقدمة الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) على تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ومقدمه ابن عطية (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) على تفسيره (المحرّر الوجيز) والقرطبي (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) على تفسيره (الجامع

(١) مناهل العرفان : ٢٨-٢٧/١ . وقد ذكره حاجي خليفة بعنوان (البرهان في تفسير القرآن) انظر كشف الظنون ١/ ٢٤١ .

(٢) وقد منّ الله عليّ بأن قمت بتحقيق الجزء الأول منه إلى سورة البقرة ونلت به درجة الماجستير من كلية الشريعة بالجامعة الأردنية بإشراف الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس سنة (١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) . وأما كتاب التفصيل فيوجد منه الجزء الأول إلى سورة براءة مخطوطاً في مكتبة باريس برقم (٥٩٤) .

(٣) انظر منهجه بالتفصيل في مقدمتي على كتابه (التحصيل . .) ص : ٢٥-٢٦ . ووازن بما ذكره الزرقاني في مناهل العرفان : ٢٨/١ عن منهج الحوفي في كتابه (البرهان) .

لأحكام القرآن) وابن جُزَيِّ (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م) على كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) ومحمد الطاهر بن عاشور على تفسيره (التحرير والتنوير) فقد ذكر فيه عشر مقدمات مفيدة جداً وكذلك أ. د . وهبة الزحيلي على كتابه (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) فقد ذكر فيه بعض المعارف الضرورية المتعلقة بالقرآن الكريم وغيرهم .

* * *

الفصل الأول

منهج السيوطي في كتابه الإتقان

- ١- تعريف بكتاب الإتقان .
- ٢- منهج السيوطي في كتاب الإتقان .
- ٣- أهم اختيارات السيوطي ومناقشتها .

١- التعريف بهذا الكتاب

قسم السيوطي كتابه (الإِتقان) إلى مقدمة وثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن وخاتمة ، ذكر في مقدمته سبب ومراحل تأليف هذا الكتاب ، فقد تعجب من العلماء السابقين أنهم لم يدونوا كتاباً في علوم القرآن كما فعلوا ذلك بالنسبة إلى علوم الحديث ، ومن هذا المنطلق فقد لمعت بذهنه بوادر وضع كتاب في هذا الموضوع ، وبدأ يبحث ويجمع ما يتوافر لديه من معلومات ومصادر حول ذلك ، فسمع من شيخه الكافيحي أنه قد دَوَّن في علوم التفسير كتاباً لم يسبق إليه ، فكتبه عنه ، فوجده صغير الحجم وحاصل ما فيه بابان :

الأول : في ذكر معنى التفسير والتأويل والقرآن والسورة والآية .

والثاني : في شروط القول فيه بالرأي .

وبعدهما خاتمة في آداب العالم والمتعلم .

فلم يرو له غِلَّة ، حتى اطلع على كتاب جلال الدين البلقيني (مواقع العلوم من مواقع النجوم) فوجده أضخم حجماً من الأول وأكثر مادة ، وخيراً منه ترتيباً وتبويباً وتحريراً ، وقد قسمه ستة أقسام :

- القسم الأول : مواطن النزول وأوقاته ووقائعه ، وفي ذلك اثنا عشر نوعاً

كالمكي والمدني ، السفري ، الحضري ، الليلي ، النهاري ، الصيفي ، الشتائي ، الفراشي والنومي ، أسباب النزول ، أول ما نزل ، آخر ما نزل .

- القسم الثاني : السند وهو ستة أنواع كالمتواتر والآحاد والشاذ ، قراءات

النبي ﷺ ، الرواة ، الحفاظ .

- القسم الثالث : الأداء : وهو ستة أنواع كالوقف والابتداء ، والإمالة ،

المد ، تخفيف الهمزة ، الإدغام .

- القسم الرابع : الألفاظ ، وهو سبعة أنواع ، الغريب ، المعرّب ، المجاز ، المشترك ، المترادف ، الاستعارة ، التشبيه .

- القسم الخامس : المعاني المتعلقة بالأحكام وهو أربعة عشر نوعاً ، العام الباقي على عمومته ، العام المخصوص ، العام الذي أريد به الخصوص ، ما خص فيه الكتاب السنة ، ما خصت فيه السنة الكتاب ، المجل ، المبين ، المؤول ، المفهوم ، المطلق ، المقيد ، الناسخ والمنسوخ ، نوع من الناسخ والمنسوخ ، وهو ما عمل به من الأحكام مدّة معيّنة والعامل به واحد من المكلفين .

- القسم السادس : المعاني المتعلقة بالألفاظ وجعله خمسة أنواع كالفصل والوصل ، والإيجاز ، الإطناب ، القصر ، إلى غير ذلك من الأنواع التي لا تدخل تحت الحصر كالأسماء والكنى والألقاب والمبهمات^(١) وقد عدّ في كتابه نيفاً وخمسين نوعاً من أنواع علوم القرآن تقريباً .

كل ذلك حفز همّة السيوطي إلى وضع كتاب لهذه المسائل ، يكون أكثر جمعاً وترتيباً وأعظم نفعاً وتبويهاً ، فوضع كتاباً سماه (التحبير في علوم التفسير) اعتمد فيه على كتاب البلقيني السابق الذكر (مواقع العلوم) وأضاف إليه مهمّات لم يستوف البلقيني الكلام عليها ، وقسمه إلى أنواع بلغت (١٠٢) نوع .

ذكر في النوع الأول إلى العشرين ما يتعلق بالنزول وقال : « وزوائد - أي على كتاب البلقيني - ثمانية أنواع . وهي : ما عرف وقت نزوله عاماً وشهراً ويوماً وساعة .

قال السيوطي : « وإن شئت فترجمه بتاريخ النزول وهو النوع الرابع عشر » .

(١) مقدمة الإتقان : ٩/١ .

الخامس عشر : ما أنزل فيه ولم ينزل على أحد من الأنبياء .

السادس عشر : ما أنزل منه على الأنبياء قبل .

السابع عشر : ما تكرر نزوله .

الثامن عشر : ما نزل مفرقاً .

التاسع عشر : ما نزل جمعاً .

العشرون : كيفية النزول .

ولعله أراد أن يقسم النوع الخامس عشر نوعين حتى ذكر زوائده ثمانية أنواع^(١) . ثم ذكر الأنواع المتعلقة بالأداء قال : « وزوائد منها ثلاثة »^(٢) وهي الإخفاء والإقلاب ومخارج الحروف من النوع السادس والثلاثين إلى الثامن والثلاثين .

ثم الأنواع المتعلقة بالألفاظ وزوائده خمسة وهي : « النوع الرابع والأربعون والخامس والأربعون (المحكم والمتشابه) والسادس والأربعون ، (المشكل) والسابع والأربعون : (المجمل) والثامن والأربعون (المبين) والحادي والخمسون والثاني والخمسون (الكناية والتعريض) »^(٣) .

ثم الأنواع المتعلقة بالأحكام ، وفيها من زوائده نوع واحد وهو (ما كان واجباً على واحد فقط)^(٤) .

ثم الأنواع المتعلقة بالألفاظ وزياداته فيها كثيرة وهي :

النوع التاسع والستون : (الأشباه) والمراد به الآيات المتشابهة^(٥) ،

(١) السيوطي ، التعبير في علوم التفسير ، تحقيق فتحي عبد القادر فريد (ط دار العلوم ، الرياض : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ص ٣١ .

(٢) م . ن : ٣٢ .

(٣) م . ن : ٣٣ .

(٤) م . ن : ٢٦٣ .

(٥) م . ن : ٢٧١ .

والثالث والسبعون : « الاحتباك »^(١) والرابع والسبعون : « القول بالموجب »^(٢) والخامس والسبعون : « المطابقة »^(٣) ، والسادس والسبعون : « المناسبة »^(٤) ، والسابع والسبعون : « المجانسة »^(٥) ، والثامن والسبعون : والتاسع والسبعون : « التورية والاستخدام »^(٦) والثمانون : « اللف والنشر »^(٧) والحادي والثمانون : « الالتفات »^(٨) والثاني والثمانون : « الفواصل والغايات »^(٩) ، والثالث والرابع والخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع والثمانون : « أفضل القرآن وفاضله ومفضوله ، ومفردات القرآن ، والأمثال ، وآداب القارئ والمقارئ »^(١٠) .

والتسعون والحادي والتسعون والثاني والتسعون والثالث والرابع والخامس والسادس والتسعون : « آداب المفسر ومن يقبل تفسيره ومن يُرد ، وغرائب التفسير ، ومعرفة المفسرين ، وكتابة القرآن ، وتسمية السور ، وترتيب الآي والسور »^(١١) .

ثم التطابق في الأسماء والكنى والألقاب والمبهمات وهي تنمة الأنواع حتى المئة .

وأخيراً زاد السيوطي « أسماء من نزل فيهم القرآن » ، في النوع الحادي

(١) م . ن : ٢٨٢ .

(٢) م . ن : ٢٨٥ .

(٣) م . ن : ٢٨٧ .

(٤) م . ن : ٢٨٩ .

(٥) م . ن : ٢٩٢ .

(٦) م . ن : ٢٩٦ .

(٧) م . ن : ٢٩٨ .

(٨) م . ن : ٢٩٩ .

(٩) م . ن : ٣٠٣ .

(١٠) م . ن : ٣٠٥-٣٢٢ .

(١١) م . ن : ٣٢٣-٣٧٧ .

والمئة ، و« التاريخ » في النوع الثاني بعد المئة^(١) وبهذا تتم أنواع الكتاب وزياداته فيه على البلقيني خمسون نوعاً كما قال في خاتمة مقدمته على التحبير : « فهذه مئة نوع ونوعان ، زوائد منها خمسون نوعاً »^(٢) وهو يشير إلى هذه الزوائد في بداية كل نوع كان من زياداته . وقد أتم السيوطي هذا الكتاب سنة (٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م)^(٣) ، وكان في ريعان الشباب لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره . وقد نال هذا الكتاب عناية العلماء واهتمامهم فتناقلوه وكتبوه عنه^(٤) .

لم يقنع السيوطي بهذا الكتاب كيف لا وقد تكاملت لديه أدوات البحث وتبحّر في الكثير من العلوم والفنون ، وقد فطره الله تعالى على حب الاستيعاب والجمع ، وهو الذي يراه من أكد الواجب والفرض^(٥) ، فخطر له أن يؤلّف كتاباً أكثر بسطاً وجمعاً ، وأفضل ضبطاً واستقصاءً ، من كتابه السابق ، فبينما هو متردد في هذا الأمر ، يقلّبه على وجوهه ، ظانّاً أنه أسبق الناس إليه ، بلغه أن الزركشي قد وضع كتاباً حافلاً على هذا المنوال سمّاه (البرهان في علوم القرآن) فاطلّع عليه وحمد ما فيه وسرّ به كثيراً ، ولكن لم يمنعه هذا من المضيّ إلى ما أقدم عليه ، بل كان أكثر حافزاً وأعظم تشجيعاً لإبراز ما أضمره ، فشد الحزم ، وبذل الجهد في إنشاء ما قصد فوضع : « هذا الكتاب العليّ الشأن ، الجليّ البرهان ، الكثير الفوائد والإتقان »^(٦) وجعله مقدمة للتفسير الكبير الذي شرع فيه وهو (مجمع البحرين ومطلع البدرين . .)

(١) م . ن : ٤٤١ .

(٢) م . ن : ٣٦ .

(٣) التحبير : ٤٤٦ ، والإتقان : ١٣ / ١ .

(٤) الإتقان : ١٣ / ١ .

(٥) الكاوي في تاريخ السخاوي (ضمن شرح مقامات السيوطي) ٩٥١ / ١ .

(٦) الإتقان : ١٦ / ١ .

وقد قسمه إلى ثمانين نوعاً^(١) ، كل نوع منها يصلح أن يفرد بالتأليف ، وقد ألف السيوطي نفسه كتباً مستقلة ببعض أنواع العلوم التي ذكرها في كتابه^(٢) .

وفي الخاتمة بين الجهود التي بذلها في إنجاز هذا الكتاب « البديع المثال ، المنيع المثال ، الفائق بحسن نظامه على عقود اللال »^(٣) ثم ذكر حال عصره وما كان يعانيه من أقرانه وحساده ، فالله حسبي وحسبه .

ولم يذكر تاريخ إنجاز هذا الكتاب كما فعل في (التحبير) ، وإنما يُستأنس بما ذكره أحد محققي الكتاب وهو محمد أبو الفضل إبراهيم من أنه رجع إلى نسخة خطية نادرة نسخها تلميذ السيوطي « جرامرد الناصري » راوي كتبه وناسخها ، كتبها سنة (٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) . ثم قرأها على السيوطي وأجازه بها^(٤) . فيفهم من هذا أن السيوطي ألف كتابه هذا قبل عام (٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) بقليل^(٥) . فيكون ما بين الكتابين - التحبير والإتقان - زهاء عشر سنوات تقريباً .

وعلى الرغم من أن كتاب (التحبير) قد حوى كما ذكر السيوطي (١٠٢) نوع من أنواع علوم القرآن إلا أن (الإتقان) الحاوي على (٨٠) نوعاً فقط ، أشمل منه وأوسع وقد تضمن أنواعاً لم تذكر في (التحبير) كالنوع التاسع والثلاثين : في « الوجوه والنظائر » والثاني والستين : « في مناسبة الآيات والسور » والرابع والستين في : « إعجاز القرآن » والخامس والستين في

(١) سيرد ذكرها كاملة في الفصل الثالث من هذا الكتاب عند المقارنة مع البرهان للزركشي إن شاء الله تعالى .

(٢) وقد مر الكثير منها في هذا الكتاب كأسباب النزول ، والمناسبات ، والمبهمات إلخ .

(٣) الإتقان : ١٢٩٠ / ٢ .

(٤) انظر نص الإجازة في مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم على الإتقان في علوم القرآن (ط . إيران ، ١٣٤١هـ . ش) ١٢ / ١ .

(٥) جاء في برنامج المكتبة العبدلية والصادقية ١٢ / ١ ، أن السيوطي فرغ منه يوم السبت ٢٣ / شوال / سنة ٨٧٨هـ .

« العلوم المستنبطة من القرآن » والسابع والستين في « أقسام القرآن » والثامن والستين في « جدل القرآن » والثمانين في « طبقات المفسرين » وأما كثرة الأنواع في (التحبير) فتعود إلى طبيعة التقسيم للأنواع فهو يعطي رقماً أو نوعاً لكل مسألة من المسائل المتعلقة بعلوم القرآن فمثلاً يقول : النوع الأول والثاني : « المكي والمدني » فيجعلهما نوعين بينما هما في الإتيان نوع واحد وكذلك الشأن بالنسبة للنوع الثالث والرابع : « الحضري والسفري » ، والخامس والسادس « النهاري والليلي » والسابع والثامن : « الصيفي والشتائي » والتاسع والعاشر : « الفراشي والنومي » فكل نوعين من ذلك يجعلهما في الإتيان نوعاً واحداً فيقول مثلاً : النوع الثاني : « معرفة الحضري والسفري » ، النوع الثالث : « النهاري والليلي » الرابع : « الصيفي والشتائي » ، الخامس « الفراشي والنومي » السادس : « الأرضي والسماوي » إلخ .



٢- منهج السيوطي في كتابه الإتقان

لم يفصح السيوطي في مقدمة كتابه عن منهجه في هذا الكتاب ، وقد ذكرت فيما سبق أن السيوطي قسّم كتابه ثمانين نوعاً من أنواع علوم القرآن والناظر في ترتيب هذه الأنواع بتمعّن يدرك أن السيوطي لم يذكرها عبثاً وإنما رتبها بطريقة معيّنة ، وقد لمح إلى ذلك بقوله عندما أطلع على كتاب (البرهان) : « ورّبت أنواعه ترتيباً أنسب من ترتيب (البرهان) »^(١) . ولعله راعى في ترتيبه الأنواع ، التسلسل المنطقي والتدرج الزمني لأنواع علوم القرآن من بداية نزوله حتى تفسيره وشروط المفسر وطبقات المفسرين . فقد ذكر في النوع الأول إلى السادس عشر ما يتعلق بنزوله وفي السابع عشر وما بعده حتى الخامس والثلاثين ما يتعلق بجمع القرآن وعدد سوره وآياته وطريقة تحمله وأدائه وقراءته وآداب تلاوته ، ثم الأنواع المعينة على فهم القرآن من بيان غريبه واللغات في وجوهه ونظائره وإعرابه وما يتعلق بذلك من قواعد يحتاج إليها المفسر من النوع السادس والثلاثين إلى الثاني والأربعين . وبعد ذلك تكلم عن القواعد الأصولية من المحكم والمتشابه والعام والخاص والمطلق والمقيّد وما شابه ذلك ، وذلك من النوع الثالث والأربعين حتى الحادي والخمسين .

وأردفها بالنواحي البلاغية التي تضمنها الكتاب العزيز من الحصر والاختصاص ، والتشبيه والاستعارة ، وبديع القرآن إلخ ، من النوع الثاني والخمسين إلى التاسع والخمسين منه ، ثم يتكلم عن إعجاز القرآن وذلك بارتباط آياته وسوره وما يستنبط منه من قواعد وأحكام وما شابه ذلك ، وهذا من النوع الستين إلى الحادي والسبعين ، وإذا تم ذلك فلا بد من الكلام عن

(١) الإتقان : ١٦/١ .

فضائل القرآن ومعرفة تأويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة إليه ومن هو المفسر وطبقات المفسرين وهو النوع الثمانون وبهذا يختم الكتاب .

وهو يذكر النوع ثم الذي يليه لارتباط بينهما ، فمثلاً في النوع التاسع والعشرين في (بيان الموصول لفظاً ، المفصول معنى) قال : « . . وهو أصل كبير في الوقف ، ولهذا جعلته عقبه »^(١) ، ويقصد عقب النوع الثامن والعشرين وهو معرفة الوقف والابتداء .

ومن الملاحظ أن السيوطي كان قد راعى هذا الترتيب سابقاً في كتابه (التعبير) وبشيء من الوضوح والتفصيل فقال عن الأنواع الأولى منه حتى العشرين « وهذه كلها متعلقة بالنزول » وقال عن التي تليها : « وهذه متعلقة بالأداء » وعن التي تليها « هذه الأنواع متعلقة بالألفاظ » وعن التي تليها قال : « وهذه متعلقة بالمعاني المتعلقة بالأحكام » وهكذا يذكر تحت كل قسم عدداً معيناً من الأنواع المتقاربة في موضوعها^(٢) .

وخلاصة القول : فإن السيوطي قد حصر أنواع كتابه الثمانين ضمن ستة أقسام رئيسة تبعاً لجلال الدين البلقيني ، وبالإمكان حصر هذه الأنواع ضمن قسمين رئيسين كما فعل شيخه الكافيجي ، وهذان القسمان هما :

أولاً- ما هو خاص بعلوم القرآن يندرج تحت هذا القسم الأنواع التالية :

١- المكي والمدني .	٥- الفراشي والنومي .
٢- الحضري والسفري .	٦- الأرضي والسماوي .
٣- النهاري والليلي .	٧- أول ما نزل .
٤- الصيفي والشتائي .	٨- آخر ما نزل .

(١) الإتيان : ٢٨٠/١ وانظر أيضاً النوع الأربعين : ٤٦١/١ وارتباطه بالذي قبله : ٤٤٥/١ .

(٢) انظر مقدمة التعبير : ص ٣٦٣٠ .

- ٩- أسباب النزول .
- ١٠- ما نزل على لسان بعض الصحابة .
- ١١- ما تكرر نزوله .
- ١٢- ما تأخر حكمه عن نزوله ، وما تأخر نزوله عن حكمه .
- ١٣- ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً .
- ١٤- ما نزل مشيئاً وما نزل مفرداً .
- ١٥- ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ .
- ١٦- كيفية إنزاله .
- ١٧- معرفة أسمائه وأسماء سورة .
- ١٨- جمعه وترتيبه .
- ١٩- عدد سورة وآياته وكلماته وحروفه .
- ٢٠- حفاظه ورواته .
- ٢١- العالي والنازل .
- ٢٢- معرفة المتواتر .
- ٢٣- المشهور .
- ٢٤- الأحاد .
- ٢٥- الشاذ .
- ٢٦- الموضوع .
- ٢٧- المدرج .
- ٢٨- الوقف والابتداء .
- ٢٩- الموصول لفظاً المفصول معنى .
- ٣٠- الإمالة والفتح وما بينهما .
- ٣١- الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب .
- ٣٢- المد والقصر .
- ٣٣- تخفيف الهمزة .
- ٣٤- كيفية تحمّله .
- ٣٥- آداب تلاوته .
- ٣٦- معرفة غريبه .
- ٣٧- فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز .
- ٣٨- فيما وقع فيه بغير لغة العرب .
- ٣٩- الوجوه والنظائر .
- ٤٠- معاني الأدوات التي يحتاج إليها المفسر .
- ٤١- إعرابه .
- ٤٢- قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها .
- ٤٣- المحكم والمتشابه .
- ٤٤- مقدّمه ومؤخره .
- ٦٠- فواتح السور .
- ٦١- خواتم السور .
- ٦٢- مناسبة الآيات والسور .

- ٦٣- الآيات المشتبهات .
 ٧٢- فضائل القرآن .
 ٦٤- إعجاز القرآن .
 ٧٣- أنضل القرآن وفاضله .
 ٦٥- العلوم المستنبطة من القرآن .
 ٧٤- مفردات القرآن .
 ٦٦- أمثاله .
 ٧٥- خواصه .
 ٦٧- أقسامه .
 ٧٦- رسوم الخط وآداب كتابته .
 ٦٨- جدله .
 ٧٧- معرفة تفسيره وتأويله .
 ٦٩- الأسماء والكنى والألقاب .
 ٧٨- شروط المفسر وآدابه .
 ٧٠- مبهمات .
 ٨٩- غرائب التفسير .
 ٧١- أسماء من نزل فيهم القرآن .
 ٨٠- طبقات المفسرين .

ثانياً- ما يتعلق بعلوم أخرى ويتضمن :

أ- ما يتعلق بأصول الفقه : ويندرج تحته الأنواع التالية :

- ٤٥- خاصة وعامة .
 ٤٩- مطلقه ومقيده .
 ٤٦- مجملة ومبينة .
 ٥٠- منطق ومفهومه .
 ٤٧- ناسخة ومنسوخة .
 ٥١- وجوه مخاطباته .
 ٤٨- مشكله وموهم الاختلاف والتناقض .

ب- ما يتعلق بعلوم اللغة : ويندرج تحته الأنواع التالية :

- ٥٢- حقيقته ومجازه .
 ٥٦- الإيجاز والإطناب .
 ٥٣- تشبيهه واستعارته .
 ٥٧- الخبر والإنشاء .
 ٥٤- كنياته وتعريضه .
 ٥٨- بدائع القرآن .
 ٥٥- الحصر والاختصاص .
 ٥٩- فواصل الآي .

أما منهجه العام في عرضه لأنواع علوم القرآن فيتمثل في :

١- ذكر عنوان النوع ثم من ألف فيه وأسماء كتبه ، وأول من صنف فيه وأحياناً ينقد هذه الكتب ، وإن كانت له مؤلفات في هذا النوع أشار إليها .

٢- ثم يبدأ بتعريف هذا النوع ، وفائدته ، ثم يعرض مسائله وبحوثه ، ذاكراً الأقوال التي قيلت فيه ، مكثراً من النقل عن العلماء ، مسنداً كل قول إلى قائله غالباً ، أو إلى الكتب التي وردت فيها في أكثر الأحيان .

٣- وليس السيوطي في أخذه عن العلماء مجرد ناقل فحسب ، بل له آراؤه الخاصة وترجيحاته وانتقاداته لكثير من الأقوال مدعماً رأيه بالدليل ، مستشهداً على ذلك بالقرآن والحديث وأقوال العلماء ، ثم يضيف على الموضوع ما توصل إليه علمه بقوله « فائدة : أو تنبيه أو مسألة أو قاعدة » . معتمداً في بيان كل ذلك على طريقة الحوار فيقول : « فإن قلت ، قلت » .

وسأوضح ذلك بالأمثلة :

ففي النوع الأول من كتابه وهو عن المكي والمدني قال : النوع الأول : في معرفة المكي والمدني .

أفرده بالتصنيف جماعة ، منهم مكّي والعز الديري ، ومن فوائده معرفة ذلك العلم المتأخر ، فيكون ناسخاً أو مخصصاً على رأي من يرى تأخير المخصص .

ثم نقل كلاماً طويلاً عن ابن حبيب النيسابوري فقال : « قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن) من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة ، وما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكّي ، وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، وما يشبه نزول المكّي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكّي وما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً وما نزل مشيئاً وما نزل مفرداً ، والآيات المدنيات في السور المكية

والآيات المكيات في السور المدنية ، وما حمل من مكة إلى المدينة وما حمل من المدينة إلى مكة ، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة وما نزل مجملاً ، وما نزل مفسراً ، وما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم مدني وبعضهم مكّي .

فهذه خمسة وعشرون وجهاً من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى . انتهى .

هنا علق السيوطي قائلاً : « وقد أشبعت الكلام على هذه الأوجه فمنها ما أفردته بنوع ، ومنها ما تكلمت عليه في ضمن بعض الأنواع »^(١) . ثم نقل عن ابن العربي قوله في كتابه (الناسخ والمنسوخ) : « الذي علمناه على الجملة من القرآن أن منه مكياً ومدنياً ، وسفرياً وحضرياً ، وليلياً ونهارياً وسمائياً وأرضياً ، وما نزل بين السماء والأرض ، وما نزل تحت الأرض في الغار »^(٢) . ثم ذكر ثلاثة ضوابط للمكي والمدني نقلها عن ابن النقيب في مقدمة تفسيره . فقال : اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة :

أشهرها : أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بمكة أم بالمدينة ، عام الفتح أو عام حجة الوداع ، أم بسفر من الأسفار ، ثم ذكر أثرأ عن يحيى بن سلام فقال : أخرج عثمان بن سعيد الداني^(٣) بسنده إلى يحيى بن سلام قال : ما نزل بمكة ، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة ، فهو من المكي ، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني^(٤) . وهنا علق السيوطي قائلاً : « وهذا أثر

(١) الإتيان : ٢٥ / ١ .

(٢) م . ن : ٢٦ / ١ .

(٣) وقع في طبقات الكتاب (أخرج عثمان بن سعد الرازي) وهو تحريف ، انظر طبعة محمد أبو الفضل إبراهيم ٣٧ / ١ ، وط . د . مصطفى البغا : ٢٦ / ١ ، والطبعة المصرية القديمة بهامشها إعجاز القرآن للباقلاني : ٩ / ١ .

(٤) انظر مختصر تفسير يحيى بن سلام ، هود بن محكم الهواري ، تفسير الكتاب العزيز (ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت : ١٩٩٠ م) ٦٩ / ١ .

لطيف ، يؤخذ منه : أن ما نزل في سفر الهجرة مكى اصطلاحاً .

الثاني : أن المكى ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا تثبت الوساطة ، فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكى ولا مدني .

وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم ، عن عفير بن معدان عن ابن عامر عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ : مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ وَالشَّامَ» (١) .

قال الوليد : يعني بيت المقدس ، وقال الشيخ عماد الدين ابن كثير : بل تفسيره بتبوك أحسن .

« قلت : - أي السيوطي - ويدخل في مكة ضواحيها ، كالمزّل بمنى وعرفات والحديبية ، وفي المدينة ضواحيها ، كالمزّل ببدر وأحد وسَلْع » (٢) .

الثالث : أن المكى ما وقع خطاباً لأهل مكة والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ، وحمل على هذا قول ابن مسعود الآتي . ثم نقل عن القاضي أبي بكر المرجع في معرفة المكى والمدني فقال : « قال القاضي أبو بكر في (الانتصار) : إنما يرجع في معرفة المكى والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين ، ولم يرد في ذلك قول لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ والمنسوخ ، فقد يعرف ذلك بغير نص الرسول ﷺ « انتهى » . ثم ذكر السيوطي بعض الآثار الدالة على ما تقدم فقال : « أخرج البخاري عن ابن مسعود أنه قال : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأي نزلت » (٣) وقال أيوب : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن ، فقال : نزلت في سفح ذلك الجبل ، وأشار إلى سَلْع . أخرجه أبو نُعيم في (الحلية) ثم ذكر عدة آثار وردت عن ابن

(١) قال الهيثمي : ١٥٧/٧ رواه الطبراني وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف ، انظر الهيثمي

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ط ٢ ، دار الكتاب ، بيروت : د . د . ١٥٧/١) .

(٢) م . ن ٢٧/١ . وسَلْع جبل بالمدينة المنورة . انظر لسان العرب : « سَلْع » .

(٣) البخاري في فضائل القرآن ، باب : القراء من أصحاب النبي ﷺ رقم (٤٧١٦) بنحوه .

عباس وغيره في عد المكي والمدني وقال : وأنا أسوق ما وقع لي من ذلك ، ثم أعقبه بتحرير ما اختلف فيه ، وفي الفصل الذي جعله للسور المختلف فيها أحال على ما سيأتي بالتفصيل فقال : « سورة الفاتحة : الأكثرون على أنها مكية ، بل ورد أنها أول ما نزل كما سيأتي في النوع الثامن^(١) » ثم ذكر بقية السور ، وقد أحال إلى كتابه (أسباب النزول) عندما دعت الضرورة فقال عن سورة الحج : . . قال ابن الفرس في (أحكام القرآن) وقيل إنها مكية إلا ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ . . ﴾ الآيات ، وقيل إلا عشر آيات وقيل : مدنية إلا أربع آيات : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٥٢] لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [٥٣] وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥٤] وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج : ٥٥-٥٢] قاله قتادة وغيره . وقيل : كلها مدنية ، قاله الضحاك وغيره ، وقيل : هي مختلطة ، فيها مدني ومكي ، وهو قول الجمهور « انتهى » .

قال السيوطي معلقاً : ويؤيد ما نسبته إلى الجمهور : أنه ورد في آيات كثيرة منها أنه نزل بالمدينة ، كما حررناه في أسباب النزول .

ثم عقد فصلاً في ذكر ما استثنى من المكي والمدني ، وظهرت شخصيته فيه بجلاء ووضوح عندما استدرك على الحافظ ابن حجر أموراً لم يأت بها فقال : « قال ابن حجر في (شرح البخاري) قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية . قال : وأما عكس ذلك ، وهو نزول شيء من سورة بمكة ، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة ، فلم أراه إلا نادراً » .

(١) لعل السيوطي كان يتوقع أن يكون هذا النوع هو الثامن ، ولكن جاء في ترتيب الكتاب السابع . وجعل الثامن (آخر ما نزل) .

قال السيوطي معلقاً : قلت وها أنا أذكر ما وقفت على استثنائه من النوعين ، مستوعباً ما رأيته من ذلك على الاصطلاح الأول دون الثاني . وأشير إلى أدلة الاستثناء لأجل قول ابن الحصار السابق ، ولا أذكر الأدلة بلفظها اختصاراً وإحالة على كتابنا أسباب النزول^(١) ، ثم ذكرها ، وأخيراً تحدث عن ضوابط في المكي والمدني .

فقال : أخرج الحاكم في مستدركه ، والبيهقي في الدلائل ، والبزار في مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : ما كان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنزل بالمدينة ، وما كان : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فبمكة^(٢) . ثم ذكر بقية الروايات ونقل عن ابن الحصار قوله : قد اعتنى المتشاعلون بالنسخ بهذا الحديث واعتمدوه على ضعفه ، وقد اتفق الناس على أن (النساء) مدنية ، وأولها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وعلى أن (الحج) مكية ، وفيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج : ٧٧] .

ونقل عن غيره قوله : هذا القول إن أخذ على إطلاقه فيه نظر ، فإن سورة البقرة مدنية وفيها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة : ٢١] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة : ١٦٨] وسورة النساء مدنية ، وأولها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ . ونقل عن مكي قوله : « هذا إنما هو في الأكثر ، وليس بعام ، وفي كثير من السور المكية » ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

ثم نقل قول الجعبري : « لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي وقياسي : فالسماعي : ما وصل إلينا نزوله بأحدهما .

والقياسي : كل سورة فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقط ، أو « كَلَّا ، أو أولها

(١) الإتيان : ٤٣/١ .

(٢) الحاكم في المستدرک ، في آخر كتاب الهجرة : ١٨/٣ . والبيهقي في دلائل النبوة في جماع أبواب نزول الوحي على رسول الله ﷺ . . باب ذكر السور التي نزلت بمكة والتي نزلت بالمدينة . والهيتمي في كشف الأستار عن زوائد البزار ، في التفسير ، باب : ما نزل بمكة والمدينة رقم (٢١٨٦) .

حرف تهج - سوى الزهراوين والرد - أو فيها قصة آدم وإبليس - سوى البقرة - فهي مكية . وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية ، وكل سورة فيها فريضة أو حدّ فهي مدنية . انتهى^(١) .

ثم ذكر بقية أقوال العلماء في ضوابط ذلك . ثم ذكر السيوطي فائدة فقال : « فائدة : أخرج الطبراني ، عن ابن مسعود : نزل المِفْصَل بمكة ، فَمَكَّنَا حِجَاباً نَقْرُؤُهُ ، لَا يَنْزِلُ غَيْرُهُ »^(٢) .

تنبيه : قد تبين بما ذكرناه من الأوجه التي ذكرها ابن حبيب : المكي والمدني وما اختلف فيه ، وترتيب نزول ذلك . والآيات المدنية في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية ، وبقي أوجه تتعلق بهذا النوع ذكر هو أمثلتها فنذكره ثم ذكر عدة أمثلة وعلق عليها فقال :

« مثال ما نزل بمكة وحكمه مدني : ﴿ يَأْتِيَا النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ [الحجرات : ١٣] الآية ، نزل بمكة يوم الفتح ، وهي مدنية ، لأنها نزلت بعد الهجرة وقوله : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] كذلك .

يعلق السيوطي قائلاً : قلت : وكذا قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] في آيات أخر .

ثم ذكر بقية الأمثلة التي أوردها ابن حبيب وعلق على بعضها بشرح أو توضيح أو إضافات مهمة ، كقوله : « ومثال ما حمل إلى الحبشة : ﴿ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ » [آل عمران : ٦٤] الآيات .

قلت : - أي السيوطي - صح حملها إلى الروم .

وينبغي أن يمثل لما حمل إلى الحبشة بسورة مريم ، فقد صح أن جعفر بن

(١) الإتيان : ٥٣/١ .

(٢) في مجمع الزوائد : ١٥٧/٧ : رواه الطبراني في الأوسط وفيه خديج بن معاوية وثقه أحمد وغيره ، وضعفه جماعة .

أبي طالب قرأها على النجاشي ، وأخرجه أحمد في مسنده ^(١) .

وأما ما نزل بالجحفة والطائف وبيت المقدس والحديبية ، فسيأتي في النوع الذي يلي هذا ، ويضم إليه ما نزل بمنى وعرفات وعسفان وتبوك وبدر وأحد وحراء وحمراء الأسد ^(٢) .

هنا ينتهي من الكلام عن هذا النوع وينتقل إلى النوع الثاني وهو الحضري والسفري ، ويبدؤه بذكر الأمثلة لكل منهما وكأنه يراه تمة للنوع الذي قبله وهكذا في النوع الذي يلي هذا وهو النهاري والليلي .

والسيوطي في أثناء ذكره للأمثلة ليس مجرد ناقل فحسب بل له آراؤه فيقول عن السفري ومنها - أي من الأمثلة - : ﴿ سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ ﴾ [القدر : ٤٥] الآية قيل : نزلت يوم بدر ، حكاه ابن الفرس ، وهو مردود ، لما سيأتي من النوع الثاني عشر ^(٣) ، ثم رأيت عن ابن عباس ما يؤيده .

ومنها : قال النسفي : قوله : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الواقعة : ١٣] وقوله : ﴿ أَفِيْهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴾ [الواقعة : ٨١] نزلتا في سفره ﷺ إلى المدينة ، ولم أقف له على مستند ^(٤) .

مما تقدم يتبين أن السيوطي اتبع منهجه العام في كل مؤلفاته وهو النقل والجمع والتلخيص من كتب السابقين ، فقد رجع إلى كتب لا نعرف عنها إلا عناونها ، فهو بصنيعه هذا قد حفظ لنا نصوصاً وآراء لعلماء متقدمين على غاية من الأهمية . وهو في غالب الأحيان يشير إلى المصدر الذي نقل عنه أو إلى اسم مؤلفه ثم يعقبه ببيان رأيه ، ففي غمرة هذا السيل من النقول تبرز شخصية السيوطي العلمية واضحة والأمثلة التي ذكرتها سابقاً خير دليل على هذا .

(١) ذكره ابن إسحاق في سيرته ٢١٣ عن أم سلمة ، وانظر تفسير ابن كثير : ٩٨/٣ والمستند : ٢٠٢-٢٠٣ .

(٢) الإتيان : ٥٥/١ .

(٣) وهو ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه ، الإتيان : ١١٦/١ .

(٤) الإتيان : ٦٢/١ .

وفي أحيان أخرى لا يشير ، إلى المصدر الذي نقل عنه فمثلاً في النص الذي أورده في اصطلاحات العلماء في المكي والمدني قال : « اعلم أن للناس في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة وذكرها ، وهذه الاصطلاحات الثلاثة أو بالأحرى هذا التمهيد للاصطلاحات بقوله اعلم . . إلخ مذكور بنصه في البرهان للزركشي^(١) ، ولكن مع هذا فقد أضاف السيوطي على ما ذكره الزركشي بعض الآثار المؤيدة للمقصود وعلق عليها واستنبط منها ما يقوي وجهة قائل ذلك .

ومع ذلك أيضاً فما أورده السيوطي من آثار هنا ذكرها الزركشي في مواطن أخرى وبطريق آخر فمثلاً في أثر يحيى بن سلام المتقدم ذكره الزركشي تحت عنوان ومن جملة علاماته أي المكي والمدني وذكر الأثر عن أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، بإسناده إلى يحيى بن سلام وذكر الأثر ثم قال في آخره وما كان في القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهو مدني ، وما كان ﴿يا أيها الناس﴾ فهو مكي^(٢) . وهو أحياناً ينقل عن الزركشي ولا يسميه فقد ورد في المثال السابق عند الحديث عن ضوابط المكي والمدني ذكر الأثر القائل ما كان ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أنزل بالمدينة ، وما كان ﴿يا أيها الناس﴾ فمكة قال السيوطي وقال غيره : هذا القول إن أخذ على إطلاقه فيه نظر إلخ ، هو قول الزركشي في البرهان فقد أورده بعد ذكر الأثر السابق فقال : « وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة : ٢١] ، ومثله ما ذكره بعد ذلك وقال غيره : « الأقرب حملة على أنه خطاب ، المقصود به ، أو جل المقصود به أهل مكة أو المدينة »^(٣) . هذا « الغير » أيضاً الزركشي وقد ذكر ذلك بعد نقله قول مكي السابق ثم قال : « والأقرب تنزيل قول من قال : مكي ومدني ، على أنه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة . . »^(٤) .

(١) البرهان : ٢٧٣/١ . وقارن بالإتقان : ٢٦/١ .

(٢) البرهان : ٢٧٥/١ .

(٣) الإتقان : ٥٣/١ .

(٤) البرهان : ٢٧٨/١ .

وسياتي مزيد من الأمثلة على هذا عند المقارنة بينهما إن شاء الله تعالى
ويلاحظ أيضاً أنه عندما ينفرد برأي أو تعليق يقول « قلت » ولكن أحياناً
وبالإضافة إلى ما ذكرت يرجح قولاً على قول دون أن ينص على ذلك صراحة
وإنما يلمح إلى ذلك تلميحاً كما فعل في المثال السابق فبعد أن ذكر الأقوال
الثلاثة في تعريف المكي والمدني رجّح القول الأول وذلك بتقديمه على غيره
أولاً ثم قيله : « أشهرها » ثانياً ، وإردافه له بأثر يحيى بن سلام ثالثاً وتعليقه
عليه بقوله « وهذا أثر لطيف . . » كل ذلك يشعر بترجيحه على القولين الآخرين
وهذا ما عليه أغلب العلماء وذلك لشموله جميع آيات القرآن الكريم دون أن
يخرج عنه شيء خلافاً للتعريفين الآخرين ، فالتعريف الثاني فيه ثلثة وهي
وجود قسم ثالث لا يدخل في ما نزل بمكة أو بالمدينة وهو ما نزل بالأسفار
والغزوات فإنه لا يعد مكيّاً ولا مدنيّاً ، وهو قسم كبير ، والتعريف الثالث فيه
ثلثة أيضاً وهي كونه شخصياً ، أي تقيد بتوجيه الخطاب لأشخاص معيّنين هم
أهل مكة ، وأهل المدينة ، فبقي القسم الأكبر من القرآن غير داخل في المكي
والمدني . وبهذا يترجح القول الأول الشامل لجميع القرآن الكريم . وأخيراً
وعلى الرغم من ضخامة هذا الكتاب إلا أن السيوطي اقتصر فيه على المهمّات
والقواعد العامة لا البحث في الفروع والجزئيات ، وقد صرح بذلك في أكثر
من موضوع من كتابه فمرة يقول : « فإن كتابنا موضوع للمهمّات ، لا لمثل
هذه البطالات »^(١) ، ومرة أخرى يقول : « والمقصود في جميع أنواع هذا
الكتاب إنما هو ذكر القواعد والأصول لا استيعاب الفروع والجزئيات »^(٢)
ولذلك فقد أحال في كتابه هذا إلى كثير من المصادر والمراجع التي استوعبت
البحث في هذا النوع أو إلى كتبه المؤلفة في ذلك^(٣) ، أو إلى أنواع أخرى من

(١) الإتيان : ١/ ٢٢٠ .

(٢) م . ن : ١/ ٥٧٤ .

(٣) انظر على سبيل المثال : ١/ ٩٢ ، ١٣٧ ، ٢٤٣ ، ٤٢٧ ، ٤٤٥ ، ٧٠٢/٢ ، ٧٠٧/٢ ، ٩٧٦ ، ٩٥٥ ، ١٠٣٧ ، ١٠٨٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٣ . إلخ =

هذا الكتاب وسيتناولها السيوطي في محلها بالتفصيل ، أو قد تناولها^(١) .
وأخيراً ومما هو حريّ بالتذكير ، أن السيوطي أراد لكتابه (الإتقان) أن
يكون جامعاً لمؤلفاته في علوم القرآن ولذلك فقد ذكرت فيما سبق في أثناء
الحديث عن منهجه أنه يحيل القارئ كثيراً إلى كتبه المؤلفة في هذا النوع كـ
(أسباب النزول) و(المبهمات) و(أسرار التنزيل) إلخ .

ولكن لا يمكن الاستغناء بأحد الكتابين عن الآخر ، لأن السيوطي في النوع
الذي أفردته بالتأليف ، غالباً ما يذكر خلاصته أو أهم أبحاثه في الإتقان ويحيل
القارئ للتوسع إلى كتابه المفرد بالتأليف ، فمثلاً عند الحديث عن العلوم
المستنبطة من القرآن الكريم في النوع الخامس والستين ذكر مقدمة كتابه
(الإكليل) في بداية هذا النوع .

ثم قال بعد أن عدّد المؤلفات السابقة : « وقد ألّفت كتاباً سمّيته (الإكليل
في استنباط التنزيل) ذكرت فيه كل ما استنبط منه من مسألة فقهية أو أصلية أو
اعتقادية ، وبعضاً مما سوى ذلك ، كثير الفائدة جم العائدة يجري مجرى
الشرح لما أجملته في هذا النوع فليراجعه من أراد الوقوف عليه »^(٢) .

وعند الكلام عن المبهمات في النوع السبعين أيضاً عدّد المؤلفات السابقة
ثم قال : « ولي فيه تأليف لطيف ، جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد
أخرى على صغر حجمه جداً . » ثم قال : « وأنا ألخص هنا مبهمات بأوجز
عبارة تاركاً العزو والتخريج غالباً اختصاراً وإحالة على الكتاب المذكور »^(٣) .

ولم يختلف منهجه في عرض الموضوع في النوع الذي أفردته بالتصنيف أو
التأليف عمّا هو مذكور في (الإتقان) اللهم إلا في الاختصار والتلخيص

= ومعظم هذه الكتب سبق التعريف بها في هذا الكتاب .

(١) انظر على سبيل المثال غير ما سبق في المثال : ١٦٥/١ ، ١٦٨ ، ١٨٠ ، ٣١٤ ،

١٠٠٠ إلخ . ٨٤٤-٨٤٥ ، ٧٦٠ ، ٧٥٥/٢

(٢) الإتقان : ١٠٣٧/٢ .

(٣) م . ن : ١٠٩١/٢ .

ولذلك فقد تطابقت مقدمات الكتب التي أفردتها بالتأليف بمقدمة النوع المماثل له في (الإتقان) كثيراً .

وأما الكتب التي أفردتها بالتأليف وأشار إليها في الإتقان فهي :

١- النوع التاسع : أسباب النزول ، قال : « وقد ألفت فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته (لباب النقول في أسباب النزول) »^(١) .

٢- النوع السابع والعشرون : المدرج ، قال : « وسأفرد في هذا النوع - أعني المدرج - تأليفاً مستقلاً »^(٢) .

٣- النوع الثامن والثلاثون : فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب ، قال : « قد أفردت في هذا النوع كتاباً سميته (المهدب فيما وقع في القرآن من المعرب) »^(٣) .

٤- النوع التاسع والثلاثون : في معرفة الوجوه والنظائر ، قال : وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته (معترك الأقران في مشترك القرآن)^(٤) .

٥- النوع السابع والأربعون : الناسخ والمنسوخ قال : « وقد أفردته بأدله في تأليف لطيف ، وها أنا أورده هنا محرراً »^(٥) .

٦- النوع الثاني والخمسون : حقيقته ومجازه ، قال عن المجاز إن العز بن عبد السلام أفردته بالتصنيف ثم قال : ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته : (مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن)^(٦) .

(١) م . ن . ٩٢ / ١ .

(٢) م . ن . ٢٤٣ / ١ وقد أفردته بالتأليف انظر مكتبة الجلال السيوطي : ٣١٠ .

(٣) م . ن . ٤٢٧ / ١ .

(٤) م . ن . ٤٤٥ / ١ .

(٥) الإتقان : ٧٠٧ / ٢ .

(٦) م . ن . ٧٣٥ / ٢ .

٧- النوع الثاني والستون : في مناسبة الآيات والسور ، قال : « وكتابي الذي صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف ، سميته (تناسق الدرر في تناسب السور) »^(١) .

٨- وقد ذكر في نهاية هذا النوع أنه أفرد جزءاً لطيفاً في مناسبة فواتح السور وخواتمها سماه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)^(٢) .

٩- النوع الثالث والستون : في الآيات المشتبهات ، قال : « وفي كتابي أسرار التنزيل ، المسمى : (قطف الأزهار في كشف الأسرار) من ذلك الجم الغفير »^(٣) .

١٠- النوع الثاني والسبعون : في فضائل القرآن قال : « صنف كتاباً سمّيته (خمائل الزهر في فضائل السور) حرّرت فيه ما ليس بموضوع »^(٤) .

١١- النوع الثامن والسبعون : معرفة شروط المفسر ، قال : « تنبيه : من المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة . » ثم قال : « وأمثلة هذا النوع كثيرة ، والكافل ببيانها كتابنا (أسرار التنزيل) »^(٥) .

١٢- وقد أشار إلى هذا الكتاب أيضاً في النوع التاسع والسبعين : في غرائب التفسير^(٦) ، وقد يحيل القارئ إلى كتابين معاً إن كان النوع يتعلق بذلك كما فعل في النوع الحادي والسبعين : في أسماء من نزل فيهم القرآن ، قال : « رأيت فيهم تأليفاً مفرداً لبعض القدماء ، لكنه غير محرر ، وكتاب

(١) م . ن : ٩٧٦/٢ .

(٢) م . ن : ٩٨٥/٢ .

(٣) م . ن : ٩٩٥/٢ .

(٤) م . ن : ١١١٣/٢ .

(٥) م . ن : ١٢١٨-١٢١٧/٢ .

(٦) م . ن : ١٢٢٥/٢ .

(أسباب النزول) ، و (المبهمات) يغنيان عن ذلك «^(١) وترجع أسباب تكرار مؤلفاته هذه إلى ما يلي :

١- رغبة السيوطي في جعل كتابه أكثر شمولاً واستيعاباً ، وأعظم جمعاً واستقصاءً فحشد فيه أكبر قدر ممكن من أنواع علوم القرآن ، ومعلوم أن هذه الأنواع التي ذكرها في (الإتيقان) كان قد ألف فيها سابقاً كتباً فكان من الطبيعي أن يشير إلى تلك المؤلفات لمن أراد التوسع .

٢- هدف السيوطي إلى تكوين مكتبة سيوطية في علوم القرآن شاملة لكثير من الفنون والعلوم بحيث تغني القارئ عن الرجوع إلى غيرها ، فبتكرار مؤلفاته وعرضها في أكثر من كتاب يلبي هذا الهدف .

٣- نظراً لتعرض كثير من المؤلفات إلى الضياع والاندثار فكأن السيوطي قد خشي على مؤلفاته من ذلك فبتكرار تأليف الكتاب أو تلخيصه في كتاب آخر تكون فرصة ضياعه أقل ، وهذا ما حصل فعلاً فكتابه في (الناسخ والمنسوخ) و (خمائل الزهر) لا نعلم عن أصولها شيئاً ، ولولا أنه كرر كتابه الناسخ والمنسوخ كله في (الإتيقان) وأكثر (خمائل الزهر) لكننا خسرنا مؤلفات في غاية الأهمية .

* * *

(١) م . ن : ١١١١/٢ .

٣- أهم اختيارات السيوطي ومناقشتها

١- حقيقة الموحى به :

هذه مسألة مهمّة ، كثرت حولها الأقاويل ، وخاصة في المنزل على النبي ﷺ وقد تعرض السيوطي لهذه المسألة في النوع السادس عشر في كيفية إنزال القرآن الكريم تحت عنوان : المسألة الثانية : في كيفية الإنزال والوحي : فبعد أن ذكر أقوال العلماء في معنى الإنزال وكيفيته ، نقل عن بعض العلماء أن في المنزل على النبي ﷺ ثلاثة أقوال :

- أحدها : أنه اللفظ والمعنى ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به .

- والثاني : أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة ، وأنه ﷺ علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ، وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] .

- والثالث : أن جبريل ألقي إليه المعنى ، وأنه عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرؤونه بالعربية ، ثم إنه نزل به كذلك بعد ذلك^(١) » وهذا الذي نقله السيوطي ، أثار كثيراً من الجدل والنقاش بين العلماء والباحثين حتى عدّ بعضهم ذلك مما يؤخذ على السيوطي في كتابه لأنه بقوله هذا جعل المستشرقين ينسبون الوضع إلى الرسول ﷺ^(٢) .

أقول : إن ما ذكره السيوطي من هذه الأقوال لا يدل على اقتناعه بها وتبنيها لها ، وقد نقل السيوطي هذه الأقوال الثلاثة عن الغير ولم يفصح عن قائلها ولكنني وجدت الزركشي ذكر هذه الأقوال الثلاثة عن السمرقندي نقلها منه

(١) الإتقان : ١٣٩/١ ، وانظر معترك الأقران : ٢١١/٢ .

(٢) عبد الوهاب حمودة ، صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي : ص ١٦٤ .

بعضهم^(١) . ولم يعلق عليها بشيء ولكن السيوطي بعد عرضه لهذه الأقوال الثلاثة رجّح القول الأول وهو أن المنزل على النبي ﷺ هو اللفظ والمعنى معاً ، وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به وذلك بما أورده من أقوال تؤيد ما ذهب إليه وتضعف القولين الآخرين فقال :

قال البيهقي في معنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] يريد - والله أعلم - : إِنَّا أَسْمَعْنَا الْمَلِكَ وَأَفْهَمْنَاهُ إِثَّاهُ وَأَنْزَلْنَاهُ بِمَا سَمِعَ فَيَكُونُ الْمَلِكُ مُنْتَقِلاً بِهِ مِنْ عُلُوِّ إِلَى سَفَلٍ^(٢) .

قال أبو شامة : « هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شيء منه ، يحتاج إليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وأنه صفة قائمة بذات الله تعالى »^(٣) .

قلت - أي السيوطي - ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث الثَّوَّاسِ بن سمعان مرفوعاً : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاءُ رَجْفَةً شَدِيدَةً مِنْ خَوْفِ اللَّهِ ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاءِ صَعِقُوا وَخَرُّوا سُجَّدًا ، فَيَكُونُ أَوَّلُهُمْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ فَيَكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ فَيَنْتَهِي بِهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، فَيَكُلِّمُهُمْ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ أَهْلُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا؟ قَالَ : الْحَقُّ . فَيَنْتَهِي بِهِ حَيْثُ أَمَرَ »^(٤) .

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود رفعه : « إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صَلَاصَةً كَصَلَصَلَةِ السُّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفْوَانِ ، فَيَفْرَعُونَ وَيَزَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَمْرِ السَّاعَةِ » وأصل الحديث في الصحيح^(٥) .

(١) الزركشي ، البرهان : ٣٢٢/١ .

(٢) البيهقي ، كتاب الأسماء والصفات (ط . القاهرة : ١٣٥٨ هـ) ص ٢٣٤ .

(٣) أبو شامة ، الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، تحقيق طيار آلتي قولاج : (ط دار صادر ، بيروت : ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م) ص ١٤ .

(٤) مجمع الزوائد : ٩٥/٧ .

(٥) البخاري ، في التفسير ، الحجر / ١٨ ، باب : قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ رقم (٤٤٢٤) .

وفي تفسير علي بن سهل النيسابوري : قال جماعة من العلماء : نزل القرآن جملة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت يقال له بيت العزة ، فحفظه جبريل وغشي على أهل السموات من هبة كلام الله ، فمرّ بهم جبريل ، وقد أفاقوا ، فقالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق - يعني القرآن - وهو معنى قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ [سبا : ٢٣] . فأتى به جبريل إلى بيت العزة ، فأملأه على السفارة الكتبة - يعني الملائكة - وهو معنى قوله تعالى : ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ ^(١) [عبس : ١٥-١٦] . ثم نقل السيوطي عن الجويني قوله فقال : وقال الجويني : كلام الله المنزل قسمان :

قسم قال الله لجبريل : قل للنبي الذي أنت مرسل إليه : إن الله يقول : افعل كذا وكذا ، وأمر بكذا وكذا ، ففهم جبريل ما قاله ربه ، ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه : ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به : قل لفلان : يقول لك الملك : اجتهد في الخدمة ، واجمع جندك للقتال ، فإن قال الرسول : يقول الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند تتفرق ، وحثهم على المقاتلة ، لا ينسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة .

وقسم آخر قال الله لجبريل : اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل بكلمة من الله من غير تغيير . كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه إلى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان ، فهو لا يغيّر منه كلمة ولا حرفاً ^(٢) انتهى .

هنا يعلّق السيوطي قائلاً : « قلت : القرآن هو القسم الثاني ، والقسم الأول هو السنة ، كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ، ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى ، لأن جبريل أدّاه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ، لأن جبريل أدّاه باللفظ ، ولم يبح له إيحاءه بالمعنى . والسر في ذلك : أن المقصود منه التعلّد بلفظه والإعجاز به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ

(١) هذا القول نقله أبو شامة من تفسير علي بن سهل النيسابوري المسمى (شفاء القلوب)

انظر المرشد الوجيز : ٢٣ .

(٢) الإتيان : ١/ ١٤٠-١٤١ .

يقوم مقامه ، وأن تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة فلا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه ، والتخفيف على الأمة حيث جعل المنزل إليهم على قسمين : قسم يروونه بلفظه الموحى به وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشقّ ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف ، فتأمل .

ثم يدعم السيوطي رأيه وما يعضد كلام الجويني بما ورد عن السلف فيقول : وأخرج ابن أبي حاتم ، من طريق عقيل ، عن الزهري : أنه سئل عن الوحي فقال : الوحي ما يوحى الله إلى نبي من الأنبياء ، فيثبت في قلبه ، فيتكلم به ويكتبه ، وهو كلام الله . ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابتها ، ولكنه يحدث به الناس حديثاً ، ويبين لهم أنّ الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إيّاه ^(١) .

فمما تقدّم يتبين أنّ السيوطي اعتمد القول الأول ، وارتضى قول الجويني وعلّق عليه بكلام وجيه ، وهو شرح وتفصيل لما اعتمده السيوطي وقد أبان المسألة ، وأزال المشكلة بكلام لطيف واضح لا غبار عليه . فما كان لفظه ومعناه من عند الله تعالى وأنّ جبريل نزل به على قلب المصطفى الأمين فهو القرآن ، وما نزل به جبريل بمعناه فقط دون لفظه فهو من السنّة ولا دليل للقول الثالث فهو ظاهر البطلان ، لأن النقل والعقل يثبتان لجبريل السفارة فقط كما هو واضح من الآثار السابقة ، وأما المحذور من الأقوال فهو قول من يقول : إن المعنى من الله واللفظ من الرسول ، لأنه يمسّ دعوى الإعجاز والتعبد بتلاوته وهذا ما أشار إليه السيوطي سابقاً عندما قال : والسر في ذلك : أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به ^(٢) .

ثم إن من ينظر إلى القول الثاني بتمعّن يدرك أن السيوطي قد ضعّف هذا القول وانتقد صاحبه بقوله : « وتمسّك قائل هذا بظاهر قوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ

(١) الإتيان : ١٤١/١ .

(٢) م . ن : السابق .

الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴿[الشعراء : ١٩٣-١٩٤]﴾ . مما يدل على أن صاحب هذا الرأي لم يتعمق في فهم الآية وإنما استند إلى ظاهر الآية فقط ، ومع ذلك فإن الآية دليل على أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الكريم لفظاً ومعنى ، ولذلك قال المفسرون : والظاهر تعلق ﴿بِلِسَانٍ﴾ بـ ﴿نَزَلَ﴾ فكان يسمع - عليه الصلاة والسلام - من جبريل حروفاً عربية ^(١) .

وفسروا (على قَلْبِكَ) أي حفظَكَ وفَهَمَكَ إِيَّاه وأثبتته في قلبك إثبات ما لا ينسى كقوله تعالى ﴿سَقَرْتَاكَ فَلَا تَنْسَى﴾ ^(٢) . [الأعلى : ٦] ثم جاءت آيات أخر تؤيد ذلك وتؤكد منها قوله تعالى : ﴿وَأَنَّكَ لَتَلَقَى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل : ٦] ، وقوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(٣) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنصَحْهُ فَأَنْتَ مُخَيَّرٌ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿[القيامة : ١٦-١٩]﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كُتُبٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت : ٤٨] . فكل هذه الآيات توضح أن الوحي يكون لفظاً ومعنى .

وأخيراً : فإن السيوطي ومن نقل عنه هذه الأقوال الثلاثة جعلوها تحت عنوان : في المنزل على النبي ﷺ ^(٣) فد (أَل) في (المنزل) للجنس ، أي جميع ما أوحى به لرسوله ، ومعلوم أن السنة نوع من الوحي ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ^(٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿[النجم : ٤-٣]﴾ . ولذلك فيحمل القول الثاني على السنة ، وأما ما استمسك به المستشرقون ومن والاهم فلا دليل عليه وحججهم داحضة وهي أوهى من خيط العنكبوت وإنما قالوا ذلك تمشياً مع مبدئهم في تحريف الكلم عن مواضعه ، والسيوطي لم يذكر القولين الأخيرين إلا بناء على منهجه العام في النقل والجمع والاستيعاب ولم يرجح إلا القول الأول الذي عليه جمهور المسلمين ، والله أعلم .

(١) الكشف : ١٢٨/٣ ، والبحر المحيط : ٤٠/٧ .

(٢) م . ن : السابقة .

(٣) الإتقان : ١٣٩/١ ، والبرهان : ٣٢٢/١ .

ب - ترجمة القرآن الكريم :

وهي أيضاً من المسائل المهمة التي تعرّض لها السيوطي في إتقانه ، ففي النوع الخامس والثلاثين « في آداب تلاوته وتاليه » ذكر عدّة مسائل حول الموضوع ثم تعرّض لمسألة ترجمة القرآن ، وهل تصحّ قراءته بغير العربية ؟ فقال : « مسألة لا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً ، سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة أم خارجها ، وعن أبي حنيفة أنه يجوز مطلقاً ، وعن أبي يوسف ومحمد ، لمن لا يحسن العربية ، لكن في شرح^(١) البزدوي : أن أبا حنيفة رجع عن ذلك .

ووجه المنع أنه يذهب إعجازه المقصود منه .

وعن القفال من أصحابنا : إنّ القراءة بالفارسية لا تتصور ، قيل له : فإذا لا يقدر أحد أن يفسر القرآن ؟ قال : ليس كذلك ، لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله تعالى ، لأن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن ، بخلاف التفسير^(٢) .

ذهب السيوطي إلى عدم جواز قراءة القرآن بغير العربية مطلقاً مهما كانت لغة قارئ القرآن ، وسواء أحسن القراءة بالعربية أم لم يحسنها وهذا ما عليه جمهور الفقهاء ، لثلا يذهب إعجاز القرآن الكريم ولا سيما أنه متعبد بتلاوته . أما الحنفية ؛ فقد ذكر السيوطي قولاً للإمام أبي حنيفة وهو الجواز مطلقاً وقد ذكر ذلك في بدائع الصنائع ونقل عنه قوله : « إن الواجب في الصلاة قراءة القرآن من حيث هو لفظ دال على كلام الله تعالى الذي هو صفة قائمة به لما يتضمن من العبر والمواعظ والترغيب والترهيب والثناء والتعظيم لا من حيث هو لفظ عربي^(٣) ، وأما رد الحنفية على من قال إنه يمنع الإعجاز قالوا : « نعم إن الإعجاز من حيث

(١) في النسخ الثلاث المطبوعة في الإتيقان (شارح) والأصح ما أثبت .

(٢) الإتيقان : ٣٤١/١ .

(٣) بدائع الصنائع : ١١٢/١ .

اللفظ لا يحصل بالفارسية لكن قراءة ما هو معجز النظم عنده - أي الإمام - ليس بشرط لأن التكليف ورد بمطلق القراءة لا بقراءة ما هو معجز ، ولهذا جَوَزَ قراءة آية قصيرة وإن لم تكن هي معجزة ما لم تبلغ ثلاث آيات . . . »^(١) .

وعند الصاحبين ، تجوز القراءة بالفارسية لمن لا يحسن وإن كان يحسن لا تجوز وقد روي أن الإمام رجع إلى قولهما ، قال الحصكفي : « وعليه الفتوى »^(٢) وقد فصل الزرقاني القول في المسألة وقال : « ورواية رجوع الإمام هذه تعزى إلى أقطاب في المذهب ، منهم نوح بن مريم ، هو من أصحاب أبي حنيفة ومنهم علي بن الجعد ، وهو من أصحاب أبي يوسف ، ومنهم أبو بكر الرازي وهو شيخ علماء الحنفية في عصره بالقرن الرابع »^(٣) .

ولكن الراجح والذي عليه جمهور الفقهاء^(٤) ، هو ما اختاره السيوطي من أنه لا يجوز قراءة القرآن بغير العربية مطلقاً أحسن أم لم يحسن ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف : ٢] ويقول : ﴿ يَلْسَانِي عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] وغير العربي لا يكون قرآناً ، والقرآن معجز بلفظه ومعناه .

أما تفسير القرآن بغير لغته بمعنى شرح ألفاظه ومعانيه بلغة أخرى بقدر الطاقة البشرية بشروط يجب مراعاتها عند الترجمة (وهذا ما يسمى بالترجمة التفسيرية) فهذا أمر جائز شرعاً ، بل هو فرض كفائي على الأمة لأنه نوع من أنواع التبليغ والدعوة إلى الله .

أما ترجمة القرآن بمعنى نقله إلى لغة أخرى ، أي التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته ، وأسلوبها محل أسلوبه ، فهذه

(١) م . ن : السابق : ١١٣/١ .

(٢) الحصكفي ، شرح الدر المختار (ط ، مطبعة صبيح ، القاهرة : د . ت) ٨٤/١ .

(٣) مناهل العرفان : ٥٩/٢ .

(٤) انظر : المجموع ٣/٣٧٩ ، مغني المحتاج : ١/١٥٩ ، حاشية الدسوقي ١/٢٣٢ وما بعدها ، والمغني والشرح الكبير : ١/٥٦٢ .

محزّمة شرعاً وغير جائزة عقلاً ومستحيلة عادة (وهذا ما يسمى بالترجمة الحرفية) وذلك للأسباب التالية :

١- كونه معجزة للبشر لا يقدرّون على الإتيان بسورة مثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

٢- إنه هداية للناس تؤخذ منه الأحكام ، وتستنبط الفوائد والتوجيهات ، وهذا الاستنباط لا يؤخذ فقط من المعاني الأصلية التي يسهل فهمها ، وقد يمكن التعبير عنها بلغات أخرى ، بل إن كثيراً من الاستنباطات إنّما تستفاد من المعاني الثانوية مثل إشارة النص ، ودلالة النص ، دلالة الاقتضاء ، وغيرها مما هو معلوم في كتب أصول الفقه ، ومن غير الممكن أن يحافظ في الترجمة على المعاني الثانوية هذه ، لأنها لازمة للقرآن لا يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى .

٣- كونه متعبداً بتلاوته ، فإنه لا يمكن أن يتحقق في الترجمة ، لأن الترجمة غير القرآن ، والمتعبد بالتلاوة إنّما هو القرآن بألفاظه وحروفه عينها دون أي ألفاظ وحروف أخرى ولو كانت مرادفة لهذه الألفاظ العربية^(١) . وبناء على ما تقدم فلا يمكن أن يؤتى بمثل هذا القرآن ولو اجتمعوا له قال تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

ج - الاقتباس :

وهي أيضاً من المسائل التي اختلف فيها العلماء وهي : هل يجوز تضمين الشعر أو الشر بعض القرآن ، لا على أنه منه بالأقل يقال فيه قال الله تعالى ونحوه ؟ . نقل السيوطي خلاف العلماء في ذلك ثم أدلى بدلوه بين هذه الآراء ورجح

(١) انظر مزيداً من التفاصيل في مناهل العرفان : ٢٧/٢ - ٥٦ ، وانظر بقية المصادر والمراجع حول هذا المبحث في خاتمة بحث الدكتور نور الدين عتر « ترجمة القرآن » في كتابه (القرآن الكريم والدراسات الأدبية ، ص ٣٥٧) .

قولاً منها وجعل ذلك في فصل مستقل في آخر النوع الخامس والثلاثين :

فقال : اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله^(١) وأما أهل مذهبنا : فلم يتعرض له المتقدمون ولا أكثر المتأخرين ، مع شيوع الاقتباس في أعصارهم واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً وقد تعرض له جماعة من المتأخرين ، فسئل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه ، واستدل له بما ورد عنه ﷺ من قوله في الصلاة وغيرها : « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ إِلَى آخِرِهِ »^(٢) ، وقوله : « اللَّهُمَّ فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ،

(١) نقل السيوطي هنا عن المالكية التحريم ، وسيذكر بعد قليل استعمال القاضي عياض له في خطبة كتابه (الشفا) دليلاً على جواز استعماله إلا إذا حمل كلامه على حرمة في الشعر وجوازه في النثر ، فقد ألف السيوطي في الحاوي رسالة في هذا الموضوع (رفع اللباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس) أورد أقوال الأئمة في ذلك ونقل عن المالكية جواز استعماله فقال : « ذكر ما وقع للإمام مالك رضي الله عنه من ذلك : أخرج الخطيب البغدادي وغيره عن سعيد بن بشير بن ذكوان ، قال : كان مالك بن أنس إذا سئل عن مسألة يظن أن صاحبها غير متعلم وأنه يريد المغالطة يقول : ﴿ وَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيْسُون ﴾ [الأنعام : ٩] . (الحاوي : ٢٦٦/١) وفي ترجمة الإمام مالك في سير أعلام النبلاء : ١٠٨/٨ ، قال مخلص بن خديج : سألت مالكا عن الشطرنج فقالك أحق هو؟ فقلت : لا قال : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس : ٣٢] أقول : فهذا دليل على استعمال الإمام مالك له .

والتوفيق بين ما نقله السيوطي من الأقوال المتعارضة يرجع برأبي - والله أعلم - إلى جواز استعمال الاقتباس عندهم فيما يحسن ويكمل أما فيما عدا ذلك فحرام .

قال الشيخ محمد الخضر حسين : « والتحقيق أنه - أي الاقتباس - في الدعاء أو الموعظة والحديث الذي يراد به تعليم الحكمة جائز واستعماله في المزاح والكلام الذي لا يكون معه القلب خاشعاً لله لا يجوز » . أقول وهذا هو الحق . انظر بحث الرقية والاقتباس والاستخارة والقرآن في كتابه بلاغة القرآن ، جمع وتحقيق علي الرضا التونسي (ط . المطبعة التعاونية ، بدمشق : د . ت) ص ٥٠ وما بعدها .

(٢) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (٧٧١) وما جاء في الحديث مقتبس من جمل قرآنية في سور الأنعام ، الآية [٧٩] وما بعدها .

أَفْضَرِ عَنِّي الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ»^(١) . وفي سياق كلام لأبي بكر :
 (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)^(٢) وفي آخر حديث لابن عمر :
 « قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »^(٣) ١ هـ . وهذا كله إنما يدل على
 جوازه في مقام المواعظ والثناء والدعاء ، وفي النثر ، لا دلالة فيه على جوازه
 في الشعر ، وبينهما فرق ، فإن القاضي أبا بكر من المالكية صرح بأن تضمينه
 في الشعر مكروه وفي النثر جائز .

واستعمله أيضاً في النثر ، القاضي عياض في مواضع من خطبة الشفاء^(٤) .

وقال الشرف إسماعيل بن المقرئ اليمني صاحب (مختصر الروضة) في
 شرح بديعته : ما كان منه في الخطب والمواعظ ومدحه ﷺ وآله وصحبه ولو
 في النظم فهو مقبول ، وغيره مردود .

وفي شرح بديعية ابن حجة : الاقتباس ثلاثة أقسام : مقبول ، ومباح
 ومردود :

فالأول : ما كان في الخطب والمواعظ والعهود .

والثاني : ما كان في القول والرسائل والقصص .

والثالث : على ضربين :

أحدهما : ما نسبته الله إلى نفسه - ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه - كما قيل

(١) الموطأ : كتاب القرآن ، باب : ما جاء في الدعاء : ٢١٣/١ والجمل الأولى من
 الحديث مقتبسة من قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا أَنتَ الْمُهْتَدِىُّ وَمَا كُنَّا الْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ٩٦] .

(٢) وهذه الجملة جزء من الآية [٢٢٧] من سورة الشعراء .

(٣) وهذه الجملة أيضاً جزء من الآية [٢١] من سورة الأحزاب بلفظ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ . ﴾
 وانظر في حديث ابن عمر رضي الله عنهما البخاري في الحج باب : طواف القارن رقم
 (١٥٥٨/١٥٥٩) ومسلم في الحج ، باب : بيان جواز التحلل بالإحصار وجواز
 القرآن ، رقم (١٢٣٠) .

(٤) انظر مقدمته على الشفاء ص ٤٦ وما بعدها .

عن أحد بني مروان أنه وقّع على مطالعة فيها شكاية عماله : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ،
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)^(١) .

والآخر : تضمين آية في معنى هزل ، ونعوذ بالله من ذلك كقوله : (السريع)
أَوْحَى إِلَى عُشَّاقِهِ طَرْفُهُ (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ
وَرَدْفُهُ يَنْطَلِقُ مِنْ خَلْفِهِ (لِمِثْلِ ذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ)^(٢)

هنا يرتضي السيوطي هذا التقسيم ويختاره فيقول :

« قلت وهذا التقسيم حسن جداً ، وبه أقول »^(٣) .

ثم يدعم رأيه بما ورد عن الأئمة العلماء من أقوال في ذلك راداً على من
يعترض عليه فقال : وذكر الشيخ تاج الدين بن السبكي في طبقاته في ترجمة
الإمام أبي منصور عبد القاهر بن الطاهر التميمي البغدادي من كبار الشافعية
وأجلائهم : أن من شعره قوله : (الرجز)

يَا مَنْ عَدَى ثُمَّ اغْتَدَى ثُمَّ اقْتَرَفَ ثُمَّ انْتَهَى ثُمَّ اِرْعَوَى ثُمَّ اغْتَرَفَ
أُبَشِّرْ بِقَوْلِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ (إِنَّ يَنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)^(٤)

وقال : استعمال مثل الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره له
فائدة ، فإنه جليل القدر ، والناس ينهون عن هذا ، وربما أدى بحث بعضهم
إلى أنه يجوز .

وقيل : إِنَّ ذلك إنما يفعله من الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون ،
ويشبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي . وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين
وقد فعل هذا وأسند عنه هذين البيتين الأستاذ أبو القاسم بن عساكر ، قلت :

(١) مقتبس من الآيتين [٢٥ ، ٢٦] من سورة الغاشية .

(٢) جملة (هيهات هيهات ..) مقتبسة من الآية [٣٦] من سورة المؤمنون ، وجملة :

(لمثل هذا ..) مقتبسة من الآية [٦١] من سورة الصافات .

(٣) الإتيان : ٣٤٩/١ .

(٤) الجملة مقتبسة من الآية [٣٨] من سورة الأنفال .

ليس هذان البيتان من الاقتباس لتصريحه بقول الله ، وقد قدّمنا أن ذلك خارج عنه .

وأما أخوه الشيخ بهاء الدين ، فقال في (عروس الأفراح) :

الورع اجتناب ذلك كله ، وأن ينزه عن مثله كلام الله ورسوله .

قلت : رأيت استعمال الاقتباس لأئمة أجلاء ، منهم الإمام أبو القاسم

الرافعي ، قال : وأنشده في أماليه ، ورواه عنه أئمة كبار : (الكامل)

الْمُلْكُ لِلَّهِ الَّذِي عَنَتِ الْوُجُوهُ لَهُ وَذَلَّتْ عِنْدَهُ الْأَرْبَابُ
مُتَقَرِّدًا بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ تَجَادَبُوهُ وَخَابُوا
دَعَاهُمْ وَزَعَمَ الْمُلْكُ يَوْمَ غُرُورِهِمْ فَسَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ^(١)

وروى البيهقي في (شعب الإيمان) عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي ،

قال : أنشدنا أحمد بن يزيد لنفسه : (المتقارب)

سَلِّ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاتَّقِهِ فَإِنَّ التَّقَى خَيْرُ مَا تَكْتَسِبُ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَصْنَعْ لَهُ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ^(٢)

فالسُّيُوطِيُّ إِذَا - كعادته في هذا الكتاب - يعرض أقوال العلماء في المسألة ثم

يختار قولاً .

وقد ذهب إلى القول بجواز الاقتباس في الشعر والنثر بشرط أن لا يتضمن

الهزل والخلاعة أو ما نسبته الله تعالى إلى نفسه . ولعل السادة المالكية قالوا

بتحريم الاقتباس احتياطاً من الوقوع في مثل هذه الموبقات ومن هذا المنطق

فقد ألّف السيوطي رسالة سماها (أحاسن الاقتباس في محاسن الاقتباس)^(٣)

(١) جملة ﴿عنت الوجوه﴾ مقبسة من قوله تعالى : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه :

١١١] وجملة ﴿فسيعلمون﴾ مقبسة من قوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ﴾

الْأَنْبِيَاءُ [القمر : ٢٦] .

(٢) مقتبس من الآية [٣] من سورة الطلاق .

(٣) وهي مخطوطة ، عندي نسخة منها مصورة عن دار الكتب الظاهرية بدمشق رقم =

ولعلّه ألفها بعد كتابته الإتقان إذ لم يشر إليها في هذا الفصل ، ولكن بالمقارنة بينهما، هناك تقارب كبير بين ما ورد في الإتقان وما جاء في مقدمة رسالته هذه وقال : « فإن الاقتباس نوع لا يقدر عليه من الشعراء إلا من له ملكة يتصرف بها كيف يشاء وقد تداوله الناس قديماً وحديثاً وساروا فيه هيناً وحيثاً ، لكن لما كان لا يستعمله إلا الشعراء الذين هم في كل واد يهيمون ، ويقعون في الموبقات ولا يبالون ، لم تكن النفس تركز إلى قولهم ولا يقتدى بفعلهم ، وقد اشتهر عن مذهب الإمام مالك تحريمه ، وأما مذهبنا فلم نر فيه للمتقدمين نقلاً . »^(١) إلخ ثم يذكر أقوال العلماء الذين يرون استعمال الاقتباس وقد مرّ ذكرهم في الإتقان .

ثم يقول : « ورأيت مثل ذلك أيضاً - أي في جواز استعمال الاقتباس - لجماعة من أئمة الشافعية آخرهم شيخ الإسلام حافظ العصر أبي الفضل ابن حجر بل استعماله في الغزل . ثم استشهد بقول أحد المعاصرين - له - (المتقارب) :

وَمَا حُسْنُ بَيْتٍ لَهُ زُخْرُفٌ تَرَاهُ إِذَا زُلْزِلَتْ لَمْ يَكُنْ

فخلاصة القول : إنّ السيوطي في هذه المسألة يذهب إلى جواز استعمال الاقتباس نثراً ونظماً لكن في المواعظ والآداب ومدح المصطفى ﷺ ومكارم الأخلاق ولهذا قال في رسالته : « وقد جمعت في هذه الكراسة ما وقع لي من ذلك ، مع أنني لم أستعمله إلا في المواعظ والآداب ومكارم الأخلاق دون الهزل والمجون والخلاعة ، ومثل هذا مما لا يشك في جوازه ، وإنما اللائق بالتحريم ما كان مثل قول بعض العصريين « وذكر بيتاً فيه خلاعة ومجون ثم قال : « فمثل هذا حريٌّ بالإنكار وجدير بأن يعدّ قائله من الفجّار »^(٢) .

= (٨٧٢٥) ضمن مجموع .

(١) أحسن الاقتباس : ق ٤٦/ ب .

(٢) م . ن : ق ٤٧/ أ .

الفصل الثاني

مصادره في هذا الكتاب

تمهيد

إن من ينظر في كتاب الإتيقان ، يدهشه هذا الكم الهائل من المصادر والمؤلفات التي رجع إليها السيوطي ، وأفاد منها في تحرير كتابه هذا ، ونظراً لكونه أجمع كتاب في علوم القرآن ، فكان من البديهي أن تكثر فيه النقول ولا سيما عند السيوطي الذي برع في هذا ، وفطر على حب الاستيعاب والجمع ، فكثرت مصادره ، وتعددت مناهله ، وتنوعت موارده ، فأخذ من كل بستان وردة ، ومن كل روضة زهرة ، فحقق ونقح ، وميَّز وهذب ، واستخلص وشذب . وفي هذا يقول : « مخضت فيه كتب العلم على تنوعها ، وأخذت زبدها ودرّها ، ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها ، واقتطفت ثمرها وزهرها ، وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها ، وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها ، وسبكت فقرها . . » (١) .

وهو في هذا الكتاب كغيره من الكتب التي ألفها يأخذ عن علماء المغرب كما يأخذ عن علماء المشرق ، حتى يكاد لا يسمع بكتاب إلا وحرص على قراءته والإفادة منه ولذلك فقد جاء هذا الكتاب دائرة معارف إسلامية أو ما يسمى بعلم المكتبات « ببلوغرافيا » أي موسوعة علمية مكتبية فقد رجع فيه السيوطي إلى كتب التفسير بأنواعه ، والحديث بشتى فروعهِ وعلمومه ، والقراءات وما يتعلق بها واللغات وما يتفرع عنها وغيرها من الكتب بمواضيع شتى ذكرها السيوطي في مقدمة كتابه .

وأما طريقته في عرض المصادر فهي أن يذكر اسم المؤلف والكتاب معاً

(١) الإتيقان : ١٢٩٠/٢ .

غالباً فيقول مثلاً : قال ابن العربي في كتابه (الناسخ والمنسوخ)^(١) ، وقال ابن النقيب في مقدمة (تفسيره)^(٢) وقال أبو جعفر النحاس في كتابه (الناسخ والمنسوخ)^(٣) ، وقال البيهقي في (دلائل النبوة)^(٤) وقال ابن الفرس في (أحكام القرآن)^(٥) وهكذا والأمثلة على ذلك كثيرة لا تخلو منها صفحة من صفحات كتابه .

منهجي في عرض مصادره :

ذكرت قبل قليل أن السيوطي ذكر مصادره في هذا الكتاب في مقدمته ، ونظراً لكثرة هذه المصادر وتنوعها فسأراعي في سردها ما يلي :

- ١- تقسيمها إلى مواضيع كما فعل السيوطي .
- ٢- ترتيبها ضمن الموضوع الواحد حسب وفيات مؤلفيها وذلك تسهيلاً للرجوع إليها في كتب الحوليات ، وتجنباً للتكرار .
- ٣- هناك بعض المؤلفين لم أعثر على تاريخ وفياتهم ، فأوردت أسماءهم وأسماء كتبهم في نهاية كل قسم وهذا قليل جداً .
- ٤- نظراً لكون هذا الكتاب ، أشمل كتاب في بابيه وقد أفرد السيوطي منه كتباً كثيرة تناولتها بالدراسة فيما سبق^(٦) ، وذكرت مصادره فيها ، ورغبة في الاختصار والاقترار على أهم المصادر التي رجع إليها السيوطي ونظرها

(١) الإتيان : ٢٦/١ .

(٢) م . ن : السابق .

(٣) م . ن : ٢٧/١ .

(٤) م . ن : ٢٩/١ .

(٥) م . ن : ٣٧/١ .

(٦) ذكرت في أثناء بحثي في كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) أن أكثر من خمسة وثلاثين نوعاً من أنواع علوم القرآن متطابقة مع ما ورد في الإتيان وقد ذكرت بعض مصادره هناك في ما يتعلق بالقسم الثاني الوجوه والنظائر أو الألفاظ المشتركة ، وهأنذا أذكر بقية المصادر المتعلقة بالقسم الأول من الكتاب هنا كما وعدت .

في تأليف هذا الكتاب فسأكتفي بذكر المصادر التي نص السيوطي على أنه رجع إليها في مقدمته^(١) ، وهي :

أ- من الكتب النقلية :

- ١- عبد الرزاق بن همام بن نافع ، أبو بكر الحميري ، الصنعاني (ت ٢١١هـ/ ٨٢٦م) .
١- التفسير .
- ٢- الفريابي ، أبو عبد الله ، محمد بن يوسف (ت ٢١٢هـ/ ٨٢٧م) .
٢- التفسير .
- ٣- أبو عبيد ، القاسم بن سلام البغدادي ، الهروي (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) .
٣- فضائل القرآن .
- ٤- سعيد بن منصور ، أبو عثمان المروزي ، الخراساني (ت ٢٢٧هـ/ ٨٤١م) .
٤- التفسير (وهو جزء من سننه) .
- ٥- ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد الكوفي ، العبسي (ت ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م) .
٥- فضائل القرآن .
- ٦- ابن الصُّرَيْس ، محمد بن أيوب بن يحيى ، أبو عبد الله (ت ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م) .
٦- فضائل القرآن .
- ٧- الطبري . محمد بن جرير ، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) .
٧- التفسير (جامع البيان) .
- ٨- ابن أبي داود ، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي ، السجستاني (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٩م) .
٨- المصاحف .
- ٩- ابن المنذر ، محمد بن إبراهيم ، النيسابوري (ت ٣١٦هـ/ ٩٢٩م) .
٩- التفسير .

(١) الإتيان : ٢١/١ وما بعدها .

- ١٠- ابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٣٢٧هـ / ٩٣٨ م) .
١٠- التفسير .
- ١١- أبو بكر بن الأنباري ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠ م) .
١١- الردة على من خالف مصحف عثمان .
- ١٢- الآجزي ، أبو بكر الحسين بن عبد الله البغدادي (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠ م) .
١٢- أخلاق حملة القرآن .
- ١٣- ابن أشتة ، محمد بن عبد الله ، أبو بكر (ت ٣٦٠هـ / ٩٧٠ م) .
١٣- المصاحف .
- ١٤- أبو الشيخ بن حيّان ، عبد الله بن محمد الأصبهاني ، الحَيّاني ، أبو محمد (ت ٣٦٩هـ / ٩٧٩ م) .
١٤- التفسير .
- ١٥- الحاكم ، محمد بن عبد الله ، أبو عبد الله النيسابوري (المعروف بابن البيع) (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤ م) .
١٥- التفسير ، وهو جزء من مستدركه .
- ١٦- ابن مردويه ، أبو بكر أحمد بن موسى الأصبهاني (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩ م) .
١٦- التفسير (المسند) .
- ١٧- الإمام النووي ، يحيى بن شرف بن حسن (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧ م) .
١٧- التبيان في آداب حملة القرآن .
- ١٨- الحافظ عماد الدين بن كثير ، أبو الفداء ، إسماعيل بن عمر القرشي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) .
١٨- التفسير .
- ١٩- الحافظ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م) .
١٩- شرح البخاري .

ب- وذكر السيوطي أنه رجع إلى ما لا يحصى من كتب جوامع الحديث والمسانيد .

ج- وأما كتب القراءات وتعلقات الأداء فذكر منها :

١١- ابن الأنباري ، (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) وسبق التعريف به .

٢٠- الوقف والابتداء .

٢٠- النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر (ت ٣٣٨هـ / ٩٤٩م) .

٢١- الوقف والابتداء : (القطع والائتناف) .

٢١- ابن غلبون ، طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله ، أبو الحسن الحلبي (٣٩٩هـ / ١٠٠٩م) .

٢٢- الشواذ .

٢٢- الدّاني ، عثمان بن سعيد ، أبو عمرو (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) .

٢٣- الوقف والابتداء : (المكتفى في الوقف والابتداء) .

٢٣- الهذلي ، يوسف بن علي بن جبارة ، أبو القاسم (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م) .

٢٤- الكامل (في القراءات) .

٢٤- الواسطي ، محمد بن الحسين بن بندار ، أبو العز (ت ٥٢١هـ / ١١٢٧م) .

٢٥- الإرشاد في القراءات العشر .

٢٥- السجاوندي ، محمد بن طيفور ، أبو عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) .

٢٦- الوقف والابتداء .

٢٦- العماني ، الحسن بن علي بن سعيد ، أبو محمد ، قال ابن الجزري نزل

مصر بُعيد سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م)^(١) .

٢٧- الوقف والابتداء .

(١) غاية النهاية : ٢٢٣/١ .

٢٧- السخاوي، عَلم الدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) .

٢٨- جمال القراء (وكمال الإقراء) .

٢٨- ابن النكزاي ، عبد الله بن محمد بن عبد الله أبو محمد (٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م) .

٢٩- الوقف والابتداء .

٢٩- ابن القاصح ، علي بن عثمان بن محمد بن أحمد ، أبو البقاء (ت ٨٠١هـ/ ١٣٩٩م) .

٣٠- قرّة العين في الفتح والإمالة بين اللفظين .

٣٠- ابن الجزري ، محمد بن محمد ، أبو الخير (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) .

٣١- النشر في القراءات العشر .

٣٢- تقريب النشر .

د- ومن كتب اللغات والغريب والعربية والإعراب ذكر :

٣١- الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة المجاشعي ، أبو الحسن (ت ٢١٥هـ/ ٨٣٠م) .

٣٣- الواحد والجمع في القرآن .

٣- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م) سبق التعريف به .

٣٤- اللغات التي نزل بها القرآن .

٣٢- ابن قتيبة الدّينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) .

٣٥- تأويل مشكل القرآن .

٣٦- غريب القرآن .

١١- ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) سبق التعريف به .

٣٧- الزاهر (في معاني الكلمات التي يستعملها الناس . . .) .

- ٣٣- العُزَيزي ، محمد بن عزيز السجستاني ، أبو بكر (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م) .
- ٣٨- غريب القرآن .
- ٣٤- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ / ١٠٢٢م) .
- ٣٩- الخاطريات .
- ٤٠- الخصائص .
- ٤١- ذو القَدَّ .
- ٤٢- المحتسب في توجيه الشواذ (من القراءات) .
- ٣٥- الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسن بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ / ١١٠٨م) .
- ٤٣- المفردات في غريب القرآن .
- ٣٦- الكُزَمانِي ، محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م) .
- ٤٤- الغرائب والعجائب (غرائب التفسير وعجائب التأويل) .
- ٣٧- الجواليقي ، أبو منصور ، موهوب بن أحمد بن محمد (ت ٥٤٠هـ / ١١٤٥م) .
- ٤٥- المعرَّب (فيما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي) .
- ٣٨- النيسابوري ، محمد بن أبي الحسن بن الحسين ، أبو القاسم (ت ٥٥٠هـ / ١١٥٥م) .
- ٤٦- الوجوه والنظائر .
- ٣٩- أبو البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ / ١٢١٩م) .
- ٤٧- إعراب القرآن (التبيان في إعراب القرآن) أو (إملأ مامَنَ به الرحمن ...) .
- ٤٠- منتجب الدين ، المنتجب بن أبي العز بن رشيد ، أبو يوسف (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) .
- ٤٨- إعراب القرآن (الفريد في إعراب القرآن المجيد) .
- ٤١- ابن الحاجب ، جمال الدين ، أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٩م) .

- ٤٩- أمالي ابن الحاجب (أمالي النحوية) .
- ٤٢- السفاقي ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٢ م) .
- ٥٠- إعراب القرآن : (المجيد في إعراب القرآن المجيد) .
- ٤٣- ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، أبو العباس (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٨ م) .
- ٥١- قواعد في التفسير : (المقدمة في التفسير) .
- ٤٤- أبو حيّان ، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي ، أثير الدين (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤ م) .
- ٥٢- شرح التسهيل : (التذيل والتكميل في شرح التسهيل) .
- ٥٣- الارتشاف : (ارتشاف الضرب من لسان العرب) .
- ٤٥- ابن أم قاسم ، الحسن بن قاسم بن عبد الله ، أبو محمد (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م) .
- ٥٤- الجنى الداني : (في توضيح حروف المعاني) .
- ٤٦- السّمين ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي ، أبو العباس (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥ م) .
- ٥٥- إعراب القرآن .
- ٤٧- ابن هشام ، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٠ م) .
- ٥٦- المغني (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) .
- ٤٨- ابن عبد الصمد (ت ؟) .
- ٥٧- الوجوه والنظائر .

هـ- ومن كتب الأحكام وتعلقاتها :

- ٣- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨ م) مرّ ذكره .
- ٥٨- الناسخ والمنسوخ .

- ٤٩- أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨ م) .
- ٥٩- أحكام القرآن .
- ٥٠- إسماعيل القاضي ، إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م) .
- ٦٠- أحكام القرآن .
- ٢٠- أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ / ٩٤٩ م) مر ذكره .
- ٦١- الناسخ والمنسوخ .
- ٥١- بكر بن العلاء القشيري ، أبو الفضل (ت ٣٤٤هـ / ٩٥٥ م) .
- ٦٢- أحكام القرآن .
- ٥٢- أبو بكر الرازي، أحمد بن علي الرازي، المعروف بالجصاص (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠ م).
- ٦٣- أحكام القرآن .
- ٥٣- ابن خويزمنداذ، محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩ م) تقريباً.
- ٦٤- أحكام القرآن .
- ٥٤- مكّي بن أبي طالب القيسي، حمّوش بن محمد الأندلسي (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥ م).
- ٦٥- الناسخ والمنسوخ .
- ٥٥- أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر التميمي الاسفراييني (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧ م)
- ٦٦- الناسخ والمنسوخ .
- ٥٦- إلكيا الهراسي ، علي بن محمد بن علي ، أبو الحسن (ت ٥٠٤هـ / ١١١٠ م) .
- ٦٧- أحكام القرآن .
- ٥٧- السعيدى، محمد بن بركات بن هلال، أبو عبد الله المصري (ت ٥٢٠هـ / ١١٢٦ م).
- ٦٨- الناسخ والمنسوخ .
- ٥٨- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت ٥٣٤هـ / ١١٤٨ م).
- ٦٩- أحكام القرآن .
- ٧٠- الناسخ والمنسوخ .

٥٩- ابن الفرس ، عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الغرناطي ، أبو عبد الله
(ت ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م) .

٧١- أحكام القرآن .

٦٠- ابن الحضار ، علي بن محمد ، أبو الحسن (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م) .

٧٢- الناسخ والمنسوخ .

٦١- العز بن عبد السلام ، عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) .

٧٣- الإمام في أدلة الأحكام .

و- وقد ذكر السيوطي من الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة ما يلي :

٦٢- الزماني ، أبو الحسن ، علي بن عيسى (ت ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) .

٧٤- إعجاز القرآن : (النكت في إعجاز القرآن) .

٦٣- الخطابي ، أبو سليمان ، حمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م) .

٧٥- إعجاز القرآن : (بيان إعجاز القرآن) .

٦٤- العسكري ، أبو هلال ، حسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م) .

٧٦- الصناعتين (النظم والنثر) .

٦٥- أبو بكر الباقلاني ، محمد بن الطيب ، القاضي (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م) .

٧٧- إعجاز القرآن .

٦٦- ابن رشيق ، أبو علي ، الحسن بن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) .

٧٨- العمدة (في صناعة الشعر ونقده) .

٦٧- عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ /

١٠٧٨م) .

٧٩- إعجاز القرآن .

٨٠- الكنايات : (كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) .

٦٨- فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين ، أبو عبد الله القرشي
(ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) .

٨١- إعجاز القرآن : (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) .

٦٩- الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، المعروف بابن اللباد (ت ٦٢٩هـ /
١٢٣١م) .

٨٢- شرح بديع قدامة .

٧٠- ابن الأثير الكاتب، نصر الله بن محمد بن محمد ، أبو الفتح (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) .

٨٣- المثل السائر (في أدب الكاتب والشاعر) .

٧١- الزمكاني، عبد الواحد بن عبد الكريم ، أبو المكارم (ت ٦٥١هـ / ١٢٥٣م) .

٨٤- البرهان (الكاشف عن إعجاز القرآن) .

٨٥- التبيان في علم البيان (المطلع على إعجاز القرآن) .

٨٦- مختصر البرهان : (المجيد في إعجاز القرآن المجيد) .

٨٧- المنهج المفيد في أحكام التوكيد .

٨٨- نهاية التأميل في أسرار التنزيل .

٧٢- ابن أبي الأصعب ، عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) .

٨٩- بدائع القرآن .

٩٠- البرهان في إعجاز القرآن .

٩١- التحبير (تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز

القرآن) . ويسمى أيضاً (التحبير في علم البديع) .

٩٢- الخواطر السوانح في أسرار الفواتح .

٧٣- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله ، أبو حامد (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٨م) .

٩٣- الفلك الدائر على المثل السائر .

- ٦١- العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) سبق ذكره .
- ٩٤- مجاز القرآن .
- ٧٤- ابن سراقه ، أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م) .
- ٩٥- إعجاز القرآن .
- ٧٥- حازم بن محمد بن حسن ، ابن حازم القرطاجني ، أبو الحسن (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) .
- ٩٦- منهاج البلغاء : (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) .
- ٧٦- بدر الدين بن مالك ، أبو عبد الله محمد بن جمال الدين محمد بن مالك الطائفي (ت ٦٧٦هـ / ١٢٨٧م) .
- ٩٧- المصباح (في المعاني والبيان) وهو اختصار (المفتاح) للسكاكي .
- ٧٧- ابن الأثير ، إسماعيل بن أحمد بن سعيد (ت ٦٩٩هـ / ١٢٩٩م) .
- ٩٨- كنز البراعة ، واختصره ابنه أحمد (ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) .
- ٧٨- أبو جعفر بن الزبير ، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) .
- ٩٩- مناسبات ترتيب السور : (البرهان في تناسب سور القرآن) .
- ٧٩- الطوفي ، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم ، الصرصري (ت ٧١٦هـ / ١٣١٦م) .
- ١٠٠- فواصل الآيات : (بغية الواصل في معرفة الفواصل) .
- ٨٠- الشرف البارزي ، هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم ، أبو القاسم (ت ٧٣٨هـ / ١٣٣٨م) .
- ١٠١- أسرار التنزيل .
- ٨١- الطيبي ، شرف الدين حسين بن محمد بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) .
- ١٠٢- التبيان (في المعاني والبيان) .
- ٨٢- التنوخي ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمرو (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .
- ١٠٣- الأقصى القريب (في علم البيان) .

٨٣- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (٧٥١هـ/١٣٥٠م).

١٠٤- الإيجاز في المجاز .

٨٤- تقي الدين السبكي، علي بن عبد الكافي، أبو الحسن (٧٥٦هـ/١٣٥٥م).

١٠٥- الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض .

١٠٦- الاقتناص في الفرق بين الحصر والاختصاص .

٨٥- السبكي، بهاء الدين بن تقي الدين (٧٦٣هـ/١٣٦٢م) .

١٠٧- عروس الأفراح (شرح تلخيص المفتاح) .

٨٦- ابن الصائغ، محمد بن عبد الرحمن بن علي (٧٧٦هـ/١٣٧٥م) .

١٠٨- إحكام الراي في أحكام الآي .

١٠٩- روض الأفهام في أقسام القرآن .

١١٠- المقدمة في سر الألفاظ المقدمة .

١١١- نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير .

ز- ومن الكتب فيما سوى ذلك من الأنواع :

٨٧- إسماعيل الضرير، أبو عبد الرحمن، إسماعيل بن أحمد بن عبد الله، الحيري

(ت ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) .

١١٢- أسماء من نزل فيهم القرآن .

٨٨- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) .

١١٣- أمثال القرآن .

٨٩- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) .

١١٤- جواهر القرآن .

٣٦- الكرمانى، (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) سبق ذكره .

١١٥- البرهان في متشابه القرآن .

٩٠- السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) .

١١٦- التعريف والإعلام فيما وقع في القرآن من الأسماء والأعلام .

٦٨- أبو عبد الله الرازي ، هو الفخر (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م) وقد سبق ذكره .

١١٧- درة التنزيل وغرة التأويل .

٩١- الموصلي ، عمر بن بدر ، أبو حفص (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م) .

١١٨- ذات الرشد في عدد الآي وشرحها .

٩٢- ابن عسكر ، أبو عبد الله ، محمد بن علي بن الخضر الغساني (ت ٢٣٦هـ/ ١٢٣٨م) .

١١٩- ذيل التعريف والإعلام : (التكميل والإتمام لكتاب التعريف والإعلام) .

٩٣- بدر الدين بن جماعة ، محمد بن إبراهيم بن سعد ، أبو عبد الله (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) .

١٢٠- التبيان في مبهمات القرآن .

١٢١- كشف المعاني في المتشابه المثنائي .

٩٤- ابن اللبان ، محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الدمشقي (ت ٧٤٩هـ- ١٣٤٨م) .

١٢٢- شرح آيات الصفات .

٨٣- ابن القيم (ت ٧٥١هـ/ ١٢٩٢م) وقد سبق ذكره .

١٢٣- أقسام القرآن : (التبيان في أقسام القرآن) .

٩٥- اليافعي ، عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م) .

١٢٤- الدر النظيم في منافع القرآن العظيم .

ح - وقد ذكر من كتب الرسم ثلاثة فقط وهي :

٢٢- الداني (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) وسبق ذكره .

١٢٥- المقنع (في رسم مصاحف الأمصار) .

- ٢٧- السّخاوي ، علّم الدين (ت٦٤٣هـ / ١٢٤٥م) سبق ذكره .
- ١٢٦- شرح الرائية ، وهي القصيدة المسماة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) .
- ٩٦- ابن جُبارة ، أحمد بن محمد بن عبد المولى (ت٧٢٨هـ / ١٣٢٨م) .
- ١٢٧- شرح الرائية أيضاً (شرح العقيلة) .
- ط- وأما من الكتب الجامعة :
- ٩٧- أبو الليث السمرقندي ، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت٣٧٣هـ / ٩٨٣م) .
- ١٢٨- البستان .
- ٩٨- الشريف المرتضى ، أبو القاسم علي بن الحسن الموسوي (ت٤٣٦هـ / ١٠٤٤م) .
- ١٢٩- الغرر والدرر .
- ٩٩- ابن الجوزي ، (ت٥٩٧هـ / ١٢٠١م) سبق ذكره .
- ١٣٠- النفيس .
- ٦١- العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ / ١٢٦١م) سبق ذكره .
- ١٣١- كنز الفوائد .
- ١٠٠- ابن شبيب الحنبلي ، نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني (ت٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) .
- ١٣٢- جامع الفنون .
- ٨٣- ابن القيم (ت٧٥١هـ / ١٣٥٠م) سبق ذكره .
- ١٣٣- بدائع الفوائد .
- ١٠١- البدر بن الصّاحب ، أحمد بن محمد بن أحمد (ت٧٨٨هـ / ١٣٨٦م) .
- ١٣٤- التذكرة .

ي-ومن تفاسير غير المحدثين ذكر :

١٠٢- الحوفي ، علي بن إبراهيم ، أبو الحسن (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) .

١٣٥- التفسير : (البرهان في تفسير القرآن) .

١٠٣- سليم الرازي ، أبو الفتح ، سليم بن أيوب الرازي (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م) .

١٣٦- التفسير : (ضياء القلوب) .

٨١- الماوردي (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) .

١٣٧- التفسير .

١٠٤- القشيري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ، أبو القاسم (ت ٤٦٥هـ /

١٠٧٢م) .

١٣٨- التفسير (التيسير) .

١٠٥- الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد ، أبو الحسن النيسابوري (ت ٤٦٨هـ /

١٠٧٥م) .

١٣٩- التفسير : (البسيط والوسيط والوجيز) .

١٠٦- إمام الحرمين ، أبو المعالي ، عبد الملك بن عبد الله الجويني (ت ٤٧٨هـ /

١٠٨٥م) .

١٤٠- التفسير .

١٠٧- الزمخشري ، محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) .

١٤١- التفسير : (الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه

التأويل) .

١٠٨- ابن عطية ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن أبو محمد الغرناطي

(ت ٥٤٢هـ / ١١٤٨م) .

١٤٢- التفسير : (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) .

- ٩٩- ابن الجوزي (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) سبق التعريف به .
- ١٤٣- التفسير (زاد المسير) .
- ٦٨- فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) سبق التعريف به .
- ١٤٤- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) .
- ١٠٩- ابن برجان ، عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد السلام اللخمي ، أبو الحكم (ت ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م) .
- ١٤٥- التفسير (الإرشاد في تفسير القرآن) .
- ١١٠- الرافعي ، عبد الكريم بن محمد بن عبد الحكيم (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) .
- ١٤٦- الأماي على الفاتحة : (الأماي الشارحة على الفاتحة) .
- ١١١- المرسي ، محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م) .
- ١٤٧- التفسير .
- ١١٢- ابن بُزَيْرَة ، عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي ، التونسي ، أبو محمد (ت ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م) .
- ١٤٨- التفسير .
- ١١٣- ابن رزين ، تقي الدين محمد بن الحسين الحموي (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) .
- ١٤٩- التفسير .
- ١١٤- الكواشي ، أحمد بن يوسف بن الحسن الموصلي ، أبو العباس (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) .
- ١٥٠- التفسير : (كشف الحقائق وشرح الدقائق) .
- ١١٥- ابن التَّيْب ، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن حسن البلخي (ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م) .
- ١٥١- مقدمة تفسيره (التحرير والتجوير لأقوال أئمة التفسير) .
- ١١٦- ابن المنير ، أبو عبد الواحد بن منصور بن محمد الإسكندري (ت ٧٧٣هـ / ١٣٣٢م) .
- ١٥٢- التفسير : (البحر الكبير في بحث التفسير) .

٨١- الطيبي ، (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م) . سبق ذكره .

١٥٣- حاشية على الكشف : (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب) .

٤٤- أبو حيان ، محمد بن يوسف بن علي ، أثير الدين (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م)
سبق التعريف به .

١٥٤- التفسير : (البحر المحيط) .

١١٧- الأصبهاني ، محمود بن عبد الرحمن بن أحمد ، أبو النشاء
(ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٤م) .

١٥٥- التفسير (أنوار الحقائق الربانية) .

١١٨- ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن المصري (ت ٧٦٩هـ / ١٣٦٧م) .

١٥٦- التفسير : (التعليق الوجيز على الكتاب العزيز) .

مما تقدم يتبين أنّ السيوطي قد نظر في كتب (١١٨) عالم ، وبلغت عدد الكتب التي نص عليها في المقدمة (١٥٦) كتاب . وليست هذه هي مصادره فحسب بل رجع إلى كتب كثيرة غيرها كالبرهان في علوم القرآن ، للزركشي ، والمرشد الوجيز لأبي شامة وهذه الكتب ذكرها في مقدمته ، وقد أكثر من النقل عنها ، ولم ينص عليها في قائمة مصادره ، ورجع إلى كتب المسانيد وجوامع الحديث والتاريخ والطبقات فنظر فيما لا يحصى منها ، ولم أذكرها كلها لسببين :
١- متابعة لرغبة السيوطي في اختيار مصادره وعدّها ، ولو أراد غيرها ل زاد عليها .

٢- لما ذكرت سابقاً من أن كتاب (الإتيقان) أجمع وأشمل كتاب في علوم القرآن وقد قمت بدراسة جهود السيوطي في علوم القرآن من خلال المؤلفات التي أفردتها بالتصنيف وهي بعض أنواع الإتيقان ، وذكرت هناك مصادره بالتفصيل وهي مصادره هنا - بلا شك - فليس لذكرها هنا كبير فائدة ، ولئلا يؤدي هذا إلى التكرار .

* * *

الفصل الثالث

المقارنة بين

برهان الزركشي وإتقان السيوطي

1. 2. 3. 4. 5. 6. 7. 8. 9. 10. 11. 12. 13. 14. 15. 16. 17. 18. 19. 20. 21. 22. 23. 24. 25. 26. 27. 28. 29. 30. 31. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49. 50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74. 75. 76. 77. 78. 79. 80. 81. 82. 83. 84. 85. 86. 87. 88. 89. 90. 91. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100.

المقارنة بين

برهان الزركشي وإتقان السيوطي

ذكرت فيما سبق أن السيوطي عندما خطر له تأليف كتاب (الإِتقان) ، وبينما هو يجيل في ذلك فكراً ، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، إذ سمع بكتاب (البرهان) للزركشي فاطَّلَعَ عليه ، فسُرَّ به وحمد ما فيه ، وقد ذكر في مقدمته : « أنَّ ممَّا فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث »^(١) .

ويبدو أن هذه الفكرة قد لمعت في ذهن السيوطي أيضاً قبل أن يطَّلَعَ على كتاب الزركشي ، وكانت هي السبب في اهتمام السيوطي بجمع علوم القرآن في كتاب . فألف أولاً (التحبير) الذي ألفه قبل أن يطَّلَعَ على كتاب الزركشي وقال في مقدمته : « وإنَّ ممَّا أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلَّى في آخر الزمان بأحسن زينة (علم التفسير) الذي هو كمصطلح الحديث ، فلم يدوِّنه أحد لا في القديم ولا في الحديث »^(٢) وهذا يعدُّ من التوافق وتوارد الأفكار ، ثم أكد على ذلك في تأليف كتاب (الإِتقان) الذي جاء فيه : « ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدوِّنوا كتاباً في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث »^(٣) .

وقد قسَّم الزركشي كتابه إلى سبعة وأربعين نوعاً ، اقتصر في كل نوع منها على أصوله وأشار إلى بعض فصوله لأنه لو أراد الإنسان استقصاء هذه الأنواع

(١) البرهان : ١٠٢/١ .

(٢) التحبير : ٣٨ .

(٣) الإِتقان : ٧/١ .

لاستفرغ عمره ثم لم يحكم أمره ، لأن علوم القرآن لا تحصى ومعانيه لا تستقصى . ومن رام الوصول إلى إحصائه لم يجد إلى ذلك سبيلاً ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

ولكن قد يفتح الله لعالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب ، فجاء السيوطي وأضاف على ما ذكره الزركشي ثلاثة وثلاثين نوعاً فأصبح مجموع الأنواع في الإتيان ثمانين نوعاً وهذا على سبيل الإدماج ولو أراد تفصيلها لزادت على الثلاثمئة^(١) ، وقد رتبته - كما قال - أنسب من ترتيب البرهان ، فزاد أنواعاً وأدمج أنواعاً في غيرها وفصل ما حقه أن يوسع فيه ويفصل^(٢) . حتى خرج بالشكل الذي يرتضيه .

وهذه جداول تبين الأنواع عند كل من الزركشي والسيوطي :

أولاً : جدول يبين أنواع علوم القرآن عند الزركشي :

| رقم النوع | موضوعه | رقم النوع | موضوعه |
|-----------|----------------------|-----------|------------------------------|
| ١ | سبب النزول | ١٠ | أول ما نزل |
| ٢ | المناسبات بين الآيات | ١١ | على كم لغة نزل |
| ٣ | الفواصل | ١٢ | كيفية إنزاله |
| ٤ | الوجوه والنظائر | ١٣ | جمعه ومن حفظه من الصحابة |
| ٥ | المتشابه | ١٤ | تقسيمه |
| ٦ | المبهمات | ١٥ | أسماءه |
| ٧ | أسرار الفواتح | ١٦ | ما وقع فيه من غير لغة الحجاز |
| ٨ | خواتم السور | ١٧ | ما فيه من غير لغة العرب |
| ٩ | المكي والمدني | ١٨ | غريبه |

(١) انظر الإتيان : ٢٠/١ .

(٢) م . ن : ١٦/١ .

| رقم النوع | موضوعه | رقم النوع | موضوعه |
|-----------|-------------------------|-----------|-----------------------|
| ١٩ | التصريف | ٣٢ | أحكامه |
| ٢٠ | الأحكام | ٣٣ | جدله |
| ٢١ | كون اللفظ أو التركيب | ٣٤ | ناسخه ومنسوخه |
| | أحسن وأفصح | ٣٥ | توهم المختلف |
| ٢٢ | اختلاف القراءات | ٣٦ | المحكم والمتشابه |
| ٢٣ | توجيه القراءات | ٣٧ | حكم الآيات المتشابهات |
| ٢٤ | الوقف والابتداء | | الواردة في الصفات |
| ٢٥ | مرسوم الخط | ٣٨ | إعجازه |
| ٢٦ | فضائله | ٣٩ | وجوب تواتره |
| ٢٧ | خواصه | ٤٠ | معاضدة السنة للكتاب |
| ٢٨ | هل في القرآن شيء | ٤١ | تفسيره |
| | أفضل من شيء | ٤٢ | وجوه مخاطباته |
| ٢٩ | آداب تلاوته | ٤٣ | حقيقته ومجازه |
| ٣٠ | هل يجوز في التصانيف | ٤٤ | الكناية والتعريض |
| | والرسائل والخطب استعمال | ٤٥ | أقسام معنى القرآن |
| | بعض آيات القرآن | ٤٦ | أساليب القرآن |
| ٣١ | الأمثال الكائنة فيه | ٤٧ | معرفة الأدوات |

هذه هي الأنواع بترتيب الزركشي . أما السيوطي فقد رتبها ترتيباً أنسب من هذا فكانت على الشكل التالي :

جدول يبين الأنواع في (الإتقان)

| رقم النوع | موضوعه | رقم النوع | موضوعه |
|-----------|--|-----------|---------------------------|
| ١ | المكي والمدني | ١٦ | كيفية إنزاله |
| ٢ | الحضري والسفري | ١٧ | أسماءه وأسماء سورة |
| ٣ | النهارى والليلي | ١٨ | جمعه وترتيبه |
| ٤ | الصيفي والشتائي | ١٩ | عدد سورة وآياته وكلماته |
| ٥ | الفراشي والنومي | | وحروفه |
| ٦ | الأرضي والسماوي | ٢٠ | حفاظه ورواته |
| ٧ | أول ما نزل | ٢١ | العالي والنازل |
| ٨ | آخر ما نزل | ٢٢ | المتواتر |
| ٩ | أسباب النزول | ٢٣ | المشهور |
| ١٠ | ما نزل على لسان بعض الصحابة | ٢٤ | الآحاد |
| ١١ | ما تكرر نزوله | ٢٥ | الشاذ |
| ١٢ | ما تأخر حكمه عن نزوله | ٢٦ | الموضوع |
| | وما تأخر نزوله عن حكمه | ٢٧ | المدرج |
| ١٣ | ما نزل مفزلاً وما نزل جمعاً | ٢٨ | الوقف والابتداء |
| ١٤ | ما نزل مشيعاً وما نزل مفزلاً | ٢٩ | الموصول لفظاً ، |
| ١٥ | ما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ | ٣٠ | المفصول معنى |
| | | ٣١ | الإمالة والفتح وما بينهما |
| | | | الإدغام والإظهار |
| | | | والإخفاء والإقلاب |
| | | ٣٢ | المد والقصر |

| رقم النوع | موضوعه | رقم النوع | موضوعه |
|-----------|----------------------------|-----------|----------------------------|
| ٣٣ | تخفيف الهمزة | ٥٣ | تشبيهه واستعارته |
| ٣٤ | كيفية تحمله | ٥٤ | كناياته وتعريضه |
| ٣٥ | آداب تلاوته | ٥٥ | الحصر والاختصاص |
| ٣٦ | غريبه | ٥٦ | الإيجاز والإطناب |
| ٣٧ | ما وقع فيه بغير لغة الحجاز | ٥٧ | الخبر والإنشاء |
| ٣٨ | ما وقع فيه بغير لغة العرب | ٥٨ | بدائع القرآن |
| ٣٩ | الوجوه والنظائر | ٥٩ | فواصل الآي |
| ٤٠ | معاني الأدوات التي يحتاج | ٦٠ | فواتح السور |
| | إليها المفسر | ٦١ | خواتم السور |
| ٤١ | إعرابه | ٦٢ | مناسبة الآيات والسور |
| ٤٢ | قواعد مهمة يحتاج المفسر | ٦٣ | الآيات المشتبهات |
| | إلى معرفتها | ٦٤ | إعجاز القرآن |
| ٤٣ | المحكم والمتشابه | ٦٥ | العلوم المستنبطة من القرآن |
| ٤٤ | مقدمه ومؤخره | ٦٦ | أمثاله |
| ٤٥ | خاصه وعامه | ٦٧ | أقسامه |
| ٤٦ | مجمله ومبينه | ٦٨ | جدله |
| ٤٧ | ناسخه ومنسوخه | ٦٩ | الأسماء ، والكنى والألقاب |
| ٤٨ | مشكله وموهم الاختلاف | ٧٠ | مبهمات |
| | والتناقض | ٧١ | أسماء من نزل فيهم القرآن |
| ٤٩ | مطلقه ومقيده | ٧٢ | فضائل القرآن |
| ٥٠ | منطوقه ومفهومه | ٧٣ | أفضل القرآن وفاضله |
| ٥١ | وجوه مخاطباته | ٧٤ | مفردات القرآن |
| ٥٢ | حقيقته ومجازه | ٧٥ | خواصه |

| رقم النوع | موضوعه | رقم النوع | موضوعه |
|-----------|------------------------|-----------|----------------|
| ٧٦ | رسوم الخط وآداب كتابته | ٧٩ | غرائب التفسير |
| ٧٧ | معرفة تأويله وتفسيره | ٨٠ | طبقات المفسرين |
| ٧٨ | شروط المفسر وآدابه | | |

وقد ذكرت سابقاً أن السيوطي راعى في ترتيبه هذه الأنواع التسلسل التاريخي لنزول القرآن ومن ثم جمعه وترتيبه وآداب قراءته وتاليه وأخيراً تفسيره وما يتعلق بذلك من شروط وآداب إلخ .

وإذا كان السيوطي قد راعى هذا الجانب في الترتيب فهو بلا شك صاحب نظر ثاقب وإبداع، ترتيبه أنسب من ترتيب الزركشي .

أما الزيادات التي أضافها على (برهان) الزركشي فمنها ما هو توسعة لنوع واحد عند الزركشي ، كالنوع العاشر في (البرهان) وهو « معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل » جعله السيوطي نوعين هما السابع : أول ما نزل ، والثامن : « آخر ما نزل » وكان النوع الحادي والأربعين في (البرهان) وهو (تفسير القرآن) ، جعله السيوطي خمسة أنواع هي : السابع والسبعون (في معرفة تفسيره وتأويله، وبيان شرفه والحاجة إليه)، والثامن والسبعون (في معرفة شروط المفسر وآدابه) والتاسع والسبعون (في غرائب التفسير) ، والثمانون : (في طبقات المفسرين) . وكان قد جعل النوع الثاني والأربعين : (في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها) .

وخير ما يمثل هذا ما ذكره الزركشي في النوع السادس والأربعين (في ذكر ما تيسر من أساليب القرآن وفنونه البليغة) وقد قال عنه « وهو المقصود الأعظم من هذا الكتاب ، وهو بيت القصيد »^(١) .

وقد بلغت عدد صفحاته (٧١٠) صفحة بينما ذكر السيوطي كل ذلك وفي عدة أنواع وهناك أنواع زادها السيوطي ولم يتعرض لها الزركشي كالنوع الرابع

(١) البرهان : ٤٨٠ / ٢ .

الصيفي والشتائي ، والخامس الفراشي والنومي والسادس الأرضي والسماوي إلخ .

بينما لم أجد ما تفرد به الزركشي إلا نوعاً واحداً وهو النوع الأربعون : « معاضدة السنة للكتاب » ولعل السيوطي لم يذكره في (الإتيقان) لأنه كان ينوي تأليف كتاب كبير في ذلك ولكن المنيّة أدركته قبل تنفيذ مشروعه هذا ، وقد أشار إلى ذلك في نهاية مقدمته على (أسرار التنزيل) فقال : « وأرجو إن شاء الله تعالى إن تمّ هذا الكتاب - وكان في الأجل فسحة - أن أضع كتاباً في توافق السنّة والقرآن ، أذكر فيه كل حديث في القرآن معناه أو إشارة إليه تحقيقاً لقول الشافعي رضي الله عنه : كل ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن ، حقق الله تعالى ذلك بمنه وكرمه »^(١) وقد ذهب بعض الباحثين^(٢) إلى أن الزركشي انفرد بستة عشر نوعاً وعدّد من جملتها النوع (٦٧) « أقسامه » وهذا خطأ صريح فعدد الأنواع في (البرهان) (٤٧) نوعاً والذي ذكره سابقاً هو النوع السابع والستون في (الإتيقان) وهو « أقسامه » وأيضاً ما ذكره من بقية الأنواع وهي مجاز القرآن ، وأحكامه ، ومعرفة وجوه المخاطبات ومعرفة توهم المختلف وأسرار الفواتح وأساليب القرآن وتصريفه وتضمنين الآيات في الرسائل والخطب وتوجيه قراءاته ولغات القرآن « الأحرف السبعة » وغيرها ، فكل ما ذكره لم ينفرد به الزركشي ، بمعنى أن السيوطي لم يذكره ولم يأت به ، بل تعرض لها السيوطي ضمن أنواع أخرى ، ولم يفرد لها عنواناً كما فعل الزركشي ، فمثلاً في النوع التاسع عشر « معرفة التصريف » ذكر السيوطي مضمونه في ثلاثة أنواع هي : الحادي والثلاثون « في الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب » والثاني والثلاثون « في المد والقصر » والثالث والثلاثون « في تخفيف الهمز » .

(١) أسرار التنزيل : ق ٣/أ .

(٢) انظر مقدمة يوسف المرعشلي لكتاب البرهان : ٨٢/١ .

وكذلك الأمر في النوع الحادي والعشرين « بلاغة القرآن ، معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح » . ذكر السيوطي مضمون هذا النوع في ثلاثة أنواع أيضاً هي : « الثالث والخمسون » في تشبيهه واستعارته « والسادس والخمسون » في الإيجاز والإطناب « والثامن والخمسون » في « بديع القرآن » ولم يذكر السيوطي نوعاً في بلاغة القرآن ، وهذا لا يعني أن الزركشي قد نفرد بهذا النوع ، وأن السيوطي قد أغفله ، ولم يأت على ذكره ، وإن لم يفرد له عنواناً مستقلاً .

وكذلك الشأن فيما يتعلق بالنوع الحادي عشر في « معرفة على كم لغة نزل » « الأحرف السبعة » فقد ذكره السيوطي ضمن النوع السادس عشر « في كيفية إنزاله » في آخره كمسألة من المسائل التي عرضها فيه فقال : « المسألة الثالثة : في الأحرف السبعة التي نزل القرآن بها »^(١) .

ومثل ذلك أيضاً النوع الثالث والعشرون في « معرفة توجيه القراءات » لم يفرد السيوطي لها نوعاً وإنما تبه على هذا الأمر في نهاية النوع السابع والعشرين في التنبيه السادس : « من المهم معرفة توجيه القراءات . . . »^(٢) . وغيرها من الأمثلة ، وقد أشار السيوطي إلى صنيعه هذا في مقدمته عندما قال : « وأدمجت بعض الأنواع في بعض »^(٣) .

وبالمقابل فإن السيوطي وسّع في بعض الأنواع التي أتى بها الزركشي وزاد عليها نصوصاً كثيرة ، وقد ذكر ذلك أيضاً في مقدمته فقال : « وفصلت ما حقه أن بيان ، وزدته على ما فيه من الفوائد والفرائد ، والقواعد والشوارد »^(٤) ومن ذلك النوع السادس والثلاثون في « معرفة غريبة » فقد جاء في (٦٣) صفحة

(١) الإيتقان : ١٤٤/١ .

(٢) م . ن : ٢٥٦/١ .

(٣) م . ن : ١٦/١ .

(٤) م . ن السابق .

بينما هو عند الزركشي في (٦) صفحات فقط ، وهذه الزيادة ناشئة عن تضمينه أقوال العلماء في هذا النوع وما ساقه مما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة في غريب القرآن ، والمسائل التي وقعت بين ابن عباس ونافع بن الأزرق ، وقد ذكرها كاملة لتستفاد .

وكذلك الشأن في النوع السبعين مبهمات القرآن : فقد جعله في (١١) صفحة بينما هو عند الزركشي (٨) صفحات فقط ، ومنشأ هذه الزيادة أنه ألف في هذا النوع كتاباً ، وجاء اختصاره في هذه الصفحات فقط وقد أحال على كتابه أيضاً^(١) .

وبعد هذا العرض سأوضح ذلك بجداول : تبين الأنواع المشتركة في كل من (الإتيان) و (البرهان) وما ذكره السيوطي ضمن أنواع أخرى ، وما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي .

أولاً : جدول يبين الأنواع المشتركة بين (الإتيان) و (البرهان) :

| رقم النوع في الإتيان | رقم النوع في البرهان | موضوعه |
|----------------------|----------------------|--------------------------------|
| ١ | ٩ | المكي والمدني |
| ٧ | ١٠ | أول ما نزل |
| ٩ | ١ | سبب النزول |
| ١٦ | ١٢ | كيفية إنزاله |
| ١٧ | ١٥ | معرفة أسمائه |
| ١٨ | ١٣ | جمعه وترتيبه |
| ١٩ | ١٤ | عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه |
| ٢٠ ، ١٨ | ١٣ | جمعه وترتيبه وحفاظه من الصحابة |

(١) م . ن : ١٠٩١/٢ - ١١١٠ .

| موضوعه | رقم النوع في البرهان | رقم النوع في الإتيان |
|-----------------------------------|----------------------|----------------------|
| المتواتر | ٣٩ | ٢٢ |
| الوقف والابتداء | ٢٤ | ٢٨ |
| آداب تلاوته | ٢٩ | ٣٥ |
| غريبه | ١٨ | ٣٦ |
| ما وقع فيه من غير لغة الحجاز | ١٦ | ٣٧ |
| ما وقع فيه من غير لغة العرب | ١٧ | ٣٨ |
| الوجوه والنظائر . | ٤ | ٣٩ |
| الأدوات التي يحتاج إليها المفسر | ٤٧ | ٤٠ |
| إعرابه | ٢٠ | ٤١ |
| المحكم والمتشابه | ٣٦ | ٤٣ |
| ناسخه ومنسوخه . | ٣٤ | ٤٧ |
| موهم الاختلاف والتناقض | ٣٥ | ٤٨ |
| وجوه المخاطبات | ٤٢ | ٥١ |
| حقيقته ومجازه | ٤٣ | ٥٢ |
| الكناية والتعريض | ٤٤ | ٥٤ |
| فواصل الآي . | ٣ | ٥٩ |
| فواتح السور (أسرار الفواتح) | ٧ | ٦٠ |
| خواتم السور . | ٨ | ٦١ |
| مناسبة الآيات والسور | ٢ | ٦٢ |
| الآيات المشتبهات (علم المتشابه) | ٥ | ٦٣ |
| إعجاز القرآن . | ٣٨ | ٦٤ |
| أمثال القرآن . | ٣١ | ٦٦ |
| جدله | ٣٣ | ٦٨ |
| مبهمات | ٦ | ٧٠ |

| رقم النوع في الإتيان | رقم النوع في البرهان | موضوعه |
|----------------------|----------------------|--|
| ٧٢ | ٢٦ | فضائله |
| ٧٣ | ٢٨ | أفضل القرآن وفاضله |
| ٧٥ | ٢٧ | خواصه |
| ٧٦ | ٢٥ | رسوم الخط وآداب كتابته
(مرسوم الخط) . |
| ٧٧ | ٤١ | تفسيره . |

هذا ما وجدته من تطابق في الأنواع عند كل من « الإتيان » و « البرهان » .
وهناك أنواع ظن بعض الباحثين^(١) أن الزركشي قد انفرد بها ، ولكنها في الحقيقة لم تغفل عن السيوطي الذي اطلع على كتاب الزركشي قبل تأليفه (الإتيان) فذكرها ولكن ضمن أنواع أخرى .

وهذا الجدول الثاني يبين ما أفرده الزركشي بنوع وأدمجه السيوطي ضمن نوع آخر .

| رقم النوع في البرهان | رقم النوع في الإتيان | اسم النوع في البرهان | اسم النوع في الإتيان |
|----------------------|----------------------|---|---------------------------------|
| ١١ | ١٦ | معرفة على كم لغة نزل
المسألة الثالثة (الأحرف السبعة) | كيفية نزوله |
| ٢١ | ٥٣ | بلاغة القرآن | تشبيهه واستعارته |
| ٤٦ | ٤٢ | أساليب القرآن وفنونه | قواعد مهمة يحتاج إليها المفسر . |
| ٤٦ | ٤٤ | أساليب القرآن وفنونه | المقدم والمؤخر |
| ٤٦ | ٥٣ | أساليب القرآن وفنونه | التشبيه والاستعارة . |

(١) انظر مقدمة الدكتور يوسف المرعشلي على البرهان : ٨٢/١ .

| رقم النوع
في البرهان | رقم النوع
في الإتيان | اسم النوع في البرهان | اسم النوع في الإتيان |
|-------------------------|-------------------------|--|---|
| ٤٦ | ٥٦ | أساليب القرآن وفنونه | الإيجاز والإطناب |
| ٤٦ | ٥٨ | أساليب القرآن وفنونه | بديع القرآن |
| ٢٢ | ٢٧-٢٢ | القراءات (معرفة
اختلاف الألفاظ) | معرفة المتواتر والمشهور
والآحاد والشاذ والموضوع
والمدرج . |
| ٢٣ | ٢٧ | توجيه القراءات | المدرج : (التنبيه
السادس) في توجيه
القراءات . |
| ٣٠ | ٣٥ | هل يجوز في التصانيف
والخطب استعمال
بعض آيات القرآن
أحكامه | آداب تلاوته وتاليه
(فصل : في الاقتباس) |
| ٣٢ | ٦٥ | أحكامه | العلوم المستنبطة من
القرآن |
| ٣٧ | ٤٣ | حكم الآيات المتشابهات
الواردة في الصفات | المحكم والمتشابه (فصل :
من المتشابه آيات
الصفات) . |
| ٤٥ | ٥٧ | أقسام معنى الكلام | الخبر والإنشاء . |

أما السيوطي فقد زاد على الزركشي أنواعاً كثيرة سأذكرها ضمن الجدول
التالي :

ثالثاً : جدول يبين ما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي

| رقم النوع | موضوعه | رقم النوع | موضوعه |
|-----------|--------------------------------|-----------|---------------------------|
| ٢ | الحضري والسفري | ٣٠ | الإمالة والفتح وما بينهما |
| ٣ | النهارى والليلي | ٣٤ | كيفية تحمله |
| ٤ | الصيفي والشتائي | ٤٢ | قواعد مهمة يحتاج |
| ٥ | الغراشي والنومي | | المفسر إلى معرفتها |
| ٦ | الأرضي والسماوي | ٤٥ | خاصه وعامه |
| ١٠ | ما نزل على لسان بعض | ٤٦ | مجمله ومبينه |
| | الصحابه | ٤٩ | مطلقه ومقيده |
| ١١ | ما تكرر نزوله | ٥٠ | منطوقه ومفهومه |
| ١٢ | ما تأخر حكمه عن نزوله ، | ٥٥ | الحصر والاختصاص |
| | وما تأخر نزوله عن حكمه | ٥٦ | الإيجاز والإطناب |
| ١٣ | ما نزل مفزقاً وما نزل جمعاً | ٦٧ | أقسام القرآن |
| ١٤ | ما نزل مشيعاً ، وما نزل مفزقاً | ٦٩ | الأسماء والكنى والألقاب |
| ١٥ | ما أنزل منه على بعض | ٧١ | أسماء من نزل فيهم القرآن |
| | الأنبياء وما لم ينزل منه على | ٧٤ | مفردات القرآن |
| | أحد قبل النبي ﷺ | ٧٨ | شروط المفسر وآدابه |
| ٢١ | العالي والنازل | ٧٩ | غرائب التفسير |
| ٢٩ | بيان الموصول لفظاً ، | ٨٠ | طبقات المفسرين |
| | المفصول معنى | | |

وهذا لا يعني أن الزركشي قد أغفل الحديث عن هذه الأنواع جملة ، ولكن قد تعرض للحديث عنها أو عن بعضها أحياناً ضمن نوع آخر وذلك لتداخل علوم القرآن وارتباطها بعضها ببعض ، والمراد أنه لم يفرد لها نوعاً مستقلاً .

والإمام السيوطي عندما أضاف هذه الأنواع لا يعني أنه قد أتى بشيء يعدّ بدءاً في علوم القرآن ، ولكن يعود الفضل إليه في لمّ شملها وجمع شتات هذه الأنواع في كتاب واحد حتى صارت وحدة متناسقة متكاملة ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته وفي خاتمة كتابه أيضاً فقال : « ولهذا تحصّل فيه من البدائع ما ثبت عنده الأعناق بتاً ، وتجمّع في كل نوع منه ما تفرّق في مؤلفات شتى . . . »^(١) .

هذا من حيث الحجم والشكل والترتيب .

أما من حيث المحتوى والمضمون ، فقد ذكرت سابقاً أن السيوطي اعتمد على البرهان اعتماداً كبيراً ، وضمّن كتابه الكثير مما أورده الزركشي في (برهانه) ينص على ذلك أحياناً وفي أحيان كثيرة لا ينص ، وقد ذكرت أمثلة على ذلك سابقاً ، وهذا ما جعل حاجي خليفة يقول عن (البرهان) و« السيوطي أدرجه في إتقانه »^(٢) .

وهذا الكلام على ظاهره فيه مبالغة ، نعم إن السيوطي اطلع على كتاب الزركشي ولم يمنعه هذا من تأليف كتاب أكثر جمعاً وأوسع بسطاً وكان كما ذكر فمثلاً في النوع الثالث والثلاثين في البرهان (في معرفة جدل القرآن) وهو النوع الثامن والستون من (الإتقان) ذكر الزركشي من أفرد بالتصنيف فقال : « وقد أفرد من المتأخرين بالتصنيف ، العلامة نجم الدين الطوفي رضي الله عنه » ثم يقول : اعلم أن القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد ينبني من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله تعالى قد نطق به ، لكن أورده تعالى على عادة العرب دون دقائق طرق أحكام المتكلمين لأمرين :

أحدهما : بسبب ما قاله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

(١) الإتقان : ١٢٩٠/٢ .

(٢) كشف الظنون : ٢٤١/١ .

والثاني : أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام ، فإن استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ، ولم يكن ملغزاً فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجل صورة تشتمل على أدق دقيق لتفهم العامة من جليلها ما يقنعهم ويلزمهم الحجة ، وتفهم الخواص من أثنائها ما يوفي على ما أدركه فهم الخطاب»^(١) .

هنا نقل السيوطي كل ما تقدم دون أن يشير إلى ذلك فقال : أفرد بالتصنيف نجم الدين الطوفي ، ثم قال : قال العلماء : قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة . ثم ذكر الأمرين اللذين أوردهما الزركشي .

ثم أضاف على الزركشي نصاً عن ابن أبي الأصبع في الرد على الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن .

يقول : بل هو مشحون به ، ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة ، ثم يذكر مثلاً على ذلك أن أهل العلم استنبطوا خمس نتائج من عشر مقدمات وذلك من أول سورة الحج إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ [الحج : ٧] .

هذه النتائج وهذا المثال لم يتعرض له الزركشي .

ثم نقل السيوطي عن الزركشي بعض الأمثلة من استنباط البراهين من القرآن الكريم على طريقة المتكلمين دون أن ينص على اسم الزركشي بل قال : « وقال غيره : استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني بضروب . . »^(٢) وذكر الضروب الخمسة التي ذكرها الزركشي ، وهذا « الغير » الذي لم يصرح

(١) البرهان : ١٤٧/٢ : ١٤٨ .

(٢) الإيقان : ١٠٥٦/٢ ووازن بالبرهان : ١٤٩/٢ .

السيوطي بذكر اسمه هو الزركشي ، ثم أضاف السيوطي أموراً لم يذكرها الزركشي ، وجعلها تحت عنوان : فصل : من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل : السبر والتقسيم .

ويذكر أمثلته والقول بالموجب ، ويذكر أمثلته والتسليم والإسجال والانتقال والمناقضة ومجارة الخصم ليعثر ، ويأتي بالأمثلة من القرآن الكريم على كل ما تقدم^(١) .

فالسيوطي إذاً وإن أفاد من كتاب الزركشي لكنه كان ذا شخصية مستقلة بإضافته أموراً ونصوصاً وأقوالاً جديدة لم يتعرض لها الزركشي في كتابه وهذا المثل ينطبق على كل ما اتفق عليه السيوطي والزركشي من أنواع .

وبالجملة فكتاب الإتيان من أجل كتب علوم القرآن ، وقد حوى من الفوائد والفرائد والنفائس المهمة ما لا يستغني عنه الناظر في القرآن ، وما لم تجتمع قبل في كتاب ولقد صدق الزرقاني عندما قال : « إن علوم القرآن اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج . . بهمة فارس ذلك الميدان صاحب الإتيان »^(٢) .

ولا أبالغ إذا قلت بأن الفضل في شهرة كتاب (البرهان) تعود للسيوطي في تضمينه مقدمته ، يقول محقق الكتاب محمد أبو الفضل إبراهيم : « . . هذا الكتاب لم يكن معروفاً عند الباحثين ، ولا متداولاً بين الطلاب والدارسين . . حتى جاء جلال الدين السيوطي ووضع كتابه الإتيان فدل الناس في مقدمته عليه وأشاد به ، وعده أصلاً من الأصول التي بنى عليها كتابه ، وتأسى طريقته ، وتقبل مذهبه . . ونقل كثيراً من فصوله ، مرة معزوة إليه ، ومرة بدون عزو ، وإن كان فيما نقل عنه اقتضب الكلام اقتضاباً ، واختصره اختصاراً ، وبهذا ظفر كتاب الإتيان بمنزلة مرموقة عند العلماء ، وغدا مرجعاً للباحثين حقبة من

(١) انظر الإتيان : ١٠٥٧-١٠٦٠ .

(٢) مناهل العرفان ١/٣٢ (بتصرف) .

الزمان . . «^(١) ، ويؤكد هذا فضيلة الشيخ عبد الوهاب غزلان فيقول : « كتاب (الإتقان) أكثر فائدة من كتاب (البرهان) ، لأن السيوطي ضمّنه من الفوائد والفرائد ما ليس في كتاب (البرهان) فهو إذن أغزر منه مادة وأكثر منه فائدة «^(٢) ولهذا قالوا « ينبغي لكل عالم أن يستصحيبه »^(٣) .



(١) مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم على البرهان : (ط ٢ . عيسى البابي الحلبي ، مصر : ١٩٧٢م) ١٤ / ١ .

(٢) البيان في علوم القرآن ، (ط . مطبعة دار التأليف ، القاهرة : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م) ص ٤٢ .

(٣) ساجقلى زادة ، ترتيب العلوم ، تحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد (ط دار البشائر الإسلامية ، بيروت : ١٩٨٨م) ص ١٦٧ .

الفصل الرابع

أثر الإتقان فيمن أتى بعده

أولاً : تمهيد

ثانياً : عناية العلماء بالإتقان

ثالثاً : نماذج من أثر الإتقان فيمن أتى بعده

رابعاً : الإتقان في الدراسات المعاصرة .

أولاً : تمهيد

بارك الله تعالى للسيوطي في كتبه ، فقد رزق الإخلاص في القول والعمل ، وآتت جهوده أكلها ، ونضجت ثمارها ، فانهال عليه العلماء والمصنفون يقطفون من ثمار غرسه ، وينهلون من معين علمه كل حسب غرضه وقصده .

ولقد انتشرت كتبه في مشارق الأرض ومغاربها ، في حياته وبعد مماته ، وكتابه (الإتيقان) سار وطار ، وشاع في الأقطار ، وبلغ الناس منه الأوطار ، فأصبح مرجع الباحثين ، وعمدة الدارسين ، وموئل العلماء المحققين .

وإذا كانت علوم القرآن قد استوت على ساقها وبلغت أشدها وأينعت ثمرتها بكتاب (الإتيقان) ، فقد فتر العزم ووهن الحزم في إبداع أنواع أخرى غير ما أتى بها السيوطي ، وأصبحت جهود العلماء بعده منصبة على فهم ما كتب فيه وكل من كتب في علوم القرآن - لا أبالغ إذا قلت - كان عالة عليه ، وفي هذا يقول أحد الباحثين « ولئن استطاع علماء اللغة من بعد السيوطي أن يضيفوا شيئاً جديداً إلى ما كتبه في (المزهر) فإن علماء القرآن وتاريخه ، لم يضيفوا جديداً إلى ما كتبه في (الإتيقان) نظن ذلك غير آثمين »^(١) .

ولقد صدق فيما قال ، فقد أخذت المؤلفات بعد السيوطي طريقة الإتيقان فألف الشيخ طاهر الجزائري (ت ١٣٣٨هـ / ١٩٢٠ م)^(٢) كتابه (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقة الإتيقان »^(٣) أما في الوقت الحاضر ، فقد

(١) محمود رزق سليم ، عصر سلاطين المماليك : ٣ / ٣٧٥ .

(٢) انظر ترجمته في الأعلام : ٣ / ٢٢١-٢٢٢ .

(٣) طبع في مطبعة المنار ، القاهرة : ١٣٣٤هـ / ١٩١٥ م .

اقتصر اهتمام الباحثين في علوم القرآن على ما يحتاج إليه الدارس وفق المقررات والمناهج الدراسية فصدرت كتب كثيرة تلبي حاجة العصر ، وللسيوطي فضل عليها كلها ؛ فمن ذلك ما كتبه :

١- الشيخ محمد علي سلامة لطلاب الدعوة والإرشاد بجامعة الأزهر (منهج الفرقان في علوم القرآن)^(١) .

٢- والشيخ محمد حسنين مخلوف (عنوان البيان في علوم التبيان)^(٢) .

٣- والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (مناهل العرفان في علوم القرآن)^(٣) ، ويعد من أحسن ما كتب في علوم القرآن في الأزمنة المتأخرة ، ويمتاز برد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول القرآن ، وقد أفاد من (الإلتقان) كثيراً ، وضمنه الكثير من بحوثه وأنواعه .

٤- والشيخ محمد محمد أبو شهبه (المدخل إلى دراسة القرآن الكريم)^(٤) .

٥- والشيخ عبد الوهاب غزلان (البيان في علوم القرآن)^(٥) .

٦- والشيخ موسى شاهين لاشين (اللآلئ الحسان في علوم القرآن)^(٦) .

٧- والشيخ علي محمود خليل (مذكرات في علوم القرآن)^(٧) .

٨- والشيخ عبد الفتاح القاضي (من علوم القرآن)^(٨) .

(١) أشار الدكتور نور الدين عتر إلى أن الكتاب مطبوع ، انظر القرآن الكريم والدراسات الأدبية ص ٣٥٧ ، وانظر أيضاً مناهل العرفان : ٣١/١ .

(٢) طبع أولاً بمطبعة المعاهد في القاهرة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م ، وأعيد طبعه ثانية في مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة : ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

(٣) سبقت الإشارة إلى طبعته .

(٤) طبع بالدار الحديثة للطباعة ، القاهرة : ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

(٥) طبع بمطبعة دار التأليف في القاهرة : ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م .

(٦) طبع بمطبعة دار التأليف في القاهرة : ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

(٧) طبع بدار شوشة في القاهرة : ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م .

(٨) طبع بالقاهرة : ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

- ٩- والدكتور صبحي الصالح (مباحث في علوم القرآن)^(١) .
- ١٠- والشيخ محمد علي الصابوني (التبيان في علوم القرآن)^(٢) .
- ١١- والشيخ مناع القطان (مباحث في علوم القرآن)^(٣) .
- ١٢- ووضع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (من روائع القرآن)^(٤) .
- ١٣- والدكتور نور الدين عتر (محاضرات في علوم القرآن)^(٥) و(القرآن الكريم والدراسات الأدبية)^(٦) .
- ١٤- والدكتور عدنان زررور (علوم القرآن ، مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه)^(٧) .
- ١٥- وممن كتب أخيراً في علوم القرآن فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابه (دراسات في علوم القرآن)^(٨) .
- ١٦- والدكتور فضل حسن عباس (إتقان البرهان في علوم القرآن)^(٩) .
وغيرها من المؤلفات التي لا تخلو من العودة إلى كتاب (الإتقان) .



-
- (١) طبع أول مرة بدار العلم للملايين في بيروت : ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م وظهر عن الجامعة السورية بدمشق ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .
 - (٢) طبع بدار الإرشاد في بيروت : ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .
 - (٣) طبع أول مرة بالرياض : ١٣٩٨هـ/ ١٩٧١م ، وأعيد طبعه بمؤسسة الرسالة في بيروت : ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .
 - (٤) طبع عدة مرات في مكتبة الفارابي بدمشق : ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م وطبع أول مرة في المكتب الإسلامي بدمشق بعنوان (أحسن الحديث) .
 - (٥) طبع عدة مرات في جامعة دمشق ، دمشق : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
 - (٦) كسابقه طبع بجامعة دمشق طبعات عديدة : ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
 - (٧) طبع في المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت : ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٥م .
 - (٨) طبع في مكتبة التوبة ، الرياض : ١٤١٤هـ/ ١٩٩١م .
 - (٩) طبع في دار الفرقان ، عمان : ١٩٩٧م .

ثانياً : عناية العلماء بالإتقان

ولم يقف تأثير الإتقان في أعمال الباحثين عند النقل منه أو الاعتماد عليه بل عمد بعضهم إلى اختصاره وتلخيصه وانتقى بعضهم أنواعاً منه أفردوا بالتأليف ونظمه أحدهم .

فمن مختصراته :

- ١- مختصر لمحمد بن أحمد بن عقيلة (ت ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م)^(١) سماه (الإحسان في علوم القرآن)^(٢) .
- ٢- وللشيخ محمد أمين سويد (ت ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)^(٣) رسالة في اختصار (الإتقان) سماها (علوم القرآن وأصوله)^(٤) .
- ٣- ولأحد علماء الترك (مختصر الإتقان) وهو مخطوط ، توجد منه نسخة في الخزانة التيمورية رقم (٢٤٦)^(٥) .
- ٤- وقد اختصره أيضاً صلاح الدين أرقه دان وسماه (مختصر الإتقان في علوم القرآن)^(٦) .

(١) انظر ترجمته في الأعلام : ١٣/٢ .

(٢) انظر فهرس الفهارس : ٦٠٧/٢ .

(٣) انظر ترجمته في الأعلام : ٤٤/٦ .

(٤) محمد مطيع الحافظ ، ونزار أباط ، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (ط ١ ، دار الفكر ، دمشق : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) ٥٠٦/١ . وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (م ٤٤ ، ج ١-٢ ، شوال ١٣٨٨هـ / كانون الثاني ١٩٦٩م) ص ١٨١-١٨٦ .

(٥) أحمد تيمور باشا ، فهرس الخزانة التيمورية : ٥٦/١ .

(٦) وهو مطبوع بدار النفائس في بيروت : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

وأما المنتقيات منه فهي :

٥- لعامر محمد بحيري (المختار من كتاب الإتيقان في علوم القرآن)^(١) .

٦- وقد انتقى منه عبد العزيز السيروان ويوسف البديوي نوعاً منه أفرداه بالتأليف سميّاه (معجم الأدوات النحوية وإعرابها في القرآن الكريم)^(٢) وهو النوع الأربعون من الإتيقان .

ونظراً لأهمية كتاب (الإتيقان) فقد نظم بعضهم خلاصته في أرجوزة لم يعلم اسم ناظمها ، إلاّ أنّه فرغ من كتابتها سنة (١٠١٣هـ / ١٦٠٤م) . يوجد منها نسخة ناقصة من أولها في الخزانة التيمورية رقم (٤١٨) تفسير تيمور^(٣) . ومع كل ما تقدم لم أجد من تناول (الإتيقان) بالشرح أو التوضيح أو التعليق عليه - وهو بحاجة ماسة إلى ذلك - ولعل السبب في ذلك هو فتور الهمم ، وتقاعس الأمم ، وانشغال العلماء بأمور أخرى ، فضلاً عما تحتاج إليه مواضيعه وبحوثه وكثرة أنواعه وأبوابه وتعدد فنونه وألوانه إلى قدرة كبيرة من التبهر في العلوم والفنون . أرجو الله تعالى أن يهيئ لهذا الكتاب من يقوم بخدمته كما ينبغي ، وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

(١) طبع بدار الفكر العربي ، القاهرة : ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

(٢) طبع بدار ابن هاني في دمشق : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

(٣) فهرس الخزانة التيمورية : ١ / ١٤٩ ، وانظر مكتبة الجلال السيوطي ، ص ٥٣ .

ثالثاً : نماذج من أثر الإتقان في المؤلفات بعده

لم يقف تأثير السيوطي في كتابه (الإتقان) على العلماء في البلاد المصرية أو الشامية بل كان له أثر كبير في البلاد التركية والمغرب العربي .

وسأعرض فيما يلي لأهم من تأثر بالإتقان في (تركيا) وهم طاش كبري زادة الذي ضمّنه أحد فروع كتابه (مفتاح السعادة) والشقنصي التونسي الذي أدرج (الإتقان) في كتابه (الشهب الثواقب . .) وأبو الفضل عبد الله بن الصديق الغماري الذي تعقب السيوطي في بعض ما جاء في الإتقان بكتابه (الإحسان في تعقب الإتقان) .

١- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة

في بداية أول كلمة من الكتاب يلمس القارئ مدى تأثر طاش كبري زادة (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦١م)^(١) ، بالسيوطي وخاصة في كتابه (الإتقان) .

فأول ما قاله في المقدمة : « بديع بيان لا يحتذى مثاله ، ومنيع تبيان لا يحتذى مثاله » ثم يكرر بعض عبارات السيوطي مقتبساً أحياناً ومعارضاً لها أحياناً أخرى فيقول : « مخضت فيها حقائق العلوم عن دررها ، ومحضت نصحي في استخراج دررها . . » وما ذكره هنا يشابه تماماً ما ذكره السيوطي في خاتمة (الإتقان)^(٢) . ومن التوافق العجيب أن طاش كبري زادة يشكو من أهل

(١) هو أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير ، عصام الدين طاش كبري زادة ، تركي الأصل ، نشأ في أنقرة ، وتنقل في البلاد التركية وولي القضاء بالقسطنطينية (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦١م) انظر الأعلام : ٢٥٧ / ١ .

(٢) طاش كبري زادة ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة (ط ١ . دار الكتب العلمية بيروت : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) المقدمة . ووازن بما ورد في خاتمة الإتقان ٢ / ١٢٩٠ .

عصره وأقرانه بما كان يشكو منه السيوطي حتى إنه يستعمل بعض عباراته فيقول : « وإلى الله المشتكى من قوم وقعت بين أظهرهم اليوم ، إذ غلب عليهم الجهل وطمّهم وأعماهم حسن الظنّ بأنفسهم وأصمّهم ، كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم . . . »^(١) ثم تناول في الجزء الثاني من الكتاب وتحت عنوان الدوحة السادسة في العلوم الشرعية : إذ قسم الدوحة السادسة إلى شعب وفي الشعبة الثامنة جعلها في فروع العلوم الشرعية وذكر في المطلب الثالث منها « فروع علم التفسير » وذكر في مقدمة هذه الفروع جزءاً من مقدمة السيوطي في كتابه (الإتيقان) فقال : « واعلم أن علم القرآن بحر لا تنقضي عجائبه ، وطود شامخ لا تتناول غرائب له فروع لا تحصى وفنون لا تستقصى »^(٢) .

ثم قال : « ولنذكر منها ما يفي به قوة التحرير ، ويحيط به نطاق التقرير »^(٣) .

وبدأ بالمكي والمدني ثم بالحضري والسفري والنهاري والليلي وهكذا بقية الأنواع الثمانية التي نص عليها السيوطي وبترتيبها نفسه في (الإتيقان) حتى طبقات المفسرين^(٤) ، دون أن يشير بداية إلى أنه اعتمد في ذلك على (الإتيقان) وأستطيع أن أقول إنه لخص في عمله هذا الكتاب (الإتيقان) وأحال عليه في كثير من المواضع لمن أراد التوسع^(٥) . وهو أحياناً يشير إلى أنه أفاد من كتاب (الإتيقان) وفي أحيان كثيرة لا يشير إلى ذلك فيظن القارئ أنه ابن

(١) مفتاح السعادة (المقدمة) ووازن بالإتيقان : ١٢٩٠-١٢٩١ ، لتجد المزيد من ذلك .

(٢) م . ن السابق : ٣٤٤/٢ ، ووازن بالإتيقان : (المقدمة) ٦/١ .

(٣) م . ن السابق .

(٤) م . ن السابق وهي من ص ٣٤٤-٥٤٦ من الجزء الثاني .

(٥) انظر على سبيل المثال : ٣٤٥/٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٨٠ ، ٤٨٠ ، ٤٩٤ ، ٥١١ إلخ .

عذرتها أو أبو بجدتها ، فمثلاً في خاتمة هذه الأنواع التي نقلها عن السيوطي يقول : « وإذا عرفت هذا فقد ظهر لك أنه تكمل بذلك فروع علم التفسير ، وقد تنيف على ثمانين والله الحمد . هذا ما يقتضيه حسن الترتيب ، حيث أدمج بعض العلوم في بعض ، وإلا فلو فصل ما يمكن فصله لزادت - والله أعلم - على الثلاثمئة ، ولكن خير الأمور أوساطها »^(١) .

فمن يقرأ هذه الخاتمة يحكم على طاش كبري زادة أنه بعمله هذا قد أكمل علوم التفسير - وهي علوم القرآن - وقد رتبها فأحسن ترتيبها ، بإدماج ما حقه أن يدمج وتفصيل ما حقه أن يبان ويفصل ، ولكنه سار في كل الكتاب باختصار مفيد غير مخل ولا خارج عن الموضوع بذكر ما هو عنه بعيد ، فيقول خير الأمور أوساطها ، وما ذكره سابقاً مأخوذاً بنصه عن (الإتيان) فبعد أن ذكر السيوطي أنواع كتابه الثمانين قال : « فهذه ثمانون نوعاً على سبيل الإدماج ولو نوعت باعتبار ما أدمجته في ضمنها لزادت على الثلاثمئة . . »^(٢) إلخ . وفي فرع « قواعد مهمّة يحتاج إليها المفسر » نقل كثيراً عن السيوطي ثم قال في آخره : « واعلم أننا قد أطنبنا في هذا الباب من الكتاب ، لاشتماله على لطائف قد لا توجد في كتاب ، فليعذرني من رآه من الطلاب . . »^(٣) .

وفعل مثل ذلك في معرفة (الإيجاز والإطناب) فتوسع في النقل عن السيوطي ثم قال : « ولعمري لقد آثرنا الإطناب في مباحث الإيجاز والإطناب لأنها مما تمسّ إليه حاجة الطلاب . . »^(٤) .

وهو يتابع السيوطي أيضاً في إحالاته التي سيتحدث عنها في أماكنها من الأنواع فيقول : « وأما حسن التخلص والاستطراد فسيأتي في نوع المناسبات

(١) مفتاح السعادة : ٥٤٧/٢ .

(٢) الإتيان : ٢٠/١ .

(٣) مفتاح السعادة : ٤٠٠/٢ وهي من ص ٣٨٥-٤٠٠ ، ووازن بالإتيان : ٦٣٨-٥٩٧/١ .

(٤) م . ن السابق : ٤٤٦/٢ ، ووازن بالإتيان : ٨٠٨/٢ وما بعدها .

وأما حسن الابتداء وحسن الختام فسيأتيان في الفواتح والخواتم . . «^(١) ، كما تابعه في وهمه وسهوه ونقل عنه حرفياً قوله في (معرفة إعرابه) Afrde بالتصنيف خلائق منهم : مكى ، وكتابه في المشكل خاصة ، والحوافي وهو أوضحها ، وأبو البقاء العكبري ، وهو أشهرها ، والسمين ، وهو أجلها على ما فيه من حشو وتطويل ، ولخصه السفاسي فجوده ؟ . وتفسير أبي حيان مشحون بذلك^(٢) .

قلت - أي طاش كبري زادة - وكذا تفسير ابن عادل^(٣) ، يشتمل على المهمات ، فيلاحظ هنا أن طاش كبري زادة قد تابع السيوطي في ما نقله من أن السفاسي قد لخص كتاب السمين ، والسيوطي واهم في هذا كما سيأتي .

ومع ذلك فطاش كبري زادة له مواقف وآراءه ، ففي المثال السابق رأيت كيف أنه زاد على ما ذكره السيوطي كتاباً آخر يعد من أمهات الكتب . وكذلك في مسألة الاقتباس ، ، نقل ما ذكره السيوطي من تحريم المالكية له وتشديد النكير على فاعله إلا أنه قال : « واستعمال القاضي عياض الاقتباس في مواضع من خطبة الشفاء يدل على جوازه »^(٤) .

وهو إذا نقل عن السيوطي مسألة وكان للسيوطي رأي فيها فإنه يذكر رأي السيوطي صراحة ففي المثال السابق عندما اختار السيوطي قولاً من الأقوال نقل طاش كبري زادة هذه الأقوال ، واختيار السيوطي لأحدها معزواً إليه بقوله : « قال جلال الدين السيوطي : وهذا التقسيم حسن جداً وبه أقوال »^(٥) .

(١) م . ن السابق : ٤٥٥ / ٢ ، ووازن بالإتقان : ٨٩٩ / ٢ .

(٢) م . ن : ٣٨٠ / ٢ ووازن بالإتقان : ٥٧٥ / ١ .

(٣) هو عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي ، أبو حفص (ت بعد ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م) واسم كتابه (اللباب في علوم الكتاب) قال حاجي خليفة وهو تفسير مشهور ، انظر كشف الظنون : ١٥٤٣ / ٢ ، والأعلام : ٥٨ / ٥ .

(٤) مفتاح السعادة : ٢٧١ / ٢ .

(٥) مفتاح السعادة : ٣٧٢ / ٢ .

وهكذا يسير في بقية الأنواع مختصراً أحياناً^(١) ، وناقلاً أحياناً أخرى^(٢) ،
يشير إليه مرة ، ويغفل مرات وما ذكرت من الأمثلة كاف لبيان مدى تأثر طاش
كبري زادة بكتاب السيوطي (الإتيقان) .

٢- الشهب الثواقب والسيوف الهندية

في كفر من تعمد وقصد بغير نقل وعجز تحريف كلام خالق البرية

لأحمد بن أحمد الشقانسني

كما أخذ السيوطي عن علماء المغرب ، فقد تأثر به وأخذ عنه أيضاً علماء
المغرب ومن الذين أخذوا عنه وأفادوا منه وضمّنوا (الإتيقان) في الكثير من
مؤلفاتهم الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الشقانسني^(٣) (ت ما بين
١٢٢٨-١٢٣٥هـ / ١٨١٣-١٨٢٠م)^(٤) في (الشهب الثواقب والسيوف الهندية

(١) ذكر في علم معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر مقدمة السيوطي لهذا النوع ثم
قال : وتفصيل هذا الفن خارج عن طوق هذه الرسالة ، وقد صنف فيه جماعة بالأصالة
كالهروي في الأزهية وابن أم قاسم في الجنى الداني وأدرجه السيوطي في الإتيقان انظر
مفتاح السعادة : ٢ / ٣٨٠ .

(٢) والأمثلة على ذلك كثيرة انظر على سبيل المثال المكي والمدني ، وآداب تلاوة
القرآن ، وجدله إلخ ، عند كل منهما .

(٣) شقانس أو سقانس كما يلفظها أهل الجهة اليوم موضع قرب المنستير (وقد زرته) .
وانظر حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر (ط . بيت الحكمة ، تونس ودار الغرب
الإسلامي ، بيروت : ١٩٩٠م) ١ / ١٦ . وبرنامج المكتبة العبدلية : ١ / ١٣٢ .

(٤) هو أبو العباس ، أحمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الشقانسني القرشي ،
القيرواني ، المالكي ، من أئمة علماء القراءات في عصره ، ولد بالقيروان وبها توفي
وعُيّن مدرساً بها ، وكان عدلاً . ولقد ضمت كتب التراجم عليه فلم تذكر له ترجمة إلا
القليل مثل محمد محفوظ في كتابه تراجم المؤلفين التونسيين (ط . دار الغرب
الإسلامي ، بيروت : ١٩٨٤م) ٣ / ٢٠١-٢٠٣ ، وبرنامج المكتبة العبدلية :
١ / ١٣٢-١٣٦ ، وكتاب العمر : ١ / ١٩٦ . وللشيخ محمد الشاذلي النيفر ترجمة =

في كفر من تعمّد وقصد بغير نقل وعجز تحريف كلام خالق البرية (١) وهذا الكتاب ما زال مخطوطاً ، توجد منه نسخة من جزأين في المكتبة الأحمدية المحفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس وهما بخط المؤلف .

- الجزء الأول : فرغ المؤلف من تأليفه في أوائل رجب (الفرد) سنة (١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م) وعدد أوراقه (٢١٥) ورقة . رقم (١٠٢٠٢) .

- الجزء الثاني : فقد انتهى من تبييضه صبيحة يوم الثلاثاء السابع من شعبان سنة (١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م) . وعدد أوراقه (٢٠٧) ورقة ، ورقمه (١٠٢٠٣) .

وقد قسّمه أربعة وخمسين فصلاً (٢) ، ينتهي الجزء الأول بالفصل الرابع والعشرين فيما أنزل فيه ولم ينزل على أحد قبل النبي ﷺ ، وفيما أنزل منه على بعض الأنبياء وفيما تكرر نزوله ، ويلاحظ مباشرة أن هذا العنوان هو بعض أنواع (الإتيقان) (٣) من ثمّ فإن كثيراً من أنواع علوم القرآن التي ذكرها السيوطي في (الإتيقان) ذكرها الشقانسعي في كتابه هذا فمن ذلك ما ذكره

= مقتضبة له ذكر فيها أسماء مؤلفاته منها الأجوبة المدققة عن الأسئلة المحققة ، عمدة القارئ والمقرئ . . ، وله ذيل عليه ، والحجة الباهرة في الرد على من أنكر رواية أوجه الوقف المتواترة ، ونصرة أهل الإيمان والإسلام في تنزيه القرآن عن اللحن . . . وعندني نسخة مصورة من هذه الترجمة بخط الشيخ النيفر رحمه الله .

(١) من المفيد التنبيه على ما جاء في كتاب حسن حسني عبد الوهاب ، (العمر) تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوشي (ط بيت الحكمة ودار الغرب الإسلامي ، بيروت : سنة ١٩٩٠ م) ١/١٩٦ في أثناء تعداد مؤلفات الشقانسعي حيث عدّ هذا الكتاب مرتين رقم : (٤) - الثواب . و (٥) - السيوف الهندية وقارن بما جاء في برنامج المكتبة العبدلية : ١/١٣٣ .

(٢) الشقانسعي ، الشهب الثواب والسيوف الهندية . . مخطوط محفوظ بدار الكتب الوطنية بتونس ، رقم (١٠٢٠٢) المقدمة ، ق ١٠/أ .

(٣) انظر النوع الحادي عشر (فيما تكرر نزوله) والنوع الخامس عشر (فيما أنزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ) في الإتيقان .

الشقنصي في الفصل الخامس والعشرين من (الكتاب) في أنواع شريفة تتعلق بالقرآن الكريم لا غناء للطالب عنها وهي خمسة وسبعون نوعاً وعدّها . منها وعلى سبيل المثال : النوع الأول والثاني : النسخ والمنسوخ ، النوع الثالث والرابع : المحكم والمتشابه ، النوع الخامس الأشباه ، والمراد به الآيات المتشابهة ، السادس : المشكل ، السابع والثامن : المجلد والمبين ، التاسع : المؤول ، العاشر والحادي عشر : المنطوق والمفهوم ، الثاني عشر والثالث عشر : الحقيقة والمجاز ، وهكذا يتابع ذكره لبقية الأنواع كالعام والخاص والمشارك والمترادف والتشبيه والاستعارة ، والكناية والتعريض والإيجاز والإطناب وبقية أقسام البديع في هذا الفصل وفي الفصل السادس والعشرين جعله في أمثال القرآن ، والسابع والعشرين في فواصل الآي ، والثامن والعشرين في فواتح السور والتاسع والعشرين في خواتم السور ، والفصل الموفي ثلاثين في مناسبات الآيات والسور ، والواحد والثلاثين في جدل القرآن والثاني والثلاثين في معرفة شروط المفسر وآدابه ، والرابع والثلاثين في معرفة المفسرين - وهو آخر نوع في الإتيان - ثم يعود إلى أسماء القرآن وألقاب سوره في الفصل السابع والثلاثين وفي الفصل الثامن والثلاثين في كتابة القرآن ورسم الخط ، وجعل الفصل الموفي أربعين في مبهمات القرآن ، وهكذا ذكر بقية الأنواع إلى أن يصل إلى النوع الثالث والخمسين ، وهو في أكمل الحالات التي يكون عليها قارئ القرآن وفي أدعيته ، قال : « وبها أختتم هذا التأليف المبارك »^(١) .

وقد توسع الشقنصي في بعض فصول الكتاب أكثر مما أورده السيوطي لأنها هي بيت القصيد ، والسبب الحامل له على تأليف هذا الكتاب ، من ذلك مثلاً الفصل الثاني عشر في أن التجويد لكلام الله فرض عين على كل قارئ

(١) الشهب الثواب : (المقدمة) ق ٢٣/أ . ، وكان سابقاً قد أشار في المقدمة إلى أنه جعله مشتملاً على أربعة وخمسين فصلاً .

قادر عليه وأنه منزل من عند الله به . . والفصل الثالث عشر في أن قراءة القرآن بغير تجويد لحن ، وفي بيان البدع التي وقعت في قراءته من المبتدعة والرد عليهم والفصل الرابع عشر في الأحكام المرتبة على قراءة القرآن باللحن . . والفصل الخامس عشر في الرد على من استدل على أن المتعمد للحن في القرآن القاصد له من غير عذر شرعي لا يكفر بأدلة محمولة عنده على ظواهرها ، وهي مؤولة وجوباً عند أهل السنة وغير ذلك لأن عمر الحمّامي أحد علماء القيروان في عصره أشاع أن من تعمّد اللحن في كلام الله وقصده ليس بكافر ، ولا يكفر إلا إذا كان اللحن يغيّر المعنى . فوقف له الشقاصي بالمرصاد ورفع أمره إلى أولي الأمر والسلطان ، وألّف هذا الكتاب ردّاً عليه فقال في مقدمته هذا تأليف مبارك - إن شاء الله - يشمل على أحكام مهمّة تتعلق بكلام من يُحيي العظام وهي رميم ، المنزل على أشرف رسله وأنبيائه سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم ، ذاكراً فيه مع ذلك فوائد حسنة شريفة ، ومباحث عزيزة منيفة ، اقتطفت ذلك من تأليف الأئمة الجهابذة الأعلام ، الحافظين أحكام الشريعة المأخوذة عن سيد الأنام ومنبهاً فيه على وقائع شنيعة وقعت في زماننا من بعض المخذولين في القرآن الكريم أوجبت لهم - والعياذ بالله - المقت والبعد من الله والعذاب الأليم ، وعلى إبطال ما تمسكوا به من الشبه الواضحة البطلان والرد عليهم بما سنجلبه لها من النقول الصحيحة . .^(١) فيلاحظ من خلال هذه المقدمة تصريحه بأنه اعتمد على تأليف الأئمة الجهابذة ، وفي آخر المقدمة ينص على أنه « لم يسبق إليه »^(٢) وهو في كتابه هذا يشير إلى نقله عن (السيوطي) بصريح العبارة ، وأحايين كثيرة لا يشير إلى ذلك ، فمثلاً في الفصل الخامس في اختلاف العلماء في المنزل على النبي ﷺ ذكر الأقوال الثلاثة التي ذكرها السيوطي وأقوال الأئمة في تعليقهم على هذه الأقوال ثم قال

(١) الشهب الثواقب : (المقدمة) ق ١١/أ .

(٢) م . ن : (المقدمة) ق ٢٠/أ .

في آخره « انتهى من الإتيان »^(١) ثم قال : « وحكي عن الزركشي رحمه الله مثل ما نقلناه عن صاحب الإتيان »^(٢) .

وبعد ذكره أقوال العلماء في المسألة ذكر رأي السيوطي ناسباً القول له فقال : « قال الجلال السيوطي : القرآن هو القسم الثاني ، والقسم الأول هو السنة . . . »^(٣) إلخ .

والشقانصي صحيح أنه تأثر بالسيوطي ولكنه لا يقف عند نقله عنه بل له آرائه واجتهاداته فبعد أن ذكر أقوال العلماء الثلاثة في المنزل على النبي ﷺ يضيف بعض الآراء في توضيح هذه المسألة نقلها عن العلامة النفزاوي (ت ١١٢٦هـ / ١٧١٤م)^(٤) فيقول : « فتلخص أن النازل فيه خلاف على قولين : قيل اللفظ ، وقيل المعنى ، مخالف لما نقلناه أولاً عن السيوطي في (إتيانه) ومثله الزركشي من أن النازل فيه أقوال ثلاثة » .

ثم يقول الشقانصي : « والتحقيق ما ذكره العلامة النفزاوي من أن النازل على قولين الثاني منهما يتنوع إلى شيئين ، ولأجل هذا قال العلامة اليوسي^(٥) رحمه الله بعد أن نقل ما قدمناه عن السيوطي والزركشي : « ولا ينبغي أن نعد في التحقيق الثلاثة »^(٦) .

(١) م . ن ج ١ ، ق ٣٨ / ب .

(٢) م . ن .

(٣) م . ن : ق ٣٩ / أ .

(٤) هو أحمد بن غنيم بن سالم النفزاوي ، له الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني مطبوعة ، انظر الأعلام : ١ / ١٩٢ ، ومعجم المطبوعات العربية ص ١٣٦٨ .

(٥) هو الحسن بن مسعود بن محمد ، أبو علي نور الدين اليوسي ، فقيه مالكي ، يُنعت بغزالي عصره له (منح الملك الوهاب فيما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب) (ت ١١٠٢هـ / ١٦٩١م) انظر ترجمته في الأعلام : ٢ / ٢٢٣ .

(٦) الشهب الثواقب : ج ١ ، ق ٣٨ / ب .

وهو أحياناً يحيل إلى (الإِتقان) لمزيد الاطلاع والتوسع فقال : « وقد ذكر الحافظ السيوطي في (إِتقانه) نوعاً في الذي تكرر نزوله من ذلك فاتحة الكتاب ، فراجعته تفد »^(١) .

ويحيل إليه أيضاً في موضوع المكي والمدني فيقول : « وما لم أذكره من السور . فهو على طبق ما ذكره السيوطي في (إِتقانه) »^(٢) .

وإذا رأى الفائدة تتطلب نقل النصوص فيذكرها بتمامها مع الإشارة إلى ذلك فمن ذلك قوله : فبان لك مما ذكرناه من الأوجه والتفاصيل التي نقلناها عمّن ذكر تمييز المكي من المدني وعكسه ، وما اختلف فيه ، والآيات المدنيات في السور المكية والآيات المكيات في السور المدنية ، غير أنه بقي أوجه تتعلق بما زبرناه سابقاً ذكر أمثلتها ابن حبيب رحمه الله ونقلها عنه الحافظ السيوطي في (إِتقانه) فنقلها منه ونثبتها هنا تمييزاً للفائدة^(٣) ثم يذكرها .

ومثله أيضاً في الفصل الثامن والثلاثين : « في كتابة القرآن ورسم الخط » نقل ما ذكره السيوطي في مقدمة النوع السادس والسبعين « في مرسوم الخط وآداب كتابته » ثم قال : « وقد حرّر الجلال السيوطي رحمه الله رسم المصحف على ترتيب لم يسبق إليه ، وضبطه بقواعد أردت أن أذكرها هنا تمييزاً للفائدة ، فأقول . . » وذكر ما قاله السيوطي^(٤) .

وقد ذكرت فيما سبق أنه في أحيان كثيرة ينقل عن السيوطي ولا يشير إليه فمثلاً في الفصل الخامس والعشرين في أنواع شريفة تتعلق بالقرآن العظيم لا غناء للطالب عنها وهي خمسة وسبعون نوعاً أغلب هذه الأنواع منقولة من (الإِتقان) .

(١) م . ن السابق : ق ٤١ / ب .

(٢) م . ن السابق : ق ٤٣ / أ .

(٣) م . ن ق ٤٣ / ب . وانظر الإِتقان : ٣٤ / ١ وما بعدها .

(٤) م . ن ، ج ٢ ، ق ١١٥ / ب ووزان بالإِتقان : ١١٦٣ / ٢ - ١١٨٠ .

وقد قال في مقدمتها : « اعلم يا أخي أنني أردت أن أذكر في هذا الفصل . أنواعاً شريفة لا غناء للطالب اللبيب عنها ، وتشتمل حاجته وقت احتياجه إليها فأقول والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب » وبدأ بالنوع الأول والثاني وهو « الناسخ والمنسوخ » ثم قال : « أفردهما بالتأليف جماعة من العلماء منهم أبو محمد مكّي القيرواني ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنباري وغيرهم » .

قال الأئمة : « لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ »^(١) وهذا النص منقول بحرفيته من (الإتيقان) وقد رأيت كيف أنه بدأ النوع بقوله أقول :

ثم ذكر المسائل التي أوردتها السيوطي في (الإتيقان) بشيء من الاختصار والتصرف فيقول : ثم إن النسخ يرد بمعنى الإزالة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] . ويضيف الشقانصي : « ومنه قولهم أيضاً نسخت الشمس الظل ، أي أزالته » . ثم يتابع النقل عن السيوطي فيقول : « وبمعنى التحويل ، كنسخ^(٢) الموارد ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد ، وبمعنى النقل ، من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب »^(٣) إلخ . ويتابع النقل عن السيوطي إلى أن يصل إلى المسألة الرابعة في أقسام النسخ فينقل عن السيوطي قوله وينص على ذلك فيقول : قال الحافظ السيوطي : « ثم إنَّ النسخ إما نسخ مأثور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى »^(٤) ويضيف قوله : « وسيأتي أنه لم

(١) م . ن . ج ٢ ، ق ٢/أ . وازن بالإتيقان : ٧٠٠/٢ .

(٢) في الإتيقان : ٧٠٠/٢ « كنسوخ » .

(٣) الشهب الثواقب ، ج ٢ ، ق ٢/أ .

(٤) م . ن . ج ٢ ، ق ٢/ب ، وازن بالإتيقان : ٧٠٢/٢ .

يعمل بآية النجوى قبل نسخها إلا سيدنا علي رضي الله عنه وحده دون غيره وهو هنا يختصر القسم الثاني الذي ذكره السيوطي وهو ما نسخ مما كان شرعاً لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية . أو كان أمر به أمراً جلياً كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة ، وصوم عاشوراء برمضان « ولم يذكره الشقنصي لأن السيوطي قال عنه : « وإنما يسمى هذا نسخاً تجوزاً »^(١) .

وهكذا يتابع النقل عن السيوطي ملخصاً أحياناً ومتصرفاً بالعبارة أحياناً أخرى وناقلاً بحرفيته في أحيان كثيرة . كما فعل في نهاية هذا الفصل فقال : وقد حرر الحافظ السيوطي رحمه الله الآيات المنسوخة في هذا الضرب^(٢) وحصرها ثم نقلها برمتها ، وقد أشار إلى كتابه الذي ألفه في هذا الموضوع فقال : « وأما ما ورد في القرآن ناسخاً لما كان عليه الجاهلية أو كان في شرع من قبلنا . مع أشياء أخر حررها الحافظ السيوطي في تأليف لطيف »^(٣) ومثله ما قاله عن المحكم والمتشابه فهو يكاد يكون نسخة طبق الأصل عنه^(٤) ، والأمثلة على ذلك كثيرة^(٥) ، وما ذكرته كفاية .

(١) الإتيان : ٧٠٣/٢ .

(٢) وهو ما نسخ حكمه دون تلاوته . وهذا ما عليه الكتب المؤلفة .

(٣) الشهب الثواقب : ج ٢ ، ق ٤/أ وازن بالإتيان : ٧٠٧/٢ .

(٤) م . ن السابق ق ٦-١٤/أ وازن بالإتيان : ٦٧٠-٦٣٩/١ .

(٥) انظر على سبيل المثال : الشقنصي : ج ٢ ، ق ١٦ النوع السادس ، من الفصل الخامس والعشرين « المشكل » وقارن بالنوع الثامن والأربعين عند السيوطي « في مشكلة وموهم الاختلاف والتناقض » ٧٢٤/٢ ، وقارن أيضاً ببقية الأنواع التي ذكرها الشقنصي ضمن الفصل الخامس والعشرين بما يشابهها عند السيوطي ل ترى التأثير به واضحاً . وانظر ج ٢ ، ق ٩٧/ب ، وقارنه بالنوع الأخير من الإتيان ل ترى مدى التطابق بينهما .

٣- الإحسان في تعقب الإتيان

لأبي الفضل عبد الله بن الصديق الغماري

وهو كتاب تعقب فيه السيد (الغماري)^(١) كتاب السيوطي (الإتيان) ببيان ما فيه من روايات واهية موضوعة ، وأقوال ساقطة مرفوعة غفل السيوطي عن فحصها ومحصلها^(٢) وقد اتخذها المستشرقون ذريعة لنفث سمومهم في الطعن في القرآن الكريم مستندين في ذلك إلى ما جاء في (الإتيان) من روايات ساقطة وآراء شاذة ، فرأى السيد الغماري أن من الواجب المقدس الدفاع عن كتاب الإسلام ونبي الإسلام ودين الإسلام بالتنبيه على ما ورد في كتاب (الإتيان) بمثل ما تمسك به المستشرقون ليبتل برهانهم ويدحض حججهم ويوهي دليلهم فلم يبق لهم بعد ذلك « سوى الهذر والهذيان »^(٣) .

ولأجل هذا فقد تحامل بعض العلماء^(٤) ، على السيوطي ولم يعترفوا له بالفضل إلا على العربية ، أما سائر مؤلفاته الأخرى فهي ملخصة من كتب غيره . ولكن السيد الغماري كان موضوعاً في الرد على من قال ذلك ، يقول : « هذا غلو في التعصب ضده ، وإفراط في الحمل عليه ، والحقيقة أنه - مع

-
- (١) هو السيد عبد الله بن محمد الصديق الغماري (معاصر) . المولود في طنجة سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) تفقه بأبيه ثم رحل إلى القرويين فأخذ عن علمائها ثم إلى الأزهر فحصل على عالميتها سنة (١٣٥٠هـ / ١٩٣١م) له عدة مؤلفات . انظر : محمود سعيد ، تصنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع (ط دار الشباب ، القاهرة : ١٩٨٤م) ص : ٣٤٦-٣٥٤ . وانظر ترجمته بقلمه في آخر كتابه (بدع التفاسير) .
- (٢) هذا ما جاء في مقدمة الكتاب ، انظر الغماري ، الإحسان في تعقب الإتيان (ط دار الأنصار ، القاهرة : د . ت) ص ٩ .
- (٣) م . ن السابق : ص ٩ .
- (٤) مثل الشيخ محمد زاهد الكوثري والشيخ محمد سعيد العرفي ، انظر مقدمة السيد الغماري على الإحسان . . ص ٣ .

تفوقه في علم العربية - برز في علوم أخرى كالبلاغة والتفسير والأصول والفقه والحديث وشارك مشاركة جيدة في القراءات والتاريخ والرجال وفقه الحديث ، وما لخصه من كتب المتقدمين يدل على فهمه لها وحسن تصرفه فيها ، مع ما يضمه إليها من زوائد استفادها من سعة اطلاعه وكثرة بحثه ولكن يعاب عليه ذكره لأحاديث واهية ، أو أقوال ساقطة تنسب لصحابي أو تابعي أو إمام ولا ينه عليها ، فيظنها الجاهل صحيحة ويتخذها الجاحد حجة للطعن والغمز^(١) .

وهو لا يطعن في السيوطي في أمانته وعلمه ودينه وإنما يحمل ذلك على أنه : « من قبيل السهو والغفلة ، أو أنه قدّر في نفسه أن قراء كتبه لا بد أن يكون عندهم من العلم ما يميزون به بين الثابت والواهي وبين الصحيح والساقط »^(٢) .

أقول : وإن منهج السيوطي العام في جميع كتبه ومؤلفاته المبني على الجمع والاستيعاب ، يتطلب منه أن يذكر جميع الروايات غثها وسمينها صحيحها وضعيفها ، وهو يبرأ من عهدة القول بنسبته إلى صاحبه .

والسيد الغماري أيضاً لا ينتقد السيوطي في منهجه في الكتاب أو ترتيبه للأشياء فيه ، بل تعقّبهُ ببيان ما أورده السيوطي من روايات واهية أو موضوعة متابعاً السيوطي في أنواعه فمثلاً يقول : النوع الأول : معرفة المكي والمدني ، ذكر فيه السور التي نزلت بمكة أو بالمدينة ثم نقل عن البيهقي في الدلائل : أن في بعض السور التي نزلت بمكة آيات نزلت بالمدينة فألحقت بها .

ونقل عن الحافظ في شرح البخاري قال : قد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية .

ثم أخذ المؤلف في سردها ، فذكر فيها سورة الحجر ، وقال : ينبغي استثناء قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ [الحجر : ٢٤] . لما أخرجه الترمذي

(١) الإحسان : ٤٣ .

(٢) م . ن : ٤ .

وغيره في سبب نزولها ، وأنها في صفوف الصلاة^(١) .

هنا يعلّق السيّد الغماري قائلاً : روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : « كانت امرأة حسناء من أحسن الناس ، تصلي خلف رسول الله ﷺ ، وكان بعض القوم يتقدّم حتى يكون في الصف الأول لثلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الآخر ، فإذا ركع نظر من تحت إبطه ، فأنزل الله هذه الآية »^(٢) . وقد ضعف هذا الحديث من جهة سنده ومتنه فقال : وهذا الأثر وإن صححه ابن حبان له علة ، فقد رواه عبد الرزاق في تفسيره عن أبي الجوزاء ، ولم يذكر ابن عباس ، وقال الترمذي : روي عن أبي الجوزاء مرسلًا ، وهو أشبه ، فهذه علة تقتضي ضعفه من جهة الإسناد .

وأما من جهة المعنى فإن السياق يرده ، يقول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ ﴿٣٧﴾ مِنْكُمْ وَلَادَةً وَمَوْتًا ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٣٩﴾ كَذَلِكَ ، فلا يختلط علينا متقدم بمتأخر ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ﴾ جميعاً مع كثرة عددهم وتباعد أزمانهم فلا محلّ لصفوف الصلاة في الآية ، ولا معنى لاستثنائها والله تعالى أعلم^(٣) .

(١) م . ن : ٩-١٠ ووازن بالإتقان : ٤٥-٤٦ .

(٢) انظر لباب النقول : ١٣١ ، والحديث أخرجه الترمذي في التفسير/ الحجر ، باب : « ومن سورة الحجر » رقم ٣١٢٢ ، وقال : وروى جعفر بن سليمان هذا الحديث عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء نحوه ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، وهذا أشبه أن يكون أصح من حديث نوح وهو نوح بن قيس المتقدم في سند الحديث ، ٢٩٦/٢٩٧ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : « الخشوع في الصلاة » رقم ١٠٤٦ ، ٣٣٢/١ وفيهما كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء .. إلخ .

أقول وكذا رواه أحمد في مسنده : ٣٠٥/١ ، وفي الطبري وابن أبي حاتم انظر جامع البيان : ١٨/١٤ . وقال : « وهذا حديث غريب جداً » .

(٣) الإحسان : ١٠ .

أقول : وما ذهب إليه هو الحق ، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قوله المستقدمون : كل من هلك من لدن آدم عليه السلام ، والمستأخرون : من هو حي ومن سيأتي إلى يوم القيامة .

وهذا ما عليه جمهور العلماء ، فقد روي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة ومحمد بن كعب ، والشعبي وغيرهم ، وهو اختيار الطبري^(١) .

وفي النوع الثاني في معرفة الحضري والسفري تعقب السيد الغماري ، السيوطي في إيراد حديثاً في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [التوبة : ١١٣] وهو « ما أخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أنها نزلت لما خرج النبي ﷺ معتمراً وهبط في ثنية عُسْفَانَ^(٢) ، فزار قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها »^(٣) .

قال السيد الغماري : هذا مما تناقض فيه المؤلف تناقضاً بيناً لا عذر فيه فهو يعلم أن الأبوين الشريفين من أهل الفترة وأنهما ناجيان وألف بضع رسائل في نجاتهما^(٤) قرأناها وأعجبنا بما أبدى فيها من أدلة جيدة ، وأنشأ مقامة ردّها بها على الحافظ السخاوي الذي اختار التوقف عن القول بنجاتهما وعدمها وأصاب في رده .

وهو يعلم أيضاً أن الآية نزلت في أبي طالب بدليل أنه ذكر في النوع التاسع ما رواه الشيخان^(٥) ، من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه - وهو صحابي -

(١) انظر تفسير الطبري : ١٨١٦/١٤ تفسير ابن كثير : (ط . الشعب) ٤٤٩-٤٥١ .

(٢) بضم العين اسم موضع على بعد مرحلتين من مكة (معجم البلدان) : ١٢٢-١٢١/٤ .

(٣) الإقتان : ٦٠/١ .

(٤) وقد ذكرتها فيما سبق في أثناء الحديث عن خصوماته العلمية انظر ص ١٢٧ من هذا الكتاب .

(٥) البخاري في فضائل الصحابة ، باب قصة أبي طالب رقم : (٣٦٧٠) ، ومسلم في =

قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ، دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أُمَيَّة فقال : « أَيُّ عَم ، قل : لا إله إلا الله ، أحتاج لك بها عند الله » فقال أبو جهل وعبد الله : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزالا يكلمانه حتى قال : هو على ملة عبد المطلب ، فقال النبي ﷺ لا ستغفرون لك ما لم أنه عنه ، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾^(١) [التوبة : ١١٣] .

ثم نقل السيد الغماري ما ذكره الإمام السيوطي في تعدد نزول هذه الآية وهو : ما أخرجه الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال : خرج النبي ﷺ يوماً إلى المقابر فجلس إلى قبر منها ، فواجه طويلاً ، ثم بكى فقال : « إِنَّ الْقَبْرَ الَّذِي جَلَسْتُ عَنْدهُ قَبْرُ أُمِّي ، وَإِنِّي اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي الدُّعَاءِ فَلَمْ يَأْذَنْ لِي ، فَأَنْزَلَ عَلَيَّ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) قال : وجمع بينهما بتعدد أسباب النزول ، يعني أن الآية نزلت مرة بسبب أبي طالب ، ومرة بسبب أم النبي ﷺ .

غير أن هذا الحديث ليس بصحيح ، نعم يمكن أن تكون الآية نزلت مرة ثانية بسبب ما رواه أحمد وابن أبي شيبة والترمذي والنسائي ، وأبو يعلى والبخاري والحاكم من طريق أبي الخليل عن علي عليه السلام قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان ، فقلت له : تستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت . حسنه الترمذي^(٣) .

= الإيمان ، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت . . رقم (٢٤) .

(١) الإتيان : ١٠٦/١ .

(٢) الإتيان : ١٠٦/١ وأخرجه الحاكم في المستدرک ، باب : زيارة النبي ﷺ قبر أمه آمنة : ٣٣٦/٢ .

(٣) الترمذي في تفسير القرآن ، باب « ومن سورة التوبة » رقم ٣١٠١ ، ٢٨١/٥ .

ثم ذكر السيد الغماري تنبيهين أحدهما يتعلق بالحكم على هذه الأحاديث سنداً ومتناً والآخر ما يستنبط منها والذي يتعلق بموضوع البحث هو التنبيه الأول الذي جاء فيه : « مما يدل على ضعف حديثي ابن عباس وابن مسعود من جهة المعنى - مضافاً إلى ضعف إسنادهما - أمران :

أحدهما : تعارض مدلوليهما ، فإن حديث ابن عباس يفيد أن الآية نزلت والنبي ﷺ في طريقه إلى مكة معتمراً ، ولذا أوردتها المؤلف مثلاً للآيات التي نزلت في السفر ، وحديث ابن مسعود يفيد أن النبي ﷺ لم يكن مسافراً وإنما خرج يوماً إلى المقابر لزيارة قبر أمه ، وهذا تعارض لا سبيل إلى دفعه .

ثانيهما : تفيد الآية - بمقتضاها - أن أم النبي ﷺ من أصحاب الجحيم والتاريخ يثبت أنها ماتت قبل البعثة ، فتكون هذه الآية معارضة لقوله تعالى ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] . ومعلوم بالضرورة أن آيات القرآن لا تتعارض ^(١) .

أقول : إن السيوطي لم يقع في تناقض ، ولم يغفل عن أنه ألّف ست رسائل في نجاة والدي المصطفى ﷺ ، وما ذكره في مثال السفري لا يتعارض مع ما ذكره في مثال تعدد أسباب النزول ، وهذا الحديث الذي رواه الحاكم عن ابن مسعود وإن كان ضعيفاً ، لم يأت به هنا للاستدلال على مصير أم النبي ﷺ أو جاء به لاستنباط حكم . وإنما ذكره تمشياً مع مذهبه في الاستيعاب والجمع ، وحمله في حال وجوده - على ما هو عليه - على تعدد أسباب النزول . والسيوطي نفسه يعلم أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ، كما ذكر فيما بعد ، وأكد على ذلك في الحاوي ^(٢) .

ومثله أيضاً ما تعقب به السيوطي عند تتبعه لأمثلة السفري قال ومنها ﴿ وَكَانَ مِن قَرَبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً ﴾ [محمد : ١٣] الآية قال السخاوي في (جمال القراءة) قيل :

(١) الإحسان : ١٢ .

(٢) وذلك في رسالته « مسالك الحنفا في والدي المصطفى » ٢ / ٢٢٥ .

« إن النبي ﷺ لما توجه مهاجراً إلى المدينة وقف ونظر إلى مكة وبكى ، فنزلت » (١) .

قال السيد الغماري متعباً « قلت : ليس له إسناد يعتمد عليه » . أقول : إن ما قاله السيد الغماري ليس دقيقاً ، فإن سبب النزول هذا ذكره ابن كثير فقال : « قال ابن أبي حاتم ذكر أبي ، عن محمد بن عبد الأعلى عن المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما خرج من مكة إلى الغار أراه قال - التفت إلى مكة - وقال : أَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ ، وَأَنْتِ أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ ، وَلَوْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكَ » (٢) .

وهذا السند رجاله ثقات إلا حنشاً فإنه متروك (٣) ، وللحديث شواهد من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء وغيره ، وله شواهد أخر رواها الترمذي وابن ماجه ، بأسانيد صحيحة (٤) وأخرجه أبو يعلى وقال « رجاله ثقات » (٥) .

فتعداد هذه الأسانيد والروايات التي يعضد بعضها بعضاً ، فكيف لا يعتمد عليها ، وإنما أحببت أن أذكر هذا لأقول ليس كل ما ذكر في الإحسان دقيقاً مما يؤخذ ويعول عليه كما أنه ليس كل ما في (الإتيقان) مما تركن إليه النفس

(١) الإتيقان : ٦١/١ ، وانظر لباب القول : ١٩٢ ، وفيه وأخرج أبو يعلى عن ابن عباس ، ووازن بالإحسان : ١٥ .

(٢) تفسير ابن كثير : ٢٩٤/٧ .

(٣) تقريب التهذيب : ١٨٣ .

(٤) الخطيب التبريزي ، مشكاة المصابيح ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (ط ١) . منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق - بيروت : ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) ٦٣/٢ رقم (٢٧٢٥) .

(٥) أبو يعلى الموصلي ، المسند ، تحقيق حسين سليم أسد (ط ١) . دار المأمون للتراث ، دمشق - بيروت : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ٦٩/٥ رقم (٢٦٦٢) وانظر مجمع الزوائد : ٢٨٣/٣ .

ولذلك لا بد من تعقّب التعقّب وعلى سبيل المثال : ما تعقّب به السيوطي مما ذكره في النوع السابع عشر : « في معرفة أسمائه وأسماء سورة » . فقد حكى السيوطي الخلاف في القرآن ، هل هو اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى فهو غير مهموز؟ وبه قرأ ابن كثير ، وهو مروي عن الشافعي ، وذكر ما رواه البيهقي والخطيب عن الشافعي أنه كان يهمز قراءة ولا يهمز القرآن ، ويقول : القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولكنه اسم لكتاب الله ، مثل التوراة والإنجيل .

وقال قوم هو مهموز وهو مصدر لقرأت ، كالرجحان والغفران ، سمي به الكتاب المقروء ، من باب تسمية المفعول بالمصدر ، ونقل عن الزجاج قوله ، هو وصف على فعلان مشتق من القُرء بمعنى الجمع وعن أبي عبيدة ، سمي بذلك لأنه جمع السور بعضها إلى بعض وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها إلخ .

ثم قال السيوطي : « والمختار عندي في هذه المسألة ما نص عليه الشافعي »^(١) .

هنا خطأ السيد الغماري كلاً من الإمام الشافعي والسيوطي فيما ذهبوا إليه فقال : « قلت : قرأ السبعة لفظ القرآن بالهمز ، وهو الأصل وقراءة ابن كثير عن السبعة بدون همز وهو تخفيف كما قال اللّخيّاني والقراءتان مسموعتان من النبي ﷺ لا يصح تضعيف أحدهما وما روي عن الشافعي لعله لم يصح عنه ، ولو صح فهو خطأ لا يعمل به ، واختيار المؤلف له خطأ أيضاً » .

أقول : عفا الله عن السيد الغماري ، لِمَا كان قاسياً في حكمه على هذين الإمامين بالتخطئة ، ولو أصاب في قوله هذا لكان الأمر سهلاً وهيناً أما أنّه يستعمل مثل هذه الألفاظ الفظة وهو غير متيقن مما روي عن الشافعي فهذا غير مقبول ، والحق أن الشافعي يرى قراءة كلمة « القرآن » بالتسهيل - أي بتخفيف

(١) الإتيان : ١٦٣/١ .

الهمز وفتح الراء مخففة ، وقد ورد عنه هذا بما رواه الخطيب البغدادي بسنده قال : أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي بنيسابور قال : نا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، قال : نا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، قال : نا الشافعي محمد بن إدريس ، قال : نا إسماعيل بن قسطنطين ، قال : قرأت على شبل ، وأخبر شبل أنه قرأ على عبد الله بن كثير ، وأخبر عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد ، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس ، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبيي وقال ابن عباس : وقرأ أبيي على النبي ﷺ .

قال الشافعي : « وقرأت على إسماعيل بن قسطنطين وكان يقول القرآن اسم وليس بمهموز ، ولم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنًا ، ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ولا يهمز القرآن ، وإذا قرأت القرآن يهمز قرأت ولا يهمز القرآن »^(١) .

ونقل ابن منظور في (لسان العرب) شيئاً مما ذكره الخطيب البغدادي وأضاف : « وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ : كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن ، وكان يقرؤه كما روى عن ابن كثير »^(٢) .

وفي (غاية النهاية في طبقات القراء) عند ترجمة إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين (مقرئ مكة) شيخ الشافعي : قال الشافعي رضي الله عنه : قرأت على ابن قسطنطين وكان يقول : « القرآن اسم وليس بمهموز »^(٣) ونقل ما ورد في تاريخ بغداد .

ومن هنا فقد ذهب محقق كتاب الإمام الشافعي (الرسالة) الشيخ أحمد شاکر إلى ضبط كل كلمة (قرآن) وردت في (الرسالة) بضم القاف وفتح الراء

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٦٢/٢ .

(٢) لسان العرب : « قرأ » ٣٥٦٣/٥ .

(٣) ابن الجزري ، غاية النهاية في طبقات القراء : ١٦٦/١ .

مخففة وتسهيل الهمزة ، وذلك اتباعاً للإمام الشافعي في رأيه وقراءته . وقال : « وهذا النقل عن الشافعي نقل رواية للقراءة واللغة ونقل رأي ودراية أيضاً ، فإن قراءة ابن كثير - قارئ مكة - معروفة أنه يقرأ لفظ (قرآن) بدون همز . والشافعي ينقل توجيه ذلك من جهة اللغة والمعنى ، ولا يرده فهو يعتبر رأياً له حين أقره ، وهو حجة في اللغة دراية ورواية »^(١) .

وبعد هذا فهل أخطأ السيوطي فيما ذهب إليه من اختيار رأي الشافعي؟ ثم إن السيد الغماري لم يعلل سبب تخطئة الإمام الشافعي والسيوطي بل قال : وما روي عن الشافعي لعله لم يصح عنه ، ولو صح فهو خطأ لا يعمل به ، واختيار المؤلف له خطأ أيضاً .

فَلَمَّ كل هذا ، كل ما ذكره أن السبعة قرؤوا لفظ القرآن بالهمز قال : وهو الأصل ، وقراءة ابن كثير عن السبعة من دون همز وهو تخفيف كما قال اللحياني ، ثم يتابع فيقول : « والقراءتان مسموعتان من النبي ﷺ » ، أليس في كلامه تعارض وتناقض ، فإذا كانت القراءتان مسموعتين من النبي ﷺ وابن كثير من القراء السبعة وقد قرأ (القرآن) بالتسهيل فأين الخطأ في ذلك .

وأخيراً : فلعل السيد الغماري قد أخطأ هنا ولكل جواد كبوة ، وما منا إلا من ردّ ورده عليه إلا صاحب هذا القبر - نبينا محمد ﷺ - ولكنه قد أصاب في مواطن كثيرة من الكتاب فليراجعها من أراد التوسع منها على سبيل المثال ما ذكرته سابقاً في المنزل على النبي ﷺ ونقل عن السيوطي الأقوال الثلاثة : فقد ذكر السيد الغماري الأقوال الثلاثة التي نقلها السيوطي^(٢) ، ثم علق عليها قائلاً « القول الأول ، هو الذي وقع عليه الإجماع . وعرف علماء الأصول وغيرهم القرآن بأنه : اللفظ المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه ، المتعبد بتلاوته ، والله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

(١) انظر تعليقه على الرسالة ص ١٤-١٥ .

(٢) انظر الإتيان : ١٣٩/١ .

حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتَّبَعَهُ مَأْمُورٌ ﴿التوبة : ٦﴾ . والكلام ما تركب من ألفاظ كما هو معلوم ، والصلاة لا يجب فيها إلا القرآن لكونه كلام الله ، والقولان الأخيران شاذان ساقطان لا عبرة بهما ولا يصح ذكرهما » .

ثم يناقش القول الثاني وما استند عليه قائله من قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] قال : معناه حفظك وفهمك إياه وثبته في قلبك إثبات ما لا ينسى ، فهو كقوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ﴾ [الأعلى : ٦] ، ولا يدل على أن اللفظ من عند النبي ﷺ أو من جبريل عليه السلام . بل قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف : ٢] . قاطع في أن اللفظ منزل من الله تعالى ^(١) ولقد صدق فيما قال ، وأصاب فيما ذهب إليه .

والسيد الغماري لم يستوعب في تعقبه (الإلتقان) كل ما وقع فيه السيوطي من أوهام أو هنات وهفوات ، منها ما تركه قاصداً ذلك لأن الأمر فيها قريب ، كالتنبية على بعض الأحاديث الضعيفة ^(٢) ، وفاته أشياء مهمة أتت على بعضها ، منها على سبيل المثال ما ذكره السيوطي في النوع التاسع « في معرفة سبب النزول » عند حديثه عن فوائد هذا العلم وأنه يعين على فهم الآية قال : وحكي عن عثمان بن مظعون ^(٣) وعمر بن مَعْدٍ يَكْرِب ^(٤) : إنهما كانا يقولان : الخمر مباحة : ويحتجان بقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة : ٩٣] الآية .

(١) الإحسان : ٢٢ .

(٢) م . ن : ٤٠ .

(٣) هو الصحابي الجليل ، عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي ، من المتقدمين في الإسلام ، هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى ، وهو أول من مات في المدينة وأول من دفن بالبقيع (ت ٢٢٣هـ / ٦٢٣م) الإصابة : ٤٥٧/٢ ، أسد الغابة : ٤٩٤-٤٩٧ .

(٤) هو الصحابي الجليل ، عمرو بن معد يكرب بن عبد الله الزبيدي ، كان شاعراً فارساً مشهوراً شهد القادسية واليرموك وكثير غيرهما (ت ٢١١هـ / ٦٤٢م) الإصابة : ١٨/٣ ، وانظر الأعلام : ٨٦/٥ .

ولو علما سبب نزولها لم يقولوا ذلك ، وهو : أن ناساً قالوا لما حرمت الخمر : كيف بمن قُتلوا في سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟ فترلت . أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما^(١) .

ويبدو أن السيوطي قد تابع الزركشي فيما نقله من حكاية شرب الخمر هذه^(٢) ، أقول : إن السيوطي - رحمه الله - قد وهم فيما نقله هنا من حكاية عثمان بن مظعون إباحة الخمر ، لأنه معلوم من سيرة عثمان رضي الله عنه أنه لم يشرب الخمر في جاهلية ولا إسلام ، وقد نقل ابن الأثير قوله : « لا أشرب شراباً يذهب عقلي ، ويضحك بي من هو أدنى مني »^(٣) وقد ذكرت في أثناء ترجمته أنه مات في السنة الثانية للهجرة وقبل تحريم الخمر بسنوات ، ثم إن السيوطي نفسه في كتابه (الدر المنثور) ينقل أن عثمان بن مظعون هو الذي حرم الخمر على نفسه وذلك قبل أن تحرّم ، فقال السيوطي :

« أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن سابط قال : زعموا أن عثمان بن مظعون حرم الخمر في الجاهلية ، وقال : لا أشرب شيئاً يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد . »^(٤) وذكر أثراً ثانياً يدل على أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه ممن ترك الخمر لإثمها فقال :

وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : « لما نزلت في البقرة ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ ﴾ [البقرة : ٢١٩]

(١) الإتيان : ٩٣/١ . والأثر أخرجه أحمد في المسند : ٣٥١/٢ - ٣٥٢ ، والترمذي في التفسير ، باب : ومن سورة المائدة ، عن البراء بن عازب وابن عباس أيضاً رقم ٢٥٥٠-٣٠٥٣ ، ٢٥٤/٥ .

(٢) انظر البرهان : ١/١٢٢ .

(٣) أسد الغابة : ٤٩٥/٣ .

(٤) الدر المنثور : ١٥٩/٣ .

شربها قوم لقوله ﴿مَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ وتركها قوم لقوله ﴿إِنَّهُمْ كَبِيرٌ﴾ منهم عثمان بن مظعون . . . (١) .

والسيوطي يذكر فيما بعد أثراً يفيد أن الخمر حرمت في هذه الآية من سورة المائدة وهي قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٩١) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة : ٩٠-٩١] وذلك بعد غزوة الأحزاب ، وأحداث غزوة الأحزاب كانت في شوال من السنة الخامسة للهجرة وعثمان توفي في السنة الثانية للهجرة كما بينت في أثناء ترجمته فيكون نزول الآية بعد وفاة عثمان بثلاث سنوات .

ولعل السيوطي يقصد قدامة بن مظعون أخو عثمان ، فقد ورد أنه شرب الخمر في عهد عمر بن الخطاب وأقيم عليه الحد وقيل : لم يحد أحد من أهل بدر في الخمر إلا قدامة بن مظعون ، توفي سنة (٣٦هـ/٦٥٦م) (٢) . ولقد ظننت أن هذا الوهم يعود إلى خطأ في النسخ المطبوعة (٣) ، فرجعت إلى إحدى النسخ المخطوطة للإتقان (٤) ، فوجدتها متفقة مع النسخ المطبوعة في نقل الحكاية عن عثمان بن مظعون ، فتأكد لدي أن السهو راجع إلى السيوطي في نقله ذلك وهذا شأن البشر إذ الكمال لله وحده .

ومن الأوهام التي وقع فيها السيوطي وفات السيد الغماري ذكرها ما ذكره في النوع الحادي والأربعين « في معرفة إعراب القرآن الكريم » في أثناء تعداد

(١) م . ن : ٣/١٥٩ .

(٢) الإصابة : ٣/٢٢٠-٢٢١ ، وأسد الغابة : ٤/٩٤-٩٦ .

(٣) وقد رجعت إلى النسخ الثلاث للإتقان التي أشرت إليها سابقاً وهي طبعة الدكتور مصطفى البغا ، وطبعة الأستاذ أبو الفضل إبراهيم والطبعة المصرية القديمة فوجدتها متفقة في الحكاية عن عثمان بن مظعون .

(٤) نسخة المكتبة الأحمدية بحلب المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية رقم (١٣٢٢١) ق/٩ ب .

من أفرد في الإعراب تصنيفاً فقال : « والسمين ، وهو أجلّها على ما فيه من حشو وتطويل ، ولخصه السفاسي . فحرّره »^(١) والصحيح أن السفاسي ، إبراهيم بن محمد (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٢ م)^(٢) لم يلخص تفسير السمين الحلبي ، أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥ م)^(٣) (الدر المصون) وإنما لخص تفسير أبي حيان (البحر المحيط) وقد نبه على ذلك سابقاً حاجي خليفة فقال : « وهو وهم منه لأن السفاسي ما لخص إعرابه منه - أي من (الدر المصون) - بل من (البحر المحيط) . . . والسمين لخصه أيضاً من البحر في حياة شيخه أبي حيان . . »^(٤) وقد أكد ذلك أيضاً محقق الكتاب الدكتور محمد عاشور^(٥) ، مما يدلّ على أن ما نقله السيوطي من تلخيص السفاسي لتفسير السمين وتحريره وهم منه . ومع ذلك فما ذكرته من أوهام وهنات وقع فيها السيوطي لا تغض من قيمة كتابه (الإتيقان) بل يبقى (الإتيقان) الحلقة الذهبية في سلسلة الدراسات القرآنية ، فهو أحسنها تأليفاً وتصنيفاً وأكثرها استيعاباً وشمولاً .



-
- (١) الإتيقان : ٥٧٥/١ ، وقد توقعت أن يكون هناك خطأ في النسخ المطبوعة فنظرت المخطوطة المشار إليها سابقاً فوجدتها مطابقة للمطبوع انظرها ق ١٢٣/ب .
- (٢) انظر ترجمته في الدرر الكامنة : ٥٥/١ بغية الوعاة : ٤٢٥/١ ، والأعلام : ٦٣/١ .
- (٣) انظر ترجمته في طبقات الشعراء : ١٥٢/١ ، والأعلام : ٢٧٤/١ .
- (٤) كشف الظنون : ١٢٢/١ .
- (٥) نال المؤلف بتحقيقه درجة الدكتوراه ، انظر أخبار التراث العربي (المجلد ٤ ، العدد : ٣٩ ، المحرم - ربيع الآخر ١٤٠٩ / سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٨ م) ص ٢٧ . وقد حققه د . أحمد محمد الخراط ، ونشره في دار القلم بدمشق .

رابعاً الإتقان في الدراسات المعاصرة

تبرز أهمية (الإتقان) وأثره على الدراسات الإسلامية اختياره - من قبل كثير من الباحثين - نموذجاً لقراءة النص الديني في الوقت الحاضر . وأول ما يلمس القارئ في كتابات بعض الباحثين المعاصرين هو نقدهم وانتقادهم للسيوطي وكتابه (الإتقان) .

فبقدر ما كان يحظى كتاب (الإتقان) - بعد السيوطي - من احترام وتقدير ، تتوالى عليه في الوقت المعاصر الانتقادات والطعنات ، ولو كانت انتقادات موضوعية نقدية هادفة لسررت بها وحمدت الله تعالى أن قيض في هذه الأمة من يرفع الهنات والسقطات عن تأليف علمائها .

أما أنك إذا قرأت مؤلفاتهم فإنك لا تعرف ماذا يقصدون ولا إلى أي السبيل ينهجون فهذا هو المحير ، جُلّ ما تقف عليه هو ألفاظ غريبة وعبارات غليظة ما أنزل الله بها من سلطان ، إذا سألت كاتبها عن مقصودها لم يهدك إلى المطلوب دليلاً ، ولا تجد لمعانيها تأويلاً ، مثل الألفاظ التي كررها الأستاذ محمد أركون في كتابه (الفكر الإسلامي - قراءة علمية)^(١) واختياره (الإتقان) كحساب ختامي للدراسات القرآنية وآفاقها فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من مثل هذه العبارات (الدوغماتي ، السكولاستيكي ، الاستمولوجيا ، العقل التبولوجي الدوغماتي ، المنهج الفللولجي والمضمون السيماتي . .)^(٢) إلخ ، وسيأتي الحديث عن هذا الكتاب بعد أن أعرض وجهة

(١) محمد أركون ، الفكر الإسلامي - قراءة علمية - كتبه بالفرنسية محمد أركون وترجمة إلى العربية هاشم صالح (ط . مركز الإنماء القومي ، بيروت : ١٩٨٧ م) .

(٢) في مداخلة قدمها الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على أحد بحوث الأستاذ أركون ، تحدى الدكتور البوطي الأستاذ أركون بوجوده وأمام المشاركين في =

نظر الأستاذ عبد المجيد الشرفي واختياره كتاب (الإتيقان) نموذجاً لقراءة التراث الديني وذلك من خلال ما نشره في (سلسلة موافقات) التي تصدر عن الدار التونسية للنشر ، بتونس بإشراف الأستاذ كمال عمران بعنوان : « في قراءة التراث الديني ، (الإتيقان في علوم القرآن) أنموذجاً » .

فقد كان منصفاً عندما وصف السيوطي بأنه مصنف جامع ، وأنّ السمة الموسوعية هي الغالبة على مؤلفاته ومع ذلك فلا ينبغي « قيامه بعملية انتقائية للمعلومات التي دوّنها ولا محاولة توجيه قارئه نحو خيارات معينة تتماشى واهتمامات معاصريه وثقافة عصره » ثم يبرز أهمية (الإتيقان) في أنه يمثل ثقافة المفسر أو العالم المسلم - كما يقول - أحسن تمثيل^(١) . وقد انتقى الأستاذ الشرفي من كتاب الإتيقان نصين لقراءة التراث الديني هما :

١- النوع العاشر : « فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة » .

٢- النوع السابع والأربعون : « الناسخ والمنسوخ » .

ثم يقدم ملاحظتين :

- الملاحظة الأولى : ترتيب الأنواع في (الإتيقان) فهو برأيه عشوائي « لا يخضع لمنطق التدرج من العام إلى الخاص ، أو لمنطق التعمق في دراسة المواضيع »^(٢) .

وقد لاحظ ذلك بناء على النصين المختارين فكلاهما - برأيه - يتعلق

= ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر قائلاً : « إننا نتحدى الأستاذ أركون أن يُعَرِّب هذه المصطلحات التي تفيض بها بحوثه وكتابات ، على أن توافق قواعد فقه اللغة العربية المجمع على اعتمادها » فلم يحر الأستاذ أركون جواباً واعتذر عن كلامه وأعلن توبته . « اتصال شخصي » .

(١) عبد المجيد الشرفي ، في قراءة التراث الديني ، بحث منشور ضمن سلسلة موافقات « في قراءة النص الديني » (ط . الدار التونسية للنشر ، تونس : ١٩٨٩م) ص ١٥ .

(٢) الشرفي ، في قراءة التراث الديني ، (ضمن سلسلة موافقات) ص ١٧ .

بالوحي فجعل السيوطي أحدهما في العاشر والآخر في النوع السابع والأربعين والمفروض أن يكونا قرييين بعضهما من بعض .

- والملاحظة الثانية : طغيان النقل على الكتاب ، واتباع السيوطي فيه منهج المحدثين^(١) ، ثم ينتقد الأستاذ الشرفي هذه الطريقة - وهي احترام النصوص - لأنها تؤدي إلى الإشباع النفسي على حساب الإقناع العقلي^(٢) ثم يبدأ بعد ذلك بالتعليق على هذين النموذجين ، وقبل أن أعرض انتقاداته للسيوطي حول الكتاب عموماً وهذين النصين خصوصاً أبين ما يلي :

أولاً : لا أوافق الأستاذ الشرفي فيما ذهب إليه من عشوائية ترتيب أنواع علوم القرآن عند السيوطي ، فقد بينت فيما سبق - بداية هذا الباب - أن السيوطي لم يذكر أنواعه عبثاً ، وإنما راعى في ترتيبها التدرج التاريخي والتسلسل المنطقي بدءاً من نزول القرآن وترتيبه وجمعه وحتى تفسيره وطبقات المفسرين ، وقد أفضت في الكلام حول ذلك^(٣) .

- وأما ما افترضه الأستاذ الشرفي من التقارب بين النصين في الترتيب لجامع بينهما هو « الوحي » فإن جميع الأنواع التي ذكرها السيوطي متعلقة بالوحي لأنها مرتبة بالقرآن الكريم الذي هو كلام الله المنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل (الذي هو الوحي) ، وإنما ذكر السيوطي الناسخ والمنسوخ في النوع السابع والأربعين لتعلقه ببناء على ترتيبه المشار إليه سابقاً - بعلم أصول الفقه - ولذلك وضعه ضمن أقرانه من الخاص والعام والمجمل والمبين والمشكل وموهم الاختلاف والمطلق والمقيد إلخ .

هذا أولاً ، وأما ما ذكره الأستاذ من اتباع السيوطي منهج المحدثين القائم على الجمع والنقل فهذا منهجه في جل كتبه وهو أسلم ، ثم إن هذا المنهج أو

(١) م . ن . ص ١٨ .

(٢) م . ن . السابق .

(٣) انظر ص ٥٢٠ من هذا الكتاب .

كما قال : هذه الطريقة لا تؤدي إلى تعطيل العقول فالسيوطي نفسه كان ينبه على كثير من الروايات بتصحيح أو تضعيف شأنه في ذلك شأن علماء الحديث وليس كما قال : إن القارئ مدعو للتسليم والتفويض أمام النصوص المشككة هذا ما أردت أن أثبتته حول هاتين الملاحظتين .

ثم تعرّض الأستاذ الشرفي للنصين بالتعليق وبدأ بمفهوم الوحي عند علماء السنة وحلل القضية وقال : « فالنظرية السائدة تقوم على أن الرسول - ﷺ - مجرد مبلغ أمين لما يلقيه عليه جبريل ، ولا يتدخل بصفة من الصفات في بلورة الكلام الإلهي المتزه إلى خطاب في لغة بشرية »^(١) .

إن ما ذكره الأستاذ هنا هو الحق والذي عليه علماء المسلمين ، أما أن يقول : إن السيوطي مع تبنيه من دون أي احتراز لهذا المفهوم السائد عن الوحي لم يتردد ولم يتخرج في إثبات روايات تنقضه ، بل إنه لم يرف فيها ما يبرر الرد والاعتراض أو حتى الاحتراز ، فليس من الهيّ أن يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب : « ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله ، وما يدريه ما كله ، قد ذهب منه قرآن كثير » . أو أن تقول عائشة - أم المؤمنين - « كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مثنى آية ، فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن (= ٧٣ آية) أي أنه أسقط قرابة ثلثيها ثم يذكر بقية الأمثلة على ما هو منسوخ من القرآن »^(٢) . إن الأستاذ الشرفي لم يعجبه هذا الأمر ويرى أن السيوطي متناقض فيما ينقله هنا وما يثبتته هناك في نزول القرآن وجمعه وترتيبه وإحراق ما عداه من الصحف ، لا أدري أين التناقض الذي وقع فيه السيوطي أو أن الأستاذ الشرفي ممن لا يقول بالنسخ - على مذهب من ينكره - والذي عليه إجماع المسلمين جواز النسخ تيسيراً على هذه الأمة ، وما ضربه الأستاذ الشرفي من أمثلة على التناقض والتعارض عند السيوطي ليس من قبيل

(١) في قراءة التراث الديني : ص ١٩ .

(٢) م . ن . ص ٢٠ .

الهوى والتشهّي فقد نقل العلماء « أنه إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي »^(١) .

ثم إن ما ذكره أيضاً هنا هو من قبيل ما نسخ تلاوته دون حكمه ، لحكمة وهي إظهار الامتثال والإذعان لله تعالى - ما دام مؤمناً به - .

وليت الأستاذ الشرفي وقف عند هذا الحد في نقده للسيوطي - أمّا أن يتجاوز ذلك إلى الطعن بالصحابة رضوان الله عليهم - ووصف السيوطي « بانعدام الحسن النقدي عنده »^(٢) ويموت الشعور لدى العلماء الأقدمين - في عصر الجمود والانغلاق - فهذا مما لا يقبل منه في حال من الأحوال . إذ كيف يصف السيوطي بانعدام الحسن النقدي عنده وأمثاله من المصنّفين في عصر الجمود والانغلاق ولا أدري أي عصر يقصد وقد بينت في أثناء دراستي لعصر السيوطي أن العصر الذي عاش فيه السيوطي هو عصر ازدهار علمي ويعُدُّ من العصور الذهبية في ظهور النزعة الموسوعية وهي من سمات تلك العصور^(٣) ، هذا أولاً ، وأمّا ثانياً فإن كتب السيوطي لا تخلو من نقد وتعليق ، وشخصيته واضحة فيها ، ومنها هذا الكتاب (الإتيقان) فما تنبيهاته وتذييلاته واختياراته إلا دليلاً على ظهور شخصيته فيه ، فكيف ينسجم هذا مع انعدام الحسن النقدي عنده ثم إذا سلّمنا للأستاذ الشرفي « بانعدام الحسن النقدي عند السيوطي وأمثاله من المصنّفين في عصور الجمود والانغلاق »^(٤) . فإنه مما لا يجوز السكوت عليه ما طعن به الصحابة الكرام - من الوقوع في الخطأ - فقد قال بعد ما ذكرت قوله سابقاً « . . فلقد انعدمت عندهم الرغبة في الاطلاع على خفايا الأمور وحقائقها ، وانعدم التوق إلى كشف المجهول والملتبس ، فلا أثر لأي شك أو

(١) وهو قول ابن الحصار ، انظر الإتيقان : ٧١٧/٢ .

(٢) في قراءة التراث الديني : ص ٢١ .

(٣) هذا من الناحية العلمية أما من الناحية السياسية فمن المعروف أن هذا العصر هو العصر الذي استطاع فيه المسلمون وقف المد المغولي في البلاد الإسلامية

(٤) في قراءة التراث الديني ، ص ٢٠ .

توتر كما مات لديهم الشعور بإمكانية خطأ المتقدمين وبالخصوص إن كانوا من الأجيال الإسلامية الأولى»^(١).

ولقد ظننت أولاً أنه يقصد التابعين ومن بعدهم ، ولكن رجعت إلى الحاشية التي علقها على هذا النص فقال : « يقول السيوطي : إن الصحابة اختصوا بالفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح (ج ٢ ص ١٧٦) ، فلا مجال إذن إلا للتسليم بما قالوا أو فعلوا كائناً ما كان »^(٢).

لقد تعجب الأستاذ الشرفي في تسليمنا للصحابة بقول ما قالوا أو فعل ما فعلوا كائناً ما كان ، وأين العجب في ذلك أليس الله تعالى قد زكاهم وعَدَّاهُمْ بقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وقوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] وغيرها من الآيات كثير .

ألا يكفي هذا دليلاً على عدالتهم جميعاً وأن الله قد اختصهم بهذه المزية ولا يسأل عن عدالة أحد منهم وقد أكد رسول الله ﷺ على ذلك بقوله « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي قَوْلَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ »^(٣) وقد ثبتت عدالتهم بإجماع المسلمين^(٤) ، فيقول أبو عمر بن عبد البر في (الاستيعاب) : « قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق

(١) م . ن : ص ٢١ .

(٢) م . ن حاشية رقم (٥) ص ٢٩ من البحث المشار إليه سابقاً .

(٣) البخاري في فضائل الصحابة ، باب : قوله ﷺ « لو كنت متخذاً خليلاً » رقم (٣٤٧٠) ٣ / ١٣٤٣ . ومسلم في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم رقم (٢٥٤٠) ٤ / ١٩٦٧ .

(٤) يبدو أن الأستاذ الشرفي لا يروقه الإجماع أو لا يعترف به دليلاً من الأدلة الشرعية الأصلية فقد ورد عنه قوله (. . .) ولا سيما أن الإجماع قد انعقد عليه وما أدراك ما الإجماع) ، انظر ص ٢٢ .

من المسلمين - وهم أهل السنة والجماعة - على أنهم كلهم عدول»^(١) .

وقد أشيع الأستاذ الدكتور نور الدين عتر الحديث عن عدالة الصحابة في كتابه القيم (منهج النقد في علوم الحديث) وأن العلماء قد شددوا النكير على من يقدح في هؤلاء الكرام^(٢) .

فإذا كان وضع الصحابة كما قدمت فكيف يتجرأ أحد في الكشف عن خفايا الأمور وحقائقها ، وما هي الأمور الخفية التي يريد الأستاذ الشرفي البحث عنها؟ . هذا ما يتعلق بالنص الأول ، أما فيما يتعلق بالنص الثاني وهو النوع العاشر فيما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة فكأنني بالأستاذ الشرفي يريد أن يشكك في صحة القرآن أو أنه المنزل من عند الله تعالى ، فقد اعترض على السيوطي في ترتيبه هذا النوع بعد أسباب النزول وقول السيوطي « هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول ، والأصل فيه موافقات عمر »^(٣) فيقول كان على السيوطي « أن يدرجه في المباحث المتعلقة بكيفية الوحي ، حيث أن الأمر يتصل بأقوال ينطق بها الصحابة ، وعمر بن الخطاب بالخصوص ، فإذا بالرسول يبلغها كما هي بصفتها قرآناً »^(٤) . فكأن الأستاذ الشرفي يريد أن يقول إنَّ القرآن كما هو منزل من عند الله هو أيضاً قول لبعض الصحابة كالذي ورد عن عمر وغيره من الصحابة الذين نزل القرآن موافقاً لما قالوا . ولذلك فقد ربط الأستاذ الشرفي بين قوله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ »^(٥) وقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٤] .

(١) ابن عبد البر المالكي ، الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، بهامش الإصابة (ط . دار الكتاب العربي ، بيروت : د . ت ٨ / ١) .

(٢) د . نور الدين عتر ، منهج النقد في علوم الحديث (ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق : ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م) ص ١٢٣ .

(٣) الإنقان : ١ / ١١٠ .

(٤) في قراءة التراث الديني ص ٢٣ .

(٥) الترمذي في أبواب المناقب ، باب : الحق على لسان عمر ، رقم : ٣٦٨٣ .

والخطاب فيها للرسول ، ثم يقول : كأن السيوطي شعر بما عسى أن يترتب
عن هذا الحديث من بلبلة في ذهن المؤمن إذ هو يسوي بين الرسول وعمر في
نزول الحق على قلب هذا وذاك من الناحية الشكلية على الأقل ، فإذا به يعدّله
بإردافه بقول مجاهد : « كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن^(١) فتكون المطابقة
بين رأي عمر والقرآن لا بين قوله والقرآن »^(٢) .

ولا أدري أي نوع من البلبلة التي يثيرها مثل هذا الحديث الذي رواه
الترمذي في ذهن المؤمن - إذا كان يؤمن بالله تعالى حقاً - كل ما في الأمر أن
المطابقة حصلت بين ما رآه عمر رضي الله عنه أو قاله ، وبين ما نزل به القرآن
من عند الله تعالى وشتان بين ما نزل من القرآن موافقاً لبعض اقوال الصحابة
وبين كون القرآن من كلام الرسول أو عمر أو غيرهما .

ويقال مثل ذلك على ما أورده السيوطي من تذهيب ختم به النوع وهو :
« ما ورد في القرآن على لسان غير الله كالنبي عليه السلام وجبريل والملائكة
غير مصرح بإضافته إليهم . . »^(٣) قال السيوطي : « ويقرب هذا من ذلك »
ويعترض الأستاذ الشرفي على السيوطي أنه اكتفى بتقرير هذه الظاهرة دون
استخلاص أشياء منها^(٤) أقول : ما هي الأشياء التي كان يرغب الأستاذ الشرفي
أن يضيفها السيوطي أو يفصلها والمسألة لا تحتاج إلى مزيد بيان أو توضيح في
رأبي ، والله أعلم .

ويختم الأستاذ المؤلف بحثه ببعض التوصيات التي يجب أن يتبعها
الباحثون المعاصرون - في رأيه - عند قراءتهم للتراث الديني بشكل عام .
أما الأستاذ محمد أركون ، فقد وجّه إلى (الإتيقان) الانتقادات نفسها التي

(١) الإتيقان : ١١٠/١ .

(٢) في قراءة التراث الديني ، ص ٢٣ .

(٣) الإتيقان : ١١٢/١ .

(٤) في قراءة التراث الديني ص ٢٥ .

انتقدها عليه الأستاذ عبد المجيد الشرفي ، ولكن كتابة الأستاذ الشرفي امتازت بوضوح العبارة ، أما محمد أركون فإن كتابته جاءت ركيكة العبارة ضعيفة الأسلوب ، بعيدة عن الدقة ، علاوة عن استخدامه مصطلحات غريبة عن فكرنا الإسلامي الذي يدعي قراءته .

طبعات الكتاب^(١) :

وأخيراً ونظراً لأهمية الكتاب (الإتقان في علوم القرآن) فقد تعددت طبعاته ، وكثرت نشراته في الشرق والغرب فمنها :

- ١- طبعة صدرت في كلكتة عام (١٢٧١هـ / ١٨٥٤م) .
- ٢- طبع بمصر أيضاً في سنة (١٢٧٨هـ / ١٨٦١م) في جزأين بمجلد واحد .
- ٣- أعيد طبعه أيضاً بمصر سنة (١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م) .
- ٤- طبع بمصر أيضاً سنة (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) .
- ٥- وفي عام (١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م) أعيد طبعه بمصر بمطبعة عثمان عبد الرزاق وبهامشه إعجاز القرآن للباقلاتي في جزأين .
- ٦- وبالميمية بمصر عام (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م) .
- ٧- وبالأزهرية بمصر عام (١٣١٨هـ / ١٩٠٠م) .

(١) اعتمدت في بيان هذه الطبعات على ما نشر في ذخائر التراث العربي الإسلامي : ص ٥٨٧ مكتبة الجلال السيوطي : ٥٣ ، وما نشر في مجلة عالم الكتب مج ١٢ ، ١٤ (رجب ١٤١١هـ) بحث للأستاذ عبد الإله نبهان ، فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة ، ص ٣٣-٣٤ . والمستدرك عليه (محمد خير رمضان يوسف ، المنشور في عالم الكتب مج ١٢ ، ع ٣ (محرم ١٤١٢هـ) ص ٤٤٠ ، والمستدرك الثاني على فهرس مؤلفات السيوطي المطبوعة أعده الدكتور بديع السيد اللحام وقدمه للمجلة نفسها (عالم الكتب) مج ١٤ ، ع ٣ (ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٣هـ / مايو - يونيو ١٩٩٣م) ص ٣٢١ .

- ٨- ثم طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة سنة (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م) .
 - ٩- صُوِّر في بيروت بعالم الفكر سنة (١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م) .
 - ١٠- طبع في القاهرة بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م)
في جزأين بمجلد واحد وبأسفله إعجاز القرآن للباقلاني .
 - ١١- ولا يزال يصدر في طبعات مصورة عن هذه الطبعة حتى حققه الأستاذ
محمد أبو الفضل إبراهيم في أربعة أجزاء ونشره في مكتبة المشهد الحسيني
في القاهرة سنة (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .
 - ١٢- ثم صورت هذه الطبعة في بيروت في المكتبة العصرية سنة (١٤٠٧هـ /
١٩٨٦م) .
 - ١٣- كما صُوِّر عن هذه الطبعة في إيران ، منشورات رضى بيدار عزيزي وهي في
(٤) أجزاء في مجلدين والطبعة الثانية كانت في سنة (١٣٤٣هـ - ش) .
 - ١٤- ثم قدّم للكتاب وعلّق عليه محمد شريف سكر ومصطفى القصاص ،
وطبع في بيروت دار إحياء العلوم ، والرياض مكتبة المعارف سنة
(١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) في جزأين .
 - ١٥- وأخيراً فقد قام بالتعليق عليه الأستاذ الدكتور مصطفى البغا وطبعه في
دار ابن كثير بدمشق الطبعة الأولى سنة (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) . وعليها
اعتمدت في بحثي . هذا وقد قام بإضافة بعض التعليقات والشروح على
الكتاب وطبعه الطبعة الثالثة منها سنة (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) .
- وإنّ هذه الطبعات على كثرتها وتعدّدها لتدل دلالة واضحة على أهمية هذا
الكتاب وعظّم شأنه ومع ذلك فهي لا تخلو من أخطاء وهفوات ولذلك فالكتاب
لا يزال بحاجة إلى زيادة عناية وتحقيق حتى يخرج بما يتناسب وأهميته ولا
سيما أن مخطوطاته منتشرة وموزعة في معظم مكتبات العالم .

* * *

الخاتمة ونتائج البحث

وهكذا وبعد أن قضيت قرابة أربع سنوات عشتها مع الإمام جلال الدين السيوطي من خلال مؤلفاته عموماً وعلوم القرآن خصوصاً فإنه يمكنني أن ألخص أهم نتائج هذا البحث في النقاط التالية :

أولاً : إذا كان الإنسان ابن بيئته - وللبقاع تأثير في الطباع - فقد عاش السيوطي في أواخر عصر المماليك الذي يعدّ من أزهى العصور العلمية تقدماً وازدهاراً وأكثره إنجازاً وحضارة ، حتى وصف بأنه (عصر إحياء التراث العربي وتجديده) ، على خلاف ما أشيع حوله .

ثانياً : كان أثر العصر في شخصية السيوطي العلمية واضحاً ، فقد ظهرت عنده - كما رأيت - النزعة الموسوعية التي تميّز بها ذاك العصر ، حتى أصبح يطلق عليه (عصر الموسوعات) .

ثالثاً : إنّ نبوع السيوطي المبكر ، وكثرة شيوخه وسعة اطلاعه وقوة حافظته كان لها أكبر الأثر في كثرة مؤلفاته وتنوعها وشمولها أكثر فروع المعرفة ولذلك نعت بأنه (أغزر كتّاب العربية قاطبة) .

رابعاً : كل ذلك ساعده على بلوغه درجة الاجتهاد ، وأنّه المجدّد للمئة التاسعة ممّا أدى إلى تألّب العلماء عليه ، وخاصة من منافسيه وأقرانه ، وقد رأيت كيف أثّرت هذه الخصومات الحركة العلمية في ذلك الوقت بكثير من المؤلفات الحافلة .

خامساً : لم يكن السيوطي - كما قيل - حاطب ليل ، يجمع بين الغث والسمين بل كان يختار موضوعه الذي يريد أن يكتب فيه ، أو الغرض الذي من أجله أراد اختصار مؤلف ما ، ثم يضيف إليه ما تمسّ به الحاجة ويراه ضرورياً

لاستكمال فوائد المؤلف الأصلي . وكان مع ذلك أميناً في نقله ، يعزو كل قول إلى قائله ، ويخرج من عهدة كل نقل بنسبته إلى ناقله وكان يكرر دائماً مقولته المشهورة : « بركة العلم عزوه إلى قائله » .

سادساً : كما برع السيوطي في التفسير وعلوم القرآن ، فقد كان له اشتغال بالحديث وعلومه ، حتى إنَّ منهج المحدثين وطريقتهم في التأليف طغت على معظم مؤلفاته .

سابعاً : كان السيوطي من المكثرين في التأليف وخاصة في فنّ التفسير وعلوم القرآن ، وكان يهدف من وراء تأليفه هذه إلى تكوين مكتبة تفسيرية متخصصة شاملة لكل ما يتعلّق بالقرآن من علوم وفنون ، وكل كتاب منها يكمل الآخر مثل : (مجمع البحرين ومطلع البدرين) الذي جعل (الإتيقان) مقدمة له ، و (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) وتكملة تفسير الجلال المحلي المعروف بـ (الجلالين) ، و (نواهد الأبحار) حاشيته على تفسير البضاوي ثم كتبه في علوم القرآن المختلفة كـ (لباب النقول في أسباب النزول) و (تناسق الدرر في تناسب السور) و (مفحمت الأقربان في مبهمات القرآن) و (الإكليل في استنباط التنزيل) وغيرها ، محاولاً من خلال هذه المكتبة إغناء قارئه عن الرجوع إلى غيره .

ثامناً : إنَّ أهمّ ما يمتاز به كتب السيوطي أنّه حفظ لنا بها نصوصاً لمؤلفات لا نعرف عنها اليوم شيئاً إلّا عناوينها ، وبذلك يكون السيوطي قد قدّم لنا خدمة جليلة في تضمين كتبه نصوصاً من تلك المؤلفات التي أصبحت اليوم مفقودة أو في حكم المفقود .

تاسعاً : ولعل السيوطي نفسه قد خشي على كتبه من الضياع أو السرقة فبادر إلى تكرارها وتناول موضوعاتها في أكثر من كتاب ، كما رأينا ذلك في كتبه التي أفردتها بالتأليف في علوم القرآن كـ (لباب النقول في أسباب النزول) و (تناسق الدرر في تناسب السور) و (مفحمت الأقربان في مبهمات القرآن)

و(معترك الأقران في إعجاز القرآن) وغيرها ، وقد ضمّنها - كلها أو خلاصتها - في كتابه (الإتيقان) . وما خشي منه السيوطي قد وقع به فعلاً ، فإننا لا نعرف اليوم عن بعض كتبه التي أفردتها بالتأليف (كالناسخ والمنسوخ) و(خمائل الزهر في فضائل السور) وغيرها شيئاً إلا من خلال ما نص عليه في كتاب (الإتيقان) .

عاشراً : إنّ السيوطي الصوفي لا ينسى أن يلفت نظرك من خلال تأليفه هذه إلى رقة القلب وشفافية الروح ، وتعلّق الإنسان بخالقه مع تناوله موضوعات قد يظنها بعضهم بعيدة كل البعد عن ذلك ، يلمس القارئ ذلك واضحاً في كتابه (معترك الأقران...) .

حادي عشر : بعد الدراسة والفحص تبين لي أن أول من ألف في علوم القرآن كتاباً مستقلاً هو أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧ / ١٢٠١ م) في كتابه (فنون الأفتان في عيون علوم القرآن) الذي جمع فيه عشرين باباً من أنواع علوم القرآن .

ثاني عشر : لا أبالغ إذا قلت إنّ علوم القرآن لم تكتمل ولم تنضج إلّا على يد السيوطي في كتابه (الإتيقان في علوم القرآن) وأنّه أصبح مرجع الباحثين والدّارسين وعمدة العلماء والمحقّقين ، فكل من كتب في علوم القرآن بعده فماله الرجوع إليه ، وكل من تكلم في علوم القرآن فهو عالة عليه . ومن هنا فقد وُصف كتاب (الإتيقان) بأنّه « الحلقة الذهبية في سلسلة المصنفات في علوم القرآن » .

ثالث عشر : لم يكن السيوطي مجرد ناقل لآراء المتقدمين وملخصاً لكتبهم ومقولاتهم - كما توهم بعض الباحثين - فحسب بل كانت له شخصيّة المتميزة في الترجيح بين الأقوال والتعليق عليها بالصحة والضعف وانتقادها ، ثم إنه كانت له وقفات التي لم يسبقه إليها أحد واختياراته التي تدل على قوة علمه ورجاحة عقله وحدة ذكائه ، كاختياره القول بوقوع المعرّب في القرآن

الكريم . وتسهيل الهمز من كلمة (قُرآن) متابعاً ذلك الإمام الشافعي وغير ذلك .

رابع عشر : وأخيراً تبين لي من خلال دراستي لمصادر السيوطي في مختلف كتبه المؤلفة في علوم القرآن أنه رجع إلى عدد كبير من مؤلفات المغاربة كتفسير : يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ / ٨١٥م) ، ومؤلفات أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ / ٨٣٨م) . والمهدوي (ت بعد ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) ومكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) والداني (ت ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) وابن عطية (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٨م) وابن العربي (ت ٥٤٣هـ / ١١٤٨م) ، وأبي جعفر بن الزبير (ت ٧٠٨هـ / ١٣٠٨م) وابن البناء المراكشي (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) والسفاقي (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤٢م) وأفاد من أبي حيان (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) كثيراً وغيرهم ، وفي هذا دليل على مدى احترام السيوطي لعلماء المغرب وتقديره لهم ، وإفادته من علمهم وكتبهم ، وبذلك يكون السيوطي قد مزج في كتبه بين ثقافة الشرق والغرب ، ومن هنا فقد جاءت كتبه عظيمة النفع في بابها ، فريدة في نوعها ، لا يستغني عنها باحث ، وقد رزقت القبول بين الناس .

تلك كانت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

وختاماً ، وإن كانت لي من توصيات أو اقتراحات - من أجل النهوض بعلوم القرآن في وقتنا الحاضر - فأقترح ما يلي :

١- العودة إلى كتب التراث والتنقيب عنها وتحقيقها ، ولا سيما المصادر التي أشار إليها السيوطي من خلال كتبه وخاصة كتب المغاربة إذ لا مستقبل لأمة لا تبني حاضرها على أمجاد ماضيها ، ولا تستضيء بماضيها على طريق مستقبلها ، وقد رأيت أن السيوطي رجع إلى تفسير يحيى بن سلام المتقدم جداً وأحال عليه في أكثر من كتاب ، وهذا الكتاب توجد منه نسخ غير كاملة في المكتبة العبدلية ومكتبة حسن حسني عبد الوهاب المحفوظة بدار الكتب

الوطنية بتونس ، هذا وتوجد منه أيضاً نسخ ناقصة في مكتبة القيروان ، فلعل السيوطي قد اطلع على بعض النسخ من هذا التفسير فأفاد منها ثم أتت عليها عوادي الزمن فأخذت الكتاب بين سمع الأرض وبصرها وأصبحنا لا نعرف عن هذا الكتاب شيئاً في المشرق . ولعله توجد منه بعض النسخ في المكتبات الخاصة هذا ما يجب على الباحثين التنقيب عنه والله أعلم .

٢- إعادة تحقيق بعض كتبه في علوم القرآن خصوصاً (الإيتقان) الذي يعدّ حالياً أكبر موسوعة علمية في علوم القرآن فلا بد أن تمتدّ إليه يد العناية بإعادة تحقيقه وإخراجه بالشكل الذي يرضي مؤلفه أولاً ، وحاجة الناس وطلاب العلم إليه ثانياً بشرح عباراته ، وتوضيح غامضه وإزالة مشكله ، ووضع فهرس علمية شاملة له تيسر الانتفاع به . وانتقاء بعض الأنواع منه لتدريسها في الجامعات (كدراسة نصيّة في علوم القرآن) .

٣- وأخيراً فقد عقد في القاهرة مؤخراً مؤتمر نظّمته جامعة الأزهر بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم « الإيسيسكو » بمناسبة مرور (٥٠٠ عام) على غياب الإمام جلال الدين السيوطي في الفترة ما بين ٣-٥ نيسان (أبريل ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) وأصدرت الندوة في ختام أعمالها عدداً من التوصيات منها :

أ- ضرورة تأكد قيام المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (ايسيسكو) باختيار لجنة من المتخصصين تسند إليها مهمة وضع قائمة دقيقة لمؤلفات السيوطي وفهرستها ، مع بيان المطبوع منها والمخطوط وأماكن طبعتها أو وجودها .

ب - وأوصت كذلك بضرورة الاتصال بمركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إستانبول لتيسير حصر مخطوطات السيوطي الموجودة فيه وتصويرها وذلك بالتعاون والتنسيق مع « ايسيسكو » . وحبذا لو سارعت الجهات المعنية بتنفيذ مضمون ذلك لتيسير الانتفاع بمخطوطات السيوطي

الموجودة هناك وذلك لما يعلمه جميع الباحثين من صعوبة تصوير المخطوطات الموجودة بين أيديهم ، وقد عانيت من ذلك الشيء الكثير .

ج - وقد أوصت الندوة كذلك بتوجيه الأقسام العلمية المختصة في الجامعات العربية والإسلامية إلى مزيد من الاهتمام بآثار السيوطي في الدراسات العليا والأطروحات الجامعية^(١) .

وفي الختام أسأل الله تعالى - جلّت قدرته - أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل وأن يجنبنا الخطل والزلل ، وأن يوفّقنا لخدمة كتابه وسنة نبيه - ﷺ - .
وخير ما أختتم به كتابي هذا ، بما بدأه الإمام الشافعي في (رسالته) بقوله :

فَسأَلُ اللهَ المبتدئَ لَنَا بِنِعَمِهِ قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا المُدِيمَهَا عَلَيْنَا مع تَقْصِيرِنَا فِي
الْإِثْنَانِ عَلَى مَا أُوجِبَ بِهِ مِنْ شُكْرِهِ بِهَا ، الْجَاعِلِنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
أَنْ يَرْزُقَنَا فَهَمًّا فِي كِتَابِهِ ، ثُمَّ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ، وَقَوْلًا وَعَمَلًا يُؤَدِّي بِهِ عَنَّا حَقَّهُ ،
وَيُوجِبُ لَنَا نَافِلَةً مَزِيدَهُ «^(٢) .

والحمد لله رب العالمين .

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

* * *

(١) لم أتمكن من حضور هذا المؤتمر ، وقد انتقيت هذه التوصيات مما نشره علي عبد الباقي حول هذا المؤتمر في جريدة الحياة اللندنية ، في عددها رقم (١١٠٢٦)
(الصادرة يوم الأربعاء ٢٩ شوال ١٤١٣هـ / الموافق ٢١ نيسان (أبريل) ١٩٩٣م) .
ص ١٩ (تراث) .

(٢) الرسالة : ١٩- ٢٠ .

الفهارسُ العامّة

فهرس الآيات .

فهرس الأحاديث .

فهرس الشعر .

فهرس الأعلام المترجمة .

فهرس المصادر والمراجع .

المحتوى .

فهرس الآيات

١- الفاتحة

| | | |
|---------|---|---|
| ٣٦١ | ٢ | الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ |
| ٣٦٢-٣٣٦ | ٤ | مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ |
| ٣٦١ | ٥ | إِيَّاكَ نَعْبُدُ |
| ٣٦١-٢٣٥ | ٦ | إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ |
| ٤١٤-٣٣٦ | ٧ | صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ |
| ٤١٤-٣٦٢ | ٧ | غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ |

٢- البقرة

| | | |
|---------|-----|--|
| ٣٦٥-٢٥٨ | ٢-١ | الْعَرَبِ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ |
| ٢٤٠-٢٥٩ | ٢ | ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ |
| ٢٦٠ | ٢ | هُدًى لِلْمُتَّقِينَ |
| ٢٦٠ | ٣ | وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ |
| ٢٦٠ | ٧ | وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ |
| ٣٢١ | ١٧ | مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا |
| ٣١٩ | ١٩ | أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ |
| ٣٣٠ | ٢٠ | كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ |
| ٣٦٦ | ٢١ | أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ |
| ٥٣١-٥٢٨ | ٢١ | يَتَأْتِيهِمُ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ |
| ٤١٥ | ٢٥ | أَزْوَاجًا مُّطَهَّرَةً |
| ٣٢١ | ٢٦ | إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ |
| ٣٦٦ | ٢٩ | هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ |

| | | |
|-------------|---------------|--|
| ٢٢٩ | ٣١ | وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا |
| ٣٠٢ | ٣٤ | وَلِذُنَا لِلْجَنَّةِ ... |
| ٣٤١-٣٣٦ | ٣٥ | أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ... |
| ٤٦٦ | ٦٧ | وَلِذُنَا قَالِ مُوسَى لِقَوْمِهِ ... |
| ٣٤١-٣٣٦ | ٧٣ | فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا |
| ٤٢٣ | ٨٠ | فَلِأَتَّخِذْكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا |
| ٢٨٤-٢٦٨ | ١٠٢ | وَاتَّبِعُوا مَا تُلُوا الشَّيْطَانُ ... |
| ٢٥٥ | ١٠٤ | يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا ... |
| ٣٣٦ | ١٠٨ | أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا ... |
| ٤٨٥ | ١١٧ | فَأِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ |
| ٢٥٣ | ١١٩ | إِنَّا أَوْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا ... |
| ٤٢٣ | ١٢٤ | لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ |
| ٤٦٨ | ١٢٥ | وَلِذُنَا أَلَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ ... |
| ٤٢٣ | ١٢٥ | وَعَهْدَنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ |
| ٤٦٩ | ١٢٥ | أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ... |
| ٢٦٨ | ١٣٦ | قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا |
| ٤٩١ | ١٤٣ | وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ... |
| ٦٢٩ | ١٤٣ | وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... |
| ٤٥٠-٤٤٢ | ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠ | قَوْلٍ وَجْهًا لِّشَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ |
| ٤١٥-٣٦٦ | ١٥٢ | فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ... |
| ٤٦٩-٣١٢-٢٦١ | ١٥٨ | ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ |
| ٤٨٨ | ١٦٣ | وَاللَّهُمَّ لِلَّهِ وَحْدًا |
| ٤٨٩ | ١٦٤ | إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ |
| ٥٢٨ | ١٦٨ | يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ |
| ٣٦٦ | ١٨٦ | أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا |
| ٢٥٦ | ١٨٧ | أَجَلْ لَكُمْ يَلَّةَ الصَّيَامِ ... |
| ٤٩٠ | ١٨٧ | وَلَا تُبَشِّرُوا بِهِ وَلَا تَشْتَعِبُوا |
| ٤٦٩-٢٦١ | ١٩٦ | وَلَا تَحْلِفُوا رُسُوكُمْ حَتَّىٰ بَلَغَ ... |

| | | |
|-----|-----|--|
| ٤١٦ | ١٩٦ | أُخْصِرْتُمْ |
| ٤١٥ | ١٩٧ | أَلْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ |
| ٣٣٦ | ٢٠٤ | وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ ... |
| ٤١٣ | ٢٠٤ | أَلَدُّ الْخِصَابِ |
| ٦٢١ | ٢١٩ | يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ... |
| ٢٦١ | ٢٢٣ | يَسْأَلُكُمْ حَرْبٌ لَكُمْ |
| ٢٥٥ | ٢٣٨ | حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ |
| ٢٢٧ | ٢٥٧ | اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا |
| ٢٣٢ | ٢٥٧ | يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ |
| ٣٣٦ | ٢٥٨ | أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ ... |
| ٢٨٨ | ٢٧٢ | وَمَا تَنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ |
| ٤١٨ | ٢٧٩ | فَإَذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ |
| ٢٨٣ | ٢٨٠ | وَلِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ ... |
| ٣٦٩ | ٢٨٥ | لَا تَفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ |
| ٣٦٦ | ٢٨٦ | رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا |
| ٣٦٩ | ٢٨٦ | فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ |

٣- آل عمران

| | | |
|---------|-----|---|
| ٤٨٨-٣٦٧ | ٢-١ | أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ |
| ٤٨٠ | ٧ | وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ |
| ٤١٣ | ١٣ | وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ |
| ٤٨١ | ١٤ | زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ |
| ٤١٥ | ١٤ | وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ |
| ٢٨٥ | ٥٥ | إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى |
| ٤٨٠ | ٥٥ | إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ |
| ٥٢٩ | ٦٤ | قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَآلَوْا إِلَى ... |
| ٤١٥ | ١٠٢ | اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ |
| ٦٢٩ | ١١٠ | كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ |

| | | |
|-----|-----|---|
| ٢٥٥ | ١٣٥ | وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا |
| ٤٨٠ | ١٧٢ | الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ |
| ٢٨٢ | ١٧٨ | وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُطَمِّلُ . . |
| ٤٢٣ | ١٨٣ | إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ لَنَا |
| ٣٦٧ | ١٩٩ | وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ |

٤- النساء

| | | |
|-------------|-----|--|
| ٤٨١-٣٦٤-٢٨١ | ١ | يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي |
| ٤٥٠-٢٨٢ | ٢ | إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا |
| ٢٨٢ | ٣ | وَأِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ |
| ٤٥٠ | ٥١ | يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّغُوتِ |
| ٥٢٩ | ٥٨ | ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ |
| ٤٧٩-٣٣٦ | ٦٩ | فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . . |
| ٤٧٠ | ٨٣ | وَلَوْ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَلِإِلَهِ أُولَى . . |
| ٤٨٠ | ٨٨ | ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ |
| ٣٣٦-٣٣١ | ١٠٠ | وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى . . |
| ٤٨٠ | ١٠٤ | وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ . . |
| ٤٨٣ | ١٢٧ | وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ |
| ٤٧١-٤٧٠ | ١٤٠ | وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ |
| ٤٨٠ | ١٥٦ | وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بَهْتِنًا عَظِيمًا |
| ٤٨٠ | ١٥٧ | وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ |
| ٤٨٠ | ١٦٢ | لَنْ كُنِ الرَّسَخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ . . . |
| ٤٨٠ | ١٧١ | لَا تَقْنَبُوا فِي دِينِكُمْ |
| ٤٨٥-٤٨٠ | ١٧٢ | لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ |
| ٤٨٣ | ١٧٦ | يَسْتَفْتُونَكَ |

٥- المائدة

| | | |
|---------|---|--|
| ٥٢٩-٣٦٥ | ٣ | الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ |
| ٣٣٦ | ٤ | وَمَا عَلَّمْتُ مِنَ الْغَوَارِجِ مَكَلِّينَ |

| | | |
|-----|-----|---|
| ٤٧٠ | ٦ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى . |
| ٤٢٢ | ٦ | وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ |
| ٢٤٠ | ٦٠ | وَعَبْدَ الظَّلْمُونَ |
| ٦٢٢ | ٩٠ | إِنَّمَا الْخَمْرُ |
| ٦٢٠ | ٩٣ | لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا . |
| ٢٨٣ | ١٠٥ | يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ . |

٦- الأنعام

| | | |
|---------|-----|---|
| ٥٤٥ | ٩ | وَلَلْبَاسِ عَلَيْنَا وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا |
| ٤٨٨ | ١٢ | كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ . . . |
| ٢٨٢ | ٢٢ | وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاعًا ثُمَّ نَقُولُ . . . |
| ٤١٣ | ٢٦ | وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ . . . |
| ٤٨٦ | ٣٦ | وَالْمَوْتُ يَبْغِيهِمُ اللَّهُ . . . |
| ٤٥٥ | ٣٨ | مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ . . . |
| ٢٨٣ | ٥٩ | وَعِنْدَ مَفَازٍ الْعَاقِبَةُ . . . |
| ٤٧١ | ٦٨ | وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ . |
| ٥٤٦ | ٩٦ | فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ الْبَلَدَ . . . |
| ٤٨٩ | ١٥٤ | ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ . . . |
| ٤٨٨-٤٨٧ | ١٥٨ | يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ . . . |

٧- الأعراف

| | | |
|-----|-----|---|
| ٣٧٨ | ٢ | وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . . . |
| ٣٧٨ | ٣ | ا اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ . . . |
| ٣٧٨ | ٣ | وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ ءَٰوْلِيَآءَ . . . |
| ٣٧٨ | ١١ | وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ . . . |
| ٣٤٨ | ٢٦ | يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أُنْزِلْنَا عَلَيْكُمْ . . . |
| ٢٨٧ | ٥٤ | إِلَٰهَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ . . . |
| ٣٧٩ | ٥٥ | أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً . . . |
| ٣٩٦ | ١٤٦ | سَاصِرِفٌ عَنْ ءَايَاتِي الَّذِينَ . . . |

| | | |
|-----|-----|--|
| ٤١٣ | ١٥٦ | وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ . . |
| ٣٣٦ | ١٦٣ | وَسَلَّطَهُمْ عَلَى الْقَرْيَةِ . . |
| ٤٨٢ | ١٨٩ | وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا . |
| ٣٧٨ | ٢٠١ | تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . . |
| ٣٧٨ | ٢٠٢ | وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ . . |
| ٣٧٨ | ٢٠٣ | قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ . . |
| ٣٧٩ | ٢٠٥ | وَأَذْكُرَ رِزْقَكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا . |
| ٣٧٨ | ٢٠٦ | إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . |

٨- الأنفال

| | | |
|-----|----|--|
| ٤٩٠ | ٤٦ | وَيَذْهَبَ رِيحًا ^ط |
| ٣٢٩ | ٦٠ | وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ . . |

٩- التوبة

| | | |
|---------|-----|---|
| ٤٢٣ | ٤ | فَالْتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُ |
| ٤١٣ | ٥ | الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ |
| ٦١٩ | ٦ | وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ |
| ٣٢٥ | ١٢ | وَإِنْ كُنْتُمْ آمِنْتُمْهُمْ |
| ٤٢٥ | ٢٣ | يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا |
| ٣٢٥ | ٢٤ | قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ |
| ٣٣٧ | ٤٠ | إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ |
| ٣٢٣ | ٧٥ | وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ |
| ٤٧٣ | ٩٢ | وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ . . . |
| ٣٢٩ | ١٠١ | وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ . |
| ٣٢٣ | ١٠٣ | خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ . . |
| ٦١٤ | ١١٣ | مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا . . |
| ٤٥٠-٤٣٩ | ١١٤ | إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ . . |

١٠- يونس

| | | |
|-----|----|--|
| ٢٨٧ | ٣ | ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَوْجِ . . |
| ٥٤٥ | ٣٢ | فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ . . |

١١- هود

| | | |
|-------------|-----|---|
| ٤٥٠-٤٤٣-٤٣٩ | ٤٤ | وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلَىٰ مَاءٍ لِّهِ . . |
| ٤٣٧ | ٨٢ | حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ . . |
| ٢٨٤ | ١٠٢ | وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ |

١٢- يوسف

| | | |
|-------------|----|--|
| ٦٢٠-٥٤٣-٤٣٤ | ٢ | إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا . . |
| ٢٨٥ | ٢٤ | وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِمْ وَهَمَّ بِهَا . . |
| ٤٥١ | ٣١ | وَأَعْنَدْتُ لِمَن مَّكَّكَ . . |
| ٤١٩ | ٦٥ | كَئِيلٍ يَسِيرٌ |

١٤- إبراهيم

| | | |
|-------------|---|---|
| ٤٥٥ | ١ | الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ . . |
| ٥٨٦-٤٣٧-٤٣٤ | ٤ | وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ . . |

١٥- الحجر

| | | |
|-----|----|--|
| ٧ | ٩ | إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ . . |
| ٦١١ | ٢٤ | وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ . . |
| ٤٣٧ | ٧٤ | وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ . . |

١٦- النحل

| | | |
|-----|----|---|
| ٤٥٥ | ٤٤ | وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ |
| ٤٧٠ | ٩٠ | ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ . . |
| ٤٢٣ | ٩١ | وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ |

١٧- الإسراء

| | | |
|--------|-----|--|
| ٣٧٩ | ١ | سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ |
| ٦١٥ | ١٥ | وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا . . |
| ٢٨٨ | ٨٥ | وَنَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ . . |
| ٥٧٤-١٨ | ٨٥ | وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا |
| ٥٤٤ | ٨٨ | قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ . . |
| ٣٧٩ | ١١١ | وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ . . |

١٨- الكهف

| | | |
|-----|----|--|
| ٢٩٩ | ١ | لَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ . . |
| ٤٤١ | ٢٩ | إِنَّا آَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا . . |
| ٤٦٩ | ٣٩ | وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ . . . |
| ٣٠٢ | ٥٠ | إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ |

١٩- مريم

| | | |
|-----|----|--|
| ٤٤١ | ٢٤ | فَنَادَاهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِينَ . . |
|-----|----|--|

٢٠- طه

| | | |
|-----|-----|---|
| ٢٦٣ | ٢-١ | طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ . . |
| ٢٨٧ | ٥ | الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى |
| ٢٦٥ | ١٤ | وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ |
| ٢٦٥ | ١٥ | إِنَّ السَّاعَةَ آِيسَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا . . |
| ٢٦٥ | ٤٢ | وَلَا نُبَيِّنُ فِي ذِكْرِي . . |
| ٢٦٦ | ٦٩ | وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . |
| ٥٤٨ | ١١١ | ﴿٢﴾ وَصَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ . |
| ٤٢٤ | ١١٥ | وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلِ |

٢١- الأنبياء

وإن كان مثقال حبة من خردل .. ٤٧ ٣٧٢

٢٢- الحج

وَأَنكُ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٧ ٥٨٧
وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ .. ٢٦ ٢٦١
وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ .. ٢٧ ٤١٣
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ .. ٥٢ ٥٢٧
فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ .. ٥٢ ٦٠٨-٥٢٧
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ .. ٧٣ ٣٢٢
وَلِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّكَابُ شَيْئًا .. ٧٣ ٣٢١
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا ٧٧ ٥٢٨

٢٣- المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. ١ ٣٧٩
إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. ١١٧ ٣٧٩

٢٤- النور

وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ. ٢٢ ٣٣٧

٢٥- تبارك

الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ .. ١ ٣٧٩
ثُمَّ أَسْرَى عَلَى الْعَرْشِ .. ٥٩ ٢٨٧
نُبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي .. ٦١ ٣٧٩

٢٦- الشعراء

وَلَا تُخْزِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ٨٧ ٣٤٨

| | | |
|-----------------|-----|---|
| ٣٤٩-١٩ | ٨٨ | يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ |
| ٦٣٠-٦٢٠-٥٤١-٥٣٧ | ١٩٣ | نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ |
| ٥٤٣ | ١٩٥ | يَلْسَانٌ عَرِيقٌ مُبِينٌ . . |
| ٥٤٦ | ٢٢٧ | وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ . |

٢٧- النمل

| | | |
|-----|----|---|
| ٥٤١ | ٦ | وَأَنَّكَ لَتَلْقَى أَفْرَاقًا مِنْ . . |
| ٧ | ٥٩ | لِلْحَمْدِ لِلَّهِ وَسَلَّمَ عَلَى . . |

٢٨- القصص

| | | |
|-----|----|--|
| ٤١٩ | ٣٢ | وَأَضْمَمْنَا إِلَيْكَ جَنَاحَكَ . . |
| ٢٨٧ | ٨٨ | كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . . |

٢٩- العنكبوت

| | | |
|-----|----|--|
| ٥٤١ | ٤٨ | وَمَا كُنْتَ تَسْأَلُوهُ مِنْ قَبْلِهِ . . |
|-----|----|--|

٣١- لقمان

| | | |
|---------|----|--|
| ٢٣٣ | ٢٠ | وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَّرَهُ . . |
| ٣٢٩-٢٨٣ | ٣٤ | إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ . . |

٣٣- الأحزاب

| | | |
|-----|----|--|
| ٥٤٦ | ٢١ | لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ . . |
| ٤٣٩ | ٣٣ | وَلَا تَبْرَحْ تَبْرِجَ الْجَنَّةِ |
| ٢٨٨ | ٣٦ | وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ . . |

٣٤- سبأ

| | | |
|-----|----|---|
| ٤٤٧ | ١٩ | فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا |
|-----|----|---|

| | | |
|-----|----|--|
| ٥٣٩ | ٢٣ | حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ . . |
| ٤١١ | ٢٤ | وَأَنَّا أَوْ أَنَا كُنتُمْ لَعَلَىٰ هُدًى . . |
| ٤٨٤ | ٥٤ | كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ . . |

٣٥- فاطر

| | | |
|---------|----|--|
| ٤٨٤ | ١١ | وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ شَيْءٌ وَلَا يُخَفِّصُ . . |
| ٢٢٩-١٩٦ | ٤٥ | وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا . . |

٣٧- الصافات

| | | |
|-----|----|-----------------------|
| ٤٢٠ | ٤٧ | لَا فِيهَا غَوْلٌ . . |
|-----|----|-----------------------|

٣٨- ص

| | | |
|-----|----|---|
| ٣٧٩ | ١ | وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ . . |
| ٤٣٩ | ٧ | مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْأَيَّامِ الْأُولَىٰ |
| ٤١٣ | ٣٢ | الْخَبَرِ |
| ٣٤٩ | ٤٩ | هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّثَابٍ |
| ٣٤٩ | ٥٥ | هَذَا وَإِلَىٰ الظَّالِمِينَ لَشَرُّ مَّثَابٍ . . |
| ٣٧٩ | ٨٧ | إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ . . |

٣٩- الزمر

| | | |
|-----|----|---|
| ٤٢١ | ٨ | قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا . . |
| ٤٢١ | ٩ | أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ إِئْتَاءَ إِلِيلٍ . |
| ٣٣٧ | ٣٣ | وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ . . |

٤٠- غافر

| | | |
|-----|----|--|
| ٤٢٥ | ٨٢ | فَمَا آخَرُهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . |
| ٤٢٤ | ٨٣ | فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ . . |
| ٤٢٥ | ٨٣ | فَلَمَّا جَاءَ نُهُم رَسُولُهُمْ بِالْأَيِّنَاتِ |

| | | |
|-----|----|--|
| ٤٢٥ | ٨٤ | فَلَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا قَالُوا هَامِتًا . |
| ٤٢٥ | ٨٥ | فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ . |

٤١- فصلت

| | | |
|---------|----|---|
| ٤٧٦ | ٤٠ | إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا |
| ٧ | ٤٢ | لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ |
| ٤٣٧-٤٣٤ | ٤٤ | وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبِيًّا . |

٤٤- الدخان

| | | |
|-----|-----|---|
| ٣٧٠ | ٢-١ | حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . |
| ٣٨٠ | ١٠ | فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ . |
| ٣٨٠ | ٥٨ | فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ |
| ٣٨٠ | ٥٩ | فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ . |

٤٧- محمد

| | | |
|-----|----|--|
| ٦١٥ | ١٣ | وَكَايْنٍ مِنْ قُرْبَةٍ هِيَ أَشَدُّ . |
|-----|----|--|

٤٨- الفتح

| | | |
|-----|----|---|
| ٢٢٧ | ٢ | يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ . |
| ٦٢٩ | ٢٩ | مُحَمَّدَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ . |

٤٩- الحُجرات

| | | |
|-----|----|--|
| ٣٣٧ | ٦ | إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ . . . |
| ٥٢٩ | ١٣ | يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ . |

٥٠- ق

| | | |
|-----|---|-------------------------------------|
| ٣٨٠ | ٣ | أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا زُرَّابًا . |
|-----|---|-------------------------------------|

| | | |
|-----|----|---|
| ٤١٧ | ٤٠ | وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَأَذْبَرَ . . |
| ٣٨٠ | ٤٤ | يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ . . |

٥٢- الطور

| | | |
|-----|----|--|
| ٤٢٤ | ٢١ | وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ . . |
|-----|----|--|

٥٣- النجم

| | | |
|-----|---|-------------------------------|
| ٥٤١ | ٣ | وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ |
|-----|---|-------------------------------|

٥٤- القمر

| | | |
|-----|----|--------------------------------------|
| ٥٤٨ | ٢٦ | سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ |
| ٥٣٠ | ٤٥ | سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ . . |

٥٥- الرحمن

| | | |
|-----|----|---------------------------------|
| ٢٨٧ | ٢٧ | وَسُبْحَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ . . |
| ٤٤٤ | ٣٧ | فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ |
| ٤٣٩ | ٤٤ | جَمِيْعًا . . |

٥٦- الواقعة

| | | |
|-----|----|---|
| ٥٣٠ | ١٣ | ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . . |
| ٥٣٠ | ٨١ | أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ . . |

٦٢- الجمعة

| | | |
|-----|---|-------------------------|
| ٤٤٠ | ٥ | يَحْمِلُ أَسْفَارًا . . |
|-----|---|-------------------------|

٦٤- التغابن

| | | |
|-----|---|--------------------------------|
| ٤١٩ | ٧ | وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ |
|-----|---|--------------------------------|

٦٦- التحريم

وَأِنْ تَطَلَّهْمَا عَلَيْهٖ ٤ ٣٣٠

٧٥- القيامة

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ . ١٦ ٥٤١

٨٠- عبس

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ . ١٦-١٥ ٥٣٩-٤٤٠

٨٢- الانفطار

وَأِنْ عَلَيَّكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا . ١١-١٠ ٣٧٣-٣٧٢-٣٧١
وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ١٧ ٣٣٦
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ١٩ ٣٧١

٨٣- المطففين

وَبَلِّ لِلْمُطَفِّفِينَ ١ ٣٧٢-٣٧١
أَلَّا يَطْغَوْا لَوْلَا كَلِمَآتُكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ٤ ٣٧٢
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٦ ٣٧٠
كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينَ ٧ ٤٥١

٨٧- الأعلى

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ . ١ ٢٣٦
سُقِّرَتْكَ فَلَا تَنْسَى . ٦ ٦٢٠-٥٤١

٨٨- الغاشية

مِنْ عَيْنٍ مَّالِيَةٍ . . ٥ ٤٣٩

٩٢- الليل

٢٣١

١٧

وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى .

٢٨٧

٢٠

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى .

٩٦- العلق

٣٨٠

١

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

٣٨٠

١٩

وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١﴾

٩٧- القدر

٥٣٨

١

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

١٠٥- الفيل

٤٣٧

٤

تَرَاهُمْ يَمْجُرُونَهُ مِنْ سِجِّيلٍ

١٠٨- الكوثر

٣٣٧

٣

إِن شَاءَ رَبُّكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

* * *

فهرس الأحاديث

- ٢٨٣ - ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر .
- ٣٦٧ - اخرجوا فصلوا على أخ لكم .
- ٥٣٨ - إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة .
- ٥٣٨ - إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة .
- ٢٦٦ - إذا أخذتم السَّاحِرَ فاقتلوه .
- ٢٦٦ - إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها .
- ٢٦١ - اسعوا فإن الله عز وجل كتب عليكم السعي .
- ٤٨٨ - اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين .
- ٣٥٥-٢٥٨ - اقرؤوا الزهراوين البقرة وآل عمران .
- ٢٥٨ - اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً .
- ٥٤٥ - اللهم فالق الإصباح .
- ٢٦٢ - إن الله قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات .
- ٤٨٨ - إن الله جعل بالمغرب باباً عرضه سبعون عاماً .
- ٦٣٠ - إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .
- ٢٨٤ - إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .
- ١٦٢ - إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة .
- ٦١٦ - أنت أحب بلاد الله إلى الله وأنت أحب .
- ٥٢٦ - أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة : مكة والمدينة والشام .
- ٦١٤ - أي عم ، قل : لا إله إلا الله .
- ٢٥٣ - أين أبواي ؟ .
- ٤١٥ - تقوى الله تعالى أن يطاع فلا يعصى .
- ٣١٣ - حديث وجوب السعي بين الصفا والمروة .
- ٤٢٣ - حسن العهد من الإيمان .
- ٦١٣ - خرج النبي ﷺ يوماً معتمراً وهبط .

- ٦١٤ - خرج النبي ﷺ يوماً إلى المقابر .
- ٣٠٣ - خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج .
- ٤٥٥ - ستكون فتن .
- ٣٣٠ - سؤال ابن عباس عن المرأتين اللتين تظاهرتا .
- ٣٦٨ - سورة البقرة تعليمها بركة .
- ٣٦٥ - الصراط المستقيم كتاب الله .
- ٤٣٠ - العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه .
- ٧ - فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم .
- ٨٧ - كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان .
- ٦١٢ - كانت امرأة حسناء من أحسن الناس تصلي خلف رسول الله ﷺ . . .
- ٤٥٥ - كتاب الله . . . (جواباً للسائل عن المخرج من الفتن) .
- ٤٨٨ - لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب . . .
- ١٦١ - لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله .
- ٦٢٩ - لا تسبوا أصحابي .
- ٢٦٨ - لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .
- ٤٨٧ - لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها .
- ٤١٠ - لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه .
- ٢٥٣ - ليت شعري ما فعل أبواي؟ .
- ١٠٢ - ماء زمزم لما شرب له .
- ٣٨٤ - ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر .
- ٤١٤ - المغضوب عليهم اليهود، والضالون النصارى .
- ٢٨٣ - مفتاح الغيب خمس .
- ٨٦ - من اتقى الله أهأب الله منه كل شيء .
- ٢٨٣ - من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله .
- ٤٨٨ - من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه .
- ٤٧٥ - من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ .
- ٤٧٥ - من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار .
- ٣٠٤-٢٥٩ - من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة .
- ٣٠٥ - من قرأ سورة آل عمران أعطي بكل آية منها أماناً .

- ٣٠٥ - من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة .
 ٥٤٥-١٥٥ - وإليك نسعى ونحفد . وجَّهت وجهي .
 ٣٢٣ - ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤذي شكره خير من كثير .
 ٢٦٦ - يتقرب إلى الله ويحسن وضوءه .
 ٣٧٠ - يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه .
 ٢٥٨ - يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به .

* * *

فهرس الشعر

| صدر البيت | القافية | القائل | البحر | عدد الأبيات | الصفحة |
|-----------------------------------|---------|-------------------------|-------------|-------------|---------|
| وألذ من نيل الوزارة أن ترى | الكمال | السيوطي | الكمال | ١ | ٧٠ |
| فلو أن الأطباء كان حولي | الأساة | - | الوافر | ١ | ٤٨٩ |
| المملك لله الذي عنت الوجوه | الأرباب | الرافعي | الكمال | ٣ | ٥٤٨ |
| سل الله من فضله واتقه ما | تكتسب | أحمد | المتقارب | ٢ | ٥٤٨ |
| ليس في الحق يا أمانة ريب | الكذوب | ابن الزبيري | الخفيف | ١ | ٢٦٠ |
| أيها السائل قوماً | مذهب | السيوطي | مجزوء الرجز | ٢ | ٥٥٠ |
| اعبد الله ودع عنك التواني بالهجوم | السجود | السيوطي | الخفيف | ١ | ٥٥٠-١٠٠ |
| مات جلال الدين غوث الوري | الوجود | ابن خليل | السريع | ٣ | ٨٠ |
| عبد الطاغوت فيما نقلوا | تعد | السيوطي | الرميل | ١ | ٢٤٠ |
| وهذه تاسعة المئين قد | وعد | السيوطي | الرجز | ٢ | ١٦٤ |
| مات سيف الدين منفرداً | منغمدأ | السيوطي | المتدارك | ٣ | ١١٩ |
| والنجم تستصغر الأبصار رؤيته | الصغر | - | البسيط | ١ | ٣٥٤ |
| وكائن ترى فينا من ابن سبيّة | هبرا | - | الطويل | ٣ | ٧٤ |
| دأب شهرين ثم شهراً دميكا | عميراً | كعب | الخفيف | ١ | ٢٦٥ |
| ألا من مبلغ عمراً رسولاً | عمرو | خفاف | الوافر | ١ | ٤٤٢ |
| مات إمام الناس شيخ الوري | جرى | السيوطي | السريع | ٣ | ١١٢ |
| لله يوم في سيوط وليلة | لا يغلط | بهاء الدين | الكمال | ٤ | ٥٩ |
| وفي القرآن من أسماء البقاع أتى | الأحقاف | السيوطي | البسيط | ١ | ٢٣٩ |
| يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف | اعترف | التميمي | الرجز | ٢ | ٥٤٧ |
| قلت لما مات شيخ العصر | التلاق | السيوطي | الرميل | ٣ | ١١٣ |
| إنني وجدك ما ونيت وإنني | سبيل | - | الكمال | ١ | ٢٦٥ |
| مات الكمال فقالوا | الجلال | شهاب الدين مجزوء الكامل | | ٤ | ٧٣ |

| صدر البيت | القافية | القائل | البحر | عدد الأبيات | الصفحة |
|---------------------------|----------|----------|-------------|-------------|--------|
| فوض أحاديث الصفات أو | تعطل | المنصوري | مجزوء الرجز | ٣ | ١٠٠ |
| أولو الألباب لم يأتوا ما | يتلى | - | الhezج | ٢ | ٢٩٦ |
| طوبى لأهل جنة طيبة ولا | تحويلاً | السيوطي | الرجز | ٢ | ٥٥٠ |
| أقول لأم زنباع أقيمي | تميم | ساعدة | الوافر | ١ | ٤٤٣ |
| وما حسن بيت له زخرف | يكن | - | المتقارب | ١ | ٥٤٩ |
| أوحى إلى عشاقه طرفه | توعدون | أبو نواس | السريع | ٢ | ٥٤٧ |
| يا من رأي بالهموم مطوقاً | شجون | السيوطي | الكامل | ٢ | ٧٥ |
| إذا هبت رياحك فاغتنمها | سكوناً | الشافعي | الوافر | ٢ | ٤٩٠ |
| أسرع أخا العلم في ثلاث | والكتابه | السيوطي | مخلع البسيط | ١ | ١٨٥ |
| حدثنا شيخنا الكناني | الخطابه | السيوطي | مخلع البسيط | ٢ | ١٠٠ |
| نظمها في نحو ثلثي أصلها . | كمثلها | السيوطي | الرجز | ٤ | ١٢٨ |
| إني عزمت وما عزم بمنخرم | الباري | السيوطي | البسيط | ٨ | ١٠١ |
| شرفت بقعة من الأرض ضمت | المعالي | الأحمدي | الخفيف | ٥ | ٨١-٨٠ |
| ألا قد طال تبريحي وحزني | الشمي | السيوطي | الوافر | ٣ | ١١٥ |

* * *

فهرس الأعلام المترجمة (١)

| | |
|-------------|---|
| ٣٩١ | إبراهيم بن أحمد بن محمد (الخزرجي). |
| ٤٥٦ | إبراهيم بن خالد الكلبي. |
| ٥٠٤ | إبراهيم بن السري (أبو إسحاق الزجاج). |
| ٧١ | إبراهيم بن علي (البرهان بن ظهيرة). |
| ٣٥٠ | إبراهيم بن عمر (البقاعي، برهان الدين). |
| ٦٢٣ | إبراهيم بن محمد (السفاقي). |
| ٦١ | إبراهيم بن هبة بن نور الدين (الأسنائي). |
| ٤٠٢ | إبراهيم بن يحيى بن المبارك (اليزيدي). |
| ٣٧٣-٣٥٠ | أحمد بن إبراهيم (أبو جعفر، ابن الزبير). |
| ١٢١-٦٤ | أحمد بن إبراهيم الكناني الحنبلي. |
| ٦٠٢ | أحمد بن أحمد بن محمد (الشقاني). |
| ١٧٢ | أحمد بن الأمير تاني بك (الألياسي). |
| ٤٥٦ | أحمد بن الحسين (البيهقي). |
| ٣٦٦ | أحمد بن خليل بن سعادة (الخوي). |
| ٣٨٦ | أحمد بن داود (أبو حنيفة الدينوري). |
| ٢٥٢ | أحمد بن سليمان (أبو بكر النجاد). |
| ٤٦٠ | أحمد بن علي بن أحمد الباغاتي. |
| ٤٥٩ | أحمد بن علي (الجصاص، أبو بكر الرازي). |
| ٣١٥-١٠٨-٧٠ | أحمد بن علي (الحافظ ابن حجر العسقلاني). |
| ١٢٠ | أحمد بن علي (شهاب الدين الشارمسي). |
| ٤٠٧ | أحمد بن علي المقرئ. |
| ٥٠٩-٥٠٤-٣٤٢ | أحمد بن عمار (أبو العباس المهدي). |

(١) يراعى حذف كلمة ابن و بنت وأب في الفهرسة.

| | |
|---------|--|
| ٦٠٦ | أحمد بن غنيم بن سالم (النفزاوي). |
| ٤٠٤ | أحمد بن فارس أبو الحسن. |
| ١١٣-١١٥ | أحمد بن محمد (نقي الدين الشُّمْنِي). |
| ٤٥٨ | أحمد بن محمد الحنفي (الطحاوي). |
| ١٠٥ | أحمد بن محمد (ابن العجمي). |
| ٦٠ | أحمد بن محمد القمولي. |
| ٧٣ | أحمد بن محمد، الهائم (شهاب الدين المنصوري). |
| ٥٩٨ | أحمد بن مصطفى بن خليل (طاش كبري زادة). |
| ٥٨-٥٩ | أحمد بن الوليد بن عبس (أبو بشر الأسوطي). |
| ٩٧ | أحمد بن يحيى (ابن فضل الله العمري). |
| ٤٦٢-٦٢٣ | أحمد بن يوسف (السمين الحلبي). |
| ٥٠٢ | الأخفش = سعيد بن مسعدة. |
| ٦٠ | أسعد بن المهذب. |
| ٤٥٧ | إسماعيل بن إسحاق الأزدي. |
| ٤٠٥ | إسماعيل بن أحمد بن عبد الله (الحيري). |
| ١٢٨ | إسماعيل بن أبي بكر التميمي (ابن المقرئ). |
| ٦١٨ | إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين. |
| | أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمر بن ظالم. |
| ٥٠٨ | الأشعري، أبو الحسن. |
| | ابن أبي الأصبع = عبد العظيم بن عبد الواحد. |
| | الأصبهاني = محمود بن عبد الرحمن بن أحمد. |
| | الأصمعي = عبد الملك بن قريب. |
| | ابن بنت الأعز = عبد الرحمن بن عوف الوهاب قاضي تاج الدين. |
| | الأقصرائي = يحيى بن محمد. |
| | إلكيا الهَرَاسِي = علي بن محمد بن علي الشافعي. |
| | الأنباري = محمد بن القاسم. |
| | الباقلاني = محمد بن الطيّب. |
| | الباني = محمد بن أحمد. |
| | البرهان بن ظهيرة = إبراهيم بن علي. |

| | |
|-------|--|
| | البقاعي = إبراهيم بن عمر . |
| ٦٨ | أبو بكر بن محمد السيوطي (الكمال) . |
| ٤٥٨ | بكر بن محمد بن العلاء . |
| | ابن بكير = محمد بن أحمد بن عبد الله . |
| | البليسي = محمد بن محمد بن علي ، ابن العماد . |
| | سراج الدين البلقيني = عمر بن رسلان . |
| | علم الدين البلقيني = صالح بن عمر بن رسلان . |
| | البلقيني = عبد الرحمن بن عمر بن رسلان جلال الدين . |
| | البلنسي = محمد بن علي بن أحمد الأوسي . |
| | البلوطي = منذر بن سعيد بن عبد الله . |
| | ابن البناء = الحسن بن أحمد البغدادي ، أبو علي . |
| | البيضاوي = عبد الله بن عمر بن محمد . |
| | البيهقي = أحمد بن الحسين . |
| | ابن تغري بردي = يوسف بن تغري بردي . |
| | ابن تقي الدين = عبد القادر بن أحمد . |
| ٣٥-٢٨ | تمربغا (الملك الظاهر) . |
| | الثعالبي = عبد الملك بن محمد ، أبو منصور . |
| ٣٢٤ | ثعلبة بن حاطب . |
| | الجاحظ = أبو عثمان عمرو بن بحر . |
| | الجرجاني = علي بن محمد بن علي . |
| | ابن جزي = محمد بن أحمد . |
| | الجصاص = أحمد بن علي أبو بكر الرازي . |
| ٢٧ | جقمق ، الظاهر أبو سعيد . |
| | ابن جماعة = بدر الدين محمد بن إبراهيم . |
| | الجوالقي = موهوب بن أحمد بن محمد . |
| | ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي أبو الفرج . |
| ٤٠٧ | حبيش بن إبراهيم (تفليس) . |
| | ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي . |
| ٤٠٥ | الحسن بن أحمد البغدادي (ابن البناء) . |

| | |
|-----|---|
| ٥٩ | الحسن بن الخضر الأسيوطي (صاحب النّسائي). |
| ١٧١ | حسن بن علي القيمري. |
| ٦٠٦ | الحسن بن مسعود بن محمد (اليوسي). |
| ٣٦٢ | الحسين بن عبد الله بن محمد (الطبيي). |
| ٥٥٦ | الحسين بن عبد الله البغدادي (الآجري). |
| ٤٠٥ | الحسين بن محمد (الدامغاني). |
| ٤٠٣ | حفص بن عمر (الدوري، أبو عمر). |
| | الحكيم الترمذي = محمد بن علي أبو عبد الله. |
| ٣٨٧ | حمد بن محمد بن إبراهيم (الخطابي). |
| | أبو حنيفة الدينوري = أحمد بن داود. |
| | الحوفي = علي بن إبراهيم. |
| | الحيري = إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الضرير. |
| ١٢٦ | خديجة بنت أبي الحسن الأنصاري. |
| | الخزرجي = إبراهيم بن أحمد بن محمد. |
| ٢٨ | خشقدم (الملك الظاهر). |
| | الخطابي = حمد بن محمد بن إبراهيم. |
| ٣١٧ | ابن خليفة العلوي. |
| ٥٨ | خمارويه بن أحمد بن طولون (أبو الجيش). |
| | ابن خوير منداذ = محمد بن أحمد بن عبد الله. |
| | الخوئي = أحمد بن خليل بن سعادة. |
| | الداري = عبد الرحمن بن علاء الدين علي بن إسحاق التميمي. |
| | الدامغاني = الحسين بن محمد. |
| ٤٥٧ | داود بن علي الظاهري. |
| | الدوري = حفص بن عمر. |
| ٣٧٧ | الرازي فخر الدين = محمد بن عمر بن الحسين. |
| ٨٩ | رضوان بن محمد العقبي. |
| | الرّماني = علي بن عيسى. |
| | الزاغوني = علي بن عبد الله بن نصر. |
| | ابن الزبير = أحمد بن إبراهيم (أبو جعفر). |

- الزجاج = إبراهيم بن السري .
- الزركشي ، بدر الدين محمد بن بهادر . ٥٠٧
- الزمرخشي = محمود بن عمر .
- الزملكاني = عبد الرحمن بن عبد الكريم .
- الزهري = محمد بن أحمد بن سليمان .
- ابن أبي زيد القيرواني = عبد الله بن عبد الرحمن .
- ساجقلي زادة المرعشي . ٣٥١
- السبكي = علي بن عبد الكافي بن تمام تقي الدين .
- السخاوي ، علم الدين = علي بن محمد .
- السخاوي = محمد بن عبد الرحمن .
- ابن سراقه = محمد بن محمد بن إبراهيم .
- سعيد بن مسعدة (الأخفش) . ٥٠٢
- سعيد بن هشام ، أبو عثمان . ٣٩٧
- السفاقسي = إبراهيم بن محمد .
- سليمان الخضيرى المصرى . ١٧٦
- سليمان بن محمد بن أبي بكر (ال خليفة العباسي المستكفي بالله) . ٧٠
- السمين الحلبي = أحمد بن يوسف .
- السنهوري = علي بن عبد الله .
- السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد .
- السيرافي = محمد بن موسى .
- سيف الدين الحنفي = محمد بن محمد .
- السيوطي ، الكمال = أبو بكر بن محمد .
- السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر .
- الشار مساحي = أحمد بن علي .
- الشافعي = محمد بن إدريس .
- أبو شامة = عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم .
- ابن الشجري = هبة الله بن علي بن حمزة .
- الشعراني = عبد الوهاب بن أحمد بن علي .
- الشقانصي = أحمد بن أحمد بن محمد .

| | |
|---------|---|
| | الشُّمْنِي، تقي الدين = أحمد بن محمد. |
| ٦٦ | شيخو العمري الناصري (سيف الدين). |
| | شيدله = عُرَيزِي بن عبد الملك. |
| ١١٢-١٠٩ | صالح بن عمر بن رسلان (عَلَم الدين البلقيني). |
| ١٩٨ | صلاح الدين محمد بن أبي بكر الحسني الأسيوطي. |
| | طاش كبري زادة = أحمد بن مصطفى بن خليل. |
| ٥٩٣ | طاهر الجزائري. |
| | الطبري = محمد بن جرير. |
| | الطحاوي = أحمد بن محمد الحنفي. |
| | الطريحي = فخر الدين بن محمد بن علي النجفي. |
| | الطبيبي = الحسين بن عبد الله بن محمد. |
| ٥٠١ | ظالم بن عمر بن ظالم (أبو الأسود الدؤلي). |
| | ابن عادل = عمر بن علي. |
| ٤٠١ | العباس بن الفضل الأنصاري أبو العباس. |
| ٨٠ | عبد الباسط بن خليل الحنفي. |
| ٣٨٨ | عبد الجبار الهمذاني، القاضي. |
| ٦٠ | عبد الحميد بن عبد المحسن. |
| ٥٠٧ | عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (أبو شامة). |
| ١٤٩ | عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن (القَمَضي). |
| ٦٣ | عبد الرحمن بن أبي بكر (السيوطي). |
| ٣٣١ | عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (السهيلي). |
| ١٢٩ | عبد الرحمن بن عبد الوهاب القاضي تاج الدين بن بنت الأعز. |
| ٤٠٧-٣١٦ | عبد الرحمن بن علاء الدين علي بن إسحاق (الداري). |
| ٥٠٤-٤٠٦ | عبد الرحمن بن علي (ابن الجوزي). |
| ٥٠٧ | عبد الرحمن بن عمرو بن رسلان (جلال الدين البلقيني). |
| ٣١٣ | عبد الرحمن بن محمد (ابن فطيس). |
| ٥٥٥-٢٣٤ | عبد الرزاق بن همام الصنعاني. |
| | ابن عبد الظاهر = عبد الله بن عبد الظاهر. |
| ٤٦٥ | عبد العزيز بن عبد السلام (الإمام العز). |

| | |
|---------|--|
| ١٢١ | عبد العزيز بن محمد (عز الدين الميقاتي). |
| ٤٤٩ | عبد العزيز بن يعقوب (الخليفة العباسي، المتوكل على الله). |
| ٣٨٩ | عبد العظيم بن عبد الواحد (ابن أبي الأصبع). |
| ٣١٧ | عبد الفتاح القاضي. |
| ٧١ | عبد القادر بن أحمد (ابن تقي الدين). |
| ١٢٤ | عبد القادر بن أبي القاسم بن عبد المعطي الأنصاري. |
| ١٧٣ | عبد القادر بن محمد الشاذلي. |
| ٣٨٨-٣٨٧ | عبد القاهر الجرجاني. |
| ٥٦١ | عبد القاهر بن الطاهر التميمي، أبو منصور. |
| ٤٠٣ | عبد الله بن خلد بن سعد (أبو العميث الأعرابي). |
| ٦١٠-٣٥١ | عبد الله بن الصديق الغماري. |
| ٩٧ | عبد الله بن عبد الظاهر (ابن عبد الظاهر). |
| ٣٨٧ | عبد الله بن عبد الرحمن (ابن أبي زيد القيرواني). |
| ٢٩٣ | عبد الله بن عمر بن محمد (اليضاوي). |
| ٣٥٢ | عبد الله بن محمد، أبو بكر النيسابوري. |
| ٥٥٥ | عبد الله بن محمد (ابن أبي شيبه). |
| ٤٦٢ | عبد الله بن محمد بن أبي القاسم (النجري). |
| ٥٠٣ | عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري). |
| ٤٠١ | عبد الله بن هارون الحجازي. |
| ٤٠٢ | عبد الملك بن قريب (الأصمعي). |
| ٤٠٤ | عبد الملك بن محمد (أبو منصور الثعالبي). |
| ٤٦١-٣٤٣ | عبد المنعم بن محمد (ابن الفرس). |
| ٣٨٩ | عبد الواحد بن عبد الكريم (الزملكاني). |
| ١٧٧ | عبد الوهاب بن أحمد بن علي (الشعراني). |
| | أبو عبيد = القاسم بن سلام. |
| | أبو عبيدة = معمر بن المثنى. |
| ١٢٣ | عثمان بن عبد الله (فخر الدين المقسي). |
| ٦٢٠ | عثمان بن مظعون. |
| | ابن العجمي = أحمد بن محمد. |

| | |
|---------|---|
| | ابن العربي = محمد بن عبد الله بن محمد الأشيلي . |
| | العز بن عبد السلام = عبد العزيز بن عبد السلام . |
| ٣٩٢ | عُزَيزي بن عبد الملك (أبو المعالي شيدلة) . |
| ٣٣١ | ابن عسكر الغساني = محمد بن علي بن خضر الغساني . |
| ٢٥٣ | عطية بن سعد بن جنادة العوفي . |
| ٣١٦ | عطية بن عطية الأجهوري . |
| ٤٠٠ | عكرمة بن عبد الله البربري . |
| ٥٠٨ | علي بن إبراهيم (الحوفي) . |
| ٣١٤ | علي بن أحمد بن متويه (الواحدي النيسابوري) . |
| ٣٩١ | علي بن أحمد (المهايمي) . |
| ٢٤١ | علي بن جعفر بن محمد الرازي السعدي . |
| ٤٥٧ | علي بن حجر السعدي المروزي . |
| ٤٠٠ | علي بن أبي طلحة الهاشمي . |
| ٤٠٦ | علي بن عبيد الله بن نصر (الزاغوني) . |
| ١٥٩ | علي بن عبد الكافي بن تمام (تقي الدين السبكي) . |
| ٧١ | علي بن عبد الله السنهوري . |
| ٣٨٧ | علي بن عيسى (أبو الحسن الرماني) . |
| ٥٠٦ | علي بن محمد (علم الدين السخاوي) . |
| ٤٦٠ | علي بن محمد بن علي ، الشافعي (إلكيا الهراسي) . |
| ١٥١ | علي بن محمد بن علي (الشريف الجرجاني) . |
| ٧١ | علي بن محمد (ابن أبي اليمن المالكي نور الدين) . |
| ٥٠٣-٣١٣ | علي بن المديني . |
| ٤٥٧ | علي بن موسى بن يزداد القمي . |
| ٤٠١ | علي بن وافد . |
| ١٠٢ | عمر بن رسلان ، سراج الدين البلقيني . |
| ٦٠١ | عمر بن علي (ابن عادل) . |
| ١٧١ | عمر بن قاسم الأنصاري . |
| ٢٠٦ | عمر بن محمد بن فهد . |
| ٩٠ | عمر بن موسى المخزومي . |

| | |
|----------|---|
| ٣٨٦ | عمرو بن بحر (الجاحظ). |
| ٦٢٠ | عمرو بن معد يكرب. |
| | أبو العميثل الأعرابي = عبد الله بن خلود بن سعد. |
| | العوفي = عطية بن سعد بن جنادة الكوفي. |
| | الغزي، نجم الدين = محمد بن محمد. |
| ٦١ | الفتح بن موسى بن حماد القصري. |
| ٣٣٥ | فخر الدين بن محمد بن علي التجفي (الطريحي). |
| | الفراء = يحيى بن زياد أبو زكريا. |
| | ابن الفرس = عبد المنعم بن محمد. |
| | القريابي = محمد بن يوسف بن واقد الضبي. |
| | ابن فضل الله العمري = أحمد بن يحيى. |
| | ابن فطيس = عبد الرحمن بن محمد. |
| | الفيروز أبادي = محمد بن يعقوب مجد الدين. |
| | القادري = محمد بن أبي بكر بن عمر الأنصاري. |
| ٤٥٨ | قاسم بن أصبغ. |
| ٥٥٥-٥٠٣ | القاسم بن سلام (أبو عبيد). |
| ١٧٢ | قاسم بن عمر الزواوي. |
| ٣٣-٣٢-٢٨ | قانسوه الغوري. |
| | القاياتي شمس الدين = محمد بن علي. |
| ٣١-٢٨ | قايتاي (السلطان الأشرف). |
| | ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم. |
| ٦٢٢ | قدامة بن مظعون. |
| | القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله المالكي. |
| | القمصى = عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن. |
| | القونوي = محمود بن أحمد بن مسعود. |
| | الكافيجي، محي الدين = محمد بن سليمان. |
| | الكناني = أحمد بن إبراهيم. |
| | الكرماني = محمود بن حمزة. |

| | |
|-------------|---|
| | المبرد = محمد بن يزيد . |
| | المتوكل على الله = عبد العزيز بن يعقوب (الخليفة العباسي). |
| | المحلي جلال الدين = محمد بن أحمد . |
| ٣٣٢ | محمد بن إبراهيم بدر الدين (ابن جماعة) . |
| ١٥٢ | محمد بن إبراهيم بن محمد (بهاء الدين بن النحاس) . |
| ٤٥٦ | محمد بن إدريس (الإمام الشافعي) . |
| ١٧٥ | محمد بن أحمد بن إياس الحنفي . |
| ١٢٢ | محمد بن أحمد (شمس الدين الباني) . |
| ٤١٨ | محمد بن أحمد (ابن جزى) . |
| ١٢٠ | محمد بن أحمد (جلال الدين المحلي) . |
| ٣١٥ | محمد بن أحمد الموصلي . |
| ٤٦١ | محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي) . |
| ٤٥٨ | محمد بن أحمد بن عبد الله (ابن بكير) . |
| ٤٦٠ | محمد بن أحمد بن عبد الله (ابن خويز منداذ) . |
| ٣٣١ | محمد بن أحمد بن سلمان (الزهري) . |
| ٥٩٦ | محمد بن أحمد بن عقيلة . |
| ٣١٤ | محمد بن أسعد الحلبي العراقي . |
| ٥٩٦ | محمد أمين سويد . |
| ٥٠٣ | محمد بن أيوب الضريس . |
| ٢٢٧ | محمد بن أبي بكر بن عمر الأنصاري ، (القادري ، الشاعر) . |
| ٥٥٥ | محمد بن جرير (الطبري) |
| ٤٠٤ | محمد بن الحسين بن محمد (أبو بكر النُّقَّاش) . |
| ٤٦٠ | محمد بن الحسين بن محمد (أبو يعلى الفراء) . |
| ٥٠٨ | محمد بن خلف (ابن المرزبان) . |
| ٣٨٦ | محمد بن زيد (الواسطي) . |
| ٤٠٠ | محمد بن السائب الكلبي . |
| ٥٠٨-١١٨-١١٦ | محمد بن سليمان (محي الدين الكافيجي) . |
| ٣٨٨ | محمد بن الطَّيِّب (أبو بكر الباقلاني) . |
| ١٧٦ | محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر (العلقمي) . |

| | |
|---------|--|
| ٩٦ | محمد بن عبد الرحمن (الحافظ شمس الدين السخاوي). |
| ١٧٥ | محمد بن عبد الرحمن الصفوري. |
| ٤٦١-٣٥٢ | محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي (القاضي ابن العربي). |
| ٥٥٦ | محمد بن عبد الله (ابن أشتة). |
| ٤٦٥ | محمد بن عبد الله بن محمد (المرسي). |
| ٨٧ | محمد بن عبد الواحد (كمال الدين ابن الهمام). |
| ٥٠٤ | محمد بن عزيز العزيري (أبو بكر السجستاني). |
| ٣٣٣ | محمد بن علي بن أحمد الأوسي (البلنسي). |
| ٤٠٣ | محمد بن علي، (الحكيم الترمذي). |
| ٣٣١ | محمد بن علي بن خضر الغساني (ابن عسكر). |
| ١٧٤ | محمد بن علي الداودي. |
| ٣١٤ | محمد بن علي بن شهر آشوب السروري. |
| ١٧٤ | محمد بن علي بن طولون. |
| ٦٩ | محمد بن علي (الفاياتي شمس الدين). |
| ٨٠ | محمد بن علي بن خلف (أبو البقاء الأحمدي). |
| ٣٨٩-٣٧٧ | محمد بن عمر بن الحسين (فخر الدين الرازي). |
| ١١٩-١١٨ | محمد بن عمر قطلوبغا. |
| ١٠٣ | محمد بن عمر الشاذلي. |
| ١٢٥ | محمد بن فهد المكي. |
| ٥٥٦ | محمد بن القاسم (أبو بكر الأنباري). |
| ٣٩٠ | محمد بن محمد بن إبراهيم (ابن سراقه). |
| ٤٠٨ | محمد بن محمد بن علي (ابن العماد البليسي). |
| ١١٨ | محمد بن محمد (سيف الدين الحنفي). |
| ٩٨ | محمد بن محمد (نجم الدين الغزي). |
| ١٢٤ | محمد بن موسى (شمس الدين السيرامي الحنفي). |
| ٣٩٧ | محمد بن هشام، أبو بكر. |
| ٤٠٣ | محمد بن يزيد (المبرد، أبو العباس). |
| ٤٠٨ | محمد بن يعقوب (الفيروز أبادي). |
| ١٧٣ | محمد بن يوسف الشامي. |

- محمد بن يوسف بن واقد الضبي (الفريايبي). ٥٥٥-٢٣٤
- محمود بن أحمد بن مسعود (ابن سراج القنوي). ٤٦٢
- محمود بن سليمان بن فهد الحلبي. ٩٧
- محمود بن عبد الرحمن بن أحمد (الأصبهاني). ٣٧٧
- محمود بن علي بن أصغر عينه السودوني. ٤٦
- محمود بن عمر (الزمخشري). ٢٩٣
- ابن المرزبان = محمد بن خلف.
- المرسي = محمد بن عبد الله بن محمد.
- المستكفي بالله (الخليفة العباسي) = سليمان بن محمد بن أبي بكر.
- مطروح بن محمد بن شاعر. ٤٠١
- معمر بن المثنى (أبو عبيدة). ٥٠٢
- مكي بن أبي طالب حموش بن محمد الأندلسي القيسي. ٤٦٠
- مقاتل بن سليمان البلخي. ٤٠٠
- مقبل بن هادي الوادعي. ٣١٧
- ابن المقرئ = إسماعيل بن أبي بكر اليميني.
- المقسي = عثمان بن عبد الله.
- المناوي، شرف الدين = يحيى بن محمد.
- منذر بن سعيد بن عبد الله (القاضي البلوطي). ٤٥٩
- المنصورى، (شهاب الدين الهائم) = أحمد بن محمد.
- المهايمي = علي بن أحمد.
- المهدوي = أبو العباس أحمد بن عمار.
- موهوب بن أحمد بن محمد (الجوالقي). ٤٣٢
- الميقاتي = عبد العزيز بن محمد.
- النجاد = أحمد بن سليمان.
- التجري = عبد الله بن محمد بن أبي القاسم.
- ابن النحاس = محمد بن إبراهيم بن محمد.
- النفزاوي = أحمد بن إبراهيم بن محمد.
- النفزاوي = أحمد بن غنيم بن سالم.
- النقاش = محمد بن الحسين بن محمد، أبو بكر.

| | |
|-------------|--|
| ٤٠١ | هارون بن موسى |
| ١٢٥ | أم هاني بنت أبي القاسم الأنصاري . |
| ١٢٥ | أم هاني بنت علي بن عبد الرحمن الهوريني . |
| ١٢٥ | أم هاني بنت محمد بن فهد الهاشمي المكي . |
| ٤٠٧ | هبة الله بن علي بن حمزة (ابن الشجري) . |
| | ابن الهمام = محمد بن عبد الواحد . |
| | الواحدى = أبو الحسن علي بن أحمد بن متويه . |
| | الواسطي = محمد بن زيد . |
| ٤٥٦ | يحيى بن أكرم الهيثمي . |
| ٣٩١ | يحيى بن حمزة، عماد الدين . |
| ٥٠٢ | يحيى بن زياد (أبو زكريا الفراء) . |
| ٥٢٥-٤٠٢-٣٤٢ | يحيى بن سلام . |
| ١٢٢ | يحيى بن محمد (أمين الدين الأقراني) . |
| ١١٣-١١٢ | يحيى بن محمد (شرف الدين المناوي) . |
| | اليزيدي = إبراهيم بن يحيى بن المبارك . |
| | أبو يعلى الفراء = محمد بن الحسين بن محمد . |
| ٢٨ | بلبائي (الظاهر) . |
| | ابن أبي اليمن = علي بن محمد . |
| ٩٦ | يوسف بن تغري بردي (ابن تغري بردي) . |
| ١٧٥ | يوسف عبد الله (جمال الدين الحسيني) . |
| | اليوسي = الحسن بن مسعود بن محمد . |
| ١٩٧ | يونس المالكي، شرف الدين . |

* * *

المصادر والمراجع

أولاً- المخطوطة^(١) :

أ- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):

١- الإنقان في علوم القرآن، نسخة المكتبة الأحمدية بحلب المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (١٣٢٢١).

٢- أحاسن الاقتباس في محاسن الاقتباس، نسخة مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (٨٧٢٥) مجاميع.

٣- أسرار التنزيل المسمى (قطف الأزهار في كشف الأسرار) مخطوطة المكتبة السليمانية، إستانبول، رقم (٤٩ مراد بخاري).

٤- بدائع الزهور في وقائع الدهور، نسخة دار الكتب الوطنية بتونس رقم (٨٥٦٥).

٥- التنبئة فيمن يبعثه الله على رأس المئة، مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم ٦٩٢٣.

٦- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، وقد رجعت إلى تسع نسخ مخطوطة منها:

- في دار الكتب الوطنية التونسية: رقم (١٨١٢) و(٦٩٦٦) و(٧٩٣٧) و(٩٥١٥).

- دار الكتب المصرية: رقم (٨٢ تاريخ) ميكرو فيلم (٣٥٩٨٣)، و(٨٤ تاريخ، ميكرو فيلم (١٠٧٠٨).

- دار الكتب الظاهرية المحفوظة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (٣٤٤١) و(٣٤٤٢) و(١٤٤٥٣).

٧- فهرس مؤلفات، نسخة مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (٥٨٩٦).

٨- قلائد الفوائد، نسختي مكتبة الأسد الوطنية رقم (٦٧٣١) و(٨٧٢٥)، ونسخة المكتبة الأحمدية بتونس رقم (١٥٨٥) ضمن مجموع.

٩- لباب النقول في أسباب النزول، نسخة مكتبة الأسد الوطنية رقم (٥٠٥٠).

(١) هذه هي المخطوطات التي نظرتها في إعداد بحثي، ولا يعني هذا أنها ما تزال إلى الآن مخطوطة.

١٠- مرآصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع: نسخة المكتبة الأحمدية بتونس رقم (١٥٨٥) ضمن مجموع، ونسخة مكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رقم (٦٥/١٠٦١٧).

١١- المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة: نسخة مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (١٥٣٧٣) ضمن مجموع.

١٢- المنجم في المعجم: نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم (٩٠٠/٢٣١)، ونسخة المكتبة السليمانية بتركيا، رقم (١٤٤٥).

١٣- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية على تفسير البيضاوي) نسخة مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (٤٧٧).

١٤- نور الحديث ونور الطريقة، نسخة مكتبة الأسد بدمشق رقم (٨٧٢٥).
- الشاذلي (عبد القادر):

١٥- بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدين، نسخة محفوظة بمكتبة الشيخ محمد الشاذلي النيفر رقم (١٩) ونسخة تشتريتي رقم (٤٤٣٦) والمصورة بمعهد المخطوطات العربية في الكويت، رقم (١٦٧٠).
- الشقانسى (أحمد بن أحمد):

١٦- الشهب الثواقب والسيوف الهندية في كفر من تعمد وقصد بغير نقل وعجز تحريف كلام خالق البرية، نسخة المكتبة الأحمدية بتونس، الجزء الأول برقم (١٠٢٠٢) والجزء الثاني برقم (١٠٢٠٣).

- الفاسي (محمد بن عبد الرحمن):

١٧- المنح البادية في الأسانيد العالية، مخطوط مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، رقم (٥٩٥١).
- المهدوي (أبو العباس أحمد بن عمّار):

١٨- التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل: مكتبة الأسد الوطنية، الجزء الثاني رقم (٥٠٥).

- النابلسي (عبد الغني):

١٩- الحقيقة والمجاز: دار الكتب الوطنية بتونس، رقم (٢١٩).

ب- أبحاث ودراسات استعنت بها في بحثي بخط مؤلفيها لم تنشر بعد وهي محفوظة عندي:
- الذهبي (ماجد):

٢٠- فهرس مخطوطات السيوطي في المكتبة الظاهرية بدمشق، أعدّه سنة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- عباس (د. فضل حسن):

٢١- رسالة تتعلق بالإمام السيوطي مرسله إلي بتاريخ (٢٧ جمادى الأولى/ ١٤١٢هـ).

- النيفر (الشيخ محمد الشاذلي):

٢٢- مؤلفات الشقانسى ونبذة عن حياته، نسخة بخطه محفوظة بمكتبته.

ثانياً: المطبوعة:

- الأبياري (إبراهيم):

١- حسن المحاضرة، بحث منشور ضمن سلسلة تراث الإنسانية (ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة: د.ت).

- ابن الأثير (المبارك بن محمد):

٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق الشيخ عبد القادر أرناؤوط، (نشر مكتبة الحلواني، ومطبعة الملاح ومكتبة البيان بدمشق ط١: ١٩٦٩م).

٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٦٣م).

- ابن الأثير (علي بن محمد):

٤- أسد الغابة في معرفة الصحابة، (ط. دار الفكر، بيروت: د.ت).

٥- اللباب في تهذيب الأنساب (ط. القاهرة: ١٣٥٧هـ).

- ابن إسحاق (محمد):

٦- السيرة النبوية، تحقيق سهيل زكار (ط١، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

- الأدفوي (جعفر بن تغلب):

٧- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد (ط. المطبعة الجمالية، مصر: ١٩١٤م).

- أركون (محمد):

٨- الفكر الإسلامي - قراءة علمية - ترجمه إلى العربية: هاشم صالح (ط: مركز الإنماء القومي، بيروت: ١٩٨٧م).

- الأنصاري (زكريا بن محمد):

٩- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، تحقيق عبد السميع حسنين (ط. مكتبة الرياض الحديثة) الرياض: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

- أحمد (أحمد عبد الرزاق):
- ١٠- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (ط. الهيئة المصرية للكتاب: د.ت).
- أبو زيد (د. نصر حامد):
- ١٢- مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن (نشر المركز الثقافي العربي ببيروت: الدار البيضاء: ١٩٩٠م).
- الأسنوي: (عبد الرحيم بن الحسن):
- ١٣- طبقات الشافعية، تحقيق كمال الحوت (ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٧٧م).
- إقبال: (أحمد الشرقاوي):
- ١٤- مكتبة الجلال السيوطي (ط دار المغرب، الرباط: ١٩٧٧م).
- أنيس (إبراهيم) وآخرون:
- ١٥- المعجم الوسيط (ط دار المعارف، مصر: ١٩٧٣م).
- ابن إياس (الحنفي محمد):
- ١٦- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى (ط القاهرة ١٩٦٠م).
- الباجوري (إبراهيم بن محمد):
- ١٧- شرح جوهرة التوحيد، بعناية: محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تان ومراجعة الشيخ عبد الكريم الرفاعي (ط. دمشق: د.ت).
- الباخريزي (علي بن الحسن):
- ١٨- دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق محمد ألتونجي (ط. الشرة المتحدة للتوزيع، دمشق: ١٩٧٢م).
- باسلامة (حسين بن عبد الله):
- ١٩- الجواهر اللامع فيما ثبت بالسماع من حُكم الإمام الشافعي المنظومة والمثورة، (ط، مطبعة كردستان العلمية، مصر: ١٣٢٦هـ).
- باشا (حسن) وآخرون:
- ٢٠- القاهرة فنونها وآثارها (ط. مؤسسة الأهرام، والكتاب الجديد، مصر: ١٩٧٠م).
- باشا (عمر موسى):
- ٢١- الأدب العربي في العصر المملوكي والعصر العثماني (ط. جامعة دمشق: ١٩٧٢م).
- الباقلاني (محمد بن الطيب):
- ٢٢- إعجاز القرآن، تحقيق سيد صقر (ط ٢، دار المعارف بمصر: ١٩٦٢م).

- البجمعوي (علي بن سليمان الدمطي):
- ٢٣- نور مصباح الزجاجاة (المطبعة الوهية، مصر: ١٣٩٩م).
- البخاري (محمد بن إسماعيل):
- ٢٤- صحيح البخاري، بعناية د. مصطفى البغا (ط. دار القلم، دمشق: ١٤٠١هـ).
- البستاني (بطرس):
- ٢٥- دائرة المعارف (ط. دار المعرفة، بيروت: د.ت).
- ابن بشكوال (خلف بن عبد الملك):
- ٢٦- الصلة (ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة: ١٩٧٦م).
- ابن بطوطة (محمد بن عبد):
- ٢٧- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).
- البغدادى (إسماعيل باشا):
- ٢٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - المصورة عن طبعة استنبول، سنة ١٩٤٥م).
- ٢٩- هدية العارفين (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت، تصوير عن الطبعة التركية).
- البغدادى (صفي الدين):
- ٣٠- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت: ١٩٥٤م).
- البغدادى (عبد القادر بن عمر):
- ٣١- خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون (ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٨٤م).
- البكري (محمد بن عبد الرحمن):
- ٣٢- الاجتهاد المطلق، تحقيق سليم شبعانية (ط. دار المعرفة، دمشق: ١٩٩٢م).
- البوطي (د. محمد سعيد رمضان):
- ٣٣- كبرى اليقينيّات الكونية (ط. دار الفكر، دمشق ١٣٩٥م).
- البيضاوي (عبد الله بن عمر):
- ٣٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مع حاشية الشهاب الخفاجي)، (ط. دار صادر، بيروت: د.ت).
- البيهقي (أحمد بن الحسين):
- ٣٥- الأسماء والصفات (ط القاهرة: ١٩٥٨م).

- ٣٦- دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي القلعجي (ط دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م).
- ٣٧- شعب الإيمان، تحقيق محمد سعيد بسيوني زغلول (ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- الترمذي (محمد بن عيسى):
- ٣٩- الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد شاكر، وفؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عوض، (ط. مصطفى البابي الحلبي، القاهرة: د.ت).
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف):
- ٤٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (نشر وزارة الثقافة، مصر، سلسلة تراثنا).
- التنوخي (عز الدين):
- ٤١- تهذيب الإيضاح (ط. مطبعة الجامعة السورية، دمشق: ١٩٤٧م).
- تيمور باشا (أحمد):
- ٤٢- قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه (ط. المطبعة السلفية، القاهرة: ١٣٤٦هـ).
- ابن تيمية (نقي الدين أحمد بن عبد الحليم):
- ٤٣- مقدمة في أصول التفسير، تحقيق د. عدنان زرور (ط. دار القرآن الكريم، بيروت: ١٩٧١م) ورجعت إلى طبعة أخرى بتحقيق محمود محمد نصار (ط. مكتبة التراث، القاهرة: ١٩٨٨م).
- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد):
- ٤٤- الأشباه والنظائر، تحقيق محمد المصري (ط. سعد الدين، دمشق ١٩٨٤م).
- الجاوي: (بسام عبد الوهاب):
- ٤٥- معجم الأعلام (ط ١، الجفان والجاوي، دمشق: ١٩٨٧م).
- الجرجاني (عبد القاهر):
- ٤٦- الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن).
- تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام (ط. دار المعارف القاهرة: ١٣٧٥هـ).
- الجرجاني الشريف (علي بن محمد):
- ٤٧- التعريفات، (ط المطبعة الوهية، القاهرة: ١٢٨٣هـ).
- جرنو جلو (الحسين):
- ٤٨- منهج القرآن التربوي في ضوء أسباب النزول، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية التربية بجامعة دمشق سنة/ ١٩٩٢م / (مرقونة على الكمبيوتر).

- ابن الجزري (محمد بن محمد):
 ٤٩- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراسر (ط٢)، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
- ابن جزري (محمد بن أحمد):
 ٥٠- التسهيل لعلوم التنزيل (ط٢)، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٣٩٣هـ).
- ابن جماعة (بدر الدين):
 ٥١- غرر التبيان في من لم يسم في القرآن، تحقيق د. عبد الجواد خلف، سلسلة منشورات جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي (ط دار قتيبة، دمشق بيروت: ١٩٩٠م).
- الجمل (سليمان بن عمر):
 ٥٢- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت: د.ت).
- ابن جني (عثمان):
 ٥٣- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار (ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٨٦م).
- ٥٤- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، (ط لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: ١٩٨٦م).
- الجواليقي (موهوب بن أحمد):
 ٥٥- المعزب من الكلام الأعجمي: تحقيق أحمد شاكر (ط٢)، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م) وبتحقيق ف. عبد الرحيم (ط دار القلم دمشق: ١٩٩٠م).
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي):
 ٥٦- فنون الأفتان، تحقيق د. حسن عتر (ط دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٩٨٧م).
- ٥٧- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي (ط٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).
- الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد):
 ٥٨- الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ط٣)، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٤م).
- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله):
 ٥٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت: د.ت) مصورة عن الطبعة التركية.

- حاجي (عبد العزيز):
- ٦٠- البضاوي مفسراً، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الفاتح، ليبيا، سنة: ١٩٩١م (مرفوعة على الآلة الكاتبة).
- الحافظ (محمد مطيع) وأباظة (نزار):
- ٦١- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري (ط دار الفكر، دمشق: ١٤٠٦هـ).
- الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله):
- ٦٢- المستدرک على الصحيحين (مصورة دار المعرفة، بيروت، عن طبعة الهند: ١٤٣٤هـ).
- حبنكة الميداني (عبد الرحمن):
- ٦٣- ضوابط المعرفة (ط ٣، دار القلم، دمشق: ١٩٨٨م).
- ٦٤- العقيدة الإسلامية وأسسها (ط ٢، دار القلم، دمشق: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي):
- ٦٥- الإصابة في تمييز الصحابة (ط دار الكتاب العربي، بيروت: د.ت).
- ٦٦- إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر (ط دار الكتب العلمية، بيروت: د.ت).
- ٦٧- تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة (ط دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٩٨٦م).
- ٦٨- تهذيب التهذيب (ط. دار الفكر، بيروت: ١٩٨١م).
- ٦٩- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق (ط. مطبعة المدني، القاهرة: ١٩٦٧م).
- ٧٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري (ط ٣، دار المطبعة السلفية، القاهرة: ١٤٠٧هـ).
- ٧١- لسان الميزان (نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت: ١٩٧٠م).
- حسين (أحمد):
- ٧٢- موسوعة تاريخ مصر (ط. مؤسسة دار الشعب، القاهرة: ١٩٨٣م).
- حسين (محمد خضر):
- ٧٣- بلاغة القرآن، جمع وتحقيق علي رضا الحسيني. التونسي (ط. المطبعة التعاونية، دمشق: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م).
- الحصكفي (محمد علاء الدين):
- ٧٤- شرح الدر المختار (ط. مطبعة صبيح، القاهرة: د.ت).
- حكيم (أمين عبد السيد):
- ٧٥- قيام دولة المماليك الثانية (نشر دار الكتاب العربي، القاهرة: ١٩٦٧م).

- الحكيم الترمذي (محمد بن علي):

٧٦- نواذر الأصول (ط. دار صادر، بيروت: ١٩٧٥م).

- حمادة (محمد ماهر):

٧٧- الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي (نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١: ١٩٨٠م)

- الحمصي (محمد نعيم):

٧٨- فكرة إعجاز القرآن (ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠).

- حمودة (د. طاهر سليمان):

٧٩- جلال الدين السيوطي وجهوده في الدرس اللغوي (ط. المكتب الإسلامي، بيروت:

١٩٨٩م).

- حمودة (عبد الوهاب):

٨٠- صفحات من تاريخ مصر في عصر السيوطي (ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة،

القاهرة: ١٩٦٥م).

- الحموي (ياقوت):

٨١- معجم الأدباء (ط. دار المأمون، القاهرة: ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م).

٨٢- معجم البلدان (ط. دار صادر، بيروت: ١٩٨١م).

- الحميدي (محمد بن أبي نصر):

٨٣- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس (ط. الدار المصرية للتأليف، القاهرة: ١٩٦٦م).

- ابن حنبل (الإمام أحمد):

٨٤- المسند (ط ٥، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف):

٨٥- البحر المحيط (ط ٢، دار الفكر، بيروت: ١٩٨٣م).

- ابن خالويه (الحسين بن أحمد):

٨٦- الحجّة في القراءات السبع، تحقيق عبد العال سالم مكرم (ط. دار الشروق، بيروت:

١٩٧١م).

- الخزندار (أحمد)، والشيباني (محمد إبراهيم):

٨٧- دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها (ط. دار ابن تيمية، الكويت: ١٩٨٣م).

- الخطابي (أحمد بن محمد):

٨٨- رسالة في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله

ومحمد زغلول سلام (ط. دار المعارف، القاهرة: ١٣٧٤م).

- الخطيب البغدادي (أحمد بن علي):
- ٨٩- تاريخ بغداد: (ط. دار الكتاب العربي، بيروت: د.ت).
- ٩٠- تقييد العلم، تحقيق د. يوسف العش (نشر دار الوعي، حلب: ط ٣/ ١٩٨٨م).
- الخطيب التبريزي (محمد بن عبد الله):
- ٩١- مشكاة المصابيح، تحقيق ناصر الدين الألباني (نشر المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).
- الخطيب الشربيني (محمد بن أحمد):
- ٩٢- مغني المحتاج (ط. دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- الخفاجي (الشهاب أحمد بن محمد):
- ٩٣- ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٦٧م).
- ٩٤- شفاء الغليل فيما ورد في كلام العرب من الدخيل، تحقيق عبد المنعم الخفاجي (ط. المطبعة المنيرية، القاهرة: ١٩٥٢م).
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد):
- ٩٥- المقدمة (ط. دار الكتاب اللبناني، بيروت: د.ت) وطبعة (مكتبة المثنى بغداد: د.ت).
- ابن خلكان (أحمد بن محمد):
- ٩٦- وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس (ط. دار صادر، بيروت: د.ت).
- الخوانساري (محمد باقر):
- ٩٧- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات (ط. طهران: ١٣٦٧هـ ش).
- ابن خير (أبو بكر محمد):
- ٩٨- فهرست ما رواه عن شيوخه، تحقيق فرنكشه قداره زیدین (نشر المكتب التجاري بيروت ومكتبة المثنى بغداد ومؤسسة الخانجي القاهرة، ط قوقش بسرقسطة: ١٩٨٣م).
- الدارمي (عبد الله بن عبد الرحمن):
- ٩٩- السنن، بعناية محمد أحمد دهمان (نشر دار إحياء السنة النبوية، بيروت: د.ت).
- الدامغاني (محمد بن علي):
- ١٠٠- قاموس القرآن أو: (إصلاح الوجوه والنظائر) تحقيق عبد العزيز سيد الأهل (ط. دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٥م).
- أبو داود (سليمان بن الأشعث):
- ١٠١- السنن، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط. دار إحياء السنة النبوية، مصر: د.ت).

- الداودي (محمد بن علي):
- ١٠٢- طبقات المفسرين (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: د.ت).
- الدباغ (عبد الرحمن بن محمد):
- ١٠٣- معالم الإيمان (ط٢، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- الدسوقي (محد عرفة):
- ١٠٤- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (ط. دار الفكر، بيروت: د.ت).
- الدمياطي (محمد بن محمد):
- ١٠٥- المشكاة الفتحة على الشمعة المضية في علم العربية: تحقيق هشام محمود سعيد (ط. وزارة الأوقاف العراقية: ١٩٨٣م).
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد):
- ١٠٦- سير أعلام النبلاء: تحقيق لجنة من الأساتذة بإشراف: شعيب الأرنؤوط، (ط مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٥م).
- ١٠٧- العبر في خبر من غبر: تحقيق محمد السعيد زغلول (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٥م).
- ١٠٨- ميزان الاعتدال تحقيق علي محمد البجاوي (ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).
- الذهبي (د. محمد حسين):
- ١٠٩- الإسرائيليات في التفسير والحديث (ط٢، دار الإيمان، دمشق ١٩٨٥م).
- ١١٠- التفسير والمفسرون (ط٢، نشر دار الكتب الحديثة، مصر: ١٩٧٦م).
- الرازي (فخر الدين محمد بن عمر):
- ١١١- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت: د.ت).
- الرافعي (مصطفى صادق):
- ١١٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ط المكتبة التجارية، القاهرة: ١٩٦٥م).
- الرّماني (علي بن عيسى):
- ١١٣- النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام (ط. دار المعارف، القاهرة: ١٣٧٤هـ).
- رزق سليم (د. محمود):
- ١١٤- الأشرف قانصوه الغوري (ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة، سلسلة أعلام العرب، رقم ٥٢ د.ت).

- ١١٥- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي (نشر مكتبة الآداب، مصر ١٩٤٧م).
- روز نثال (فرانز):
- ١١٦- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي (ط٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٣م).
- رياضي زاده (عبد اللطيف بن محمد):
- ١١٧- أسماء الكتب، تحقيق محمد ألتونجي (ط٢)، دار الفكر، دمشق: ١٩٨٣م).
- زامباور:
- ١١٨- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي: ترجمة زكي حسن وحسن محمود (ط٢)، دار الرائد العربي، بيروت: ١٩٨٠م).
- الزبيدي (محمد مرتضى):
- ١١٩- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد العليم الطحاوي (ط). مطبعة حكومة الكويت: ١٩٨٠م).
- الزبيدي (محمد بن الحسن):
- ١٢٠- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢)، دار المعارف، القاهرة: ١٩٨٤م).
- ابن الزبير (أحمد بن إبراهيم):
- ١٢١- البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق د. سعيد الفلاح (ط). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- الزحيلي (د. محمد مصطفى):
- ١٢٢- القاضي البيضاوي، سلسلة أعلام المسلمين رقم ٢٧، (ط دار القلم دمشق: ١٩٨٨م).
- الزحيلي (د. وهبة):
- ١٢٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (ط١)، دار الفكر، دمشق: ١٤١١هـ/ ١٩٩١م).
- الزرقاني (محمد عبد العظيم):
- ١٢٤- مناهل العرفان في علوم القرآن (ط٣)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر: د.ت).
- الزركشي (محمد بن عبد الله):
- ١٢٥- البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط٢)، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٩٧٢م) وطبعة أخرى بتحقيق د. يوسف المرعشلي، وآخرين (ط١)، دار المعرفة، بيروت: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

- الزركلي (خير الدين):
 ١٢٦- الأعلام (ط٦، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٨٤م).
 - الزمخشري (محمود بن عمر):
 ١٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (ط. دار المعرفة، بيروت: د.ت).
 - ابن زنجلة (أبو زرعة عبد الرحمن):
 ١٢٨- حجة القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٤م).
 - زيدان (جرجي):
 ١٢٩- تاريخ آداب اللغة العربية (ط. دار الهلال، القاهرة: د.ت).
 - ساجقلي زاده (محمد بن أبي بكر المرعشي):
 ١٣٠- ترتيب العلوم، تحقيق محمد إسماعيل السيد أحمد (ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٩٨٨م).
 - السبكي (علي بن عبد الكافي):
 ١٣١- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو (ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٩٧٤م).
 - السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن):
 ١٣٢- التبر المسبوك في ذيل السلوك، (نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة: د.ت).
 ١٣٣- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع (نشر مكتبة الحياة، بيروت: د.ت).
 ١٣٤- المقاصد الحسنة، تحقيق محمد مصطفى (ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٩٦٢م) وتحقيق محمد عثمان الخشت (ط دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٨٥م).
 - سركيس (يوسف إيلان):
 ١٣٥- معجم المطبوعات العربية والمعربة (نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة: د.ت).
 - سرنك (الأمير لاي إسماعيل):
 ١٣٦- حقائق الأخبار (ط. المطبعة الأميرية، مصر: ١٣١٠هـ).
 - سعيد (محمود):
 ١٣٧- تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع (ط. دار الشباب، القاهرة: ١٩٨٤م).
 - السكوني (عمر بن محمد):
 ١٣٨- عيون المناظرات، تحقيق سعد غراب (منشورات الجامعة التونسية: ١٩٧٦م).
 - ابن سلام (يحيى):
 ١٣٩- التصاريغ، تحقيق د. هند شبلي (ط. الشركة التونسية للتوزيع، تونس: ١٩٧٩م).

- سلمان (د. عدنان):
- ١٤٠- السيوطي النحوي (ط دار الرسالة، بغداد: ١٩٧٤م).
- السلمي (محمد بن الحسين):
- ١٤١- طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شربية (ط. مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٨٦م).
- السمعاني (عبد الكريم بن محمد):
- ١٤٢- الأنساب، تحقيق عبد الرحمن اليماني (نشر محمد أمين دمج، بيروت: ١٩٨٠م).
- السمين (أحمد بن يوسف الحلبي):
- ١٤٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: تحقيق د. أحمد محمد الخراط (ط دار القلم، دمشق: ١٩٨٦م).
- السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله):
- ١٤٤- التعريف والإعلام، تحقيق عبد أ. مهنا (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م).
- السيد اللحام (د. بديع):
- ١٤٥- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي وجهوده في الحديث وعلومه (ط ١، دار قتيبة، دمشق: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- السيوطي: (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):
- ١٤٦- الإقتان في علوم القرآن: تعليق د. مصطفى البغا (ط ١: دار ابن كثير، دمشق: ١٩٨٧م ويتحقق محمد أبو الفضل إبراهيم (منشورات الرضا، بیدار - إيران: ١٣٤٣ هـ ش) ومصورة (دار الفكر، بيروت: د.ت) عن الطبعة المصرية التي بهامشها: إعجاز القرآن للباقلاني.
- ١٤٧- الأشباه والنظائر الفقهية (ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٩٥٩م).
- ١٤٨- الأشباه والنظائر النحوية، تحقيق: أحمد شريف وغازي طليمات وعبد الإله النبهان وإبراهيم عبد الله (ط. مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٩٨٦م).
- ١٤٩- الإكليل في استنباط التنزيل (ط دار الكتب العلمية، بيروت: د.ت).
- ١٥٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ١، عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٦٤م).
- ١٥١- البهجة المرضية (ط. المطبعة المحمودية، مصر: د.ت).
- ١٥٢- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط ١: مطبعة السعادة، مصر: ١٩٥٢م).
- ١٥٣- التحرير في علم التفسير، تحقيق فتحي عبد القادر ط. دار العلوم، الرياض: ١٩٨٢م).

- ١٥٤- التحدث بنعمة الله، تحقيق إليزابيث ماري سارتين (ط. المطبعة العربية الحديثة، مصر: ١٩٧٢م).
- ١٥٥- تدريب الراوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (ط١، القاهرة: ١٩٥٩م). وأخرى بتحقيق أحمد عمر هاشم (ط دار الكتاب العربي، بيروت: ١٩٨٩م).
- ١٥٦- التعريف بآداب التأليف، تحقيق مرزوق علي إبراهيم (ط. مكتبة التراث، القاهرة: ١٩٨٩م).
- ١٥٧- تكملة تفسير الجلال المحلي - تفسير الجلالين (ط. دار ابن كثير، دمشق: ١٩٨٧م) وأخرى بهامش الفتوحات الإلهية (ط دار إحياء التراث العربي بيروت: د.د).
- ١٥٨- تناسق الدرر في تناسب السور: تحقيق عبد الله الدرويش (ط دار الكتاب العربي، سوريا: ١٩٨٣م).
- ١٥٩- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير (ط٤، مصطفى البابي الحلبي، مصر: د.د).
- ١٦٠- الحاوي للفناوي (ط. دار الفكر، بيروت: ١٩٨٨م).
- ١٦١- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٩٦٧م).
- ١٦٢- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة (ط. دائرة المعارف، باكستان: د.د).
- ١٦٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور (ط. دار الفكر، بيروت: ١٩٨٣م) و(مصورة الطبعة الميمنية المصرية ١٣١٤هـ).
- ١٦٤- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: د. بديع السيد اللحام (ط. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي: ١٤١٢هـ).
- ١٦٥- الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، تحقيق خليل الميس (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٣م).
- ١٦٦- رسالة في علم الخط - ضمن مجموعة التحفة البهية والطرفة الشهية (نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٩٨١م).
- ١٦٧- شرح مقامات السيوطي، تحقيق د. سمير الدروبي (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
- ١٦٨- الشماريخ في علم التاريخ (ط. لاهور: ١٨٩٠م).
- ١٦٩- طبقات الحفاظ، تحقيق علي محمد عمر (ط مطبعة الاستقلال، مصر: ١٩٧٣م).
- ١٧٠- طبقات المفسرين (ط. لندن: ١٨٣٩م) وبتحقيق علي محد عمر (نشر مكتبة وهبة، القاهرة: ١٩٧٦م).

- ١٧١- العقيدة السيوطية - ضمن المجموعة الكبرى - (ط. المنار، تونس: ١٩٧١م).
- ١٧٢- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، تحقيق خليل الميس (ط. المكتب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٥م).
- الكنز المدفون والفلك المشحون (انظر: المالكي (يونس).
- ١٧٣- لب اللباب في تحرير الأنساب، تحقيق بطرس جوهانزفيت (ط١: ١٨٥٠م).
- ١٧٤- لباب النقول في أسباب النزول (ط٣، دار إحياء العلوم، بيروت: ١٤٠٠هـ).
- ١٧٥- المتوكلي فيما ورد في القرآن من اللغة الحبشية...، تحقيق د. عبد الكريم الزبيدي (ط. دار البلاغة، بيروت: ١٩٨٨م).
- ١٧٦- المزهري في علوم اللغة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين (ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٩٥٨م).
- ١٧٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي البجاوي (ط دار الفكر العربي القاهرة: د.ت)، وتحقيق أحمد شمس الدين (ط دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٨).
- ١٧٨- مفحومات الأقران في مبهمات القرآن: تحقيق د. مصطفى البغا (ط. مطبعة الصباح، دمشق: ١٩٩٠م) وأخرى بتحقيق إياد الطباع (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٦م).
- ١٧٩- المقامات الأدبية والطبية، تحقيق محمد إبراهيم سليم (ط. مكتبة ابن سينا، القاهرة: ١٩٨٩م).
- ١٨٠- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق التهامي الراحي الهاشمي (ط. مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب: د.ت).
- ١٨٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع (ط. دار المعرفة، بيروت: د.ت).
- الشافعي (الإمام محمد بن إدريس):
- ١٨٣- أحكام القرآن (منشورات مكتبة النوري، دمشق: د.ت).
- ١٨٤- الرسالة، تحقيق أحمد شاكر (ط. مصر: د.ت).
- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل):
- ١٨٥- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق طيار آلتي قولاج. (ط. دار صادر بيروت: ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
- الشرفي (عبد المجيد):
- ١٨٦- في قراءة التراث الديني - ضمن سلسلة موفقات: في قراءة النص الديني - (ط. الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٩م).

-الشرقاوي (عبد الله):

١٨٧- تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين - على هامش الواقدي، فتوح الشام - (المطبعة الأزهرية، القاهرة: ١٣٠٢هـ).

-الشعراني (عبد الوهاب):

١٨٨- الطبقات الصغرى، تحقيق عبد القادر أحمد عطا (نشر مكتبة القاهرة، مصر: ١٩٧٠م).

١٨٩- الطبقات الكبرى (مصورة دار الفكر، بيروت، عن طبعة مصر: ١٩٥٤م).

-الشكعة (د. مصطفى):

١٩٠- جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية، (ط. مصطفى البابي الحلبي، مصر: ١٩٨١م).

-الشلبي (د. أحمد):

١٩١- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (ط. مكتبة النهضة الإسلامية، القاهرة: ١٩٧٨م).

-الشتاوي وآخرون:

١٩٢- دائرة المعارف الإسلامية (ط. دار المعرفة، بيروت: د.ت).

-أبو شهبه (محمد بن محمد):

١٩٣- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ط. ٤، مكتبة السنة، القاهرة: ١٤٠٨هـ).

-شواخ (علي إسحاق):

١٩٤- معجم مصنفات القرآن (ط. دار الرفاعي، الرياض: ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

-الشوكانى (محمد بن علي):

١٩٥- إرشاد الفحول (ط. دار المعرفة، بيروت: ١٩٧٩م).

١٩٦- البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (ط. مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٤٨م).

١٩٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (ط. دار المعرفة بيروت: د.ت).

-الشيرازي (أبو بكر بن هداية الله):

١٩٨- طبقات الفقهاء، تصحيح خليل الميس (ط. دار القلم، بيروت: د.ت).

-الصالح (د. محمد صبحي):

١٩٩- مباحث في علوم القرآن (ط. ٨، دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٧٤م).

- الصاوي (أحمد بن محمد):
٢٠٠- حاشية الصاوي على الجلالين، (ط. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر: د.ت) و(ط. مطبعة الاستقامة، القاهرة ١٩٥٦م).
- الصغاني (الحسن بن محمد):
٢٠١- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عبد العليم الطحاوي (ط. دار الكتب، القاهرة: ١٩٧٤م).
- الصفدي (خليل بن أبيك):
٢٠٢- الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتز (نشر فرانز شتاينز بفيسباون: ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).
- الصيرفي (علي بن داود):
٢٠٣- نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م).
- الضبي (أحمد بن يحيى):
٢٠٤- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ط. دار الكاتب العربي، القاهرة: ١٩٦٧م).
- ابن الضريس (محمد بن أيوب):
٢٠٥- فضائل القرآن، تحقيق غزوة بدير (ط. دار الفكر، دمشق: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
- طاش كبري زاده (أحمد بن مصطفى):
٢٠٦- مفتاح السعادة ومصباح السيادة (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٥م).
- طاهر (محمد):
٢٠٧- نيل السائرين في طبقات المفسرين (ط. دار القرآن، باكستان: د.ت ١).
- الطبري (محمد بن جرير):
٢٠٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد ومحمود شاكر، (ط. دار المعارف، مصر: د.ت).
- طرخان (إبراهيم):
٢٠٩- مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٩٦٠م).
- الطوفي (سليمان بن عبد القوي):
٢١٠- الإكسير في علم التفسير (ط ١، المطبعة النموذجية، مصر: ١٩٧٧م).

- ابن طولون (محمد بن علي):
- ٢١١- الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون (ط. مطبعة الترقي، دمشق ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م).
- ٢١٢- مفاكهة الخلآن في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى (ط. مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة: ١٩٦٢).
- عاشور (سعيد عبد الفتاح):
- ٢١٣- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (ط. دار النهضة العربية، القاهرة: ١٩٨٧م).
- ابن عاشور (محمد الطاهر):
- ٢١٥- تفسير التحرير والتنوير (ط. الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية، تونس: د.ت).
- ابن عاشور (محمد الفاضل):
- ٢١٦- التفسير ورجاله (ط٢، دار الكتب الشرقية، تونس: د.ت).
- عبد الباقي (محمد فؤاد):
- ٢١٧- معجم غريب القرآن (ط. عيسى البابي الحلبي، القاهرة: د.ت).
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله):
- ٢١٨- الاستيعاب في أسماء الأصحاب - بهامش الإصابة - (ط. دار الكتاب العربي، بيروت: د.ت).
- عبد الرحمن (عبد الجبار):
- ٢١٩- ذخائر التراث العربي والإسلامي (ط١، جامعة البصرة، البصرة: ١٩٨١م).
- عبد الرحيم (عبد الجليل):
- ٢٢٠- لغة القرآن الكريم (ط. مكتبة الرسالة الحديثة، عمان: ١٩٨١م).
- العز بن عبد السلام (عبد العزيز):
- ٢٢١- الإمام في بيان أدلة الأحكام، تحقيق رضوان مختار (ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٩٨٧م).
- عبد السيد (حكيم أمين):
- ٢٢٢- قيام دولة المماليك الثانية، (نشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة: ١٩٦٧م).
- عبد المنعم (د. شاکر محمود):
- ٢٢٣- ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته وموارده في كتاب الإصابة، (ط. دار الرسالة، بغداد: ١٩٧٦م).

- عبد الوهاب (حسن حسني):
 ٢٢٤- العمر، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش (ط. بيت الحكمة ودار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٠م).
- أبو عبيدة (معمر بن المثنى):
 ٢٢٥- مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين (ط. مؤسسة الرسالة بيروت: ١٩٨٠م).
 - عتر (د. نور الدين):
- ٢٢٦- التفسير (أحكام القرآن) (ط. جامعة دمشق، دمشق: ١٩٨٢م).
- ٢٢٧- الحج والعمرة في الفقه الإسلامي (ط٢)، مطبعة الملاح بدمشق، ونشر مؤسسة الرسالة بيروت: د.ت).
- ٢٢٨- القرآن الكريم والدراسات الأدبية (ط. جامعة دمشق، دمشق: ١٩٨٥م).
- ٢٢٩- محاضرات في علوم القرآن (ط. جامعة دمشق، دمشق: ١٩٨٤م).
- ٢٣٠- منهج النقد في علوم الحديث (ط٢ دار الفكر، دمشق: ١٩٧٩م).
- العجلوني (إسماعيل بن محمد):
- ٢٣١- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: (ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٥٢هـ).
- أبو العرب القيرواني (محمد بن أحمد):
- ٢٣٢- طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشّابي ونعيم اليافي، (ط الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر: ١٩٨٥م).
- العروسي المطوي (محمد):
- ٢٣٣- جلال الدين السيوطي (نشر جمعية الاتحاد الثقافي لعمل قابس، تونس: د.ت).
- عزام (عبد الوهاب):
- ٢٣٤- مجالس السلطان الغوري (ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٩٤١م).
- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق):
- ٢٣٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: تحقيق أحمد صادق الملاح (ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- ابن عطية الأجهوري (عطية الله):
- ٢٣٦- إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ والمتشابه وتجويد القرآن: دراسة وتحقيق محمد عبد الله محمد ثاني (رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة، مقدمة إلى الجامعة الزيتونية، المعهد الأعلى لأصول الدين سنة: ١٩٩٠) - مرقونة على الآلة الكاتبة -.

- العماد الأصهباني (محمد بن محمد):
 ٢٣٧- خريدة القصر وجريدة العصر، نشره: أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس (ط).
 لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٩٥٢م).
- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد):
 ٢٣٨- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (نشر المكتبة التجارية للطباعة والنشر، بيروت: د.ت).
- العمروي (عمر بن غرامة):
 ٢٣٩- فهرس أحاديث الدر المنثور (ط. دار عالم الكتب، الرياض: ١٤٠٨هـ).
- عنان (محمد عبد الله):
 ٢٤٠- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية (نشر مكتبة الخانجي، القاهرة: ١٩٦٩م).
- عياض (القاضي عياض بن موسى):
 ٢٤١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد أمين قره علي وآخرين (ط. دار الوفاء، دمشق: ١٩٩٢م).
- ٢٤٢- ترتيب المدارك وترتيب المسالك (ط. بيروت: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
- العيدروس (عبد القادر):
 ٢٤٣- النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ط. دار الكتب العلمية بيروت: ١٩٨٥م).
- عيسى إبراهيم (شحاته):
 ٢٤٤- القاهرة - تاريخها ونشأتها - (ط. دار الهلال، القاهرة: د.ت).
- غربال (محمد شفيق):
 ٢٤٥- الموسوعة العربية الميسرة (ط. القاهرة: ١٩٦٥م).
- الغزالي (الإمام محمد بن محمد):
 ٢٤٦- جواهر القرآن (منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٩٧٧م).
- ٢٤٧- ٢٤٧- المنقذ من الضلال، تحقيق عبد الحليم محمود (ط. دار المعارف القاهرة: ١٩٨٥م).
- غزلان (عبد الوهاب):
 ٢٤٨- البيان في علوم القرآن (ط. مطبعة دار التأليف، القاهرة: ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م).
- الغزي (نجم الدين محمد بن محمد):
 ٢٤٩- الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، (نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت: ١٩٧٩م).

- ٢٥٠- لطف السمر وقطف الثمر في أعيان القرن الحادي عشر، تحقيق محمود الشيخ (ط).
وزارة الثقافة السورية: ١٩٨١م).
- النعماري (أبو الفضل عبد الله بن الصديق):
٢٥١- الإحسان في تعقب الإتقان (ط. دار الأنصار، القاهرة: د.ت).
٢٥٢- بدع التفاسير (ط٢، دار الطباعة المحمدية، القاهرة: ١٩٦٥م).
- الغنيمي الميداني (عبد الغني):
٢٥٣- اللباب في شرح الكتاب، تحقيق محمود أمين النواوي (ط٤ دار الحديث، حمص
وبيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- ابن فارس (أحمد بن فارس):
٢٥٤- الصحابي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويحي (نشر المكتبة اللغوية العربية،
بيروت: ١٩٦٣م).
- ٢٥٦- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، (ط. دار الفكر، بيروت: ١٩٧٩م).
- أبو الفداء (إسماعيل بن علي):
٢٥٧- تقويم البلدان، تحقيق: رينود، والبارون ماك كوكي دبسلان (ط. دار الطباعة
السلطانية، باريس: ١٨٥٠م).
- الفراء (يحيى بن زياد):
٢٥٨- معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار، وأحمد يوسف النجاتي (ط٣، عالم
الكتب، بيروت: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- ابن فرحون (إبراهيم بن علي):
٢٥٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق، د. محمد الأحمد أبو النور
(ط. دار التراث، القاهرة: د.ت).
- ابن الفرضي (عبد الله بن محمد):
٢٦٠- تاريخ علماء الأندلس (ط. الدار المصرية للتأليف، القاهرة: ١٩٦٦م).
- فرغلي القرني (عبد الحفيظ):
٢٦١- الحافظ جلال الدين السيوطي - سلسلة أعلام العرب، رقم: ١٣٧ - (ط. الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٩٠م).
- ٢٦٢- عبد الوهاب الشعراني إمام القرن الحادي عشر، سلسلة أعلام العرب، رقم: ١١٦،
(ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٨٥م).
- فروخ (د. عمر):
٢٦٣- تاريخ الأدب العربي (ط. دار العلم للملايين، بيروت: ١٩٧٢م).

- الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب):
٢٦٤- القاموس المحيط (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٦م) و(ط. المكتبة التجارية، القاهرة: د.ت).
- القاري (الملا علي):
٢٦٥- دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي عصر المماليك (ط٢، دار المعارف، القاهرة: ١٩٨٣م).
- القاضي (عبد الفتاح):
٢٦٧- أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين (ط. دار الندوة الجديدة، بيروت: ١٤٠٨هـ).
- ابن القاضي (أحمد بن محمد):
٢٦٨- درة الحجال في أسماء الرجال - أو: ذيل وفيات الأعيان - تحقيق محمد الأحمد أبو النور (ط. دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس: ١٩٧٤م). وأخرى (ط. دار النصر القاهرة: ١٩٧٠م).
- ابن قاضي شعبة (أبو بكر بن محمد):
٢٦٩- طبقات الشافعية، بعناية حافظ خان (ط. مؤسسة دار الندوة، بيروت: ١٩٨٧م).
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم):
٢٧٠- تأويل مشكل القرآن، تحقيق سيد أحمد صقر (ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة: ١٤٠١هـ/ ١٨٩١م).
- ٢٧١- تفسير غريب القرآن، تحقيق سيد أحمد صقر (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).
- ابن قدامة (موفق الدين عبد الله بن أحمد):
٢٧٢- المغني مع الشرح (ط. دار الفكر، بيروت: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- القرطبي (محمد بن أحمد):
٢٧٣- الجامع لأحكام القرآن (ط. دار إحياء التراث، بيروت: د.ت).
- القطان (مناع):
٢٧٤- مباحث في علوم القرآن (ط١٣، مؤسسة الرسالة بيروت: ١٩٨٦م).
- القفطي (علي بن يوسف):
٢٧٥- إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (ط. دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٩٥٠م).

- القلقشندي (أحمد بن علي):
٢٧٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشا (ط، المطابع الأميرية، القاهرة: ١٩١٤م).
- القنوجي (صديق حسن خان):
٢٧٧- أبجد العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار (ط. وزارة الثقافة، دمشق: ١٩٨٨م).
- ٢٧٨- البلغة في أصول اللغة، تحقيق نذير المكتبي (ط. دار البشائر الإسلامية، بيروت: ١٩٨٨م).
- ابن قيم الجوزية (محمد بن أبي بكر):
٢٧٩- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨١م).
- الكازروني (منصور بن الحسن):
٢٨٠- حاشية على البيضاوي (مصورة بيروت عن الطبعة الميمنية بمصر: ١٣٣٠هـ).
- الكاساني (أبو بكر بن مسعود):
٢٨١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٦م).
- الكافيجي (محمد بن سليمان):
٢٨٢- التيسير في قواعد علم التفسير، تحقيق ناصر بن محمد المطرودي، (ط. دار القلم بدمشق، ودار الرفاعي بالرياض: ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- الكاندهلوي (محمد إدريس):
٢٨٣- التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح (ط. المكتبة العثمانية، باكستان: د. ت).
- الكتاني (عبد الحي):
٢٨٤- فهرس الفهارس والأثبت ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات: باعتناء إحسان عباس (ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٢م) و(ط. فاس: ١٣٤٧هـ).
- الكتاني (محمد بن جعفر):
٢٨٥- الرسالة المستطرفة (ط. دار قهرمان، تركيا: د. ت).
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر):
٢٨٦- البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملح وآخرين (ط. دار الكتب العلمية، بيروت: ١٩٨٧م).
- ٢٨٧- تفسير القرآن العظيم (ط. دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩م) وأخرى بتحقيق عبد العزيز غنيم وآخرين (ط. دار الشعب القاهرة: ١٩٧١م).
- كحالة (عمر رضا):
٢٨٨- معجم المؤلفين (ط. مطبعة الترقى، دمشق: ١٩٥٨م).

- كراتشكوفسكي (جوليا نوفتش):
 ٢٨٩- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تعريب صلاح الدين عثمان هاشم (ط. ليننغراد: ١٩٥٧م)
 - الكرمانلي (محمود بن حمزة):
 ٢٩٠- غرائب التفسير وعجائب التأويل: تحقيق شمران سركال يونس العجلي (ط ١، دار
 القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن بيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
 - لين بول (ستانلي):
 ٢٩١- الدول الإسلامية: ترجمة محمد فرزت، وراجعه محمد أحمد دهمان (ط. مكتب
 المطبوعات الإسلامية: دمشق: ١٩٣٨م).
 - اللكنوي (محمد عبد الحي بن محمد):
 ٢٩٢- التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد (ط. سعيد كمبني، كراتشي: د. ت).
 ٢٩٣- التعليقات السنية على الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ط. دار المعرفة: د. ت).
 ٢٩٤- الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ط. دار المعرفة: د. ت).
 - ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني):
 ٢٩٥- السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (ط. عيسى البابي الحلبي القاهرة:
 ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م).
 - ماجد (عبد المنعم):
 ٢٩٦- نظم دولة الممالك ورسومهم في مصر (نشر مكتبة الأنجلو المصرية: ١٩٦٤م).
 - مالك (الإمام مالك بن أنس):
 ٢٩٧- الموطأ: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (ط. عيسى البابي الحلبي، مصر:
 ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م).
 - المالكي (يونس):
 ٢٩٨- الكنز المدفون والفلك المشحون، طبع منسوباً للسيوطي (ط. مكتبة إحياء العلوم
 العربية، فيصل آباد باكستان: ١٩٨٢م).
 - مبارك باشا (علي):
 ٢٩٩- الخطط التوفيقية (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٨٠م).
 - المتقي الهندي (علي):
 ٣٠٠- كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال (نشر مكتبة التراث الإسلامي، حلب: د. ت).
 - المحبّي (محمد أمين بن فضل الله):
 ٣٠١- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (ط. دار صادر، بيروت: د. ت).

- محفوظ (محمد):
- ٣٠٢- تراجم المؤلفين التونسيين (ط. دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٨٤م).
- المراغي (عبد الله):
- ٣٠٣- الفتح المبين في طبقات الأصوليين (نشر محمد أمين دمع، بيروت: ١٩٧٤م).
- مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج):
- ٣٠٤- الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت: د.ت).
- المغراوي (محمد عبد الرحمن):
- ٣٠٥- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (ط ١، دار طيبة الرياض: ١٩٨٥م).
- المقرئ (أحمد بن محمد):
- ٣٠٦- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس (ط. دار صادر، بيروت: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م).
- المقرئ (أحمد بن علي):
- ٣٠٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - أو: الخطط المقرئية - (ط. دار صادر، بيروت: ١٩٧٩م).
- ٣٠٧- السلوك لمعرفة دول الملوك، تصحيح محمد مصطفى زيادة (ط. دار الكتب المصرية: ١٩٣٤م).
- مكرم (عبد العال سالم):
- ٣٠٩- جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية: (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٩٨٩م).
- ٣١٠- معجم القراءات القرآنية، بالاشتراك مع د. أحمد عمر مختار (ط. جامعة الكويت، الكويت: ١٩٨٤م).
- المناوي (عبد الرؤوف):
- ٣١١- فيض القدير شرح الجامع الصغير (ط. مصطفى محمد، القاهرة: ١٩٣٨م).
- ابن منظور الإفريقي (محمد بن مكرم):
- ٣١٢- لسان العرب (ط. دار المعارف، القاهرة: ١٩٨٤م) و(ط. دار صادر، بيروت: د.ت).
- المنذري (عبد العظيم بن عبد القوي):
- ٣١٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، تحقيق مصطفى محمد عمارة (ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٨٨هـ).

- المهدي (أبو العباس أحمد بن عمّار):

٣١٤- التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل: تحقيق د. محمد يوسف الشربجي من أوله إلى نهاية سورة البقرة (رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة كلية الشريعة الجامعة الأردنية عمّان: ١٩٨٧).

- النبهاني (يوسف بن إسماعيل):

٣١٥- جامع كرامات الأولياء: تحقيق إبراهيم عطوه عوض (ط ٢. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٩٧٠ م).

- ندوة جلال الدين السيوطي:

٣١٦- بحوث ألفت في الندوة التي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية، بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (٦-١٠ مارس ١٩٧٦ م) (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٨ م).

- النسائي (الإمام أحمد بن شعيب):

٣١٧- السنن، ومعه شرح السيوطي وحاشية السندي (ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت: د. ت).

- نعناعة (رمزي):

٣١٨- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير (ط. دار القلم دمشق: ١٩٧٠ م).

- النقرشي (محمود السيد علي):

٣١٩- مناهج المفسرين (نشر مكتبة النهضة، القصيم بريدة السعودية: د. ت).

- النووي (يحيى بن شرف):

٣٢٠- المجموع شرح المذهب (ط. دار الفكر، بيروت: د. ت).

- هاشم (الحسيني) و(أحمد عمر هاشم):

٣٢١- المحدثون في مصر والأزهر ودورهم في إحياء السنة النبوية. (المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: صفر ١٤٠٦ هـ، نوفمبر ١٩٨٥ م).

- ابن هشام (عبد الله بن يوسف):

٣٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ط. المكتبة التجارية، القاهرة: ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٩ م).

- الهواري (هود بن محكم):

٣٢٣- تفسير الكتاب العزيز (ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٠ م).

- الهيثمي (ابن حجر أحمد بن محمد):
 ٣٢٤- الفتاوى الحديثية (ط. البابي الحلبي، مصر: ١٩٣٠ م).
 - الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر):
 ٣٢٥- كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٥ م).
 ٣٢٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ط٢، دار الكتاب، بيروت: د.ت).
 - الواحدي (علي بن أحمد):
 ٣٢٧- أسباب النزول، تحقيق سيد أحمد صقر (ط١، دار الكتاب الجديد مصر: ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م) وأخرى بتحقيق د. مصطفى البغا (ط. دار ابن كثير، دمشق: ١٩٨٨ م) وثالثة (ط. دار الكتاب العربي بيروت: ١٩٨٥ م).
 - الوادعي (مقبل بن هادي):
 ٣٢٨- الصحيح المسند من أسباب النزول (ط مطابع الهدف، الكويت: د.ت).
 - ابن أبي الوفي (عبد القادر بن محمد):
 ٣٢٩- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (ط، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م).
 - اليسوعي (لويس معروف):
 ٣٣٠- المنجد في اللغة والأعلام (٥ ط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت: ١٩٢٧ م).
 - ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي):
 ٣٣١- شرح المفصل (ط. عالم الكتب بيروت، ومكتبة المتنبى القاهرة: د.ت).
 - أبو يعلى الموصلي (أحمد بن علي):
 ٣٣٢- المسند، تحقيق حسين الأسد (ط١. دار المأمون للتراث، دمشق: ١٤٠٥ هـ).

ثالثاً - الفهارس :

- أحمد (سالم عبد الرزاق):
 ٣٣٣- فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة بالموصل (ط. الموصل: د.ت).
 - تيمور باشا (أحمد):
 ٣٣٤- فهرس الخزانة التيمورية (ط. دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٩٤٨ م).
 - الجبوري (عبد الله):
 ٣٣٥- فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (ط. بغداد).

- حسن (عزة):

٣٣٦- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - علوم القرآن - (ط . المجمع العلمي العربي، دمشق: ١٩٦٢م).

- الخيمي (صلاح):

٣٣٧- فهرس دار الكتب الظاهرية (القرآن وعلومه) ط . مجمع اللغة العربية، دمشق: ١٩٨٣م).

- الساعاتي (يحيى محمود):

٣٣٨- نشرة خاصة بمخطوطات السيوطي الأصلية والمصورة المحفوظة بمكتبة جامعة الرياض (نشر جامعة الرياض: ١٩٧٣م) مرقونة على الآلة الكاتبة .
- السيد (فؤاد):

٣٣٩- فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية (ط . دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٩٢٤م).
- عبد البديع (لطفى):

٣٤٠- فهرس المخطوطات المصورة (ط . معهد المخطوطات العربية، القاهرة).
- لجنة من علماء الزيتونة:

٣٤١- برنامج المكتبة العبدلية والصادقية (ط . المطبعة الرسمية، تونس: ١٣٢٦هـ).
٣٤٢- فهرس المكتبة الأزهرية (ط . الأزهر، القاهرة: ١٩٤٩م).

رابعاً- الدوريات والمجلات:

٣٤٣- جريدة الحياة اللندنية، العدد/١١٠٢٦ / (الأربعاء: ٢٩/شوال ١٤١٣هـ/ ٢١/نيسان/١٩٩٣م).

٣٤٤- مجلة أخبار التراث العربي، مج/٤/ العدد (٣٩) (محرم - ربيع الآخر ١٤٠١هـ/ سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٨م).

٣٤٥- مجلة أخبار العالم الإسلامي (تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة) العدد/١١٦٢ / (٢/مارس) ١٩٩٠م).

٣٤٦- مجلة التراث العربي (تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، بدمشق) العدد/٥١ / (السنة - ١٣- شوال ١٤١٣هـ/ نيسان «إبريل» ١٩٩٣م). - ملف خاص بجلال الدين السيوطي -.

٣٤٧- مجلة الأزهر، الجزء / ١٢ / (السنة - ٥٣- ذي الحجة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

٣٤٨- مجلة الدارة (تصدر عن دائرة الملك عبد العزيز بجدة) العدد / ٣ / (السنة - ١٥- جمادى الأولى - جمادى الثانية ١٤١٠هـ).

٣٤٩- مجلة عالم الكتب تصدر في السعودية مج/١٢ : العدد /١ (رجب : ١٤١١هـ).
والعدد /٤/ (شوال : ١٤١١هـ).

ومج ١٤ ، العدد الثالث (ذو القعدة - و الحجة ١٤١٣هـ - مايو - يونيو ١٩٩٣م).
٣٥٠- مجلة كلية الآداب (جامعة الإمارات العربية المتحدة - العين) العدد /٤/ (١٤٠٨هـ).
٣٥١- مجلة المجلة (تصدر في القاهرة) العدد /١٢٢/ (السنة - ١١ - شباط سنة : ١٩٦٧م).
٣٥٢- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج /٤٤/ ج /١-٢/ (شوال ١٣٨٨ هـ - كانون الثاني ١٩٦٩م).

ت ومج (٦٧) ج (٤) (ربيع الآخر ١٤١٣هـ - تشرين الأول ١٩٩٢م).
٣٥٣- مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة : مج /٤/ ج /١/ (مايو : ١٩٥٨م).
٣٥٤- مجلة المقتبس (كانت تصدر بالقاهرة) : مج /٣/ (سنة ١٩٠٨م).

المراجع الأجنبية

- I. W. AHLWARDT, KONIOLICHEN, BIBLIOTHEK, ZU BERLIN
(BERLIN, L. SCHADE: 1962)
- II. C. BROCKELMANN, (G, I, II, LEIDEN: 1943).
(S, I, II, III, LEIDEN: 1937).
- III. R. DOZY, SUPPLEMENT, DICTONNAIRES, ARAES. (2 eme Ekition:
LEIDE, BRILL, PARIS, 1927).
- IV. EDWARD WILLIAM LANE. AN ARABIC-ENGLISH LEXIOON,
(LONDON, EDINBURGH: 1867).

* * *

المحتوى

| | |
|---------|---|
| المقدمة | ٧ |
|---------|---|

الباب الأول: عصر الإمام السيوطي وحياته

| | |
|---|-------|
| الفصل الأول: عصر الإمام السيوطي | ٢٣ |
| - الناحية السياسية | ٣٨-٢٥ |
| - السلاطين الذين عاصروهم السيوطي | ٢٨-٢٧ |
| - أهم مميزات الممالك الذين عاصروهم السيوطي | ٣٨-٣٠ |
| - الناحية الاجتماعية | ٤٢-٣٩ |
| - طبقة السلاطين والأمراء | ٣٩ |
| - المعممون من أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء | ٤٠ |
| - طبقة التجار | ٤٠ |
| - طبقة الفلاحين | ٤١ |
| - الناحية العلمية | ٥١-٤٣ |
| - ازدهار الحركة العلمية في ذاك العصر | ٤٧ |
| - انتشار الموسوعات العلمية | ٤٩ |
| الفصل الثاني: حياة الإمام السيوطي | ٥٣ |
| - تمهيد: في التعريف بـ«أسيوط» | ٦٢-٥٥ |
| - سيرته الذاتية: | ٨١-٦٣ |
| ١- اسمه ونسبه | ٦٣ |
| ٢- مولده | ٦٥ |
| ٣- أسرته | ٦٦ |
| ٤- أصله (هل هو عربي أو فارسي؟) | ٦٧ |

| | |
|---------|--|
| ٦٨ | ٥- والده |
| ٧٤ | ٦- أمّه |
| ٧٥ | ٧- أولاده وذريته (وهل له عقب أو لا؟) |
| ٧٦ | ٨- وفاته (والتحقيق في تاريخها) |
| ٨٠ | - رثاؤه |
| ٨١ | ٩- أخلاقه ومناقبه |
| ٨٧ | - حياته العلمية |
| ٨٧ | بداية طلبه للعلم ونبوغه المبكر |
| ٩١-٩٠ | شدة ملازمته لشيوعه |
| ٩٢ | إجازاته وبداية تأليفه |
| ٩٣ | تبحره في العلوم |
| ٩٦ | لِمَ لَمْ يَعدّ السيوطي نفسه في عداد المؤرخين؟ |
| ٩٧ | لم جعل براعته في الإنشاء والترسل دون غيرها؟ |
| ٩٨ | شعره |
| ١٠٣ | نزعته الصوفية |
| ١٢٧-١٠٤ | شيوعه |
| ١٠٤ | اهتمام السيوطي بتراجم شيوعه والمعاجم التي وضعها في ذلك |
| ١٣١-١٢٧ | رحلاته |
| ١٢٧ | - رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج |
| ١٢٨ | - رحلاته الداخلية في البلاد المصرية |
| ١٢٩ | - رحلات مزعومة |
| ١٢٩ | - التحقيق في أن السيوطي لم يغادر مصر إلا لأداء الحج |

الباب الثاني: حياته العملية وأثاره

| | |
|---------|----------------------------|
| ١٣٥ | الفصل الأول: حياته العملية |
| ١٤٢-١٣٧ | أولاً: المناصب التي تقلدها |
| ١٤٣ | - التدريس والإفتاء |

| | |
|---------|---|
| ١٣٨ | - مشيخة التصوف ، ومشيخة الخانقاه البيبرسية |
| ١٣٩-١٣٨ | - هل تولى السيوطي منصب القضاء؟ |
| ١٤٠ | - عزلته وانقطاعه إلى الله |
| ١٤١ | - سبب عزلته |
| ١٤٣ | - ثانياً- خصوماته العلمية |
| ١٤٤-١٤٣ | - بدايتها وأسبابها |
| ١٥٠-١٤٥ | - المطاعن والتهم التي وجهها السخاوي للسيوطي وردّها |
| ١٥٨-١٥١ | - أهم المسائل العلمية واللغوية التي انتقد بها السيوطي |
| ١٥٨ | - مسألة الاجتهاد والتجديد |
| ١٥٨ | - هل بلغ السيوطي درجة الاجتهاد؟ |
| ١٦٢ | - دعوى التجديد عند السيوطي وفكرة المبعوثية |
| | شهادة العلماء له ببلوغه درجة الاجتهاد وأنه حقيق بأن يكون مجدد |
| ١٦٨-١٦٥ | - المئة التاسعة |
| ١٦٩ | - الفصل الثاني: آثاره |
| ١٧١ | - أولاً: تلاميذه والتعريف بأشهرهم |
| ١٧٨ | - ثانياً: مؤلفاته |
| ١٧٩ | - عدد مؤلفاته |
| ١٨٣ | - أسباب كثرة مؤلفاته |
| ١٩١ | - طريقة السيوطي في التأليف |
| ١٩٦ | - أهم مؤلفات السيوطي |
| ١٩٧ | - كتب منحوّلة عن السيوطي |
| ٢١٢-١٩٩ | - التعريف بأهم كتب السيوطي |
| ١٩٩ | ١- الجامع الكبير |
| ٢٠١ | ٢- حسن المحاضرة |
| ٢٠٣ | ٣- المزهّر |
| ٢٠٥ | ٤- بغية الوعاة |
| ٢٠٦ | ٥- تاريخ الخلفاء |
| ٢٠٨ | ٦- الحاوي للفتاوي |

- ٧- الأشباه والنظائر الفقهية ٢٠٩
- ٨- الأشباه والنظائر النحوية ٢١٠

الباب الثالث: جهود الإمام السيوطي في علوم القرآن

- الفصل الأول: مؤلفات السيوطي في التفسير وعلوم القرآن ٢١٥-٢٤١
- القسم الأول: ما ادعى السيوطي فيه التفرد ٢١٨
- القسم الثاني: ما أُلّف ما يناظره ويمكن أن يأتي بمثله ٢٢٠
- القسم الثالث: ما تمّ من الكتب من كراسين إلى عشرة ٢٢٢
- القسم الرابع: ما كان كراساً ونحوه سوى مسائل الفتوى ٢٢٥
- القسم الخامس: ما أُلّف في واقعات الفتاوى ٢٣٠
- القسم السادس: مؤلفات لا يعتد بها ٢٣٤
- القسم السابع: ما شرع فيه وفتر العزم عنه ٢٣٥
- القسم الثامن: الكتب التي لم يرد ذكرها في كتابه (التحدث بنعمة الله)
- و فهارس الكتب الأخرى ٢٣٧
- الفصل الثاني: التعريف بأهم مؤلفاته في التفسير ٢٤٣
- تمهيد ٢٤٥
- ١- الدر المشثور في التفسير بالمأثور ٢٤٨
- تعريف التفسير بالمأثور ٢٤٨
- طبقات الكتاب ٢٤٨
- التعريف بالكتاب ٢٤٩
- تعليق السيوطي على بعض الروايات في التفسير ٢٥١-٢٥٥
- طريقة السيوطي في تفسيره وبيان منهجه فيه ٢٥٦
- الإسرائيليات وموقف السيوطي منها ٢٦٧
- تعريف الإسرائيليات وأقسامها ٢٦٧
- إكثاره من الروايات الإسرائيلية، ونماذج من ذلك ٢٦٨
- مصادره في تفسيره هذا ٢٧٠
- مصادر في التفسير ٢٧١

| | | |
|---------|-------|---|
| ٢٧٣ | | - مصادر في علوم القرآن |
| ٢٧٥ | | أثره فيمن أتى بعده |
| ٢٧٦ | | الخلاصة |
| ٢٧٨ | | ٢- تكملة تفسير جلال الدين المحلي (المعروف بتفسير الجلالين) |
| ٢٧٨ | | التعريف بالكتاب وبيان طبعاته |
| ٢٧٩ | | السيوطي يكمل تفسير شيخه بدءاً من سورة البقرة |
| ٢٨٠ | | التزام السيوطي بمنهج المحلي في الإيجاز والاختصار |
| ٢٨٤-٢٨١ | | نماذج من التفسير |
| ٢٨٤ | | الإسرائيليات في هذا التفسير |
| ٢٨٦ | | مدى التزام السيوطي بمنهجه |
| ٢٨٧ | | المقارنة بين تفسير المحلي وتكملة السيوطي |
| ٢٨٩ | | الحواشي على هذا الكتاب |
| ٢٩٠ | | الخلاصة |
| ٢٩٢ | | ٣- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار (حاشية على تفسير البيضاوي) |
| ٢٩٢ | | التعريف بالحاشية |
| ٢٩٥ | | التعريف بتفسير البيضاوي وبيان منهج مؤلفه فيه |
| ٢٩٨ | | منهج السيوطي في حاشيته على البيضاوي |
| ٢٩٩ | | نماذج من الحاشية |
| ٣٠٠ | | آداب الشارح وشروطه |
| ٣٠٢ | | مدى التزام السيوطي بمنهجه |
| ٣٠٣ | | تعقيب السيوطي على بعض ما جاء في تفسير البيضاوي |
| | | تنبيه السيوطي على الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي أوردها |
| ٣٠٥ | | البيضاوي في أواخر السور |
| ٣٠٦ | | الخلاصة |
| ٣٠٩-٣٠٧ | | الفصل الثالث : في التعريف بأهم مؤلفاته في علوم القرآن |
| ٣١٠ | | ١- لباب النقول في أسباب النزول |
| ٣١٠ | | تمهيد في تعريف سبب النزول والتعريف بهذا الكتاب |
| ٣١١ | | فوائد معرفة أسباب النزول |

| | |
|---------|--|
| ٣١٣ | المؤلفات في أسباب النزول |
| | منهج السيوطي في (لباب القول) والمقارنة بينه وبين كتاب (أسباب |
| ٣١٨ | النزول) للواحد |
| ٣١٨ | ميزات كتاب السيوطي |
| ٣٢٦ | طبقات الكتاب |
| ٣٢٨ | ٢- مفحمت الأقرا في مبهمات القرآن |
| ٣٢٨ | أهمية هذا العلم، وتعريفه لغة |
| ٣٢٩-٣٢٨ | تعريف هذا العلم اصطلاحاً |
| ٣٣٠ | علم المبهمات لا مجال للرأي فيه ومرجه إلى النقل المحض |
| ٣٣٠ | المؤلفات في المبهمات |
| ٣٣٥ | أسباب الإيهام في القرآن الكريم |
| ٣٣٧ | التعريف بالكتاب ومنهج السيوطي فيه |
| ٣٣٨ | ما يتميز به كتاب السيوطي عن سائر كتب هذا الفن |
| ٣٤٠ | الإسرائيليات في هذا الكتاب |
| ٣٤٢ | مصادر السيوطي في مفحمت الأقرا |
| ٣٤٤ | طريقته في عرض المبهمات والمقارنة بينه وبين ما أورده في الإتيان |
| ٣٤٥ | طبقات الكتاب |
| ٣٤٥ | الخلاصة |
| ٣٤٧ | ٣- تناسق الدرر في تناسب السور |
| ٣٤٧ | تعريف علم المناسبات |
| ٣٤٧ | فائدة علم المناسبات |
| ٣٤٨ | طريقة معرفة المناسبات بين السور والآيات |
| ٣٥٠ | المؤلفات في علم المناسبات |
| ٣٥٢ | مواقف العلماء من علم المناسبات |
| ٣٥٤ | ترتيب سور القرآن (توقيفي أو اجتهادي؟) |
| ٣٥٥ | رأي السيوطي واختياره في ترتيب السور |
| ٣٥٧ | منهج السيوطي في كتابه (تناسق الدرر) |

| | |
|---|---------|
| معظم ما جاء في (تناسق الدرر) هو من نتاج ذهن السيوطي ومستنبطات | |
| فكره | ٣٥٧ |
| نماذج من الكتاب توضح منهج السيوطي فيه | ٣٦٠ |
| السيوطي دقيق في نقله وأمين في عزوه | ٣٦٩ |
| المقارنة بين السيوطي ومن تقدمه من المفسرين المهتمين في علم | |
| المناسبات | ٣٧٠ |
| طبقات الكتاب | ٣٧٤ |
| تغيير بعض المحققين عنوان الكتاب | ٣٧٤ |
| الخلاصة | ٣٧٥ |
| ٤- مرادد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع | ٣٧٦ |
| التعريف بهذا الكتاب وبمخطوطاته | ٣٧٦ |
| مصادره | ٣٧٧ |
| منهج السيوطي في كتابه مرادد المطالع | ٣٧٧ |
| الخلاصة | ٣٨١ |
| ٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن | ٣٨٢ |
| التحقيق في تسمية الكتاب | ٣٨٢ |
| القسم الأول: إعجاز القرآن الكريم | ٣٨٣ |
| تعريف الإعجاز لغة واصطلاحاً | ٣٨٣-٣٨٤ |
| المؤلفات السابقة للسيوطي في إعجاز القرآن | ٣٨٥ |
| وجوه إعجاز القرآن في معترك الأقران | ٣٩٢ |
| منهج السيوطي في القسم الأول من الكتاب | ٣٩٤ |
| - ما ذكره السيوطي من وجوه الإعجاز يكاد يكون نقلاً تاماً عما ذكره في | |
| الإتيقان | ٣٩٥ |
| القسم الثاني: ألفاظ القرآن المشتركة | ٣٩٧ |
| الوجوه والنظائر في المفهوم اللغوي وفي اصطلاح علوم القرآن | ٣٩٧-٣٩٨ |
| المؤلفات السابقة للسيوطي في هذا الفن | ٣٩٩ |
| التعريف بهذا القسم من الكتاب | ٤٠٩ |
| الكلام عن معاني الحروف والأدوات | ٤١١ |

| | |
|-----|---|
| ٤١٢ | منهج السيوطي في هذا القسم من الكتاب |
| ٤١٣ | ترتيب الألفاظ في كتابه حسب ترتيب المغاربة للمعاجم |
| | هل الأحاديث التي أوردتها في آخر الكتاب منتقاة من صحيح البخاري |
| ٤١٥ | فقط كما جاء في عنوان الفصل |
| ٤١٦ | مميزات الكتاب |
| | هذا الكتاب أقرب ما يكون إلى تفسير غريب القرآن بعد ترتيب الألفاظ |
| ٤١٧ | الغريبة بطريقة معجمية |
| ٣١٨ | اعتماد السيوطي في هذا القسم على تفسير ابن جزّي |
| ٤١٨ | المقارنة بين السيوطي وابن جزّي |
| ٤٢٢ | ظهور نزعة السيوطي الصوفية في طيات هذا الكتاب |
| ٤٢٦ | مصادره في القسم الثاني من هذا الكتاب |
| ٤٣٠ | طبعات الكتاب |
| ٤٣١ | الخلاصة |
| ٤٣٢ | ٦- المهدّب فيما وقع في القرآن من المعرّب |
| ٤٣٢ | السيوطي أول من جمع شتات المعرّب من القرآن الكريم |
| ٤٣٣ | تمهيد: هل في القرآن الكريم كلمة معرّبة |
| ٤٣٣ | - تعريف المعرّب |
| ٤٣٣ | - آراء العلماء في المسألة |
| ٤٣٣ | أ- القائلين بالمنع وأدلتهم |
| ٤٣٥ | ب- القائلين بالجواز وأدلتهم |
| ٤٣٦ | ج- الفريق المتوسط بينهما |
| ٤٣٦ | - اختيار السيوطي في المسألة |
| ٤٣٨ | - مناقشة الآراء في المسألة وترجيح عدم وقوع المعرّب |
| ٤٣٩ | منهج السيوطي في (المهدّب) |
| ٤٣٩ | أمثلة توضح منهجه |
| ٤٤٢ | مأخذ على الكتاب |
| ٤٤٥ | مصادر السيوطي في هذا الكتاب |
| ٤٤٧ | طبعات الكتاب |

| | |
|-----|---|
| ٤٤٨ | المتوكلي فيما ورد في القرآن باللغات الحبشية والفارسية إلخ |
| ٤٤٨ | هذا الكتاب نموذج للتكرار في تأليف السيوطي |
| ٤٤٩ | التعريف بهذا الكتاب |
| ٤٤٩ | منهجه فيه |
| ٤٥٢ | إحصاء للألفاظ الأعجمية التي ذكرت في الكتاب |
| ٤٥٣ | المقارنة بين المذهب والمتوكلي |
| ٤٥٣ | مصادر السيوطي في المتوكلي |
| ٤٥٤ | الماخذ على هذا الكتاب |
| ٤٥٤ | طبعاته |
| ٤٥٥ | ٧- الإكليل في استنباط التنزيل |
| ٤٥٥ | تمهيد |
| ٤٥٦ | المؤلفات في أحكام القرآن |
| ٤٦٣ | المؤلفات المعاصرة في أحكام القرآن |
| ٤٦٤ | التعريف بكتاب (الإكليل) |
| ٤٦٦ | منهج السيوطي فيه |
| ٤٦٧ | تأثر السيوطي بعلماء المغرب واهتمامه بمؤلفاتهم |
| ٤٧٠ | استنباط السيوطي القواعد والأصول من الآيات |
| ٤٧١ | مصادره |
| ٤٧٢ | طبعاات الكتاب |
| ٤٧٢ | الخلاصة |
| ٤٧٣ | ٨- أسرار التنزيل ، أو (قطف الأزهار في كشف الأسرار) |
| ٤٧٣ | تمهيد |
| ٤٧٤ | مخطوطات الكتاب |
| ٤٧٥ | التعريف بالكتاب |
| ٤٧٨ | منهج السيوطي في (أسرار التنزيل) |
| ٤٧٩ | مثال يوضح المنهج |
| ٤٨٢ | التزام دقيق بالمنهج |
| ٤٨٥ | مميزات الكتاب |

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ٤٩١ | مصادر السيوطي في أسرار التنزيل |
| ٤٩٦ | الخلاصة |

الباب الرابع: الإِتْقَانُ في علوم القرآن

تمهيد

| | |
|---------|--|
| ٤٩٩ | ١- تعريف مصطلح علوم القرآن وتعريف المختار له |
| ٥٠٠ | ٢- تاريخ علوم القرآن حتى عصر السيوطي |
| ٥٠٤ | أول من ألف في علوم القرآن بالمفهوم الاصطلاحي |
| ٥٠٧ | نماء هذا العلم في مطلع القرن التاسع وكثرة التأليف فيه |
| ٥٠٩ | كتب عنونت بـ (علوم القرآن) وهي كتب في التفسير |
| ٥١١ | الفصل الأول: منهج السيوطي في (الإِتْقَان) |
| ٥١٣ | ١- التعريف بهذا الكتاب |
| ٥١٣ | مراحل تأليف الكتاب |
| ٥١٣ | وقوف السيوطي على كتاب شيخه (الكافِّي) |
| ٥١٣ | اطلاع السيوطي على كتاب البلقيني (مواقع العلوم) |
| ٥١٤ | تأليف السيوطي لكتاب (التحبير في علوم التفسير) |
| ٥١٧-٥١٤ | التعريف بـ (التحبير) |
| ٥١٧ | اطلاع السيوطي على كتاب الزركشي (البرهان في علوم القرآن) |
| ٥١٧ | سبب تأليف السيوطي لكتابه (الإِتْقَان) |
| ٥١٨ | تاريخ تأليفه له |
| ٥١٩ | مقارنة بين (الإِتْقَان) و (التحبير) |
| ٥٢٠ | ٢- منهج السيوطي في كتابه (الإِتْقَان) |
| ٥٢٠ | طريقته في ترتيب أنواع علوم القرآن |
| | مراعاة السيوطي التسلسل المنطقي والتدرج الزمني في ترتيبه لأنواع |
| ٥٢٠ | علوم القرآن |
| ٥٢١ | مراعاته الترتيب نفسه في كتاب (التحبير) |
| ٥٢١ | تقسيمي لأنواع علوم القرآن عند السيوطي إلى قسمين رئيسين: |

| | |
|--|---------|
| أولاً- ما هو خاص بعلوم القرآن | ٥٢٢-٥٢١ |
| ثانياً- ما يتعلق بعلوم أخرى | ٥٢٣ |
| منهجه العام في عرض كل نوع من أنواع علوم القرآن | ٥٢٤ |
| أمثلة ونماذج توضح المنهج | ٥٢٤ |
| المكي والمدني | ٥٢٥ |
| اصطلاحات المكي والمدني | ٥٢٥ |
| المرجع في معرفة المكي والمدني إلى حفظ الصحابة والتابعين | ٥٢٦ |
| ضوابط في المكي والمدني | ٥٢٦ |
| السيوطي يطبق منهجه على بقية الأنواع | ٥٢٨ |
| إيراد السيوطي لبعض الروايات ونقدها | ٥٣٠ |
| تأثر السيوطي بالزركشي | ٥٣١ |
| خاتمة: | ٥٣٢ |
| - الإتقان موضوع للمهمات | ٥٣٢ |
| - هدف السيوطي إلى جعل كتابه أشمل كتاب في بابه | ٥٣٣ |
| - تكرار مؤلفات السيوطي في بعض الأنواع | ٥٣٣ |
| - الكتب التي أفرد بها بالتأليف وأشار إليها في الإتقان | ٥٣٣ |
| - أسباب تكرار مؤلفاته | ٥٣٦ |
| ٣- أهم اختيارات السيوطي في الإتقان ومناقشتها | ٥٣٧ |
| أ- حقيقة الموحى به على النبي ﷺ | ٥٣٧ |
| عرض السيوطي للأقوال في المسألة ومناقشتها | ٥٣٧ |
| اختيار السيوطي هو ما عليه جمهور المسلمين | ٥٣٨ |
| رد السيوطي لبقية الأقوال | ٥٣٨ |
| لا مستمسك للمستشرقين فيما ذهبوا إليه في المسألة | ٥٤١ |
| ب- ترجمة القرآن الكريم إلى غير العربية | ٥٤٢ |
| اختيار السيوطي عدم جواز قراءة القرآن بغير العربية مطلقاً | ٥٤٢ |
| حكم ترجمة القرآن | ٥٤٣ |
| ج- الاقتباس | ٥٤٤ |
| رأي المالكية في هذه المسألة | ٥٤٥ |

| | |
|---------|---|
| ٥٤٥ | رأي الشافعية في هذه المسألة |
| ٥٤٦ | أقسام الاقتباس |
| ٥٤٨-٥٤٧ | رأي السيوطي : جواز الاقتباس بشرط |
| ٥٤٨ | تأليف السيوطي رسالة مستقلة في المسألة |
| ٥٥٠ | د- المعرب في القرآن |
| ٥٥٠ | اختيار السيوطي وقوع المعرب في القرآن |
| | الفصل الثاني |
| ٥٥١ | ٤- مصادر السيوطي في كتابه (الإتقان) |
| ٥٥٣ | تمهيد |
| ٥٥٣ | طريقة السيوطي في عرض مصادره |
| ٥٥٤ | المصادر التي نصّ السيوطي على أنّه رجع إليها |
| ٥٥٥ | أ- من الكتب النقلية |
| ٥٥٧ | ب- من كتب جوامع الحديث والمسانيد |
| ٥٥٧ | ج- من كتب القراءات وتعلقاتها |
| ٥٥٨ | د- من كتب اللغات والغريب والعربية |
| ٥٦٠ | هـ- من كتب الأحكام وتعلقاتها |
| ٥٦٢ | و- من كتب الإعجاز وفنون البلاغة |
| ٥٦٥ | ز- من الكتب سوى ما تقدم |
| ٥٦٦ | ح- من كتب الرسم |
| ٥٦٧ | ط- من الكتب الجامعة |
| ٥٦٨ | ي- من تفاسير غير المحدثين |
| ٥٧٠ | أسباب الاختصار على ما ذكره السيوطي من مصادر في المقدمة |
| ٥٧١ | الفصل الثالث : المقارنة بين برهان الزركشي وإتقان السيوطي |
| | السيوطي اطلع على البرهان بعد تأليفه (التحبير) وعند عزمه على تأليف |
| ٥٧٣ | (الإتقان) |
| ٥٧٤ | - المقارنة بين البرهان والإتقان من حيث الحجم |
| ٥٧٤ | - المقارنة من حيث الترتيب وبيان أن ترتيب السيوطي أنسب |
| ٥٧٤ | - جدول يبين أنواع علوم القرآن عند الزركشي |

- ٥٧٦ جدول يبين أنواع علوم القرآن عند السيوطي
- ٥٧٨ الأنواع الزائدة عند الزركشي
- ٥٧٩ لم يتفرد الزركشي إلا بنوع واحد فقط
- ٥٧٩ تداخل الأنواع عند كل من السيوطي والزركشي
- ٥٨١ السيوطي وسع في بعض الأنواع التي ذكرها الزركشي
- ٥٨١ ١- جدول يوضح الأنواع المشتركة بين (الإتقان) و(البرهان)
- ٥٨٣ ٢- جدول يبين ما أفرد الزركشي بنوع وأدمجه السيوطي ضمن نوع آخر
- ٥٨٥ ٣- جدول يبين ما انفرد به السيوطي أو زاد على الزركشي
- ٥٨٦ المقارنة من حيث المحتوى والمضمون
- ٥٨٨ الإتقان أكثر جمعاً وأوسع بسطاً من البرهان
- ٥٨٨ أمثلة على ذلك
- ٥٨٨ شهرة البرهان تعود لكتاب الإتقان
- ٥٩١ الفصل الرابع: أثر الإتقان فيمن أتى بعده
- ٥٩٣ أولاً: تمهيد في أهمية الإتقان وانتشاره في الآفاق
- ٥٩٤ اعتماد المؤلفين في علوم القرآن على إتقان السيوطي
- ٥٩٦ ثانياً: عناية العلماء بالإتقان
- ٥٩٦ مختصراته
- ٥٩٧ المتتقيات منه
- ٥٩٧ نظم خلاصته
- ٥٩٧ الإتقان لم يأخذ حظه من الشرح؟
- ٥٩٨ ثالثاً: نماذج من أثر الإتقان في المؤلفات بعده
- ٥٩٨ ١- مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة
- ٥٩٨ شدة تأثره بالسيوطي ومتابعته له في مقدمته وخاتمته
- ٥٩٩ طاش كبري زادة يدرج الثمانين نوعاً في كتابه
- ٦٠١ متابعته للسيوطي حتى في حالاته ووهمه وسهوه
- ٦٠١ طاش كبري زادة ينص على آراء السيوطي الخاصة
- ٦٠٢ ٢- الشهب الثواقب والسيوف الهندية للشقناني التونسي
- ٦٠٣ مخطوطات الكتاب

| | |
|-----|---|
| ٦٠٣ | التعريف بالكتاب |
| ٦٠٤ | الشقانصي يدرج كتاب (الإتقان) في كتابه |
| | توسع الشقانصي في بعض فصول الكتاب أكثر مما أورده السيوطي وهو |
| ٦٠٤ | السبب في تأليف الكتاب |
| ٦٠٥ | الشقانصي يقول: إنه لم يسبق إلى هذا الكتاب |
| ٦٠٦ | آراء الشقانصي واجتهاداته |
| ٦٠٧ | إحالة الشقانصي على السيوطي في إتقانه رَوْماً للاختصار |
| ٦٠٧ | الشقانصي ينقل عن السيوطي أحياناً دون أن ينص على ذلك |
| ٦١٠ | ٣- الإحسان في تعقب الإتقان للسيد عبد الله الغماري |
| ٦١٠ | التعريف بالكتاب |
| | الغرض من الكتاب التنبيه على الروايات الواهية التي لم ينبّه عليها |
| ٦١٠ | السيوطي أو يتعقبها |
| ٦١٠ | السيد الغماري ينصف السيوطي مما وجه إليه من انتقادات |
| ٦١١ | السيد الغماري لم ينتقد المنهج أو الترتيب |
| ٦١٢ | نماذج من تعقبات الغماري للسيوطي |
| ٦١٥ | ليست كل تعقبات الغماري مما يؤخذ بها ويعول عليها |
| ٥١٦ | تعقب التعقب |
| ٦٢٠ | السيد الغماري لم يستوعب في تعقباته الإتقان |
| ٦٢٠ | تعقبي على بعض ما ورد في الإتقان غير ما ذكره الغماري |
| ٦٢٠ | - حكايته شرب عثمان بن مظعون للخمر وردها |
| ٦٢٣ | - نقله تلخيص السفاقسي لكتاب الدر المصون |
| ٦٢٣ | هذه التعقبات لا تغض من قيمة الإتقان العلمية |
| ٦٢٤ | رابعاً- الإتقان في الدراسات المعاصرة |
| ٦٢٤ | اختيار الإتقان من قبل الباحثين المعاصرين نموذجاً لقراءة النص الديني |
| ٦٢٤ | اتجاه بعض الباحثين المعاصرين إلى نقد الإتقان وانتقاصه |
| | - محمد أركون يستخدم الألفاظ الغربية والغريبة في كتابه (الفكر |
| | الإسلامي): (قراءة علمية) واختياره الإتقان كحساب ختامي |
| ٦٢٤ | للدراستات القرآنية |

| | |
|-----|--|
| ٦٢٤ | علمية توافق قواعد اللغة المجمع على اعتمادها |
| | - الأستاذ عبد المجيد الشرفي يختار الإتقان نموذجاً لقراءة النص أو |
| ٦٢٥ | التراث الديني |
| ٦٢٥ | إنصاف السيوطي بأنه مصنف جامع وأنه موسوعي |
| ٦٢٥ | انتقاء الأستاذ الشرفي نصين من الإتقان |
| ٦٢٥ | السيوطي برأي الشرفي عشوائي في ترتيبه |
| ٦٢٦ | تعليقي على انتقادات الأستاذ الشرفي |
| ٦٢٨ | طعن الأستاذ الشرفي بالصحابة رضوان الله عليهم |
| ٦٢٩ | ردّي على هذا الطعن |
| ٦٣١ | - الأستاذ أركون يوجه مثل هذه الانتقادات للسيوطي |
| ٦٣٢ | طبغات الإتقان في علوم القرآن |
| ٦٣٥ | الخاتمة ونتائج البحث |
| ٦٣٨ | توصيات واقتراحات |
| ٦٤١ | الفهارس العامة |
| ٦٤٣ | فهرس الآيات |
| ٦٥٨ | فهرس الأحاديث |
| ٦٦١ | فهرس الشعر |
| ٦٦٣ | فهرس الإعلام المترجمة |
| ٦٧٦ | فهرس المصادر والمراجع |
| ٧٠٦ | المحتوى |

